رد الأذهان إلى معاني القرآن

تفسير

أبي بكر محمود جومي

رئيس قضاة نيجيريا

طبع على
نفقة السيد
الحاج ادم دان جوما محمد
رئيس شركة أمنشي
بلاحوس

رد الأذهان
إلى
معاني القرآن
الجزء الأول

ردُّ الأذهان
إلى
معاني القرآن

الجزء الأول

تفسير
أبي بكر محمود جومي
رئيس قضاة نيجيريا

طبع على
نفقة السيد
الحاج آدم دان جوما محمد
رئيس شركة أمنشى
بلاجوس

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليخرج عباده من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً ، وأفضل الصلواة وأتم التسليم على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد المرسل بالحنيفية السمحاء ، وعلى إله البررة الكرام ، وأصحابه نجوم الهدى والنور ، ما كرّ ظلام بالليل وضياء بالنهار .

وبعد :

فقد أشار إلي من إشارته حكم وطاعته غنم ، إلى أن أكون قنطرة التي عليها المجاز إلى تجديد طباعة كتاب التفسير المسمى برد الأذهان إلى معاني القرآن ، لفريد عصره ، الداعي إلى سبيل الرشاد ، قامع البدع وكل ألوان الشرك رئيس القضاة بشمالية النجيرياء عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، فضيلة الشيخ أبو بكر محمود جومي .

فلبيتُ دعوتَه تلبية المطيع ، وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع ، وإن لم يدر الضالع شأوَ الضليع ، راجياً من الله تعالى السداد والجزاء في الدارين بأحسن الثواب الأوفى .

وقديماً قد ترادفت تقاريظ مقنعة ، من البحار المفعَمة بكل أنواع العجائب ، رُوِيَ منها عَدد كبير من كل الصَدى ؛ على كتاب : رد الأذهان إلى معاني القرآن لما احتواه من أنواع المنافع ، ولكونه مرجعاً مهما لدوحات العلم وطلائعها في العالم الإسلامي الكبير قاطبة ، ومع ذلك فلم يلبث المؤلف الجليل ، ولم يعي ، بل إنه استمر وأوغل في البحث لبعض التوجيهات التي بلغته من العلماء المدقّقين في النظر بعين الإنصاف ، شوقاً لإتمام الناقص ، وتوجيز المعطل ، وتيسير ما يعسر فهمه في هذا التفسير ، وفي كتب التفسير المتقدمة ، فأتى بعون الله وإلهامه ، بما فَلّت عن سلك تأليفه في الطبعة الأولى ، والثانية والثالثة والرابعة ، في هذه الطبعة ، وهي الخامسة ، شأن كل مؤلف إذا كان مؤلفه حياً فلا يخلو عن إصلاح ما فسد وإدراك ما فات منه .

هذا : وإن مبالغة جهد المؤلف في هنا ، وهناك إنما هي لتكون العبارات في هذا التفسير ، وخصوصاً في إصلاحاته لهذه الطبعة التي بين أيدينا سهلة المنال طائعة القياد ، بعيدة عن الشّراد ، لأوضح من ظهور الشمس عند كل ممعن في النظر ، ناقد البصيرة ، وكذا تجنّب المؤلف عن الخوض في شبكات الخلاف التي قد تذهل الطالب ، والباحث عن تمييز الجيد من الرديء ، فلذلك أغْوَرَ المؤمن براعتَه ، أنال الله له حلاوة تقواه ، عن كثير ما سُطر في كتب التفسير على مذاهب الجمهور ، واختصر المؤلف الجليل لا لقصور عما تكرر لفظاً واتحد معناً ، وبذل بفوائد في هذا التفسير لم يسبقه إليها غيره من المفسرين الأولين .

وقد تلبينا لمن أهلَّ في أن ننظم أنفسنا في سلك الإفادة منافسة في تعلية هذا التراث المفيد الخالد ، راجين من الله تعالى أحسن القبول ، وأن يجعل التحركات من كل متحرك على هذا العمل الشاق خالصاً لوجه الكريم ، وسبباً للفوز والنجاة في يوم الحساب والجزاء ، إنه تعالى على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وأخيراً لا آخراً إن شاء الله ، نرى أنه كان من الواجب أن نقدم الشكر والثناء الذين لا نحصيهما إلى الأخ في الله ، السيد الحاج أدم دان جوما محمد - رئيس شركة أمنتى الإجتماعية بلاجوس حفظه الله ، الذي آثر الآخرة على الدنيا وتلبى دعوة المعانين والمضطهدين من الطلبة والمدارس الإسلامية ، والجمعيات إلى تجديد طبعة هذا الكتاب الذي فاق أترابه بوجوه كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ، فأنفق مبلغاً كبيراً لمساعدة الإسلام والمسلمين على طبع الكتاب ، فجزاه الله على جهاده المالي ، والنفسي ، والعلمي أحسن الجزاء وجعل جنة الفردوس مأواه ، ويكثر من أمثاله في المجتمع الإسمي .

بقلم : ناصر بن حامد بن محمد بيلو
الزنجري الباوشي
مدير مدرسة الدراية الاسلامية بلاجوس

***

- نبذة عن حياة المؤلف :

ولد الشيخ ابو بكر محمود جومي في بلدة جومي ولاية صوكتو في منطقة شمال نيجيريا في عام الف وتسع مائة واثنان وعشرون ، وتربى في حجر ابيه على العفاف والطهارة ، متجهاً منذ نعومة أظافره نحو طلب العلم وسماع العلماء الأعلام ، متفرغاً للبحث والتحصيل ، فقرأ القرآن على جماعة من العلماء ومنهم الشيخ سعد ياسين .

وقد اثمرت سنوات التحصيل العلمي الرصين عدة مؤلفات قيمة منها : كتاب العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ، وكتاب ترجمة معاني القرآن بلغة « هوسا» وهذا الكتاب الذي بين ايدينا . فجزاه الله عنّا وعن الإسلام خيراً .

الحمد لله الذي حفظ للأمة الاسلامية دينها ولا يغيره ادخال مدخل ، ولا يبدله أبتداع مبتدع ، ولا يضره دجال كذوب ، ولا يبليه طول زمان . فقال عز من قائل : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنزل الله عليه القرآن ليكون للعالمين نذيرا ، وآتاه جوامع الكلم ليبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ، وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا سبيله في الدعوة الى الله على بصيرة وما هم من المشركين ، ومن اتباعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فيقول أفقر العباد الى ربه الغفور القاضي أبو بكر ابن محمود جومي : كثيرا ما قرأت كتب تفسير القرآن الكريم ما بين مطول ومختصر . يرحم الله أصحابها وجعل جنات الفردوس مثواهم لما خدموا به الاسلام والمسلمين وجمعنا الله معهم في دار السلام . ثم رأيت أنه مع كثرة تلك الكتب نحتاج اليوم الى تفسير وجيز يبين معاني القرآن على وجه يمكن فهمها والعمل بها . فان كثيرا من القصص التي أدخلت في تفاسير القرآن أذهلت العقول فجعلت الناس يقرؤونها للتفكه بها لا للعمل بما جاء به القرآن من العبر والمواعظ والشرائع . وربما أدى ذلك الى نسب ما لا يجوز شرعا أو عقلا الى خيرة خلق الله الأنبياء والملائكة والصالحين ، أو غير المعنى المقصود ، مع أن القصص القرآنية كلها تعاليم ، وتكريرها لغرض يقتضيه المحل . وتطويلها أو تقصيرها لتوضيح الغرض الذي تعالجه السورة . اذ كل سورة وضعت لموضوع رئيسي وان كان يتداخله مواضيع اخر مناسبة الذكر معه . وسأبين كل ذلك ان شاء الله في محله ، مقتصرا على رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي ، من قراءة عاصم بن أبي النجود ، لانتشارها ولأن سندي بها متصل بالنبي ﷺ بواسطة شيخي العلامة الشيخ سعدي ياسين وسنده المشهور ، وربما أشير الى رواية أو قراءة لاحتياج المحل لذلك ، وعلى مشهور مذهب مالك ، وربما أشير الى مذهب غيره ، وعلى ما لا بد منه من العلوم العربية والقصص ، وسميته « رد الأذهان الى معاني القرآن » .

والله أسأل ان ييسر لي جمعه والانتفاع به لوجهه الكريم ، وأن يحفظنا من الزلل ، وأن يسدد خطانا على الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

ابو بكر محمود جومي

﴿ سورة الفاتحة ﴾

اختلف الرواة في كون سورة الفاتحة مكية ، بمعنى انها نزلت بعد الهجرة أو هي من السور التي تكرر نزولها لأسباب مختلفة وهي سبع آيات بالاجماع لكن من لم يعد البسملة آية « صراط .. إلى عليهم » آية و « غير » .. إلى « الضالين » آية أخرى . ومن عدها آية فكله عنده آية واحدة . ولها أسماء كثيرة منها « الفاتحة » لافتتاح الكتاب بها ، و « أم القرآن » لشمولها على جميع معاني القرآن وعلومه ، و « سورة الحمد » و « سورة الصلاة » و « السبع المثاني » و « الرقية » و « النور » و « الدعاء » و « المناجاة » لما في ذلك من المناسبات . وأسماء السور وترتيبها توقيفي على النقل من النبي ﷺ : ويقدر في أولها « قولوا » ليناسب أولها وسطها .

١ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فالبسملة آية في الفاتحة فقط وقيل في رأس كل سورة وقيل ليست بآية في جميع السور وانما هي للفصل بينها ونصف آية في النمل والله علم للذات وباقي الاسماء صفات .

٢ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ والحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها ، فهو ثابت لله . « الله » علم للمعبود بحق ، مالك جميع الخلق ، ومربيه بلطفه من انشاء المخلوق إلى كماله . فالآية تثبت الألوهية والربوبية لله وحده . والعالم هو ما سوى الله ، من العلامة ان كل مخلوق علامة تدل على موجدها وهو الله ، وجمع جمع المذكر السالم على غير قياس أو لتغليب العاقل الذكر .

٣ ﴿الرحمن﴾ بجميع خلقه ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين . ففي هذه الآية اشارة إلى كل النعم الدنيوية والأخروية التي يسديها الله إلى عباده ومن أجل تلك النعم نعمة الاسلام والايمان .

٤ ﴿مالك يوم الدين﴾ أي المتصرف الكامل التصرف في خلقه يوم الجزاء وهو يوم القيامة . وهو تعالى الكامل التصرف في كل يوم الا أنه في يوم الجزاء أبين ، ففيه يقول : « لمن الملك اليوم » . ومن ذلك ترى « ملك » بحذف الألف ليدل على دوام الصفة له وحده في ذلك اليوم ثم لما ذكر المستحق بالحمد ، ووصفه بصفات تميز بها عن غيره ، تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بقوله :

٥ ﴿اياك نعبد﴾ أي نخصك بالعبادة وهي غاية الخضوع على موافقة الشرع لأن هذا شأنه ﴿واياك نستعين﴾ على العبادة وغيرها . فلا تكون إلا بمعونة منك ولا معين في الحقيقة غيرك وهذه الآية تدل على جميع ما في العبادة الظاهرية كالصلاة والصوم ، والباطنية من الاعتقادات الصحيحة والاخلاص له في كل شيء ، وهو الاحسان بأن تعبد ربك كأنك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك .

٦ ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي أرشدنا إلى النهج المستقيم نصل به إلى رحمتك ، وهو الشريعة الغراء وما اشتملت عليه من امتثال

الأوامر واجتناب النواهي وأحكام ما يتسبب من ذلك فعلا أو تركا .

٧ ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بدل من « الصراط » قبله ، والذين أنعم الله عليهم هم الذين أرشدهم إلى الهداية والاستقامة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وكلهم كانوا على ملة الاسلام . ﴿غير المغضوب عليهم﴾ وهم اليهود وكل من سلك طريقهم من نبذ كتاب الله وراء ظهره واتباع هواه وعمل بغير ما أنزل الله عليه وهو يعلم . ففيه اشارة إلى تاريخ الطغاة من الأمم المتقدمة وما وصلوا اليه من عذاب الله الدنيوي والأخروي . ﴿ولا الضالين﴾ وهم النصارى ومن عمل عملهم بغير هدى من الله . فطريقة أهل الاسلام مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود علموا الحق ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأبوا العمل بما علموا فاستحقوا الغضب ، والنصارى عملوا بغير العلم وابتدعوا فضلوا . ويقال هنا « آمين » فهو اسم فعل أمر ومعناها : اللهم استجب ، وهو مبني ؛ وحرك بالفتحة لأجل الياء قبل آخره ، كما فتحت ، اين ، اذ لو كسرت « النون » على الأصل لوقعت الياء بين الكسرتين ، وقيل « آمين » اسم من أسماء الله ، و « نونه » مبنية على الضمة للنداء

سورة البقرة
مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون (٣)
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤)

آياتها مائتان وست وثمانون آية

﴿ سورة البقرة مدنية ﴾

وهي مدنية وآياتها مائتان وست أو سبع وثمانون وموضوعها الرئيسي إخبار الناس الذين اجتمعوا في المدينة في ذلك الوقت وقد جاؤوا بعادات وعقائد مختلفة. فنهم المؤمنون الثابت اسلامهم، ومنهم المشركون الذين لم يعتنقوا الاسلام البتة ولا يدعونه ولا يريدونه، ومنهم المنافقون الذين اعتنقوا الاسلام باللسان دون قلوبهم، ومنهم أهل الكتاب اليهود والنصارى. ولذلك بدأت السورة بذكر هؤلاء الأصناف الأربعة وبصفاتهم ثم جمعتهم بالدعوة إلى الله وتقدمت بذكر ما يكونون به على السلم التام كما يتبين ذلك ان شاء الله في تفسيرها.

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ﴿ذلك الكتاب﴾ هذا القرآن هو الكتاب الكامل ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه انه من عند الله لوضوح براهينه ﴿هدى للمتقين﴾ وهو أيضاً كله هدى وإرشاد للذين يجعلون بينهم وبين عقوبة الله وقاية من فعل أو ترك فالتقوى إذا تكون بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وبذلك تتقي النار، والمتقي من يفعل ذلك. وبين المتقين بقوله:

٣ ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار. وهؤلاء هم الصنف الاول من الأصناف الأربعة الذين اجتمعوا في المدينة والإيمان شرعاً هو التصديق بما علم ضرورة أنه جاء به ﷺ، كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ﴿ويقيمون الصلوة﴾ يأتون بها بحقوقها الظاهرة من الفرائض والسنن، والباطنة من الخشوع والاقبال بالقلب إلى الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي مما أعطيناهم من الحلال يعطون حق الله في طاعته من سبيل الخير من الفرض والنفل.

٤ ﴿والذين يؤمنون بما أنزل اليك﴾ من القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ من التوراة والانجيل وغيرهما ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمون علماً يقيناً بلا شك فيه ولا شبهة. واليقين هو اطمئنان النفس نتيجة العمل بالعلم والبرهان.

٥ ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار.

ثم بدأ بذكر الصنف الثاني من الأصناف الأربعة الذين اجتمعوا أول الاسلام بالمدينة وغيرها فقال:

٦ ﴿ان الذين كفروا﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سواء عليهم أأنذرتهم﴾ بتحقيق الهمزتين ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ لعلم الله بذلك منهم، فلا طمع في ايمانهم والانذار اعلام مع تخويف.

٧ ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير ﴿وعلى سمعهم﴾ أي مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ غطاء فلا يبصرون الحق ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ قوي دائم في الدنيا بالأسر والقتل وعدم اطمئنان النفس. وفي الآخرة بالنار المؤبدة عليهم.

ثم أشار إلى الصنف الثالث وهم المنافقون الذين دخلوا الاسلام بألسنتهم وبقيت قلوبهم على الكفر، فقال :

٨ ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ أي يوم القيامة لأنه آخر الأيام ﴿وما هم بمؤمنين﴾ روعي فيه معنى «من» وفي ضمير يقول لفظها .

٩ ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ باظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ لأن وبال خداعهم راجع اليهم فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وما يشعرون﴾ أي وما يعلمون أن خداعهم لأنفسهم . والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص . وذكر الله فيها تحسين ، وفي قراءة «وما يخادعون» بالالف .

١٠ ﴿في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أي يضعفها ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكذبون﴾ بالتخفيف أي في قولهم «آمنا» . وبالتشديد أي بتكذيبهم النبي ﷺ .

١١ ﴿واذا قيل لهم﴾ أي لهؤلاء المنافقين ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والتعويق عن الايمان ﴿قالوا انما نحن مصلحون﴾ وليس ما نحن فيه بفساد . قال الله تعالى ردا عليهم :

١٢ ﴿ألا﴾ للتنبيه ﴿انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ بذلك .

١٣ ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ اصحاب النبي ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ الجهال أي : لا نفعل كفعلهم . قال تعالى رداً عليهم : ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ ذلك .

١٤ ﴿واذا لقوا﴾ أصلها لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ، ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو ﴿الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا﴾ عنهم ورجعوا ﴿إلى شياطينهم﴾ الشيطان هو من يعرف الحق ويتمرد عنه ، وهو إشارة إلى الصنف الرابع وهم اليهود ، شبهوا بالشياطين في التمرد والعناد وهم المظهرون لكفرهم مثل كعب بن الأشرف . واضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر . ﴿قالوا﴾ أي المنافقون ﴿انا معكم﴾ في عدم الايمان بمحمد وبما جاء به من الدين ﴿انما نحن مستهزئون﴾ بهم باظهار الايمان .

أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

٤

١٥ ﴿الله يستهزىء بهم﴾ يجازيهم باستهزائهم ﴿ويمدهم﴾ يمهلهم ﴿في طغيانهم﴾ تجاوزهم الحد بالكفر ﴿يعمهون﴾ يترددون تحيراً ، حال .

١٦ ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي استبدلوها بها ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ أي ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وما كانوا مهتدين﴾ فيما فعلوا .

١٧ ﴿مثلهم﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كمثل الذي استوقد﴾ أوقد ﴿نارا﴾ في ظلمة ﴿فلما أضاءت﴾ أنارت ﴿ما حوله﴾ فأبصر واستدفأ وآمن مما يخافه ﴿ذهب الله بنورهم﴾ اطفأه ، أي النور المقصود بالايقاد ، فبقوا في ظلمة وخوف وبرد ولم يقل «بضوئهم»

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ
قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا
أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾
أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ
مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ
كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

كيلا يظن ابقاء ما يسمى نورا اذ الضوء أبلغ من النور ، فان الغرض اذهاب النور عنهم بالكلية . وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذي ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين . فكذلك هؤلاء آمنوا باظهار كلمة الايمان . فاذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب .

١٨ هم ﴿صم﴾ عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول ﴿بكم﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه ﴿عمي﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه ﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الضلالة .

١٩ ﴿أو﴾ مثلهم ﴿كصيب﴾ أي كأصحاب مطر ، وأصله «صيوب» من صاب يصوب أي ينزل ﴿من السماء﴾ السحاب لأنه في السماء ﴿فيه﴾ أي السحاب ﴿ظلمات﴾ متكاثفة ﴿ورعد﴾ صاعقة ﴿وبرق﴾ نار تخرج من السحاب عند احتكاكه بعضه ببعض وتخرج مع ذلك الصاعقة . ﴿يجعلون﴾ أي أصحاب الصيب ﴿أصابعهم﴾ أي أناملهم ﴿في آذانهم من﴾ أجل ﴿الصواعق صاعقة ، وهي الصيحة الشديدة لئلا يسمعوها ﴿حذر الموت﴾ خوف سماعها . كذلك هؤلاء اذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات ، والوعيد عليه المشبه بالرعد ، والحجج البينة المشبهة بالبرق ، يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الايمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿والله محيط بالكافرين﴾ علما وقدرة فلا يفوتونه .

٢٠ ﴿يكاد﴾ يقرب ﴿البرق يخطف أبصارهم﴾ يأخذها بسرعة ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ أي في ضوئه ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ وقفوا . تمثيل لازعاج – ما في القرآن من الحجج – قلوبهم ، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ، ووقوفهم عما يكرهون . ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وأبصارهم﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿ان الله على كل شيء﴾ شاءه ﴿قدير﴾ ومنه اذهاب ما ذكر .

ثم بعد أن ذكر أصناف الناس الأربعة فيما تقدم ، وما وصفهم به من الصفات التي تميز كل صنف عن صنف آخر ، جمعهم في الدعوة إلى الله وإلى توحيده بالعبودية ، فقال :

٢١ ﴿يا أيها الناس﴾ النداء في الأصل طلب اقبال المنادى ، والمراد به هنا التنبيه ، والمقصود بالناس جميع المكلفين الموجودين ﴿اعبدوا﴾ أي اعبدوا بالتوحيد وغيره ﴿ربكم الذي خلقكم﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئا ﴿و﴾ خلق ﴿الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ بعبادته عقابه . و«لعل» في الأصل للترجي ، وفي كلامه تعالى للتحقيق .

٢٢ ﴿الذي جعل﴾ خلق ﴿لكم الأرض فراشاً﴾ أي بساطاً يفترش ، لا غاية في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها

﴿والسماء بناء﴾ أي كبناء في إحكامه . ﴿وانزل من السماء﴾ أي من السحاب لأنه في السماء ﴿ماء فأخرج به﴾ بالماء ﴿من﴾ أنواع ﴿الثمرات رزقا لكم﴾ تأكلونه وتعلفون به دوابكم ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ شركاء في العبادة ﴿وانتم تعلمون﴾ أنه الخالق ولا يليق أن يكون الها إلّا من يخلق فالآية والتي قبلها عبرتا عن الجزء الأول من كلمة الشهادة وهو « لا اله إلّا الله » . والجزء الثاني وهو « محمد رسول الله» تعبر عنه الآية التالية وهي قوله تعالى :

٢٣ ﴿وان كنتم في ريب﴾ شك ﴿مما نزلنا على عبدنا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي المنزل . و« من » للبيان ، أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والأخبار عن الغيب . ويمكن أن تكون « من » تبعيضية أي بسورة أي بمقدارها كائنة من مثل المنزل في الفصاحة واخباره بالغيوب وغير ذلك والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات . والآية طائفة من السورة متميزة بمفصل يسمى الفاصلة ﴿وادعوا شهداءكم﴾ آلهتكم التي تعبدونها . سموا شهداء لأنهم يشهدون عليهم بين يدي الله في القيامة بصحة عبادتهم اياهم على زعمهم الفاسد ﴿من دون الله﴾ أي غيره لتعينكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ في أن محمدا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فانكم عرب فصحاء مثله . ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى منبئاً بالغيب في المستقبل :

٢٤ ﴿فان لم تفعلوا﴾ ما ذكر لعجزكم ﴿ولن تفعلوا﴾ ذلك أبدا لظهور اعجازه ، وهي جملة اعتراض بين الشرط والجواب ﴿فاتقوا﴾ بالأيمان بالله ورسوله ، وأن القرآن من الله وليس من كلام البشر ﴿النار التي وقودها الناس﴾ الكفار ﴿والحجارة﴾ أي الأصنام ، يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه . ﴿أعدت﴾ هيئت ﴿للكافرين﴾ يعذبون بها ، جملة مستأنفة ، أو حالة لازمة .

ثم ذكر جزاء من أجاب الدعوة وآمن بها وعمل بمقتضاها ، فقال

٢٥ ﴿وبشر﴾ أخبر بالخبر ﴿الذين آمنوا﴾ صدقوا بالله

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ

٦

ورسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ التي تضمنتها الدعوة إلى الله من الفروض والنوافل ﴿أن﴾ اي بأن ﴿لهم جنات﴾ حدائق ذات شجر ومساكن ﴿تجري من تحتها﴾ أي تحت أشجارها وقصورها ﴿الأنهار﴾ أي المياه فيها . والنهر : الموضع الذي فيه الماء لأن الماء ينهره أي يحفره . واسناد الجري اليه مجاز . ﴿كلما رزقوا منها﴾ أطعموا من تلك الجنات ﴿من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي﴾ أي مثل ما ﴿رزقنا من قبل﴾ أي قبله في الجنة لتشابه ثمارها . بقرينة

أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦ إِلَّا الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ
مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ
فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

﴿وأتوا به﴾ أي جيئوا بالرزق ﴿متشابها﴾ يشبه بعضها بعضا لونا ويختلف طعما ﴿ولهم فيها أزواج﴾ من الحور وغيرهن ﴿مطهرة﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وهم فيها خالدون﴾ ماكثون أبدا لا يفنون ولا يخرجون منها .

٢٦ لما كانت الأحكام تشمل الأشياء الخطيرة والحقيرة ضرب الله المثل بالذباب والعنكبوت في القرآن الكريم ليبين ان احكامه فيهما سواء ولم يترك منها شيئاً لخسته فقال تعالى ﴿ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا﴾ أي يجعل مثلا ، مفعول به أول . ﴿ما﴾ نكرة موصوفة بما بعدها ، مفعول به ثاني أي : أي مثل كان . أو زائدة لتاكيد الخسة . فما بعده المفعول به الثاني ﴿بعوضة﴾ مفرد البعوض ، وهو صغار البق أي الناموس ﴿فما فوقها﴾ أي في الكبر أو الصغر ، أي أكبر منها أو أصغر ، فلا يترك بيانها لما فيه من الحكم . ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه﴾ أي المثل ﴿الحق﴾ الثابت الواقع ﴿من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ «وما» مبتدأ ، «وذا» بمعنى الذي ، بصلته خبره . أي : أي فائدة فيه ؟ قال الله تعالى في جوابهم ﴿يضل به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيرا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿ويهدي به كثيرا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الخارجين عن الطاعة بارتكاب الكبيرة وله ثلاث درجات : الأولى يرتكبها أحيانا مستقبحا لها ، والثانية الانهماك فيها بلا مبالاة بها ، الثالثة الجحود بأن يرتكبها مستصوبا لها ، فهو كافر خارج عن الايمان . ثم بين الفاسقين بقوله تعالى :

٢٧ ﴿الذين ينقضون عهد الله﴾ أي ما عهده اليهم في الكتب من الايمان بمحمد ﴿من بعد ميثاقه﴾ توكيده عليهم بالآيات والكتب أو ما وثقوا العهد به من الالتزام والقبول ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من الايمان بالنبي وكل قطيعه لا يرضاها الله ، كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة ، وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطى شر . والأمر : هو القول الطالب للفعل مع الاستعلاء . ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي والتعويق عن الايمان ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هم الخاسرون﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ، باهمال العقل عن النظر وبترك ما يفيدهم في الحياة الأبدية ، والخاسر من خسر أحد أمور ثلاثة : المال والبدن والعقل .

ثم وجه سؤال توبيخ وانكار للذين يكفرون بالله ولا يتدبرون آياته في أنفسهم ولا في الكون الذي يحيط بهم ، فقال :

٢٨ ﴿كيف تكفرون﴾ أيها الناس ﴿بالله﴾ فلا تتدبرون آياته ﴿و﴾ قد ﴿كنتم أمواتا﴾ نطفا في الأصلاب ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم ﴿ثم يميتكم﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ بالبعث ﴿ثم اليه ترجعون﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم .

ويمكن أن يكون السؤال للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان . ثم ذكر من آيات الكون الدالة على وجود صانعها وهو الله المطلوب ايمانهم به فقال :

٢٩ ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض﴾ أي الأرض وما فيها

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا
إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ
أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ
إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ

﴿جميعا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثم استوى الى السماء﴾ علا وارتفع اليه استواء يليق به ﴿فسواهن﴾ الضمير يرجع الى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة اليه ، أي صيرها كما في آية أخرى فقضاهن ﴿سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ مجملاً وتفصيلاً . وجعل عدد السموات سبعا ومن الأرض مثلهن أمر يجب الايمان به وعلم لم تصل اليه مدارك البشر ، والنظر فيها يوجب الايمان بخالقها .

وبعد ذكر آيات الله في الكون مما يوجب الايمان بالصانع ، نبه الناس إلى ما أنعم به عليهم من أول بدايتهم . وتذكر النعمة يوجب الشكر على المنعم عليهم للمنعم ، فقال تعالى :

٣٠ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها ، وهو آدم أبوكم . ﴿قالوا﴾ أي الملائكة يسألون عن الحكمة لما عرفوا أن الخليفة هو آدم : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ بالمعاصي ﴿ويسفك الدماء﴾ يريقها كما فعل بنو الجان وكانوا فيها ، فلما أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فيما بينهم أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال . ﴿و﴾ الحال ﴿نحن نسبح﴾ متلبسين ﴿بحمدك﴾ أي نقول : «سبحان الله وبحمده» ، ﴿ونقدس لك﴾ ننزهك عما لا يليق بك . واللام معدية للفعل كي في «يسبح لله» ، فنحن أحق بالاستخلاف . ﴿قال﴾ الله تعالى : ﴿اني أعلم ما لا تعلمون﴾ من المصلحة في استخلاف آدم من جعله صالحا للتعلم وقبول العلم والعمل به ، وان في ذريته المطيع والعاصي فيظهر العدل بينهم . فقالوا : لن يخلق ربنا خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره . فخلق تعالى آدم من أديم الأرض ، أي وجهها ، بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح ، فصار حيوانا حساسا بعد أن كان جمادا .

٣١ ﴿وعلم آدم الأسماء﴾ أي اسماء المسميات ﴿كلها﴾ الذوات والمعاني الخطير والحقير ، بأن ألقى في قلبه علمها ﴿ثم عرضهم﴾ أي المسميات وفيه تغليب العقلاء ﴿على الملائكة فقال﴾ لهم تبكيتا واختبارا ﴿أنبئوني﴾ أخبروني ﴿بأسماء هؤلاء﴾ المسميات ﴿ان كنتم صادقين﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم وأنكم أحق بالخلافة . وجواب الشرط دل عليه ما قبله .

٣٢ ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيها لك عن الاعتراض عليك ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ اياه ﴿انك أنت﴾ تأكيد للكاف ﴿العليم الحكيم﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه ويضع الأشياء في مواضعها لحكمة .

٣٣ ﴿قال﴾ تعالى : ﴿يا آدم أنبئهم﴾ أي الملائكة ﴿بأسمائهم﴾ أي المسميات ، فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال﴾ تعالى لهم : ﴿ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض﴾ ما غاب فيهما ﴿واعلم ما تبدون﴾ ما تظهرون من أموركم ، ومنها قولكم : «أتجعل فيها .. الخ» ﴿وما كنتم تكتمون﴾ تسرون فيها ، ومن ذلك قولكم : «لن يخلق ربنا أكرم عليه منا ولا أعلم» . وفي هذا تنبيه لبني آدم أن فضلهم انما هو بالعلم الذي به اختار الله أباهم آدم للخلافة على الأرض ، مع كون أبنائه يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء . ولم يجعل الخلافة للملائكة مع أنهم لا يعصون الله ويسبحون بحمده ويقدسون له .

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا
مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾
وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ
بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا
تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾
۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ

ثم ذكر فيما يأتي قصة سجود الملائكة لآدم تكريما له واباء ابليس أن يسجد له وما ترتب من ذلك لانذار أبناء آدم عدوهم اللدود وتحذيرهم أن ينجوا طريقه الذي انما يقصد به اغواءهم للعداوة الأصيلة بينه وبينهم . فقال تعالى لمحمد ﷺ :

٣٤ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قلنا للملائكة﴾ ومن بينهم ابليس وليس منهم وكان من الجن فتناوله الأمر ﴿اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية بالانحناء بأمر الله فهي عبادة لهم . وسجود اخوة يوسف له انما هي بالعادة ولا اثم عليهم فيها اذ لم يكن هناك نهي عنها ، ولما جاء الاسلام أبطل ذلك «بالسلام» فلا يجوز لأحد أن ينحني لأحد في التحية لنهيه عليه السلام وعن ذلك بالاطلاق . ﴿فسجدوا إلا ابليس﴾ . هو علم أعجمي فلا ينصرف . وهو أبو الجن ، فالاستثناء منقطع ﴿أبى﴾ امتنع من السجود ﴿واستكبر﴾ تكبر وقال : أنا خير منه ﴿ وكان من الكافرين ﴾ في علم الله .

٣٥ ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت﴾ تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه ﴿وزوجك﴾ حواء بالمد . ﴿الجنة وكلا منها﴾ اكلا ﴿رغدا﴾ واسعا لا حجر فيه ﴿حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ بالأكل منها وهي الحنطة أو الكرم أو غيرهما ﴿فتكونا﴾ فتصيرا ﴿من الظالمين﴾ العاصين الذين وضعوا أمر الله في غير موضعه . وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه .

٣٦ ﴿فأزلهما الشيطان﴾ ابليس أذهبهما ، وفي قراءة «فأزالهما» أي نحاهما ﴿عنها﴾ أي الجنة بأن قال : هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين . فأكلا منها . ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم ﴿وقلنا اهبطوا﴾ إلى الأرض أي انتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بعضكم﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ من ظلم بعضهم بعضا ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ أي موضع قرار ﴿ومتاع﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إلى حين﴾ وقت انقضاء آجالكم .

٣٧ ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ ألهمه اياها ، وفي قراءة بنصب «آدم» ورفع «كلمات» أي جاءته ، وهي : «ربنا ظلمنا أنفسنا .. الآية» ، فدعا بها ﴿فتاب عليه﴾ مما لا يليق بمقامه الشريف وقد بين في موضع أنه أكلها وهو ناس ، والعصمة لا تتنافى مع النسيان . ومع ذلك عوقب بالخروج من الجنة على حد «حسنات الأبرار سيئات المقربين» . ﴿انه هو التواب﴾ على عباده ﴿الرحيم﴾ بهم .

٣٨ ﴿قلنا﴾ لآدم وحواء وذرياتهما ﴿اهبطوا منها﴾ من الجنة ﴿جميعا﴾ كرره ليعطف عليه ﴿فاما﴾ فيه ادغام نون «ان» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يأتينكم مني هدي﴾ كتاب ورسول ﴿فمن تبع هداي﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة بأن يدخلوا الجنة .

٣٩ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآيتنا﴾ كتبنا ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ماكثون أبدا لا يفنون ولا يخرجون .

ثم خصص النداء لبني إسرائيل لأنهم أعلم الناس ذلك الوقت

٤٠ ﴿يا بني اسرائيل﴾ وبنو اسرائيل هم الإسباط الاثنا عشر يوسف واخوته اولاد يعقوب ، واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام . ومعنى اسرائيل عبد الله بالعبرانية . دعاهم بالملاطفة وذكرهم بنعم الله عليهم وعلى آبائهم ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ أي على آبائكم من الانجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وأوفوا بعهدي﴾ الذي عهدت إليكم من الايمان بمحمد ﴿أوف بعهدكم﴾ الذي عهدته اليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿واياي فارهبون﴾ خافوني في ترك الوفاء به دون غيري .

٤١ ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ من القرآن ﴿مصدقا لما معكم﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ من أهل الكتاب لأن خلفكم تبع لكم فاثمهم عليكم . ﴿ولا

تشتروا﴾ تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﴿ثمناً قليلاً﴾ عوضاً يسيراً من الدنيا ، أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم ﴿وإياي فاتقون﴾ خافوني في ذلك دون غيري .

٤٢ ﴿ولا تلبسوا﴾ تخلطوا ﴿الحق﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بالباطل﴾ الذي تفترونه ﴿و﴾ لا ﴿تكتموا الحق﴾ نعت محمد ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه الحق .

٤٣ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه . ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين : اثبتوا على دين محمد فانه حق .

٤٤ ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ بالايمان بمحمد وفي الحديث : «البر حسن الخلق» ﴿وتنسون أنفسكم﴾ أي تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أفلا تعقلون﴾ سوء فعلكم فترجعون . فجملة النسيان محل الاستفهام الانكاري .

٤٥ ﴿واستعينوا﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بالصبر﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿والصلاة﴾ أفردها بالذكر تعظيما لشأنها . وفي الحديث : «كان ﷺ اذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة» الخطاب لليهود لما عاقهم عن الايمان الشره وحب الرياسة ، فأمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة ، أو بالصبر اللغوي الذي هو حبس النفس على المكاره حتى تنجع في المقصود ، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿وانها﴾ الصلاة ﴿لكبيرة﴾ ثقيلة ﴿إلا على الخاشعين﴾ الساكنين إلى الطاعة .

٤٦ ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾ بالبعث ﴿وأنهم اليه راجعون﴾ في الآخرة فيجازيهم .
ثم كرر النداء لبني اسرائيل تذكيرا لهم بالنعمة السابقة التي أنعم الله على آبائهم فقال :

٤٧ ﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وأني فضلتكم﴾ أي آباءكم ﴿على العالمين﴾ عالمي زمانهم ، أو فضلوا بأن بعث منهم رسلا كما قال في سورة المائدة «واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين» .

٤٨ ﴿واتقوا﴾ خافوا ﴿يوما لا تجزي﴾ فيه ﴿نفس عن نفس شيئا﴾ هو يوم القيامة ﴿ولا يقبل﴾ بالياء ، وفي قراءة بالتاء ﴿منها شفاعة﴾ أي ليس لها شفاعة فتقبل ، «فما لنا من شافعين»

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ
وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ
تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ
الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ
ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ فداء ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله .

٤٩ ﴿و﴾ اذكروا ﴿اذ نجيناكم﴾ أي آباءكم ، والخطاب به وبما بعد للموجودين في زمن نبينا بما أنعم على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿من آل فرعون يسومونكم﴾ يذيقونكم ﴿سوء العذاب﴾ أشده والجملة حال من ضمير «نجيناكم» ﴿يذبحون﴾ بيان لما قبله ﴿أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ يستبقوهن أحياء لقول بعض الكهنة له أن مولوداً يولد في بني اسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿وفي ذلكم﴾ العذاب أو الانجاء ﴿بلاء﴾ ابتلاء أو انعام ﴿من ربكم عظيم﴾ .

٥٠ ﴿و﴾ اذكروا ﴿اذ فرقنا﴾ فلقنا ﴿بكم﴾ بسببكم ﴿البحر﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿فأنجيناكم﴾ من الغرق ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ قومه معه ﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى

وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ
بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ
لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ
وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن
كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى

انطباق البحر عليهم .

٥١ ﴿و﴾ اذكروا ﴿اذ واعدنا﴾ «بألف» ودونها ﴿موسى أربعين ليلة﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ الذي صاغه لكم السامري ﴿من بعده﴾ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وأنتم ظالمون﴾ باتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها .

٥٢ ﴿ثم عفونا عنكم﴾ محونا ذنوبكم ﴿من بعد ذلك﴾ الاتخاذ ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمتنا عليكم .

٥٣ ﴿واذ آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿والفرقان﴾ عطف تفسير ، أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿لعلكم تهتدون﴾ به من الضلال .

٥٤ ﴿واذ قال موسى لقومه﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ الها ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ خالقكم من عبادته ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ أي ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذلكم﴾ القتل ﴿خير لكم عند بارئكم﴾ فوفقكم لفعل ذلك ، وارسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى هلك منكم عدد كبير . ﴿فتاب عليكم﴾ قبل توبتكم ﴿انه هو التواب الرحيم﴾ .

٥٥ ﴿و﴾ اذكروا ﴿اذ قلتم﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه : ﴿يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله﴾ وقلتم ذلك ﴿جهرة﴾ عياناً ، أو حتى نراه عيانا . ﴿فاخذتكم الصاعقة﴾ الصيحة فمتم ﴿وأنتم تنظرون﴾ ما حل بكم .

٥٦ ﴿ثم بعثناكم﴾ أحييناكم ﴿من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ نعمتنا بذلك .

٥٧ ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه ﴿وأنزلنا عليكم﴾ فيه ﴿المن والسلوى﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر . وقلنا : ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا ، فقطع عنهم ﴿وما ظلمونا﴾ بذلك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ لأن وباله عليهم .

٥٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قلنا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه ﴿ادخلوا هذه القرية﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿وادخلوا الباب﴾ أي بابها ﴿سجداً﴾ منحنين ﴿وقولوا﴾ مسألتنا ﴿حطة﴾ أي أن تحط عنا خطايانا ﴿نغفر﴾ وفي قراءة بالياء ، والتاء ، مبنيان للمفعول فيهما . ﴿لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾ بالطاعة ثوابا .

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾
۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ
ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ
وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ
بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا
سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ
مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ

٥٩ ﴿فبدل الذين ظلموا﴾ منهم ﴿قولا غير الذي قيل لهم﴾ فقالوا حبة في شعيرة قالوا ذلك استهزاء بدل قولك «حطة» فتغيروا القول بقول آخر ودخلوا يزحفون على استاهمم على الاستهزاء ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ، مبالغة في تقبيح شأنهم ﴿رجزا﴾ عذابا طاعونا ﴿من السماء بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة ، فهلك في ساعة عدد كبير.

٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ استسقى موسى﴾ أي طلب السقيا ﴿لقومه﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ فضربه ﴿فانفجرت﴾ انشقت وسالت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ بعدد الأسباط ﴿قد علم كل أناس﴾ سبط منهم ﴿مشربهم﴾ موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم . وسبب تفرقهم اثني عشر أن أولاد يعقوب كانوا كذلك ، فكل سبط ينتمي لواحد منهم . وقلنا لهم : ﴿كلوا وشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها من «عثي» بكسر المثلثة : أفسد .

٦١ ﴿واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام﴾ أي نوع منه ﴿واحد﴾ وهو المن والسلوى ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا﴾ شيئا ﴿مما تنبت الأرض من﴾ للبيان ﴿بقلها وقثائها وفومها﴾ حنطتها ﴿وعدسها وبصلها قال﴾ لهم موسى ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ أخس ﴿بالذي هو خير﴾ أشرف؟ أي أتأخذونه بدله؟ والهمزة للانكار . فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى ، فقال تعالى : ﴿اهبطوا﴾ انزلوا ﴿مصرا﴾ من الأمصار أي انزلوا أية بلدة من البلدان ﴿فان لكم﴾ فيه ﴿ما سألتم﴾ من النبات ﴿وضربت﴾ جعلت ﴿عليهم الذلة﴾ الذل والهوان ﴿والمسكنة﴾ أي أثر الفقر من السكون والخزي ، فهي لازمة لهم وان كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته ﴿وباءوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله ذلك﴾ أي الضرب والغضب ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين﴾ كزكريا ويحيى ﴿بغير الحق﴾ أي ظلما ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي ، وكرره للتأكيد

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ
وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ
قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

٦٢ ﴿ان الذين آمنوا﴾ بالأنبياء من قبل ﴿والذين هادوا﴾ هم اليهود ﴿والنصارى والصابئين﴾ طائفة عبدوا الملائكة ، من صبأ من دين إلى دين يصبأ ، مهموز بفتحتين ﴿من آمن﴾ منهم ﴿بالله واليوم الآخر﴾ في زمن نبينا ﴿وعمل صالحا﴾ بشريعته ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾ لهم ثواب أعمالهم عنه ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ روعي في ضمير «آمن» و«عمل» لفظ «من» ، وفيما بعده معناها .

٦٣ ﴿و﴾ اذكروا ﴿اذ أخذنا ميثاقكم﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ، ومنه الايمان وباقي الأنبياء مع محمد ﷺ ﴿و﴾ قد ﴿رفعنا فوقكم الطور﴾ الجبل ، اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها ، وقلنا : ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ بالعمل به ﴿لعلكم تتقون﴾ النار أو المعاصي .

٦٤ ﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم ﴿من بعد ذلك﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ الهالكين .

٦٥ ﴿ولقد﴾ لام قسم ﴿علمتم﴾ عرفتم ﴿الذين اعتدوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿منكم في السبت﴾ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه ، وهم أهل أيلة في زمن داود عليه السلام ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ مبعدين فكانوها ، وهلكوا بعد ثلاثة أيام .

٦٦ ﴿فجعلناها﴾ أي تلك العقوبة ﴿نكالا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لما بين يديها وما خلفها﴾ أي للأمم التي في زمانها وبعدها ﴿وموعظة للمتقين﴾ ، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم .

٦٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال موسى لقومه﴾ وقد قتل لهم قتيل لا يدرى قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه ﴿ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ واحدة من البقر ، والمراد بقرة مبهمة كما هو ظاهر السياق ، فكانوا يخرجون من العهدة بذبح أية بقرة كما في الحديث ، لكن ترتب على تعنتهم نسخ الحكم الأول بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم . لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية ، بل على طريقة تقييده وتخصيصه شيئا فشيئا . وذكر القصة لتنبيه أولادهم أن لا يتبعوا طريق آبائهم فيما يشدد على أنفسهم الحكم ، بسبب تعنتهم مع الرسول . ﴿قالوا أتتخذنا هزوا﴾ مهزوءا بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك ﴿قال أعوذ﴾ أمتنع ﴿بالله﴾ من ﴿أن أكون من الجاهلين﴾ المستهزئين . فلما علموا أنه عزم .

٦٨ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أي ما سنها ﴿قال﴾ موسى ﴿انه﴾ أي الله تعالى ﴿يقول انها بقرة لا فارض﴾ مسنة جدا بحيث لا تلد ﴿ولا بكر﴾ صغيرة ﴿عوان﴾ نصف في السن ﴿بين ذلك﴾ المذكور من السنين ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ به من ذبحها .

٦٩ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ شديد الصفرة ﴿تسر الناظرين﴾ اليها بحسنها ، أي تعجبهم .

٧٠ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي﴾ أسائمة أم عاملة ؟ ﴿ان البقر﴾ أي جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تشابه علينا﴾ لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة . ﴿وانا ان شاء الله لمهتدون﴾ اليها . وفي الحديث : «لو لم يستثنوا لما لهم آخر الأبد» .

٧١ ﴿قال انه يقول انها بقرة لا ذلول﴾ غير مذللة بالعمل ﴿تثير الأرض﴾ تقلبها للزراعة والجملة صفة «ذلول» داخلة في النفي ﴿ولا تسقي الحرث﴾ الأرض والمهيأة للزراعة ﴿مسلمة﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لاشية﴾ لا لون ﴿فيها﴾ غير لونها ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ نطقت بالبيان التام ، فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مسكها ذهبا ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ لغلاء ثمنها . وفي الحديث : «لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم» .

٧٢ ﴿واذ قتلتم نفسا فادارأتم﴾ فيه ادغام «التاء» في الأصل في «الدال» أي : تخاصمتم وتدافعتم ﴿فيها والله مخرج﴾ مظهر ﴿ما كنتم تكتمون﴾ من أمرها . وهذا اعتراض وهو أول القصة .

٧٣ ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ أي أضربوا القتيل بجزء منها ، فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيي ، وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ، ومات محرما الميراث وقتلا . قال تعالى : ﴿كذلك﴾ الاحياء ﴿يحيي الله الموتى ويريكم آياته﴾ دلائل قدرته ﴿لعلكم﴾ يا بني اسرائيل ﴿تعقلون﴾ تتدبرون أن القادر على احياء نفس بعد موتها قادر على احياء نفوس كثيرة فتؤمنون بارسال رسول من الأميين العرب فتؤمنون .

٧٤ ﴿ثم قست قلوبكم﴾ أيها اليهود أي صلبت عن قبول الحق ﴿من بعد ذلك﴾ المذكور من أخباركم الماضية التي لا يمكن لأحد أن يعرفها إلا بوحي من الله ، مما يدل على اني رسول الله اليكم وإلى جميع الناس ﴿فهي﴾ أي قلوبكم ﴿كالحجارة﴾ في القسوة ﴿أو أشد قسوة﴾ منها ﴿وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق﴾ فيه ادغام «التاء» في الأصل في «الشين»

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا
وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا
قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

﴿فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط﴾ ينزل من علو إلى أسفل ﴿من خشية الله﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وانما يؤخركم لوقتكم وفي قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب ، والمعنى : أن الله تعالى بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم يحصي لهم أعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة .

وبعد أن دعا اليهود إلى الإسلام ، وذكرهم بكل ما فيه تلطيف لقلوبهم ليؤمنوا فأبوا ، التفت السياق إلى المؤمنين مبينا أن اليهود لن يؤمنوا بما جاء به محمد ﷺ . وسبب ذلك فقال :

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟
لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ
مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟
أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ
أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ
ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ
ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا
يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ
قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ

١٥

٧٥ ﴿أفتطمعون﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يؤمنوا﴾ أي اليهود ﴿لكم. وقد كان فريق منهم﴾ اي أحبارهم ﴿يسمعون كلام الله﴾ في التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيرونه ﴿من بعد ما عقلوه﴾ فهموه ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم مفترون والهمزة للانكار ، أي : لا تطمعوا فلهم سابقة في الكفر.

٧٦ ﴿واذا لقوا﴾ أي اليهود ﴿الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ أي عرفنا بأن محمدا نبي وهو المبشر به في كتابنا ﴿واذا خلا﴾ رجع وانفرد ﴿بعضهم إلى بعض قالوا﴾ البعض الساكتون للذين أخبروا المؤمنين بما في التوراة من نعت النبي ﷺ ﴿أتحدثونهم﴾ أي المؤمنين ﴿بما فتح الله عليكم﴾ أي عرفكم في التوراة من نعت محمد ﴿ليحاجوكم﴾ ليخاصموكم . و «اللام» للصيرورة ﴿به عند ربكم﴾ في الآخرة ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أفلا تعقلون﴾ ذلك فتنتهوا له .

٧٧ قال تعالى : ﴿أو لا يعلمون﴾ الاستفهام للتقرير ، و «الواو» الداخلة عليها للعطف ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرتدعوا عن ذلك .

٧٨ ﴿ومنهم﴾ أي اليهود ﴿أميون﴾ عوام ﴿لا يعلمون الكتاب﴾ التوراة ﴿الا﴾ لكن ﴿أماني﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم والأكاذيب ليست علما بل هي جهل مركب ، أو اعتقاد ناشيء عن تقليد . ﴿وان﴾ ما ﴿هم﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿الا يظنون﴾ ظنا ولا علم لهم .

٧٩ ﴿فويل﴾ شدة عذاب ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ أي مختلقا من عندهم ﴿ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ من الدنيا ، وهم اليهود غيروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرها ، وكتبوها على خلاف ما أنزل . ويلحق باليهود من حذا حذوهم من المسلمين في الوقت الحاضر ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ من الاختلاق والتحريف ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من الرشا .

٨٠ ﴿وقالوا﴾ لما أوعدهم النبي النار ﴿لن تمسنا﴾ تصيبنا ﴿النار الا أياما معدودة﴾ قليلة ، أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ، ثم تزول ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أتخذتم﴾ حذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عند الله عهدا﴾ ميثاقا منه بذلك ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ به ؟ لا ، ﴿أم﴾ بل ﴿تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ .

٨١ ﴿بلى﴾ تمسكم وتخلدون فيها ﴿من كسب سيئة﴾ شركا ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ بالافراد والجمع ، أي استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركا ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ روعي فيه معنى «من» .

٨٢ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ .

٨٣ ﴿و﴾ اذكروا أيها المؤمنون – ليقطع طمعكم في ايمان اليهود – ﴿اذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل﴾ في التوراة وقلنا لهم : ﴿لا تعبدون﴾ بالتاء والياء ﴿الا الله﴾ خبر بمعنى النهي ، وقرئ «لا تعبدوا» ﴿و﴾ أحسنوا ﴿بالوالدين احسانا﴾ برا ﴿وذي القربى﴾ القرابة ، عطف على الوالدين ، ﴿واليتامى والمساكين وقولوا للناس﴾ قولا ﴿حسنا﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصدق في شأن محمد ، والرفق بهم . وهو بضم «الحاء» وسكون «السين» مصدر وصف به مبالغة . وقرئ بفتح «الحاء» و «السين» : صفة مشبهة . ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي ما فرض عليكم في ملتكم ، فقبلتم ذلك ﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم عن الوفاء به . فيه التفات عن الغيبة ، والمراد آباؤهم ﴿الا قليلا منكم وأنتم معرضون﴾ عنه كآبائكم .

٨٤ ﴿واذا أخذنا ميثاقكم﴾ وقلنا ﴿لا تسفكون دماءكم﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضا ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ لا يخرج بعضكم بعضا من داره ﴿ثم أقررتم﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وأنتم تشهدون﴾ على أنفسكم . أي فعله آباؤكم وأنتم رضيتم بفعلهم واتبعتم آثارهم .

٨٥ ﴿ثم أنتم﴾ يا ﴿هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ بقتل بعضكم بعضا ﴿وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون﴾ بالتخفيف على حذف التاء في الأصل وقرئ بالتشديد بادغام «التاء» في «الظاء» ، أي تتعاونون ﴿عليهم﴾ بحلفائكم من العرب حال كونكم متلبسين ﴿بالاثم﴾ بالمعصية ﴿والعدوان﴾ الظلم . ﴿وان يأتوكم أسارى﴾ وفي قراءة أسرى ﴿تفادوهم﴾ بالألف وفي قراءة بدونها ، أي تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره ، وهو مما عهد اليهم ﴿وهو﴾ الشأن ﴿محرم عليكم اخراجهم﴾ متصل بقوله «وتخرجون» ، والجملة بينهما اعتراض ،

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ
بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ
هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ
تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ
تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

أي كما حرم ترك الفداء . وكانت قريظة من اليهود حالفوا الأوس من العرب ، والنضير من اليهود حالفوا الخزرج من العرب ، فكان كل فريق يقاتل حلفاءه ويخرب ديارهم ويخرجهم ، فاذا أسروا فدوهم ، وكانوا اذا سئلوا : لم تقاتلونهم وتفدونهم ؟ قالوا : أمرنا بالفداء ، فيقال : فلم تقاتلونهم فيقولون : حياء أن يستذل حلفاؤنا . قال تعالى : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ وهو الفداء ﴿وتكفرون ببعض﴾ وهو ترك القتال والاخراج والمظاهرة ؟ ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي﴾ هوان وذل ﴿في الحيوة الدنيا﴾ وقد أخزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ بالتاء والياء .

٨٦ ﴿أولئك الذين اشتروا الحيواة الدنيا بالآخرة﴾ بأن آثروها عليها ﴿فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ يمنعون منه .

٨٧ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾ ، أي أتبعناهم رسولا في أثر رسول ، وهم : يوشع وشمويل

ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ
ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا
مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا
غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارمياء وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام، ثم عيسى بن مريم عليه السلام. ومدة ما بين موسى وعيسى ألف وتسعمائة سنة وخمس وعشرون سنة، ذكره السيوطي في التحبير. ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ المعجزات كاحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص ﴿وأيدناه﴾ قويناه ﴿بروح القدس﴾ من اضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح المقدسة، وهو جبريل لطهارته، يسير معه حيث ما سار، فلم تستقيموا ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى﴾ تحب ﴿أنفسكم﴾ من الحق ﴿استكبرتم﴾ تكبرتم عن اتباعه؟ وجواب «كلما» وهو محل الاستفهام ﴿ففريقا كذبتم﴾ كعيسى ﴿وفريقا تقتلون﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي قتلتم كزكريا ويحيى أي فاستكبرتم كلما جاءكم رسول الخ.. وتوسيط الهمزة بين المعطوف والمعطوف عليه لأجل توبيخهم على تعقيبهم النعم التي عددت عليهم باستكبارهم المذكور.

٨٨ ﴿وقالوا﴾ اليهود للنبي استهزاء: ﴿قلوبنا غلف﴾ جمع أغلف أي مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول. قال تعالى: ﴿بل﴾ للاضراب ﴿لعنهم الله﴾ أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بكفرهم﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فقليلاً ما يؤمنون﴾ «ما» زائدة لتأكيد القلة، أي ايمانهم قليل جداً.

٨٩ ﴿ولما جاءهم كتاب﴾ القرآن، نكر للتعظيم ﴿من عند الله مصدق لما معهم﴾ من التوراة، والجواب: كذبوه. ﴿وكانوا من قبل﴾ قبل مجيئه ﴿يستفتحون﴾ يستنصرون ﴿على الذين كفروا﴾ يقولون: «اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان» ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ من الحق وهو بعثة النبي وصفاته ﴿كفروا به﴾ حسداً وخوفاً على الرياسة، وجواب «لما» الأولى دل عليه جواب الثانية كما بينا ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾:

٩٠ ﴿بئسما اشتروا﴾ باعوا ﴿به أنفسهم﴾ أي حظها من الثواب و «ما» نكرة بمعنى «شيئاً» تمييز لفاعل «بئس» والمخصوص بالذم ﴿أن يكفروا﴾ أي كفرهم ﴿بما أنزل الله﴾ من القرآن ﴿بغياً﴾ مفعول لأجله ليكفروا أي حسداً على ﴿أن ينزل الله﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿من فضله﴾ الوحي ﴿على من يشاء﴾ للرسالة ﴿من عباده فبآؤا﴾ رجعوا ﴿بغضب﴾ من الله بكفرهم بما أنزل، والتنكير للتعظيم

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا
أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا
بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾
۞ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ
إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ
الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ

﴿على غضب﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ ذو اهانة .

٩١ ﴿واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ من القرآن وغيره ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ أي التوراة ولا نؤمن بما أنزل على غيرنا من القرآن ﴿ويكفرون﴾ «الواو» للحال ﴿بما وراءه﴾ أي يكفرون بما سوى التوراة ، أو بما أنزل بعدها من القرآن والجملة يكفرون حال ﴿وهو الحق﴾ حال ﴿مصدقاً﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لما معهم﴾ التوراة ﴿قل﴾ لهم الزاماً وبياناً لكفرهم بالتوراة التي ادعوا الايمان بها : ﴿فلم تقتلون﴾ أي قتلتم ﴿أنبياء الله من قبل﴾ قبل نزول القرآن ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالتوراة ، وقد نهيتم فيها عن قتلهم ؟ والخطاب للموجودين في زمن النبي ﷺ بما فعل آباؤهم لرضاهم به ، وذلك ينافي الايمان .

٩٢ ﴿و﴾ أيضاً ﴿لقد جاءكم موسى بالبينات﴾ بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ الهاً ﴿من بعده﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وانتم ظالمون﴾ باتخاذه ، حال . وهذا كله يدل على كذبهم في قولهم : نؤمن بما أنزل علينا .

٩٣ ﴿و﴾ اذكروا أيضاً ، بما يدل على كذبكم في ادعائكم الايمان بما أنزل عليكم ، ﴿اذ أخذنا ميثاقكم﴾ على العمل بما في التوراة ﴿و﴾ قد ﴿رفعنا فوقكم الطور﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم ، وقلنا : ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قالوا﴾ فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة : ﴿سمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ أمرك معطوف على «سمعنا» مقول القول ﴿وأشربوا﴾ استئناف ﴿في قلوبهم العجل﴾ أي خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب ﴿بكفرهم قل﴾ لهم : ﴿بئسما﴾ شيئاً ﴿يأمركم به ايمانكم﴾ بالتوراة عبادة العجل ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ بها كما زعمتم . المعنى : لستم بمؤمنين ، لأن الايمان لا يأمر بعبادة العجل . والمراد آباؤهم ، أي : فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً ، والايمان بها لا يأمر بتكذيبه .

٩٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿ان كانت لكم الدار الآخرة﴾ أي الجنة ﴿عند الله خالصة﴾ خاصة ﴿من دون الناس﴾ كما زعمتم ﴿فتمنوا الموت ان كنتم صادقين﴾ تعلق بـ «تمنوا» الشرطان . على أن الأول قيد في الثاني ، أي : إن صدقتم في زعمكم أنها لكم ، ومن كانت له يؤثرها ، والموصل اليها الموت فتمنوه .

٩٥ ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ الكافرين فيجازيهم .

٩٦ ﴿ولتجدنهم﴾ لام القسم ، والخطاب للنبي ﷺ ، أو لكل قارئ صالح للفهم ﴿أحرص الناس على حياة﴾ وهو أبلغ من قوله «ولن يتمنوه أبداً» يعني أنهم أشد الناس حرصاً على الحياة زيادة على عدم تمني الموت ونكر الحياة دلالة على انه لا يبالي بنوعها محمودة أو مذمومة بل يتمنى حصولها وطولها فقط ﴿و﴾ أحرص ﴿من الذين أشركوا﴾ المنكرين للبعث عليها ، لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين ، لانكارهم له . ﴿يود﴾ يتمنى ﴿أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ «لو» مصدرية بمعنى «أن» ، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يود» . ﴿وما هو﴾ الشأن ﴿بمزحزحه﴾ مبعده ﴿من العذاب﴾ النار ﴿أن يعمر﴾ فاعل «مزحزحه» ، أي يتمنى الحياة وطولها . والسائل ذلك التعمير لا يزحزحه من الموت ولحوق عذاب الله . ﴿والله بصير بما يعملون﴾ بالياء والتاء فيجازيهم .

ومما يزيد على قطع ايمان اليهود : ما يحملهم عليه الحسد والحقد من اختلاق قصص واهية ، ليصدوا بها سفهاء الناس عن الايمان بمحمد ﷺ . ومن مثل تلك القصص ، وقد عرفوا جبريل هو ملك

كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ
سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ
عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ

١٩

الوحي بين الله وبين رسله من الناس ، وميكائيل موكل بالخصب والسلم ، فقالوا : جبريل عدونا يأتي بالعذاب ويطلع محمداً على سرنا وهو صاحب عذاب وخسف وشدة ، ولو كان ميكائيل يأتي محمداً لآمنا به لأنه يأتي بالخصب والسلم .التكبر عن الحق يستدعي اختلاق المعاذير ويؤدي إلى الطعن فيمن لا يجوز الطعن فيه . فاليهود طعنوا في جبريل لأنه نزل الوحي على محمد ، بأنه رسول العذاب . يريدون عدم اتباع النبي لأن وحيه يأتيه بواسطة جبريل .

٩٧ قال الله تعالى : ﴿قل﴾ لهم ﴿من كان عدوا لجبريل﴾ فليمت غيظا ﴿فانه نزله﴾ أي القرآن ﴿على قلبك باذن﴾ بأمر ﴿الله مصدقا لما بين يديه﴾ قبله من الكتب التي نزلها هو على الرسل قبلك ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿وبشرى﴾ بالجنة ﴿للمؤمنين﴾ وعذابا وشدة على الكافرين . ومن عادى من عمل عملا باذن الله فهو في في الحقيقة عدو لله الآذن .

٩٨ ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل﴾ بكسر الجيم ، وقرى بفتحها ، بلا همز وبه ، بياء ودونها . ﴿وميكال﴾ عطف على الملائكة ، من عطف الخاص على العام . وفي قراءة «ميكائيل» بهمز وبلا همز ، وفي أخرى بلا ياء ﴿فان الله عدو للكافرين﴾ أوقع الظاهر موقع الضمير بيانا لحالهم . والمراد بمعاداة الله تعالى : مخالفة أمره عنادا ، والخروج عن طاعته مكابرة ، ومعادة من قام بأمره معاداة لجميع الصالحين من عباده . ومما يختلقون من الأكاذيب لذلك : زعمهم أن محمدا ما أنزل عليه آية نعرفه بها فنتبعه . فقال الله تعالى تكذيبا لهم :

٩٩ ﴿ولقد أنزلنا اليك﴾ يا محمد ﴿آيات بينات﴾ واضحات ﴿وما يكفر بها الا الفاسقون﴾ اللام للعهد ، أي الفاسقون المعهودون وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم ، ويدخل في ذلك كل فاسق مثلهم .

وكان من عادة اليهود القديمة نبذ عهودهم ، وعدم الايمان بالرسل ، وترك العمل بما أنزل الله عليهم في كتابهم ، واتباع أهوائهم ، وتخليق قصص واهية ليعضدوا بها أهوائهم ويستخفوا بها عقول سفهائهم . فقال تعالى بيانا لذلك وتنبيهاً لهذه الأمة على أن لا يقتدوا بهم في ضلالهم .

١٠٠ ﴿أ﴾ كفروا بالآيات التي أنزلت على محمد ﷺ ، وذلك نقض عهد ﴿وكلما عاهدوا﴾ الله ﴿عهدا﴾ على الايمان بالنبي ان خرج ، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ، ﴿نبذه﴾ طرحه ﴿فريق منهم﴾ بنقضه جواب «كلما» وهو محل الاستفهام الانكاري ﴿بل﴾ للانتقال ﴿أكثرهم لا يؤمنون﴾ .

وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا
الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى
الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ
حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا
مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ
وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ
مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا
وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

٢٠

١٠١ ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ محمد ﷺ ﴿مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله﴾ أي التوراة ﴿وراء ظهورهم﴾ أي لم يعملوا بما فيها من الايمان بالرسل وغيره ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله .

١٠٢ ﴿واتبعوا﴾ عطف على «نبذ» ﴿ما تتلو﴾ أي «تلت» ﴿الشياطين﴾ أحبار اليهود ﴿على﴾ عهد ﴿ملك سليمان﴾ من السحر وأنه أنزل عليه السحر وبه ملك الناس والجن ، ويستخفون بذلك سفهاءهم فيتبعونهم في ترك العمل بالتوراة واتباع أهوائهم . فكذب الله نسبة السحر إلى سليمان ، وبين حكم استعمال السحر فقال : ﴿وما كفر سليمان﴾ أي لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿ولكن﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿الشياطين كفروا﴾ أي أحبار اليهود هم الذين كفروا بالافتراء على الله الكذب ، ونسبته لسليمان عليه السلام وهو بريء منه . ﴿يعلمون﴾ أحبار اليهود ﴿الناس السحر﴾ الجملة «حال» من ضمير «كفر» أو ينسبونه أيضا إلى ملكين ببابل وسموهما هاروت وماروت ، فكذبهم الله بقوله : ﴿وما﴾ للنفي ﴿أنزل على الملكين﴾ بفتح اللام وقرىء بكسرها ، الكائنين ﴿ببابل﴾ بلد في سواد العراق ﴿هاروت وماروت﴾ بدل أو عطف بيان للملكين .

قلت : قصة هاروت وماروت وجعلها حجة على تعلم السحر والعمل به خلاف العقل والشرع والواقع وكذلك ما نسب لنبي الله سليمان عليه السلام من ذلك . فانها من القصص الهدامة للعقيدة الاسلامية التي وضعتها اليهود . فانهم ذكروا : ان الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم ! ورأوا أنهم لا يستحقون الخلافة في الارض . فأمرهم الله بأن يختاروا منهم ملكين للخلافة فاختاروا هاروت وماروت . فركب الله فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى . فأهبطهما الى الارض ليقضيا بين الناس نهارا ويرجعا الى السماء مساء وقد نهيا عن الشرك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا . فكانا يقضيان بين الناس نهارا فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء . فاختصمت اليهما ذات يوم امرة من أجمل النساء تسمى زهرة . فأدت بهما القضية الى ارتكاب كل ما نهيا عنه . وعلمّاها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكباً . فهمّا ما حل بهما . وكان ذلك في عهد إدريس عليه السلام فالتجآ اليه ليشفع لهما . ففعل فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . فاختارا الأول لانقطاعه عما قليل فهما يعذبان ببابل الى يوم القيامة . وهما اللذان علمهما الله السحر فتنة للناس ويعلمانهم السحر بعد الانذار .

قال الامام جمل فهذا مما لا تعويل عليه لما مداره رواية اليهود مع ما فيه من مخالفة لادلة العقل والنقل . اهـ قلت والتاريخ يكذبه لكون ادريس عليه السلام قبل الطوفان وبابل بعده بزمان . وكما نفى الله نسبة السحر لنبيه سليمان فكذلك نفى انزاله على الملكين . وقال ﴿وما﴾ للنفي « والواو »للاستئناف ﴿يعلمان من﴾ زائدة ﴿أحد حتى يقولا﴾ أي الى أن يقولا له نصحا : ﴿انما نحن فتنة﴾ بلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ، ومن تركه فهو مؤمن . ﴿فلا تكفر﴾ بتعلمه ، فان أبى الا التعلم علماه . ﴿فيتعلمون﴾ الفاء لمجرد العطف فوجب الرفع ، أي : وما يعلمان من أحد .. فيتعلمون ﴿منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ بأن يبغضوا كلا إلى الآخر . ﴿وما﴾ للنفي ﴿هم﴾ مدعو علم السحر ﴿بضارين به﴾ بالسحر ﴿من﴾ زائدة ﴿أحد الا باذن الله﴾ بارادته ﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾ في الآخرة اذ صرفهم عن تعلم دينهم . ﴿ولا ينفعهم﴾ في الدنيا اذ لا يستطيعون أن يضروا به أحداً الا باذن الله . وقد قال تعالى : « ولا يفلح الساحر حيث أتى» ﴿و﴾ الحال ﴿لقد﴾ لام قسم ﴿علموا﴾ اليهود ﴿لمن﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ، و «من» موصولة . ﴿اشتراه﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ نصيب في الجنة ﴿ولبئس ما﴾ شيئاً ﴿شروا﴾ باعوا ﴿به أنفسهم﴾ أي الشارين ، أي حظها من

أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن
رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ (١٠٥) * مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ
أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم
مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

الآخرة أن تعلموه حيث أوجب لهم النار ، ولم يتمتعوا به في الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ حقيقة ما يصيرون اليه من العذاب ما تعلموه . ثم عقب على ما تقدم وقال :

١٠٣ ﴿ولو أنهم﴾ أي اليهود ﴿آمنوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿واتقوا﴾ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وصد الناس عن الهدى بالضلال . وجواب «لو» محذوف ، أي لأثيبوا ، دل عليه ﴿لمثوبة﴾ ثواب ، وهو مبتدأ ، واللام فيه للقسم ﴿من عند الله خير﴾ خبر مما شروا به أنفسهم ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أنه خير لما آثروه عليه .

وكان اليهود يحرفون معاني الكلام من المؤمنين ليستهزئوا بهم ، كما كانوا يحرفون الكلام ليضلوا سفهاءهم . فنبه الله المؤمنين على ذلك ونهاهم عنه ، وأمروا بما هو واضح الدلالة ولا يقبل التدليس ، فقال :

١٠٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا﴾ للنبي ﴿راعنا﴾ أمر من المراعاة ، وكانوا يقولون له ذلك إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم يقولون : «راعنا يا رسول الله» أي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه ، وهي بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبي ﷺ ، فنهي المؤمنون عنها . ﴿وقولوا﴾ بدلها ﴿انظرنا﴾ أنظر الينا ، أي امهلنا حتى نحفظ ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ مؤلم هو النار .

١٠٥ ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ من العرب ، عطف على أهل الكتاب . و «من» للبيان ﴿أن ينزل عليكم من﴾ زائدة ﴿خير﴾ وحي ﴿من ربكم﴾ حسداً لكم ﴿والله يختص برحمته﴾ نبوته ﴿من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ يعني أن كل خير يناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه تفضلاً عليهم ، من غير استحقاق منهم لذلك ، بل له الفضل والمنة على خلقه .

ومن شأن العدو أن يطعن على عدوه بكل ما يراه وسيلة إلى تنقيصه وصد الناس عنه ، فلا يفوت الكفار اليهود ان يطعنوا في النسخ ويقولوا ان محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً ، ولا يبالون بالحكمة في ذلك ولو فهموها ، تنفيذا لغرضهم . فنبه الله المؤمنين على ذلك كيلا يغتروا ، فقال تعالى :

١٠٦ ﴿ما﴾ شرطية ﴿ننسخ من آية﴾ أي نزل حكمها إما مع لفظها أولا ، وفي قراءة بضم النون من «أنسخ» أي : نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿أو ننسها﴾ بلا همز من النسيان ، أي ننسكها أي نمحها من قلبك ، وقرىء بالهمز أي نؤخرها فلا نزل حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها في اللوح المحفوظ . وجواب الشرط ﴿نأت بخير منها﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر . ﴿أو مثلها﴾ في التكليف والثواب ، كنسخ وجوب استقبال بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة ، فهما متساويان في الأجر . ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير .

١٠٧ ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وما لكم من دون الله﴾ أي غيره ﴿من﴾ زائدة ﴿ولي﴾

يحفظكم ﴿ولا نصير﴾ يمنع عذابه عنكم ان أتاكم . والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة ، والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور ، فبينهما عموم وخصوص من وجه . ومن شأن العدو أن يسأل عدوه سؤال تعنت مباشرة أو يدس ذلك في المؤمنين كي يضعف ايمانهم أو يردهم عنه ان استطاع . فرد الله مكيدتهم في ذلك وقال :

١٠٨ ﴿أم﴾ بل ﴿تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ سؤال تعنت بأن يوسع مكة مثلاً أو يجعل الصفا ذهباً ﴿كما سئل موسى﴾ سأل قومه ﴿من قبل﴾ من قولهم أرنا الله جهرة .. وغير ذلك . ﴿ومن يتبدل الكفر بالايمان﴾ أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أي أخطأ الطريق الحق . والسواء في الأصل : الوسط . من اضافة الصفة للموصوف ، أي السبيل المستوي المعتدل .

واذا يئس العدو من المكائد العملية ونجاحه فيها إلى مقصوده ، فانه يرجع إلى التمنيات الكاذبة وانتظار الدوائر على عدوه ، وارسال كلمات مسيئة . فأمر الله المسلمين أن لا يلتفتوا اليها إذا جاءتهم من عدوهم بل ينتظروا أمره لهم ولا يعجلوا قبل الوقت ، والله أعلم بما يدبر لهم عليهم ، فقال :

١٠٩ ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو﴾ مصدرية ﴿يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً﴾ مفعول له ، كائناً ﴿من عند أنفسهم﴾ أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿من بعد ما تبين لهم﴾ في التوراة ﴿الحق﴾ في شأن النبي ﴿فاعفوا﴾ عنهم أي اتركوهم ﴿واصفحوا﴾ أعرضوا فلا تجاوزهم ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ فيهم من القتال ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ .

١١٠ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ طاعة كصلة وصدقة ﴿تجدوه﴾ أي ثوابه ﴿عند الله ان الله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به . وكأنه يقول : لا تلتفتوا إلى ما يؤذونكم به من الكلام السيء ، واشتغلوا عنهم بالعبادة من اقام الصلاة وغيره من أعمال الخير .

١١١ ﴿وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً﴾ جمع هائد ﴿أو نصارى﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ . أي قال اليهود : لن يدخلها إلا اليهود ، وقال النصارى : لن يدخلها الا النصارى . ﴿تلك﴾ القولة ﴿أمانيهم﴾

عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ
ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ
قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ
عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ
فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ
لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾
وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ

شهواتهم الباطلة ﴿قل﴾ لهم : ﴿هاتوا برهانكم﴾ حجتكم على ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيه .

١١٢ ﴿بلى﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿من أسلم وجهه لله﴾ أي انقاد لأمره ، وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى ﴿وهو محسن﴾ موحد أو متبع أمر الله ﴿فله أجره عند ربه﴾ أي ثواب عمله الجنة ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة .

١١٣ ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ معتد به وكفرت بعيسى ﴿وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ معتد به وكفروا بموسى ﴿وهم﴾ أي الفريقان ﴿يتلون الكتاب﴾ المنزل عليهم ، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى ، وفي كتاب النصارى تصديق موسى . والجملة حال ﴿كذلك﴾ كما قال هؤلاء ﴿قال الذين لا

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ
أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ
تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾
إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ
أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ
تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ

٢٣

يعلمون﴾ أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿مثل قولهم﴾ بيان لمعنى ذلك ، أي قالوا لكل ذي دين ليسوا على شيء ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين ، فيدخل المحق الجنة والمبطل النار .

١١٤ ﴿ومن أظلم﴾ أي لا أحد من المانعين أظلم ﴿ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وسعى في خرابها﴾ بالهدم والتعطيل مع دعواه أنه هو على الدين الصحيح وأن غيره ليس على شيء يعتد به من الدين ، مثل ما فعلت الروم الذين خربوا بيت المقدس ، فان فلطيوس الرومي ملك النصارى غزا بني اسرائيل وقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم وأحرق التوراة وخرب بيت المقدس ، وقذف فيه الجيف وذبح فيه الخنازير ، ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه . والمشركون لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت . وأفعال اليهود في مثل هذه كثيرة وقد ذكر في هذه السورة كثيرا عنهم ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها﴾ المساجد ﴿إلا خائفين﴾ أي ما كان لهم في علم الله وقضائه أن أن يدخلوها الا في حال الخوف فهو وعد للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم . وقد أنجز وعده كما هو ظاهر . ﴿لهم﴾ الكفار من أهل الكتابين والمشركين الداعين أن غيرهم ليس على شيء من الدين يعتد به ، ﴿في الدنيا خزي﴾ هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هو النار .

ولما ذكر أن أعظم ظلم في الفعل منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ناسب أن يذكر معه ما يشاركه في الأعظمية ظلما في القول ، وهو الطعن في تحويل القبلة ونسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى . وذكر ما لكل واحد من أنواع الكفار الثلاثة . فقال في رد من طعن في نسخ القبلة :

١١٥ ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ أي الأرض كلها لأنهما ناحيتاها ﴿فأينما تولوا﴾ وجوهكم أيها المسلمون في الصلاة بأمره ﴿فثم وجه الله﴾ رضاه وقبلته التي رضيها ﴿ان الله واسع﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عليم﴾ بتدبير خلقه .

١١٦ ﴿وقالوا﴾ «بواو» ودونها ، أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله : ﴿اتخذ الله ولدا﴾ وقال تعال ﴿سبحانه﴾

تنزيها له عنه ﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ، والملكية تنافي الولادة وعبر «بما» تغليبا لما لا يعقل ﴿كل له قانتون﴾ مطيعون كل بما يراد منه ، وفيه تغليب للعاقل .

١١٧ ﴿بديع السموات والأرض﴾ موجدها لا على مثال سبق ﴿وإذا قضى﴾ أراد ﴿أمرا﴾ أي ايجاده ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ أي : فهو يكون ، وفي قراءة بالنصب جوابا للأمر . وما ذكر من أمر نسخ القبلة ونسبة الولد اشترك فيه جميع الكفار ، وانفرد المشركون بما يأتي

١١٨ ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ : ﴿لولا﴾ هلا ﴿يكلمنا الله﴾ أنك رسوله ﴿أو تأتينا آية﴾ مما اقترحناه على صدقك ﴿كذلك﴾ كما قال هؤلاء ﴿قال الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مثل قولهم﴾ من التعنت وطلب الآيات ﴿تشابهت قلوبهم﴾ في الكفر والعناد . فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون ، فاقتراح آية تعنت .

١١٩ ﴿انا ارسلناك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ بالهدى ﴿بشيرا﴾ من أجاب اليه بالجنة ﴿ونذيرا﴾ من لم يجب اليه بالنار ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ النار ، أي الكفار ما لهم لم يؤمنوا انما عليك البلاغ ، وفي قراءة بجزم «تسأل» نهيا .

١٢٠ ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ دينهم ﴿قل ان هدى الله﴾ أي الاسلام ﴿هو الهدى﴾ وما عداه ضلال . ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك اليها فرضا ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ الوحي من الله ﴿مالك من الله من ولي﴾ يحفظك ﴿ولا نصير﴾ يمنعك منه .

١٢١ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ مبتدأ ﴿يتلونه حق تلاوته﴾

هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِيٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُواْ
يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ
إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾
وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ
إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا
بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَٰكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ الثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأٓخِرِ
قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ

أي يقرؤنه كما أنزل . والجملة حال ، و«حق» نصب على المصدر والخبر ﴿أولئك يؤمنون به﴾ مثل جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿ومن يكفر به﴾ أي الكتاب المؤتى به ، بأن يحرفه ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم .

هنا انتهى الكلام في ذكر ما يقطع طمع المؤمنين في اسلام

ٱلنَّارِ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ
مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً
مُّسۡلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ
إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ
قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ
بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ

اليهود ، والرد على الشبهات التي يثيرها الكفار ليشككوا بها ضعفاء المسلمين ، واثبات النبي على الدعوة ، واخباره بأن اليهود والنصارى لا يتبعونه ، الا الذين قرأوا كتابهم كما هو ولم يحرفوه ، ومن حرف كتابه منهم فان عاقبته الخسارة الكبرى .

ثم انتقل السياق بالخطاب إلى بني اسرائيل كأنما يدعوهم إلى الاسلام الدعوة الأخيرة ، فقال :

١٢٢ ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين﴾ تقدم مثله .

١٢٣ ﴿واتقوا﴾ خافوا ﴿يوما لا تجزي﴾ تغني ﴿نفس عن نفس﴾ فيه ﴿شيئا ولا يقبل منها عدل﴾ فداء ﴿ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله .

١٢٤ ﴿و﴾ اذكروا ﴿اذ ابتلى﴾ اختبر ﴿ابراهيم﴾ وفي قراءة ابراهام ﴿ربه بكلمات﴾ بأوامر ونواه كلفه بها . قيل : هي مناسك الحج ، وقيل : المضمضمة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الأظفار ونتف الأبط وحلق العانة والختان والاستنجاء . ﴿فأتمهن﴾ أداهن تامات . ﴿قال﴾ تعالى له : ﴿اني جاعلك للناس اماما﴾ قدوة في الدين . ﴿قال ومن ذريتي﴾ أولادي اجعل ائمة ﴿قال لا ينال عهدي﴾ بامامة ﴿الظالمين﴾ الكافرين منهم ، دل على أنه يناله غير ظالم .

١٢٥ ﴿و﴾ اذكروا ﴿اذ جعلنا البيت﴾ الكعبة ﴿مثابة للناس﴾ مرجعا يثوبون اليه من كل جانب ﴿وأمنا﴾ مأمنا لهم من الظلم والاغارات الواقعة في غيره ، كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه ﴿واتخذوا﴾ يا بني اسرائيل ، اذ الدعوة توجه اليهم بتذكيرهم البيت المطلوب اتجاهه منهم بناء جدهم الأعلى ابراهيم ﴿من مقام ابراهيم﴾ جدكم الأعلى الذي يرجع فخركم إليه ، وأن هذا الدين الذي تدعون إليه ليس بأمر غريب عندكم . وفي قراءة بفتح «الخاء» والضمير اذا للناس ، ومعناه : واذ جعلنا البيت مثابة للناس واتخذ الناس وفي كل ذلك ترغيب لليهود أن يدخلوا ملة أبيهم ابراهيم ﴿مصلى﴾ مكان صلاة ، أو جهة صلاة وقبلتها . وليس المقصود هنا الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند بنائه للبيت ، والله علم ﴿وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل﴾ أمرناهما ﴿أن﴾ أي بأن ﴿طهرا بيتي﴾ أي أديما طهارته من الأوثان ﴿للطائفين والعاكفين﴾ المقيمين فيه ﴿والركع السجود﴾ جمع راكع وساجد أي المصلين .

١٢٦ ﴿و﴾ اذكروا أن مكة أيضا معروفة عندكم في دعاء ابراهيم ﴿اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا﴾ المكان أي مكة ﴿بلدا آمنا﴾ ذا أمن . وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما آمنا لا يسفك فيه دم انسان ، ولا يظلم فيه أحد ، ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاؤه ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام اليه ، وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ بدل من «أهله» ، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله «لا ينال عهـد الظـالمين» . ﴿قال﴾ تعالى ﴿و﴾ ارزق ﴿من كفر فأمتعه﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ، في الدنيا بالرزق ﴿قليلا﴾ مدة حياته ﴿ثم أضطره﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إلى عذاب النار﴾ فلا يجد عنها محيصا ﴿وبئس المصير﴾ المرجع هي .

١٢٧ ﴿و﴾ اذكروا أن محمدا معروف عندكم ، لأنه هو

المجاب به دعاء ابراهيم ﴿اذ يرفع ابراهيم القواعد﴾ الأسس أو الجدر ﴿من البيت﴾ يبنيه متعلق «بيرفع» ﴿واسماعيل﴾ عطف على ابراهيم ، يقولان : ﴿ربنا تقبل منا﴾ بناءنا ﴿انك أنت السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بجميع الأحوال .

١٢٨ ﴿ربنا واجعلنا مسلمين﴾ منقادين ﴿لك و﴾ اجعل ﴿من ذريتنا﴾ أولادنا ﴿أمة﴾ جماعة ﴿مسلمة لك﴾ و «من» للتبعيض ، وأتى به لتقدم قوله له «لا ينال عهدي الظالمين» وفيه تنبيه لليهود أن لا تكونوا من الظالمين فلا ينالكم العهد ﴿وأرنا﴾ علمنا ﴿مناسكنا﴾ شرائع عبادتنا أو حجنا ﴿وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما .

١٢٩ ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ أي أهل البيت ﴿رسولا منهم﴾ من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يتلوا عليهم آياتك﴾ القرآن ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ اي ما فيه من الأحكام ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إنك أنت العزيز﴾ الغالب ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

١٣٠ ﴿ومن﴾ أي لا ﴿يرغب عن ملة ابراهيم﴾ فيتركها ﴿الا من سفه نفسه﴾ جهل انها مخلوقة لله يجب عليها عبادته ؛ أو استخف بها وامتهنها ﴿ولقد اصطفيناه﴾ اخترناه ﴿في الدنيا﴾ بالرسالة والخلة ﴿وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم الدرجات العلا .

١٣١ واذكروا ﴿اذ قال له ربه أسلم﴾ انقد لله وأخلص له دينك ، كما طلب منكم وأنتم ذريته ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ .

١٣٢ ﴿ووصى﴾ وفي قراءة أوصى ﴿بها﴾ بالملة ﴿ابراهيم بنيه ويعقوب﴾ بنيه ، وهو اسرائيل قال : ﴿يا بني ان الله اصطفى لكم الدين﴾ دين الاسلام ﴿فلا تموتن الا وأنتم مسلمون﴾ نهي عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت . فهذه وصية يعقوب اسرائيل لبنيه . وأنتم ذريتهم وداخلون في تلك الوصية ، ثم ذكرهم بما أجاب آباؤهم وصية جدهم يعقوب فقال :

١٣٣ ﴿أم كنتم شهداء﴾ حضورا ﴿اذ حضر يعقوب الموت اذ﴾ بدل من «اذ» قبله ﴿قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ بعد موتي ﴿قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق﴾ عد اسماعيل من الآباء تغليب ، ولان العم بمنزلة الأب . وفيه اشارة إلى أن اتباع النبي ليس نقصا في حقهم ، اذ هو في الأصل من جنسهم ، وانهم يجتمعون معه في جد واحد وهو ابراهيم وان اسماعيل الذي خرج

ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ
مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾
قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ
فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ

النبي منه مقدم على اسحاق الذي خرجوا هم منه ؛ وكان هذا من اقرار آبائهم بذلك . وان أصل العبادة واحد وهو عبادة الله واحد ، واسمها معروف من ذلك الوقت وهو الاسلام ، والذين اعتنقوه يسمون مسلمين وهو قوله : ﴿الها واحدا﴾ بدل من «الهك» ﴿ونحن له مسلمون﴾ اذا أبيتم أن تسلموا له . و «أم» بمعنى همزة الانكار أو التوبيخ أي : وكيف أبيتم الاسلام وقد حضرتم كل هذه الأشياء وعرفتموها بالتوارث من آبائكم .

١٣٤ ﴿تلك﴾ مبتدأ ، والاشارة إلى ابراهيم ويعقوب وبنيهما ، وأنث لتأنيث خبره ﴿أمة قد خلت﴾ سلفت ﴿لها ما كسبت﴾ من العمل أي جزاءه ، استئناف ﴿ولكم﴾ أيها اليهود ﴿ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ كما لا يسألون عن عملكم . والجملة تأكيد لما قبلها .

وبعد ندائهم وتذكيرهم بما تقدم ودعوتهم إلى الدين الحنيفي دين

مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ
وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ
أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾
۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي
كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

٢٧

آبائهم الذي هو الاسلام ، لم تكن اجابتهم الا ما يأتي .

١٣٥ ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا﴾ «أو» للتفصيل . وقائل الأول يهود المدينة ، والثاني نصارى نجران ، وكلاهما من بني اسرائيل . فمن انحرف عن دين موسى والتوراة يسمى يهوديا ، والذي حرف الانجيل وغالى في عيسى يسمى نصرانيا . ﴿قل﴾ لهم ﴿بل﴾ نتبع ﴿ملة ابراهيم حنيفا﴾ حال من «ابراهيم» ، مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم . وفيه اشارة إلى أن اليهودية والنصرانية ليستا دينا قيما ﴿وما كان﴾ ابراهيم أيضا ﴿من المشركين﴾ أي دينه وملته تخالف ملة المشركين وان كانوا يدعون أنهم على دينه وملته .

ثم التفت السياق إلى المسلمين وإلى قائدهم محمد ﷺ ، وقال لهم :

١٣٦ ﴿قولوا﴾ أيها المؤمنون : ﴿آمنا بالله وما أنزل الينا﴾ من القرآن ﴿وما أنزل إلى ابراهيم﴾ من الصحف العشر ﴿واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط﴾ أولاده ﴿وما أوتي موسى﴾ من التوراة ﴿وعيسى﴾ من الانجيل . ولم يعد الموصول بأن يقول «وما أوتي عيسى» اشارة إلى اتحاد المنزل عليه مع المنزل على موسى ، فان الانجيل مقرر للتوراة ولم يخالفها الا في قدر يسير ، وفيه تسهيل كما قال : «ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم» ، ﴿وما أوتي النبيون من ربهم﴾ من الكتب والآيات ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ، كاليهود والنصارى ﴿ونحن له مسلمون﴾ منقادون .

١٣٧ ﴿فان آمنوا﴾ أي اليهود والنصارى ﴿بمثل ما آمنتم به﴾ «ما» مصدرية ، أي : مثل ايمانكم ﴿فقد اهتدوا﴾ أي اتبعوا طريق الهدى ﴿وان تولوا﴾ عن الايمان به ﴿فانما هم في شقاق﴾ خلاف أو عداوة أو ضلال ﴿فسيكفيكهم الله﴾ يا محمد شقاقهم ﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأحوالهم . وقد كفاه اياهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم .

١٣٨ ﴿صبغة الله﴾ مصدر مؤكد «لآمنا» ونصبه بفعل مقدر أي : صبغنا الله . والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه ، لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب . وهو مشاكلة لعمل النصارى في تطهير أولادهم بلفظ الصبغ ، فكانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون انه صبغ ، فاذا فعل واحد منهم بولده ذلك قال : الآن صار نصرانيا حقا ﴿ومن﴾ أي لا أحد ﴿أحسن من الله صبغة﴾ تمييز ﴿ونحن له عابدون﴾ معطوف على «آمنا» وداخل تحت الأمر ، أي : قولوا : آمنا .. ونحن الخ .

وفيما يأتي تعليم للمسلمين ما يردون به أقوال اليهود ضد الاسلام أو ضدهم ، نحو قولهم : نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ، ولم تكن الأنبياء من العرب ، ولو كان محمد نبيا لكان منا . فقال :

١٣٩ ﴿قل﴾ لهم : ﴿أتحاجوننا﴾ تخاصموننا ﴿في الله﴾ أن اصطفى نبيا من العرب ﴿وهو ربنا وربكم﴾ فله أن يصطفي من عباده من يشاء ﴿ولنا أعمالنا﴾ نجازى بها ﴿ولكم أعمالكم﴾ تجازون بها ، فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الاكرام ﴿ونحن له مخلصون﴾ الدين والعمل دونكم ، فنحن أولى بالاصطفاء . والهمزة للانكار ، والجمل الثلاث أحوال . ثم ان كونكم قبلنا لا يقتضي الاصطفاء

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا
عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ
فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ
ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ
وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم
مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ
وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

٢٨

١٤٠ ﴿أم﴾ بل ﴿تقولون﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل﴾ لهم : ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾ أي الله أعلم ، وقد برأمنهما ابراهيم بقوله «ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً» ؛ والمذكورون معه تبع له ﴿ومن﴾ أي لا أحد ﴿أظلم ممن كتم﴾ أخفى عن الناس ﴿شهادة عنده﴾ كائنة ﴿من الله﴾ أي لا أحد أظلم ممن كتم هذه الشهادة وهو يعرفها – نحن المسلمون أو أنتم أهل الكتاب – في التوراة أو الانجيل لابراهيم بالحنيفية ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ تهديد لهم

١٤١ ﴿تلك﴾ أي ابراهيم ومن ذكروا معه ﴿أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ تقدم مثله ؛ وكرر تأكيداً وزجراً عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم . وان كان هناك شيء يستحق أن يفتخر به فنحن أحق به ، اذ اسماعيل مقدم على اسحاق ونحن على عقيدتهم وملتهم ؛ فدعوى الأولية لنا أحق وانضم اليها أخرويتنا . ثم بدأ في شأن تحويل القبلة بالرد على ما سيقال فيها من الطعن ، فقال :

١٤٢ ﴿سيقول السفهاء﴾ الجهال ﴿من الناس﴾ اليهود والمشركين ﴿ما ولاهم﴾ أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس والاتيان «بالسين» الدالة على الاستقبال من الاخبار بالغيب . ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي الجهات كلها ؛ فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء ؛ لا اعتراض عليه ﴿يهدي من يشاء﴾ هدايته ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ دين الاسلام . أي ومنهم أنتم ، دل على هذا :

١٤٣ ﴿وكذلك﴾ كما هديناكم اليه ﴿جعلناكم﴾ يا أمة محمد ﴿أمة وسطاً﴾ خياراً عدولاً ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ أنه بلغكم ﴿وما جعلنا﴾ صيرنا ﴿القبلة﴾ لك الآن الجهة ﴿التي كنت عليها﴾ أولاً وهي الكعبة ؛ وكان ﷺ يصلي إليها . فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود ، فصلى إليها ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حول ﴿الا لنعلم﴾ علم ظهور ﴿من يتبع الرسول﴾ فيصدقه ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي يرجع إلى الكفر شكاً في الدين وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره ، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وان﴾ مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف أي : ﴿كانت﴾ أي التولية اليها ﴿لكبيرة﴾ شاقة على الناس ﴿الا على الذين هدى الله﴾ منهم ﴿وما كان الله ليضيع ايمانكم﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه ، لأن سبب نزولها الأخبار عمن مات قبل التحويل ﴿ان الله بالناس﴾ المؤمنين ﴿لرؤوف رحيم﴾ في عدم اضاعة أعمالهم . والرأفة : شدة الرحمة . وقدم الأبلغ للمفاضلة .

١٤٤ ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿نرى تقلب﴾ تصرف ﴿وجهك في﴾

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ
وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟
يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى
وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا
فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾
فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

جهة ﴿السماء﴾ متطلعاً إلى الوحي ومتشوقا للأمر باستقبال الكعبة. وكان يود ذلك لأنها قبلة ابراهيم وقبلته قبل الهجرة ، ولأنها أدعى إلى اسلام العرب ﴿فلنولينك﴾ نحولنك ﴿قبلة ترضاها﴾ تحبها ﴿فول وجهك﴾ استقبل في الصلاة ﴿شطر﴾ نحو ﴿المسجد الحرام﴾ أي الكعبة ﴿وحيثما كنتم﴾ خطاب للأمة ﴿فولوا وجوهكم﴾ في الصلاة ﴿شطره وان الذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿ليعلمون أنه﴾ أي التولي إلى الكعبة ﴿الحق﴾ الثابت ﴿من ربهم﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وما الله بغافل عما يعلمون﴾ بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره ، وبالياء أي اليهود من انكار أمر القبلة. ثم قطع طمع النبي ﷺ في ايمان اليهود ، كما أيأسهم من أن يرجع النبي ﷺ إلى ما يحبون منه ، فقال :

١٤٥ ﴿ولئن﴾ لام القسم ﴿أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿بكل آية﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿ما تبعوا﴾ أي لا يتبعون ﴿قبلتك﴾ عناداً ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ قطع لطمعه في اسلامهم وطمعهم في عوده اليها ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ أي اليهود قبلة النصارى ، وهي مطلع الشمس وكانوا يستقبلونها ، وبالعكس. وقبلة اليهود هي بيت المقدس ، وقبلة النبي الكعبة ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك إليها. ففي بعض كتب القصص أن قبلة عيسى عليه السلام كانت بيت المقدس ، وبعد رفعه ظهر بولس ودس في دينهم دسائس ، منها انه قال : لقيت عيسى فقال لي : ان الشمس كوكب أحبه يبلغ سلامي في كل يوم ، فمرقومي ليتوجهوا إليها في صلاتهم. ففعلوا ذلك. وليس لهم أمر بقبلة في الانجيل. وكذلك اليهود فليس في التوراة أمر باستقبال الصخرة البتة ، وانما كانوا ينصبون التابوت ويصلون اليه من حيث خرجوا ، فاذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا اليه ، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة. ولذلك سمى الله قبلتيهما أهواءهم ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ الوحي بالتولي إلى الكعبة ﴿انك إذاً﴾ ان اتبعتهم فرضاً ﴿لمن الظالمين﴾.

١٤٦ ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ أي العلم المشتمل على نعت محمد ، وتحويل القبلة. وظلموا بعدم اتباعه ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ بنعته في كتبهم. قال ابن سلام : لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد ﴿وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق﴾ نعته ﴿وهم يعلمون﴾ أن صفة محمد مكتوبة في التوراة والانجيل ، وأن كتمان الحق معصية ، وهم مع ذلك كتموه. ثم علق في شأن القبلة التوجيهات الآتية ، فقال :

١٤٧ هذا الذي أنت عليه ﴿الحق﴾ كائناً ﴿من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين فيه ، أي من هذا النوع فهو أبلغ من «لا تمتر».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم
بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ
أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ
وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

٣٠

١٤٨ ﴿ولكل﴾ فريق من الأمم ﴿وجهة﴾ قبلة ﴿هو﴾ الفريق ﴿موليها﴾ وجهه بنفسه في صلاته ، وفي قراءة «مولاها» ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ .

١٤٩ ﴿ومن حيث خرجت﴾ لسفر ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون﴾ بالتاء والياء ، تقدم مثله وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره .

١٥٠ ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ كرره للتأكيد ان هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر فيها النسخ في شرعنا ، فأول ما نسخ هو القبلة فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة ﴿لئلا يكون للناس﴾ اليهود والنصارى أو المشركين ﴿عليكم حجة﴾ أي مجادلة في التولي إلى غيره أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود : يجحد ديننا ويتبع قبلتنا . وقول المشركين : يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ بالعناد فانهم يقولون : ما تحول اليها إلا ميلا إلى دين آبائه . والاستثناء متصل ، والمعنى : لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فلا تخشوهم﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿واخشوني﴾ بامتثال أمري ﴿ولأتم﴾ عطف على «لئلا» يكون ﴿نعمتي عليكم﴾ بالهداية إلى معالم دينكم . قال علي رضي الله عنه : «تمام النعمة الموت على الاسلام» . وفي الحديث : «دخول الجنة» . ﴿ولعلكم تهتدون﴾ إلى الحق .

١٥١ ﴿كما أرسلنا﴾ «ما» مصدرية متعلق بأتم نعمتي ، أي اتماماً كاتمامها بارسالنا ﴿فيكم رسولا منكم﴾ محمداً ﷺ معشر العرب أو الناس ، ولم يكن ملكاً لئلا تنفروا منه لعدم ألفة بينكم وبين الملائكة . ﴿يتلوا عليكم آياتنا﴾ القرآن ﴿ويزكيكم﴾ يطهركم من الشرك ﴿ويعلمكم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ من أخبار الأمم الماضية وقصص الأنبياء وأخبار الحوادث المستقبلة .

١٥٢ ﴿فاذكروني﴾ بالعبادة كما طلبت منكم ﴿أذكركم﴾ أجازكم . وفي الحديث عن الله : «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه» ومعنى الملأ اشراف الناس وعظماؤهم ، الذين يرجع إلى رأيهم ﴿واشكروا لي﴾ نعمتي بالطاعة ﴿ولا تكفرون﴾ بالمعصية ، والشكر لله درجات تبدأ بالاعتراف بفضله والحياء من معصيته ، وتنتهي بالتجرد لشكره في كل حركة بدن ونفعلة لسان وخطر جنان . والكفر هي الغاية التي ينتهي إليها التقصير في الذكر والشكر . وذكر الله عبده هو رفعه إلى الدرجة العليا دنيا وأخرى . وبعد أن انتهى السياق في شأن القبلة وما يتعلق بها من التوجيهات القيمة والتحذيرات الواضحة ، شرع يتكلم فيما يحفظ به هذه العقيدة وهذه الملة الناشئة وكيانها . وذلك لا يمكن الا بالجهاد في سبيل الله ، وهو نفسي وجماعي . فأشار أولا إلى النفسي ، فقال :

١٥٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا﴾ على حفظ أمر القبلة وما يتعلق بها ﴿بالصبر﴾ على الطاعة والبلاء ﴿والصلاة﴾ خصها بالذكر لتكررها وعظمها ، فهي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ﴿ان الله مع الصابرين﴾ بالعون . وثانياً إلى الجماعي ، فقال :

١٥٤ ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله﴾ هم ﴿أموات بل﴾ هم ﴿أحياء﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت لحديث بذلك . ﴿ولكن لا تشعرون﴾ تعلمون ما هم فيه .

١٥٥ ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾ للعدو ﴿والجوع﴾ القحط ﴿ونقص من الأموال﴾ بالهلاك ﴿والانفس﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿والثمرات﴾ بالجوائح . أي : لنختبرنكم فننظر أتصبرون

ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ
ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ

٣١

أم لا ؟ ﴿وبشر الصابرين﴾ على البلاء بعلو الشأن في الدنيا والجنة في الآخرة .

١٥٦ ﴿الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله﴾ ملكاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء ﴿وانا اليه راجعون﴾ في الآخرة فيجازينا . وفي الحديث : «من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف عليه خيراً» ، وفيه أن مصباح النبي ﷺ طفيء فاسترجع ، فقالت عائشة انما هذا مصباح ، فقال : «كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسليه .

١٥٧ ﴿أولئك عليهم صلوات﴾ فنون الرأفة الفائضة ﴿من ربهم ورحمة﴾ نعمة ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ إلى الصواب حيث سلموا لقضاء الله تعالى .

ثم بدأ في بيان شعائر الدين الاسلامي الحنيف ، الذي كان له أصل بدين ابراهيم واسماعيل ، اللذين أراهما الله مناسكهما وأقاماها وطهرا البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود . ثم تعاقب الدهر ، فغير الدين ودخلت الوثنية في شعائره حتى لا يعرف الحق من الباطل ، فلا بد اذا من اثبات ما هو ثابت وازالة الباطل ، ويجعل ذلك أساساً ويبني عليه ، فقال :

١٥٨ ﴿ان الصفا والمروة﴾ جبلان بمكة ﴿من شعائر الله﴾ أعلام دينه ، جمع شعيرة ، لا من شعار الجاهلية الدخيلة ﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾ أي تلبس بالحج أو العمرة ، وأصلهما القصد والزيارة . وفي هذا اثبات للحج وللعمرة في الاسلام ﴿فلا جناح﴾ اثم ﴿عليه أن يطوف﴾ فيه ادغام «التاء» في الأصل في «الطاء» ﴿بهما﴾ بأن يسعى بينهما سبعاً . وفيه بيان لما كرهه المسلمون ظناً منهم أن ذلك من أمر الجاهلية ، لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما . وعن ابن عباس : ان السعي غير فرض لما أفاده رفع الاثم من التخيير وقال مالك وغيره : ركن . وبين ﷺ فرضيته بقوله : «اسعوا فان الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره . وقال : «ابدأ بما بدأ الله به» يعني الصفا رواه مسلم . ﴿ومن تطوع﴾ في قراءة بالتحتية وتشديد «الطاء» مجزوماً ، وفيه ادغام «التاء» فيها ﴿خيراً﴾ أي بخير ، أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فان الله شاكر﴾ لعمله بالاثابة عليه ﴿عليم﴾ به . واذا كان الله تبارك وتعالى يشكر عبده الذي أطاع أمره وتطوع بخير فيه ؛ فماذا ينبغي أن يصنع العبد لربه الذي خلقه وسواه ، وأطعمه وسقاه ، وأرشده إلى سبيل يوصله إلى سعادته والعاقبة المرضية ؟ فهناك مجال لا يمكن تصويره ، اللهم لك الفضل والمنة لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . ثم ان الأمة لا يستقيم أمرها الا اذا كان أولو أمرها مستقيمين على سواء السبيل ، وأولو أمرها هم علماؤها وهداتها وحكامها ، فاذا استقاموا فقد استقامت الأمة ، واذا انحرفوا وكتموا الحق انحرفت الأمة وضاعت . قال تعالى :

١٥٩ ﴿ان الذين يكتمون﴾ الناس ﴿ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿من بعدما بيناه للناس في الكتاب﴾ التوراة أو الانجيل أو القرآن ﴿أولئك يلعنهم الله﴾ يبعدهم من رحمته ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء ، بالدعاء عليهم باللعنة .

١٦٠ ﴿الا الذين تابوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وأصلحوا﴾ عملهم ﴿وبينوا﴾ ما كتموا ﴿فأولئك أتوب عليهم﴾ أقبل توبتهم ﴿وأنا التواب الرحيم﴾ بالمؤمنين بعد الكفر ، أو المبينين بعد الكتمان .

١٦١ ﴿ان الذين كفروا﴾ بالكتمان ﴿وماتوا وهم كفار﴾ مستمرون على الكتمان ، حال ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة . و «الناس» : قيل : عام ، وقيل : المؤمنون .

١٦٢ ﴿خالدين فيها﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ طرفة عين ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة .

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ
اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا
مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ
كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً

٣٢

بعد أن أنهى الكلام على النهي عن كتمان أحكام الله التي بينها العبادة ضمناً ، وبعد الحملة الشديدة على العلماء الكاتمين وترغيبهم في المتاب والتبيين ، ذكر من يتولى انشاء تلك الأحكام وهو الاله : فقال :

١٦٣ ﴿والهكم﴾ المستحق العبادة منكم بأن تمتثلوا أوامره وتنتهوا عن نواهيه ﴿إله واحد﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لا اله الا هو﴾ تقرير لوحدانيته ، هو ﴿الرحمن الرحيم﴾ المتصف بالرحمانية العامة والرحيمية الخاصة .

ثم ذكر الأدلة الدالة على وجوده وكمال قدرته ، فقال :

١٦٤ ﴿ان في خلق السموات والأرض﴾ وما فيهما من العجائب ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿والفلك﴾ السفن ﴿التي تجري في البحر﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بما ينفع الناس﴾ من التجارة والحمل ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ مطر ﴿فأحيا به الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يبسها ﴿وبث﴾ فرق ونشر به ﴿فيها من كل دابة﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وتصريف الرياح﴾ تقليبها جنوباً وشمالاً ، حارة وباردة ﴿والسحاب﴾ الغيم ﴿المسخر﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿بين السماء والأرض﴾ بلا علاقة ﴿لآيات﴾ دالات على وحدانيته واتصافه بقدرة وارادة وعلم وحياة وباقي صفات الكمال ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون .

١٦٥ ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله﴾ غيره بعد ثبوت الأدلة ﴿أنداداً﴾ أصناماً أو كل معبود غير الله . اتخذوها آلهة ورجوا منها الضر والنفع ، وقربوا لها القرابين والكهان الذين اتخذوهم أرباباً واخترعوا أحكاماً بالتحليل والتحريم وغيرها فحسبوهم أمثالاً لله ، بظنونهم الفاسدة ﴿يحبونهم﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كحب الله﴾ أي كحبهم له ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ من حبهم للأنداد لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما . والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿ولو ترى﴾ تبصر يا محمد ﴿الذين ظلموا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿اذ يرون﴾ بالبناء للفاعل وقرىء بالمفعول ، يبصرون ﴿العذاب﴾ لرأيت أمراً عظيماً و «اذ» بمعنى «اذا» ﴿أن﴾ لأن ﴿القوة﴾ القدرة والغلبة ﴿لله جميعاً﴾ حال ﴿وان الله شديد العذاب﴾ وفي قراءة «يرى» بالتحتانية ، والفاعل ضمير السامع . وقيل : الذين ظلموا . فهي بمعنى «يعلم» و «أن» وما بعدها سدت مسد المفعولين . وجواب «لو» محذوف . والمعنى : لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أنداداً .

١٦٦ ﴿اذ﴾ بدل من «اذ» قبله ﴿تبرأ الذين اتبعوا﴾ أي الرؤساء الذين اتخذوا أنداداً يحللون ويحرمون ﴿من الذين اتبعوا﴾ أي الأتباع ، أنكروا اضلالهم وقالوا: ما أضللناكم ، كما في الفرقان عند قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون الآية» ﴿و﴾ قد ﴿رأوا العذاب وتقطعت﴾ عطف على «تبرأ» ﴿بهم الأسباب﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا . فيعترف الرؤساء ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم إليه من فنون الكفر والضلال ، واعتزلوا عن مخالطة الأتباع وقابلوهم باللعن كقول ابليس «اني كفرت بما أشركتمون من قبل» .

١٦٧ ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فنتبرأ منهم﴾ أي المتبوعين ﴿كما تبرؤا منا﴾ اليوم . و «لو» للتمني و «نتبرأ» جوابه . ﴿كذلك﴾ أي كما أراهم شدة عذابه وتبرؤا بعضهم من بعض ﴿يريهم الله أعمالهم﴾ السيئة ﴿حسرات﴾ حال ، أي ندامات ﴿عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ بعد دخولها .

وبعد أن ذكر أنه لا اله يعبد ويحلل ويحرم ويأمر وينهى إلا الله ، وأن من اتبع غير الله في ذلك فسيكون عمله خسارة وندامة عليه ، أردف بما ينقض أحكام الجاهلية التي ليست على هدى من تحليل أو تحريم ، مثل السوائب والبحائر والوصائل والحوامي وغيرها ، فقال :

صم بكم عمي فهم لا يعقلون (١٧١) يا أيها الذين آمنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه
تعبدون (١٧٢) إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (١٧٣) إن الذين
يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا
قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم
الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (١٧٤)
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة
فما أصبرهم على النار (١٧٥) ذلك بأن الله نزل الكتاب
بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق
بعيد (١٧٦) * ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق

١٦٨ ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾ صفة مؤكدة : أو مستلذاً ﴿ولا تتبعوا خطوات﴾ طرق ﴿الشيطان﴾ أي تزيينه ﴿انه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة .

١٦٩ ﴿انما يأمركم بالسوء﴾ بالاثم من تحليل أو تحريم بالهوى ﴿والفحشاء﴾ القبيح شرعاً ، ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ كالمذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ، ولم ترد عن رسول الله ﷺ .

ثم ذكر من أحوال الناس العامة الصمود على الباطل الموروث عن الآباء ، بدون التفات إلى دليل ، فقال تعالى :

١٧٠ ﴿وإذا قيل لهم﴾ الناس الا من هداه الله : ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ من التوحيد والأحكام الشرعية . ﴿قالوا﴾ : لا نتبع ما أنزل الله ﴿ بل نتبع ما ألفينا﴾ وجدنا ﴿عليه آباءنا﴾ من عبادة الأصنام واتباع العادات الموروثة عن الآباء والأجداد ، وتحريم السوائب والبحائر . قال تعالى : ﴿أ﴾ يتبعوهم ﴿و لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً﴾ من أمر الدين ﴿ولا يهتدون﴾ إلى الحق ؟ والهمزة للانكار لاتباع آبائهم في كل حال حتى في الحالة التي لا تناسب أن يتبعوهم فيها وهي تلبسهم بعدم العقل والهداية . ثم ذكر أن هذا الجمود على الباطل كفر .

١٧١ ﴿ومثل﴾ صفة ﴿الذين كفروا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كمثل الذي ينعق﴾ يصوت ﴿بما لا يسمع الا دعاء ونداء﴾ هما بمعنى : سوغ العطف اختلاف اللفظ ، أي صوتاً ولا يفهم معناه ؛ أي هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه . هم ﴿صم بكم عمي﴾ أي لا يسمعون الحق ولا ينطقون به ولا يرونه . ونتيجة ذلك ﴿فهم لا يعقلون﴾ أي : ليس لهم عقل فلا يمكن أن يعاملوا بشيء ، اذ ليس لهم من أسباب الفهم والافهام شيء .

وفيما يأتي بيان ما أحل لهذه الأمة المسلمة وما حرم عليها من المطعومات . وتنبيه أن العبادة لا تقبل الا بعد تقديم أكل الحلال ، الا في حال الضرورات قد رخص فيها بقدر الحال . قال تعالى :

١٧٢ - ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات﴾ حلالات ﴿ما رزقناكم واشكروا لله﴾ على ما أحل لكم . وشكره عبادته بما يجب مما أنزل على رسوله ، ومن ذلك أكل الحلال وهو مقدم على غيره في العمل والاستعمال ﴿ان كنتم اياه تعبدون﴾ أي قدموا أكل الحلال على غيره من العبادات ان أردتم أن تخصصوا الله بعبادتكم له .
ولما كانت الحلالات كثيرة لا يمكن حصرها الا بمشقة . ذكر أنواع المحرمات لقلتها ، وترك المجال للعقل في معرفة الحلال ، فقال :

١٧٣ ﴿انما حرم عليكم الميتة﴾ أي أكلها ، اذ الكلام فيه . وكذا ما بعدها وهي ما لم يذك شرعاً ، وألحق بها بالسنة ما أبين من حي ، وخص منها السمك والجراد في خبر «أحلت لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد والكبد والطحال» رواه ابن ماجة والحاكم . ﴿والدم﴾ أي المسفوح ، كما في الأنعام ﴿ولحم الخنزير﴾ خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له ﴿وما أهل به لغير الله﴾ أي ذبح على اسم غيره . والاهلال : رفع الصوت ، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم . ﴿فمن اضطر﴾ أي الجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله ﴿غير باغ﴾ خارجاً عن المسلمين ، نصب على الحال ، وصاحبها الضمير في فعل محذوف تقديره «فأكل» اذ هو قيد في الأكل ﴿ولا عاد﴾ متعد على المسلمين بقطع الطريق ﴿فلا اثم عليه﴾ في أكله ﴿ان الله غفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك . وخرج الباغي والعادي ، ويلحق بهما كل عاص بسفره كالعاق والآبق ، فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا ، وعليه مالك . ويجوز أيضا عنده للمصطر أن يأكل الميتة ويشبع ويتزود واذا استغنى عنها طرحها .

ثم يحمل السياق فيما يأتي على علماء السوء الذين يكتمون أحكام الله الشرعية لغرضهم الدنيوي ، فقال :

١٧٤ ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ القرآن من الأحكام ﴿ويشترون به ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم ، فلا يظهرونه خوف فوته عليهم ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ لأنها مآلهم ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ غضباً عليهم ﴿ولا يزكيهم﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم هو النار .

١٧٥ ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أخذوها بدلها في الدنيا ﴿والعذاب بالمغفرة﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أي ما أشد صبرهم ، وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة والا فأي صبر لهم ؟

١٧٦ ﴿ذلك﴾ الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الله نزل الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ متعلق «بنزل» ، فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ﴿وان الذين اختلفوا في الكتاب﴾ القرآن بذلك فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كهانة ﴿لفي شقاق﴾ خلاف ﴿بعيد﴾ عن الحق .

هنا نصف السورة . فالنصف الأول متعلق بالدعوة إلى الدين والثاني بالأحكام الفرعية فبدأ ينبه الى أن الاسلام حياة بأكملها ولا يقتصر على بعض شعائر الدين ، فقال :

١٧٧ ﴿ليس البر﴾ خبر مقدم ، وقرئ بالرفع مبتدأ ، والخبر أو المبتدأ أي ليس الاسلام ﴿أن تولوا وجوهكم﴾ في الصلاة ﴿قبل المشرق والمغرب﴾ للقبلة ﴿ولكن البر﴾ أي ذا البر ، وقرىء بفتح الباء وزيادة الألف أي : البار ، أي المسلم أو الاسلام ﴿من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب﴾ أي جميع الكتب السماوية ؛ أو العمل بجميع ما في الكتاب بدون تحريف ﴿والنبيين﴾ هذا فيما يتعلق بالايمان ويدخل الايمان بالقدر في الايمان بالله ﴿وآتى المال على﴾ مع ﴿حبه﴾ له ﴿ذوي القربى﴾ القرابة ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ المسافر ﴿والسائلين﴾ الطالبين ﴿وفي﴾ فك ﴿الرقاب﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ المفروضة وما قبله في التطوع ﴿والموفون بعهدهم اذا عاهدوا﴾ الله أو الناس ﴿والصابرين﴾ نصب على المدح ﴿في البأساء﴾ شدة الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وحين البأس﴾ وقت شدة القتال في سبيل الله . وهذا في الاعمال والعقود . ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الذين صدقوا﴾ في ادعاء البر أي الاسلام ﴿وأولئك هم المتقون﴾ الله . وقد ذكر الاسلام في هذه الآية جملة وما يأتي تفصيل له إلى آخر السورة .

وبدأ في التفصيل بحكم القصاص . اذ به ينتظم نظام الأمة ويأمن أفرادها ويتقوى بناء المجتمع . فقال تعالى :

وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ
فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ
فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ
حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ

١٧٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ فرض ﴿عليكم القصاص﴾ المماثلة ﴿في القتلى﴾ وصفاً وفعلاً ﴿الحر﴾ يقتل ﴿بالحر﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ وبينت السنة أن الذكر يقتل بها ؛ وأنه تعتبر المماثلة في الدين . فلا يقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حراً ﴿فمن عفي له﴾ من القاتلين ﴿من﴾ دم ﴿أخيه﴾ المقتول ﴿شيء﴾ بأن ترك القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة . وفي ذكر «أخيه» تعطف داع إلى العفو وايذان بأن القتل لا يقطع أخوة الايمان . و «من» مبتدأ شرطية أو موصولة ؛ والخبر ﴿فاتباع﴾ أي فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بالمعروف﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف . وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما ، وهو أحد قولي الشافعي ، والثاني : الواجب القصاص والدية بدل عنه ؛ فلو عفا ولم يسمها فلا شيء عليه . وعليه مالك ورجح . ﴿و﴾ على القاتل ﴿أداء﴾ الدية ﴿اليه﴾ أي العافي وهو الوارث ﴿باحسان﴾ بلا مطل ولا بخس . ﴿ذلك﴾ الحكم المذكور ، من جواز القصاص والعفو عنه على غير دية أو عليها ؛ ﴿تخفيف﴾ تسهيل ﴿من ربكم﴾ عليكم ﴿ورحمة﴾ بكم حيث وسع في ذلك ؛ ولم يحتم واحدا منهما كما حتم

إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ

على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية . ﴿فمن اعتدى﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿بعد ذلك﴾ أي العفو ﴿فله عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة أو الدنيا بالقتل .

١٧٩ ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أي بقاء عظيم ، أي في هذا الجنس نوع من الحياة عظيم لا يبلغه الوصف ؛ لأن فيه سلامة من القتل ﴿يا أولي الألباب﴾ ذوي العقول ؛ لأن القاتل اذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله . فشرع ﴿لعلكم تتقون﴾ القتل مخافة القود .

وبعد بيان حكم القصاص ، ذكر تعالى الوصية في المال وحكمها . لأن المال اذا لم ينتظم في الأفراد فلا ينتظم نظام الأمة ؛ فقال :

١٨٠ ﴿كتب﴾ فرض ﴿عليكم اذا حضر أحدكم الموت﴾ أي أسبابه ﴿ان ترك خيراً﴾ مالاً ﴿الوصية﴾ مرفوع «بكتب» . ومتعلق «اذا» ان كانت ظرفية ؛ ودال على جوابها ان كانت شرطية . وجواب «ان» أي فليوص ﴿للوالدين والأقربين بالمعروف﴾ «بالعدل» : بأن لا يعطي بعضاً ويمنع بعضاً آخر . ولا يفضل الغني أو الكبير ﴿حقاً﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿على المتقين﴾ الله . وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث : «لا وصية لوارث» رواه الترمذي .

١٨١ ﴿فمن بدله﴾ أي الايصاء ، من شاهد أو وصي ﴿بعد ما سمعه﴾ علمه ﴿فانما إثمه﴾ أي الايصاء البدل ﴿على الذين يبدلونه﴾ فيه اقامة الظاهر مقام المضمر ﴿ان الله سميع﴾ لقول الموصي ﴿عليم﴾ بحال الوصي فمجاز عليه .

١٨٢ ﴿فمن خاف من موص﴾ مخففاً ومثقلاً ﴿جنفاً﴾ ميلاً عن الحق خطأً ﴿أو اثماً﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة أو تخصيص غني مثلاً ﴿فأصلح بينهم﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فلا اثم عليه﴾ في ذلك ﴿ان الله غفور رحيم﴾ للمؤمنين فيما أخطأوا فيه بنية الاصلاح .

ثم شرع تعالى في بيان أحكام أنواع العبادة البدنية ، وقدم فيما يأتي الصوم وهو عبادة فردية في الشخص وعامة في جميع الشرائع السماوية ، فانه يكسر الشهوة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» فالباءة مؤن النكاح ، والوجاء أي قاطع للشهوة . قال تعالى :

١٨٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ فرض ﴿عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ من الأمم والأنبياء من لدن آدم إلى عهدكم ﴿لعلكم تتقون﴾ المعاصي ؛ فانه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها .

١٨٤ ﴿أياماً﴾ نصب بالصيام أو بصومون مقدراً ﴿معدودات﴾ أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم ، وهي رمضان كما سيأتي . وقلله تسهيلاً على المكلفين ﴿فمن كان منكم﴾ حين شهوده ﴿مريضاً أو على سفر﴾ أي مسافراً سفر القصر وأجهده الصوم في الحالين فأفطر ﴿فعدة﴾ فعليه ما أفطر ﴿من أيام أخر﴾ يصومها بدلها ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ يفعلونه بمشقة كالحامل والمرضع ﴿فدية﴾ هي ﴿طعام مسكين﴾ أي قدر ما يأكله في يومه ، وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم . وفي قراءة باضافة «فدية» وهي للبيان ، وكانوا مخيرين بين الصوم بالمشقة والافطار والفدية مع القضاء ﴿فمن تطوع خيراً﴾ بزيادة الصوم غير الفرض الذي كتب عليكم ، من الصيام النافلة كما بينتها السنة ﴿فهو﴾ أي التطوع ﴿خير له وأن تصوموا﴾ مبتدأ خبره ﴿خير لكم﴾ من الافطار والفدية في حق الذين يطيقونه ؛ أو التطوع الواجب خير لكم لما فيه من كسر الشهوة ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم فافعلوه . وأما الذين لا يستطيعون الصوم البتة لكبر أو مرض لا يرجى برؤه فلا سبيل لهم للصوم ويندب في حقهم الفدية فقط . ثم بين الأيام المعدودات بقوله :

١٨٥ ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ من اللوح المحفوظ

ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟
ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ
ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ
فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

٣٦

إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، فيه ﴿هدى﴾ حال ، هادياً من الضلالة ﴿للناس وبينات﴾ آيات واضحات ﴿من الهدى﴾ مما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿و﴾ من ﴿الفرقان﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فمن شهد﴾ حضر وهو صحيح بدليل ما يأتي ﴿منكم الشهر فليصمه﴾ أي أمر بوجوب الصوم عليه ، وبينت السنة أن أول الشهر يثبت برؤية العدلين أو جماعة مستفيضة للهلال ، أو بكمال شعبان ثلاثين . ويجب الصوم على من وصل إليه الخبر بذلك ولا يراعى في ذلك مطالع النجوم . وبلاد الاسلام كلها واحدة . ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ تقدم مثله ، وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر ، ولكون ذلك في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم ، عطف عليه ﴿ولتكملوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿العدة﴾ أي عدة صوم رمضان ﴿ولتكبروا الله﴾ عند اكمالها ﴿على ما هداكم﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على ذلك .

ولما كان شهر رمضان شهر الصوم وشهراً مباركاً يرجى فيه اجابة الدعاء ، ذكر الله تبارك وتعالى جوابه على سؤال جماعة النبي ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ ؛ فقال تعالى :

١٨٦ ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ اذا أرادوا أن يسألوني ﴿فاني﴾ أي الله ﴿قريب﴾ منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أجيب دعوة الداع اذا دعان﴾ بانالته ما سأل ﴿فليستجيبوا لي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وليؤمنوا﴾ يدوموا على الايمان ﴿بي لعلهم يرشدون﴾ يهتدون ، والرشد هو الصلاح وهو خلاف الغي والضلال .

ثم رجع بنا السياق إلى الكلام على الصوم وتمام أحكامه ، فقال :

١٨٧ ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث﴾ بمعنى الافضاء ﴿إلى نسائكم﴾ بالجماع ، وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد صلاة العشاء ، أو بعد الرقاد . فكانوا اذا صلوها أو ناموا ولو قبل وقتها حرم عليهم كل من الثلاثة إلى الليلة الأخرى ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون﴾ تخونون ﴿أنفسكم﴾ بحملها ما لا تستطيع من ترك ، ابتغاء لمرضاة الله ﴿فتاب عليكم﴾ أي رجع بكم إلى اليسر والتخفيف بعد التجربة ﴿وعفا عنكم﴾ فيما أخطأتم به من ذلك ، وقع لعمر وغيره واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فالآن﴾ اذ أحل لكم ﴿باشروهن﴾ جامعوهن ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا ﴿ما كتب الله لكم﴾ أي أباحه من الجماع أو قدره من الولد ﴿وكلوا واشربوا﴾ الليل كله ﴿حتى يتبين﴾ يظهر ﴿لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ أي الصادق ، بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف ، أي من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثم أتموا الصيام﴾ من الفجر ﴿إلى الليل﴾ أي إلى دخوله بغروب الشمس .

ولما كان الاعتكاف ، وهو من أعمال الخير لمن يتطوع به ، يشارك الصوم في غالب أحكامه ، ألحقه في القرآن بالصوم اذ هو جزء منه ، وبين حكمه في هذه الآية الآتية بتحريم الجماع على المعتكف ليلا ونهارا فقال تعالى : ﴿ولا تباشروهن﴾ أي نساءكم ﴿وأنتم عاكفون﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿في المساجد﴾ متعلق «بعاكفون» فهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ، وأما المباشرة المنهي عنها فأعم من أن تكون في المسجد أو خارجه لعذر لا يقطع الاعتكاف .

ثم عقب تعالى بعد تفصيل أحكام الصوم ، وما تعلق به من ذكر الدعاء والاعتكاف : فقال : ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة ﴿حدود الله﴾ حدها لعباده ليقفوا عندها ﴿فلا تقربوها﴾ أبلغ من «لا تعتدوها» المعبر به في آية أخرى ، لأن نهي القرب أشد من نهي التعدي . ﴿كذلك﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يبين الله آياته للناس

ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم
بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا
مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ
وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾
وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ
وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ
فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾
فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ

٣٧

لعلهم يتقون﴾ محارمه . والقاعدة ان الأحكام اذا كانت نواهي يقال فيها : «لا تقربوها» على حد «ولا تقربوا الزنا» «ولا تقربوا مال اليتيم» وهكذا .. وان كانت أوامر يقال فيها : «لا تعتدوها» أي لا تجاوزوها .

ولما كان النهي عن أكل أموال الناس بعضهم من بعض كفا عن شيء ، مثل كف الصائم عن المفطرات ، اتبعه به فقال تعالى :

١٨٨ ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بالباطل﴾ الحرام شرعاً كالسرقة والغصب ﴿و﴾ لا ﴿تدلوا﴾ تلقوا ﴿بها﴾ أي بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إلى الحكام لتأكلوا﴾ بالتحاكم ﴿فريقاً﴾ طائفة ﴿من أموال الناس﴾ متلبسين ﴿بالاثم وأنتم تعلمون﴾ أنكم مبطلون . فمن هذا يعلم أن حكم الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، انما هو ملزم في الظاهر وأثمه على المحتال فيه .

ثم انتقل السياق إلى بيان أحوال الناس بعد اعتناق الاسلام ، فانهم يأتون بأسئلة ترشدهم في حياتهم الجديدة ، وربما سألوا سؤالا ما وصلوا إلى مقام فهمه فلا يستفيدون الفائدة المقصودة ، فبدأ تعالى بتوجيه وجيه انه اذا أراد سائل أن يسأل فليسأل سؤالاً ينفعه ويستفيد به في دينه أو في دنياه ، فقال :

١٨٩ ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿عن الأهلة﴾ جمع هلال ، لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلئ نوراً ، ثم تعود كما بدت ، ولا تكون على حال واحدة كالشمس ؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿هي مواقيت﴾ جمع ميقات ﴿للناس﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم وأفطارهم ﴿والحج﴾ عطف على الناس ، أي يعلم بها وقته ؛ فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك . هذا من جواب السائل بغير ما سأل عنه تنبيها على أن الأولى لهم أن يسألوا عن هذا المجاب به ، لانه هو الذي يعنيهم اذ السؤال عن سبب اختلاف القمر في ذاته ، فأجيبوا ببيان الفائدة اشارة إلى أن الذي ينبغي أن يسأل عنه ، لأنه من الأحكام الظاهرة التي شأن الرسول التصدي لبيانها . وأما سبب اختلافه فهو من قبيل المغيبات لا غرض للمكلف في معرفتها . فائدة : كل ما جاء سؤالاً في القرآن أجيب عنه بقل بلا فاء فانه يدل على الحال ووقوع السؤال . وما أجيب بالفاء في طه فهو للمستقبل ، أي ان سئلت فقل . فائدة أخرى : الفرق بين الوقت وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها ، والزمان مدة منقسمة إلى الماضي والحال والمستقبل ، والوقت : الزمان المفروض لأمر مثل وقت الظهر .

تقدم أن هذه الأمة على ملة ابراهيم ، الذي أمر ببناء البيت وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود . ومن تطهيره ازالة الزوائد العملية والاعتقادية التي زادتها الجاهلية في الحج والعمرة . منها أن الرجل إذا أحرم بحج أو عمرة لم يحل بينه وبين السماء شيء ؛ فان كان من أهل المدن نقب في ظهر بيته نقباً يدخل منه أو يتخذ سلماً ليصعد ، وان كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ، واذا عرضت له حاجة لا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب مخافة أن يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقف في صحن الدار فيأمر بحاجته . قال تعالى : ﴿وليس البر﴾ بالرفع فقط ليمين الخبر بما بعده بدخول الباء الزائدة عليه ﴿بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ في الاحرام ، كانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برا ﴿ولكن البر﴾ أي ذا البر ﴿من اتقى﴾ الله بترك مخالفته ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ في الاحرام كغيره ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ تفوزون . وبهذا ربط القلوب بحقيقة ايمانية أصلية هي التقوى ، ربطها برجاء الفلاح المطلق في الدنيا والآخرة ، وأبطل العادة الجاهلية الفارغة من الرصيد الايماني .

إن الحكم يدور مع العلة . ففي ملة ابراهيم تحريم القتال في الحرم المكي وفي الشهر الحرام وفي حال الاحرام بحج أو عمرة ، وربما يستغل هذا الحكم المشركون فيهاجمون المسلمين ويقاتلونهم وهم في غفلة ، فقال الله تعالى :

لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ
إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾
وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ
ٱلْهَدْىِ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ
بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ

١٩٠ ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي لإعلاء دينه لان حفظ الأمن في الأمة المسلمة اعلاء لدين الله . ﴿الذين يقاتلونكم﴾ من الكفار ﴿ولا تعتدو﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿ان الله لا يحب المعتدين﴾ المتجاوزين ما حد لهم ؛ وهذا مختص بقتال قريش .

١٩١ ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وجدتموهم ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ أي مكة . وقد فعل بهم ذلك عام الفتح . ﴿والفتنة﴾ الشرك منهم ﴿أشد﴾ اعظم ﴿من القتل﴾ لهم في الحرم أو الاحرام الذي استعظمتموه ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ أي في الحرم ﴿حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم﴾ فيه ﴿فاقتلوهم﴾ فيه ؛ وفي قراءة بلا «ألف» في الأفعال الثلاثة . ﴿كذلك﴾ القتل والاخراج ﴿جزاء الكافرين﴾ .

١٩٢ ﴿فان انتهوا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فان الله غفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم .

١٩٣ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون﴾ توجد ﴿فتنة﴾ شرك ﴿ويكون الدين﴾ العبادة ﴿لله﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿فان انتهوا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا ﴿فلا عدوان﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿الا على الظالمين﴾ ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه .

١٩٤ ﴿الشهر الحرام﴾ مقابل ﴿بالشهر الحرام﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله ، رد لاستعظام المسلمين ذلك . ﴿والحرمات﴾ جمع حرمة ما يجب احترامه ﴿قصاص﴾ أي يقتص بمثلها اذا انتهكت ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ بالقتال في الحرم أو الاحرام ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿واتقوا الله﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر .

١٩٥ ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ طاعته : أي الجهاد وغيره . أي أمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالنفس ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ أي بأنفسكم : و «الباء» زائدة . ﴿إلى التهلكة﴾ الهلاك بالامساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم ﴿وأحسنوا﴾ اقصدوا الله بالنفقة ﴿ان الله يحب المحسنين﴾ أي يثيبهم .

ثم ذكر بيان أحكام الحج والعمرة فيما يأتي : بعد ذكر الجهاد والانفاق فيه لجامع بينهما لأن المال والصحة والمقدرة اساس فيهما ؛ وقدم ذكرا الجهاد في سبيل الله لأنه ذروة سنام الأمر كما سماه نبي ﷺ اذ الأمة بدون الجهاد لا تحفظ كيانها وواجباتها على انها امة اسلامية . وأما الحج فركن من أركان الاسلام . فقال تعالى :

١٩٦ ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ أدوهما بحقوقهما وأتموهما . وان حصل بهما فساد ، ثم اقضوهما على ما بينه السنة فيهما ﴿فان أحصرتم﴾ منعتم عن اتمامها بعدو ﴿فما استيسر﴾ تيسر ﴿من الهدي﴾ عليكم : وهو شاة ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ أي لا تتحللوا ﴿حتى يبلغ الهدي﴾ المذكى ﴿محله﴾ حيث يحل ذبحه . وهو مكان الاحصار عند المالكية والشافعية . وقيل : في الحرم . وسبب الخلاف : هل الحديبية بحصر النبي ﷺ في الحل أو في الحرم . والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان . فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على المساكين ويحلق . وبه يحصل التحلل ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾ كقمل وصداع فحلق في الاحرام ﴿ففدية﴾ عليه ﴿من صيام﴾ ثلاثة أيام ﴿أو صدقة﴾ على ستة مساكين لكل مسكين مدان من غالب قوت البلد ؛ أي مكة ﴿أو نسك﴾ أي ذبح شاة و «أو» للتخيير ؛ وألحق به من حلق لغير عذر ؛ لأنه أولى بالكفارة ، وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره . ﴿فاذا أمنتم﴾ العدو . بأن ذهب أو لم يكن ﴿فمن تمتع﴾ استمتع ﴿بالعمرة﴾ أي بسبب فراغه منها بمحظورات الاحرام ﴿إلى الحج﴾ أي إلى الاحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فما استيسر﴾ تيسر ﴿من الهدي﴾ عليه : وهو شاة يذبحها بعد الاحرام به . والأفضل يوم النحر ، ويجوز الذبح قبل الاحرام بالحج على القاعدة من أن كل حق مالي تعلق بسببين جاز تقديمه

كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ
الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ
لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ
وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم
مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا
فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ

٣٩

على ثانيهما . ﴿فمن لم يجد﴾ الهدي لفقده أو فقد ثمنه ﴿فصيام﴾ أي فعليه صيام ﴿ثلاثة أيام في الحج﴾ أي في حال الاحرام به . فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذي الحجة ، والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ، ويجوز صومها أيام التشريق . وعند الشافعي لا يجوز صومها فيها على أصح قوليه ولا يجوز صوم شيء منها يوم النحر اتفاقاً ﴿وسبعة اذا رجعتم﴾ إلى وطنكم مكة أو غيرها ، وقيل اذا فرغتم من أعمال الحج ، وفيه التفات عن الغيبة . ﴿تلك عشرة كاملة﴾ جملة تأكيد لما قبلها ﴿ذلك﴾ الحكم المذكور ، من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ، ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ بأن لم يكونوا على دون مكان يبدأ فيه المسافر القصر من مكة و «ذو طوى» عند المالكية ، أو مكان دون مسافة مرحلتين من الحرم عند الشافعي . فان كان فلا دم عليه ولا صيام وان تمتع ، وفي ذكر الأهل اشعار باشتراط الاستيطان ، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك ، وهو أحد وجهين عند الشافعي ؛ والثاني : لا . والأهل كناية عن النفس . وقال الطبري : والمراد الزوجة والأولاد الذين تحت حجره دون الآباء والأخوة . وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة : القارن، وهو من أحرم بالعمرة والحج معاً ، أو يدخل الحج عليها قبل الطواف أو قبل ركعتيه . ﴿واتقوا الله﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿واعلموا ان الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه .

١٩٧ ﴿الحج﴾ وقته ﴿أشهر معلومات﴾ شوال وذو القعدة وعشرة ليال من ذي الحجة ، وقيل كله ﴿فمن فرض﴾ على نفسه ﴿فيهن الحج﴾ بالاحرام ﴿فلا رفث﴾ جماع فيه ﴿ولا فسوق﴾ معاص ﴿ولا جدال﴾ خصام ﴿في الحج﴾ وفي قراءة بفتح الأولين ، والمراد في الثلاثة النهي . ﴿وما تفعلوا من خير﴾ كصدقة ﴿يعلمه الله﴾ فيجازيكم به . فهو حث على فعل الخير عقب النهي عن الشر ، وهو ان يستعمل مكان الرفث الكلام الحسن ، ومكان الفسوق البر والتقوى ، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الحميدة . ثم ذكر الله سبحانه وتعالى ان الحج لا يجب الا على المستطيع من جهة صحته ، وله ركوبه اذا عجز عن المشي ، والزاد الذي يوصل الى مكة . وكان أهل اليمن يحجون بلا زاد فيكونون كلا على الناس ، فأمروا بأخذه أمراً عاماً ، فقال : ﴿وتزودوا﴾ ما يبلغكم لسفركم ، وليس المقصود بالزاد المال فقط ، بل هو عام . ﴿فان خير الزاد التقوى﴾ اتباع جميع المأمورات ما أمكن وترك المنهيات ﴿واتقون يا أولي الألباب﴾ ذوي العقول .

١٩٨ ﴿ليس عليكم جناح﴾ في ﴿أن تبتغوا﴾ تطلبوا ﴿فضلاً﴾ رزقاً ﴿من ربكم﴾ بالتجارة في الحج وهو من فوائد هذا الحج لمصالحكم الدنيوية ﴿فاذا أفضتم﴾ دفعتم ﴿من عرفات﴾ بعد الوقوف بها ﴿فاذكروا الله﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عند المشعر الحرام﴾ هو جبل في آخر المزدلفة ، يقال له «قزح» وفي الحديث «أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً» . رواه مسلم . ﴿واذكروه كما هداكم﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه . «والكاف» للتعليل . ﴿وان كنتم من قبله﴾ قبل هداه ﴿لمن الضالين﴾ .

١٩٩ ﴿ثم أفيضوا﴾ يا قريش ﴿من حيث أفاض الناس﴾ من عرفة بأن تقفوا بها معهم . وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعاً عن الوقوف معهم . ﴿و﴾ «ثم» للترتيب في الذكر ﴿استغفروا الله﴾ من ذنوبكم ﴿ان الله غفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم .

٢٠٠ ﴿فاذا قضيتم﴾ أديتم ﴿مناسككم﴾ عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فاذكروا الله﴾

بالتكبير والثناء ﴿كذكركم آباءكم﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخر ﴿أو أشد ذكرا﴾ من ذكركم اياهم. ونصب «أشد» على الحال من «ذكر» المنصوب «باذكروا»، اذ لو تأخر عنه لكان صفة له. ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا﴾ نصيباً ﴿في الدنيا﴾ فيؤتاه ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ نصيب

٢٠١ ﴿ومنهم من يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ نعمة ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ هي الجنة ﴿وقنا عذاب النار﴾ بعدم دخولها. وهذا بيان لما كان عليه المشركون وحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالثواب عليه بقوله:

٢٠٢ ﴿أولئك لهم نصيب﴾ ثواب ﴿من﴾ أجل ﴿ما كسبوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿والله سريع الحساب﴾ أي يجيب الدعاء ويسرع الحساب. يقال «اعطاني» و«أحسبني» أي أكثر علي الحساب، وهي كناية عن كثرة الجزاء، وعن عدم تأخيره عمن سأل الله الخير في أيام الحج وغيرها، وفيها أسرع لمقارنتها بالعبادة التي فرضها، وقد تقدم مثل ذلك عند الكلام على الصوم.

ومن تمام عمل الحج المقام بمنى يومين أو ثلاثة أيام من يوم النحر، والحجاج في لباسهم العادي وزيهم المعتاد عندهم، ليتميزوا بعد التسوية بالتجرد في لباس الاحرام، فيتعارفوا فيما بينهم. وفي ذلك الحين أمروا وأمر سائر الناس في جميع أقطار الأرض أن يتشاركوا معهم في ذكر الله تلك الأيام، فقال الله مخاطباً للحجاج وغيرهم تبع لهم:

٢٠٣ ﴿واذكروا الله﴾ بالتكبير عند رمي الجمار، وخلف الصلوات المفروضة الخمسة عشر من ظهر يوم النحر، وعلى الأضاحي والهدايا ﴿في أيام معدودات﴾ أي أيام التشريق الثلاثة ﴿فمن تعجل﴾ أي استعجل بالنفر من منى ﴿في يومين﴾ أي في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فلا اثم عليه﴾ بالتعجيل ﴿ومن تأخر﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فلا اثم عليه﴾ بذلك. أي هم مخيرون في ذلك، ونفي الاثم ﴿لمن اتقى﴾ الله في حجه لأنه الحاج في الحقيقة ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون﴾ في الآخرة فيجازيكم باعمالكم فمن عرف يقينا انه يحشر الى الله فلا يخالفه في مأموراته ومنهياته.

وبعد أن بين تعالى بعض الأحكام الدينية والاجتماعية أخذ يذكر الناس مواعظ قيمة ليزيدوا بها تمسكا بدينهم. فقسمهم قسمين في سلوكهم، فمنهم المنافق الذي يظهر الاسلام باللسان ويخفي الكفر والفسق في قلبه، ومنهم المؤمن الخالص في ايمانه يقدم الله ورسوله على شهوات نفسه وهواها. فبدأ تعالى بالنوع الأول فقال:

فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾
۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ
مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

٢٠٤ ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا﴾ اذ يدعي انه مؤمن وأنه محب للنبي ﷺ، ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ أي يحلف بالله أن ما في قلبه موافق لقوله، أو أن يقول: الله يشهد أن ما في قلبي موافق لقولي ﴿و﴾ الحال ﴿هو ألد الخصام﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك، مثل الأخنس بن شريق كان منافقا حلو الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدني مجلسه فاكذبه الله في ذلك، ومر بزرع وحمر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً، كما قال تعالى.

٢٠٥ ﴿واذا تولى﴾ انصرف عنك ﴿سعى﴾ مشى ﴿في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾ من جملة الفساد ﴿والله لا يحب الفساد﴾ أي لا يرضى به.

٢٠٦ ﴿واذا قيل له اتق الله﴾ في فعلك ﴿أخذته العزة﴾ حملته الانفة والحمية على العمل ﴿بالاثم﴾ الذي أمر بتقوى الله فيه ﴿فحسبه﴾ كافيه ﴿جهنم ولبئس المهاد﴾ الفراش هي. ثم ذكر تعالى النوع الثاني وهو المؤمن الصادق في ايمانه، اذ يوافق

بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ
فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ
آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ
النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ

قوله ما في قلبه ، فقال :

٢٠٧ ﴿ومن الناس من يشري﴾ يبيع ﴿نفسه﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿مرضات الله﴾ رضاه ، مثل صهيب لما آذاه المشركون ، هاجر الى المدينة وترك لهم ماله ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه ، وجعل لهم النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع ، ولا يكلف نفساً الا وسعها .

ثم جمع تعالى المسلمين المؤمنين منهم والمنافقين ، وخاطبهم بصفة الايمان التي يدعونها ، فقال :

٢٠٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم﴾ بكسر السين وفتحها ، أي الاسلام ﴿كافة﴾ حال من السلم ، أي في جميع شرائعه ﴿ولا تتبعوا خطوات﴾ طرق ﴿الشيطان﴾ أي تزيينه بالتفريق . نزل في عبد الله بن سلام وأصحابه بعد الاسلام لما عظموا السبت وكرهوا الابل ، واستمروا على تعظيم السبت من ترك العمل فيه . وفي ذلك مخالفة لشرائع الاسلام . ولا يصدق الايمان الا باتباع جميع شرائعه وترك ما سواها ﴿إنه﴾ الشيطان ﴿لكم عدو مبين﴾ بين العداوة .

٢٠٩ ﴿فان زللتم﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿من بعدما جاءتكم البينات﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حكيم﴾ في صنعه .

٢١٠ ﴿هل﴾ ما ﴿ينظرون﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه كافة ﴿الا أن يأتيهم الله﴾ أي أمره ، كقوله : «أو يأتي أمر ربك» أي عذابه ، أو هو حقيقة من المتشابه التي لا ندرك معناها ﴿في ظلل﴾ جمع ظلة ﴿من الغمام﴾ السحاب ﴿والملائكة وقضي الأمر﴾ تم أمر هلاكهم ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ بالبناء للمفعول ، وقرىء للفاعل ، في الآخرة فيجازي .

٢١١ ومن عظم شيئاً خارجاً عن شرائع الاسلام فقد كفر ﴿سل﴾ أيها المسلم ﴿بني اسرائيل﴾ لتعلم ما أصابهم لما بدلوا ما أنزل الله عليهم وعظموا اهواءهم ﴿كم آتيناهم﴾ «كم» استفهامية معلقة «سل» عن المفعول الثاني ، وهي ثاني مفعول «آتينا» ومميزها ﴿من آية بينة﴾ ظاهرة ، كفلق البحر وانزال المن والسلوى ، فبدلوها كفرا ، فكان جزاؤهم عذاباً شديداً دل عليه ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾ أي ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿من بعدما جاءته﴾ كفراً ﴿فان الله شديد العقاب﴾ له .

٢١٢ ﴿زين للذين كفروا﴾ أي حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم ﴿الحيوة الدنيا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿و﴾ هم ﴿يسخرون من الذين آمنوا﴾ لفقرهم كبلال وصهيب اي يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال ﴿والذين اتقوا﴾ الشرك وهم هؤلاء ﴿فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ رزقاً واسعاً في الدنيا ، بأن يملك المسخور منهم اموال الساخرين ورقابهم ، أو في الآخرة فيدخل المسخور منهم الجنة ، والساخرين النار .

ذكر فيما يأتي أصل الناس بالنسبة للعقيدة الاسلامية ، فقال تعالى :

٢١٣ - ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ متفقين على الحق من لدن آدم ، ثم اختلفوا بأن آمن بعضهم وكفر بعض ﴿فبعث الله النبين﴾ اليهم ﴿مبشرين﴾ من آمن بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من كفر بالنار . ﴿وأنزل معهم الكتاب﴾ بمعنى الكتب وأل جنسية وأن العقيدة في جميع الكتب واحدة : لا اله الا الله ﴿بالحق﴾ متعلق بأنزل . والمراد «بالحق» هنا الحكم والفوائد والمصالح ﴿ليحكم﴾ الله به ﴿بين الناس﴾ المختلفين ليرجعوا الى الحق ويتركوا الخلاف بينهم ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ من الدين ﴿وما اختلف فيه﴾ الكتاب أيضاً ﴿الا الذين أوتوه﴾ أي الكتاب ، فآمن بعض به وكفر بعض ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد . و«من» متعلقة «باختلف» وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى . أي

وما اختلف فيه ، من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، الا الذين أوتوه ﴿بغياً﴾ من الكافرين ﴿بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من﴾ للبيان ﴿الحق باذنه﴾ بارادته ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ﴿الى صراط مستقيم﴾ طريق الحق ، الذي يزيل الخلاف بين أهل الحق .

ولما كان الاسلام دين الحق لا يخدع معتنقيه بالدعاوى الكاذبة ، فانه بين من أول الأمر أنه كلفة وتكليف واستعداد للقيام بحمل المشقات، وتصفية النفوس كما يصفى الذهب بالنار والسبك قال تعالى:

٢١٤ ﴿أم﴾ بل أ ﴿حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما﴾ لم ﴿يأتكم مثل﴾ شبه ما أتى ﴿الذين خلوا من قبلكم﴾ من المؤمنين من المحن ، فتصبروا كما صبروا ، أي ما كان ينبغي لكم أن تحسبوا هذا الحسبان ، ولم حسبتموه ؟ والغرض من هذا التوبيخ تشجيعهم على الصبر وحثهم عليه . و«حسب» هنا من أخوات «ظن» تنصب مفعولين فقال تعالى : ﴿مستهم﴾ جملة مستأنفة تبين ما قبلها ﴿البأساء﴾ الفقر الشديد ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وزلزلوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حتى يقول﴾ بالنصب وقرىء بالرفع . أي قال ﴿الرسول والذين آمنوا معه﴾ استبطاء للنصر لتناهي الشدة عليهم ﴿متى﴾ يأتي ﴿نصر الله﴾ الذي وعدناه ؟ فأجيبوا من قبل الله : ﴿ألا ان نصر الله قريب﴾ اتيانه ، أي فاصبروا كما صبروا تظفروا . وفيه اشارة الى أن المراد بالقرب : القرب الزماني .

والمجتمع الاسلامي فيه أقوياء وأغنياء وضعفاء وفقراء يحتاج الضعفاء الى المساعدة من قبل الأقوياء ، ويحثهم الاسلام على تلك المساعدة التطوعية زيادة على الواجبة التي عرف قدرها ، ومن أي جنس من المال تكون ، وأما المساعدة بالتطوع فلا يقيدها النص .

٢١٥ ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿ماذا ينفقون﴾ الذي ينفقونه . والسائل عمرو بن الجموح ، وكان شيخاً ذا مال ، فسأل النبي ﷺ عما ينفق وعلى من ينفق . ﴿قل﴾ لهم : ﴿ما أنفقتم من خير﴾ بيان «لما» شامل للقليل والكثير . وفيه المنفق الذي هو أحد شقي السؤال ، وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله ﴿فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ أي هم أولى به ﴿وما تفعلوا من خير﴾ انفاق أوغيره ﴿فان الله به عليم﴾ فمجاز عليه . ولم يذكر فيها السائلين والرقاب. كما في الآية الأخرى اكتفاء بعموم قوله «وما تنفقوا من خير» فانه شامل لكل خير وقع في أي مصرف . ويفهم من السنة أن النفقة على الوالدين الفقيرين واجبة ، وكذلك على أولاده الصغار الذين لا مال لهم . وما عدا ذلك من جهة القرابة فهو خير وليس بواجب

تقدم أن ذكر كلاماً يتعلق بقتال قريش والانفاق على الجهاد في سبيل الله ، وأن تركه القاء بالنفس الى التهلكة . ثم ذكر هنا

فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي
مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) يَسْأَلُونَكَ
مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ
لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن
تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)

٤٢

حكم قتال الكفار على العموم ، فقال تعالى :

٢١٦ ﴿كتب﴾ فرض ﴿عليكم القتال﴾ للكفار ، أي فرض عين ان دخلوا بلادكم ، وفرض كفاية ان كانوا ببلادهم . ﴿وهو﴾ أي القتال ﴿كره﴾ مكروه ﴿لكم﴾ طبعاً لمشقته . ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ لميل النفس الى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها ، فلعل لكم في القتال وان كرهتموه خيراً ، لأن فيه : اما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر . وفي تركه وان أحببتموه شر لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿والله يعلم﴾ ما هو خير لكم ﴿وانتم لا تعلمون﴾ ذلك .

ولما كان القتال ممنوعاً في الأشهر الحرم على عرف العرب . بل في ملة ابراهيم واسماعيل ، فلا بد من السؤال في الاسلام : هل هي مستمرة أم توقفت ؟ فقال تعالى :

٢١٧ ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ المحرم ﴿قتال فيه﴾ بدل اشتمال . أي عن حكم القتال فيه : هل هو جائز ؟

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ
وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ
أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ
وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ
ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ
ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ
ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

٤٣

﴿قل﴾ لهم ﴿قتال فيه كبير﴾ عظيم وزراً ، مبتدا وخبر ﴿وصد﴾ مبتدأ ، كبير أي منع للناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿وكفر به﴾ بالله ﴿و﴾ صد عن ﴿المسجد الحرام﴾ أي مكة ﴿واخراج أهله منه﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون ، وخبر المبتدأ ﴿أكبر﴾ أعظم وزراً ﴿عند الله﴾ من القتال فيه ﴿والفتنة﴾ الشرك منكم ﴿أكبر من القتل﴾ لكم فيه ، فلا تتحرجوا أيها المسلمون للقتال فيه .

﴿ولا يزالون﴾ أي الكفار ﴿يقاتلونكم حتى﴾ كي ﴿يردوكم عن دينكم﴾ الى الكفر ﴿ان استطاعوا﴾ ردكم الى الكفر ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ الصالحة ﴿في الدنيا والآخرة﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها . والتقييد بالموت عليه – أي الكفر – يفيد أنه لو رجع الى الاسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلاً . وقيل : يعيده وتبين زوجته ، وهو المعتمد . ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

ثم عقب على الكلام على الجهاد فقال :

٢١٨ ﴿ان الذين آمنوا﴾ بما جاء به محمد ﷺ ﴿والذين هاجروا﴾ فارقوا أوطانهم لطلب مرضاة الله ﴿وجاهدوا في سبيل الله﴾ لاعلاء دينه ورتب بين الثلاثة الأصناف على حسب الواقع اذ الايمان أول ثم الهجرة ثم الجهاد ، وأفرد الايمان بموصول وحده لأنه أصل الهجرة والجهاد وهما فرعان منه ، ولذلك جمعهما في موصول واحد ﴿أولئك﴾ أصحاب الأوصاف الثلاثة ﴿يرجون رحمة الله﴾ ثوابه ﴿والله غفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم .

الاسلام الحقيقي يغير العادات القبيحة ويبدلها بحميدة ، أو يميتها شيئاً فشيئاً ولا يفاجئها مفاجئة تنفر الناس في أول وهلة . فالخمر والميسر من العادات القديمة الذميمة ولهما علاقة قوية بالمال والمناولات الاجتماعية وازالتها في يوم غير ممكنة . فالقرآن يعالج الموضوع بحكمة ، فقال :

٢١٩ ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ القمار ، ما حكمهما؟ ﴿قل﴾ لهم : ﴿فيهما﴾ أي في تعاطيهما ﴿اثم كبير﴾ عظيم ، وفي قراءة بالمثلثة ، لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش . ﴿ومنافع للناس﴾ باللذة والفرح في الخمر واصابة المال بلا كد في الميسر . ﴿واثمهما﴾ أي ما ينشأ عنهما من الفساد ﴿أكبر﴾ أعظم ﴿من نفعهما﴾ . ولما سمع الناس هذا الحكم شربها قوم وامتنع آخرون ، الى أن حرمتهما آية المائدة .

ويرجع بالسؤال عن النفقة مرة آخر ، للدلالة على كون الناس على أحوال مختلفة في أول الأمر ، ولبيان أن الصحابة سلموا كل القيادة لله وللنبي ﷺ ، ويسألون أسئلة مختلفة في أوقات متنوعة في شيء واحد ، فقال : ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ أي ما قدره ؟ ﴿قل﴾ لهم : أنفقوا ﴿العفو﴾ أي الفاضل من الحاجة ، ولا تنفقوا ما تحتاجون اليه وتضيعوا انفسكم . وفي قراءة بالرفع بتقدير «هو» . ﴿كذلك﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ .

٢٢٠ ﴿في﴾ أمر ﴿الدنيا والآخرة﴾ فتأخذوا بالأصلح لكم فيهما . ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم ، فان آكلوهم يأثموا وان عزلوا مالهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاما وحدهم فحرج . ﴿قل اصلاح لهم﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خير﴾ من ترك ذلك ﴿وان تخالطوهم﴾ أي تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فاخوانكم﴾ أي فهم اخوانكم في الدين ، ومن شأن الأخ ان يخالط أخاه أي فلكم ذلك . ﴿والله يعلم المفسد﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿من المصلح﴾ بها فيجازي كلاً منهما . ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿ان الله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم﴾ في صنعه يحكم بما تقتضيه الحكمة وتتسع له طاقة البشر ، بأن لا ينالهم حرج وتضييق ، وهو دليل على ما تفيده كلمة لو شاء من انتفاء مقدمها .

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ
لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ
مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا
الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ
وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى
الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى
فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ
فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ

٤٤

ومن الأمور الاجتماعية الضرورية للحاجات الفردية : الزواج والتناكح وما يتعلق بهما من حكم الحيض والنفاس والطلاق وموت أحد الزوجين ، فلا بد في بناء مجتمع جديد من بيان كل هذه الأمور على حسب ما شرعها الله ، فقال تعالى .

٢٢١ ﴿ولا تنكحوا﴾ تتزوجوا أيها المسلمون ﴿المشركات﴾ أي الكافرات من غير أهل الكتاب ﴿حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة﴾ فيه رد على تعييب من تزوج امة وترغيبه في نكاح مشركة حرة ﴿ولو أعجبتكم﴾ لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية «والمحصنات من الذين أتوا الكتاب» ﴿ولا تنكحوا﴾ تزوجوا ﴿المشركين﴾ أي الكفار المؤمنات ﴿حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مُشرك ولو أعجبكم﴾ لماله وجماله ﴿أولئك﴾ أي أهل الشرك ﴿يدعون الى النار﴾ بدعائهم الى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم ﴿والله يدعو﴾ على لسان رسله ﴿الى الجنة والمغفرة﴾ أي العمل الموجب لهما ﴿باذنه﴾ بارادته فتجب اجابته بتزويج أوليائه ﴿ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون .

٢٢٢ ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ أي الحيض ، أو مكانه ، ماذا يفعل بالنساء فيه ﴿قل هو أذى﴾ قذر ، أو محله ، يؤذي من يقربه ﴿فاعتزلوا النساء﴾ اتركوا وطأهن ﴿في المحيض﴾ أي وقته أو مكانه ﴿ولا تقربوهن﴾ بالجماع ﴿حتى يطهرن﴾ بسكون «الطاء» وبتشديدها ، و«الهاء» ، وفيه ادغام «التاء» في الأصل في «الطاء» . أي يغتسلن بعد انقطاعه . ﴿فاذا تطهرن فأتوهن﴾ للجماع ﴿من حيث أمركم الله﴾ بتجنبه في الحيض وهو القبل ، ولا تتعدوه الى غيره . ﴿ان الله يحب﴾ يثيب ويكرم ﴿التوابين﴾ من الذنوب ﴿ويحب المتطهرين﴾ من الأقذار من الاتيان في غير المأتى أو مجامعة الحائض ، أو المتطهرين بالماء من الجنابة والاحداث . وكرر قوله «يحب» دلالة على اختلاف المقتضي للمحبة فتختلف المحبة .

٢٢٣ ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أي محل زرعكم الولد ﴿فأتوا حرثكم﴾ أي محله وهو القبل ﴿أنى﴾ كيف ﴿شئتم﴾ من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار . وهو رد لما يقال في الجاهلية أولقول اليهود «من أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول» . ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ العمل الصالح كالتسمية عند الجماع . ﴿واتقوا الله﴾ في أمره ونهيه ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ بالبعث فيجازيكم بأعمالكم ﴿و بشر المؤمنين﴾ الذين اتقوه بالجنة . واذا كان الله يأمر بتقواه في اتيان شهوة المؤمن وفي الكيفية التي أمره بها ، وواعد بالجنة لمن اتقاه فيه وآمن به ، فكيف لمن ياتي غير ذلك من أمور العبادات الخالصة لها ؟

ومن جملة المعاملات الاجتماعية التي تمس الأفراد : اليمين به . ولا ينبغي للمسلم أن يحلف بالله الا في شيء مهم مما لا بد فيه من الحلف .

٢٢٤ ﴿ولا تجعلوا الله﴾ أي الحلف به ﴿عرضة﴾ علة مانعة ﴿لأيمانكم﴾ أي نصباً لها بان تكثروا الحلف به ولو على أمر صادق وخير ، كأن يحلف المرء على كل خير أراد فعله أن يفعله فهذا مكروه لما فيه من ابتذال اسمه تعالى في كل شيء يحلف عليه قليل أو كثير ، عظيم أو حقير . أوالمقصود النهي عن الحلف ولو مرة واحدة لما فيه بر ومعروف . ﴿أن تبروا وتتقوا﴾ فتكره اليمين على ذلك لما فيه من ابتذال اسمه تعالى ، أو الحلف أن تبروا وتتقوا ، ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ، فلا يحنث بل يفعل المحلوف عليه مع الكراهة في الحلف لما تقدم من ابتذال اسمه تعالى . ﴿وتصلحوا بين الناس﴾ المعنى : لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه اذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا أو لا تحلفوا عليه بل افعلوه بغير تعرض لحلف بالله ﴿والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأحوالكم .

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ
عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ
أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ
عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ
مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

٤٥

٢٢٥ ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو﴾ الكائن ﴿في أيمانكم﴾ وهو أن يحلف على شيء يعرف حصوله حقيقة أو ظنا فيظهر خلافه ويقال عند الشافعي : هو ما يسبق اليه اللسان من غير قصد نحو لا والله ، فلا إثم فيه ولا كفارة ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسب قلوبكم﴾ أي قصدته من الايمان اذا حلفتم اما يمين بر كقولك «ان فعلت» أو حنث «لا فعلت» ، ففيهما الكفارة بالحنث . وأما الغموس بأن يحلف على شيء يعرف خلافه ففيه الاثم ولا كفارة ، ويطلب منه التوبة والاستغفار . ﴿والله غفور﴾ لما كان من اللغو ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها .

ومن نوع اليمين الايلاء من النساء وحكمه .

٢٢٦ ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ أي يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تربص أربعة أشهر فان فاؤا﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين الى الوطء ﴿فان الله غفور﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رحيم﴾ بهم .

٢٢٧ ﴿وان عزموا الطلاق﴾ أي عليه بأن لم يفيئوا فليوقعوه ﴿فان الله سميع﴾ لقولهم ﴿عليم﴾ بعزمهم . المعنى : ليس لهم بعد تربص ما ذكر الا الفيئة أو الطلاق .

ثم تطرق الكلام على الطلاق والمتعلق به ، فقال تعالى :

٢٢٨ ﴿والمطلقات يتربصن﴾ أي لينتظرن ﴿بأنفسهن﴾ عن النكاح ﴿ثلاثة قروء﴾ تمضي من حين الطلاق جمع «قرء» بفتح «القاف» ، وهو الطهر أو الحيض قولان ، والأول عند مالك . وهذا في المدخول بهن ، أما غيرهن فلا عدة عليهن بقوله «فما لكم عليهن من عدة» وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر . والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق . والاماء فعدتهن قرءان بالسنة ، ﴿ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ من الولد أوالحيض ﴿ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفياً واثباتاً ، ولا يقبل قول كتابية في ذلك الا ببينة أو ما ينفي الريبة ﴿وبعولتهن﴾ أزواجهن ﴿أحق بردهن﴾ بمراجعتهن ولو أبين منها ﴿في ذلك﴾ أي في زمن التربص ﴿ان أرادوا اصلاحاً﴾ بينهما لاضرار المرأة . وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة ، وهذا في الطلاق الرجعي . و«أحق» لا تفضيل فيه اذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدة وقرينة هذا قوله الآتي «الطلاق مرتان .. الخ» ﴿ولهن﴾ على الأزواج ﴿مثل الذي﴾ لهم ﴿عليهن﴾ من الحقوق ﴿بالمعروف﴾ شرعاً من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والانفاق ﴿والله عزيز﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ فيما دبره لخلقه .

٢٢٩ ﴿الطلاق﴾ أي التطليق الذي يراجع بعده ﴿مرتان﴾ أي اثنتان . وكان الرجل في الجاهلية اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك ، وان طلقها ألف مرة . وقوله «مرتان» ظاهر في التعاقب وعدم المعية ﴿فامساك﴾ أي فعليكم امساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ شرعاً من غير ضرار ﴿أو تسريح﴾ أي ارسالهن ﴿باحسان ولا يحل لكم﴾ أيها الأزواج ﴿أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ من المهور ﴿شيئاً﴾ اذا طلقتموهن ﴿الا أن يخافا﴾ أي الزوجان ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ أي لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق . وفي قراءة «يخافا» بالبناء للمفعول ، فـ «ألا يقيما» بدل اشتمال من الضمير فيه ، وقرىء بالفوقانية في الفعلين ﴿فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ نفسها من المال ليطلقها ، أي : لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة ﴿حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ .

٢٣٠ ﴿فان طلقها﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فلا تحل له من بعد﴾ الطلقة الثالثة ﴿حتى تنكح﴾ تتزوج ﴿زوجا غيره﴾ ويطأها

دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ
حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا

٤٦

كما في الحديث رواه الشيخان ﴿فان طلقها﴾ الزوج الثاني ﴿فلا جناح عليهما﴾ أي الزوجة والزوج الأول ﴿أن يتراجعا﴾ الى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك﴾ المذكورات ﴿حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ يتدبرون .

٢٣١ ﴿واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ شرعا من غير ضرار ﴿أو سرحوهن بمعروف﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿ولا تمسكوهن﴾ بالرجعة ﴿ضرارا﴾ مفعول له ﴿لتعتدوا﴾ عليهن بالإلجاء الى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ بتعريضها الى عذاب الله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزوا﴾ مهزوءا بها بمخالفتها ﴿واذكروا نعمت الله عليكم﴾ بالاسلام ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يعظكم به﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ لا يخفى عليه شيء .

٢٣٢ ﴿واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ انقضت عدتهن ﴿فلا تعضلوهن﴾ خطاب للأولياء أي تمنعوهن من ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ المطلقين لهن لما حصل من ان أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار ، كما رواه الحاكم ﴿اذا تراضوا﴾ أي الأزواج والنساء ﴿بينهم بالمعروف﴾ شرعا ﴿ذلك﴾ النهي عن العضل ﴿يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذلكم﴾ أي ترك العضل ﴿أزكى﴾ خير ﴿لكم وأطهر﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿والله يعلم﴾ ما فيه المصلحة ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك فاتبعوا أمره .

وذكر فيما يأتي مدة الرضاع وما يتعلق بها في حال الطلاق ، لأن الكلام هنا كله في المطلقات ، فقال تعالى :

٢٣٣ ﴿والوالدات﴾ مطلقات أو غير مطلقات ﴿يرضعن أولادهن﴾ أي . ليرضعنهم . فالارضاع من خصائص الولادة لا من خصائص الزوجية ، ولهذا ورد في الحديث أنها أحق بالولد ما لم تتزوج . ﴿حولين كاملين﴾ أي عامين كاملين صفة مؤكدة ، وفائدتها أعتبار الحولين من غير نقص . والارضاع يكون واجبا ويكون مندوبا ، فالندب عند استجماع ثلاثة شروط : قدرة الأب على الاستئجار ووجود غير الأم وقبول الولد للبن الغير ؛ والوجوب عند فقد واحد منها . ذلك ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ولا زيادة عليه ﴿وعلى المولود له﴾ أي الأب ﴿رزقهن﴾ اطعام الوالدات ﴿وكسوتهن﴾ على الارضاع اذا كن مطلقات من المولود له طلاقا بائنا ، لعدم بقاء علاقة النكاح الموجبة لذلك . وفي الآية دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لعجزه . وأجمع العلماء على أنه يجب على الأب نفقة أولاده الأطفال الذين لا مال لهم ﴿بالمعروف﴾ أي تقدر النفقة بالمعروف شرعا بقدر طاقته ﴿لا تكلف نفس الا وسعها﴾ طاقتها ﴿لا تضار والدة بولدها﴾ بسببه بأن تكره على الارضاع اذا امتنعت ﴿ولا﴾ يضار ﴿مولود له بولده﴾ أي : بسببه بأن يكلف فوق طاقته ، وإضافة الولد الى كل منهما في الموضوعين للاستعطاف ﴿وعلى الوارث﴾ أي وارث الأب وهو الصبي أو على وليه في ماله ﴿مثل ذلك﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فان أرادا﴾ أي الوالدان ﴿فصالا﴾ فطاما له قبل الحولين صادرا ﴿عن تراض﴾ اتفاق ﴿منهما وتشاور﴾ بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه ، والتشاور يدل على تكافؤ الجانبين في ذلك ، جانب الأب وجانب الأم ، فليس لأحدهما نقص عن الحولين أو زيادة عليهما الا برضا الآخر ﴿فلا جناح عليهما﴾ في ذلك ﴿وان أردتم﴾ خطاب للآباء ﴿أن تسترضعوا أولادكم﴾ مراضع غير الوالدات ﴿فلا جناح عليكم﴾ فيه ﴿اذا سلمتم﴾ اليهن ﴿ما آتيتم﴾ أي أردتم ايتاءه لهن من الأجر ﴿بالمعروف﴾ شرعا وعن طيب نفس ﴿واتقوا الله

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ
مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ

واعلموا ان الله بما تعملون بصير﴾ لا يخفى عليه شيء منه واتقوه على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع وفيه المبالغة في الأمر على المحافظة .

ولما انهى الكلام في الطلاق وما تعلق به من العدة والرضاع وحكم كل على التفصيل ، شرع يتكلم على المتوفى عنها زوجها ، فقال تعالى :

٢٣٤ ﴿والذين يتوفون﴾ يموتون ﴿منكم ويذرون﴾ يتركون ﴿أزواجا يتربصن﴾ أي ليتربصن ﴿بأنفسهن﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أربعة أشهر وعشرا﴾ من الليالي ، ولعل الحكمة في تقدير العدة بهذا المقدار أن الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة أشهر وان كان أنثى يتحرك لأربعة ، فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها . وهذا في غير الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق ، والأمة على النصف من ذلك بالسنة ﴿فاذا بلغن أجلهن﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ أيها الأولياء ﴿فيما فعلن في أنفسهن﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿بالمعروف﴾ شرعاً ، واذا تبرجن وبالغن في الزينة فانه يحرم على الأولياء اقرارهن على ذلك ﴿والله بما تعملون خبير﴾ عالم بباطنه كظاهره .

اذا كانت امرأة في عدة طلاق أو وفاة فانه يحرم على رجل أن يخطبها لزواج قبل أن تنقضي عدتها ، ومن عقد زواج امرأة معتدة وتدد بها على ذلك الزواج فانها تحرم عليه أبداً .

٢٣٥ ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم﴾ لوحتم ﴿به من خطبة النساء﴾ المتوف عنهن أزواجهن في العدة كقول الانسان مثلاً : انك لجميلة ، ومن يجد مثلك ؟ ورب راغب فيك ﴿أو أكننتم﴾ أضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ من قصد نكاحهن . ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعرض ﴿ولكن لا تواعدوهن سراً﴾ لا تصرحوا بالخطبة في حال السر أو الجهر على النكاح ﴿الا﴾ لكن ﴿أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ أي ما عرف شرعاً من التعريض فلكم ذلك ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أي على عقده ﴿حتى يبلغ الكتاب﴾ أي المكتوب من العدة ﴿أجله﴾ بأن ينتهي ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم﴾ من العزم وغيره ﴿فاحذروه﴾ أن يعاقبكم اذا عزمتم ﴿واعلموا أن الله غفور﴾ لمن يحذره .﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها ، فلا تستدلوا بتأخيرها على أن ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع .

وفيما يأتي حكم المطلقة قبل الدخول ، وهي حالة جديدة غير حالات الطلاق بالمدخول بهن التي استوفاها من قبل ، وهي حالة كثيرة الوقوع فيبين ما على الزوجين فيها وما لهما ، فقال تعالى :

٢٣٦ ﴿لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ وفي قراءة « تماسوهن » أي تجامعوهن ﴿أو﴾ لم ﴿تفرضوا لهن فريضة﴾ مهراً ، و« ما » مصدرية ظرفية ، أي : لا تبعة عليكم — في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض — باثم . ومن هنا فهم جواز نكاح التفويض ، وهو عقد بتفويض تقدير الصداق له أولها أو لغيرهما ، لا على اسقاط الصداق فلا يجوز لأن المهر ركن من أركان النكاح . فاذا طلقتم النساء في نكاح التفويض قبل الدخول والفرض فلا مهر لهن ﴿ومتعوهن﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿على الموسع﴾ الغني منكم ﴿قدره وعلى المقتر﴾ الضيق الرزق ﴿قدره﴾ . يفيد أنه لا نظر الى قدر الزوجة ، وقيل : ينظر الحاكم الى حالهما جميعاً على أظهر الوجوه ﴿متاعاً﴾ تمتيعاً ﴿بالمعروف﴾ شرعاً صفة « متاعاً » ﴿حقاً﴾ صفة ثانية ، أو مصدر مؤكد . ﴿على المحسنين﴾ المطيعين . وهذا يدل على عدم وجوب التمتع على المطلق في هذه الحالة .

٢٣٧ ﴿وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿الا﴾ لكن ﴿أن يعفون﴾ أي الزوجات فيتركنه بلا تنصيف

فيسقط الكل ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ وهو الزوج فيترك لها الكل . وعن ابن عباس الولي اذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وان تعفوا﴾ مبتدأ ، خبره ﴿أقرب للتقوى﴾ اي عفو الزوج مستحب ، اذ التقوى امتثال أمر الله . لأن الخطاب للأزواج ، وقيل : للجانبين ، وفيه تغليب للرجال . ولكن لا يدخل هنا ولي المحجور فاسقاطه ليس بمستحب . ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ أي أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿ان الله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به .

الموضوع هنا الحكم على تضاعيف مسائل النكاح ومشاكل الأزواج والأولاد ، فربما تؤدي هذه الحالة الى الاشتغال عن الصلاة فمناسبة ذلك قال تعالى :

٢٣٨. ﴿حافظوا على الصلوات﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها كاملة الأركان والشروط ﴿والصلاة الوسطى﴾ الفضلى مؤنثة الأوسط من الوسط الذي هو الخيار وليست من الوسط الذي معناه التوسط بين شيئين ، لأن «فعلى» معناها التفضيل ولا يبنى للتفضيل الا ما يقبل الزيادة والنقص ، والوسط بمعنى العدل والخيار يقبلهما بخلاف التوسط بين شيئين فلا يبنى منه أفعل للتفضيل ، فهي واحدة من الخمس لا بعينها أو صلاة الجمعة ، وقيل غير ذلك ﴿وقوموا لله﴾ في الصلاة ﴿قانتين﴾ قيل «مطيعين» لقوله ﷺ : «كل قنوت في القرآن فهو طاعة» رواه أحمد وغيره . وقيل «ساكتين» لحديث زيد بن أرقم : «كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام» رواه الشيخان .

٢٣٩. ﴿فان خفتم﴾ من عدو أو سيل أو سبع ﴿فرجالا﴾ جمع راجل اي مشاة صلوا ﴿أو ركبانا﴾ جمع راكب اي كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها يومىء بالركوع والسجود ﴿فاذا أمنتم﴾ من الخوف ﴿فاذكروا الله﴾ أي صلوا ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها . و«الكاف» بمعنى مثل . و«ما» مصدرية أو موصولة والمراد تشبيه الصلاة التي بعد الخوف بهيئة صلاة الأمن التي قبله ، وهكذا على أن «ما» موصولة ، وعلى انها مصدرية يكون المعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ

كتعليمه اياكم ، أي ذكرا مثل ما علمكم اياه ، أي مثل الذكر الذي علمكموه . وهذا يدل على أن كل ذكر لا بد من اتباع الشرع فيه ، والا فلا يفيد من اتبع هواه فيه شيئا ، والله أعلم .

ثم رجع السياق الى ما كان فيه من مسائل النكاح وما يتعلق به ، فقال تعالى :

٢٤٠ ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا﴾ ويوصون ﴿وصية﴾ بالنصب . وفي قراءة بالرفع ، أي عليهم وصية ﴿لأزواجهم﴾ يعطونهن ﴿متاعا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة

قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على
المحسنين (٢٣٦) وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون
أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب
للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون
بصير (٢٣٧) حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوموا لله قانتين (٢٣٨) فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا
أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون (٢٣٩)
والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم
متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح
عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز
حكيم (٢٤٠) وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على

٤٩

﴿الى﴾ تمام ﴿الحول﴾ من موتهم ﴿غير اخراج﴾ أي لا يخرجهن ورثة الميت ، أي يحرم عليهم اخراجهن من المسكن بغير رضاهن . ﴿فان خرجن﴾ بأنفسهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ يا أولياء الميت ﴿فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ شرعا كالتزين وترك الاحداد لأن وقت العدة والاحداد قد انقطع عنها شرعا بعد مدة أربعة أشهر وعشر ، وباقي المدة الى السنة وصية من الزوج وحق لها ، ان شاءت تستوفيه أو تتركه ، وذلك شأن الاسلام في تربية الناس يحدد لهم ما يلزمهم ، ويخيرهم فيما لا يلزم ﴿والله عزيز﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ في صنعه . والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث ، وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول .

وبعد أن ذكر وصية السكن للمتوفى عنها زوجها ، عقب بما تعطى المطلقات المدخول بهن ، فقال تعالى :

٢٤١ ﴿وللمطلقات متاع﴾ يعطونه ﴿بالمعروف﴾ بقدر حال الزوجين وما يليق بهما . وضابطها أن الواجب فيها ما اتفق عليه الزوجان ولاحد لقدرها ، لكن يسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً ، فان اختلفا في قدرها قدّرها القاضي مراعياً في تقديرها حالهما . ﴿حقاً﴾ نصب بفعله المقدر ﴿على المتقين﴾ الله تعالى ، ذكره هنا ليدل على وجوبه في الممسوسة لوصف المأمور به بالتقوى وما تقدم «على المحسنين» في حق غير الممسوسة ، وهو مستحب لكون فاعله محسناً والله أعلم .

ثم عقب تعقيباً شاملاً لما تقدم من الأحكام فقال :

٢٤٢ ﴿كذلك﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ تتدبرون في الحكمة الكامنة وراءها ، وفي الرحمة المتمثلة في ثناياها ، وفي النعمة التي تتجلى بالسلم ويفيض منها على الحياة .

هنا أنهى الكلام على الحياة الفردية والعائلية ، وفيما يأتي أحكام المعاملة والنظام الجماعي ، فهي لا تحكم الا باتباع أوامر الله ولا ينفع فيها حذر الموت ، ولا تجلب بالأماني وانما تحاز بالجد وصدق العزم والاستسلام لأوامر الله . فبدأ بقصة تفيد أن الحذر من الموت لا يطيل الحياة ،

٢٤٣ ثم بدأ من هنا الى آخر السورة في عمل ترتيب الاقتصاد من بناء المدن وسياستها وتجارتها فقال ﴿ألم تر﴾ استفهام تعجب ، وتشويق الى استماع ما بعده ، أي ألم ينته علمك ﴿الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ﴿حذر الموت﴾ مفعول له ، وهم قوم من بني اسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا . ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ فماتوا ﴿ثم أحياهم﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر ، بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي فعاشوا دهراً . قيل : «حزقيل» هو ذو الكفل ثالث خلفاء بني اسرائيل ، بينه وبين موسى كالب ويوشع . ويقال أن قومه عاشوا دهراً عليهم اثر الموت ، لا يلبسون ثوباً الا عاد كالكفن ، واستمرت في أسباطهم . ﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ هم الكفار ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار

﴿ولا يشكرون﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه .

٢٤٤ ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي لاعلاء دينه ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ باحوالكم فمجازيكم .

٢٤٥ ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ بانفاق ماله في سبيل الله ﴿قرضاً حسناً﴾ بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب ﴿فيضاعفه﴾ وفي قراءة «فيضعفه» بالتشديد ﴿له أضعافاً كثيرة﴾ من عشر الى أكثر من سبعمائة كما سيأتي ﴿والله يقبض﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء ﴿ويبسط﴾ يوسعه لمن يشاء امتحاناً ، ﴿واليه ترجعون﴾ في الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم .

فيما يأتي قصة اسرائيلية تدل على وجوب توحيد كلمة الأمة بتقديم رئيس سلطاني ، ولا يكفي السيادة الروحية الا مع السياسية والتنفيذية ولا بد منهما معاً ، واجتماعهما في شخص واحد أقوى وأقدر ، قال تعالى :

٢٤٦ ﴿ألم تر الى الملأ﴾ الجماعة ﴿من بني اسرائيل من بعد﴾ موت ﴿موسى﴾ أي قصتهم وخبرهم . ﴿اذ قالوا لنبي لهم﴾ هو شمويل من نسل هرون عليه السلام ﴿أبعث﴾ أقم ﴿لنا ملكاً نقاتل﴾ معه ﴿في سبيل الله﴾ تنتظم به كلمتنا وترجع اليه ﴿قال النبي لهم ﴿هل عسيتم﴾ بالفتح وقرىء بالكسر ﴿ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾ خبر عسى . والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ بسبيهم وقتلهم ، وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت ، أي لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه ، قال تعالى : ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا﴾ عنه وجبنوا ﴿الا قليلاً منهم﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فمجازيهم . وسأل النبي ربه ارسال ملك فأجابه الى ارسال طالوت .

٢٤٧ ﴿وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت﴾ اسمه شاول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب ، ولقب بطالوت لطوله ﴿ملكاً قالوا أنى﴾ كيف ﴿يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة ، فالمملكة

ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟

مخصوصة بسبط يهوذا – بالذال المعجمة والدال مهملة – ومنه داود وسليمان ، والنبوة بسبط لاوى بن يعقوب عليهما السلام . وطالوت لم يكن من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين وكان دباغاً أو راعياً . ﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ يستعين بها على اقامة الملك . ﴿قال﴾ النبي لهم : ﴿ان الله اصطفاه﴾ اختاره للملك ﴿عليكم وزاده بسطة﴾ سعة ﴿في العلم والجسم﴾ وكان أعلم بني اسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ ايتاءه لا اعتراض عليه ﴿والله واسع﴾ فضله ﴿عليم﴾ بمن هو أهل له .

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى
يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ
سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ
آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً
بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ

٥١

٢٤٨ ﴿وقال لهم نبيهم﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ الصندوق ، كان فيه صور الأنبياء أنزله الله على آدم واستمر اليهم فغلبتهم العمالقة عليه واخذوه منهم بسبب ما وقع منهم من المعاصي وفشوّ الزنا فيهم حتى على قارعة الطريق وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه في القتال ويسكنون اليه ﴿فيه سكينة﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿من ربكم وبقية مما ترك آل موسى﴾ وعصاه ﴿ وآل هرون﴾ اي تركاه هما وهي نعل موسى وعصاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورضاض الالواح - أي كسرها ﴿تحمله الملائكة﴾ حال من فاعل يأتيكم ﴿ان في ذلك لآية لكم﴾ على ملكه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فحملته الملائكة بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فاقروا بملكه وتسارعوا الى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفاً .

٢٤٩ ﴿فلما فصل طالوت بالجنود﴾ من بيت المقدس وكان الوقت حراً شديداً والتربية عسكرية ﴿قال ان الله مبتليكم﴾ مختبركم ﴿بنهر﴾ ليظهر المطيع والعاصي وهو بين الاردن وفلسطين ﴿فمن شرب منه﴾ اي من مائه ﴿فليس مني﴾ اي من أتباعي المطيعين فعصيانه فيما بعد أشد ﴿ومن لم يطعمه﴾ يذقه ﴿فانه مني الا من اغترف غرفة﴾ بالضم وقرىء بالفتح ﴿بيده﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها فانه مني ﴿فشربوا منه﴾ لما وافوه بكثرة ﴿الا قليلاً منهم﴾ فاقتصروا على الغرفة روي انها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلاثمئة وبضعة عشر ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قالوا﴾ اي الذين شربوا ﴿لا طاقة﴾ قوة ﴿لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قال الذين يظنون﴾ يوقنون ﴿أنهم ملاقو الله﴾ بالبعث وهم الذين جاوزوه ﴿كم﴾ خبرية بمعنى كثير ﴿من فئة﴾ جماعة ﴿قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾ بارادته ﴿والله مع الصابرين﴾ بالعون والنصر .

٢٥٠ ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده﴾ اي ظهروا لقتالهم وتصافوا

ءامنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
قال الذين يظنون أنهم ملقوا الله كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصبرين ﴿٢٤٩﴾
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا
وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكفرين ﴿٢٥٠﴾
فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وءاتاه الله الملك
والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على
العلمين ﴿٢٥١﴾ تلك ءايت الله نتلوها عليك بالحق
وإنك لمن المرسلين ﴿٢٥٢﴾ * تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجت
وءاتينا عيسى ابن مريم البينت وأيدنه بروح القدس

٥٢

﴿قالوا ربنا افرغ﴾ اصبب ﴿علينا صبرا وثبت اقدامنا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ .

٢٥١ ﴿فهزموهم﴾ كسروهم ﴿باذن الله﴾ بارادته ﴿وقتل داود﴾ النبي المشهور ابن ايشى على وزن كسرى وكان في عسكر طالوت ﴿جالوت﴾ كان جبارا عظيما كبير الجسم جدا ﴿وآتاه﴾ اي داوود ﴿الله الملك﴾ على بني اسرائيل ﴿والحكمة﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لاحد قبله وباجتماعهما في داود وبعده في ابنه سليمان اجتمعت كلمة بني اسرائيل فكان عهدهما هو العهد الذهبي لبني اسرائيل في تاريخها كالصدر الاول في الاسلام الذي جعل امامة الشؤون الدنيوية تابعة لامامة الصلاة . ﴿وعلمه﴾ اي علم الله داود ﴿مما يشاء﴾ كصنعة الدروع ومنطق الطير .

ثم عقب على القصة وما احتوت عليه وقال ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم﴾ بدل بعض من الناس ﴿ببعض﴾ اي لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار ﴿لفسدت الارض﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ فدفع بعضهم ببعض روى أحمد بن جنبل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾» يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم اهـ

٢٥٢ ﴿تلك﴾ اي المذكورات من الاحكام ﴿آيات الله نتلوها﴾ نقصها ﴿عليك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ بالجد لا بالهزل ﴿وانك لمن المرسلين﴾ التأكيد بان وغيرها رد لقول الكفار له لست مرسلا . وجعله ايضا وسيلة تعلق ما قبلها بما بعدها وذلك ان الاحكام الشرعية كلها وصلت الى الناس بواسطة الرسل عليهم السلام من الله تبارك وتعالى ذكر في الآية قبل هذه ان النبي ﷺ من المرسلين الذين جاؤا من الله بالايات والأحكام الشرعية

٢٥٣ ﴿تلك﴾ مبتدأ ﴿الرسل﴾ صفة والخبر ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره ﴿منهم من كلم الله﴾ كموسى ﴿ورفع بعضهم﴾ اي محمدا ﴿درجات﴾ على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته على سائر الامم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه﴾ قويناه ﴿بروح القدس﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿ولو شاء الله﴾ هدى الناس جميعا ﴿ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ بعد الرسل اي اممهم ﴿من بعدما جاءتهم البينات﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضا ﴿ولكن اختلفوا﴾ لمشيئة ذلك ﴿فمنهم من آمن﴾ ثبت على إيمانه ﴿ومنهم من كفر﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ تأكيد ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ من توفيق من شاء وخذلان من شاء وذلك الاختلاف والاقتتال بارادة الله تعالى ومشيته .

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ
ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ

٥٣

٢٥٤ ﴿يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ استعدادا لمقابلة الذين يخالفونكم ويقاتلونكم اذ هو سنة الله في الماضي ولا تزال مستمرة بين المؤمنين والكفار من اختلاف واقتتال ما دمتم في الحياة الدنيا ﴿من قبل ان يأتي يوم لا بيع﴾ فداء ﴿فيه ولا خلة﴾ صداقة تنفع ﴿ولا شفاعة﴾ بغير اذنه وهو يوم القيامة وفي قراءة بفتح الثلاثة ﴿والكافرون﴾ بالله او بما فرض عليهم ﴿هم الظالمون﴾ بوضع أمر الله في غير محله او في الاختلاف والاقتتال الذي يقع دائما بين اتباع الرسل من بعدهم واما المؤمنون منهم فلا يتعدون فليسوا بالظالمين فامرهم الله بالانفاق استعدادا لحفظ دينهم وأنفسهم من الفريق الآخر.

وبعد ان ذكر ان الآيات والاحكام جاءت من الله بواسطة الرسل الى الناس الذين لا يزالون مختلفين بالنسبة لايمانهم وكفرهم بين فيما يأتي صفات ذات الله الذي انزل تلك الآيات فقال .

٢٥٥ ﴿الله﴾ علم لذاته تعالى ﴿لا اله﴾ اي لا معبود بحق ﴿الا هو الحي﴾ الدائم البقاء ﴿القيوم﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لا تأخذه سنة﴾ نعاس ﴿ولا نوم له ما في السموات وما في الارض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿من ذا الذي﴾ اي لا احد ﴿يشفع عنده الا باذنه﴾ له فيها ﴿يعلم ما بين ايديهم﴾ اي الخلق ﴿وما خلفهم﴾ اي من أمر الدنيا والآخرة ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ اي لا يعلمون شيئا من معلوماته ﴿الا بما شاء﴾ ان يعلمهم به منها بأخبار الرسل ﴿وسع كرسيه السموات والارض﴾ قيل احاط علمه بهما وقيل ملكه وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس ﴿ولا يؤوده﴾ يثقله ﴿حفظهما﴾ اي السموات والارض ﴿وهو العلي﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿العظيم﴾ الكبير «فائدة» هذه الآية قد اشتملت على امهات المسائل الالهية ولذا قال عليه الصلاة والسلام «ان أعظم آية في القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة» وقال عليه الصلاة والسلام «من قرأ آية الكرسى في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت» . من قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله اه .

ثم ذكر حكم اتباع تلك الاحكام اذا لم تكن فتنة بين المؤمنين والكفار ووصف كل نوع منها بالنسبة لما يتمسك به من الاحكام في حياته الدنيوية ومئاله في الآخرة :

٢٥٦ ﴿لا اكراه في الدين﴾ على الدخول فيه إذا خضع الكافر لحكم الاسلام وكان من أهل الذمة . ﴿قد تبين الرشد من الغى﴾ اي ظهر بالآيات البينات ان الايمان رشد والكفر غي ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ الشيطان او الاصنام وهو يطلق على الفرد والجمع ﴿ويؤمن بالله فقد استمسك﴾ تمسك ﴿بالعروة الوثقى﴾ بالعقد المحكم ﴿لا انفصام لها﴾ لا انقطاع لها ﴿والله سميع﴾ لما يقال ﴿عليم﴾ بما يفعل .

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم
مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ
اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ

٢٥٧ ﴿الله ولي﴾ ناصر ﴿الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات﴾ الكفر ﴿الى النور﴾ الايمان ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ ذكر الاخراج اما مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات او فيمن آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به ﴿أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ اي ماكثون فيها أبداً .

ثم ذكر فيما يأتي قصتين عظيمتين احداهما ترشد إلى أن من أوتي شيئاً من ملك الدنيا ورفع على اخوانه ان لا يتكبر عليهم ولا يحكم الأ بما انزل الله عليهم وان لم يتواضع فآخره الخزي والدمار والثانية ترشد إلى أنه لا صعوبة على شيء أمر الله به او حكم به وان كان في الظاهر صعوبة وهو عند الله يسير وسهل والمدار على صدق نية العبد وثقته بربه العلي فقال :

٢٥٨ ﴿الم تر الى الذي حاج﴾ جادل ﴿ابراهيم في ربه﴾ لـ ﴿أن آتاه الله الملك﴾ اي حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو نمروذ ﴿اذ﴾ بدل من حاج ﴿قال ابراهيم﴾ لما قال له : من ربك الذي تدعونا اليه ؟ قال : ﴿ربي الذي يحي ويميت﴾ اي يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قال﴾ هو ﴿أنا أحي وأميت﴾ بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل احدهما وترك الآخر فلما رآه غبياً ﴿قال ابراهيم﴾ منتقلا الى حجة اوضح منها ﴿فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها﴾ أنت ﴿من المغرب فبهت الذي كفر﴾ تحير ودهش ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ بالكفر الى محجة الاحتجاج . هذه آخر القصة الاولى وانتقل الى الثانية وقال :

٢٥٩ ﴿أو﴾ رأيت ﴿كالذي﴾ الكاف زائدة لتدل على ان مشابهة ما في القصة مستمر ﴿مر على قرية﴾ هي بيت المقدس راكباً على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير بن شرخيا النبي قيل رجل كافر بالبعث . وعلى كل حال فالسياق محتمل فان كان من الرجل الصالح فما يأتي استعظام لقدرته تعالى ومن رجل كافر فهو انكار ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها لما خرّبها بختنصر البابلي بعد أن بالغ بنو اسرائيل في الفساد فيها فقاتلهم وقتلهم قتالاً فاحشاً وسبى ذراريهم وخرّب البلد ﴿قال﴾ المار متعجباً ﴿أنى﴾ كيف ﴿يحي هذه الله بعد موتها﴾ استعظاماً لقدرته تعالى ﴿فأماته الله﴾ وألبثه ﴿مائة عام ثم بعثه﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قال﴾ تعالى له ﴿كم لبثت﴾ مكثت هنا ﴿قال لبثت يوماً او بعض يوم﴾ لأنه نام اول النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك﴾ التين ﴿وشرابك﴾ العصير ﴿لم يتسنه﴾ يتغير مع طول الزمان والهاء قيل اصل من سانهت وقيل للسكت من سانيت وفي قراءة بحذفها ﴿وانظر الى حمارك﴾ كيف هو فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح فعلنا ذلك لتعلم ﴿ولنجعلك آية﴾ على البعث او امكان كل شيء اردناه ﴿للناس وانظر الى العظام﴾ من حمارك ﴿كيف ننشزها﴾ بالزاي نحركها ونرفعها وفي قراءة بالراء اي نحييها بضم النون وقرىء بفتحها من النشر ونشر لغتان ﴿ثم نكسوها لحماً﴾ فنظر اليها وقد تركبت وكست لحماً ونفخ فيه الروح ونهق ﴿فلما تبين له﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قال اعلم﴾ علم مشاهدة ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ وفي قراءة «اعلم» امر من الله له .

ثم ذكر فيما يأتي قصة ثالثة عطفها على ما قبلها بالواو بدل أو لأنها قصة معروفة عند النبي فلم يجعلها بصيغة التعجيب لان المقصود فيها ذكرها والاقتداء بها في طلب ما يطمئن القلب بالايمان ويوصله الى اليقين فقال :

٢٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال﴾ تعالى له ﴿أو لم تومن﴾ بقدرتي على الأحياء . سأله مع علمه بايمانه بذلك ليجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضه ﴿قال بلى﴾ آمنت ﴿ولكن﴾ سألتك ﴿ليطمئن﴾ يسكن ﴿قلبي﴾ بالمعاينة

فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي
الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ
مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

المضمونة الى الاستدلال ﴿قال فخذ اربعة من الطير فصرهنّ اليك﴾ بضم الصاد وقرىء بكسرها أملهن اي قربهن اي بالامالة اليك لتحقق اوصافهن حتى تعلم بعد الاحياء انه لم ينتقل جزء منها عن موضوعه الاول اصلاً وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثم اجعل على كل جبل﴾ من جبال ارضك ﴿منهن جزءاً ثم ادعهن﴾ اليك ﴿يأتينك سعياً﴾ سريعاً ﴿واعلم ان الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ في صنعه فأخذ طاوساً ونسراً وغراباً وديكاً وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤسهن عنده ودعاهن فتطايرت الاجزاء الى بعضها حتى تكاملت ثم اقبلت الى رؤسها . وهذا هو السر الذي يعلو على التكوين البشري ادراكه . انه قد يراه كما رآه ابراهيم وقد يصدق به كل مؤمن ولكن لا يدرك طبيعته انه امر الله ، والناس لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، «يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا »

ثم انه تعالى قد أمر المؤمنين بالانفاق في سبيل الله لأن استمرار التخالف والتقاتل بين فريق المؤمنين وفريق الكفار أمر قد قضاه الله واراده . فبين فيما يأتي جزاء من انفق ماله في سبيل الله فقال :

٢٦١ ﴿مثل﴾ صفة نفقات ﴿الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله﴾ أي طاعته ﴿كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعفت لسبعمائة ﴿والله يضاعف﴾ أكثر من ذلك ﴿لمن يشاء والله واسع﴾ فضله ﴿عليم﴾ بمن يستحق المضاعفة .

٢٦٢ ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلاً قد احسنت وانفقت كذا اذ من انفق في سبيل الله اذا منّ منّ على الله ﴿ولا أذى﴾ بذكر ذلك فيما يؤذي به المسلمين لأن الموضوع هنا للجهاد ﴿لهم أجرهم﴾ ثواب انفاقهم ﴿عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة .

٢٦٣. ﴿قول معروف﴾ نصيحة لله ولرسوله ﴿ومغفرة﴾ ستر عورات المؤمنين ﴿خير من صدقة يتبعها أذى﴾ بالمن وغيره مما يسبب اضراراً على المؤمنين ﴿والله غني﴾ عن صدقة العباد لحفظ دينه ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي .

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ
مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ
مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا
وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا

٢٦٤ ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ اي اجوركم ﴿بالمن والأذى﴾ ابطالاً ﴿كالذي﴾ اي كابطال نفقة الذي ﴿ينفق ماله رئاء الناس﴾ مرائياً لهم ﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ وهو المنافق ﴿فمثله﴾ المنفق ماله رئاء الناس ﴿كمثل صفوان﴾ حجر املس ﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ مطر شديد ﴿فتركه صلداً﴾ صلباً املس لا شيء عليه ﴿لا يقدرون﴾ استئناف لبيان مثل المنافق والمنفق رئاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذي ﴿على شيء مما كسبوا﴾ عملوا اي لا يجدون له ثواباً في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ فيه تعريض بأن المن والأذى والإنفاق رئاء الناس من خصائص الكفر وخصوصاً في فعلها فيما يتعلق بالجهاد في سبيل الله فيجب على المنفقين أن يجتنبوها .

٢٦٥ ﴿ومثل﴾ نفقات المؤمنين ﴿الذين ينفقون اموالهم ابتغاء﴾ طلب ﴿مرضات الله وتثبيتاً من انفسهم﴾ اي تحقيقاً للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له ومن ابتدائية ﴿كمثل جنة﴾ بستان ﴿بربوة﴾ بفتح الراء وقرىء بضمها مكان مرتفع مستو ﴿أصابها وابل فآتت﴾ اعطت ﴿أكلها﴾ بضم الكاف وسكونها وثمرها ﴿ضعفين﴾ مثلي ما يثمر غيرها اي ثواب الدنيا بالنصر وثواب الآخرة بالجنة وقد تقدم أن ثواب الانفاق في سبيل الله يضاعف الى سبعمائة واما الانفاق في غير غير الجهاد يضاعف عشرات بآية «من جاء بحسنة فله عشر امثالها» ﴿فان لم يصبها﴾ الربوة ﴿وابل فطل﴾ مطر خفيف يصبها ويكفيها لارتفاعها . المعنى تثمر وتزكو كثر المطر ام قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت ام قلت ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به .

٢٦٦ ﴿أيود﴾ ايحب ﴿احدكم ان تكون له جنة﴾ بستان ﴿من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها﴾ ثمر ﴿من كل الثمرات و﴾ قد ﴿أصابه الكبر﴾ فضعف من الكبر عن الكسب ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ اولاد صغار ولا يقدرون عليه ﴿فأصابها اعصار﴾ ريح شديد ﴿فيه نار فاحترقت﴾ ففقدها أحوج ما كان اليها وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمان في ذهابها وعدم نفعها احوج ما يكون اليها في الآخرة والاستفهام بمعنى النفي . عن ابن عباس هو الرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق اعماله ﴿كذلك﴾ كما بين ما ذكر ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ فتعتبرون

وما يأتي من النفقات يختص بالزكاة الواجبة ذكرها هنا استطراداً فقال :

٢٦٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا﴾ اي زكوا ﴿من طيبات﴾ جياد ﴿ما كسبتم﴾ من المال ﴿ومن﴾ طيبات ﴿ما اخرجنا لكم من الارض﴾ من الحبوب والثمار ﴿ولا تيمموا﴾ تقصدوا ﴿الخبيث﴾ الرديء ﴿منه﴾ اي من المذكور ﴿تنفقون﴾ به في الزكاة حال من ضمير تيمموا ﴿ولستم بآخذيه﴾ اي الخبيث لو اعطيتموه في حقوقكم ﴿الا ان تغمضوا فيه﴾ بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله ﴿واعلموا ان الله غني﴾ عن نفقاتكم ﴿حميد﴾ محمود على كل حال .

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ
تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ
يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ
وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

٥٧

٢٦٨ ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ يخوفكم به ان تصدقتم فتمسكوا ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ الزنا والفجور ﴿والله يعدكم﴾ على الانفاق ﴿مغفرة منه﴾ لذنوبكم ﴿وفضلاً﴾ رزقاً منه ﴿والله واسع﴾ فضله ﴿عليم﴾ بالمنفق عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة به فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ، واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الاخرى فيعوذ من الشيطان ، ثم قرأ قوله تعالى : الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، لمة اي الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء وروى الشيخان عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال: ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول احدهما : اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكاً تلفاً » اه .

وفيما يأتي تنبيه على ان في الاحكام التي ينزلها الله على عباده حكمة واسراراً لربط مجتمع الامة الاسلامية ، ولكن يخصص معرفة ذلك لبعض الافراد من الناس فضلاً منه ليجعلهم قدوة لمن سواهم . فقال تعالى :

٢٦٩ ﴿يؤتي الحكمة﴾ اي يعطي الله علم اسرار احكامه التي ينزلها على عباده ليعملوا لسعادتهم الدنيوية والدينية ﴿من يشاء﴾ من عباده ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ لمصيره الى السعادة الابدية . ﴿وما يذكر﴾ فيه ادغام التاء في الاصل في الذال يتعظ او في عظم المنة والفضل في ذلك ﴿الا اولوا الالباب﴾ اصحاب العقول السليمة الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه ترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شأن الانفاق ما لا يخفى اذ الحكمة فيها ابين منها في غيرها .

ثم تقدم السياق في الكلام على انواع الانفاق المرغب فيها فقال تعالى :

٢٧٠ ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ أديتم من زكاة وصدقة ﴿او نذرتم من نذر﴾ فوفيتم به ﴿فان الله يعلمه﴾ فيجازيكم عليه ﴿وما للظالمين﴾ بمنع الزكاة والنذر او بوضع الانفاق في غير محله من معاصي الله ﴿من انصار﴾ ما نعين لهم من عذابه .

٢٧١ ﴿ان تبدوا الصدقات﴾ اي النوافل ﴿فنعمّا هي﴾ اي نعم شيئاً ابداؤها ﴿وان تخفوها﴾ تسروها ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ من ابدائها وايتائها الاغنياء . أما صدقة الفرض فالافضل اظهارها ليقتدي به ولئلا يتهم وايتاؤها الفقراء متعين ﴿ويكفر﴾ بالياء وقرىء بالنون مجزوماً بالعطف على محل فهو ومرفوعاً على الاستئناف ﴿عنكم من﴾ بعض ﴿سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه ثم التفت السياق الى خطاب النبي ﷺ بقوله تعالى :

٢٧٢ ﴿ليس عليك﴾ يا محمد ﴿هداهم﴾ اي الناس واجبارهم بالانفاق وغيره ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ هدايته الى اعمال الخير وهو اعتراض بين الخطابين قبله وبعده ترويحاً للمخاطبين وتنبيهاً لهم ان النبي مأمور مثلهم بأمر الله والهداية بيد الله لمن يشاء به ﴿وما تنفقوا﴾ ايها المؤمنين ﴿من خير﴾ مال ﴿فلأنفسكم﴾ لأن ثوابه لها ﴿وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله﴾ اي ثوابه لا غير من اعراض الدنيا خبر بمعنى النهي ﴿وما تنفقوا من

خَبِيرٌ (٢٧١) * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ
إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)
الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا
الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن

خير يوف اليكم﴾ جزاؤه ﴿وانتم لا تظلمون﴾ تنقصون منه شيئا والجملتان تأكيدان للاولى التي هي وما تنفقوا من خير فلانفسكم .

بعد أن ذكر الصدقات والنفقات في سبيل الله بانواعها وبيان ما يثاب منها وما لا يثاب وما يصلحها وما يفسدها ذكر فيما يأتي مصرفها وكيفية حفظ الجيش في سبيل الله والأوصاف التي يربى عليها الجيش الاسلامي فقال تعالى :

٢٧٣ ﴿للفقراء﴾ خبر مبتدأ محذوف اي الصدقات للفقراء ﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ اي حبسوا انفسهم على الجهاد ويسمون أهل الصفة وهم اربعمائة من المهاجرين ارصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا مثل العسكريين اليوم ﴿لا يستطيعون ضرباً﴾ سفراً ﴿في الارض﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يحسبهم الجاهل﴾ بحالهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ اي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تعرفهم﴾ يا مخاطباً ﴿بسيماهم﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهاد ويمكن ان يكون لهم زيّ خاص بهم يميزهم عن المدنيين كما هو العرف اليوم . ﴿لا يسألون الناس﴾ شيئاً فيلحفون ﴿الحافاً﴾ اي لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع لهم إلحاف وهو الالحاح . ثم حض المؤمنين بالانفاق عليهم زيادة على ما تقدم لقوة اهميته في حفظ الجيش لحماية الأمة المسلمة فقال : ﴿وما تنفقوا﴾ ايها المؤمنون لهم ﴿من خير﴾ مال ومساعدة ﴿فان الله به عليم﴾ مهما قل او كثر فمجاز عليه .

وفيما يأتي مسألة تربط بين ما تقدم من ذكر حفظ الجيش لحماية الاسلام وما يأتي من المعاملة والعقود وكيفية حلولها وهي مسالة الانفاق في سبيل الله ومسألة الربا من اموال الناس فالمنفقون في سبيل الله يبنون الأمة ويحفظون كيانها وآكلوا الربا يخربون الأمة وينظرون الى مصالح انفسهم فقال تعالى لبيان عاقبة كل واحد من الفريقين :

٢٧٤ ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾ اي في سبيل الله ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾ ومن كان اجره عند ربه فلا يضيع منه شيء ﴿ولا خوف عليهم﴾ لنقص الأجر أو لنفاد أموالهم فالله يتولى تربيتها وينميها لهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة بل سيفرحون بما سيرونه من ثواب نفقاتهم ويوفي لهم جزاءه ويربح لهم في تجاراتهم الحميدة عند الله .

٢٧٥ ﴿الذين يأكلون الربا﴾ اي يأخذونه وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر او الأجل كما هو مفصل بالسنة ﴿لا يقومون﴾ من قبورهم ﴿الا﴾ قياماً ﴿كما يقوم الذي يتخبطه﴾ يصرعه ﴿الشيطان من المس﴾ الجنون بهم متعلق بيقومون اي يخربون انفسهم بدل تقويتها ولا يظهر ذلك لهم الا في يوم لا يمكن لهم استدراك ما فاتهم ﴿ذلك﴾ الذي نزل بهم ﴿بأنهم﴾ بسبب انهم ﴿قالوا انما البيع مثل الربا﴾ في الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة اي نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه ، وقالوا : يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين ، بل جعلوا الربا أصلاً في الحل ، وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما ، فان آخذ الدرهمين في الاول ضائع حتماً وفي الثاني بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها وذكر بعضهم الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوباً يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلاً للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلاً للآخر في المالية عندهما فلم يكن آخذاً من صاحبه شيئاً بغير عوض . أما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة بغير عوض ولا يمكن ان يقال : ان العوض هو الامهال في مدة الاجل ، لأن الامهال ليس مالاً أو شيئاً يشار اليه حتى يجعله عوضاً عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين . اهـ ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ لما في الربا من أخذ أموال الناس بغير مقابل من العوض المتمول مع المكايسة والمشاحة ﴿فمن جاءه﴾ بلغه ﴿موعظة﴾

جَاءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ
وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ
وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟
يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

٥٩

وعظ ﴿من ربه فانتهى﴾ عن أكله ﴿فله ما سلف﴾ قبل النهي اي لا يسترد منه ﴿وأمره﴾ يجازيه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية ﴿الى الله ومن عاد﴾ الى أكله مشبهاً له بالبيع في الحل ﴿فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لأنهم كفروا بسبب تحليل ما حرم الله .

٢٧٦ ﴿يمحق الله الربوا﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿ويربي الصدقات﴾ اي يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿والله لا يحب كل كفار﴾ بتحليل الربا ﴿أثيم﴾ فاجر بأكله اي يعاقبه .

فائدة : معروف أن بيوع الربا مقيدة على عيون الأشياء الربوية لا على قيمها . فأوراق البنوك أو العملة المستعملة اليوم قيم لها في البنوك من الأملاك وإن كانت تستعمل للأثمان، فكل مبيع ثمني وليس كل ثمني ربوياً . فعلى هذا ففوائد البنوك أجور. والله أعلم.

٢٧٧ ﴿إن الذين آمنوا وعملو الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ اي لا خوف عليهم من مكروه يأتي في المستقبل ولا هم يحزنون على أمر محبوب قد فاتهم في الماضي اي هم مطمئنون في جميع أحوالهم لاتباعهم امر الله مولاهم .

وفيما يأتي خطاب للمؤمنين في تعليمهم كيف يتخلصون من عقود الربا التي ارتبطوا بها قبل النهي فقال :

٢٧٨ ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا﴾ اي اتركوا ﴿ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين﴾ صادقين في ايمانكم فان من شأن المؤمن امتثال امر الله تعالى اي اتركوا ما شرطتم على الناس تركاً كلياً .

٢٧٩ ﴿فان لم تفعلوا﴾ ما أمرتم به من ترك ما بقي من الربا ﴿فأذنوا﴾ اعلموا واستعلموا ﴿بحرب من الله ورسوله﴾ لكم فيه تهديد شديد لمن لم يمتثل لأمر الله اذ لا قبل له بحرب من الله ورسوله ﴿وان تبتم﴾ رجعتم عنه ﴿فلكم رؤس﴾ أصول ﴿اموالكم لا تظلمون﴾ بزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بنقص .

٢٨٠ ﴿وان كان﴾ وقع غريم ﴿ذو عسرة فنظرة﴾ له اي عليكم تأخيره ﴿الى ميسرة﴾ بفتح السين وقرىء بضمها اي وقت ميسرة ﴿وان تصدقوا﴾ بالتشديد على ادغام التاء في الاصل في الصاد وبالتخفيف على حذفها اي تتصدقوا على المعسر بالابراء ﴿خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ انه خير فافعلوه . في الحديث : «من انظر معسراً أو وضع عنه اظله الله يوم لاظل الا ظله» رواه مسلم ثم عقب بما يأتي للمحافظة على جميع ما تقدم من الاحكام فقال تعالى :

٢٨١ ﴿واتقوا يوماً ترجعون﴾ بالبناء للمفعول تردون وتصيرون ﴿فيه الى الله﴾ هو يوم القيامة ﴿ثم توفى﴾ فيه ﴿كل نفس﴾ جزاء ﴿ما كسبت﴾ عملت من خير وشر ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص حسنة او زيادة سيئة .

وفيما يأتي تعليمات لكيفية معاملة عقد دين وكتابته والاشهاد عليه صوناً للمال وحفظا للعرض وتسهيلاً للقضاء وقت النزاع في الخصومة فقال تعالى :

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم
بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ
كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ
وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا
أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ
وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ
إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ
إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا
إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ
أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

٢٨٢ ﴿يأيها الذين أمنوا اذا تداينتم﴾ تعاملتم استيثاقاً ﴿بدين﴾ كسلم وقرض ﴿الى اجل مسمى﴾ معلوم ﴿فاكتبوه﴾ استيثاقاً ودفعاً للنزاع ﴿وليكتب﴾ كتاب الدين ﴿بينكم كاتب بالعدل﴾ بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿ولا يأب﴾ يمتنع ﴿كاتب﴾ من ﴿أن يكتب﴾ اذا دعي اليها ﴿كما علمه الله﴾ اي فضله بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بيأب ﴿فليكتب﴾ تأكيد ﴿وليملل﴾ يملي الاملال والاملاء بمعنى اي يملي الكاتب ﴿الذي عليه الحق﴾ الدين لانه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه ﴿وليتق الله ربه﴾ في املائه ﴿ولا يبخس﴾ ينقص ﴿منه﴾ اي الحق ﴿شيئاً فان كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ مبذراً ﴿او ضعيفاً﴾ عن الاملاء لصغر وكبر اي ضعيف العقل ﴿أو لا يستطيع ان يمل هو﴾ لخرس او جهل باللغة ونحو ذلك ﴿فليملل وليه﴾ متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم ﴿بالعدل واستشهدوا﴾ اي أشهدوا على الدين ﴿شهيدين﴾ شاهدين حاضرين وقت العقد ﴿من رجالكم﴾ اي بالغين من المسلمين الاحرار ﴿فان لم يكونا﴾ اي الشاهدان ﴿رجلين فرجل وامرأتان﴾ يشهدون ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ اي ترضونه لدينه وعدالته وتعدد لأجل ﴿أن تضل﴾ تنسى ﴿احداهما﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فتذكر﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿احداهما﴾ الذاكرة ﴿الأخرى﴾ الناسية وجملة الاذكار محل العلة اي لتذكر ان ضلت ودخلت على الضلال لانه سببه وفي قراءة بكسر ان شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه ﴿ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا﴾ الى تحمل الشهادة وادائها وما زائدة اي يحرم عليهم ذلك لأن تحمل الشهادة فرض كفاية مطلقاً والاداء كذلك ان زاد المتحملون على من يثبت بهم الحق والا ففرض عين ﴿ولا تسأموا﴾ تملوا من ﴿ان تكتبوه﴾ اي ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صغيراً﴾ كان ﴿او كبيراً﴾ قليلاً او كثيراً ﴿الى أجله﴾ وقت حلوله حال من الهاء في تكتبوه ﴿ذلكم﴾ اي الكتب ﴿أقسط﴾ اعدل ﴿عند الله وأقوم للشهادة﴾ اي اعون على اقامتها لأنه يذكرها ﴿وأدنى﴾ اقرب الى ﴿ان لا ترتابوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿الا أن تكون﴾ المعاملة ﴿تجارة حاضرة﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع فتكون تامة بمعنى تقع ﴿تديرونها بينكم﴾ اي تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فليس عليكم جناح﴾ في ﴿الا تكتبوها﴾ والمراد بها المتجر فيه ﴿وأشهدوا اذا تبايعتم﴾ عليه فانه ادفع للاختلاف وهذا وما قبله أمر ندب ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ صاحب الحق ومن عليه بتحريف او امتناع من الشهادة او الكتابة أولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة و الشهادة ﴿وان تفعلوا﴾ ما نهيتم عنه ﴿فانه فسوق﴾ خروج عن الطاعة لا حق ﴿بكم واتقوا الله﴾ في أمره ونهيه ﴿ويعلمكم الله﴾ مصالح أموركم حال مقدره او مستأنف ﴿والله بكل شيء عليم﴾ .

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ
وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾
وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا
فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

٦١

٢٨٣ ﴿وان كنتم على سفر﴾ اي مسافرين وتداينتم ﴿ولم تجدوا كاتباً فرهان﴾ وفي قراءة فرهن جمع رهن بالفتحتين ﴿مقبوضة﴾ تستوثقون بها وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه اشد أفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله

﴿فان أمن بعضكم بعضا﴾ اي الدائن المدين على حقه فلم يرتهنه والراهن المرتهن ولم يشهد عليه في الرهن ﴿فليؤد الذي اؤتمن﴾ اي المدين او المرتهن ﴿أمانته﴾ دينه او رهنه ﴿وليتق الله ربه﴾ في ادائه ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ اذا دعيتم لاقامتها ﴿ومن يكتمها فانه آثم قلبه﴾ خص بالذكر لأنه محل الشهادة ولأنه اذ اثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿والله بما تعلمون عليم﴾ لا يخفى عليه شيء منه :

٢٨٤ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يخفى شيء عن علمه ﴿وان تبدوا﴾ تظهروا ﴿ما في انفسكم﴾ من السوء والعزم عليه فابيتم اداء الشهادة على حقيقتها ﴿أو تخفوه﴾ تسروه فأديتم الشهادة كما ينبغي ﴿يحاسبكم﴾ يخبركم ﴿به الله﴾ يوم القيامة ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له وسببها اتباع اوامره منها اداء الشهادة على وجهها ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه وسببه عدم امتثال اوامره منه كتمان الشهادة عند الحاجة اليها والفعلان بالرفع استئنافاً فهو يغفر الخ والجزم عطفاً على جواب الشرط ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم وفيه تهديد لمن يكتم الشهادة اذ هو من باب تحليل ما حرم الله ولذلك عطف شهادة الزور على عبادة الاوثان عند قوله في سورة الحج «فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور».

بدأت السورة بصفة المؤمنين وتكلمت في كيفية بناء المجتمع الاسلامي والامة المسلمة وختمت بوصف الايمان الحقيقي قال تعالى .

٢٨٥ ﴿آمن الرسول﴾ صدق الرسول وهو محمد ﷺ ﴿بما أنزل اليه من ربه﴾ من القرآن ﴿والمؤمنون﴾ عطف عليه ﴿كل﴾ تنوينه عوض من المضاف اليه اي كلهم ﴿آمن بالله وملائكته وكتبه﴾ بالجمع وقرىء بالافراد ﴿ورسله﴾ يقولون ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ فنؤمن ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وقالوا سمعنا﴾ اي ما أمرنا به سماع قبول ﴿واطعنا﴾ ولم يقولوا مثل قول اليهود سمعنا وعصينا . وقالوا أيضا نسألك

﴿غفرانك ربنا واليك المصير﴾ المرجع بالبعث فاعترض الله كلامهم بقوله :

٢٨٦ ﴿لا يكلف الله نفساً الا وسعها﴾ ما تسعه قدرتها ﴿لها ما كسبت﴾ من الخير اي ثوابه مهما قل ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من الشر اي وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما يكسبه مما وسوست به نفسه ثم علمهم كيفية الدعاء وقال قولوا ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ بالعقاب ﴿إن نسينا أو أخطأنا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد كما اخذت به من قبلنا وقد رفع ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿ربنا ولا تحمل علينا اصراً﴾ يثقل علينا حمله ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ اي بني اسرائيل من قتل النفس في التوبة واخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة﴾ قوة ﴿لنا به﴾ من التكليف والبلاء ﴿واعف عنا﴾ امح ذنوبنا ﴿واغفر لنا وارحمنا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ باقامة الحجة والغلبة في قتالهم فان من شأن المولى ان ينصر مواليه على الاعداء وفي الحديث لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة قد فعلت اي قد اجبت دعاءك ومطلوبك . وروي عن معاذ ابن جبل انه كان اذا فرغ من قراءة هذه السورة قال آمين ، فائدة : وقد روى مسلم عن ابي مسعود الانصاري قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» قيل عن قيام الليل وفي حديث من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأتاه عن قيام الليل . «آمن الرسول» الى آخر السورة وقيل كفتاه من شر الشيطان ، فلا يكون له عليه سلطان . فائدة اخرى : كما تسمى «سورة البقرة» كذلك تسمى «فسطاطا القرآن» اي الخيمة او المدينة لاشتمالها على معظم اصول الدين وفروعه والارشاد الى كثير من مصالح العباد ونظام المعاش ونجاة المعاد ولا تستطيعها البطلة أي السحرة .

مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن
نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ
وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا
عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا مِائَتَان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ

سورة آل عمران
مدنية وهي مائتا آية

وموضوعها الرئيسي هو حجاج وجدل مع الكفار من المشركين ونفي للشبهات التي تضمنتها معتقداتهم المنحرفة أو التي تعمدوا نثرها حول صحة رسالة النبي ﷺ وحقيقة عقيدة التوحيد الاسلامية وما يتعلق بذلك من انقياد الأمور لمن أطاع الله وعدم انتظامها لمن عصاه واتبع هواه

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ
ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ
هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا
بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ

٦٣

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك

٢ ﴿الله لا اله الا هو الحي القيوم﴾

٣ ﴿نزل عليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن متلبسا ﴿بالحق﴾ بالصدق في اخباره ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ قبله من الكتب ﴿وأنزل التوراة والانجيل من قبل﴾ اي قبل تنزيله ﴿هدى﴾ حال بمعنى هاديا من الضلالة ﴿للناس﴾ ممن تبعهما وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضي للتكرير لانهما انزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿وانزل الفرقان﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها من بقية الكتب المنزلة .

٤ ﴿ان الذين كفروا بآيات الله﴾ القرآن وغيره ﴿لهم عذاب شديد والله عزيز﴾ غالب على امره فلا يمنعه شيء من انجاز وعده ووعيده ﴿ذو انتقام﴾ عقوبة شديدة لمن عصاه لا يقدر على مثلها أحد .

٥ ﴿ان الله لا يخفى عليه شيء﴾ كائن ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي وخصهما بالذكر .

٦ ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ من ذكورة وانوثة وبياض وسواد وغير ذلك ﴿لا اله الا هو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

٧ ﴿هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ واضحات الدلالة ﴿هن أم الكتاب﴾ اصله المعتمد عليه في الاحكام ﴿وأخر متشابهات﴾ لا تفهم معانيها كأوائل السور وآيات الصفات والاسماء الإلهية وجعله كله محكما في قوله « أحكمت آياته » بمعنى انه ليس فيه عيب ومتشابها في قوله « كتابا متشابها » بمعنى انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ ميل عن الحق ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء﴾ طلب ﴿الفتنه﴾ لجهالهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وابتغاء تأويله﴾ تفسيره ﴿وما يعلم تأويله﴾ تفسيره ﴿الا الله﴾ وحده ﴿والراسخون﴾ الثابتون المتمكنون ﴿في العلم﴾ مبتدأ خبره ﴿يقولون امنا به﴾ اي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه ﴿كل﴾ من المحكم والمتشابه ﴿من عند ربنا وما يذكر﴾ بادغام التاء في الاصل في الذال اي يتعظ ﴿الا أولوا الألباب﴾ اصحاب العقول ويقولون ايضا اذا رأوا من يتبعه اي المتشابه بالعمل بظاهره أوبتاويله تأويلا لا يليق به .

٨ ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ لا تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما ازغت قلوب اولئك ﴿بعد اذ هديتنا﴾ ارشدتنا اليه ﴿وهب لنا من لدنك﴾ من عندك ﴿رحمة﴾ تثبيتا ﴿انك انت الوهاب﴾ .

٩ ﴿ربنا انك جامع الناس﴾ تجمعهم ﴿ليوم﴾ اي في يوم ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ هو يوم القيامة فتجازيهم باعمالهم كما وعدت بذلك ﴿ان الله لا يخلف الميعاد﴾ موعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب ويحتمل ان يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم امر الأخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية هو الذي انزل عليك الكتاب الى آخرها . وقال «فاذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» وروى الطبراني في الكبير عن أبي موسى الاشعري انه سمع النبي ﷺ يقول : «ما أخاف على أمتي الا ثلاث خلال وذكر منها ان يفتح الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله الا الله والرسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب» الحديث .

١٠ ﴿ان الذين كفروا﴾ باتباع المتشابه وترك المحكم منه انما يعملون ذلك طلبا للغنى والحياة الدنيا ﴿لن تغني﴾ تدفع ﴿عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله﴾ أي عذابه ﴿شيئا وأولئك هم وقود النار﴾ بفتح الواو ما توقد به .

١١ دأبهم ﴿كدأب﴾ كعادة ﴿آل فرعون والذين من قبلهم﴾ من الامم كعاد وثمود ﴿كذبوا بآياتنا﴾ بالعمل بالمتشابه وترك واضح آيات الله ﴿فأخذهم الله﴾ اهلكهم ﴿بذنوبهم﴾ اي بسببها ، والجملة مفسرة لما قبلها ﴿والله شديد العقاب﴾ ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهود بالاسلام مرجعه من بدر فقالوا له لا يغرنك ان قتلت نفرا من قريش أغمارا لا يعرفون القتال فكأنهم اتبعوا بذلك شبهة فظنوا ان خبرتهم بالقتال اشد من خبرة قريش فان غلب محمد قريشا فلا يغلبهم هم فقال تعالى :

١٢ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿للذين كفروا﴾ من اليهود وغيرهم ﴿ستغلبون﴾ بالتاء وقرىء بالياء في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك ﴿وتحشرون﴾ بالوجهين في الآخرة ﴿الى جهنم﴾ فتدخلونها ﴿وبئس المهاد﴾ الفراش هي .

١٣ ﴿قد كان لكم آية﴾ عبرة وذكر الفعل للفصل ﴿في فئتين التقتا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فئة تقاتل في سبيل الله﴾ أي طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست ادرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة ﴿وأخرى كافرة يرونهم﴾ أي الكفار ﴿مثليهم﴾ أي المسلمين اي اكثر منهم وكانوا نحو ألف ﴿رأي العين﴾ أي رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

٦٤

على قلتهم ﴿والله يؤيد﴾ يقوي ﴿بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ لذوي البصائر افلا يعتبرون بذلك فيؤمنون .

ومن اتباع الشبهات اتباع شهوات النفس وهي جمع شهوة وهي النفس وميلها الى الشيء المشتهى فهي اما كاذبة ، ومنها قوله تعالى : «فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات» . أو صادقة كقوله تعالى : «وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين» . أو تحتملهما كما نحن فيه . أشار الى الكاذبة بقوله تعالى :

١٤ ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو اليه زينها الله ابتلاء او الشيطان بالوسوسة وتحسينه الميل اليها ﴿من النساء﴾ من بيانية وهي ومجرورها في محل الحال وبين الشهوات وهي امور ستة وبدأ بالنساء لان الفتنة بهن أشد وما عداهن فرع منهن ﴿والبنين﴾ ففي الحديث «الولد مبخلة مجبنة محزنة» وفي كلامهم المرء مفتون بولده ، وقدموا على الاموال لانهم أحب الى المرء من

وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ
عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن
ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ
وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا
بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ
عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا
مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ

٦٥

ماله وخص البنون بالذكر دون البنات لأن حب الولد الذكر أشد من حب الأنثى لانه يتكثر به والده ويعضده ويقوم مقامه ﴿والقناطير﴾ الأموال الكثيرة ﴿المقنطرة﴾ المجمعة ﴿من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾ الحسان وقيل معلمة ، وفي الحديث عن النبي ﷺ «لا يدخل الشيطان دارا فيها فرس عتيق» . وقال ﷺ : «خير الخيل الأدهم الافرح الارثم[1] طلق اليسين فان لم يكن ادهم فكميت» . واصل الخيل من الاختيال وهو العجب او من التخيل لأنها تتخيل في صورة من هو اعظم منها ﴿والانعام﴾ الابل والبقر والغنم جمع نعم لا واحد له ﴿والحرث﴾ الزرع ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿متاع الحيوة الدنيا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿والله عنده حسن المآب﴾ المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره. ثم أشار الى الثانية بقوله :

١٥ ﴿قل﴾ يا محمد لقومك ﴿أؤنبكم﴾ أخبركم ﴿بخير من ذلكم﴾ المذكور من الشهوات استفهام تقرير ﴿للذين اتقوا﴾ الشبهات ﴿عند ربهم﴾ خبر مبتدؤه ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين﴾ اي مقدرين الخلود ﴿فيها﴾ اذا دخلوها ﴿وأزواج مطهرة﴾ من الحيض وغيره مما يستقذر ﴿ورضوان﴾ بكسر اوله وضمه لغتان اي رضا كثير ﴿من الله والله بصير﴾ عالم ﴿بالعباد﴾ فيجازي كلا منهم بعمله .

١٦ ﴿الذين﴾ نعت او بدل من الذين قبله ﴿يقولون﴾ يا ﴿ربنا اننا آمنا﴾ صدقنا بك وبرسولك ﴿فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ .

١٧ ﴿الصابرين﴾ على الطاعة وعن المعصية نعت ﴿والصادقين﴾ في الايمان ﴿والقانتين﴾ المطيعين لله ﴿والمنفقين﴾ المتصدقين ﴿والمستغفرين﴾ لله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا ﴿بالاسحار﴾ أواخر الليل خصت بالذكر لانها وقت الغفلة ولذة النوم .

ولما كانت الشبهات لها انواع وقد ذكر فيما تقدم منها شيء وفيما يأتي اشياء كثيرة من شبهات اليهود والنصارى اثبت الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة شهادته وشهادة الملائكة واولي العلم بتنزهه عن جميع الشبهات التي ينسبها اليه الكفار المشركون واهل الكتاب فقال :

١٨ ﴿شهد الله﴾ بين لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أنه لا اله﴾ لا معبود في الوجود بحق ﴿الا هو﴾ شهد بذلك ﴿الملائكة﴾ بالاقرار ﴿وأولوا العلم﴾ من الانبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قائما﴾ بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال من الضمير الواقع بعد الا في حيز الشهادة به امرين الوحدانية والقيام بالقسط والعامل في الحال معنى الجملة اي ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿لا اله الا هو﴾ كرره تأكيدا ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه فالعزة تلائم الوحدانية والحكمة تلائم القيام بالقسط فأتى بهما لتقرير الامرين على ترتيب ذكرهما . ﴿فائدة﴾ قد ورد في فضل هذه الآية أنه عليه الصلاة والسلام قال «يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا أحق بمن وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة» وهو دليل على فضل علم أصول الدين و شرف اهله ، وروي عن سعيد بن جبير : انه كان في الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه بالمدينة خرت الأصنام التي في الكعبة ساجدة .

ومن الشبهات دعوى اهل الديانات الأخرى انهم على شيء مثل اليهود والنصارى فرد ذلك قال الله تعالى :

---

(١) الافرح الذي في جبهته قرحة وهي البياض اليسير في وسطها والأرثم الذي في شفته العليا بياض وطلق بضم الطاء واللام غير محجلة والشبه كل لون خالف معظم لون تحيل وغيرها .

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ
وَالْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) إِنَّ الَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ اللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ
وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا
جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

١٩ ﴿إن الدين﴾ المرضي ﴿عند الله الاسلام﴾ اي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد وفي قراءة بفتح همزة «أن» بدل من «أنه» بدل اشتمال ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى في الدين الذي هو الاسلام بأن وحد بعض وكفر بعض ﴿الا من بعد ما جاءهم العلم﴾ بالتوحيد ﴿بغيا﴾ من الكفار ﴿بينهم﴾ اي ما اختلفوا الا للبغي بينهم لا لغيره فعقب بجزاء مثل عملهم فقال ﴿ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب﴾ اي المجازاة له .

٢٠ ﴿فان حاجوك﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين الاسلامي بعد قيام الحجة عليهم ﴿فقل﴾ لهم ﴿أسلمت وجهي لله﴾ انقدت انا ﴿ومن اتبعن﴾ وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره اولى ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿والأميين﴾ مشركي العرب ﴿أأسلمتم﴾ اي اسلموا انه قد أتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل انتم أسلمتم او انتم على كفركم ﴿فان أسلموا فقد اهتدوا﴾ من الضلال ﴿وان تولوا﴾ عن الاسلام ﴿فانما عليك البلاغ﴾ التبليغ للرسالة ﴿والله بصير بالعباد﴾ فيجازيهم .

٢١ ﴿ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط﴾ بالعدل ﴿من الناس﴾ وهم اليهود وروي أنهم قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم وقصدوا قتل النبي ﷺ ولكن الله عصمه ﴿فبشرهم﴾ اعلمهم ﴿بعذاب اليم﴾ مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء في خبر ان لشبه اسمها الموصول بالشرط .

٢٢ ﴿أولئك الذين حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿في الدنيا والآخرة﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من العذاب .

٢٣ ﴿ألم تر﴾ تنظر سؤال تعجيب للنبي او لكل من تتأتى منه الرؤية من حال أهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من أن اختلافهم انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيقته ﴿الى الذين أوتوا نصيبا﴾ حظا ﴿من الكتاب﴾ التوراة ﴿يدعون﴾ حال ﴿الى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ في خلافاتهم وشؤون حياتهم ومعاشهم فلا يستجيبون جميعا لهذه الدعوة ﴿ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ عن قبول حكمه كما حصل ان اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا الى النبي فحكم عليهما بالرجم فابوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا . ويدخل في الكفر كل من دعي الى الحكم بكتاب الله فأبى انكاراً واستهزاء .

٢٤ ﴿ذلك﴾ التولي والاعراض ﴿بأنهم قالوا﴾ اي بسبب قولهم ﴿لن تمسنا النار الا أياما معدودات﴾ اربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿وغرهم في دينهم﴾ متعلق بقوله ﴿ما كانوا يفترون﴾ من قولهم ذلك اي ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم أو انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب أولاده الاتحلة القسم وهذا من الشبهات في الدين قديما وحديثا .

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ
مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾
تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ
مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ
فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ
وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ
تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ

٢٥ ﴿فكيف﴾ حالهم ﴿اذا جمعناهم ليوم﴾ اي في يوم ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ هو يوم القيامة ﴿ووفيت كل نفس﴾ من اهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿ما كسبت﴾ عملت من خير وشر ﴿وهم﴾ الناس ﴿لا يظلمون﴾ بنقص حسنة او زيادة سيئة فهذا رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيقع لهم وتهويل لما يحيق بهم من الاهوال ، وكيف نخبر مبتدأ محذوف كما بين والحمد لله .

ومن الشبهات ما يستصعب الكفار وقوعه مما اخبر به النبي ﷺ من علم الغيب في الامور المستقبلة مثل ما اخبر الله به نبيه من اعطاء أمته ملك فارس والروم واليمن يوم الخندق فقال المنافقون : ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبر انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها ستفتح لكم هيهات ان يقع هذا ، فبين الله ان هذا امر سهل عنده ، يقع بالدعاء لمن رده الى الله تعالى ، وعلم النبي كيفية الدعاء فقال :

٢٦ ﴿قل اللهم﴾ يا الله ﴿مالك الملك تؤتي﴾ تعطي ﴿الملك من تشاء﴾ من خلقك ﴿وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء﴾ بايتائه ﴿وتذل من تشاء﴾ بنزعه منه ﴿بيدك﴾ بقدرتك ﴿الخير﴾ اي والشر ﴿انك على كل شيء قدير﴾ .

٢٧ ﴿تولج﴾ تدخل ﴿الليل في النهار وتولج النهار﴾ تدخله ﴿في الليل﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وتخرج الحي من الميت﴾ كالانسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وتخرج الميت﴾ كالنطفة والبيضة ﴿من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ اي رزقا واسعا . ﴿فائدة﴾ وفي القرطبي قال علي رضي الله عنه قال النبي ﷺ : لما أمر الله تعالى ان تنزل فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب ، تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبط بنا دار الذنوب والى من يعصيك ، فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا يقرؤكن عبد عقيب كل صلاة مكتوبة الا اسكنته حظيرة القدس على ما كان منه ، والا نظرت اليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة ، والا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة ، ادناها المغفرة ، والا اعذته عن عدوه بنصرته عليه ، ولا يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت . ثم ذكر شروط تعذيب من والاهم .

٢٨ ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ يوالونهم ﴿من دون﴾ اي غير ﴿المؤمنين ومن يفعل ذلك﴾ اي يواليهم ﴿فليس من﴾ دين ﴿الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة﴾ مصدر تقية اي تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ان يغضب عليكم ان توليتموهم ولا يقبل لكم دعاءكم ويعاقبكم بالذل في الدنيا والعذاب بالنار في الآخرة ﴿والى الله المصير﴾ المرجع فيجازيكم :

٢٩ ﴿قل﴾ لهم ﴿ان تخفوا ما في صدوركم﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أوتبدوه﴾ تظهروه ﴿يعلمه الله و﴾ هو ﴿يعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شي قدير﴾ ومنه تعذيب من والاهم :

أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ (٣٠)
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٢)
۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ
لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ
ٱلرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا

٣٠ أذكر ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء﴾ مبتدأ خبره ﴿تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل اليها ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد﴾ كرر للتأكيد وليقترن بما بعده فيفيد اقترانه أن تحذيره من جملة رأفته بهم وان رأفته ورحمته لا تمنع تحقيق ما حذرهم به وأن تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرحمة بل هو متحقق معها ويقال ذكره أولا للمنع من موالاة الكافرين وثانيا للحث على عمل الخير والمنع من عمل الشر وبذلك يستجاب للداعي دعاؤه .

٣١ ونزل لما قالوا ما نعبد الاصنام إلاّ حباً لله ليقربونا اليه ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ أي يثيبكم ﴿ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور﴾ لمن اتبعني ما سلف منه ﴿رحيم﴾ به .

ولما منع الله المؤمنين من موالاة الكفار طلبا لاستجابة دعائهم استطرد في ذكر ما يستلزم ذلك من محبة الله وكيفية ذلك بقوله تعالى :

٣٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿أطيعوا الله والرسول﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فان تولوا﴾ اعرضوا عن الطاعة ﴿فان الله لا يحب الكافرين﴾ . فيه اقامة الظاهر مقام المضمر اي لا يحبهم بمعنى انه يعاقبهم ولا يستجيب دعاءهم .

ثم ذكر قصصا تبين كيف يجيب الله الدعاء من عباده الصالحين الذين استكملوا شروط قبول الدعاء فقال :

٣٣ ﴿ان الله اصطفى﴾ اختار ﴿آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران﴾ بمعنى أنفسهما ﴿على العالمين﴾ باستجابة ادعيتهم وجعل الانبياء من نسلهم :

٣٤ ﴿ذرية بعضها من﴾ ولد ﴿بعض﴾ منهم ﴿والله سميع﴾ لدعاء من دعاه ﴿عليم﴾ به .

٣٥ اذكر ﴿اذ قالت امرأت عمران﴾ حنة بنت فاقود لما أسنت واشتاقت للولد فدعت الله واحست بالحمل يا ﴿رب اني نذرت﴾ أن اجعل ﴿لك ما في بطني محررا﴾ عتيقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فتقبل مني انك أنت السميع﴾ للدعاء ﴿العليم﴾ بالنيات وهلك عمران وهي حامل .

٣٦ ﴿فلما وضعتها﴾ ولدتها جارية وكانت ترجو ان يكون غلاما اذ لم يكن يحرر الا الغلمان ﴿قالت﴾ معتذرة يا ﴿رب اني وضعتها انثى والله اعلم﴾ اي عالم ﴿بما وضعت﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى وفي قراءة بضم التاء ﴿وليس الذكر﴾ الذي طلبت ﴿كالانثى﴾ التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها﴾ اولادها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ المطرود . في الحديث «ما من مولود الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها» رواه الشيخان .

٣٧ ﴿فتقبلها ربها﴾ اي قبل مريم من امها ﴿بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا﴾ انشأها بخلق حسن فكانت تنبتُ في اليوم كما ينبت المولود في العام واتت امها الأحبار سدنة بيت المقدس فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت امامهم فقال زكريا انا أحق بها لأن خالتها عندي وهو متزوج بخالتها اشاع بنت فاقود ام يحيى ، فقالوا : لا حتى نقترع ، فانطلقوا وهم تسعة وعشرون الى نهر الاردن ، والقوا أقلامهم على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو اولى بها ، فثبت قلم زكريا فاخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد اليها غيره ، وكان يأتيها بأكلها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى : ﴿وكفلها زكريا﴾ ضمها اليه وفي قراءة بالتشديد في كفلها ونصب زكريا مقصوراً وممدوداً والفاعل الله

حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ
وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ
مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ
قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي
عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل
لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

٦٩

﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس ﴿وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى﴾ من اين ﴿لك هذا قالت﴾ وهي صغيرة ﴿هو من عند الله﴾ يأتيني به من عنده ﴿ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ رزقا واسعا بلا تبعة

٣٨ ﴿هنالك﴾ اي لما رأى زكريا ذلك وعلم ان القادر على الاتيان بالشيء في غير حينه قادر على الاتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا ﴿دعا زكريا ربه﴾ لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قال رب هب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿ذرية طيبة﴾ ولدا صالحا ﴿انك سميع﴾ مجيب ﴿الدعاء﴾ .

٣٩ ﴿فنادته الملائكة﴾ اي جبريل ﴿وهو قائم يصلي في المحراب﴾ ﴿أن﴾ وفي قراءة بالكسر بتقدير القول ﴿الله يبشرك﴾ مثقلا وقرىء مخففا ﴿بيحي مصدقا بكلمة﴾ كائنة ﴿من الله﴾ أي عيسى وسمي كلمة لأنه خلق كلمة كن ﴿وسيدا﴾ متبوعا ﴿وحصوراً﴾ ممنوعا من النساء وفي القاموس الحصور من لا يأتي النساء وهو قادر على ذلك والممنوع منهن او من يشتهين ولا يقربهن ﴿ونبيا من الصالحين﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها .

٤٠ ﴿قال رب انى﴾ كيف ﴿يكون لي غلام﴾ ولد ﴿وقد بلغني الكبر﴾ اي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وامرأتي عاقر﴾ بلغت ثمانية وتسعين ﴿قال﴾ الامر ﴿كذلك﴾ من خلق غلام منكما ﴿الله يفعل ما يشاء﴾ لا يعجزه عنه شيء ولاظهار هذه القدرة العظيمة : ألهمه السؤال ليجاب بها ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر عنه .

٤١ ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ اي علامة على حمل امرأتي ﴿قال آيتك﴾ عليه ﴿الا تكلم الناس﴾ اي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثلاثة أيام﴾ أي بلياليها ﴿الا رمزا﴾ اشارة ﴿و﴾ في مدة الحبسة وعقد اللسان عن كلامهم ﴿اذكر ربك كثيرا وسبح﴾ صل ﴿بالعشي والابكار﴾ أواخر الليل واوائله لشكر النعمة وكان بين البشارة وبين ولادة يحيى زمن مديد لأن سؤال الولد والبشارة به كانا في صغر مريم ووضعه كان بعد كبرها وبلوغها ثلاث‌عشرة سنة التي هي زمن حملها بعيسى وبين يحي وعيسى ستة اشهر .

ثم عقب الكلام بذكر كيفية ولادة عيسى والبشارة به لمريم وعطفه على «اذ قالت امرأة عمران» عطفا لقصة البنت على قصة امها لما بينهما من كمال المناسبة وقصة زكريا وقعت فاصلة بينهما لمناسبة وقال :

وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ
وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾
إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ
ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى
بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى
قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ

٤٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قالت الملائكة﴾ جبريل ﴿يا مريم ان الله اصطفاك﴾ اختارك اولا حيث قبلك من امك وقبل تحريرك ولم يسبق ذلك لغيرك من الاناث ورباك في حجر زكريا ورزقك من عنده ﴿وطهرك﴾ من مسيس الرجال ﴿واصطفاك﴾ ثانيا بان أسمعك كلام الملائكة مشافهة ولم يقع لغيرك ﴿على نساء العالمين﴾ اى اهل زمانك .

٤٣ ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾ اطيعيه ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ اي صلي مع المصلين .

ثم اعترض في القصة بما ينبه السامعين على صحة نبوة محمد بتقصيصه هاتين القصتين وهما مما غاب عنه وعن البيئة التي نشأ فيها وهو أمي لم يقرأ من أحد فقال :

٤٤ ﴿ذلك﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿من أنباء الغيب﴾ اخبار ما غاب عنك ﴿نوحيه اليك﴾ يا محمد ﴿وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم﴾ في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أيهم يكفل﴾ يربي ﴿مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون﴾ في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وانما عرفته من جهة الوحي .

ثم رجع الى تمام قصة مريم وقال تعالى اذكر :

٤٥ ﴿اذ قالت الملائكة﴾ اي جبريل ﴿يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه﴾ اي ولد ﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ خاطبها بنسبته اليها تنبيها على انها تلده بلا اب اذ عادة الرجال نسبتهم الى آبائهم ﴿وجيها﴾ ذا جاه ﴿في الدنيا﴾ بالنبوة ﴿والآخرة﴾ بالشفاعة والدرجات العلا ﴿ومن المقربين﴾ عند الله .

٤٦ ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ اي طفلا قبل وقت الكلام ﴿وكهلا ومن الصالحين﴾ .

٤٧ ﴿قالت رب أنى﴾ كيف ﴿يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ بتزويج ولا غيره ﴿قال﴾ الأمر ﴿كذلك﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا﴾ اراد خلقه ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ اي فهو يكون .

٤٨ ﴿ويعلمه﴾ بالياء وقريء بالنون ﴿الكتاب﴾ الخط او جنس الكتب الالهية ﴿والحكمة والتوراة والانجيل﴾ .

كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ
ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ
مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ
يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ

٧١

٤٩ ﴿و﴾ يجعله ﴿رسولا الى بني اسرائيل﴾ في الصبا او بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم فلما بعثه الله الى بني اسرائيل قال لهم ﴿أني﴾ بأني ﴿قد جئتكم بآية﴾ علامة على صدقي ﴿من ربكم﴾ هي ﴿أني﴾ وفي قراءة بالكسر استئنافا ﴿أخلق﴾ أصور ﴿لكم من الطّين كهيئة الطير﴾ مثل صورته فالكاف اسم مفعول ﴿فانفخ فيه﴾ الضمير للكاف ﴿فيكون طيرا﴾ وفي قراءة طائرا ﴿باذن الله﴾ بارادته فخلق لهم الخفاش لانه أكمل الطير خلقا فكان يطير وهم ينظرونه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ﴿وأبرىء﴾ اشفي ﴿الأكمه﴾ الذي ولد أعمى ﴿والأبرص﴾ وخصهما بالذكر لانهما داءا اعياء، وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين الفا بالدعاء بشرط الايمان ﴿واحيي الموتى باذن الله﴾ كرره لنفي توهم الألوهية فيه فأحيي عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم ، وسام بن نوح ومات في الحال ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون﴾ تخبئون ﴿في بيوتكم﴾ مما لم اعاينه فكان يخبر الشخص بما أكله وبما يأكل بعد ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾ :

٥٠ ﴿و﴾ جئتكم ﴿مصدقا لما بين يدي﴾ قبلي ﴿من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ فيها فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له وهي الشوك وقيل احل الجميع فبعض بمعنى كل ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ كرره تأكيدا و ليبنى عليه ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته .

٥١ ﴿ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا﴾ الذي آمركم به ﴿صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به .

٥٢ ﴿فلما أحس﴾ علم ﴿عيسى منهم الكفر﴾ من اليهود الكفر اي عدم الايمان به وارادوا قتله لأنهم كانوا عارفين من التوراة بأنه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم ﴿قال من أنصاري﴾ أعواني ذاهبا ﴿الى الله﴾ لأنصر دينه ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ اعوان دينه وهم اصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا ، من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿آمنا﴾ صدقنا ﴿بالله واشهد﴾ يا عيسى ﴿بأنا مسلمون﴾ .

٥٣ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت﴾ من الانجيل ﴿واتبعنا الرسول﴾ عيسى ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق قال تعالى :

٥٤ ﴿ومكروا﴾ اي كفار بني اسرائيل بعيسى اذ وكلوا به من يقتله غيلة ﴿ومكر الله﴾ بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله يقال له ططيانس فقتلوه وصلبوه ورفع عيسى الى السماء ﴿والله خير الماكرين﴾ اعلمهم به .

كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم
القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون ﴿٥٥﴾ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴿٥٦﴾ وأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب
الظالمين ﴿٥٧﴾ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر
الحكيم ﴿٥٨﴾ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون ﴿٥٩﴾ الحق من ربك
فلا تكن من الممترين ﴿٦٠﴾ فمن حاجك فيه من بعد
ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل
لعنت الله على الكاذبين ﴿٦١﴾ إن هذا لهو القصص

٥٥ اذكر ﴿اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك﴾ قابضك ﴿ورافعك إلي﴾ من الدنيا من غير موت أو بالموت قولان ﴿ومطهرك﴾ مبعدك ﴿من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك﴾ صدقوا بنبوتك من النصارى والمسلمين ﴿فوق الذين كفروا﴾ بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف ﴿الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من امر الدين .

٥٦ ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿والآخرة﴾ بالنار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين منه .

٥٧ ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم﴾ بالياء وقرىء بالنون ﴿أجورهم والله لا يحب الظالمين﴾ اي يعاقبهم روي ان الله ارسل اليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها ان القيامة تجمعنا وكان ذلك ليله القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين . وروى الشيخان حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية . وفي حديث مسلم : انه يمكث سبع سنين . وفي حديث عند ابن داود الطيالسي اربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه . فيحتمل ان المراد مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده . قلت هذه الأحاديث خالفت ظواهر الآيات والحديث: لا نبي بعدي والعقل ، فالراجح أنه لا يعود والله أعلم .

ثم عقب السياق مخاطبا تعالى لنبيه ﷺ .

٥٨ ﴿ذلك﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نتلوه﴾ نقصه ﴿عليك﴾ يا محمد ﴿من الآيات﴾ حال من الهاء في نتلوه وعامله ما في ذلك من معنى الإشارة ﴿والذكر الحكيم﴾ المحكم اي الممنوع من طرق الخلل اي القرآن .

٥٩ ﴿ان مثل عيسى﴾ شأنه الغريب ﴿عند الله كمثل آدم﴾ كشأنه في خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خلقه﴾ اي آدم اي قالبه ﴿من تراب ثم قال له كن﴾ بشرا ﴿فيكون﴾ اي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان وانما عبر بالمضارع رعاية للفاصلة وللحكاية الحال الماضية .

٦٠ ﴿الحق﴾ الثابت الذي لا يضمحل هو من قصة عيسى وأمه مبتدأ خبره ﴿من ربك فلا تكن من الممترين﴾ من كونه عبدالله ورسوله كما أخبرك لا ابنه كما زعموا :

٦١ ﴿فمن حاجك﴾ جادلك من النصارى ﴿فيه من بعدما جاءك من العلم﴾ بأمره ﴿فقل﴾ لهم ﴿تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ فنجمعهم ﴿ثم نبتهل﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ بأن نقول اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه ، فقالوا : حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم لقد عرفتم نبوته وانه ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا ، فاتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي قال لهم اذا دعوت فأمنوا . فأبوا ان يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه أبو نعيم في دلائل النبوة . وعن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون لرجعوا ولا يجدون مالا ولا اهلا . وروي لو خرجوا لاحترقوا .

ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ
أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾
هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ
فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا
مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ

٧٣

٦٢ ﴿ان هذا لهو القصص﴾ الخبر ﴿الحق﴾ الذي لا شك فيه ﴿وما من﴾ زائدة لتأكيد النفي ﴿اله الا الله وان الله لهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

٦٣ ﴿فان تولوا﴾ اعرضوا عن الايمان يمكن ان يرجع الضمير الى الذين يجادلون النبي في أمر عيسى ويمكن ان يرجع الى الذين يستعظمون فتح بلاد الروم وكسرى واليمن فأمر النبي بالدعاء ثم جاءت القصص لتبرهن ان الدعاء سبب لكل شيء ممكن . والله اعلم . ﴿فان الله عليم بالمفسدين﴾ فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع الضمير .

ثم رجع الى رد الشبهات الاخرى الذي هو موضوع السورة وقال :

٦٤ ﴿قل يا اهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿تعالوا الى كلمة سواء﴾ مصدر بمعنى مستو أمرها ﴿بيننا وبينكم﴾ هي ﴿أ﴾ ن ﴿لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾ كما اتخذتم الاحبار والرهبان. لما نزلت قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله ؛ فقال النبي : أليس كانوا يحللون ويحرمون لكم فتأخذون بقولهم ، قال : نعم . قال النبي : هو ذاك . اهـ. هنا دخل بعض ارباب الطرق من المشايخ الذين يخترعون أحكاما وشروطاً ليست في كتاب الله ولا في سنة رسوله فيلزمون أتباعهم باتباعها . فهم بذلك قد ضلوا وأضلوا ، وخالفوا نص القرآن «اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» وحملوا الولاية على النبوة وفرقوا الأمة الاسلامية ، وما بالوا بقول الله تعالى «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء» وأماتوا العلم بالجهل . انا لله وانا اليه راجعون اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فقولوا﴾ انتم لهم ﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾ موحدون اي لما لزمتم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم .

ومن الشبهات دعوى اليهود في ابراهيم نحن على دينه ، ودعوى النصارى ذلك ، قال الله تعالى :

٦٥ ﴿يا اهل الكتاب لم تحاجون﴾ تخاصمون ﴿في ابراهيم﴾ بزعمكم انه على دينكم ﴿وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده﴾ بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أفلا تعقلون﴾ بطلان قولكم .

٦٦ ﴿ها﴾ للتنبيه ﴿انتم﴾ مبتدأ يا ﴿هؤلاء﴾ والخبر ﴿حاججتم فيما لكم به علم﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم انكم على دينهما ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ من شان ابراهيم ﴿والله يعلم﴾ شأنه ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ قال تعالى تبرئة لابراهيم واثباتا للحق وازالة لشبهتهم في ذلك .

٦٧ ﴿ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا﴾ مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم ﴿مسلما﴾ موحدا على

وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ
تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ
ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟
إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ
أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾
۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ

٧٤

ملة التوحيد والاستسلام لحكم الله ﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض بأنهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وورد على المشركين في ادعاء انهم على ملة ابراهيم .

٦٨ ﴿ان أولى الناس﴾ احقهم ﴿بابراهيم للذين اتبعوه﴾ في زمانه ﴿وهذا النبي﴾ محمد لموافقته له في أكثر شرعه ﴿والذين آمنوا﴾ من أمته فهم الذين ينبغي لهم ان يقولوا نحن على دينه لا أنتم ﴿والله ولي المؤمنين﴾ ناصرهم وحافظهم .

ومن الشبهات تبشير اليهود والنصارى بدينهم وتزيينهم للناس ما يضلونهم به . كما دعا اليهود معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم . قال تعالى تحذيرا من الاغترار بهم :

٦٩ ﴿ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم﴾ لأن اثم اضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعون فيه ﴿وما يشعرون﴾ بذلك .

٧٠ ﴿يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ القرآن لأن دعوتكم للمؤمنين به ان يتركوه ليدخلوا دينكم تكذيب لآيات الله التي انزلها عليه ﴿وانتم تشهدون﴾ تعلمون انها حق من الله .

٧١ ﴿يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق﴾ تخلطونه ﴿بالباطل﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وتكتمون الحق﴾ اي نعت النبي ﴿وانتم تعلمون﴾ انه حق ، فسر الشهادة بالعلم لأنها الخبر القاطع فيلزمها العلم :

ومن تلبيسات اليهود ليلقوا الشبهات على المؤمنين الدخول في الدين باللسان دون الاعتقاد القلبي ثم الخروج منه بعد ذلك على زعم الاطلاع على الفساد وعدم الصحة فيه ، واليه اشار بقوله تعالى :

٧٢ ﴿وقالت طائفة من اهل الكتاب﴾ اليهود لبعضهم ﴿آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا﴾ اي القرآن او الاسلام ﴿وجه النهار﴾ اوله ﴿واكفروا﴾ به ﴿آخره لعلهم﴾ اي المؤمنين ﴿يرجعون﴾ عن دينهم اذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم الا لعلمهم بطلانه ، وقالوا أيضا .

٧٣ ﴿ولا تؤمنوا﴾ تصدقوا ﴿الا لمن﴾ اللام زائدة او لا تقروا الا لمن فاللام غير زائدة ﴿تبع﴾ وافق ﴿دينكم﴾ قال تعالى ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ان الهدى هدى الله﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال والجملة اعتراض ﴿أن﴾ اي بأن ﴿يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل و«أن» مفعول «تؤمنوا» والمستثنى منه «أحد» قدم عليه المستثنى . المعنى لا تقروا بأن أحدا يؤتى ذلك الا لمن تبع دينكم ﴿أو يحاجوكم﴾ اي المؤمنون يغلبوكم ﴿عند ربكم﴾ يوم القيامة لأنكم اصح دينا وفي قراءة «أأن» بهمزة التوبيخ اي أإيتاء أحد مثله تقرون به قال تعالى ﴿قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ فمن أين لكم انه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿والله واسع﴾ كثير الفضل ﴿عليم﴾ بمن هو أهله :

٧٤ ﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ .

الخيانة في الدين اصلها الحرص على المال وحب الدنيا وزخارفها وحب المال والدنيا يسبب الخيانة في المال والاخلاق اللئيمة وتقدم

وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ
عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ
لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ
إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ
ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن

البيان في الخيانة في الدين ويأتي بيان الخيانة في الاموال من اليهود فيما يأتي فقال تعالى :

٧٥ ﴿ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار﴾ اي بمال كثير ﴿يؤده اليك﴾ لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل الفا ومائتي اوقية ذهبا فأداها اليه ﴿ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك﴾ لخيانته ﴿الا ما دمت عليه قائما﴾ لا تفارقه فتى فارقته أنكره ككعب ابن الاشرف استودعه قرشي دينارا فجحده ﴿ذلك﴾ اي ترك الاداء ﴿بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين﴾ اي العرب ﴿سبيل﴾ اي آثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه اليه تعالى ، قال تعالى : ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ في نسبة ذلك اليه في التوراة ﴿وهم يعلمون﴾ انهم كاذبون اي لم يقولوا ذلك عن جهل فيعذروا .

وعن النبي ﷺ كما رواه الطبراني وغيره من حديث سعيد بن جبير مرسلا أنه قال عند نزولها « كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي ، اي منسوخ متروك ، الا الأمانة فانها مؤداة الى البر والفاجر » .

٧٦ ﴿بلى﴾ عليهم فيه سبيل ﴿من أوفى بعهده﴾ الذي عاهد الله عليه او بعهد الله اليه من اداء الامانة وغيره ﴿واتقى﴾ الله بترك الخيانة والمعاصي وعمل الطاعات ﴿فان الله يحب المتقين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر أي يحبهم بمعنى يثيبهم والمقصود به العموم . روى الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » . اهـ .

ومن خيانة اهل الكتاب في غير المال تبديل كتاب الله بما يحبون مثل نعت النبي ، وعهد الله اليهم في التوراة ، والاجتراء على الحلف كذبا ، أو في بيع سلعة فللرد عن الاقتداء بهم فيها قال الله تعالى :

٧٧ ﴿ان الذين يشترون﴾ يستبدلون ﴿بعهد الله﴾ اليهم في الايمان واداء الامانة ﴿وأيمانهم﴾ حلفهم به تعالى كاذبين ﴿ثمنا قليلا﴾ من الدنيا ﴿اولئك لاخلاق﴾ نصيب ﴿لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله﴾ غضبا عليهم ﴿ولا ينظر اليهم﴾ يرحمهم ﴿يوم القيامة ولا يزكيهم﴾ يطهرهم ﴿ولهم عذاب اليم﴾ مؤلم .

٧٨ ﴿وان منهم﴾ اي اهل الكتاب ﴿لفريقا﴾ طائفة ككعب ابن الاشرف ﴿يلوون السنتهم بالكتاب﴾ اي يعطفونها بقراءته عن المنزل الى ما حرفوه من نعت النبي ونحوه ﴿لتحسبوه﴾ اي المحرف ﴿من الكتاب﴾ الذي انزله الله ﴿و﴾ الحال ﴿ما هو من الكتاب و يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ اي يقولون مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ انهم كاذبون .

ومن الشبهات مجاوزة الحد فيما حددته الشريعة لقصد التعظيم في الوقوف على حدود الشريعة في كل شيء وقد طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ حيث قال : يا محمد انا نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك ، فقال الله لرد مثل هذه الشبهات .

٧٩ ﴿ما كان﴾ ينبغي ﴿لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم﴾ اي الفهم للشريعة ﴿والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله﴾ متجاوزين الله اشراكا او افرادا اي لا يعطي الله الكتاب والحكم والنبوة لمن يقول هذه المقالة الشنعاء ﴿ولكن﴾ يقول ﴿كونوا ربانيين﴾ علماء عاملين مفرده منسوب الى الرب بزيادة الف ونون تفخيما كرقباني وشعراني ولحياني للغليظ الرقبة والكثير الشعر والطويل اللحية وتفرد هذه الزيادة عن النسب واما اذا نسبوا الى الرقبة و الشعر واللحية من غير مبالغة قالوا رقبي وشعري ولحوي هذا معنى قول سيبويه . وقيل انه منسوب الى ربان والربان هو المعلم للخير ومن يسوس الناس ويعرفهم أمر دينهم فالالف والنون دالان على زيادة الوصف كما في العطشان وجوعان ووسنان وتكون النسبة على هذا للمبالغة . ﴿بما كنتم تعلمون﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ اي بسبب ذلك فان فائدته ان تعملوا .

٨٠ ﴿ولا يأمركم﴾ بالنصب عطفا على يقول أي البشر وقرىء بالرفع استئناف اي الله ﴿أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيرا او الاحبار والنصارى عيسى او الرهبان ﴿أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون﴾ لا ينبغي له هذا والاستفهام للانكار وهو خطاب للمؤمنين القاصدين للسجود للنبي ﷺ للتعظيم فخاطبهم الله به على طريق التعجب من ذلك . و «بعد» : متعلق «بيأمركم» وبعد : ظرف زمان مضاف لظرف زمان ماض و «اذ» : لا يضاف اليها الا الزمان نحو حينئذ ، وجملة «أنتم مسلمون» في محل جر بالاضافة لان «اذ» تضاف الى جملة اسمية أو فعلية .

ثم بين الله تعالى انه لا يجوز لأحد ممن هو على دين غير الاسلام ان يستمر على التمسك به ويترك الاسلام بعدما تبين له أنه حق موافق في العقيدة لما في كتابه الذي يعمل به اذ ترك دخوله الاسلام ترك لدينه لان الميثاق الذي في كتابه مشتمل على اتباع محمد ﷺ بقوله تعالى :

٨١ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ﴾ حين ﴿أخذ الله ميثاق النبيين﴾ عهدهم ﴿لما﴾ بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين اي للذي ﴿آتيتكم﴾ اياه وفي قراءة آتيناكم ﴿من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم﴾ من الكتب والحكمة وهو صادق لكل نبي يأتي بعد آخر الى محمد ﷺ ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ جواب القسم ان ادركتموه واممهم تبع لهم في ذلك ﴿قال﴾ تعالى لهم ﴿أأقررتم﴾ بذلك ﴿وأخذتم﴾ قبلتم ﴿على

كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ
تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَـٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّـۧنَ
أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ النَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ
وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى
قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَـٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ
وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ

٧٦

ذلكم إصري﴾ عهدي ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا﴾ على انفسكم واتباعكم بذلك ﴿وانا معكم من الشاهدين﴾ عليكم وعليهم .

٨٢ ﴿فمن تولى﴾ أعرض . ﴿بعد ذلك﴾ الميثاق ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن الايمان اعاد الضمير في تولى على لفظ «من» وجمع اولئك حملا على المعنى . فمن أخذ ذلك الميثاق يعرف انه لا ينبغي ليهودي ولا لنصراني أن يستمر بالتمسك بيهوديته او نصرانيته ويترك الاسلام بعدما تبين له الحق والا فليس على شيء من دينه اذ ترك شرطه .

٨٣ ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ اي أيطلبون دينا غير دين الله اي الاسلام الذي أخذ الميثاق على اتباعه اذا ظهر بالياء المتولون وقرىء بالتاء ﴿وله أسلم﴾ انقاد ﴿من في السموات والارض طوعا﴾ بلا اباء ﴿وكرها﴾ بالسيف ومعاينة ما يلجىء اليه ﴿واليه ترجعون﴾ بالتاء وقرىء بالياء والاستفهام للانكار ومن شروط الايمان بدين الله الايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام

مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟
بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ
أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟
كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم
مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

٧٧

ولذلك قال تعالى :

٨٤ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط﴾ أولاده ﴿وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ونحن له مسلمون﴾ مخلصون في العبادة .

٨٥ ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا﴾ وهو دين الله فمن طلب غيره دينا ﴿فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ لمصيره الى النار المؤبدة عليه .

٨٦ ﴿كيف﴾ اي لا ﴿يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم﴾ بالانبياء قبل محمد وبشروا به ﴿وشهدوا﴾ اي وشهادتهم ﴿ان الرسول حق﴾ اذ وافقت صفاته الصفات المذكورة في كتبهم ﴿وجاءهم البينات﴾ الحجج الظاهرات على صدقه اي لا يهديهم الله اذا طلبوا غير الاسلام بعد ثبوت ادلته عندهم فان انكار الحق ظلم ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ اي الكافرين .

٨٧ ﴿أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾

٨٨ ﴿خالدين فيها﴾ اي اللعنة او النار المدلول بها عليها ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون﴾ يمهلون :

٨٩ ﴿الا الذين تابوا﴾ اي رجعوا الى دين الاسلام ﴿من بعد ذلك﴾ الكفر والارتداد ﴿وأصلحوا﴾ عملهم ﴿فان الله غفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم . ثم بين حكم اليهود فقال :

٩٠ ﴿ان الذين كفروا﴾ بعيسى ﴿بعد ايمانهم﴾ بموسى ﴿ثم ازدادوا كفرا﴾ بمحمد ﴿لن تقبل توبتهم﴾ اذا غرغروا أو ماتوا كفارا فان توبة الكافر مقبولة كما هو مقرر في الفروع ودلت عليه الآية السابقة «الا الذين تابوا» الخ وحاصل الجواب ان توبته انما تقبل اذا كانت صحيحة ومن شروط صحتها أن لا يصل الى حد الغرغرة فان لم تصح فهي غير مقبولة ودينه غير مقبول لانه غير الاسلام . لانه من شروط الاسلام الايمان بجميع الانبياء وما انزل عليهم ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بالكفر بالانبياء اي اليهود ﴿هم الضالون﴾ . اي المتناهون في الضلال ويصعب عليهم ان يتركوا ضلالهم الى الحق لشدة غلوهم فيه . وغيرهم اقرب الى الايمان بمحمد منهم .

ولما كان كفران اليهود ضعفين وكفران النصارى كفرا واحدا يمكن ان يتطرق الوهم الى أن النصارى غير ضالين فبين فيما يأتي أنهم على حد واحد اذا ماتوا في الكفر فقال :

٩١ ﴿ان الذين كفروا﴾ بمحمد ﴿وماتوا وهم كفار﴾ فتابوا في الآخرة عند معاينة العذاب كما أشير بقوله تعالى : «ولو

أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟
مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾
۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟
بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾
قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ
مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ
حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ

ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا» الخ ويقوله : «فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا» ﴿فلن يقبل من أحدهم ملء الارض﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذهبا ولو افتدى به﴾ ادخل الفاء في خبر «إن» لشبه الذي بالشرط وإيذانا بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أولئك لهم عذاب اليم﴾ مؤلم ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين منه فالنصارى واليهود وغيرهم من الكفار في هذا سواء والفرق بين اليهود وغيرهم ان اسلام اليهودي ربما كان اشد من اسلام غيره لتضاعف كفر اليهودي ورين الكفر على قلبه . والله أعلم .

ولما بين أن غير الاسلام لا يقبله دينا وأن من مات على كفر لا يقبل منه فداء مهما كثر وكبر من الاموال . ذكر فيما يأتي ان المسلم يقبل منه الاسلام ولكن أتم الاسلام واكمله لا يكون الا بانفاق كرائم الأموال في الله فقال :

٩٢ ﴿لن تنالوا البر﴾ اي ثوابه وهو الجنة والبر فعل الخيرات ﴿حتى تنفقوا﴾ تصدقوا ﴿مما تحبون﴾ من اموالكم ﴿وما تنفقوا من شيء﴾ مهما كان في القلة او أي نوع كبذل الجاه ﴿فان الله به عليم﴾ فيجازي عليه .

ومن تلبيس اليهود بعدما ثبتت عليهم الحجة ان ابراهيم ليس بيهودي ولا نصراني وانما أقرب الناس اليه هم أصحابه في زمانه وهذا النبي والذين آمنوا به ان قالوا ابراهيم لا يأكل لحوم الابل ولا يشرب ألبانها فكيف أمكن للمؤمنين أتباع محمد أن يأكلوها فقال الله تعالى في الرد عليهم :

٩٣ ﴿كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل﴾ يعقوب ﴿الا ما حرم اسرائيل﴾ يعقوب ﴿على نفسه﴾ خاصة فحرم عليهم في التوراة وهو الابل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر ان شفي لا يأكلها فحرم عليهم ﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾ وذلك بعد زمن ابراهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا ﴿قل﴾ لهم ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ لتبيين صدق قولكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى :

٩٤ ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك﴾ اي ظهور الحجة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب لا على عهد ابراهيم ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ المتجاوزون الحق الى الباطل :

٩٥ ﴿قل صدق الله﴾ في هذا كجميع ما أخبر به ﴿فاتبعوا ملة ابراهيم﴾ التي انا عليها ﴿حنيفا﴾ مائلا عن كل دين الى الاسلام ﴿وما كان من المشركين﴾ اي في أمر من أمور دينية اصلا وفرعا

وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بأنه ﷺ ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا وهو على دين ابراهيم في الأصول لأنه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى .

ومن شبهات اليهود تفضيل بيت المقدس على الكعبة بقولهم هو افضل من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر ليلبسوا بذلك على المسلمين قال الله تعالى :

٩٦ ﴿ان اول بيت وضع﴾ مبتدأ ﴿للناس﴾ في الارض ﴿للذي ببكة﴾ بالباء لغة في مكة سميت بذلك لأنها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ، بناه الملائكة قبل خلق آدم بألفي عام ووضع بعده الأقصى وبينهما اربعون سنة كما في حديث الصحيحين ، وفي حديث أنه اول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحته ﴿مباركا﴾ حال

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ
تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ
وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ

من الذي أي ذا بركة ﴿وهدى للعالمين﴾ لأنه قبلتهم وفيه اخبار بانتشار الاسلام في جميع العالم واختصار اليهودية بالقبيلة ولا يكون بيت المقدس قبلة العالم .

٩٧ ﴿فيه آيات بينات﴾ منها ﴿مقام ابراهيم﴾ اي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه وبقي الى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه ومنها تضعيف الحسنات فيه وان الطير لا يعلوه ولا يقطع هواءه الا للتداوى ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ لا يتعرض اليه بقتل او ظلم او غير ذلك .فهو حرم آمن ولا يحمي بعد الاسلام مجرما وروي عن النبي ﷺ «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة» . وعنه عليه الصلاة والسلام «من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام» . ومن تفضيل بيت الله ببكة على غيره جعله موضع الحج دون غيره فهو قوله تعالى : ﴿ولله على الناس﴾ من زمن آدم الى آخر الدنيا ﴿حج البيت﴾ واجب بكسر الحاء وقريء بفتحها لغتان في مصدر حج بمعنى قصد ويبدل من الناس ﴿من استطاع اليه سبيلا﴾ طريقا فسره ﷺ بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره ﴿ومن كفر﴾ بالله وأبى ان يقبل الحق في أمر تفضيل الكعبة على بيت المقدس ﴿فان الله غني عن العالمين﴾ الانس والجن والملائكة اي فمن كفر عن الحق فانه لا يضر الا نفسه لان الله غني عنه وعن غيره ويفرض احكامه على المكلفين لفوائد يرجع نفعها اليهم لا له تعالى .

ومن تلبيس اليهود جحدهم آيات الله على علمهم بصدقها ليضلوا الناس عنها فأنكر الله عليهم ذلك :

٩٨ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ القرآن ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ فيجازيكم عليه :

٩٩ ﴿قل يا اهل الكتاب لم تصدون﴾ تصرفون ﴿عن سبيل الله﴾ اي دينه ﴿من آمن﴾ من الناس بتكذيبكم النبي وكتم نعته ﴿تبغونها﴾ اي تطلبون السبيل ﴿عوجا﴾ مصدر بمعنى معوجة اي مائلة عن الحق ﴿وأنتم شهداء﴾ عالمون بان الدين المرضي القيم هو دين الاسلام كما في كتابكم ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ من الكفر والتكذيب وانما يؤخركم الى وقتكم ليجازيكم .

ومن تلبيس اليهود دس النزعات الجاهلية والحمية بين المسلمين مثل ما كان بين الاوس والخزوج من الفتن قبل الاسلام فيتشاجرون حتى كادوا يقتتلون فيما بينهم فتضعف بذلك الروابط الدينية التي تربطهم . فقال الله تعالى :

١٠٠ ﴿يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين﴾ .

١٠١ ﴿وكيف تكفرون﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم﴾ يتمسك ﴿بالله فقد هدي الى صراط مستقيم﴾ وهي الشريعة التي تسوي بين القريب

والبعيد وتمنع العمل بمقتضى العواطف الجاهلية والتوترات العنصرية :

١٠٢ ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ اي اتبعوا شرائعه ولا تحكموا العوائد بقدر الطاقة كما قال في آية : « فاتقوا الله ما استطعتم » فهي مفسرة لهذه ﴿ولا تموتن الا وأنتم مسلمون﴾ منقادون لاوامر الله موحدون له بالعبادة :

١٠٣ ﴿واعتصموا﴾ تمسكوا ﴿بحبل الله﴾ اي دينه ﴿جميعا ولا تفرقوا﴾ بعد الاجتماع بالاسلام ﴿واذكروا نعمت الله﴾ انعامه ﴿عليكم﴾ يا معشر المسلمين مثل الاوس والخزرج ﴿اذ كنتم﴾ قبل الاسلام ﴿اعداء فألف﴾ جمع ﴿بين قلوبكم﴾ بالاسلام ﴿فاصبحتم﴾ فصرتم ﴿بنعمته اخوانا﴾ في الدين والولاية ﴿وكنتم على شفا﴾ طرف ﴿حفرة من النار﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تموتوا كفارا ﴿فأنقذكم منها﴾ بالايمان ﴿كذلك﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ تتبعون طرق الهدى المستقيم باتباع الآيات . ثم ارشد المسلمين بما يسهل لهم اتباع طريق الهدى فقال :

١٠٤ ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير﴾ الاسلام المشتمل على جميع الخير الدنيوي والاخروي ﴿ويأمرون بالمعروف﴾ شرعا ﴿وينهون عن المنكر﴾ ما تنكره الشريعة اي يامرون الناس وينهونهم ﴿وأولئك﴾ الناس الذين فيهم الداعون الآمرون الناهون ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون ومن للتبعيض لان ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الامة ولا يليق بكل أحد كالجاهل وقيل زائدة اي لتكونوا أمة :

١٠٥ ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ عن دينهم ﴿واختلفوا﴾ فيه ﴿من بعدما جاءهم البينات﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ :

١٠٦ ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ اي يوم القيامة ﴿فاما الذين اسودت وجوههم﴾ وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم توبيخا ﴿أكفرتم بعد ايمانكم﴾ يوم الميثاق وايمان اليهود بموسى والنصارى بعيسى ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ :

١٠٧ ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم﴾ وهم المؤمنون الذين آمنوا بكل ما جاء به محمد ﷺ ﴿ففي رحمة الله﴾ اي جنته ﴿هم فيها خالدون﴾ فمعرفة الدوام في الجنة أنعم من دخولها .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ
فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ

٨٠

ثم عقب على تلبسات اهل الكتاب والاجوبة عنها بما يأتي فقال :

١٠٨ ﴿تلك﴾ المذكورات ﴿آيات الله﴾ من كونها فضحت اهل الكتاب الذين ارادوا ان يلبسوا على المؤمنين دينهم فبيناها ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ يا محمد ﴿وما الله يريد ظلما للعالمين﴾ بأن يأخذهم بغير جرم وهنا مرتبط في المعنى بقوله : « فاما الذين اسودت وجوههم » :

١٠٩ ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿والى الله ترجع﴾ تصير ﴿الأمور﴾ فكل شيء ملكه فلا يمكن ان ينسب اليه ظلم الا أنه ينتقم بالعدل .

أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ
يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ
أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو
بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا۟ سَوَآءً
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ
ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

٨١

١١٠ ﴿كنتم﴾ يا أمة محمد في علم الله تعالى ﴿خير أمة أخرجت﴾ اظهرت ﴿للناس تأمرون بالمعروف﴾ شرعا ﴿وتنهون عن المنكر وتومنون بالله﴾ ولستم مثل الذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وهو مرتبط بقوله : «واما الذين ابيضت وجوههم» الخ . ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ وامروا بالمعروف ونهوا كما آمنتم وامرتم ونهيتم ﴿لكان﴾ ذلك ﴿خيراً لهم منهم المؤمنون﴾ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه واصحابه ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ الكافرون لعدم القيام بما أمروا به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

١١١ ﴿لن يضروكم﴾ اي اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿الا أذى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ منهزمين ﴿ثم لا ينصرون﴾ عليكم بل لكم النصر عليهم :

١١٢ ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾ حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿الا﴾ كائنين ﴿بحبل من الله﴾ بعهد بان يسلموا فتزول عنهم الذلة ﴿وحبل من الناس﴾ المؤمنين وهو عهدهم اليهم بالأمان على أداء الجزية اي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وباءوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾ وهي ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا . ﴿ذلك﴾ المذكور من ضرب الذلة عليهم والمسكنة وغضب الله . ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك﴾ أي كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ﴿بما عصوا﴾ امر الله اي بسبب عصيانهم اي العصيان سبب الكفر والقتل وهما سببا غضب الله وضرب المسكنة عليهم ﴿وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون الحلال الى الحرام :

١١٣ ﴿ليسوا﴾ اي اهل الكتاب ﴿سواء﴾ مستوين ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضي الله عنه واصحابه ﴿يتلون آيات الله آناء الليل﴾ أي في ساعاته ﴿وهم يسجدون﴾ يصلون حال .

١١٤ ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿من الصالحين﴾ . ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين .

١١٥ ﴿وما يفعلوا﴾ الامة القائمة من اهل الكتاب ﴿من خير فلن يكفروه﴾ يعدموا ثوابه بل يجازون عليه وقريء بالتاء في الفعلين ما تفعلوه يا ايتها الامة المحمدية فلن تعدموا ثوابه بل تجزون عليه ﴿والله عليم بالمتقين﴾ المتبعين اوامره والمجتنبين نواهيه فلا يتركهم بل يجازيهم . ثم وصف الكفار بما يأتي فقال :

كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ
مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ
قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ
تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ
قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ

١١٦ ﴿ان الذين كفروا لن تغني﴾ تدفع ﴿عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ اي عذابه ﴿شيئا﴾ وخصهما بالذكر لأن الانسان يدفع عن نفسه تارة بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ :

١١٧ ﴿مثل﴾ صفة ﴿ما ينفقون﴾ اي الكفار ﴿في هذه الحيوة الدنيا﴾ في عداوة النبي او صدقة ونحوها ﴿كمثل ريح فيها صر﴾ حر أو برد شديد ﴿أصابت حرث﴾ زرع ﴿قوم ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعصية ﴿فأهلكته﴾ فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وما ظلمهم الله﴾ بضياع نفقاتهم ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر الموجب لضياعها .

ثم حذر الله المؤمنين من الكفار بما يأتي فقال :

١١٨ ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة﴾ اصفياء تطلعونهم على سركم ﴿من دونكم﴾ اي غيركم من اليهود والمنافقين ﴿لا يألونكم خبالا﴾ نصب بنزع الخافض اي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿ودوا﴾ تمنوا ﴿ما عنتم﴾ اي عنتكم وهو شدة الضرر ﴿قد بدت﴾ ظهرت ﴿البغضاء﴾ العدواة لكم ﴿من أفواههم﴾ بالوقيعة فيكم واطلاع المشركين على سركم ﴿وما تخفي صدورهم﴾ من العداوة ﴿أكبر قد بينا لكم الآيات﴾ على عداوتهم ﴿ان كنتم تعقلون﴾ ذلك فلا توالوهم :

١١٩ ﴿ها﴾ للتنبيه ﴿أنتم﴾ يا ﴿اولاء﴾ المؤمنين ﴿تحبونهم﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿ولا يحبونكم﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم ﴿واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل﴾ اطراف الاصابع ﴿من الغيظ﴾ شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ويعبر عن شدة الغضب بعض الانامل مجازا وان لم يكن ثم عض

﴿قل موتوا بغيظكم﴾ اي ابقوا عليه الى الموت فلن تروا ما يسركم ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب ومنه ما يضمره هؤلاء :

وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت
طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن
يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن
فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ
قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ

١٢٠ ﴿ان تمسسكم﴾ تصبكم ﴿حسنة﴾ نعمة كنصر وغنيمة ﴿تسؤهم﴾ تحزنهم ﴿وان تصبكم سيئة﴾ كهزيمة وجدب ﴿يفرحوا بها﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى أنهم متناهون في عداوتكم فلم توالونهم فاجتنبوهم ﴿وان تصبروا﴾ على أذاهم ﴿وتتقوا﴾ الله في موالاتهم وغيرها ﴿لا يضركم﴾ بضم الضاد وتشديد الراء وقرىء بكسرها وسكون الراء من ضر يضر ومن ضار يضير والفعل جواب الشرط مجزوم وحركت الراء بالضمة على قراءة التشديد لالتقاء الساكنين وللإتباع لحركة الضاد ﴿كيدهم شيئا ان الله بما تعملون﴾ بالياء والتاء ﴿محيط﴾ عالم فيجازيهم به.

وفيما يلي بيان ان الكفار لا يستطيعون ان يضروكم ما تمسكتم بالارشادات التي تأتيكم من الله فقال :

١٢١ ﴿و﴾ اذكر يا محمد لاصحابك ما وقع من الاحوال الناشئة من عدم الصبر على التمسك بامر الله ليعلموا أنهم ان لزموا الصبر لا يضرهم كيد الكفرة ﴿اذ غدوت من اهلك﴾ من المدينة ﴿تبوىء﴾ تنزل ﴿المؤمنين مقاعد﴾ مراكز يقفون فيها ﴿للقتال والله سميع﴾ لاقوالكم ﴿عليم﴾ باحوالكم وهو يوم احد خرج ﷺ بألف أو الاخمسين رجلا . والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره وعسكره الى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشا من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو نصرنا .

١٢٢ ﴿اذ﴾ بدل من اذ قبله ﴿همت طائفتان منكم﴾ وهم بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿ان تفشلا﴾ تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبدالله بن أبي المنافق واصحابه وقال علام نقتل انفسنا واولادنا ، وقال لأبي جابر السلمى القائل له انشدكم في نبيكم وانفسكم «لو نعلم قتالا لاتبعناكم» فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿والله وليهما﴾ ناصرهما ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ليثقوا به دون غيره ومع ذلك هزم المسلمون بسبب ترك أمر الله واقبالهم على الغنيمة ومخالفة أمر النبي في المركز لتذكيرهم ولنهيهم عن مثل ذلك قال الله تعالى :

١٢٣ ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وأنتم أذلة﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ نعمه .

١٢٤ ﴿اذ﴾ ظرف لنصركم ﴿تقول للمؤمنين﴾ تعدهم تطمينا ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم﴾ يعينكم ﴿ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد :

١٢٥ ﴿بلى﴾ يكفيكم ذلك وفي الانفال بألف لانه أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة كما قال . واما قوله ﴿ان تصبروا﴾ على لقاء العدو ﴿وتتقوا﴾ الله في المخالفة ﴿ويأتوكم﴾ اي المشركون ﴿من فورهم﴾ وقتهم ﴿هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ بكسر الواو وقرىء بفتحها اي معلمين فهو شرط ووعد مستمر للمسلمين في كل وقت وحين ، وكلما صبر مسلمون على قتال عدوهم فان الله ينجز وعده لهم فينزل ملائكته لتثبيتهم ، ومما يدل على هذا قوله تعالى :

١٢٦ ﴿وما جعله الله﴾ اي الامداد أو الوعد متى حصل الشرط ﴿الا بشرى لكم﴾ بالنصر والبشرى او البشارة هي الاخبار بما يسر والبشارة مطلقة لا تكون الا بالخير . والله اعلم ﴿ولتطمئن﴾ تسكن ﴿قلوبكم به﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم﴾ يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند .

فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا
الرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ
وَالْكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ

١٢٧ ﴿ليقطع﴾ متعلق بنصركم اي ليهلك ﴿طرفا من الذين كفروا﴾ بالقتل والاسر ﴿أو يكبتهم﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فينقلبوا﴾ يرجعوا ﴿خائبين﴾ لم ينالوا ما رامره .

ولما ذكر تعالى ان النصر انما هو في يده وليس لاحد من الناس او من الملائكة نبه بما يأتي تأكيدا لما تقدم ولا ينكسر عزم المسلمين بعده عليه الصلاة والسلام فقال :

١٢٨ ﴿ليس لك﴾ يا محمد ﴿من الامر شيء﴾ ليس امر النصر في يدك بل هو من الله وهو حي لا يموت وانما عليك البلاغ ﴿أو﴾ بمعنى الى ان ﴿يتوب﴾ الله ﴿عليهم﴾ بالاسلام واخلاص النية فيه فيجدوا نصره على عدوهم ﴿أو يعذبهم فانهم ظالمون﴾ لانهم تركوا اسباب النصر المشروط لهم بالصبر والتقوى وان لم يحصل الشرط فلا يحصل المشروط فظلموا انفسهم بذلك هذا فيما يتعلق بالدنيا واما فيما يتعلق بالآخرة فقال :

١٢٩ ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿والله غفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بهم اي وان كان تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فان غفرانه ورحمته غلبت انتقامه ولا يقنط من رحمته الا الظالمون .

ولما كان الامر متعلقاً بالنصر على شرط الصبر والتقوى نهاهم عما هو الغالب في نفس الانسان وهو عدم الصبر والتقوى عليه وهو جمع المال بوجه باطل والشح عليه ولا ينفق في سبيل الله فقال :

١٣٠ ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة﴾ بالالف وقرىء بدونها بأن تزيدوا في المال عند حلول الاجل وتؤخروا الطلب ﴿واتقوا الله﴾ بتركه ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون :

١٣١ ﴿واتقوا النار التي اعدت للكافرين﴾ ان تعذبوا بها .

١٣٢ ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ .

١٣٣ ﴿وسارعوا﴾ بواو وقرىء بدونها ﴿الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ اي كعرضهما لو وصلت احداهما بالأخرى والعرض السعة ﴿أعدت للمتقين﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي :

١٣٤ ﴿الذين ينفقون﴾ في طاعة الله ﴿في السراء والضراء﴾ اليسر والعسر ﴿والكاظمين الغيظ﴾ الكافين عن امضائه مع القدرة ﴿والعافين عن الناس﴾ ممن ظلمهم اي التاركين عقوبتهم ﴿والله يحب المحسنين﴾ بهذه الافعال اي يثيبهم .

ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ
ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾

٨٥

١٣٥ ﴿والذين اذا فعلوا فاحشة﴾ ذنبا قبيحا كالزنا ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بما دونه كالقبلة ﴿ذكروا الله﴾ اي وعيده ﴿فاستغفروا لذنوبهم ومن﴾ اي لا ﴿يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا﴾ يديموا ﴿على ما فعلوا﴾ في الحال ﴿وهم يعلمون﴾ ان الذي أتوه معصية بل أقلعوا عنه عند انتباههم وتابوا الى ربهم .

١٣٦ ﴿اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ حال مقدرة اي مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها ﴿ونعم أجر العاملين﴾ بالطاعة هذا الأجر . هذا استطراد بذكر أخلاق السيادة التي بها يرتقي الانسان الى النصر والفلاح فاذا صلحت الرئاسة سهلت القيادة واجتمعت كلمة الاتباع وارتفع المجتمع وانتصر على عدوه وهذا من جواهر الارشاد وأنفسه .

ثم عقب على الارشادات بجزاء من لا يمتثل بما أمر به أو يفعل ما نهي عنه فقال :

١٣٧ ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلكم سنن﴾ طوائف في الكفار خالفوا أوامر الله وكذبوا رسلهم الذين ارسلوا اليهم بامهالهم ثم اخذهم ﴿فسيروا﴾ ايها المؤمنون ولو بالتفكر ﴿في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ الرسل اي آخر امرهم من الهلاك فلا تكونوا مثلهم في التكذيب فيصيبكم ما أصابهم .

١٣٨ ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بيان للناس﴾ كلهم لما ينفعهم ويجلب لهم النصر على عدوهم ﴿وهدى﴾ من الضلال ﴿وموعظة للمتقين﴾ منهم .

ثم رجع الى سرد الارشادات الحربية فقال :

١٣٩ ﴿ولا تهنوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما أصابكم بأحد أو غيره من الاماكن ﴿وأنتم الاعلون﴾ بالغلبة عليهم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ حقا وجوابه دل عليه مجموع ما قبله .

١٤٠ ﴿ان يمسسكم﴾ يصبكم بأحد او غيره ﴿قرح﴾ بفتح القاف وقرىء بضمها جهد من جرح ونحوه ﴿فقد مس القوم﴾ الكفار ﴿قرح مثله﴾ ببدر او غيره ﴿وتلك الأيام نداولها﴾ نصرفها ﴿بين الناس﴾ يوما لفرقة ويوما لأخرى ليتعظوا ﴿وليعلم الله﴾ علم ظهور ﴿الذين آمنوا﴾ أخلصوا في ايمانهم من غيرهم ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ الكافرين فما يدول به لهم على المؤمنين انما هو استدراج ليعاقبهم في آخر الامر .

١٤١ ﴿وليمحص الله الذين أمنوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما أصابهم ﴿ويمحق الكافرين﴾ يذهب بنورهم وشوكتهم شيئا فشيئا حتى لا يكون لهم تأثير فتداول الايام اذن انما هو لحكمة يعلمها الله انتم لا تعلمونها فلا تحزنوا لما يصيبكم من ذلك بل هو تمحيص لكم واعدادكم للقيادة .

١٤٢ ﴿أم﴾ بل أ ﴿حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ بدعوى الاسلام ﴿ولما﴾ لم ﴿يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ علم ظهور ﴿ويعلم الصابرين﴾ في الشدائد .

١٤٣ ﴿ولقد كنتم تمنون﴾ فيه حذف احدى التاءين في الاصل ﴿الموت من قبل ان تلقوه﴾ حيث قلتم ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما ناله شهداؤه ﴿فقد رأيتموه﴾ اي سببه بالحرب ﴿وأنتم تنظرون﴾ اي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلم انهزمتم الرؤية على الملاقاة والوقوف على الاقدام .

ثم ربط قلوبهم بالله وأخذ تفكيرهم عن كل بشر بقوله :

١٤٤ ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ واستمر الدين وهو حي لأنه لله الباقي ﴿أفإن مات﴾ محمد ﴿أو قتل﴾ وخلى عنكم كما خلى غيره من الرسل ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ رجعتم الى الكفر والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكاري اي ما كان محمد معبودا فترجعوا وانما معبودكم الله وهو حي لا يموت ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا﴾ وانما يضر نفسه ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ نعمه بالثبات فينصرهم على عدوهم .

وذكر فيما يأتي أن الاقدام على القتال لا يأتي بالموت وانما الموت بيد الله الذي قيده بالاجل فقال :

١٤٥ ﴿وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله﴾ بقضائه ﴿كتابا﴾ مصدر اي كتب الله ذلك كتابا ﴿مؤجلا﴾ مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فلا يجوز الانهزام لمن يؤمن بهذا الكتاب وينبغي ان تكون نية المؤمن لما يبقى من ثواب الأخرة ولا يتأخر عنه لحفظ ما لا يمكن له حفظه واذا جاء اجله يفنى لا محالة ، وايثار ما يفنى على ما يبقى ليس من العزم ومع ذلك ﴿ومن يرد﴾ بعمله ﴿ثواب الدنيا﴾ اي جزاءه منها ﴿نؤته منها﴾ ما قسم له ولكن لاحظ له في الآخرة ﴿ومن يرد ثواب الآخرة﴾ بعمله وجاهد في سبيل الله ﴿نؤته منها﴾ من ثواب الدنيا ونمنحه اياها ويتمتع بها كغيره ﴿و﴾ في الأخرة ﴿سنجزي الشاكرين﴾ اي نعطيه ايضا جزاءه الذي جاهد لأجله عندما يبرز مع الشاكرين لنعم الله فنجزيه ثوابه معهم وهذا مثل قوله تعالى : «فمنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» الا ان ذلك في الدعاء بالقول وهذا في العمل بالنية وفي الحديث قال النبي ﷺ : انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه . رواه الشيخان .

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ
وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ
كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾
وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ
أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ
يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا
ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا
عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا

٨٦

ثم رجع بنا السياق الى ربط القلوب بالله ونزع ثقتها عما سواه فقال تعالى :

١٤٦ ﴿وكأين﴾ كم ﴿من نبي قاتل﴾ مبنى للفاعل وقرىء قتل للمفعول والفاعل او نائب الفاعل ضميره ﴿معه﴾ خبر مبتدؤه ﴿ربيون﴾ اي ربانيون علماء أتقياء أي عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى ربة وهي الجماعة للمبالغة ﴿كثير﴾ جموع كثيرة ﴿فما وهنوا﴾ جبنوا ﴿لما أصابهم في سبيل الله﴾ من الجراح وقتل انبيائهم واصحابهم ﴿وما ضعفوا﴾ عن الجهاد ﴿وما استكانوا﴾ خضعوا لعدوهم فنجحوا بأن جاءهم النصر بما صبروا ﴿والله يحب الصابرين﴾ على البلاء اي يثيبهم :

وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ
أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ
أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ
وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ
إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ
وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا
وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾
۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

١٤٧ ﴿وما كان قولهم﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا﴾ تجاوزنا الحد ﴿في أمرنا﴾ ايذانا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضما لأنفسهم ﴿وثبت أقدامنا﴾ بالقوة على الجهاد ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ :

١٤٨ ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ النصر والغنيمة ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ اي الجنة وحسنة التفضل فوق الاستحقاق ﴿والله يحب المحسنين﴾ الذين يفعلون مثل هؤلاء .

ثم عاد السياق فيما يأتي للوعظ وتحذير المؤمنين عن اتباع الكفار والوعد بنصرهم عليهم وتنبيههم بسبب ما أصابهم من الفشل في بعض المواقع ليأخذوا حذرهم فقال تعالى .

١٤٩ ﴿يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ الى الكفر ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ في الدارين اما خسران الدنيا فلأن أشق الأشياء على العقلاء في الدنيا الانقياد الى العدو واظهار الحاجة له ، واما خسران الآخرة فالحرمان من الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد . فليسوا انصارا لكم حتى تطيعوهم .

١٥٠ ﴿بل الله مولاكم﴾ ناصركم ﴿وهو خير الناصرين﴾ فاطيعوه دونهم .

١٥١ ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ بسكون العين وقرىء بضمها الخوف وعزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا وكذلك ينصركم الله عليهم بما لم تعلموا من انواع النصر ﴿بما أشركوا﴾ بسبب اشراكهم ﴿بالله ما لم ينزل به سلطانا﴾ حجة على عبادته وهو الاصنام ﴿ومأواهم النار وبئس مثوى﴾ مأوى ﴿الظالمين﴾ الكافرين هي .

١٥٢ ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ اياكم بالنصر ﴿اذ تحسونهم﴾ تقتلونهم ﴿باذنه﴾ بارادته ﴿حتى اذا فشلتم﴾ خسرتم وعجزتم عن اتباع أمر الرسول وعن الصبر عليه ﴿وتنازعتم﴾ اختلفتم ﴿في الأمر﴾ أي امر النبي بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم نذهب فقد نصر اصحابنا وقال بعضكم لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وعصيتم﴾ أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿من بعد ما أراكم﴾ الله ﴿ما تحبون﴾ من النصر وجواب اذا دل عليه ما قبله اي منعكم نصره ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ فثبت به حتى قتل وهم عبد الله بن جبير ومن وقف معه من أصحابه ﴿ثم صرفكم﴾ عطف على جواب اذا المقدر اي ردكم بالهزيمة ﴿عنهم﴾ اي الكفار ﴿ليبتليكم﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿ولقد عفا عنكم﴾ ما ارتكبتموه ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ بالعفو .

وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنزَلَ
عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ
الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ
الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا
وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا

١٥٣ اذكروا «اذ تصعدون» تبعدون في الارض هاربين «ولا تلوون» تعرجون «على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم» اي من ورائكم يقول الي عباد الله «فاثابكم» فجزاكم «غما» حزنا شديدا للهزيمة «بغم» غمكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على أي مضاعفا على غم فوت الغنيمة «لكيلا» متعلق بعفا او أثابكم زائدة «تحزنوا على ما فاتكم» من الغنيمة «ولا ما أصابكم» من القتل والهزيمة «والله خبير بما تعملون».

١٥٤ «ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة» أمنا «نعاسا» بدل «يغشى» بالياء وقرء بالتاء «طائفة منكم» وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم «وطائفة قد أهمتهم أنفسهم» اي حملتهم على الهم فلا رغبة لهم الا نجاتها دون النبي ﷺ واصحابه فلم يناموا وهم المنافقون «يظنون بالله» ظنا «غير الحق» ظن «الجاهلية» حيث اعتقدوا ان النبي قتل أولا ينصر «يقولون هل» ما «لنا من الأمر» أي النصر الذي وعدناه «من» زائدة «شيء قل» لهم «ان الأمر كله» بالنصب توكيدا وقرىء بالرفع مبتدأ خبر «لله» اي القضاء له يفعل ما يشاء «يخفون في أنفسهم ما لا يبدون» يظهرون «لك يقولون» بيان لما قبله «لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا» اي لو كان الاختيار الينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرها «قل» لهم «لو كنتم في بيوتكم» وفيكم من كتب الله عليه القتل «لبرز» خرج «الذين كتب» قضى «عليهم القتل» منكم «الى مضاجعهم» مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة «و» فعل ما فعل بأحد «ليبتلي الله ما في صدوركم» من الاخلاص والنفاق «وليمحص» يظهر «ما في قلوبكم» فتزيدوا ايمانا بان الله ينصركم «والله عليم بذات الصدور» بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وانما يبتلي ليظهر للناس المخلص في ايمانه والمنافق فيه .

١٥٥ «ان الذين تولوا منكم» عن القتال «يوم التقى الجمعان» جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون الا اثني عشر رجلا «انما استزلهم» ازلهم «الشيطان» بوسوسته «ببعض ما كسبوا» من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي «ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور» للمؤمنين «حليم» لا يعجل على العصاة .

ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾
إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ
فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ
بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ

٨٩

١٥٦ ﴿يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾ المنافقين ﴿وقالوا لاخوانهم﴾ اي في شأنهم ﴿اذا ضربوا﴾ سافروا ﴿في الأرض﴾ فماتوا ﴿أو كانوا غزى﴾ جمع غاز ، فقتلوا. ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ اي لا تقولوا كقولهم ﴿ليجعل الله ذلك﴾ القول في عاقبة امرهم ﴿حسرة في قلوبهم والله يحيى ويميت﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿والله بما تعملون﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿بصير﴾ فيجازيكم به .

١٥٧ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿قتلتم في سبيل الله﴾ اي الجهاد ﴿أو متم﴾ بضم الميم وقرىء بكسرها من مات يموت ويمات أي أتاكم الموت فيه ﴿لمغفرة﴾ كائنة ﴿من الله﴾ لذنوبكم ﴿ورحمة﴾ منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره ﴿خير مما يجمعون﴾ من الدنيا بالياء وقرىء بالتاء .

١٥٨ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿متم﴾ بالوجهين ﴿أو قتلتم﴾ في الجهاد أو غيره ﴿لإلى الله﴾ لا الى غيره ﴿تحشرون﴾ في الآخرة فيجازيكم . ﴿فائدة﴾ قد قسم بعضهم مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبدالله خوفا من ناره أمنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى «لمغفرة من الله» . ومن عبدالله شوقا الى جنته أناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى «ورحمة» لان الرحمة من اسماء الجنة ومن عبدالله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله تعالى «لالى الله تحشرون» قلت وان كان فيه وجوه تفسير قيمة لكنه خروج عن تفسيره ﷺ في الحديث الذي رواه عمر رضي الله عنه ثم قال له اي جبريل وما الاحسان قال «ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» وقوله تعالى «ان رحمة الله قريب من المحسنين» . فالعبادة لا بد لها من الثلاثة جميعا خوف عذاب الله ورجاء رحمته وشوق اليه اي انقياد اليه بامتثال امره واجتناب نهيه والا فليست بعبادة منجية والله اعلم .

ثم ذكر تعالى للنبي ﷺ أخلاقه التي جعلت اصحابه يلتفون حوله ولا يتفرقون عنه ليقتدي به كل امام للمسلمين بعده . وأباح له في مسألة الحرب مشورة اصحابه وتنفيذ ما يراه من آرائهم بعد التوكل على الله وقبل ان ينزل عليه قرآن في النازلة تطمينا للمسلمين حوله وتعليما لمن يأتي بعده ﷺ فقال تعالى :

١٥٩ ﴿فبما﴾ ما زائدة ﴿رحمة من الله لنت﴾ يا محمد ﴿لهم﴾ اي سهلت أخلاقك اذا خالفوك ﴿ولو كنت فظا﴾ سيء الخلق ﴿غليظ القلب﴾ جافيا فاغلظت لهم ﴿لانفضوا﴾ تفرقوا ﴿من حولك فاعف﴾ تجاوز ﴿عنهم﴾ ما أتوا ﴿واستغفر لهم﴾ ذنوبهم حتى اغفر لهم ﴿وشاورهم﴾ استخرج آراءهم ﴿في الأمر﴾ اي شأنك من الحرب تطييبا لقلوبهم وليستن بك . وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فاذا عزمت﴾ على امضاء ما تريد بعد المشورة وان لم ينزل اليك قرآن فيه ﴿فتوكل على الله﴾ ثق به وتقدم في تنفيذه ولا تنتظر شيئا فان رضا الله فيه ﴿ان الله يحب المتوكلين﴾ عليه . فيه اشارة الى أمر الائمة بعده عليه الصلاة والسلام بالاقتداء به في هذا وفي غيره من باب أولى وخصصت مسألة الحرب له ﷺ بالمشورة طلبا لتأليف القلوب . وهذا والله اعلم هو الكتاب الذي ذكره الله في سورة الأنفال عند قوله «ولولا كتاب من الله سبق» الآية .

ثم عقب على هذه التعليمات القيمة وحض على اتباعها فقال :

١٦٠ ﴿إن ينصركم الله﴾ يعنكم على عدوكم كما فعل يوم بدر ﴿فلا غالب لكم وإن يخذلكم﴾ بترك نصركم كيوم أحد ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ اي بعد خذلانه اي لا ناصر لكم ﴿وعلى الله فليتوكل﴾ ليثق ﴿المؤمنون﴾ ويتبعوا اوامره ويجتنبوا مخالفته في الامر والنهي ولا يثقوا بقوة مادية او عددية .

والتعليمات المتقدمة كلها ارشادات لربط القلوب مع الله وتأليفها فيما بينها لتكوين أمة مسلمة قوية متحدة النية والكلمة

والعمل في سبيل الله ثم يطهرها فيما يأتي من الاخلاق الذميمة وخصوصا فيما يتعلق بالحرب والغنيمة فان افساد المجتمع هناك اسرع منه في غيره فقال :

١٦١ ﴿ وما كان لنبي ﴾ بواو وبغيره من الانبياء ﴿ ان يغل ﴾ يخون في الغنيمة لأن الخيانة في كل شيء مستحيلة في حق الانبياء وكذلك أتباع الانبياء لا يجوز لهم أن يغلوا لأنهم مأمورون بالاقتداء بالانبياء ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ ثم توفى كل نفس ﴾ الغالة وغيرها جزاء ﴿ ما كسبت ﴾ عملت ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ شيئا ومحمد واحد من الانبياء بل افضلهم وأنتم اتباعه فينبغي ان يكون تنزهكم اشد ممن تقدم من الامم الماضية اتباع الرسل الاولى .

١٦٢ ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ فأطاعه وتنزه من الاخلاق الذميمة مثل الغلول ﴿كمن باء﴾ رجع ﴿بسخط من الله﴾ لمعصيته وتلوثه بغلول ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ والمرجع هي وفي هذا تقبيح لشأن الغلول وتنزيه جميع الانبياء عنه لانه يوجب سخط الله والتنزه عنه يوجب رضوان الله .

١٦٣ ﴿هم﴾ الانبياء الذين يتبعون رضوان الله ﴿درجات﴾ متفاوتون في الدرجات ونبيكم أعلاهم درجة ﴿عند الله﴾ والذين باؤا بسخط الله في دركات على قدر جرمهم وخياناتهم اكتفى بذكر اصحاب الدرجات عنهم اشارة الى انهم لا يستحقون الذكر لحقارتهم ﴿والله بصير بما يعملون﴾ فيجازيهم به .

١٦٤ ﴿لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم﴾ يعرفونه ويعرفون امانته ونزاهة نفسه وهو من جنسهم فيشرفون به وفي قراءة من انفسهم بفتح الفاء من النفاسة واعلى القبائل وخير البيوت ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ القرآن ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من الذنوب والاخلاق الذميمة ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ القوة النظرية الحاصلة بالتعلم المرتب على التلاوة ﴿وان﴾ مخففة اي انهم ﴿كانوا من قبل﴾ قبل بعثه ﴿لفي ضلال مبين﴾ ويذكرهم ايضا بأن كل مصيبة تصيبهم بذنبهم فانما هي قليلة بالنسبة لما أنعم الله عليهم من النعم قبل ان تصيبهم المصيبة فقال :

لا يظلمون ﴿١٦١﴾ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴿١٦٢﴾ هم درجات
عند الله والله بصير بما يعملون ﴿١٦٣﴾ لقد من الله على
المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم
ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا
من قبل لفي ضلال مبين ﴿١٦٤﴾ أولما أصابتكم مصيبة
قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم
إن الله على كل شيء قدير ﴿١٦٥﴾ وما أصابكم يوم التقى
الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين ﴿١٦٦﴾ وليعلم الذين
نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب
منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم

١٦٥ ﴿أولما أصابتكم مصيبة﴾ باحد بقتل سبعين منكم ﴿قد أصبتم مثليها﴾ ببدر بقتل سبعين واسر سبعين منهم ﴿قلتم﴾ متعجبين ﴿أنى﴾ من أين لنا ﴿هذا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكاري ﴿قل﴾ لهم ان سألوا هذا السؤال ﴿هو من عند أنفسكم﴾ لانكم تركتم المركز فخذلتم ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم .

١٦٦ ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ بأحد ﴿فباذن الله﴾ بارادته ﴿وليعلم﴾ الله علم ظهور ﴿المؤمنين﴾ حقا .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا
آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ
مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

٩١

١٦٧ ﴿وليعلم الذين نافقوا و﴾ الذين ﴿قيل لهم﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن ابي واصحابه ﴿تعالوا قاتلوا في سبيل الله﴾ اعداءه ﴿او ادفعوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم ان لم تقاتلوا ﴿قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ قال تعالى تكذيبا لهم ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان﴾ بما اظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا اقرب الى الايمان من حيث الظاهر ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ ولوا علموا قتالا لم يتبعوكم ﴿والله اعلم بما يكتمون﴾ من النفاق .

١٦٨ ﴿الذين﴾ بدل من الذين قبله او صفة ﴿قالوا لاخوانهم﴾ في الدين ﴿و﴾ قد ﴿قعدوا﴾ عن الجهاد ﴿لو اطاعونا﴾ اي شهداء احد ﴿ما قتلوا قل﴾ لهم ﴿فادرؤا﴾ ادفعوا ﴿عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين﴾ ان القعود ينجي من الموت

ثم التفت السياق الى مخاطب فقال رداً لظن المنافقين يا ايها المخاطب لا تحسب خيرا :

١٦٩ ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿في سبيل الله﴾ اي لاجل دينه ﴿امواتا بل﴾ هم ﴿احياء عند ربهم﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت كما ورد في الحديث ﴿يرزقون﴾ يأكلون من ثمار الجنة .

١٧٠ ﴿فرحين﴾ حال من ضمير يرزقون ﴿بما آتاهم الله من فضله و﴾ هم ﴿يستبشرون﴾ يفرحون ﴿بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ من اخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين ﴿ان﴾ اي بأن ﴿لا خوف عليهم﴾ اي الذين لم يلحقوا بهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم .

١٧١ ﴿يستبشرون بنعمة﴾ ثواب ﴿من الله وفضل﴾ زيادة عليه ﴿وان﴾ بالفتح عطفا وقرىء بالكسر استئنافا ﴿الله لا يضيع اجر المؤمنين﴾ بل يأجرهم .

١٧٢ ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿استجابوا لله والرسول﴾ دعاءه بالخروج للقتال لما اراد ابو سفيان وقلوب اصحابه العود وتواعدوا مع النبي سوق بدر العام المقبل من يوم أحد ﴿من بعدما أصابهم القرح﴾ بأحد وخبر المبتدأ ﴿للذين أحسنوا منهم﴾ بطاعته ﴿واتقوا﴾ مخالفته ﴿اجر عظيم﴾ هو الجنة .

١٧٣ ﴿الذين﴾ بدل من الذين قبله او صفة ﴿قال لهم الناس﴾ اي نعيم بن مسعود الاشجعي ﴿ان الناس﴾ ابا سفيان واصحابه ﴿قد جمعوا لكم﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فاخشوهم﴾ ولا تأتوهم ﴿فزادهم﴾ ذلك القول ﴿ايمانا﴾ تصديقا بالله ويقينا ﴿وقالوا حسبنا﴾ كافينا أمرهم ﴿الله ونعم الوكيل﴾ المفوض اليه الامر هو . وخرجوا مع النبي فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب ابي سفيان واصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا قال تعالى :

رِضْوَانَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا
فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾
وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ
إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾
مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ
ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

٩٢

١٧٤ ﴿فانقلبوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بنعمة من الله وفضل﴾ بسلامة وربح ﴿لم يمسسهم سوء﴾ من قتل او جرح ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ بطاعته ورسوله في الخروج ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ على اهل طاعته .

١٧٥ ﴿انما ذلكم﴾ القائل لكم ان الناس الخ ﴿الشيطان يخوف﴾ كم ﴿اولياءه﴾ الكفار ﴿فلا تخافوهم وخافون﴾ في ترك امري ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ حقا فالايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه .

وما يأتي تعقيبات على ما تقدم من التعليمات وتشجيع للنبي والمسلمين فبدأ السياق بمخاطبة النبي ﷺ لتسليته وتصبره على تعنتهم في الكفر وتعرضهم له بالاذى فقال .

١٧٦ ﴿ولا يحزنك﴾ يا محمد بفتح الياء وضم الزاي لغة في احزنه وقرىء بضم الياء وكسر الزاي ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ يقعون في مقولات الكفر من قول وفعل كالتهيؤ لقتالك وهم اهل مكة او المنافقون اي لا تهتم لما يفعلون لمساعدة الكفر ﴿انهم لن يضروا الله شيئا﴾ بفعلهم وانما يضرون انفسهم ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظا﴾ نصيبا ﴿في الآخرة﴾ اي الجنة فلذلك خذلهم ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ في النار .

١٧٧ ﴿ان الذين اشتروا الكفر بالايمان﴾ اي اخذوه بدله ﴿لن يضروا الله﴾ بكفرهم ﴿شيئا ولهم عذاب اليم﴾ مؤلم .

١٧٨ ﴿ولا يحسبن﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿الذين كفروا أنما نملي﴾ اي املاءنا ﴿لهم﴾ بتطويل الاعمار وتأخيرهم ﴿خير لانفسهم﴾ وأن ومعمولاها سدت مسد المفعول الثاني في قراءة الفوقانية ومسد المفعولين في الاخرى ﴿انما نملي﴾ نمهل ﴿لهم ليزدادوا اثما﴾ بكثرة المعاصي ﴿ولهم عذاب مهين﴾ ذو اهانة في الاخرة .

١٧٩ ﴿ما كان الله ليذر﴾ ليترك ﴿المؤمنين على ما انتم﴾ ايها الناس ﴿عليه﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حتى يميز﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد يفصل ﴿الخبيث﴾ المنافق ﴿من الطيب﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك وفعل ذلك كيوم احد ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿ولكن الله يجتبي﴾ يختار ﴿من رسله من يشاء﴾ فيطلعه على غيبه كما اطلع النبي على المنافقين ﴿فآمنوا﴾ ايها الناس ﴿بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا﴾ النفاق ﴿فلكم اجر عظيم﴾

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ
هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ
الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾
ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ
يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

١٨٠ ﴿ولا يحسبن﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ اي زكاته ﴿هو﴾ اي بخلهم ﴿خيراً لهم﴾ مفعول ثان والضمير للفصل والاول بخلهم مقدرا قبل الضمير على التحتانية وقبل الموصول على الفوقانية ﴿بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به﴾ اي بزكاته من المال ﴿يوم القيامة﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث ﴿ولله ميراث السموات والارض﴾ يرثهما وما فيهما من المال فلا معنى لمنع الزكاة فيما هو لله وسيرجع اليه وما صاحبه الا مستخلف فيه فليس له نفع فيه في الحقيقة الا انفاقه في طاعة الله ﴿والله بما تعملون﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿خبير﴾ فيجازيكم به .

١٨١ ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير و نحن أغنياء﴾ وهم اليهود يعارضون قوله تعالى «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا» وقالوا لو كان غنيا ما استقرضنا ﴿سنكتب﴾ نأمر بكتب ﴿ما قالوا﴾ في صحائف اعمالهم ليجازوا عليه وفي قراءة بالياء مبنيا للمفعول وهذا يدل على أن السيئات لا تكتب عند فعلها الا باذن من الله ﴿و﴾ نكتب ﴿قتلهم﴾ بالنصب وقرىء بالرفع على قراءة الياء في سيكتب ﴿الانبياء بغير حق ونقول﴾ بالنون وقرىء بالياء اي الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ النار المحرقة ويقال لهم اذا ألقوا فيها .

١٨٢ ﴿ذلك﴾ العذاب ﴿بما قدمت ايديكم﴾ عبر بها عن الانسان لان اكثر الافعال تزاول بها ﴿وان الله ليس بظلام﴾ اي بذى ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب .

١٨٣ ﴿الذين﴾ صفة للذين قبله ﴿قالوا﴾ لمحمد ﴿ان الله﴾ قد ﴿عهد الينا﴾ في التوراة ﴿ألا نؤمن لرسول﴾ نصدقه ﴿حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به الى الله من نعم وغيرها فان قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه وعهد الى بني اسرائيل ذلك الا في المسيح ومحمد قال تعالى ردا عن هذه الشبهة ﴿قل﴾ لهم توبيخا ﴿قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿وبالذي قلتم﴾ من الاتيان بالقربان كزكريا ويحيي فقتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ وان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم به ﴿فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين﴾ في انكم تؤمنون عند الاتيان به .

١٨٤ ﴿فان كذبوك﴾ اي كذبك اليهود ﴿فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات﴾ المعجزات ﴿والزبر﴾ كصحف ابراهيم ﴿والكتاب﴾ وفي قراءة باثبات الباء فيهما ﴿المنير﴾ الواضح هو التوراة والانجيل فاصبر كما صبروا .

١٨٥ ﴿كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم﴾ جزاء اعمالكم ﴿يوم القيامة فمن زحزح﴾ بعد ﴿عن النار وأدخل الجنة

فقد فاز﴾ نال غاية مطلوبه ﴿وما الحياة الدنيا﴾ اي العيش فيها ﴿إلامتاع الغرور﴾ الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى .

١٨٦ ﴿لتبلون﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين لتختبرن ﴿في أموالكم﴾ بالفرائض فيها - والجوائح ﴿وانفسكم﴾ بالعبادات والبلاء ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ اليهود والنصارى ﴿ومن الذين أشركوا﴾ من العرب ﴿أذى كثيراً﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائكم ﴿وان تصبروا﴾ على ذلك ﴿وتتقوا﴾ الله ﴿فان ذلك من عزم الامور﴾ التي يعزم عليها لوجوبها .

١٨٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ اي العهد عليهم في التوراة ﴿لتبيننه﴾ اي الكتاب ﴿للناس ولا تكتمونه﴾ اي الكتاب بالتاء وقرىء بالياء في الفعلين ﴿فنبذوه﴾ طرحوا الميثاق ﴿وراء ظهورهم﴾ فلم يعملوا به ﴿واشتروا به﴾ أخذوا بدله ﴿ثمنا قليلا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فبئس ما يشترون﴾ شراؤهم هذا .

١٨٨ ﴿لا تحسبن﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿الذين يفرحون بما أتوا﴾ فعلوا من اضلال الناس ﴿ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فلا تحسبنهم﴾ بالوجهين ﴿بمفازة﴾ بمكان ينجون فيه ﴿من العذاب﴾ في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿ولهم عذاب اليم﴾ مؤلم فيها ومفعولا يحسب الاولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط وهنا آخر التعقيبات على النكت المهمة في السورة .

ثم يأتي فيما بعد بمجموع ما في السورة جملة فيخلص القارىء وقد تحصل على معلومات ثلاث مرات من اولها الى أول التعقيبات عند قوله تعالى «ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر» ثم من هنا الى آخر السورة في ضبط عجيب وسبحان الله الحكيم قال تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ
فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ
لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟
بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا
تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

١٨٩ ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين ثم برهن على ذلك بقوله :

قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ
ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ
فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ
أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي
لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم
مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ

٩٥

١٩٠ . ﴿ان في خلق السموات والارض﴾ وما فيهما من العجائب ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لأولي الالباب﴾ لذوي العقول .

١٩١ ﴿الذين﴾ صفة لما قبله او عطف بيان ﴿يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ مضطجعين اي في كل حال وعن ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿ويتفكرون في خلق السموات والارض﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون ﴿ربنا ما خلقت هذا﴾ المخلوق الذي نراه ﴿باطلا﴾ حال عبثا بل دليلا على كمال قدرتك ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فقنا عذاب النار﴾ .

١٩٢ ﴿ربنا انك من تدخل النار﴾ للخلودفيها او للتعذيب ﴿فقد اخزيته﴾ اهنته ﴿وما للظالمين﴾ الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بتخصيص الخزي بهم ﴿من﴾ زائدة لتاكيد النفي ﴿أنصار﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى

١٩٣ ﴿ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي﴾ يدعو الناس ﴿للايمان﴾ اي اليه وهو محمد او القرآن ﴿أن﴾ اي بأن ﴿آمنوا بربكم فآمنا﴾ به ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر﴾ حط ﴿عنا سيئاتنا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وتوفنا﴾ اقبض ارواحنا ﴿مع﴾ في جملة ﴿الابرار﴾ الانبياء والصالحين .

١٩٤ ﴿ربنا وآتنا﴾ اعطنا ﴿ما وعدتنا﴾ به ﴿على﴾ ألسنة ﴿رسلك﴾ من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وان كان وعده تعالى لا يخلف هو سؤال ان يجعلهم من مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم وتكرر ربنا مبالغة في التضرع ﴿ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد﴾ الوعد بالبعث والجزاء .

١٩٥ ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ دعاءهم ﴿أني﴾ اي بأني ﴿لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم﴾ كائن ﴿من بعض﴾ اي الذكور والاناث وبالعكس والجملة مؤكدة لما قبلها اي هم سواء في المجازاة بالاعمال وترك تضييعها ﴿فالذين

هاجروا﴾ من مكة الى المدينة ﴿وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي﴾ ديني ﴿وقاتلوا﴾ الكفار ﴿وقتلوا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد وفي قراءة بتقديمه ﴿لأكفرن عنهم سيئاتهم﴾ استرها بالمغفرة ﴿ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا﴾ مصدر من معنى لاكفرن مؤكد له ﴿من عند الله﴾ فيه التفات عن التكلم ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ الجزاء الدائم الذي لا يفنى .

١٩٦ ﴿لا يغرنك﴾ يا محمد او أيها القارىء المسلم ﴿تقلب الدين كفروا﴾ تصرفهم ﴿في البلاد﴾ بالتجارة والكسب .

١٩٧ هو ﴿متاع قليل﴾ يتمتعون به يسيرا في الدنيا ويفنى ﴿ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ الفراش هي .

ولما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم في التجارة وتصرفهم في البلاد لأجلها جاز أن يتوهم أن التجارة من حيث هي متصفة بذلك فاستدرك وقال :

١٩٨ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين﴾ مقدرين الخلود ﴿فيها﴾ وان اتخذوا في التجارة لا يضرهم ذلك وان لهم ما وعدهم به ﴿نزلا﴾ هو ما يعد للضيف ونصب من جنات والعامل فيها معنى الظرف ﴿من عند الله وما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير للابرار﴾ من متاع الدنيا لقلته وسرعة زواله .

١٩٩ ﴿وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ كعبد الله ابن سلام واصحابه والنجاشي ﴿وما انزل اليكم﴾ اي القرآن ﴿وما انزل اليهم﴾ اي التوراة والانجيل ﴿خاشعين﴾ حال من ضمير «يؤمن» مراعى فيه معنى «من» : اي متواضعين ﴿لله لا يشترون بآيات الله﴾ التي عندهم في التوراة والانجيل من صفة محمد النبي ﴿ثمنا قليلا﴾ من الدنيا يكتمونها خوفا على الرئاسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أولئك لهم اجرهم﴾ ثواب اعمالهم ﴿عند ربهم﴾ يؤتونه مرتين كما في القصص ﴿ان الله سريع الحساب﴾ سريع المجازاة للعمل الصالح بثواب يعجز عنه الاحصاء لكثرته في الدنيا قبل الآخرة وفي الآخرة يعطي تفضلا منه تعالى بعد الحساب في الدنيا هذا ما ظهر لي والحمد لله .

ثم ختمت السورة بقوله تعالى :

٢٠٠ ﴿يا ايها الذين آمنوا اصبروا﴾ على الطاعات والمصائب

فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ
عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ
تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ
عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟
وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

وعن المعاصي ﴿وصابروا﴾ الكفار فلا يكونوا أشد منكم صبرا ﴿ورابطوا﴾ اقيموا على الجهاد ﴿واتقوا الله﴾ في جميع أحوالكم ﴿لعلكم تفلحون﴾ اي تفوزون في الدنيا بالنصر على عدوكم وفي الآخرة بالجنة وتنجون من النار . فهو ختام شامل لما في جميع السورة وانه ختام موافق للمبدأ «الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام» فالابتداء أنذر بالانتقام على من كفر بآيات الله والختام بشر بالفلاح لمن اتقى الله .

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّة
وآياتها ستٌّ وسبعون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟
ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى
ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

٩٧

سورة النساء مدنية

مائة وخمس او ست او سبع وسبعون آية وموضوعها الرئيسي الاحكام الشخصية والروابط بين بني البشر فيما بينهم وفيما بينهم وبين خالقهم : لحفظ حقوق الضعفاء .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

١ ﴿يا ايها الناس﴾ خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين والحادثين. بعد ذلك الى يوم القيامة فان الاجماع منعقد على أن آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبيء عنه قوله عليه السلام « الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة » ولفظ الناس يشمل الذكور والاناث حقيقة ﴿اتقوا ربكم﴾ اي عقابه بأن تطيعوه وغلب الذكور على الاناث ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ حواء بالمد من ضلع من اضلاعه اليسرى ﴿وبث﴾ فرق ونشر ﴿منهما﴾ من آدم وحواء ﴿رجالا كثيرا ونساء﴾ كثيرة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون﴾ فيه ادغام التاء في الاصل في السين وفي قراءة بالتخفيف بحذفها -اي تتساءلون ﴿به﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض أسألك بالله وأنشدك بالله ﴿و﴾ اتقوا ﴿الارحام﴾ ان تقطعوها وفي قراءة بالجر عطفا على الضمير في به وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿ان الله كان عليكم رقيبا﴾ حافظا لاعمالكم فمجازيكم بها اي لم يزل متصفا بذلك .

وهذه الآية مقدمة للاحكام التي تربط بين الله والناس والتي تربط بين الناس بعضهم لبعض وفيها حسن المطلع ثم شرع في بيان موارد الاتقاء ومظانه فقال :

٢ ﴿وآتوا اليتامى﴾ الصغار الاولى لا أباء لهم . قدم الكلام فيما يتعلق بهم لاظهار كمال العناية بأمرهم والخطاب للاولياء والاوصياء ﴿اموالهم﴾ اذا بلغوا راشدين ﴿ولا تتبدلوا الخبيث﴾ الحرام ﴿بالطيب﴾ الحلال اي تأخذوه كما تفعلون من اخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿ولا تأكلوا أموالهم﴾ مضمومة ﴿الى اموالكم إنه﴾ اي اكلها ﴿كان حوبا﴾ ذنبا ﴿كبيرا﴾ عظيما .

٣ ﴿وان خفتم ألا تقسطوا﴾ تعدلوا ﴿في اليتامى﴾ في المعاملة بهم تفصيل واحكام ستبين لكم وحفظها يزيل عنكم الخوف في عدم الاقساط فيهم ويساعدكم في التقوى والطاعة لربكم . ثم بدأ في تفصيل الاحكام وادخل في اليتامى كل ضعيف وان لم يكن يتيما مثل النساء والسفهاء والورثة مطلقا والشيوخ والعجائز واصحاب الخصومات كما يأتي مفصلا فقال ان اردتم معرفة ذلك ﴿فانكحوا﴾ تزوجوا ﴿ما﴾ بمعنى من او نوعا ﴿طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ اي اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا ولا تزيدوا على ذلك ﴿فان خفتم الا تعدلوا﴾ فيهن بالنفقة والقسم ﴿فواحدة﴾ انكحوها ﴿أو﴾ اقتصروا على ﴿ما ملكت أيمانكم﴾ من الاماء اذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذلك﴾ اي نكاح الاربعة فقط او الواحدة او التسري ﴿ادنى﴾ أقرب الى ﴿الا تعولوا﴾ تجوروا بان لا تعدلوا وهذا حكم بتقييد عدد الزوجات وما جاوز اربعا فهو ظلم .

٤ ﴿وآتوا﴾ اعطوا ﴿النساء صدقاتهن﴾ جمع صدقة مهورهن ﴿نحلة﴾ مصدر عطية عن طيب نفس ﴿فان طبن لكم عن شيء منه نفسا﴾ تميز محول عن الفاعل اي طابت انفسهن لكم عن

شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فكلوه هنيئا﴾ طيبا ﴿مريئا﴾ محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة وهذا حكم في أكل أصدقة النساء والوقوف على حدود الله فيه عدل ومجاوزته جور وظلم .

ثم شرع في بيان حكم السفهاء وحجرهم عن اموالهم فقال :

٥ ﴿ولا تؤتوا﴾ أيها الاولياء ﴿السفهاء﴾ المبذرين من الرجال والنساء الكبار ﴿أموالكم﴾ اي اموالهم التي في أيديكم ﴿التي جعل الله لكم قياما﴾ مصدر قام اي تقوم بمعاشكم وصلاح اولادكم فيضيعوها في غير وجهها وفي قراءة قيما جمع قيمة ما تقوم به الامتعة ﴿وارزقوهم فيها﴾ أطعموهم منها ﴿واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾ عدوهم عدة جميلة باعطائهم اموالهم اذا رشدوا .

٦ ﴿وابتلوا﴾ اختبروا ﴿اليتامى﴾ قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في احوالهم ﴿حتى اذا بلغوا النكاح﴾ اي صاروا اهلا له بالاحتلام او السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند مالك ﴿فان آنستم﴾ ابصرتم ﴿منهم رشدا﴾ صلاحا في دينهم ومالهم ﴿فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها﴾ أيها الاولياء ﴿اسرافا﴾ بغير حق حال ﴿وبدارا﴾ اي مبادرين الى انفاقها مخافة ﴿أن يكبروا﴾ رشداء فيلزمكم تسليمها اليهم ﴿ومن كان﴾ من الاولياء ﴿غنيا فليستعفف﴾ اي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿ومن كان فقيرا فليأكل﴾ منه ﴿بالمعروف﴾ بقدر اجرة عمله . ﴿فاذا دفعتم اليهم﴾ اي الى اليتامى ﴿أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ انهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا الى البينة وهذا امر ارشاد ﴿وكفى بالله﴾ الباء زائدة ﴿حسيبا﴾ حافظا لأعمال خلقه ومحاسبهم . وهذا حكم اموال السفهاء الكبار من الرجال والنساء والقائمين على اموالهم . فالمحافظة على هذه الاحكام عدل ومجاوزتها ظلم وجور .

وفيما يتعلق بالميراث اذا مات وترك الاولاد ذكورا واناثا .

أَيْمَـٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ (٣) وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ
صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا (٤) وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ
ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا (٥) وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ
ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ
وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا (٦) لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ

٧ ﴿للرجال﴾ الاولاد والاقرباء ﴿نصيب﴾ حظ ﴿مما ترك الوالدان والاقربون﴾ المتوفون ﴿وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه﴾ اي المال ﴿أو كثر﴾ جعله الله ﴿نصيبا مفروضا﴾ مقطوعا بتسليمه اليهم .

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ
إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ
الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن
بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا
تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

٨ ﴿واذا حضر القسمة﴾ للميراث ﴿اولوا القربى﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ شيئا قبل القسمة ﴿وقولوا﴾ ايها الاولياء ﴿لهم﴾ اذا كان الورثة صغاراً ﴿قولا معروفا﴾ جميلا بأن تعتذروا اليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار وهذا منسوخ وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب وعن ابن عباس واجب .

٩ ﴿وليخش﴾ اي ليخف على اليتامى ﴿الذين لو تركوا﴾ اي قاربوا ان يتركوا ﴿من خلفهم﴾ اي بعد موتهم ﴿ذرية ضعافا﴾ اولادا صغارا ﴿خافوا عليهم﴾ الضياع ﴿فليتقوا الله﴾ في امر اليتامى وليأتوا اليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم ﴿وليقولوا﴾ للميت ﴿قولا سديدا﴾ صوابا بأن يأمروه ان يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة .

١٠ ﴿ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ بغير حق ﴿انما يأكلون في بطونهم﴾ اي ملأها ﴿نارا﴾ لانه يؤل اليها ﴿وسيصلون﴾ بالبناء للفاعل وقرىء للمفعول اي يدخلون ﴿سعيرا﴾ نارا شديدة يحترقون فيها .

١١ ﴿يوصيكم الله﴾ اي يأمركم الله ﴿في﴾ شأن ﴿اولادكم﴾ بما يذكر ﴿للذكر﴾ منهم ﴿مثل حظ﴾ نصيب ﴿الأنثيين﴾ اذا اجتمعن معه فله نصف المال ولهما النصف فان كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وان انفرد حاز المال ﴿فان كن﴾ اي الاولاد ﴿نساء﴾ فقط ﴿فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ الميت وكذا الاثنتان لانه للاختين بقوله فلهما الثلثان مما ترك فهما اولى لان البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الانثى اولى و«فوق» قيل صلة لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر . ﴿وان كانت﴾ المولودة ﴿واحدة﴾ وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿فلها النصف ولأبويه﴾ اي الميت ويبدل

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ
إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ
مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ
فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ
أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن
ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ

منهما ﴿لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد﴾ ذكر او انثى ونكتة البدل افادة انهما لا يشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالاب الجد ﴿فان لم يكن له ولد وورثه ابواه﴾ فقط او مع زوج ﴿فلأمه﴾ بضم الهمزة وقريء بكسرها فرارا من الانتقال من ضمة الى كسرة لثقله في الموضعين ﴿الثلث﴾ اي ثلث المال او ما بقي بعد الزوج والباقي للاب ﴿فان كان له اخوة﴾ اي اثنان فصاعدا ذكورا واناثا ﴿فلامه السدس﴾ والباقي للاب ولا شيء للاخوة. وارث من ذكر ﴿من بعد﴾ تنفيذ ﴿وصية يوصى﴾ بالبناء للفاعل وقريء للمفعول ﴿بها أو﴾ قضاء ﴿دين﴾ عليه وتقديم الوصية على الدين وان كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿آباؤكم وابناؤكم﴾ مبتدأ خبره ﴿لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعا﴾ في الدنيا والآخرة، فظان ان ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الاب انفع وبالعكس وإنما العالم بذلك هو الله ففرض لكم الميراث ﴿فريضة من الله ان الله كان عليما﴾ بخلقه ﴿حكيما﴾ فيما دبره لهم. اي لم يزل متصفا بذلك.

١٢ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد﴾ منكم أو من غيركم ﴿فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالاجماع ﴿ولهن﴾ اي الزوجات تعددن أولا ﴿الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ وولد الابن في ذلك كالولد اجماعا ﴿وان كان رجل يورث﴾ صفة والخبر ﴿كلالة﴾ اي لا والد له ولا ولد ﴿او امرأة﴾ تورث كلالة ﴿وله﴾ اي للمورث كلالة ﴿أخ أو أخت﴾ أي من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فلكل واحد منهما السدس﴾ مما ترك ﴿فان كانوا﴾ اي الاخوة والاخوات من الأم ﴿أكثر من ذلك﴾ اي من واحد ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ يستوى فيه ذكرهم وانثاهم ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار﴾ حال من ضمير يوصى اي غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وصية﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿من الله والله عليم﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين اورق. ثم عقب عن الاحكام المذكورة فقال:

١٣ ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿حدود الله﴾ شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما حكم به ﴿يدخله﴾ بالياء والنون التفاتا ﴿جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾.

يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ
ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ
فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ
ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ
فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ
قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟

١٠١

١٤ ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله﴾ بالوجهين ﴿نارا خالدا فيها وله﴾ فيها ﴿عذاب مهين﴾ ذو اهانة روعي في الضمائر في الآيتين لفظ «من» وفي خالدين معناها .

ومن الضعف ضعف العزم فالزاني والزانية ضعيفان من جهة عزمهما ومتعديان من جهة فعلهما فان أردتم ان تقسطوا في أمرهما فاتبعوا ما يأتي .

١٥ ﴿واللاتي يأتين الفاحشة﴾ الزنا ﴿من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم﴾ أي رجالكم المسلمين ﴿فان شهدوا﴾ عليهن بها ﴿فأمسكوهن﴾ احبسوهن ﴿في البيوت﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ أي ملائكته ﴿أو﴾ الى أن ﴿يجعل الله لهن سبيلاً﴾ طريقا الى الخروج منها . أمروا بذلك أول الاسلام ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة ورجم المحصنة وفي الحديث لما بين الحد قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد رواه مسلم .

١٦ ﴿واللذان﴾ تخفيف النون وقرىء بتشديدها ﴿يأتيانها﴾ الفاحشة الزنا او اللواط ﴿منكم﴾ اي الرجال ﴿فآذوهما﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿فان تابا﴾ منها ﴿وأصلحا﴾ العمل ﴿فأعرضوا عنهما﴾ ولا تؤذوهما ﴿ان الله كان توابا﴾ على من تاب ﴿رحيما﴾ به وهذا منسوخ بالحد «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله ﷺ فقد صح أنه رجم ماعزا وكان قد أحصن .

ولما ذكر أن من تاب ممن ارتكب الفاحشة فان الله يقبل منه ذكر فيما يأتي شروط التوبة فقال :

١٧ ﴿انما التوبة على الله﴾ اي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿للذين يعملون السوء﴾ المعصية ﴿بجهالة﴾ حال اي جاهلين اذ عصوا ربهم ﴿ثم يتوبون من﴾ زمن ﴿قريب﴾ قبل ان يغرغروا ﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ يقبل توبتهم ﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه ﴿حكيما﴾ في صنعه بهم .

١٨ ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ الذنوب ﴿حتى اذا حضر أحدهم الموت﴾ وأخذ في النزع ﴿قال﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿اني تبت الآن﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ اذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿اولئك أعتدنا﴾ أعددنا ﴿لهم عذابا أليما﴾ مؤلما .

وفيما يأتي يذكر كيفية المعاشرة الحسنة بين الرجال والنساء الازواج والزوجات خلاف ما كان الناس عليه في الجاهلية من جعل المرأة اشبه بالسلعة منها بالانسان فقال :

١٩ ﴿يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء﴾ اي ذاتهن ﴿كرها﴾ بالفتح وقرىء بالضم لغتان اي مكرهين على ذلك كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فان شاؤا تزوجوها بلا صداق او زوجوها واخذوا صداقها أو عضلوها حتى تفتدي بما ورثته او تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك ﴿ولا﴾ أن ﴿تعضلوهن﴾ اي تمنعوا ازواجكم بامساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا ﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ من المهر ﴿الا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ بكسر الياء وقرىء بفتحها اي هي بينة او بينت سوأ او نشوزا فلكم ان تضاروهن بما يكون زاجراً لهن عن ذلك او تطلقوهن ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ اي بالاجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فان كرهتموهن﴾ فاصبروا ﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولدا صالحا .

٢٠ ﴿وان اردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ أي اخذها بدلها بأن طلقتموها ﴿و﴾ قد ﴿آتيتم احداهن﴾ أي الزوجات ﴿قنطارا﴾ مالا كثيرا صداقا ﴿فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا﴾ ظلما ﴿واثما مبينا﴾ ونصبها على الحال . والاستفهام للتوبيخ وللانكار في

٢١ ﴿وكيف تأخذونه﴾ اي بأي وجه ﴿وقد أفضى﴾ وصل ﴿بعضكم الى بعض﴾ بالجماع المقرر للمهر ﴿وأخذن منكم ميثاقا﴾ عهدا ﴿غليظا﴾ شديدا وهو أمر الله به من امساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان والآخذ حقيقة هو الله لكن بولغ فيه حتى جعل كأنهن الآخذات له وهو مجاز عقلي لأن الآخذ للعهد هوالله اي وقد أخذ الله عليكم العهد لأجلهن وبسببهن من الاسناد الى السبب .

شرع في بيان من يحرم نكاحهن من النساء ومن لا يحرم فقال :

٢٢ ﴿ولا تنكحوا ما﴾ بمعنى من ﴿نكح آباؤكم من النساء الا﴾ لكن ﴿ما قد سلف﴾ من فعلكم ذلك فانه معفوا عنه قاله

بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن

١٠٢

ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك ﴿إنه﴾ اي نكاحهن ﴿كان فاحشة﴾ قبيحا ﴿ومقتا﴾ سببا للمقت من الله وهو أشد البغض ﴿وساء﴾ بئس ﴿سبيلا﴾ طريقا ذلك .

٢٣ ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ ان تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الاب والام ﴿وبناتكم﴾ وشملت بنات الاولاد

نِسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ
وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم
مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ
فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ
طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ
بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ

١٠٣

وان سفلن ﴿واخواتكم﴾ من جهة الاب او الام ﴿وعماتكم﴾ أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وخالاتكم﴾ اي أخوات امهاتكم وجداتكم ﴿وبنات الاخ وبنات الاخت﴾ ويدخل فيهن اولادهم ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ قبل استكمال الحولين ولو بمصة واحدة عند مالك وأبي حنيفة ولا بد أن يكون خمس رضعات عند الشافعي كما بينه الحديث ﴿واخواتكم من الرضاعة﴾ ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوءته والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت منها لحديث «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» رواه البخاري ومسلم ﴿وأمهات نسائكم وربائبكم﴾ جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ﴿اللاتي في حجوركم﴾ تربونهن صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ جامعتموهن ﴿فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن ﴿وحلائل﴾ ازواج ﴿أبنائكم الذين من اصلابكم﴾ بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم واما حلائل ابناء الرضاع فعلم تحريمهن بالسنة ﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ من نسب او رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها او خالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معا و يطأ واحدة ﴿الا ما قد سلف﴾ في الجاهلية من نكاحكم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿ان الله كان غفورا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رحيما﴾ بكم فما اخذكم بذنب فيما مضى قبل النهي .

٢٤ ﴿و﴾ حرمت عليكم ﴿المحصنات﴾ اي ذوات الازواج ﴿من النساء﴾ ان تنكحوهن قبل مفارقة ازواجهن حرائر مسلمات كن اولا ﴿الا ما ملكت أيمانكم﴾ من الاماء بالسبي فلكم وطؤهن وان كان لهن ازواج في دار الحرب بعد الاستبراء والدخول في الاسلام الا الكتابيات فيباح وطؤهن بعد الاستبراء فقط لان الكتابيات مباح للمسلمين وطؤهن ﴿كتاب الله﴾ نصب على المصدر اي كتب ذلك ﴿عليكم وأحل﴾ بالبناء للمفعول وقرىء للفاعل ﴿لكم ما وراء ذلكم﴾ اي سوى ما حرم عليكم من النساء ﴿أن تبتغوا﴾ تطلبوا النساء ﴿بأموالكم﴾ بصداق في الزواج او ثمن في البيع ﴿محصنين﴾ متزوجين ﴿غير مسافحين﴾ زانين ﴿فما استمتعتم﴾ تمتعتم ﴿به منهن﴾ ممن تزوجتم بالوطء ولو مرة وقيل المراد بالآية نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشيء معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه من غير طلاق وتستبرىء رحمها بحيضة وقال ابن العربي وأما متعة النساء فهي من غرائب الشريعة لانها ابيحت في صدر الاسلام ثم حرمت

أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا
مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ
أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ
وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ
مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا

يوم خيبر ثم ابيحت في غزوة أوطاس ثم حرمت بعد ذلك واستقر الامر على التحريم وليس لها اخت الا مسألة القبلة فان النسخ طرأ عليها مرتين ثم استقرت ﴿فآتوهن أجورهن﴾ مهورهن التي فرضتم لهن ﴿فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم﴾ انتم وهن ﴿به من بعد الفريضة﴾ من حط بعضها او زيادة عليها ﴿ان الله كان عليماً﴾ بخلقه وبما دبره لهم ﴿حكيما﴾ فيه
وذكر فيما يأتي حكم زواج الاماء فقال :

٢٥ ﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ اي غنى ﴿أن ينكح المحصنات﴾ الحرائر ﴿المؤمنات﴾ هو جري على الغالب فلا مفهوم له ﴿فمن ما ملكت ايمانكم﴾ ينكح ﴿من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم﴾ فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر اليه فانه العالم بتفضيلها ورب أمة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الاماء ﴿بعضكم من بعض﴾ اي انتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فانكحوهن باذن أهلهن﴾ مواليهن ﴿وآتوهن﴾ اعطوهن ﴿أجورهن﴾ مهورهن ﴿بالمعروف﴾ من غير مطل ونقص ﴿محصنات﴾ عفائف حال من المفعول في «وآتوهن» ﴿غير مسافحات﴾ زانيات جهرا ﴿ولا متخذات أخدان﴾ اخلاء يزنون بهن سرا ثم ذكر حكمهن اذا زنين فقال ﴿فاذا أحصن﴾ زوجن وفي قراءة بالبناء للفاعل تزوجن ﴿فان أتين بفاحشة﴾ زنا ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات﴾ الحرائر الابكار اذا زنين اذ لا نصف لحكم الثيبات وهو القتل بالرجم ﴿من العذاب﴾ الحد فيجلدن خمسين جلدة فقط ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الاحصان شرطاً لوجوب الحد لافادة انه لا رجم عليهن أصلا ﴿ذلك﴾ نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿لمن خشي﴾ خاف ﴿العنت﴾ الزنا اصله المشقة سمي بها الزنا لانه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿منكم﴾ بخلاف من لا يخافه من الاحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه مالك وخرج بقوله «من فتيايكم المؤمنات» الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف الا اذا كانت كتابية مملوكة لمسلم وحكمها حكم المملوكة المسلمة ﴿وأن تصبروا﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خير لكم﴾ لئلا يصير الولد رقيقا ﴿والله غفور رحيم﴾ بالتوسعة في ذلك ثم شرع في التعقيبات على هذه الاحكام التي ذكرها فقال :

٢٦. ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿ويهديكم سنن﴾ طرائق ﴿الذين من قبلكم﴾ من الانبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿ويتوب عليكم﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها الى طاعته ﴿والله عليم﴾ بكم ﴿حكيم﴾ فيما دبره لكم.

٢٧ ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ يجب أن تتوبوا ليتوب عليكم وكرره بهذه الصيغة ليبني عليه ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ اليهود والنصارى او المجوس الذين ينكحون الاخوات من الاب وبنت الاخ فلما حرمهن الله قالوا للمؤمنين انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع أن الخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنت الاخ وبنت الاخت فيريدون بذلك ﴿أن تميلوا ميلا عظيما﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم اما في اليهود والنصارى والمجوس فظاهر لانهم يعتقدون أنهم على حق واما في الزناة فان من ابتلي بمحنة يحب أن يشاركه فيها غيره ليفترق اللوم عليه وعلى غيره.

٢٨ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع كلها فلم يثقل عليكم التكليف كما فعل ببني اسرائيل فهذا على حد قوله «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» ﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات

ثم شرع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع حفظاً لحقوق الضعفاء فقال :

وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ
عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾
وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ
عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا
فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ
فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ
وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا

٢٩ ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ الحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿الا﴾ لكن ﴿ان تكون﴾ تقع ﴿تجارة﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع اي تكون الاموال اموال تجارة صادرة ﴿عن تراض منكم﴾ وطيب نفس فلكم ان تأكلوها وخص التجارة بالذكر دون غيرها كالهبة والصدقة والوصية لان التصرف في الاموال بها لان اسباب الرزق متعلقة بها غالبا ولأنها ارفق بذوي المروآت بخلاف الهبات وطلب الصدقات . ثم ان أكل الاموال بالباطل شامل حتى اكل مال نفسه بالباطل وهو انفاقه في المعاصي وأكلها بالحق انفاقها في الطاعات الواجبة والمندوبة .

ثم بين حكم قتل النفس فقال ﴿ولا تقتلوا انفسكم﴾ بارتكاب ما يؤدي الى هلاكها أيا كان في الدنيا والآخرة روي عن ابي هريرة قال : قال رسول ﷺ «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبدا ومن تحسى سمًّا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا» .

واذا حرم على الانسان ان يسبب قتل نفسه فنفس غيره من باب اولى اذ موضوع السورة المحافظة على الاقساط في الضعفاء ﴿ان الله كان بكم رحيما﴾ في منعه لكم من ذلك وعقب على بيان الاحكام المذكورة فقال :

٣٠ ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي ما نهى عنه من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب مذكور وقيل ان قتل النفس واكل المال بالباطل فهما مذكوران في آية وقيل من كل ما نهى عنه من اول السورة الى هنا ﴿عدوانا﴾ تجاوزا للحلال حال ﴿وظلما﴾ تأكيد ﴿فسوف نصليه﴾ ندخله ﴿نارا﴾ يحترق فيها ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ هينا .

٣١ ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هي الى السبعمائة أقرب ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وندخلكم مدخلا﴾ بضم الميم وقرىء بفتحها اي ادخالا أو موضعا ﴿كريما﴾ هو الجنة .

ثم رجع السياق الى ذكر المنهيات والمأمورات للارشاد وتقوية المجتمع الانساني اقامة القسط بين الافراد فقال :

٣٢ ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ من جهة الدنيا او الدين لئلا يؤدي الى التحاسد والتباغض لأن في التمني تعلق البال ونسيان الاجل ﴿للرجال نصيب﴾ ثواب ﴿مما اكتسبوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ من طاعة الله وطاعة ازواجهن وحفظ فروجهن ولكل الفريقين حظ يخصه من العمل ويقابل به عمل الفريق الآخر ويجد ثوابه كاملا من الله . روي عن أم سلمة قالت ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل اجر الرجال فقرأ لها النبي ﷺ هذه الآية ﴿واسألوا الله﴾ بهمزة وقرىء بدونها ﴿من فضله﴾ ما احتجتم اليه يعطيكم

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا
يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَٱعْبُدُواْ
ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ
ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾
ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾
وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

﴿ان الله كان بكل شيء عليما﴾ ومنه محل الفضل وسؤالكم وثواب كسب كل واحد من الفريقين ومن علمه وحكمته تعالى ان خص كل فريق بما يناسبه من الكسب حتى يستفيد المجتمع الانساني كل ما يحتاج اليه من مقوماته .

٣٣ ﴿ولكل﴾ من الرجال والنساء ﴿جعلنا موالي﴾ عصبة يتولون نصره في أموره الشخصية مما للاسرة فيه مدخل ﴿مما﴾ اي ممن ﴿ترك الوالدان والاقربون﴾ من الذرية فيساعد بعضهم بعضا لتقوى الاسرة ﴿والذين عقدت﴾ بدون الف وقريء بها ﴿ايمانكم﴾ بأن تعاهدتم معهم على النصرة في المعاملات ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ مما تضمنته المعاهدة ولا تخالفوهم في العهد ولا تخونوا في المعاملة ﴿ان الله كان على كل شيء شهيدا﴾ مطلعا ومنه حالكم في حفظ العهود والامانات .

ثم بين نظام المنزل والقيادة فيه فقال :

٣٤ ﴿الرجال قوامون﴾ مسلطون ﴿على النساء﴾ يؤدبونهن ويأخذون على ايديهن ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ اي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وبما أنفقوا﴾ عليهن ﴿من اموالهم﴾ للمهر والنفقة وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» ﴿فالصالحات﴾ منهن مبتدأ وخبره ﴿قانتات﴾ مطيعات لازواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ اي لفروجهن وغيرها في غيبة ازواجهن ﴿بما حفظ﴾ هن ﴿الله﴾ حيث اوصى عليهن الازواج ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن﴾ فخوفوهن الله ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ اعتزلوا الى فراش آخر ان اظهرن النشوز ﴿واضربوهن﴾ ضربا غير مبرح ان لم يرجعن بالهجران ﴿فان اطعنكم﴾ فيما يراد منهن ﴿فلا تبغوا﴾ تطلبوا ﴿عليهن سبيلا﴾ طريقا الى ضربهن ظلما ﴿ان الله كان عليا كبيرا﴾ فاحذروه ان يعاقبكم ان ظلمتموهن .

٣٥ ﴿و﴾ اذا جاوزت المخالفة معالجة فيما بين الزوجين ﴿ان خفتم﴾ علمتم يا ولاة الامور وصلحاء الأئمة ﴿شقاق﴾ خلاف ﴿بينهما﴾ بين الزوجين والاضافة للاتساع اي شقاقا بينهما ﴿فابعثوا﴾ اليهما برضاهما ﴿حكما﴾ رجلا عدلا ﴿من اهله﴾ أقاربه ﴿وحكما من اهلها﴾ و يوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع ويفرقان ان راياه بخلع اولا . قال الله تعالى ﴿ان يريدا﴾ اي الحكمان ﴿اصلاحا يوفق الله بينهما﴾

وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ
مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ
بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا
يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا
إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ
عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ
ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ

بين الزوجين اي يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح او فراق ﴿ان الله كان عليما﴾ بكل شيء ﴿خبيرا﴾ بالبواطن كالظواهر.

ولما انهى الكلام في الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج شرع في الكلام فيما يتعلق بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم فبدأ بحق الله تعالى فقال :

٣٦ ﴿واعبدوا الله﴾ اطيعوه فيما يأمركم به ﴿ولا تشركوا به شيئا﴾ اي وحدوه بالطاعة ﴿و﴾ احسنوا ﴿بالوالدين احسانا﴾ برا ولين جانب ﴿وبذي القربى﴾ القرابة ﴿واليتامى والمساكين والجار ذي القربى﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿والجار الجنب﴾ البعيد عنك في الجوار او النسب ﴿والصاحب بالجنب﴾ الرفيق في سفر او صناعة وقيل الزوجة ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ من الأرقاء ﴿ان الله لا يحب من كان مختالا﴾ متكبرا على أقاربه وجيرانه ﴿فخورا﴾ على الناس بما اوتي من العلم وغيره . ثم عقب على هذا بقوله :

٣٧ ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿يبخلون﴾ بما يجب عليهم ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ به ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ من العلم والمال ويعصون الله فيما أمرهم به ولا ينفقون النفقة الواجبة او المندوبة وخبر المبتدأ محذوف تقديره كفار بدليل ﴿واعتدنا للكافرين﴾ بذلك وبغيره فيه وضع الظاهر موضع المضمر لبيان حكمهم ﴿عذابا مهينا﴾ ذا اهانة .

٣٨ ﴿والذين﴾ مبتدأ والواو لعطف الجملة على ما قبلها ﴿ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ مرائين لهم ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ وهم المنافقون يطلبون بعملهم ثوابهم من الناس دون الله والخير ، هم قرناء الشيطان ، بدليل ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا﴾ صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فساء﴾ بئس ﴿قرينا﴾ هو .

٣٩ ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ أي ضرر عليهم في ذلك والاستفهام للانكار ولو مصدرية أي لا ضرر فيه وانما الضرر فيما هم عليه وهذا حض على اخلاص العبادة لله والطهارة الباطنية في الاعمال ﴿وكان الله بهم عليما﴾ فيجازيهم بما عملوا .

٤٠ ﴿أن الله لا يظلم﴾ أحدا ﴿مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ اصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وان تك﴾ الذرة ﴿حسنة﴾ من مؤمن مخلص وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿يضاعفها﴾ من عشرة الى اضعاف كثيرة وفي قراءة يضعفها بالتشديد ﴿ويؤت من لدنه﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أجرا عظيما﴾ لا يقدره أحد .

٤١ ﴿فكيف﴾ حال الكفار ﴿اذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿على هؤلاء شهيدا﴾ .

٤٢ ﴿يومئذ﴾ يوم المجيء ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو﴾ أي أن ﴿تسوى﴾ بالبناء للمفعول وقرىء للفاعل مع حذف احدى التاءين في الاصل ومع ادغامها في السين أي تتسوى ﴿بهم

ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ
بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ
ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا
وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا
فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ
خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا
نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ
مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ
إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ

الأرض﴾ بأن يكونوا تراباً مثل البهائم لعظم هوله كما في آية أخرى «ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا» ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون : «والله ربنا ما كنا مشركين» .

ومن العبادة ما لا يكفي فيها الطهارة الباطنة الا ومعها الطهارة الظاهرة وهي الصلاة فبين هنا ضمنا أن الصلاة اعظم انواع العبادات ولا تؤدى الا بالطهارة الظاهرة فلا تكفي الطهارة الباطنية من تمام العقل والاخلاص فيها فلا بد من اجتماع الطهارتين الظاهرة والباطنة وباقي الطاعات تكفي الطهارة الباطنة كما مر في الآيات السابقة فقال :

٤٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة﴾ اي لا تدخلوا المساجد ﴿وأنتم سكارى﴾ من الشراب لأن تمام العقل شرط في صحة النية والاخلاص ومن هذا يفهم منع استعمال مسكر وقت الصلاة ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ بأن تصحوا ﴿ولا جنبا﴾ بايلاج او انزال ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿الا عابري﴾ مجتازي ﴿سبيل﴾ طريق ﴿حتى تغتسلوا﴾ أي تنتهون عن قربان مواضع الصلاة اي المساجد لا عبورها من غير مكث هـذا شرط الصحة واذا كان موضع الصلاة ممنوعا ان يدخل فيه الا بالطهارة والعقل فالصلاة نفسها من باب أولى ﴿وان كنتم مرضى﴾ مرضا يضره الماء ﴿أو على سفر﴾ اي مسافرين وانتم جنب أو محدثون ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ وهو المكان المعد لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿او لامستم النساء﴾ وفي قراءة بلا الف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه مالك والشافعي وألحق به الجس بباقي البشرة بقصد اللذة أو وجودها وعن ابن عباس هو الجماع ﴿فلم تجدوا ماء﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع الى ما عدا المرضى ﴿فتيمموا﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صعيدا طيبا﴾ وهو كل ما صعد على وجه الارض والتراب أفضل وكونه طيبا اي لم تغيره صنعة أدمي بطبخ او غيره فاضربوه ضربتين ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿ان الله كان عفوا غفورا﴾ .

ثم شرع في بيان حال اليهود الذين انزل الله لهم كتابا فيه أحكام دينهم ودنياهم فتركوا العمل به واستبدلوا الضلالة به لتحذير المؤمنين من موالاتهم والاقتداء في ذلك فقال :

٤٤ ﴿ألم تر إلى الذين اوتوا نصيبا﴾ حظا ﴿من الكتاب﴾ وهم اليهود ﴿يشترون الضلالة﴾ بالهدى ﴿ويريدون ان تضلوا السبيل﴾

يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ
وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ
مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ
وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ
ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ
إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ
سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا
كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟

تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم .

٤٥ ﴿والله أعلم باعدائكم﴾ منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وكفى بالله وليا﴾ حافظا لكم منهم ﴿وكفى بالله نصيرا﴾ مانعا لكم من كيدهم .

٤٦ ﴿من الذين هادوا﴾ قوم ﴿يحرفون﴾ يغيرون ﴿الكلم﴾ الذي انزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عن مواضعه﴾ التي وضع عليها ﴿ويقولون﴾ للنبي ﷺ اذا أمرهم بشيء ﴿سمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ امرك ويمكن عصينا أمرك ﴿واسمع غير مسمع﴾ عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته ﷺ خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما لصمم او موت اي تدعو عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز أن يكون نصبه على المفعولية وللخير بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي ﷺ استهزاء به مظهرين له عليه السلام ارادة المعنى الأخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول ﴿و﴾ يقولون له ﴿راعنا﴾ وقد نهى عن خطابه بها وهي كلمة سب بلغتهم كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا اي انتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا كانوا يخاطبونه عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق ﴿ليا﴾ تحريفا ﴿بألسنتهم وطعنا﴾ قدحا ﴿في الدين﴾ الاسلام ﴿ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا﴾ بدل وعصينا ﴿واسمع﴾ فقط ﴿وانظرنا﴾ انظر الينا بدل راعنا ﴿لكان خيرا لهم﴾ مما قالوه ﴿وأقوم﴾ أعدل منه ﴿ولكن لعنهم الله﴾ ابعدهم عن رحمته ﴿بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا﴾ منهم كعبدالله بن سلام .

ثم استطرد من وصفهم الى دعائهم الى الدين الاسلامي وحثهم ان يؤمنوا به وتخويفهم اذا أبوا الايمان به فقال :

٤٧ ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا﴾ من القرآن ﴿مصدقا لما معكم﴾ من التوراة ﴿من قبل أن نطمس وجوها﴾ نمحو ما فيها بين العين والانف والحاجب ﴿فنردها على أدبارها﴾ فنجعلها كالاقفاء لوحا واحدا ﴿أو نلعنهم﴾ نمسخهم قردة ﴿كما لعنا﴾ مسخنا ﴿أصحاب السبت﴾ منهم ﴿وكان أمرالله﴾ قضاؤه ﴿مفعولا﴾ لما سمع بهذه الآية عبد الله بن سلام اسلم وقد قدم من الشام فأتى النبي ﷺ قبل ان يأتي اهله وقال يا رسول الله وما كنت أرى أن أصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي. وقيل كان وعيدا بشرط فلما اسلم بعضهم رفع . وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة .

ثم نبه تعالى على انه يغفر كل ذنب ما عدا الشرك فقال :

٤٨ ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به﴾ اي الاشراك به والمراد

به مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود والنصارى انتظاما أوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ﴿ويغفر ما دون﴾ سوى ﴿ذلك﴾ من الذنوب ﴿لمن يشاء﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب من المؤمنين ومن شاء عذبه من المؤمنين ثم يدخله الجنة ﴿ومن يشرك بالله﴾ اي كفر به ﴿فقد افترى إثما﴾ ذنبا ﴿عظيما﴾ كبيرا اي فعل ذنبا كبيرا لان الافتراء كما يطلق على القول حقيقة يطلق على الفعل مجازا .

وذكر فيما يأتي منعا من تزكية النفس فقال :

٤٩ ﴿ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم﴾ هم اليهود او النصارى حيث ادعى كل منهم نحن ابناء الله وأحباؤه أي ليس الامر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بل الله يزكى﴾ يطهر ﴿من يشاء﴾ بالايمان والعمل ﴿ولا يظلمون﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فتيلا﴾ قدر قشرة النواة .

٥٠ ﴿انظر﴾ متعجبا ﴿كيف يفترون على الله الكذب﴾ بذلك ﴿وكفى به اثما مبينا﴾ بينا .

وذكر فيما يأتي انه من الكفر ترك ما انزل الله والايمان بغيره فقال :

٥١ ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ وهما كل معبود دون الله وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيه ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ أبي سفيان واصحابه حين قالوا لهم نحن أهدى سبيلا ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني . أما محمد فقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ﴿هؤلاء﴾ أي انتم ﴿أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ اقوم طريقا .

ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟
ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟
بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟
ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ
أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ

١١٠

٥٢ ﴿اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ مانعا من عذابه نصير بمعنى ناصر وفي الآية وعد للمؤمنين بأنهم المنصورون عليهم فان المؤمنين بضد هؤلاء فهم الذين قربهم الله ومن يقربه الله فلن تجد له خاذلا كما تقدم في : «وكفى بالله وليا

وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم
مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ
أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ
مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ
قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ
ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا
وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟
فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا
كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم

١١١

وكفى بالله نصيرا » .

٥٣ ﴿أم﴾ أ ﴿لهم نصيب من الملك﴾ اي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فاذاً لا يؤتون الناس نقيرا﴾ اي شيئا تافها قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم .

٥٤ ﴿أم﴾ بل أ ﴿يحسدون الناس﴾ اي النبي ﷺ والحسد بخل لأنه منع لما في أيديهم والحسد منع لما عند الله والاستفهام للانكار ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ من النبوة وكثرة النساء اي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء ﴿فقد آتينا آل ابراهيم﴾ جده كموسى وداود وسليمان ﴿الكتاب والحكمة﴾ النبوة ﴿وآتيناهم ملكا عظيما﴾ فكان لداود ملك عظيم ونساء كثيرات وكذلك سليمان كان له الف امرأة ما بين حرة وسرية

٥٥ ﴿فمنهم من آمن به﴾ بمحمد ﷺ كعبد الله بن سلام ﴿ومنهم من صد﴾ اعرض بل منع غيره ﴿عنه﴾ عن الايمان بمحمد ﷺ فلم يؤمن به ﴿وكفى بجهنم سعيرا﴾ عذابا لمن لا يؤمن

٥٦ ﴿ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم﴾ ندخلهم ﴿نارا﴾ يحترقون فيها ﴿كلما نضجت﴾ احترقت ﴿جلودهم بدلناهم جلودا غيرها﴾ بأن تعاد الى حالها الاول غير محترقة ﴿ليذوقوا العذاب﴾ يقاسوا شدته ﴿ان الله كان عزيزا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيما﴾ في خلقه ولما ذكر الوعيد على البخل والحسد اتبعه بالوعد لمخالف ذلك فقال .

٥٧ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وندخلهم ظلا ظليلا﴾ دائما لا تنسخه شمس هو ظل الجنة .

ثم شرع ببيان حفظ الامانات وردها الى اهلها اذ بذلك رعاية حقوق الضعفاء الذي هو موضوع السورة فقال :

٥٨ ﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات﴾ ما ائتمن عليه من الحقوق ﴿الى أهلها﴾ وهو شامل لكل ما ائتمن الانسان عليه من مال وغيره ومن الأمانة على من ولي امر الناس ان يحكم بينهم بالعدل وهو قوله تعالى ﴿واذا حكمتم بين الناس﴾ يأمركم الله ﴿أن تحكموا بالعدل ان الله نعما﴾ فيه ادغام ميم « نعم » في « ما » النكرة الموصوفة اي نعم شيئا ﴿يعظكم به﴾ تأدية الامانة والحكم بالعدل ﴿ان الله كان سميعا﴾ لما يقال ﴿بصيرا﴾ بما يفعل

ومن الامانة الرضا بحكم الله لانه عهد عاهد الله فهو قوله تعالى :

٥٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن
لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ
وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ
فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن
لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ
أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ
لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

١١٢

﴿الأمر﴾ اي الولاة ﴿منكم﴾ اذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿فان تنازعتم﴾ اختلفتم ﴿في شيء فردوه الى الله﴾ اي الى كتابه ﴿والرسول﴾ مدة حياته وبعده الى سنته اي اكشفوا عليه منهما ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك﴾ الرد اليهما ﴿خير﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وأحسن تأويلا﴾ مآلا وعاقبة . ومن الكفر عدم الرضا بحكم الله قال تعالى :

٦٠ ﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت﴾ الكثير الطغيان هو الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلالة ﴿وقد أمروا ان يكفروا به﴾ ولا يوالوه روي انه اختصم يهودي ومنافق الى النبي ﷺ فأتياه فقضى لليهودي فلم يرض المنافق واتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقتله ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ عن الحق .

٦١ ﴿واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله﴾ في القرآن من الحكم ﴿والى الرسول﴾ ليحكم بينكم ﴿رأيت المنافقين يصدون﴾ يعرضون ﴿عنك﴾ الى غيرك ﴿صدودا﴾ .

٦٢ ﴿فكيف﴾ يصنعون ﴿اذا أصابتهم مصيبة﴾ عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر والمعاصي بتركهم الرضا بحكم الله أيقدرون على الاعراض عنها والفرار منها . لا . ﴿ثم جاؤك﴾ معطوف على يصدون ﴿يحلفون بالله ان﴾ ما ﴿أردنا﴾ بالمحاكمة الى غيرك ﴿الا احسانا﴾ صلحا ﴿وتوفيقا﴾ تأليفاً بين الخصمين . بالتقرب في الحكم دون الحمل على أمر الحق .

٦٣ ﴿اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فأعرض عنهم﴾ بالصفح عن قبول عذرهم ﴿وعظهم﴾ خوفهم الله ﴿وقل لهم في﴾ شأن ﴿أنفسهم قولا بليغا﴾ مؤثرا فيهم اي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم .

٦٤ ﴿وما أرسلنا من رسول الا ليطاع﴾ فيما أمر به ويحكم ﴿باذن الله﴾ بأمر الله ومن لم يرض بحكمه ولم يقبل رسالته فهو كافر يستوجب ما يستوجب الكفار ﴿ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم﴾ بتحاكمهم الى الطاغوت ﴿جاؤك﴾ تائبين ﴿فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ فيه التفات عن الخطاب تفخيما لشأنه ﴿لوجدوا الله توابا﴾ عليهم ﴿رحيما﴾ لهم .

٦٥ ﴿فلا﴾ يفعلون ﴿وربك﴾ اي أقسم بربك ﴿لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر﴾ اختلط ﴿بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا﴾ ضيقا اوشكا ﴿مما قضيت﴾ به ﴿ويسلموا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تسليما﴾ من غير معارضة اي ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم .

٦٦ ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن﴾ مفسرة ﴿اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم﴾ كما كتبنا على بني اسرائيل ﴿ما فعلوه﴾ اي المكتوب عليهم ﴿الا قليل﴾ بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء ﴿منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ من طاعة الرسول ﴿لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا﴾ تحقيقا لايمانهم .

٦٧ ﴿واذاً﴾ اي لو ثبتوا ﴿لآتيناهم من لدنا﴾ من عندنا ﴿أجرا عظيما﴾ هو الجنة .

الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَٰنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا
وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَٰتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّٰغُوتِ
فَقَٰتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ

١١٣

٦٨ ﴿ولهديناهم صراطا مستقيما﴾ وهو شريعة الاسلام الذي يؤدي الى اقامة العدل والسلام هذا في الدنيا واما في الآخرة فجزاؤه كما قال .

٦٩ ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ فيما أمر به ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ افاضل أصحاب الانبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿والشهداء﴾ القتلى في سبيل الله ﴿والصالحين﴾ غير من ذكر ﴿وحسن اولئك رفيقا﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة الى غيرهم .

٧٠ ﴿ذلك﴾ اي كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره ﴿الفضل من الله﴾ تفضل به عليهم لا انهم نالوه بطاعتهم ﴿وكفى بالله عليما﴾ بثواب الآخرة اي فثقوا بما أخبركم به ولا ينبئك مثل خبير

ولما كانت السورة وموضوعها الرئيسي هو اقامة العدل والاقساط بين افراد الامة فهو لا يمكن الا في أمن وسلام فهو لا ينال الا باستعداد حرب وسلاح وحماية هذا الاقساط قال تعالى .

٧١ ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ من عدوكم اي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فانفروا﴾ انهضوا الى قتاله ﴿ثبات﴾ متفرقين سرية بعد أخرى ﴿أو انفروا جميعا﴾ مجتمعين .

٧٢ ﴿وان منكم لمن ليبطئن﴾ ليتأخرن عن القتال كعبدالله ابن أبي المنافق واصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم ﴿فان أصابتكم مصيبة﴾ كقتل وهزيمة ﴿قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا﴾ حاضرا فأصاب .

٧٣ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿أصابكم فضل من الله﴾ كفتح وغنيمة ﴿ليقولن﴾ نادما ﴿كأن﴾ مخففة واسمها محذوف اي كأنه ﴿لم تكن﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿بينكم وبينه مودة﴾ معرفة وصداقة وهذا راجع الى قوله «قد أنعم الله علي» اعتراض به بين القول ومقوله وهو ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾ آخذ حظا وافرا من الغنيمة ثم قال تعالى ان أبطأ وتأخر هؤلاء عن القتال .

٧٤ ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ لاعلاء دينه ﴿الذين يشرون﴾ يبيعون ﴿الحياة الدنيا بالآخرة﴾ اي المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل﴾ يستشهد ﴿أو يغلب﴾ يظفر بعدوه ﴿فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ ثوبا جزيلا .

٧٥ ﴿ومالكم لا تقاتلون﴾ استفهام توبيخ اي لا مانع لكم من القتال ﴿في سبيل الله و﴾ في تخليص ﴿المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم قال ابن عباس رضي الله عنهما : كنت انا وأمي منهم ﴿الذين يقولون﴾ داعين يا ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ مكة ﴿الظالم اهلها﴾ بالكفر ﴿واجعل لنا من لدنك وليا﴾ يتولى أمورنا ﴿واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم الى ان فتحت مكه وولى ﷺ عتابا بن أسيد فانصف مظلومهم من ظالمهم ثم رغب المؤمنين في القتال فقال :

٧٦ ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفرو يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ الشيطان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ انصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿ان كيد الشيطان﴾ بالمؤمنين ﴿كان ضعيفا﴾ واهيا لا يقاوم كيد الله بالكافرين وادخال كان في قوله «كان ضعيفا» لتأكيد ضعف كيد الشيطان .

الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ
مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ
وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ
مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ
مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ
وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ
فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ

٧٧ ﴿ألم تر﴾ تعجيب لرسول الله ﷺ ﴿الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة وارادوا بذلك رد الأذى فقيل لهم كفوا ايديكم ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب﴾ فرض ﴿عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون﴾ يخافون ﴿الناس﴾ الكفار اي عذابهم بالقتل ﴿كخشية﴾ عذاب ﴿الله او اشد خشية﴾ من خشيتهم له ونصب أشد على الحال وجواب لما دل عليه اذا وما بعدها أي فجأتهم الخشية ﴿وقالوا﴾ جزعا من الموت ﴿ربنا لم كتبت علينا القتال لولا﴾ هلا ﴿أخرتنا الى أجل قريب قل﴾ لهم ﴿متاع الدنيا﴾ ما يتمتع به فيها ﴿قليل﴾ آيل الى الفناء ﴿والآخرة﴾ ثوابها وهي الجنة ﴿خير لمن اتقى﴾ عقاب الله بترك المعصية ﴿ولا تظلمون﴾ بالتاء وقرىء بالياء تنقصون من اعمالكم ﴿فتيلا﴾ قدر الفتيل وهو الخيط الممتد في النقرة التي في بطن النواة والنواة هي القطمير والنقير النقرة الصغيرة التي في ظهرها ومنها النخلة ففي النواة امور ثلاثة فتيل ونقير وقطمير فجاهدوا ايها المؤمنون .

٧٨ ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج﴾ حصون ﴿مشيدة﴾ مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وان تصبهم﴾ اي المنافقين ﴿حسنة﴾ خصب وسعة ﴿يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة﴾ جدب وبلاء ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ يا محمد ﴿قل﴾ لهم ﴿كل﴾ من الحسنة والسيئة ﴿من عند الله﴾ من قبله ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون﴾ اي يقاربون ان يفهموا ﴿حديثا﴾ يلقى إليهم وما استفهام تعجب من فرط جهلهم ونفي مقاربة الفعل اشد من نفيه .

٧٩ ﴿ما أصابك﴾ يا محمد الخطاب والمقصود غيره من افراد الأمة ﴿من حسنة﴾ خير ﴿فمن الله﴾ أتتك فضلا منه واتباعك لأمره هو سبب مجيئها ﴿وما اصابك من سيئة﴾ بلية ﴿فمن نفسك﴾ اتتك حيث تركت امر الله فاستوجب عليك النقص الذي هو البلية ﴿وارسلناك﴾ يا محمد ﴿للناس رسولا﴾ لترشدهم الى عمل ما ينجيهم من أية مصيبة اذا حافظوا على أوامر الله التي بها فلاحهم حال مؤكدة ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على رسالتك .

٨٠ ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى﴾ اي عن طاعته فلا يهمنك ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ حافظا لاعمالهم بل نذيرا والينا أمرهم فنجازيهم .

٨١ ﴿ويقولون﴾ اي المنافقون اذا جاؤك أمرنا ﴿طاعة﴾ لك ﴿فاذا برزوا﴾ خرجوا ﴿من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول﴾ بدون ادغام التاء في الطاء وقرىء به اي دبروا امرا في الليل غير الذي قالوه عندك من الطاعة ﴿والله يكتب﴾ يأمر بكتب ﴿ما يبيتون﴾ في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿فأعرض عنهم﴾ بالصفح ﴿وتوكل على الله﴾ ثق به فانه كافيك ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ مفوضا اليه .

مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ
أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ
مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ
وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ
شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً
سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ

١١٥

٨٢ ﴿افلا يتدبرون﴾ يتأملون ﴿القرآن﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ تناقضا في معانيه وتباينا في نظمه .

٨٣ ﴿واذا جاءهم أمر﴾ عن سرايا النبي ﷺ مما حصل لهم ﴿من الامن﴾ بالنصر ﴿أو الخوف﴾ بالهزيمة ﴿أذاعوا به﴾ أفشوه ليضعفوا به قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﴿ولو ردوه﴾ اي الخبر ﴿الى الرسول والى أولى الأمر منهم﴾ اي ذوى الرأي من أكابر الصحابة اي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾ يتبعونه ويطلبون علمه فيعرفون هل هو مما ينبغي ان يذاع اولا ﴿منهم﴾ من الرسول وأولى الامر ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ باصلاح الامور قبل فسادها ﴿ورحمته﴾ لكم بمنع انتشار اشاعات المنافقين او منع قبولها ﴿لاتبعتم الشيطان﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿الا قليلا﴾ منكم ممن اهتدى بعقله فيما يمكن من الامور . ثم وجه الخطاب الى النبي ﷺ وقال :

٨٤ ﴿فقاتل﴾ يا محمد ﴿في سبيل الله لا تكلف الا نفسك﴾ فلا تهتم بتخليهم عنك المعنى قاتل ولو وحدك فانك موعود بالنصر ﴿وحرض المؤمنين﴾ حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عسى الله أن يكف بأس﴾ حرب ﴿الذين كفروا والله أشد بأسا﴾ منهم ﴿وأشد تنكيلا﴾ تعذيبا منهم فقال ﷺ والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي وهذا شأن الرئاسة في أيما وقت .

وبعد ان انهى الكلام على امر المسلمين بالقتال لحفظ حقوق الله في الضعفاء واقامة العدل الذي هو موضوع السورة شرع في بيان الشفاعة فهي من الامور الحسنة التي يحفظ بها العدل وحقوق الضعفاء فالشفاعة هي توسط بالقول في وصول شخص الى منفعة دنيوية او اخروية او الى خلاص من مضرة كذلك ، من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا ، فيتحصل المشفوع له بذلك على غرضه ومنها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله قال تعالى :

٨٥ ﴿من يشفع﴾ بين الناس ﴿شفاعة حسنة﴾ موافقة للشرع بان كانت لله لايصال الخير الى المشفوع له ودفع الشر عنه لا لفائدة دنيوية ترجع للشفيع لان الشفاعة من اعمال الخير فمن أكل بها فقد فسق ﴿يكن له نصيب﴾ من الأجر ﴿منها﴾ بسببها في الحديث «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب وقال له الملك ولك مثل ذلك» وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام «أبلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة» فهذا بيان لمقدار النصيب الموعود به ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ مخالفة للشرع قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل كل شفاعة لم تتكمل فيها الشروط الشرعية ﴿يكن له كفل﴾ نصيب من الوزر ﴿منها﴾ بسببها ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا﴾ مقتدرا عليه وقيل المقيت الحافظ للشيء والشاهد له فيجازي كل أحد بما عمل .

بعد الترغيب في الشفاعة الحسنة جملة ذكر فيما يأتي فردا شائعا من أفرادها ورغب فيه كأنه نوع مستقل بنفسه فهو تحية الاسلام فانها شفاعة من الله للمسلم عليه وأصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول له حياك الله ثم استبدلها الشرع في السلام لأن الدعاء في السلام أتم منه في التحية وأشمل للخير وأمر بالعدالة فيها ورعاية الحقوق فقال :

٨٦ ﴿واذا حييتم بتحية﴾ كأن قيل لكم السلام عليكم ﴿فحيوا﴾ المحيي ﴿بأحسن منها﴾ بأن تقولوا له وعليكم السلام او وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أوردوها﴾ بأن تقولوا له كما قال اي الواجب احدهما والاول أفضل ﴿ان الله كان على كل

شيء حسيبا﴾ محاسبا فيجازي عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الاخير ويقال للكافر «عليك» بدون واو.

وبعد ان ذكر التفصيلات في الاحكام الشرعية أمر المؤمنين باقامتها حفاظا لحقوق الضعفاء من اليتامى والنساء والسفهاء ولإدامة الأمن بين الامة الاسلامية عقب على ذلك بقوله :

٨٧ ﴿الله لا اله﴾ معبود حق والعبادة اتباع اوامر المعبود واجتناب نواهيه كما أمر هو لا كما يريد العابد ﴿الا هو﴾ فاذا اتبعتم اوامره كما بينها لكم ﴿ليجمعنكم﴾ أمة واحدة قوية لا يغلبكم عدوكم أو من قبوركم ﴿الى يوم القيامة لا ريب﴾ لا شك ﴿فيه﴾ أي لا ريب في هذا الكلام ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ قولا اي لا احد اصدق من الله حديثا فاذا حدثكم بحديث فانه لا محالة واقع .

وما تقدم من اول السورة الى هنا هي حدود المعاملة والعدالة فيما بين المسلمين انفسهم وسيذكر فيما يأتي حدود العدالة فيما بين المسلمين وبين غيرهم من الكفار . والكفار انواع منهم المنافقون وهم مختلطون مع المسلمين المخلصين ومنهم الكفار اهل الذمة ومنهم حربيون ومنهم غير ذلك فبدأ بالمنافقين والمعاملة معهم فقال :

٨٨ ﴿فما لكم﴾ اي ما شأنكم صرتم ﴿في المنافقين فئتين﴾ فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا فافتراقكم في شأنهم يضعف وحدتكم اي ينبغي ان تجتمعوا على قتالهم ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ ردهم الى حكم الكفار من الذل والصغار ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل﴾ه ﴿الله﴾ اي أتعدونهم من جملة المهتدين واستفهام في الموضعين للانكار ﴿ومن يضلل﴾ه ﴿الله فلن تجد له سبيلا﴾ طريقا الى الهدى .

٨٩ ﴿ودوا﴾ تمنوا ﴿لو تكفرون كما كفروا فتكونون﴾ انتم وهم ﴿سواء﴾ في الكفر ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ توالونهم وان اظهروا الايمان المراد النهي عن أن يتخذ منهم ولي ولو واحدا ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ اراد بالهجرة هنا الخروج مع رسول الله ﷺ للقتال في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين قال عكرمة هي هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين في أول الاسلام وهي قوله تعالى «للفقراء المهاجرين» وقوله تعالى «ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله» ونحوهما من الآيات . وهي خروج الشخص مع رسول الله ﷺ صابرا محتسبا لا لأغراض الدنيا وهي المرادة ههنا وهجرة عن جميع المعاصي قال ﷺ «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» وهجرة المنافقين . ﴿فان تولوا﴾ واقاموا على ما هم عليه وهو النفاق من غير هجرة ومن غير صدق

مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ
أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ
كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ
أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟
قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ
ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ
ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ

١١٦

ونصح مع المسلمين ﴿فخذوهم﴾ بالاسر ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا﴾ توالونه ﴿ولا نصيرا﴾ تنتصرون به على عدوكم فان حكمهم حكم المشركين قتلا واسرا في حل اوحرم .

ثم اشار الى نوع ثان من الكفار وهم اهل الذمة بينهم وبين المسلمين عهد مثل ما حصل للأسلميين كان رسول الله ﷺ وقت خروجه الى مكة قد وادع هلالا بن عويمر الأسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال قال تعالى :

٩٠ ﴿الا الذين يصلون﴾ يلجأون ﴿الى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد بالامان لهم ولمن وصل اليهم كما عاهد النبي هلال بن عويمر الاسلمي ﴿أو﴾ الذين ﴿جاؤكم﴾ وقد ﴿حصرت﴾ ضاقت ﴿صدورهم﴾ عن ﴿ان يقاتلوكم﴾ مع قومهم ﴿أو يقاتلوا قومهم﴾ اي سقط عنهم الاسر والقتل ولكن لا يوالون ولا ينتصر بهم المسلمون ﴿ولو شاء الله﴾ تسليطهم عليكم ﴿لسلطهم عليكم﴾ بان يقوي قلوبهم ﴿فلقاتلوكم﴾ ولكنه لم يشأه فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم

أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ
وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن
يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ
فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

١١٧

﴿السلم﴾ الصلح اي انقادوا ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ طريقا بالاخذ والقتل .

ثم اشار الى نوع ثالث فقال :

٩١ ﴿ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم﴾ باظهار الاسلام عندكم ﴿ويأمنوا قومهم﴾ اذا رجعوا اليهم وهم أسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت فيقول آمنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا اصحاب رسول الله ﷺ قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الأمن من الفريقين ﴿كلما ردوا الى الفتنة﴾ دعوا الى الشرك ﴿أركسوا فيها﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فان لم يعتزلوكم﴾ بترك قتالكم ﴿و﴾ لم ﴿يلقوا اليكم السلم و﴾ لم ﴿يكفوا ايديهم﴾ عنكم ﴿فخذوهم﴾ بالأسر ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وجدتموهم في حل او حرم عن ابن عباس أن بني عبد الدار كانوا بهذه الصفة ﴿واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾ برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم .

ثم استطرد السياق فذكر الدية لمن قتله المسلمون لمن يستحقها ومن لا يستحقها وذكر كفارة القتل فقال .

٩٢ ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا﴾ اي ما ينبغي ان يصدر منه قتل له ﴿الا خطأ﴾ مخطئا في قتله من غير قصد ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ﴾ بأن قصد رمي غيره كصيد او شجرة فأصابه او ضربه بما لا يقتل غالبا بقصد التأديب فقتله ﴿فتحرير﴾ عتق ﴿رقبة﴾ نسمة ﴿مؤمنة﴾ عليه ﴿ودية مسلمة﴾ مؤداة ﴿الى اهله﴾ اي ورثة المقتول ﴿الا ان يصدقوا﴾ يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها وبينت السنة أنها مائة من الابل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنولبون وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته الاصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغني منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فان لم يفوا فمن بيت المال فان تعذر فعلى الجاني ﴿فان كان﴾ المقتول ﴿من قوم عدو﴾ حرب ﴿لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ على قاتله كفارة ولا دية تسلم الى أهله لحرابتهم ﴿وان كان﴾ المقتول ﴿من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد كأهل الذمة ﴿فدية﴾ له ﴿مسلمة الى أهله﴾ وهي نصف دية المؤمن ان كان يهوديا أو نصرانيا وعشر ونصف عشر ان كان مجوسيا ﴿وتحرير رقبة مؤمنة﴾ على قاتله ﴿فمن لم يجد﴾ الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه اخذ مالك وعند الشافعي قولان والاخذ به أصح قوليه ﴿توبة من الله﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه ﴿حكيما﴾ فيما دبره لهم .

٩٣ ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا﴾ بان يقصد قتله بأي شيء ضربه عالما بايمانه ﴿فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ أبعده من رحمته ﴿وأعد له عذابا عظيما﴾ في النار وهذا مؤول بمن يستحله او بأن هذا جزاؤه ان جوزى ولا بدع في خلف الوعيد لقوله تعالى «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» وعن ابن عباس على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة ان قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية ان عفى عنه وسبق قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلا يسمى شبه العمد وهو ان يقتل والد ولده بما يكون عمدا في غيره عند مالك وأما عند الشافعي فهو ان يقتله بما لا يقتل غالبا فلا قصاص فيه بل دية كالعمد مغلظة عند مالك وكالعمد في الصفة عند الشافعي وكالخطأ في التأجيل والحمل وهو والعمد اولى بالكفارة من الخطأ في القياس فاستحبت فيهما .

وبين تعالى فيما يأتي ان من نطق بكلمة الاسلام يحمل عليه ولا يجوز لأحد ان يرد إسلامه الا بدليل شرعي لان الحكم بالظاهر ويترك الباطن لله قال تعالى :

٩٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم﴾ سافرتم للجهاد ﴿في
ـ الله فتبينوا﴾ وفي قراءة بالمثلثة في الموضوعين ﴿ولا تقولوا
القى اليكم السلام﴾ بالف ودونها اي التحية او الانقياد بقول
ة الشهادة التي هي أمارة على الاسلام ﴿لست مؤمنا﴾ وانما
هذا تقية لنفسك ومالك روى ان نفرا من الصحابة مروا
ل من بني سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا
تقية فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿تبتغون﴾ تطلبون بذلك ﴿عرض
ياة الدنيا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ تغنيكم
ن قتل مثله لماله ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم
جرد قولكم الشهادة ﴿فمن الله عليكم﴾ بالاشتهار بالايمان
الاستقامة ﴿فتبينوا﴾ أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل في الاسلام
كما فعل بكم ﴿ان الله كان بما تعملون خبيرا﴾ فيجازيكم به
يحب العدل ويكره الظلم .

ولما بين تعالى انه يحمل من اسلم ظاهرا على اسلامه ولا يجوز قتله ولا أخذ أمواله بين فيما يأتي ان خوف قتل من أسلم مع الكفار لا يمنع الخروج الى الجهاد حيث تفاوت درجات المسلمين لحماية حرم الاسلام على الجملة فقال :

٩٥ ﴿لا يستوى القاعدون من المومنين﴾ عن الجهاد ﴿غير
أولى الضرر﴾ بالرفع نعت والنصب استثناء من زمانة او عمى او
نحوه ﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله
المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين﴾ لضرر ﴿درجة﴾
فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وكلا﴾
من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ الجنة ﴿وفضل الله المجاهدين
على القاعدين﴾ لغير ضرر ﴿أجرا عظيما﴾ ويبدل منه :
٩٦ ﴿درجات منه﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة
منه تعالى ﴿ومغفرة ورحمة﴾ منصوبان بفعلهما المقدر ﴿وكان
الله غفورا﴾ لأوليائه ﴿رحيما﴾ بأهل طاعته .

فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا
تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِي الْقَٰعِدُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ عَلَى الْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾
دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ
وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ

كما منع قتل المسلم اذا ظهر منه علامة الاسلام وكذلك منع ن المسلم بعد الاسلام ان يستمر مع الكفار حتى يصيبه ما أصابهم من قتل او اسر فمن شأن المسلم ان يكون مع اخوانه المسلمين قال الله تعالى :

مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ
وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ
مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ
طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟
فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟

٩٧ ﴿ان الذين توفاهم الملائكة﴾ يعني ملك الموت واعوانه ﴿ظالمي أنفسهم﴾ حال من الضمير اي بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قالوا﴾ لهم موبخين ﴿فيم كنتم﴾ اي في أي شيء كنتم في أمور دينكم ﴿قالوا﴾ معتذرين ﴿كنا مستضعفين﴾ عاجزين عن اقامة الدين ﴿في الارض﴾ ارض الكفر ﴿قالوا﴾ لهم توبيخا ﴿ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ من ارض الكفر الى بلد آخر كما فعل غيركم قال تعالى ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ هي

٩٨ ﴿الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ كعياش ابن ربيعة وسلمة بن هشام وغيرهما من الذين دعا لهم الرسول عليه السلام قال ابن عباس كنت أنا وأمي ممن عفا الله عنه بهذه الآية الذين ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿ولا يهتدون سبيلا﴾ طريقا الى الهجرة

٩٩ ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾ اي عن خطر الهجرة بحيث يحتاج المعذور الى العفو وفي البرهان وعسى ولعل في كلام الله واجبتان وان كانتا رجاءً وطمعا في كلام المخلوقين لان المخلوق هو الذي تعرض له الشكوك والظنون والباري منزه عن ذلك ﴿وكان الله عفوا غفورا﴾ اي مبالغا في المغفرة فيغفر لهم ، ما فرط منهم من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج .

ثم رغب تعالى فيما يأتي في الهجرة بقوله :

١٠٠ ﴿ومن يهاجر في سبيل الله﴾ لاعلاء دينه ﴿يجد في الارض مراغما﴾ متحولا ينتقل اليه وفيه اشعار بأن المهاجر يرغم أنف قومه الكفار اي يذلهم ﴿كثيرا وسعة﴾ في الرزق ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله﴾ اي محل رضا الله ورضا رسوله في فرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله ورسوله ﴿ثم يدركه الموت﴾ في الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة فلما سمع آية الهجرة وكان شيخا كبيرا مريضا فقال والله ما انا ممن استثنى الله فاني أجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله ﷺ فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم واوفى أجرا ﴿فقد وقع﴾ ثبت ﴿أجره على الله﴾ اي اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها فيكتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ باكمال ثواب هجرته .

ثم تطرق الكلام في الهجرة الى بيان ما يصيب المسافر من بعض العجز في اكمال الصلاة كما ينبغي فقال تعالى :

١٠١ ﴿واذا ضربتم﴾ سافرتم ﴿في الارض فليس عليكم جناح﴾ في ﴿أن تقصروا من الصلاة﴾ رخصة في القيام والقعود وباقي حركات الصلاة التي لا يمكن للمسافر ان يأتي بها مع الخوف فانه يقصرها حتى انه يصلي بالايماء عند تعذر الحركات كما قال ﴿ان خفتم أن يفتنكم﴾ اي ينالكم بمكروه ﴿الذين كفروا﴾ او من يشابه الكفار من اللصوص وكذلك في حال المرض اذا تعذر معه القيام فالجلوس ثم الاضطجاع بقدر الامكان ولا تترك الصلاة تفوت ما دام المسلم مكلفاً لانها هي الوصلة بين العبد وبين ربه هذا هو القصر المذكور في الآية واما القصر بمعنى نقص عدد ركعات الصلاة الرباعية من اربع الى اثنتين في سفر طويل مسافة اربعة برد او ثمانية واربعين ميلا فانه ثبت بالسنة فلا يشترط فيه وقوع الخوف من العدو بل للمسافر القصر مع الامن لما في الصحيحين أنه ﷺ سافر بين مكة والمدينة لا يخاف الا الله عز وجل فكان

فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ
مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ
أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ
فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ
خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾

١٢٠

يصلي ركعتين. ﴿ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا﴾ بين العدٰوة .

ثم تطرق الى بيان كيفية صلاة الخوف فهي من باب الرخصة في قصر الصلاة المذكور في الآية المتقدمة فقال تعالى :

١٠٢ ﴿واذا كنت﴾ يا محمد حاضرا ﴿فيهم﴾ وانتم تخافون العدو ﴿فأقمت لهم الصلاة﴾ وهنا جري على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له لان الصحابة رضي الله عنهم استمروا على العمل به بعده ﷺ فيكون المراد اذا كنت فيهم كان الحكم ما ذكر واذا لم تكن فيهم فليقم بهم إمامهم الصلاة ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ وتتأخر طائفة ﴿وليأخذوا﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿اسلحتهم﴾ معهم ﴿فاذا سجدوا﴾ صلوا ﴿فليكونوا﴾ اي الطائفة الأخرى ﴿من ورائكم﴾ يحرسون الى ان تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم﴾ معهم الى ان تقضوا الصلاة وقد فعل النبي ﷺ كذلك ببطن نخل رواه الشيخان . وكيفية صلاة الخوف عند مالك : يصلي الامام بكل طائفة ركعتين في الرباعية وبالطائفة الأخرى ركعة في الثلاثية وركعة ركعة في الثنائية وعند الشافعي يصلي بكل طائفة الصلاة الكاملة فيكون الامام صلى تلك الصلاة مرتين وتقع الثانية نافلة للامام لأنها معادة وهي جائزة عنده في الامن والخوف ويتفق مع غيره الا مالكا في الخوف . والله أعلم . ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون﴾ اذا قمتم الى الصلاة ﴿عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الامر بأخذ السلاح ﴿ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم﴾ فلا تحملوها وهذا يفيد ايجاب حملها عند عدم العذر والثاني انه سنة ورجح ﴿وخذوا حذركم﴾ من العدو أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾ ذا اهانة

١٠٣ ﴿فاذا قضيتم الصلاة﴾ فرغتم منها ﴿فاذكروا الله﴾ بالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير فالامر للندب حتى في الخوف لان الكلام في صلاة الخوف ﴿قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ مضطجعين اي في كل حال ﴿فاذا اطمأننتم﴾ أمنتم اي سكنت قلوبكم وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها ﴿فأقيموا الصلاة﴾ اي أدوها بحقوقها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وسننها مما ابيح لكم تقصيره وقت الخوف ﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا﴾ مكتوبا اي مفروضا ﴿موقوتا﴾ اي مقدرا اوقاتها فلا تؤخروها عنه في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسب ما قدر فيه .

ولما أمر المؤمنين في الآية المتقدمة ان يأخذوا حذرهم وأخذ السلاح معهم حتى في الصلاة الا مع الضرورة نهاهم فيما يأتي عن التهاون في مقاومة الكفار في كل حال فقال :

١٠٤ ﴿ولا تهنوا﴾ تضعفوا ﴿في ابتغاء﴾ طلب ﴿القوم﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿ان تكونوا تألمون﴾ تجدون الم الجراح ﴿فانهم يألمون كما تألمون﴾ اي مثلكم ولا يجبنون عن قتالكم ﴿و﴾ الحال انتم ﴿ترجون من الله﴾ النصر والثواب على قتالهم ﴿ما لا يرجون﴾ هم في قتالكم فأنتم تزيدون عليهم. بذلك فينبغي ان تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وكان الله عليما﴾ بكل شيء منه ما ينفعكم وما يضركم فيخبركم لكيلا تتهاونوا فيه ﴿حكيما﴾ في صنعه فما دبره لكم أحسن لكم فاتبعوه تنجحوا في اعمالكم لتدوموا في أمن وتحفظوا شرائعه والعدالة فيما بينكم .

ثم ان عدالة الاسلام لا تقتصر على حفظ حقوق المسلمين فقط وليس لها ميل الى العقيدة بل هي مع الحق أينما كان فقال تعالى مخاطبا رسوله الكريم .

١٠٥ ﴿انا انزلنا اليك الكتاب بالحق﴾ متعلق بانزل اي بالامر والنهي والفصل بين الناس ﴿لتحكم بين الناس بما أراك

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ
مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ
هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ
عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ
عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ
خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا
وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ
لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ

١٢١

الله﴾ أعلمك الله فيه ﴿ولا تكن للخائنين خصيما﴾ مخاصما اي فاحكم به ولا تكن مخاصما عن الخائنين وان كانوا من اتباعك ضد أعدائكم لان العدالة في الحكم لا تقتضي ميلا الى جانب غير الحق .

١٠٦ ﴿واستغفر الله﴾ ان هممت بشيء من ذلك ﴿ان الله كان غفورا رحيما﴾ لأهل طاعته ويروى ان واحدا من الانصار يسمى طعمة بن أبيرق سرق درعا وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف انه ما سرقها فسأل قومه بنو ظفر النبي ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه وأبى الله الا ان يقيم نبيه العدل بين الناس ويقضي بالحق لمستحقه من كان ولا يبالي .

١٠٧ ﴿ولا تجادل﴾ يا محمد ﴿عن الذين يختانون أنفسهم﴾ يخونونها بالمعاصي لان وبال خيانتهم عليهم ﴿ان الله لا يحب من كان خوانا﴾ كثير الخيانة ﴿أثيما﴾ اي يعاقبه .

١٠٨ ﴿يستخفون﴾ الخائنون مثل طعمه وقومه حياء ﴿من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ بعلمه ﴿اذ يبيتون﴾ يدبرون في الليل ويضمرون ﴿ما لا يرضى من القول﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وكان الله بما يعملون محيطا﴾ عليما .

١٠٩ ﴿ها أنتم﴾ يا ﴿هؤلاء﴾ خطاب لكل من يتأتى منه ان يجادل كذبا عن الخونة لقرابة او لشيء آخر مثل قوم طعمة ﴿جادلتم﴾ خاصمتم ﴿عنهم﴾ اي عن امثال طعمة ﴿في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ اذا عذبهم ﴿أم من يكون عليهم وكيلا﴾ يتولى أمرهم ويذب عنهم أي لا أحد يفعل ذلك .

١١٠ ﴿ومن يعمل سوءا﴾ ذنبا يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿أو يظلم نفسه﴾ بعمل ذنب قاصر عليه ﴿ثم يستغفر الله﴾ منه اي يتوب ﴿يجد الله غفورا﴾ له ﴿رحيما﴾ به .

١١١ ﴿ومن يكسب اثما﴾ ذنبا ﴿فانما يكسبه على نفسه﴾ لان وباله عليها ولا يضر غيره ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ في صنعه .

١١٢ ﴿ومن يكسب خطيئة﴾ ذنبا صغيرا ﴿أو اثما﴾ ذنبا كبيرا ﴿ثم يرم به بريئا﴾ منه ﴿فقد احتمل﴾ تحمل ﴿بهتانا﴾ برميه ﴿واثما مبينا﴾ بينا بكسبه .

وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾
وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ

١١٣ ﴿ولولا فضل الله عليك﴾ يا محمد ﴿ورحمته﴾ بالعصمة ﴿لهمت﴾ ـيت وأضمرت ﴿طائفة منهم﴾ من الخونة مثل قوم طعمة ﴿أن يضلوك﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ لان وبال اضلالهم عليهم ﴿وانزل الله عليـك الكتـاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ بما فيه من الاحكام ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ من الاحكام والغيب ﴿وكان فضل الله عليك﴾ بذلك وغيره ﴿عظيما﴾. لأنه لا فضل أعظم من النبوة العامة والرسالة التامة.

ثم عقب على ما تقدم من النهي عن المجادلة للخائنين لقرابتهم او لسبب آخر بمنع النجوى الا لما فيه مصلحة عامة فقال:

١١٤ ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ اي الناس اي يتناجون به ويتحدثون ليحفظوه عن باقي الناس ليظهروا بذلك كرامتهم عند النبي ﷺ ﴿الا﴾ نجوى ﴿من أمر بصدقة أو معروف﴾ عمل بر ﴿أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك﴾ المذكور ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿مرضات الله﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فسوف نؤتيه﴾ بالنون وقرىء بالياء اي الله ﴿أجرا عظيما﴾ لأنه دال على الخير وداخل في زمرة الخيرين كالفاعل الخير أحرى ان يدخل زمرتهم.

ونبه فيما يأتي على من يغير الكلام ويتجه به اتجاها غير صحيح ليوافق هواه فانه كافر لا يجوز الاقتداء به فقال:

١١٥ ﴿ومن يشاقق﴾ يخالف ﴿الرسول﴾ فيما جاء به من الحق ﴿من بعدما تبين له الهدى﴾ ظهر له الحق الواضح بالحجة الظاهرة ﴿ويتبع﴾ طريقا ﴿غير سبيل المؤمنين﴾ الصحابة وتابعيهم وتابع تابعيهم اي غير طريقهم الذي هم عليه من الدين فيشق لنفسه طريقا مخالفا لطريقهم في العقيدة والاحكام ﴿نوله ما تولى﴾ نجعله واليا لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿ونصله﴾ ندخله في الآخرة ﴿جهنم﴾ فيحترق فيها ﴿وساءت مصيرا﴾ مرجعا هي.

ولما كان موضوع السورة اثبات العدل والاقساط بين الناس وعالجت ذلك في صور عديدة وبينت أحكاما واضحة ان الظلم ممنوع ولو على من لم يكن في نظام العقيدة والملة الاسلامية. وفيما يأتي تذكر أكبر ظلم تتمكك به جميع العرى وتضمحل العدالة وهو الشرك وعبادة غير الله تعالى فقال:

١١٦ ﴿إن الله لا يغفر ان يشرك به﴾ غيره في العبادة اي اذا مات المشرك على الشرك لقوله تعالى «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم» الآية ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ من انواع المعاصي ﴿لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة.

١١٧ ﴿إن﴾ ما ﴿يدعون﴾ يعبد المشركون ﴿من دونه﴾ اي الله أي غيره ﴿الا اناثا﴾ اصناما مؤنثة كاللات والعزى ومناة ﴿وان﴾ ما ﴿يدعون﴾ ما يعبدون بعبادتها ﴿الا شيطانا مريدا﴾ خارجا عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو ابليس:

١١٨ ﴿لعنه الله﴾ أبعده عن رحمته ﴿وقال﴾ اي الشيطان ﴿لأتخذن﴾ لأجعلن لي ﴿من عبادك نصيبا﴾ حظا ﴿مفروضا﴾ مقطوعا أدعوهم الى طاعتي.

فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ
وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ
ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا
يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ
مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا

١٢٣

١١٩ ﴿ولأضلنهم﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿ولأمنينهم﴾ ألقي في قلوبهم طول الحياة وان لا بعث ولا حساب ﴿ولآمرنهم فليبتكن﴾ يقطعن ﴿آذان الانعام﴾ وقد فعل ذلك بالبحائر فشقوا آذانها جمع بحيرة ناقة تلد اربعة بطون وتأتي بخامس انثى فيحررونها للطواغيت ﴿ولأمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ دينه بالكفر واحلال ما حرم وتحريم ما أحل ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿من دون الله﴾ أي غيره ﴿فقد خسر خسرانا مبينا﴾ بينا لمصيره الى النار المؤبدة عليه .

١٢٠ ﴿يعدهم﴾ طول العمر ﴿ويمنيهم﴾ نيل الآمال في الدنيا وان لا بعث ولاجزاء ﴿وما يعدهم الشيطان﴾ بذلك ﴿الا غرورا﴾ باطلا والغرور اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بألسنة أوليائه .

١٢١ ﴿أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا﴾ معدلا .

عقب بيان وعد الشيطان للكافرين جاء ببيان وعد الله للمؤمنين فقال :

١٢٢ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا﴾ اي وعدهم الله ذلك وحقه حقا ﴿ومن﴾ اي لا أحد ﴿أصدق من الله قيلا﴾ اي قولا . ووعد الله المذكور .

١٢٣ ﴿ليس﴾ أمرا منوطا ﴿بأمانيكم﴾ أيها المسلمون اي بقولكم نحن أمة محمدونبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على سائر الكتب ونحن آمنا بجميع الكتب وجميع الانبياء قولا باللسان فقط ﴿ولا أماني أهل الكتاب﴾ من قولهم كتابنا قبل كتاب المسلمين ونبينا قبل نبيهم فنحن أولى بالله منهم قولا باللسان فقط بل الافضلية انما هي بالايمان والعمل الصالح ﴿من يعمل سوءا﴾ عملا لم توافق عليه الشريعة ﴿يجز به﴾ اما في الآخرة أو في الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث ﴿ولا يجد له من دون الله﴾ اي غيره ﴿وليا﴾ يحفظه ﴿ولا نصيرا﴾ يمنعه منه .

١٢٤ ﴿ومن يعمل﴾ شيئا ﴿من الصالحات﴾ هو ما وافق الشرع عليها ﴿من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون﴾ بالبناء للفاعل وقرىء للمفعول ﴿الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ قدر نقرة النواة .

وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦)
وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ
مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا (١٢٧) وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ
بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا
بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ
وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨)
وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ
فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ

١٢٥ ﴿ومن﴾ لا اي أحد ﴿أحسن دينا ممن أسلم وجهه﴾ اي انقاد وأخلص عمله ﴿لله وهو محسن﴾ موحد ﴿واتبع ملة ابراهيم﴾ اي الاسلام لان ملة ابراهيم هي ملـة الاسلام ﴿حنيفا﴾ حال اي مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلاً﴾ صفيا خالص المحبة له وفائدة هذه الجملة تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته .

١٢٦ ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وكان الله بكل شيء محيطا﴾ علما وقدرة اي لم يزل متصفا بذلك ومن كان كذلك يجب طاعته اذ لا يحتاج الى عمل العامل وانما يعبد ليثيب بفضله واتخاذه لابراهيم خليلا لا لاحتياج له بل لاخلاص ابراهيم العمل له . وهو تعقيب حسن بعد الامر باخلاص العبادة لله .

هنا انتهت دروس السورة وستليها التعقيبات عليها وهي أكثر السور تعقيبات لما اشتملت عليه من الاحكام الاجتماعية والعدالة الالهية بين الناس . فجاءت التعقيبات لتوضيح أسباب تلك الاحكام أو لتفصيل مجملها وتماما للفائدة . فبدأ بما بدأ به في أول السورة من أمر النساء فقال :

١٢٧ ﴿ويستفتونك﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿في﴾ شأن ﴿النساء﴾ وميراثهن ﴿قل﴾ لهم ﴿الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضاً ﴿في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب﴾ فرض ﴿لهن﴾ في الميراث ﴿وترغبون﴾ أيها الأولياء عن ﴿أن تنكحوهن﴾ لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن . أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك . ﴿و﴾ ﴿المستضعفين﴾ الصغار ﴿من الولدان﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿و﴾ يأمركم ﴿أن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما﴾ فيجازيكم به .

١٢٨ ﴿وان امرأة﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿خافت﴾ توقعت ﴿من بعلها﴾ زوجها ﴿نشوزاً﴾ ترفعا عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه الى أجمل منها ﴿أو إعراضا﴾ عنها بوجهه ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا﴾ من أصلح وفي قراءة يصالحا بتشديد الصاد فيه ادغام التاء في الاصل في الصاد ﴿بينهما صلحا﴾ في القسم والنفقة بأن تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فان رضيت بذلك والا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿والصلح خير﴾ من الفرقة والنشوز والاعراض قال تعالى في بيان ما جبل عليه الانسان ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ شدة البخل اي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه المعنى ان المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه اذا أحب غيرها ﴿وان تحسنوا﴾ عشرة النساء ﴿وتتقوا﴾ الجور عليهن ﴿فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾ فيجازيكم به .

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ
ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ
أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَإِن
تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ
وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن
كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ
وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا

١٢٩ ﴿ولن تستطيعوا ان تعدلوا﴾ تسووا ﴿بين النساء﴾ في المحبة ﴿ولو حرصتم﴾ على ذلك ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ الى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فتذروها﴾ اي تتركوا المال عنها ﴿كالمعلقة﴾ التي لا هي أيم ولا ذات بعل ﴿وان تصلحوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وتتقوا﴾ الجور ﴿فان الله كان غفورا﴾ لما في قلوبكم من الميل ﴿رحيما﴾ بكم في ذلك .

١٣٠ ﴿وان يتفرقا﴾ اي الزوجان بالطلاق ﴿يغن الله كلا﴾ عن صاحبه ﴿من سعته﴾ اي فضله بان يرزقها زوجا غيره ويرزقه غيرها ﴿وكان الله واسعا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حكيما﴾ فيما دبره لهم . وهذا التعقيب على سلطة الرجال في أول السورة من قوله «الرجال قوامون على النساء ...»

١٣١ ﴿ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب﴾ بمعنى الكتب ﴿من قبلكم﴾ اي اليهود والنصارى ﴿وإ ياكم﴾ يا أهل القرآن ﴿أن﴾ اي بأن ﴿اتقوا الله﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿و﴾ قلنا لهم ﴿ان تكفروا﴾ بما وصيتم به ﴿فان لله ما في السموات وما في الارض﴾ خلقا وملكا وعبيدا فلا يضر بكفركم ﴿وكان الله غنيا﴾ عن خلق وعبادتهم ﴿حميدا﴾ محمودا في صنعه بهم .

١٣٢ ﴿ولله ما في السموات وما في الارض﴾ كرره تأكيد لتقرير موجب التقوى ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ شهيدا بأن ما فيهما له .

١٣٣ ﴿ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾ بدلكم ﴿وكان الله على ذلك قديرا﴾ .

١٣٤ ﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ لمن أراده لا عند غيره فلم يطلب أحدهم الأخس وهلا طلب الأعلى باخلاصه حيث كان مطلبه لا يوجد الا عنده ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ لجميع الاحوال الموجودة فهو تعقيب لقوله قبل «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا» الى قوله تعالى «وندخلهم ظلا ظليلا»

وقوله تعالى :

١٣٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾ اي قائمين ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿شهداء﴾ بالحق ﴿لله ولو﴾ كانت الشهادة ﴿على أنفسكم﴾ فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أو﴾ على ﴿الوالدين والأقربين ان يكن﴾ المشهود عليه أوله ﴿غنيا أو فقيرا فالله اولى بهما﴾ منكم وأعلم بمصالحهما ﴿فلا تتبعوا الهوى﴾ في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه او الفقير رحمة له ﴿أن تعدلوا﴾ تميلوا عن الحق لاجلهما لولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها . ﴿وان تلووا﴾ تحرفوا الشهادة وفي قراءة بحذف الواو تخفيفا ﴿أو تعرضوا﴾ عن أدائها ﴿فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾ فيجازيكم به . فهو تعقيب لقوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » الى قوله « وحسن أولئك رفيقا » .

وقوله تعالى :

١٣٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا﴾ دوموا على الايمان ﴿بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ على الرسل بمعنى الكتب وفي قراءة للمفعول في الفعلين ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ من الحق .

١٣٧ ﴿ان الذين آمنوا﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ثم كفروا﴾ بعبادة العجل ﴿ثم آمنوا﴾ بعده ﴿ثم كفروا﴾ بعيسى ﴿ثم ازدادوا كفرا﴾ بمحمد ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ ما أقاموا عليه ﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ طريقا الى الحق لان من تكرر منه الايمان والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه وازدياده بالكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان . قال الله تعالى :

١٣٨ ﴿بشر﴾ أخبر يا محمد ﴿المنافقين بأن لهم عذابا أليما﴾ مؤلما هو عذاب النار .

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ
يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا

١٣٩ ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أيبتغون﴾ يطلبون ﴿عندهم العزة﴾ استفهام انكار اي لا يجدونها عندهم ﴿فان العزة لله جميعا﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها الا أولياؤه .

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن
مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ
وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ
وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ
لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن
تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟
ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن

١٢٧

١٤٠ ﴿وقد نزل﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿عليكم في الكتاب﴾ القرآن ﴿أن﴾ مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿اذا سمعتم آيات الله﴾ القرآن ﴿يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾ اي الكفار والمستهزئين ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا﴾ ان قعدتم معهم ﴿مثلهم﴾ في الاثم قال المفسرون الذي أنزل في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام «واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» وهذا نزل في مكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزئون به في مجالسهم ثم ان أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم هنا في السورة واحالهم الى قصة مكة دلالة على أن حكما في نازلة حكم لما شابهها سواء بسواء ﴿ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء .

١٤١ ﴿الذين﴾ بدل من الذين قبله ﴿يتربصون﴾ ينتظرون ﴿بكم﴾ الدوائر ﴿فان كان لكم فتح﴾ ظفر وغنيمة ﴿من الله قالوا﴾ لكم ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة ﴿وان كان للكافرين نصيب﴾ من الظفر عليكم ﴿قالوا﴾ لهم ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ اي ألم نغلب عليكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ﴿و﴾ ألم ﴿نمنعكم من المؤمنين﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة . قال تعالى ﴿فالله يحكم بينكم﴾ وبينهم ﴿يوم القيامة﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ طريقا بالاستئصال .

١٤٢ ﴿ان المنافقين يخادعون الله﴾ باظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وهو خادعهم﴾ مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿واذا قاموا الى الصلاة﴾ مع المؤمنين ﴿قاموا كسالى﴾ متثاقلين ﴿يراءون الناس﴾ بصلاتهم ﴿ولا يذكرون الله﴾ يصلون ﴿الا قليلا﴾ على وجه الرياء .

١٤٣ ﴿مذبذبين﴾ مترددين ﴿بين ذلك﴾ الكفر والايمان ﴿لا﴾ منسوبين ﴿الى هؤلاء﴾ اي الكفار ﴿ولا الى هؤلاء﴾ اي المؤمنين ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ اي طريقا الى الهدى .

تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ
لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ
وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ
مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾
إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ
سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا

١٢٨

١٤٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم﴾ بموالاتهم ﴿سلطانا مبينا﴾ برهانا بينا على نفاقكم .

١٤٥ ﴿ان المنافقين في الدرك﴾ المكان ﴿الاسفل من النار﴾ وهو قعرها ﴿ولن تجد لهم نصيرا﴾ مانعا من العذاب .

١٤٦ ﴿الا الذين تابوا﴾ من النفاق ﴿وأصلحوا﴾ عملهم ﴿واعتصموا﴾ وثقوا ﴿بالله وأخلصوا دينهم لله﴾ من الرياء ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ فيما يؤتونه ﴿وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما﴾ في الآخرة هو الجنة .

١٤٧ ﴿ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم﴾ نعمه بالطاعة له ﴿وآمنتم﴾ به والاستفهام بمعنى النفي أي لا يعذبكم ﴿وكان الله شاكرا﴾ لأعمال المؤمنين بالاثابة ﴿عليما﴾ بخلقه وهو عالم بجميع الجزئيات فلا يقع له الغلط البتة فلا جرم أنه يوصل الثواب الى الشاكر والعقاب الى المعرض والشكر من الله الرضا بالقليل من عمل عباده وإضعاف الثواب عليه . وهو تعقيب لقوله تعالى . «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم» . الى قوله «ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا» .

وقوله تعالى :

١٤٨ ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ من أحد اي يعاقبه عليه ﴿إلا من ظلم﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه و يدعو عليه دعاء جائزا بأن يكون بقدر ظلمه فلا يدعو عليه بخراب دياره لأجل أخذ ماله منه ولا يسب والده وان كان هو فعل كذلك ولا يدعو عليه لأجل ذلك بالهلاك بل يقول اللهم خلص حقي منه او اللهم جازه او كافئه ولا يجوز أن يدعو عليه بسوء الخاتمة أو الفتنة في الدين ﴿وكان الله سميعا﴾ لما يقال ﴿عليما﴾ بالاحوال .

١٤٩ ﴿ان تبدوا﴾ تظهروا ﴿خيرا﴾ من اعمال البر ﴿أو تخفوه﴾ تعملوه سرا ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ ظلم ﴿فان الله كان عفوا قديرا﴾ اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على تمهيد العفو بعدما رخص له في الانتصار حثا على مكارم الاخلاق . وهو تعقيب لقوله: «ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ» الآية .

وقوله تعالى :

١٥٠ ﴿ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿ويقولون نؤمن ببعض﴾ من الرسل ﴿ونكفر ببعض﴾ منهم ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك﴾ الكفر والايمان ﴿سبيلا﴾ طريقا يذهبون اليه .

لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن
تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن
ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾
فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ

١٥١ ﴿أولئك هم الكافرون حقا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ ذا اهانة هو عذاب النار .

١٥٢ ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ كلهم ﴿ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم﴾ بالنون وقرىء بالياء ﴿أجورهم﴾ ثواب أعمالهم ﴿وكان الله غفورا﴾ لأوليائه ﴿رحيما﴾ بأهل طاعته وهو تعقيب لقوله تعالى «ومن يشاقق الرسول» الخ .

وقوله تعالى :

١٥٣ ﴿يسألك﴾ يا محمد ﴿أهل الكتاب﴾ اي اليهود والنصارى ﴿أن تنزل عليهم كتابا من السماء﴾ جملة كما انزل على موسى وعيسى تعنتا فاستكبرت ذلك ﴿فقد سألوا﴾ اي آباءه اليهود ﴿موسى أكبر﴾ أعظم ﴿من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ عيانا يمكن ان يكون تمييزا لقالوا أو لأرنا ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ الموت عقابا لهم ﴿بظلمهم﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ إلها ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿فعفونا عن ذلك﴾ لم نستأصلهم ﴿وآتينا موسى سلطانا مبينا﴾ تسلطا بينا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه .

١٥٤ ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾ الجبل ﴿بميثاقهم﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيتلقوه ﴿وقلنا لهم﴾ وهو مظل عليهم ﴿ادخلوا الباب﴾ باب القرية ﴿سجدا﴾ سجود انحناء ﴿وقلنا لهم لا تعدوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه ادغام التاء في الأصل في الدال أي لا تعتدوا ﴿في السبت﴾ باصطياد الحيتان ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ على ذلك قيل انهم أعطوا الميثاق على أنهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله يعذبهم بأي أنواع العذاب أراد فنقضوه .

١٥٥ ﴿فبما نقضهم﴾ ما مصدرية والباء للسببية متعلقة بمحذوف اي لعناهم كما جاء مصرحا به اول المائدة «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم» ﴿ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق﴾ ظلما ﴿وقولهم﴾ للنبي ﷺ ﴿قلوبنا غلف﴾ لا تعي كلامك ﴿بل طبع﴾ ختم ﴿الله عليها بكفرهم﴾ فلا تعي وعظا ﴿فلا يؤمنون الا قليلا﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه .

عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ
عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن
شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم
بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل
رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ
ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾
لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ

١٥٦ ﴿وبكفرهم﴾ ثانيا بعيسى وكرر الباء للفصل بينه ما عطف عليه ﴿وقولهم على مريم بهتانا عظيما﴾ حيث رموها بالزنا .

١٥٧ ﴿وقولهم﴾ مفتخرين ﴿انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ في زعمهم اي بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيبا لهم في قتله ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ المقتول والمصلوب وهو ططيانس بعيسى أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه اياه قال الضحاك لما ارادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلاً فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبر ابليس جميع اليهود فركب أربعة آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال رجل انا يا نبي الله فألقى اليه مدرعته من صوف وعمامته من صوف وناوله عكازه وألقى الله عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما المسيح فكساه الله الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار مع الملائكة ﴿وان الذين اختلفوا فيه﴾ اي في عيسى ﴿لفي شك منه﴾ من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به فقال آخرون: بل هو هو ﴿مالهم به﴾ بقتله ﴿من علم الا اتباع الظن﴾ استثناء منقطع فالنصب عليه اي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه وقيل استثناء متصل لان العلم والظن يجمعهما مطلق الادراك ﴿وما قتلوه يقينا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل .

١٥٨ ﴿بل رفعه الله اليه﴾ الى موضع لا يجري فيه حكم غير الله نظير «والى الله ترجع الامور» وهذا الموضع هو السماء الثالثة كما في حديث الجامع الصغير . آدم في السماء الدنيا يعرض عليه أعمال ذريته ويوسف في السماء الثانية وعيسى في السماء الثالثة ﴿وكان الله عزيزا حكيما﴾ فالمراد من العزة كمال قدرة الله ومن الحكمة كمال العلم ونبه بهذا على ان رفع عيسى عليه السلام الى السموات وان كان كالمتعذر على البشر لكنه لا بعد فيه بالنسبة الى قدرة الله تعالى وحكمته كقوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام » فان الاسراء وان كان متعذرا بالنسبة لقدرة البشر الا انه سهل بالنسبة الى قدرة الله تعالى .

١٥٩ ﴿وان﴾ ما ﴿من أهل الكتاب﴾ احد ﴿الا ليؤمنن به﴾ بعيسى ﴿قبل موته﴾ أي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه ايمان أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في الحديث ﴿ويوم القيامة يكون﴾ عيسى ﴿عليهم شهيدا﴾ بما فعلوا به لما بعث اليهم .

١٦٠ ﴿فبظلم﴾ اي فبسبب ظلم ﴿من الذين هادوا﴾ هم اليهود اذ هادوا اي تابوا ورجعوا عن عبادة العجل فهو تذكير ان هذا الظلم وقع بعدما هادوا ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ هي التي في قوله حرمنا كل ذي ظفر الآية ﴿وبصدهم﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه صداً ﴿كثيراً﴾ .

١٦١ ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ في التوراة ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ بالرشا في الحكم ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً .

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ
إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾
رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ
حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ
يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

١٣١

١٦٢ ﴿لكن الراسخون﴾ الثابتون ﴿في العلم منهم﴾ كعبد الله بن سلام ﴿والمؤمنون﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك﴾ من الكتب ﴿والمقيمين الصلاة﴾ نصب على المدح وقرىء بالرفع ﴿والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم﴾ بالنون ﴿اجراً عظيماً﴾ هو الجنة .

١٦٣ ﴿انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده و﴾ كما ﴿أوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق﴾ ابنيه ﴿ويعقوب﴾ بن اسحق ﴿والأسباط﴾ أولاده ﴿وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا﴾ أباه ﴿داود زبورا﴾ بفتح اسم للكتاب المؤتى والضم مصدر بمعنى مزبور اي مكتوباً .

١٦٤ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الجلال المحلي في سورة غافر ﴿وكلم الله موسى﴾ بلا واسطة ﴿تكليماً﴾ .

١٦٥ ﴿رسلاً﴾ بدل من رسلاً قبله ﴿مبشرين﴾ بالثواب من آمن ﴿ومنذرين﴾ بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾ تقال ﴿بعد﴾ ارسال ﴿الرسل﴾ اليهم فيقولون «ربنا لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين» فبعثناهم لقطع عذرهم سمى المعذرة حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله لجامع الاستدلال بينهما وللتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً» وفيه دليل على ان الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل وأن معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع ﴿وكان الله عزيزاً﴾ في ملكه ﴿حكيماً﴾ في صنعه . ولما قال تعالى «انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده» ثبتت نبوتهم . ولا رسول بعد محمد يشهد له لدفع هذا الخاطر استدرك تعالى وقال :

١٦٦ ﴿لكن الله يشهد﴾ يبين نبوتك ﴿بما أنزل اليك﴾ من القرآن المعجز ﴿أنزله﴾ ملتبساً ﴿بعلمه﴾ اي عالماً فجعله على نظام يعجز الخلق عن الاتيان بمثله فيكون شهادة لك من الله ﴿والملائكة يشهدون﴾ لك أيضا كما في حديث عمر عندما جاء جبريل في صورة رجل يسأله ﷺ عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة وهم لا يعرفونه ثم أخبرهم الرسول انه جبريل جاءهم يعلمهم دينهم فمثل هذا شهادة الملائكة له ﷺ بالنبوة والرسالة ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على ذلك .

١٦٧ ﴿ان الذين كفروا﴾ بالله وما قبلوا شهادته ولا شهادة الملائكة لرسالتك ونبوتك ﴿وصدوا﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دين الاسلام الذي اشتملت عليه رسالتك ﴿قد ضلوا ضلالا بعيداً﴾ عن الحق .

١٦٨ ﴿ان الذين كفروا وظلموا﴾ كرره ليبني عليه حكمهم وهو ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً﴾ من الطرق .

١٦٩ ﴿الا طريق جهنم﴾ اي الطريق المؤدي اليها ﴿خالدين فيها﴾ أي مقدرين الخلود فيها بعد دخولها ﴿أبداًوكان ذلك على الله يسيراً﴾ هيناً . ثم صرح تعالى فيما يأتي بشهادته للنبي التي ذكر انه يشهد له فقال .

١٧٠ ﴿يا أيها الناس﴾ المكلفون ﴿قد جاءكم الرسول﴾ محمد ﷺ ﴿بالحق من ربكم فآمنوا﴾ به واقصدوا ﴿خيرا لكم﴾ مما أنتم فيه ﴿وان تكفروا﴾ به ﴿فان لله ما في السموات والارض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يضره كفركم ﴿وكان الله عليما﴾ بما يشهد من صدق رسالة محمد اليكم ﴿حكيماً﴾ في تدبيره لخلقه فهو الذي دبر لكم ما في رسالة محمد ان اتبعتموها فانها تأخذكم الى طريق النجاة والفلاح .

١٧١ ﴿يا اهل الكتاب﴾ الانجيل ﴿لا تغلوا﴾ تتجاوزا الحد ﴿في دينكم ولا تقولوا على الله الا﴾ القول ﴿الحق﴾ من تنزيه عن الشريك والولد وعلى ما حدد الله لنفسه من صفات ذاته ﴿انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها﴾ أوصلها ﴿الى مريم وروح﴾ أي ذوروح كائنة ﴿منه﴾ اضيف اليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم ابن الله او الها معه او ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه ﴿فآمنوا بالله﴾ من كونه تعالى منزها عن ولد وعن صاحبة ﴿ورسله﴾ اي رسوله محمد الذي ذكر لكم ان عيسى بشر خلقه الله ورسوله كباقي الرسل وان محمداً ارسل اليه مثل ما أرسل لعيسى والتصديق برسول واحد تصديق لجميع الرسل اذ يصدق ما يقوله لكم محمد ﷺ ﴿ولا تقولوا﴾ الآلهة ﴿ثلاثة﴾ الله وعيسى وأمه ﴿انتهوا﴾ عن ذلك وأتوا ﴿خيراً لكم﴾ منه وهو التوحيد لله والاقرار بعبودية عيسى له ﴿انما الله إله واحد سبحانه﴾ تنزيهاً له عن ﴿أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض﴾ خلقاً وملكاً والملكية تنافي البنوة فهذه شهادة الله لمحمد على صدق مابينه لكم من صفات عيسى ومن دعوتكم الى ملته الاسلامية ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ شهيداً على ذلك .

وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ
بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا
لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُ أَن يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

١٣٢

لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن
فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ
إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟
بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ
صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ
إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ
مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ
فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً

١٧٢ ﴿لن يستنكف﴾ لن يتكبر ولن يأنف ﴿المسيح﴾ الذي زعمتم أنه اله عن ﴿أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك اي ان عيسى ابن الله ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً﴾ في الآخرة .

١٧٣ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم﴾ ثواب أعمالهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا﴾ عن عبادته ﴿فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً هو عذاب النار ﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ اي غيره ﴿ولياً﴾ يدفعه عنهم ﴿ولا نصيراً﴾ يمنعهم . ثم نادى جميع الناس على طبقاتهم المؤمنين والمشركين واهل الكتاب من اليهود والنصارى واشهدهم على قوله .

١٧٤ ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان﴾ حجة ﴿من ربكم﴾ عليكم وهو النبي ﷺ ﴿وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً﴾ بيناً وهو القرآن .

١٧٥ ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً﴾ طريقاً ﴿مستقيماً﴾ هو دين الاسلام إلى هنا انتهت شهادة الله التي شهد بها لصدق نبوة محمد ورسالته للناس . وهو آخر تعليقه على قوله تعالى في السورة «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق» الى قوله «وكان الله بكل شيء محيطاً» .

وقوله تعالى .

١٧٦ ﴿يستفتونك﴾ في الكلالة ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤا﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿هلك﴾ مات ﴿ليس له ولد﴾ اي وهو الكلالة ﴿وله أخت﴾ من أبوين أو أب ﴿فلها نصف ما ترك وهو﴾ اي الاخ كذلك ﴿يرثها﴾ جميع ما تركت ﴿ان

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

(٥) سُورَةُ المَائِدَةِ مَدَنِيَّة وآياتها عشرون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ

لم يكن لها ولد﴾ فان كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الاخت او الاخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة ﴿فان كانتا﴾ أي الاختان ﴿اثنتين﴾ اي فصاعداً لانها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾ الأخ ﴿وان كانوا﴾ اي الورثة ﴿اخوة رجالاً ونساء فللذكر﴾ منهم ﴿مثل حظ الانثيين يبين الله لكم﴾ شرائع دينكم ﴿أن﴾ لا ﴿تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ ومنه الميراث وروى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت من الفرائض . وهي في هذه السورة تعقيب لما تقدم في أولها من آيات الميراث .

بدأت السورة بقوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم » وختمت بقوله « يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » وهذا مثل قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » ففيها ما يحفظ للأمة كيانها وقوامها ويرفعها على من سواها . فالسورة اشتمل أولها على كمال تنزه الله تعالى وسعة قدرته وآخرها اشتمل على بيان كمال العلم وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلال والعزة وبهما يجب أن يكون العبد مقاداً للتكاليف والحمد لله رب العالمين .

﴿ سورة المائدة ﴾

مدنية مائة وعشرون أو واثنتان أو وثلاث آية وموضوعها الرئيسي بيان استيفاء العقود وما يترتب على ذلك من بيان الحلال والحرام وربط ذلك بالعقيدة الاسلامية ان الله إله واحد فلا حرام الا ما حرم ولا حلال إلا ما أحل ويدخل هذا في القول والعمل كما سيأتي بيانه في محله ان شاء الله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿يا ايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس والوفاء القيام بموجب العقد والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ديناً بأن يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب أمر بذلك أولا على وجه الاجمال ثم شرع في التفصيل فقال ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ الابل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلاً والتحريم

قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ
وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ
لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ
لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ

١٣٥

لما عرض من الموت ونحوه ﴿غير محل الصيد وأنتم حرم﴾ اي محرمون ونصب «غير» على الحال من ضمير لكم ﴿ان الله يحكم ما يريد﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه .

٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ جمع شعيرة وهي شرائع الله ومعالم دينه بالصيد في الاحرام ﴿ولا الشهر الحرام﴾ بالقتال فيه ﴿ولا الهدي﴾ ما أهدي الى الحرم من النعم بالتعرض له ﴿ولا القلائد﴾ جمع قلادة وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن الخارج من الحرم فمنع المسلمون من فعله ونهاهم عن استحلال نزع شيء من شجر الحرم ﴿ولا﴾ تحلو ﴿آمين﴾ قاصدين ﴿البيت الحرام﴾ بان تقاتلوهم ﴿يبتغون فضلاً﴾ رزقاً ﴿من ربهم﴾ بالتجارة ﴿ورضوانا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد نسخ من هذه الاحكام حرمة القتال في الشهر الحرام بقوله تعالى «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» وعدم منع آمين البيت الحرام بقوله «انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» والقلائد التي كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم أي قشره وقال بعضهم لم ينسخ الا القلائد لأنه من عمل الجاهلية ﴿واذا حللتم﴾ من الاحرام ﴿فاصطادوا﴾ أمر اباحة ﴿ولا يجرمنكم﴾ يكسبنكم ﴿شنآن﴾ بفتح النون وقرىء بسكونها بغض ﴿قوم﴾ لأجل ﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وتعاونوا على البر﴾ فعل ما أمرتم به ﴿والتقوى﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿ولا تعاونوا﴾ فيه حذف احدى التاءين في الاصل ﴿على الاثم﴾ المعاصي ﴿والعدوان﴾ التعدي في حدود الله ﴿واتقوا الله﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿أن الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه .

٣ ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ اي اكلها ﴿والدم﴾ اي المسفوح كما في الأنعام ﴿ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿والمخنقة﴾ الميتة خنقا ﴿والموقوذة﴾ المقتولة ضربا ﴿والمتردية﴾ الساقطة من علو الى اسفل فماتت ﴿والنطيحة﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿وما أكل السبع﴾ منه ﴿الا ما ذكيتم﴾ اي أدركتم فيه الروح من هذه الاشياء فذبحتموها قبل انفاذ مقتلها بتلك الاسباب اما ان انفذت مقتلها قبل الذبح فلا تؤكل فالاستثناء منقطع وعليه مالك وعن علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن وقتادة الا ما أدركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة واختلف المفسرون في الحياة وادراكها قيل بأن توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز وقال ابن عباس اذا طرفت عينها او ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال فعلى هذا فالاستثناء متصل ﴿وما ذبح على﴾ أسماء ﴿النصب﴾ جمع نصاب وهي الاصنام اي اذا قصد تعظيمها به ولو لم يذكر اسمها عند ذبحه فعلى بمعنى اللام فليس هذا مكررا مع ما سبق اذ ذاك فيما ذكر على ذبحه اسم الصنم وهذا فيما قصد بذبحه تعظيم الصنم من غير ذكره ﴿وأن تستقسموا﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿بالأزلام﴾ جمع زلم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها اعلام وكانوا يحكمونها فان امرتهم ائتمروا وان نهتهم انتهوا ﴿ذلكم فسق﴾ خروج عن الطاعة ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾ عن أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته فكأنه

طلب منهم الابتعاد عن الفسق والعادات الجاهلية وأخبرو أن بعدهم عن الفسق وتلك الذبائح على الطريقة الجاهلية أيأس الكفار عن كل رجاء لرجوعهم اليهم وذلك بعرفة على رؤس الملأ في حجة الوداع يوم الجمعة ثم قوى قلوبهم بقوله ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾ بسقوط الياء وصلا ووقفا ثم بشرهم بقوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ باكماله وتعزيزكم به بعد الذل وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ له ما يبكيك يا عمر قال ابكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فاذا قد كمل وانه لا يكمل شيء الا انقص فقال عليه الصلاة صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله ﷺ فما لبث بعد ذلك الا واحداً وثمانين يوما ﴿ورضيت﴾ اي اخترت ﴿لكم الاسلام دينا﴾ فما لكم الا اتباع أحكامه ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ مجاعة الى اكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿غير متجانف﴾ مائل ﴿لإثم﴾ معصية ﴿فان الله غفور﴾ له ما أكله ﴿رحيم﴾ به في اباحته له بخلاف المائل لاثم أي المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلا فلا يحل له الاكل .

فلما بين لهم المحرم عليهم فانهم يحتاجون الى معرفة ما أحل لهم فقال :

٤ ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿ماذا أحل لهم﴾ أكله من المطاعم والمآكل ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ المستلذات عند اصحاب الطباع السليمة وهذا مقيد بما لم يرد نص بتحريمه من كتاب او سنة أو اجماع أو قياس كذلك ﴿و﴾ صيد ﴿ما علمتم من الجوارح﴾ الكواسب من الكلاب والسباع كالنمر والطير كالصقر ﴿مكلبين﴾ حال من كلبت الكلب بالتشديد اي ارسلته على الصيد ﴿تعلمونهن﴾ حال من ضمير مكلبين اي تؤدبونهن ﴿مما علمكم الله﴾ من آداب الصيد ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ وان قتلنه بأن لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها ان تسترسل اذا ارسلت وتنزجر اذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه واقل ما يعرف ذلك ثلاث مرات فان اكلت منه فليس مما امسكن على صاحبها فلا يحل أكله كما في الصحيحين وفيه أن صيد السهم اذا ارسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ عند ارساله ﴿واتقوا الله ان الله سريع الحساب﴾ سريع الجزاء .

٥ ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ المستلذات ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب﴾ اي ذبائح اليهود والنصارى ﴿حل﴾ حلال ﴿لكم

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ
وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ
حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ
جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

وطعامكم﴾ اياهم ﴿حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات﴾ الحرائر ﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ حل لكم ان تنكحوهن ﴿اذا آتيتموهن أجورهن﴾ مهورهن ﴿محصنين﴾ متزوجين ﴿غير مسافحين﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿ولا متخذي أخدان﴾ منهن تسرون بالزنا بهن ﴿ومن يكفر بالايمان﴾ اي يرتد ﴿فقد حبط عمله﴾ الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه ولو رجع الى الاسلام وان حج قبل ذلك فعليه مرة ثانية وكذلك سائر الاعمال و يعد ءايه طلاقا على زوجته ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ اذا مات عليه .

ولما ذكر ان المرتد لا ثواب له في عمله ناسب ان يذكر ما يكفر السيئات من الذنوب لمن أراد مناجاة ربه العلي في الصلاة وذلك شيئان طهارة الظاهر وطهارة الباطن فالاولى تدل على الثانية وتسببها

أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً
فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ
مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٧)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ (٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

وهي تبيح الثانية التي بها تنقاد النفس ويطيعها الجوارح للقيام امام ربه العلي فقال .

٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم﴾ اي اردتم القيام ﴿الى الصلاة﴾ وانتم محدثون بالحدث الاصغر ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق﴾ اي معها كما بينته السنة ﴿وامسحوا برؤسكم﴾ الباء للالصاق اي الصقوا المسح بها من غير اسالة ماء ولا بد من جميع الرأس الى آخر ما نبت منه من الشعر وجميع الجمجمة كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم فهذا قول مالك واحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة وجب مسح ربع الرأس وقال الشافعي قدر ما ينطلق عليه اسم المسح وهو اسم جنس فيكفي اقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعرة وفي شرح المهذب عن جماعة من أهل العربية ان الباء اذا دخلت على متعدد كما في الآية تكون للتبعيض او على غير متعدد كما في «وليطوفوا بالبيت» تكون للالصاق ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب عطفا على أيديكم وقرىء بالجر على الجوار فعلى النصب فحكم الرجلين الغسل كالوجه وعلى قراءة الجر أنه منصوب في المعنى عطفا على الايدي المغسولة او معطوف على رؤسكم لفظا ومعنى ثم نسخ ذلك بوجوب الغسل وهو حكم باق وبه قال جماعة او يحمل مسح الارجل على بعض الاحوال وهو لبس الخف ويعزى للشافعي ومالك رحمهما الله ﴿الى الكعبين﴾ اي معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم . والفصل بين الأيدي والارجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة الاعضاء وعليه الشافعي وهو عند مالك سنة ويؤخذ من السنة وجوب النية كغيره من العبادات و يؤخذ أيضا تقديم غسل اليدين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار وورد مسح الرأس ومسح الأذنين والرقبة وتجديد الماء لهما في السنة ﴿وان كنتم جنبا﴾ بالجدث الاكبر ﴿فاطهروا﴾ فاغتسلوا ﴿وان كنتم مرضى﴾ مرضا يضره الماء ﴿أو على سفر﴾ اي مسافرين ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ اي احدث حدثا أصغر ﴿او لامستم النساء﴾ اي بقصد التلذذ أو وجدتم التلذذ أي فنقضتم الطهارة بسبب ذلك ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا﴾ اقصدوا ﴿صعيدا طيباً﴾ وهو كل ما صعد على وجه الارض من أجزائها ما دامت على هيئتها ولم تغيرها صنعة آدمي وقيل ترابا طاهرا وعليه الشافعي ﴿فامسحوا بوجوهكم وايديكم﴾ مع المرفقين ﴿منه﴾ الصعيد بضربتين والباء للالصاق وبينت السنة ان المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ من الاحداث والذنوب لان الانقياد يدل على الايمان ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ بالاسلام ببيان شرائع الدين ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمه باتباع اوامره واجتناب نواهيه ومحافظة على المواعيد .

٧ ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالاسلام ﴿وميثاقه﴾ عهده ﴿الذي واثقكم به﴾ عاهدكم عليه وهو لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿اذ قلتم﴾ حين دخلتم الاسلام بصبغته ﴿سمعنا وأطعنا﴾ في كل ما تأمرنا به وتنهى مما نحب ونكره اذ معنى الاسلام الاستسلام اي الانقياد لامر الله ونهيه فهو وعد وعهد واثقكم به الله ﴿واتقوا الله﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب كالنيات والاعتقادات وسائر الأمور القلبية فبغيره أولى . ذكرهم ميثاق الاسلام هنا في امر الطهارة دلالة على ان امر الله الخاصي والعمومي والجليل في النظر والصغير سواء وشدد التهديد ايضا على ترك الامتثال لأن الطهارة أساس الاسلام .

ثم شرع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بين المؤمنين اثر بيان ما يتعلق بأنفسهم فقال :

٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾ قائمين ﴿لله﴾ بحقوقه

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنكُمْ وَاتَّقُوا۟ اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ
اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ
وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ
لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن
مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ

مما كلفكم به ﴿شهداء بالقسط﴾ للخلق بحقوقهم ﴿ولا يجرمنكم﴾ يحملنكم ﴿شنآن﴾ بغض ﴿قوم﴾ بينكم وبينهم عداوة وقد احتاجوا الى شهادتكم لهم لحفظ حقوقهم ﴿على ألا تعدلوا﴾ لتضروهم في ضياع حقوقهم ﴿اعدلوا﴾ في العدو والولي ﴿وهو﴾ العدل ﴿أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾ فيجازيكم به .

٩ ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ منها الشهادة بالعدل وعدا حسنا ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ هو الجنة

١٠ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ فلم يقيموا الشهادة بالقسط ﴿اولئك أصحاب الجحيم﴾ .

١١ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم﴾ بالاسلام ﴿اذ هم قوم﴾ هم قريش ﴿أن يبسطوا﴾ يمدوا ﴿اليكم ايديهم﴾ ليفتكوا بكم ﴿فكف أيديهم عنكم﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم فكافئوا عطاء الله في ذلك بحفظ حقوق عباده ﴿واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ليثقوا به في الوفاء بما عاهدوا الله او عاهدوا الناس عليه ولا ينظروا الى مصالح أنفسهم فقط ثم اخبرهم فيما يأتي ما يسببه خلف الوعد بعد توثيقه فقال :

١٢ ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل﴾ بما يذكر بعد ﴿وبعثنا﴾ فيه التفات عن الغيبة أقمنا ﴿منهم اثنى عشر نقيبا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقه عليهم ﴿وقال﴾ لهم ﴿الله انى معكم﴾ بالعون والنصرة ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾ نصرتموهم ﴿وأقرضتم الله قرضا حسنا﴾ بالانفاق في سبيل الله ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك﴾ الميثاق ﴿منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الحق والسواء في الأصل الوسط . فنقضوا الميثاق بتكذيبهم الرسل الذين جاؤا بعد موسى وقتلهم انبياءه ونبذهم كتابه وتضييعهم فرائضه قال تعالى :

١٣ ﴿فبما نقضهم﴾ ما زائدة ﴿ميثاقهم لعناهم﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ لا تلين لقبول الايمان ﴿يحرفون الكلم﴾ الذي في التوراة من نعت محمد وغيره ﴿عن مواضعه﴾ التي وضعها الله عليها اي يبدلونه ﴿ونسوا﴾ تركوا ﴿حظا﴾ نصيبا ﴿مما ذكروا﴾ أمروا ﴿به﴾ في التوراة من اتباع محمد ﴿ولا تزال﴾

أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ
ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ
أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

١٣٩

خطاب للنبي ﷺ او لكل سامع ﴿تطلع﴾ تظهر ﴿على خائنة﴾ اي خيانة ﴿منهم﴾ بنقض العهد وغيره ﴿الا قليلا منهم﴾ ممن اسلم كابن سلام واصحابه ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ .

١٤ ﴿ومن الذين قالوا انا نصارى﴾ انما نسب تسميتهم نصارى ابذانا بأنهم في قولهم نحن انصار الله في معزل من الحق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من انصار الله في شيء واظهاراً سوء صنيعهم متعلق بقوله ﴿أخذنا ميثاقهم﴾ كما أخذنا الميثاق على بني اسرائيل ﴿فنسوا حظا مما ذكروا به﴾ في الانجيل من الايمان وغيره ونقضوه فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه ﴿فأغرينا﴾ أوقعنا ﴿بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم في ثلاث فرق هم النسطورية والملكية واليعقوبية فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وسوف ينبئهم الله﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يصنعون﴾ فيجازيهم عليه .

وبعد ان ذكر الفريقين من اهل الكتاب ونقضهما ميثاقهما وما اصابهما في ذلك من الجزاء السيء دعاهما الى الاسلام فقال :

١٥ ﴿يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﴿يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون﴾ تكتمون ﴿من الكتاب﴾ التوراة والانجيل كآية الرجم وصفته وبشارة عيسى بأحمد في الانجيل ﴿ويعفو عن كثير﴾ من ذلك فلا يبينه اذا لم يكن فيه مصلحة الا افتضاحكم . والفائدة في ذلك أنهم يعلمون كون النبي ﷺ عالما بما يخفونه ومعجزة له أيضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ هو النبي ﷺ ﴿وكتاب مبين﴾ هو القرآن .

١٦ ﴿يهدى به﴾ النبي او الكتاب ﴿الله من اتبع رضوانه﴾ بأن آمن ﴿سبل السلام﴾ طرق السلامة ﴿ويخرجهم من الظلمات﴾ الكفر ﴿الى النور﴾ الايمان ﴿باذنه﴾ بارادته ﴿ويهديهم الى صرط مستقيم﴾ دين الاسلام .

ثم ذكر كفر الفريقين على التفصيل فقال :

١٧ ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم﴾ حيث جعلوه الها وهم اليعقوبية فرقة من النصارى ﴿قل﴾ لهم ﴿فمن يملك﴾ أن يدفع ﴿من﴾ عذاب ﴿الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا﴾ اي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح الها لقدر عليه ﴿ولله ملك السموات

والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء﴾ شاءه ﴿قدير﴾ ومنه اهلاك عيسى وأمه مما دل على نفي الهيته .

١٨ ﴿وقالت اليهود والنصارى﴾ اي كل منهما ﴿نحن أبناء الله﴾ اي كأبنائه في المنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿واحباؤه قل﴾ لهم يا محمد ﴿فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ ان صدقتم في ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون ﴿بل أنتم بشر ممن﴾ من جملة من ﴿خلق﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير﴾ المرجع ثم كرر الدعوة على الفريقين جملة ونبههم على هذا النبي ليرجعوا اليه عن غيهم فقال :

١٩ ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﴿يبين لكم﴾ شرائع الدين ﴿على فترة﴾ انقطاع ﴿من الرسل﴾ اذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تقولوا﴾ اذا عذبتم ﴿ما جاءنا من﴾ زائدة ﴿بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾ فلا عذر لكم اذاً ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه تعذيبكم ان لم تتبعوه لان عدم اتباعه خلف للوعد ونقض لميثاقكم مع الله .

ثم صرف الكلام عن اهل الكتاب وخاطب النبي ﷺ ليعدد عليه ما صدر عن بعضهم كأنه مشاهد عيانا فقال :

٢٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم﴾ أي منكم ﴿أنبياء وجعلكم ملوكا﴾ أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وقيل احرارا بعد العبودية ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك .

وَالنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم
بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ
ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم
مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾
يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾
قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا

٢١ ﴿يا قوم ادخلوا الارض المقدسة﴾ المطهرة ﴿التي كتب الله لكم﴾ أمركم بدخولها وهي الشام ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ في سعيكم .

حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴿٢٢﴾
قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا
عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله
فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴿٢٣﴾ قالوا يا موسى إنا لن
ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا
إنا هاهنا قاعدون ﴿٢٤﴾ قال رب إني لا أملك إلا
نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴿٢٥﴾
قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض
فلا تأس على القوم الفاسقين ﴿٢٦﴾ * واتل عليهم نبأ
ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم
يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من
المتقين ﴿٢٧﴾ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط

٢٢ ﴿قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين﴾ من بقايا عاد طوالا ذوي قوة ﴿وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون﴾ لها .

٢٣ ﴿قال﴾ لهم ﴿رجلان من الذين يخافون﴾ مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم الا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ باب القرية ولا تخشوهم فانهم أجساد بلا قلوب ﴿فاذا دخلتموه فانكم غالبون﴾ قالا ذلك تيقنا بنصر الله وانجازا بوعده . ﴿وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين﴾ بالله وصحة نبوة موسى :

٢٤ ﴿قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا﴾ هم ﴿انا ههنا قاعدون﴾ عن القتال .

٢٥ ﴿قال﴾ موسى حينئذ ﴿رب اني لا املك الا نفسي و﴾ الا ﴿أخي﴾ هارون لأنه كان يطيعه وكان أكبر من موسى بسنة وانما قال هذا وان كان معه في طاعته يوشع وكالب لأنه لم يثق بحالهما ويجوز أن يكونا منقلبين مع بني اسرائيل ﴿فافرق﴾ فافصل ﴿بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ اي احكم لنا بما نستحقه واحكم عليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم .

٢٦ ﴿قال﴾ تعالى له ﴿فانها﴾ اي الارض المقدسة ﴿محرمة عليهم﴾ ان يدخلوها ﴿أربعين سنة يتيهون﴾ يتحيرون ﴿في الأرض﴾ وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس ﴿فلا تأس﴾ تحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فاذا أصبحوا اذا هم في الموضع الذي ابتدأوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم الا من لم يبلغ العشرين قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هرون وموسى في التيه وكان رحمة لهما وعذابا لأولئك وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر فأدناه كما في الحديث ونبيء يوشع بعد الاربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي منهم وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى أحمد في مسنده حديث ان الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس اه حبست ليوشع مرة وحبست لنبينا محمد ﷺ مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر روى ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير حيث أخبر بقدومها عند غروب الشمس . اه .

والمقصود بالقصة ان خلف الوعد وترك العمل بأمر الله يدخل المخالفين مع من كان فيهم من الصالحين الأقلة في تعب شديد وطويل مداه والله أعلم وفيها تنبيه لنا معشر المسلمين لو كنا نعقل .
ثم ذكر قصة أخرى تبين أن ارتكاب أخف ذنب عمدا يترتب عليه ارتكاب كبائر ثقيلة ثم يصعب التخلص منه فقال

٢٧ ﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ على قومك ﴿نبأ﴾ خبر ﴿ابني آدم﴾ هابيل وقابيل ﴿بالحق﴾ اي موافقا لما ثبت في كتب الاولين ليعرفوا صدق نبوتك متعلق باتل ﴿اذ قربا قربانا﴾ الى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فتقبل من أحدهما﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿ولم يتقبل من الآخر﴾ وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه الى ان حج آدم ﴿قال﴾ له ﴿لأقتلنك﴾ قال لم ؟ قال لتقبل قربانك دوني ﴿قال انما يتقبل الله من المتقين﴾ .

٢٨ ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿بسطت﴾ مددت ﴿الي يدك لتقتلني

يَدَى إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ
غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ
قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ
فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ
ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا
وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني اخاف الله رب العالمين﴾ في قتلك .

٢٩ ﴿اني أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿باثمى﴾ باثم قتلي ﴿واثمك﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فتكون من اصحاب النار﴾ ولا اريد ان أبوء باثمك اذا قتلتك فأكون منهم . قال تعالى ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ ويمكن ان يكون من تمام كلام هابيل .

٣٠ ﴿فطوعت﴾ زينت ﴿له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح﴾ فصار ﴿من الخاسرين﴾ بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الارض من بني آدم فحمله على ظهره .

٣١ ﴿فبعث الله غرابا يبحث في الارض﴾ ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثير على غراب ميت معه حتى واراه ﴿ليريه كيف يواري﴾ يستر ﴿سوأة﴾ جثة ﴿أخيه قال يا ويلتى اعجزت﴾ عن ﴿ ان أكون مثل هذا الغراب فاواري سواة اخي فاصبح من النادمين﴾ على حمله وحفر له وواراه ومجرد الندم ليس بتوبة لأن التوبة انما تتحقق بالاقلاع والعزم على ان لا يعود وتدارك ما يمكن تداركه فلم يندم ندم التائبين .

٣٢ ﴿من أجل ذلك﴾ الذي فعله قابيل ﴿كتبنا على بني اسرائيل﴾ حكم القصاص ﴿انه﴾ اي الشأن ﴿من قتل نفسا بغير نفس﴾ قتلها ﴿أو﴾ بغير ﴿فساد﴾ أتاه ﴿في الارض﴾ من كفر او زنا او قطع طريق او نحوه ﴿فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا﴾ قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها ﴿ولقد جاءتهم﴾ اي بني أسرائيل ﴿رسلنا بالبينات﴾ المعجزات ﴿ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك . حكم من تقدم اذا ذكر في القرآن بدون قيد صار حكمنا فوجب علينا ان نحكم به .

ثم لما ذكر حكم من قتل نفسا بغير حق فكانما ارتكب ذنب من قتل الناس جميعا ، ألحق به حكم المحارب فقال :

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا
مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ

١٤٣

٣٣ ﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ بمحاربة المسلمين مثل العرنيين قوم من العرينة قبيلة من العرب قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي ﷺ ان يخرجوا الى الابل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الابل ﴿ويسعون في الأرض فسادا﴾ بقطع الطريق ﴿أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ اي ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ أو للعطف والتخيير فالامام مخير في عقوبة المحارب اذا لم يقتل أحداً من الناس وانما اذا قتل احدا فلا بد من قتله وعليه مالك وقيل أو لترتيب الاحوال فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن اخذ المال ولم يقتل والنفي لمن أخاف فقط قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعليه الشافعي واصح قوليه ان الصلب بعد القتل وقيل قبله قليلا ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذلك﴾ الجزاء المذكور ﴿لهم خزى﴾ ذل ﴿في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هو عذاب النار .

٣٤ ﴿الا الذين تابوا﴾ من المحاربين والقطاع ﴿من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور﴾ لهم ما أتوه ﴿رحيم﴾ بهم عبر بذلك دون فلا تحدوهم ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته الا حدود الله دون حقوق الآدميين فاذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئا وهو أصح قولي الشافعي ومالك .

ولما بين عظم شأن القتل بالفساد في الارض اشار في اثناء ذلك الى مغفرته لمن تاب ثم أمر المؤمنين بان يتقوه في كل ما يأتون وما يذرون فقال :

٣٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا ﴿اليه الوسيلة﴾ ما يقربكم اليه من طاعته من فعل المطلوبات شرعا ﴿وجاهدوا في سبيله﴾ بمحاربة اعدائه جميعا لاعلاء دينه ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون .

٣٦ ﴿ان الذين كفروا لو﴾ ثبت ﴿ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾ .

٣٧ ﴿يريدون﴾ يتمنون ﴿أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ دائم .

٣٨ ﴿والسارق والسارقة﴾ أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ أي يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة ان الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعدا وأنه اذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر ﴿جزاء﴾ نصب على المصدر ﴿بما كسبا نكالا﴾ عقوبة لهما ﴿من الله والله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم﴾ في خلقه .

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا
فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ
فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن
يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ
فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ

٣٩ ﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾ رجع عن السرقة ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم﴾ في التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الادمي من القطع ورد المال نعم بينت السنة انه ان عفا عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع وعليه مالك والشافعي .

٤٠ ﴿الم تعلم﴾ أيها المخاطب الاستفهام فيه للتقرير ﴿ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿ويغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه التعذيب والمغفرة .

ومن الوفاء بالعهد تنفيذ أحكام الله كما هي بدون تغيير ولا تأويل قال الله تعالى .

٤١ ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك﴾ صنع ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ يقعون فيه بسرعة اي يظهرونه اذا وجدوا فرصة ﴿من﴾ للبيان ﴿الذين قالوا آمنا بأفواههم﴾ بألسنتهم متعلق بـ «قالوا» ﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾ وهم المنافقون ﴿ومن الذين هادوا﴾ قوم ﴿سماعون للكذب﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سماعون﴾ منك ﴿لقوم﴾ لأجل قوم ﴿آخرين﴾ من اليهود ﴿لم يأتوك﴾ ليستمعوا حكم قضية منك اذا وافق حكمك هواهم يأتون اليك ويرفعون قضيتهم لك واذا سمعوا ان ما انزل اليك يخالف هواهم فلا يأتون اليك روي ان اهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يحرفون الكلم﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿من بعد مواضعه﴾ التي وضعها الله عليها اي يبدلونه ﴿يقولون﴾ لمن ارسلوهم ﴿ان أوتيتم هذا﴾ الحكم المحرف مثل حد الرجم اي افتاكم به محمد ﴿فخذوه﴾ فاقبلوه ﴿وان لم تؤتوه﴾ بأن أفتاكم بخلافه ﴿فاحذروا﴾ ان تقبلوه ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ اضلاله ﴿فلن تملك له من الله شيئا﴾ في دفعها ﴿أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم﴾ من الكفر ولو اراده لكان ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ :

عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم
بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ
وَعِندَهُمُ التَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَىٰةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟
وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُوا۟
عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟
بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ الْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ

٤٢ هم ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ بسكون الحاء وقرىء بضمها اي احرام كالرشا ﴿فان جاؤك﴾ لتحكم بينهم ﴿فاحكم بينهم او اعرض عنهم﴾ هذا التخيير غير منسوخ عندنا بقوله «وان احكم بينهم» الآية فلا يجب الحكم بينهم اذا ترافعوا الينا لقوله تعالى «فان جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم» لكن لا نتركهم على النزاع بل نحكم بينهم أو نردهم الى حاكم ملتهم وقد اختلف العلماء في الحكم بينهم بحكم الاسلام اذا ترافعوا الينا في خمس مسائل في العتق والطلاق والنكاح والزنا والهبة فالاصح عدم التعرض لهم فيها ولو ترافعوا الينا . فلو ترافعوا الينا مع مسلم وجب الحكم اجماعا ﴿وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت﴾ بينهم ﴿فاحكم بينهم بالقسط﴾ بالعدل ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ العادلين في الحكم اي يثيبهم .

٤٣ ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ بالرجم وغيره استفهام تعجب اي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ثم يتولون﴾ يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿من بعد ذلك﴾ التحكيم ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ .

٤٤ ﴿انا أنزلنا التوراة فيها هدى﴾ من الضلالة ﴿ونور﴾ بيان للاحكام ﴿يحكم بها النبيون﴾ من بني اسرائيل ﴿الذين أسلموا﴾ انقادوا لله ﴿للذين هادوا والربانيون﴾ العلماء منهم ﴿والأحبار﴾ الفقهاء ﴿بما﴾ أي بسبب الذي ﴿استحفظوا من كتاب الله﴾ استودعوه اي استحفظهم الله اياه والتوراة وكل حفظها في ايدي الاحبار والربانيين بخلاف القرآن فان الله هو الذي تولى حفظه بقوله : «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» . فلذلك سهل التبديل والتغيير في التوراة دونه ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ انه حق وانه لا يبدل اي رقباء لئلا يبدل وقلنا لهم ﴿فلا تخشوا الناس﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرهما ﴿واخشون﴾ في كتمانه ﴿ولا تشتروا﴾ تستبدلوا ﴿بآياتي ثمنا قليلا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾ به .

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ
ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

٤٥ ﴿وكتبنا﴾ فرضنا ﴿عليهم فيها﴾ اي التوراة ﴿ان النفس﴾ تقتل ﴿بالنفس﴾ اذا قتلتها ﴿والعين﴾ تفقأ ﴿بالعين والانف﴾ يجدع ﴿بالانف والاذن﴾ تقطع ﴿بالاذن والسن﴾ تقلع ﴿بالسن﴾ وفي قراءة بالرفع في الاربعة ﴿والجروح﴾ بالفتح وقرىء بالضم ﴿قصاص﴾ اي يقتص فيها اذا امكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن ففيه الحكومة وهذا الحكم وان كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فمن تصدق به﴾ القصاص بأن مكن من نفسه ﴿فهو كفارة له﴾ لما أتاه فلا يعاقب ثانيا في الآخرة وقيل فمن تصدق به من أصحاب الحق فالتصديق به كفارة للمتصدق يكفر الله تعالى من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر الطاعات وعلى هذا فقوله «فمن تصدق به فهو كفارة له» ، ليس من كلام التوراة اذ الواجب فيها القصاص ليس غير وفي الانجيل الدية والقرآن راعى بين الجانبين ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله﴾ في القصاص وغيره ﴿فاولئك هم الظالمون﴾ لانه منع التساوي ودعا الناس الى ارتكاب المعاصي في ذلك.

٤٦ ﴿وقفينا﴾ أتبعنا ﴿على آثارهم﴾ اي النبيين ﴿بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه﴾ قبله ﴿من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى﴾ من الضلالة ﴿ونور﴾ بيان للاحكام ﴿ومصدقا﴾ حال ﴿لما بين يديه من التوراة﴾ لما فيها من الاحكام ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾.

٤٧ ﴿و﴾ قلنا ﴿ليحكم اهل الانجيل بما انـزل الله فيه﴾ من الاحكام وفي قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفا على مفعول آتيناه﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون﴾ لانهم خرجوا عن امر الله اذ تقدمه قوله «وليحكم اهل الانجيل» وهو أمر.

٤٨ ﴿وانزلنا اليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ متعلق بانزلنا ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ قبله ﴿من الكتاب ومهيمنا﴾ شاهدا ﴿عليه﴾ والكتاب بمعنى الكتب ﴿فاحكم بينهم﴾ بين اهل الكتاب اذا ترافعوا اليك ﴿بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم﴾ عادلا ﴿عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم﴾ ايها الامم ﴿شرعة﴾ شريعة ﴿ومنهاجا﴾ طريقا واضحا في الدين يمشون عليه ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على شريعة واحدة ﴿ولكن﴾

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ
مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ
فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن
يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا
فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ

فرقكم فرقا ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ سارعوا اليها ﴿الى الله مرجعكم﴾ بالبعث ﴿جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين ويجزي كلا منكم بعمله .

٤٩ ﴿وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم﴾ ﴿ان يفتنوك﴾ يضلوك ﴿عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا﴾ عن الحكم المنزل وارادوا غيره ﴿فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿ببعض ذنوبهم﴾ التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وان كثيرا من الناس لفاسقون﴾ .

٥٠ ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ بالياء وقرىء بالتاء يطلبون من المداهنة والميل اذا تولوا استفهام انكاري ﴿ومن﴾ اي لا أحد ﴿أحسن من الله حكما لقوم﴾ عند قوم ﴿يوقنون﴾ به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه ثم حذر الله المؤمنين من اهل الكتاب كيلا يقتدوا بهم فيتركوا دينهم وشرائعهم فقال :

٥١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ باتحادهم في الكفر ﴿ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾ من جملتهم ﴿ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ بموالاتهم الكفار .

٥٢ ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبي المنافق ﴿يسارعون فيهم﴾ في موالاتهم ﴿يقولون﴾ معتذرين عنها ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ يدور بها الدهر علينا من جدب او غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا فقال الله تعالى ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ بالنصر لنبيه لاظهار دينه ﴿أو أمر من عنده﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فيصبحوا على ما اسروا في أنفسهم﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿نادمين﴾ .

حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ
فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا
وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا
وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

٥٣ ﴿ويقول﴾ بالرفع استئنافا بواو وقرىء بدونها وبالنصب عطفا على يأتي ﴿الذين آمنوا﴾ لبعضهم اذا هتك سترهم تعجبا ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إنهم لمعكم﴾ في الدين قال تعالى ﴿حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ الصالحة ﴿فأصبحوا﴾ صاروا ﴿خاسرين﴾ في الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب .

٥٤ ﴿يا ايها الذين آمنوا من يرتد﴾ بالادغام وقرىء بالفك ﴿منكم عن دينه﴾ الى الكفر اخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فسوف يأتي الله﴾ بدلهم ﴿بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال النبي ﷺ هم قوم هذا وأشار الى أبي موسى الاشعري رواه الحاكم في صحيحه ﴿أذلة﴾ عاطفين ﴿على المؤمنين أعزة﴾ أشداء ﴿على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومه لآئم﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذلك﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع﴾ كثير الفضل ﴿عليم﴾ بمن هو اهله .

ولما حذر الله المؤمنين عن اتخاذ أولياء من الكفار سلاهم بما يأتي فقال :

٥٥ ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ خاشعون او يصلون صلاة التطوع .

٥٦ ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ فيعينهم وينصرهم فانهم من حزب الله ﴿فان حزب الله هم الغالبون﴾ لنصره اياهم أوقعه موقع فانهم بيانا لأنهم من حزبه اي اتباعه تعالى فهم الغالبون بالحجة والبرهان فانها مستمرة أبدا لا بالدولة والصولة والا فقد غلب حزب الله غير مرة لما ينحرفون فيه او ليجربهم الله و يمحص المؤمنين الكاملين منهم .

ثم رجع الى تحذير المؤمنين عن اتخاذ الكفار اولياء فقال :

٥٧ ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا﴾ مهزوا به ﴿ولعبا من﴾ للبيان ﴿الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار﴾ المشركين بالنصب وقرىء بالجر ﴿أولياء واتقوا الله﴾ بترك موالاتهم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ صادقين في ايمانكم .

٥٨ ﴿و﴾ الذين ﴿اذا ناديتم﴾ دعوتم ﴿الى الصلاة﴾ بالأذان ﴿اتخذوها﴾ اي الصلاة ﴿هزوا ولعبا﴾ بأن يستهزءوا بها ويتضاحكوا ﴿ذلك﴾ الاتخاذ ﴿بأنهم﴾ اي بسبب أنهم ﴿قوم لا يعقلون﴾

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ
ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ
وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ
عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد
دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ
فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ
ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟

اذ لو كان لهم عقل لفهموا الحكمة في الاذان والصلاة ولما استهزءوا بها .

ثم امر الله نبيه بنداء أهل الكتاب وتنبيههم على خطئهم في الاستهزاء بالصلاة وبالمسلمين فقال :

٥٩ ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿هل تنقمون﴾ تنكرون ﴿منا إلا أن آمنا بالله وما انزل الينا﴾ القرآن ﴿وما انزل من قبل﴾ الى الانبياء من جملته التوراة والانجيل وانتم تدعون انكم تؤمنون بهما ﴿وان أكثركم فاسقون﴾ عطف على «أن آمنا» المعنى ما تنكرون الا ايماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر .

٦٠ ﴿قل هل أنبئكم﴾ أخبركم ﴿بشر من﴾ أهل ﴿ذلك﴾ الذي تنقمونه ﴿مثوبة﴾ ثوابا بمعنى جزاء ﴿عند الله﴾ هو ﴿من لعنه الله﴾ ابعده عن رحمته ﴿وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ بالمسخ ﴿و﴾ من ﴿عبد الطاغوت﴾ الشيطان بطاعته وراعى في «منهم» معنى «من» وفيما قبله لفظها وهم اليهود وفي قراءة بضم باء «عبد» واضافته الى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة ﴿أولئك شر مكانا﴾ تمييز لأن مأواهم النار ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ طريق الحق وأصل السواء الوسط وذكر شر وأضل في مقابلة ما يقولونه عن الاسلام . ليضلوا الناس عن الهدى ومن شأن أهل الكتاب النفاق وعدم المظاهرة بالحق فنبه الله على ذلك فقال :

٦١ ﴿واذا جاؤكم﴾ اي اذا جاءكم ايها المؤمنون أهل الكتاب ﴿قالوا﴾ لكم ﴿آمنا﴾ بمحمد وهو حق من عند الله ومبشر به في كتابنا ﴿وقد دخلوا﴾ اليكم متلبسين ﴿بالكفر وهم قد خرجوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿به﴾ ولم يؤمنوا وانما يطلبون ان يفتنوكم في دينكم ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ من النفاق والمكر :

٦٢ ﴿وترى﴾ ايها المخاطب ﴿كثيراً منهم﴾ اهل الكتاب ﴿يسارعون﴾ يقعون سريعا ﴿في الاثم﴾ الكذب ﴿والعدوان﴾ الظلم ﴿وأكلهم السحت﴾ الحرام كالرشا ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ اي عملهم هذا .

٦٣ ﴿لولا﴾ هلا ﴿ينهاهم الربانيون والاحبار﴾ منهم ﴿عن قولهم الاثم﴾ الكذب ﴿وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ وهو ترك نهيهم .

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا
نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ
آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم
مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾
* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ

٦٤ ﴿وقالت اليهود﴾ تفصيل لفجور اهل الكتاب فاليهود قالوا ذلك لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد ان كانوا اكثر الناس مالا ﴿يد الله مغلولة﴾ مقبوضة عن ادرار الرزق ، قال تعالى ﴿غلت ايديهم﴾ امسكت ايديهم عن فعل الخيرات ﴿ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان﴾ مبالغة في الوصف بالجود وثني اليد لافادة الكثرة اذ غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطي بيديه ﴿ينفق كيف يشاء﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك﴾ من القرآن ﴿طغيانا وكفرا﴾ لكفرهم به ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب﴾ اي لحرب النبي ﷺ ﴿أطفأها الله﴾ اي كلما ارادوه ردهم وهو تصريح بما اشير اليه من عدم وصول ضررهم للمسلمين ﴿ويسعون في الارض فسادا﴾ أي مفسدين بالمعاصي ﴿والله لا يحب المفسدين﴾ بمعنى أنه يعاقبهم .

٦٥ ﴿ولو أن اهل الكتاب آمنوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿واتقوا﴾ الكفر ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾ .

٦٦ ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل﴾ بالعمل بما فيهما ومنه الايمان بالنبي ﷺ ﴿وما انزل اليهم﴾ من الكتب ﴿من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿منهم أمة﴾ جماعة ﴿مقتصدة﴾ تعمل به وهم من آمن بالنبي ﷺ كعبد الله بن سلام واصحابه ﴿وكثير منهم ساء﴾ بئس ﴿ما﴾ شيئا ﴿يعملون﴾ ذلك .

بعد توجيه التحذير للمؤمنين ان لا يغتروا بأهل الكتاب والمشركين المستهزئين بدينهم وجه النداء الى النبي ﷺ وأمره بالالتزام في تبليغ ما أمره بتبليغه وواعده بالعصمة عن القتل فقال تعالى :

٦٧ ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾ جميع ﴿ما أنزل اليك من ربك﴾ ولا تكتم شيئا منه خوفا ان تنال بمكروه ﴿وان لم تفعل﴾ اي لم تبلغ جميع ما انزل اليك ﴿فما بلغت رسالته﴾ بالافراد وقرىء بالجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ان يقتلوك وكان ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية فقال «انصرفوا فقد عصمني الله» رواه الحاكم ﴿ان الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ الى ما يريدون بك من القتل والمكر .

ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ
وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ
بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾
لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ
وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ

٦٨ ﴿قل يا اهل الكتاب لستم على شيء﴾ من الدين يعتد به ﴿حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم﴾ بان تعملوا بما فيه ومنه الايمان بي ﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك﴾ من القرآن ﴿طغيانا وكفرا﴾ لكفرهم بهٖ ﴿فلا تأس﴾ تحزن ﴿على القوم الكافرين﴾ ان لم يؤمنوا بك اي لا تهتم بهم .

٦٩ ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا﴾ هُم اليهود مبتدأ ﴿والصابئون﴾ فرقة يعبـدون الملائكـة او الكواكب السبعـة ﴿والنصارى﴾ ويبدل من المبدأ ﴿من آمن﴾ منهم ﴿بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة خبر المبتدأ ودال على خبر « ان » .

٧٠ ﴿لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل﴾ في التوراة على الايمان بالله ورسله ﴿وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول﴾ منهم ﴿بما لا تهوى أنفسهم﴾ من الحق عصوه وعادوه ﴿فريقا﴾ منهم ﴿كذبوا وفريقا﴾ منهم ﴿يقتلون﴾ كزكريا ويحيي والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية او لبيان الحال المستمرة اي مستعدون لقتل محمد ان أمكن لهم كما كانوا مع عيسى وكل من يريد ان يعظهم وينهاهم عن سوء . أو استعمل المضارع للفاصلة .

٧١ ﴿وحسبوا﴾ ظنوا ﴿أن لا تكون﴾ بالنصب فأن ناصبة اي تقع وقرىء بالرفع فهي مخففة ﴿فتنة﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فعموا﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وصموا﴾ عن استماعه ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ لما تابوا ﴿ثم عموا وصموا﴾ ثانيا ﴿كثير منهم﴾ بدل من الضمير ﴿والله بصير بما يعملون﴾ فيجازيهم به .

ثم شرع في تفصيل قبائح النصارى من اهل الكتاب بعد ذكر اليهود وابطال اقوالهم الفاسدة فقال :

أَنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ
وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ
وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ
ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

٧٢ ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم﴾ وهم اليعقوبية ﴿و﴾ الحال أنه ﴿قال﴾ لهم ﴿المسيح﴾ حين ارساله اليهم ﴿يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾ ولم يفرق بينه وبين غيره في العبودية ﴿انه من يشرك بالله﴾ في عبادة غيره ﴿فقد حرم الله عليه الجنة﴾ منعه ان يدخلها ﴿ومأواه النار وما للظالمين من﴾ زائدة لتأكيد النفي ﴿أنصار﴾ يمنعونهم من عذاب الله والمقصود بالظالمين المشركون بقرينة ما قبله ويدل هذا على ان النصارى مشركون بهذه العقيدة اليعقوبية من الهية عيسى هذا القسم الاول وقد تقدم ذكره قبل هذا .

وأشار الى القسم الثاني من النصارى فقال :

٧٣ ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث﴾ آلهة ﴿ثلاثة﴾ اي أحداها والآخران عيسى وأمه وهم النسطورية وهناك وجه آخر للمفسرين وهو ان النصارى يقولون ان الآله جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم الاب والابن وروح القدس فهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة اي كلام الله وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الأب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد وهم المرقوسية فكذب الله الفريقين فقال ﴿وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون﴾ من التثليث و يوحدوا ﴿ليمسن الذين كفروا﴾ اي ثبتوا على الكفر ﴿منهم عذاب اليم﴾ مؤلم وهو النار لانهم ما أوفوا بالميثاق .

٧٤ ﴿أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه﴾ مما قالوه استفهام توبيخ ﴿والله غفور﴾ لمن تاب ﴿رحيم﴾ به .

ثم ذكر حقيقة المسيح عيسى ابن مريم فقال :

٧٥ ﴿ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت﴾ مضت ﴿من قبله الرسل﴾ فهو يمضي مثلهم فليس باله كما زعموا ﴿وأمه صديقة﴾ مبالغة في الصدق ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ كغيرهما من الناس ومن كان كذلك لا يكون الها لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿انظر﴾ متعجبا ﴿كيف نبين لهم الآيات﴾ على وحدانيتنا ﴿ثم انظر انى﴾ كيف ﴿يؤفكون﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان .

ثم أمر تعالى النبي بالزامهم وتبكيتهم بعد تعجبه من احوالهم فقال :

٧٦ ﴿قل أتعبدون من دون الله﴾ اي غيره ﴿ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا﴾ يعني به عيسى عليه السلام وايثار «ما» على «من» لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل عن الالوهية رأسا بانتظامه عليه السلام في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلا في خلق الصحة والسعة والمرض والبلاء ﴿والله هو السميع﴾ لاقوالكم ﴿العليم﴾ باحوالكم والاستفهام للانكار .

٧٧ ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿لا تغلوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿في دينكم﴾ غلوا ﴿غير الحق﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ بغلوهم وهم اسلافكم وهذا الغلو ضلال عن الانجيل وعن مقتضى العقل ﴿وأضلوا كثيرا﴾ من الناس ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ طريق الحق وهو ما جاء به الشرع وهو القرآن والسواء في الاصل الوسط .

مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ
عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا
مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ
أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ
أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ
وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾
وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ
ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا

٧٨ ﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل﴾ من اليهود والنصارى ﴿على لسان داود﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان ﴿وعيسى ابن مريم﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم اصحاب المائدة ﴿ذلك﴾ اللعن ﴿بما عصوا﴾ اي بعصيانهم ذلك ﴿وكانوا﴾ قبل ذلك ﴿يعتدون﴾.

٧٩ ﴿كانوا لا يتناهون﴾ اي لا ينهى بعضهم بعضا ﴿عن منكر فعلوه﴾ عن معاودته ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾ فعلهم هذا.

٨٠ ﴿ترى﴾ يا محمد او المخاطب ﴿كثيرا منهم يتولون الذين كفروا﴾ من المشركين وغيرهم بغضا للدين الاسلامي ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾.

٨١ ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي﴾ محمد ﴿وما أنزل اليه ما اتخذوهم﴾ اي الكفار العرب ﴿أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ خارجون عن الايمان وآمن القليل الذين ما خرجوا عن تعاليم كتبهم وتمسكوا بالميثاق.

ثم فرق الله بين الكفار بالنسبة لشدة العداوة وخفتها للمسلمين لان الكفر اذا تضاعف يبعد صاحبه عن سماع الحق وقبوله وكذلك الجهل المتراكم قال تعالى:

٨٢ ﴿لتجدن﴾ يا محمد او المخاطب ﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا﴾ استمروا على الشرك من العرب الجهال لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهما متساويان في اتباع الهوى ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى﴾ اي انصار دين الله وموادون لأهل الحق وقد قال بعض العلماء مذهب اليهود أنه يجب عليهم ايصال الشر والأذى الى من خالفهم في الدين ومذهب النصارى أن الاذى حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد أحدا ولا يعاديه بل يكون ألين عريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى ﴿ذلك﴾ قرب مودتهم للمؤمنين ﴿بأن﴾ بسبب ان ﴿منهم قسيسين﴾ علماء ﴿ورهبانا﴾ عبادا ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود والأميون الجهال.

مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾
فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن
يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ
مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ
تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ

٨٣ ﴿وإذا سمعوا﴾ اي القسيسون والرهبان ﴿ما أنزل الى الرسول﴾ من القرآن ﴿ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا﴾ صدقنا بنبيك وكتابك ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ المقرين بتصديقهما .

٨٤ ﴿و﴾ قالوا في جواب من عيرهم بالاسلام من جنسهم او من اليهود او غيرهم ﴿مالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق﴾ الثابت اي القرآن اي لا مانع لنا من الايمان مع وجود مقتضيه ﴿ونطمع﴾ عطف على نؤمن ﴿أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ المؤمنين الجنة روي انه لما قدم وفد النجاشي من الحبشة قرأ ﷺ عليهم سورة يس فبكوا واسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى :

٨٥ ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ بالايمان .

٨٦ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ فهذا وعيد لمن بقي على كفره من النصارى وان كان الحكم عاما لان القصد بيان حال المكذبين وذكرهم في مقابلة المصدقين جمعا بين الترغيب والترهيب .

بعد ان حذر المؤمنين من أن يتبعوا اهل الكتاب والمشركين المستهزئين بدينهم وما ألحق بذلك من الكلام حذرهم ايضا فيما يأتي من الغلو في الدين ومجاوزة ما أمرهم الله به فقال :

٨٧ ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿ان الله لا يحب المعتدين﴾ اي المتجاوزين أمره وما حدده لهم أو عليهم . روي ان قوما من الصحابة هموا ان يلازموا الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش فنعوا من ذلك وهو قوله تعالى :

٨٨ ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾ مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه على حسب مقتضاه بدون غلو ولا مجاوزة حد فيها .

ومن الغلو الحلف بأيمان لا داعي اليها وربما جرت العادة على الالسن باليمين على غير قصد لتوثيق عهد لفعل او ترك او يحلف على شيء يظن وقوعه و يظهر خلافه فهل في ذلك حرج أو اثم قال الله تعالى :

أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا
إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِى الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم
مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا
فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾
لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوٓا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ اتَّقَوا
وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ

١٥٥

٨٩ ﴿لا يؤخذكم الله باللغو﴾ الكائن ﴿في أيمانكم﴾ وهو عندنا معاشر المالكية ان يحلف على شيء يظن أنه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف بأيماننا فنزلت وعند الشافعي رحمة الله هو ما يبدر من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف وفي قراءة عاقدتم ﴿الأيمان﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد ﴿فكفارته﴾ أي اليمين بمعنى الحلف اذا حنثتم فيه ﴿اطعام عشرة مساكين﴾ ولا يتعين كونهم من فقراء بلد الحالف لكل مسكين مد ﴿من أوسط ما تطعمون﴾ منه ﴿أهليكم﴾ أي أقصده واغلبه لا أعلاه ولا أدناه ﴿أو كسوتهم﴾ بما يسمى كسوة ويستر العورة للصلاة. للرجل قميص وللمرأة قميص ورداء ولو كانت خشنة ولا يكفي دفع ما ذكر الى مسكين واحد وعليه مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة رضي الله عنه في تجويز صرف طعام عشرة مساكين الى مسكين واحد في عشرة أيام ﴿أو تحرير﴾ عتق ﴿رقبة﴾ أي مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملا للمطلق على المقيد ﴿فمن لم يجد﴾ واجدا مما ذكر ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه مالك والشافعي ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿كفارة أيمانكم اذا حلفتم﴾ وحنثتم ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ أن تنكثوها ما لم يكن نكثها على فعل بر أو اصلاح بين الناس كما في سورة البقرة ﴿كذلك﴾ مثل ما بين لكم ما ذكر من الايفاء بالعقود ﴿يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ على ذلك بالطاعة فانه من أجل النعم.

ولما منعوا من الغلو في الدين وقيل لهم «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم» وقيل لهم أيضا «وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا» وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله في الآيات الآتية انهما غير داخلين في جملة الطيبات بل هما من جملة المحرمات لما يسببان من مخالفة الوعد في القيام بالواجبات فقال :

٩٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمر﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿والميسر﴾ القمار اي اللعب بالملاهي كالطاب والمنقلة والطاولة لقاء مال. ﴿والأنصاب﴾ الاصنام لأنها تنصب للعبادة ﴿والازلام﴾ قداح الاستقسام ﴿رجس﴾ خبيث مستقذر ﴿من عمل الشيطان﴾ الذي يزينه ﴿فاجتنبوه﴾ اي الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لعلكم تفلحون﴾.

٩١ ﴿انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ اذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿ويصدكم﴾ بالاشتغال بهما ﴿عن ذكر الله وعن الصلاة﴾ خصهما بالذكر تعظيما لهما فان ذكر الله عام وداخل في جميع الأمور الدينية والدنيوية فاذا خلت عن ذكر الله فقد بطل نفعها وكذلك الصلاة فانها عماد الدين فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع ﴿فهل أنتم منتهون﴾ عن اتيانهما اي انتهوا.

٩٢ ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ المعاصي ﴿فان توليتم﴾ عن الطاعة ﴿فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ الابلاغ المبين وجزاؤكم علينا.

٩٣ ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ اكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿اذا ما اتقوا﴾ المحرمات ﴿وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا﴾ ثبتوا على التقوى والايمان ﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾ العمل ﴿والله يحب المحسنين﴾ بمعنى انه يثيبهم.

تقدم في أول السورة قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم

تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ
فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ
أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ
ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ
وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

١٥٦

حرم» فما يأتي هنا تفصيل لمجمل «غير محلي الصيد» وتعقيب له قال تعالى :

٩٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم﴾ ليختبرنكم ﴿الله بشيء﴾ يرسله لكم ﴿من الصيد تناله﴾ اي صغار منه ﴿أيديكم ورماحكم﴾ الكبار منه وهو حكم عام لكل حاج فان الله يختبره في احرامه بما نهي عن صيده فتغشاه الوحوش والطير في رحاله ولا تخاف منه ﴿ليعلم الله﴾ علم ظهور ﴿من يخافه بالغيب﴾ حال اي غائبا لم يره فيجتنب الصيد ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿فله عذاب أليم﴾ .

٩٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ محرمون بحج او عمرة ﴿ومن قتله منكم متعمدا فجزاء﴾ بالتنوين ورفع ما بعده اي فعليه جزاء هو ﴿مثل ما قتل من النعم﴾ اي شبهه في قراءة باضافة جزاء . ﴿يحكم به﴾ اي بالمثل رجلان ﴿ذوا عدل منكم﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي في النعامة ببدنة وابن عباس وابو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يشبهها في العب وقيده مالك بحمام الحرم وفي غير حمام الحرم حكومة وقيمة ﴿هديا﴾ حال من جزاء ﴿بالغ الكعبة﴾ اي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتا لما قبله وان أضيف لأن اضافته لفظية لا تفيد تعريفا فان لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أو﴾ عليه ﴿كفارة﴾ غير الجزاء وان وجده هي ﴿طعام مساكين﴾ من غالب قوت البلد اي مكة ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفي قراءة باضافة كفارة لما بعده وهي للبيان ﴿أو﴾ عليه ﴿عدل﴾ مثل ﴿ذلك﴾ الطعام ﴿صياما﴾ يصومه عن كل مد يوما وان وجده فهو مخير بين أمرين فيما لا مثل له وبين ثلاثة فيما له ووجب ذلك عليه ﴿ليذوق وبال﴾ ثقل جزاء ﴿أمره﴾ الذي فعله ﴿عفا الله عما سلف﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿ومن عاد﴾ اليه ﴿فينتقم الله منه والله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿ذو انتقام﴾ ممن عصاه وألحق بقتله متعمدا فيما ذكر الخطأ في لزوم الفدية وان كان الخطأ لا اثم فيه والعمد فيه الاثم ويدخل في الخطأ ما قابل العمد من نسيان وحالة الاغماء والنوم والجنون .

٩٦ ﴿أحل لكم﴾ أيها الناس حلالا كنتم او محرمين ﴿صيد البحر﴾ ان تأكلوه وهو ما لا يعيش الا فيه ولو طالت حياته في البر كالسرطان والضفدع والتمساح وقيده الشافعي بما لا يعيش الا في البحر فقط كالسمك ولو كان على صورة غير المأكول من حيوان البر كالادمي والكلب والخنزير فهذا كله حلال عنده بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان والضفدع والتمساح مما تطول حياته ببر فلا يجوز صيده لمحرم . ﴿وطعامه﴾ ما يقذفه ميتا ﴿متاعا﴾ تمتيعا ﴿لكم﴾ تأكلونه ﴿وللسيارة﴾ المسافرين منكم يتزودونه ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿ما دمتم حرما﴾ فلو صاده حلال فللمحرم أكله كما بينته السنة الا اذا صاده لمحرم فيحرم ﴿واتقوا الله الذي اليه تحشرون﴾ لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء الى ذلك الغير يلتجأ اليه الأمر محصور فيه تعالى اهـ .

وعقب قوله اول السورة لا تحلو شعائر الله بقوله تعالى :

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾
مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ
أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ
وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

٩٧ ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾ المحرم ﴿قياما للناس﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج اليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء اليه وفي قراءة «قيما» بلا الف مصدر قام غير معل ﴿والشهر الحرام﴾ بمعنى الاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب قياما لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿والهدي والقلائد﴾ قياماً لهم بأمن صاحبهمــا من التعرض له ﴿ذلك﴾ الجعـل المذكور ﴿لتعلموا أن الله يعـلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شيء عليم﴾ فان جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقـوعها دليـل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن .

٩٨ ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لأعدائه ﴿وأن الله غفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بهم .

٩٩ ﴿ما على الرسول الا البلاغ﴾ الابلاغ لكم ﴿والله يعلم ما تبدون﴾ تظهرون من العمل ﴿وما تكتمون﴾ تخفون منه فيجازيكم به . فمن «جعل الله الكعبة» الى هنا تعقيب لقوله قبل «يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله» الخ ..

وقوله تعالى :

١٠٠ ﴿قل لا يستوى الخبيث﴾ الحرام ﴿والطيب﴾ الحلال ﴿ولو أعجبك﴾ اي سرك ﴿كثرة الخبيث فاتقوا الله﴾ في تركه ﴿يا أولي الالباب لعلكم تفلحون﴾ تفوزون تعقيب لقوله تعالى «حرمت عليكم الميتة» الخ .

١٠١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد﴾ تظهر ﴿لكم تسؤكم﴾ لما فيها من المشقة ﴿وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن﴾ اي في زمن النبي ﷺ ﴿تبدلكم﴾ المعنى اذا سالتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بابدائها ومتى ابداها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد ﴿عفا الله عنها﴾ عن مسئلتكم فلا تعودوا ﴿والله غفور حليم﴾ حيث لم يشدد عليكم الاحكام بسؤالكم عنها واختار لكم اليسر في جميع التكليفات . وهذه الآية تدل على أنه عليه الصلاة والسلام لا يفتي احدا في حكم شيء من الاشياء بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فمن ادعى انه يتلقى علما من النبي بعد وفاته فانه كاذب ومكذب للقرآن فلا يتبع في شيء ففي الحديث «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» اي حياته ﷺ خير لنا لما يأتينا فيها من الاحكام والعلوم من الله بواسطته وكذلك مماته ﷺ خير لنا لأن به انقطعت زيادة التكليف فلا يبقى للعمل الا الكتاب والسنة وما يفهم منهما . وهذه الآية تعقيب لقوله تعالى «يسألونك ماذا أحل لهم» الخ فمنعوا من كثرة السؤال رحمة لهم ولنا وهو قوله تعالى :

١٠٢ ﴿قد سألها﴾ اي الاشياء ﴿قوم من قبلكم﴾ انبياءهم فاجيبوا ببيان احكامها ﴿ثم اصبحوا﴾ صاروا ﴿بها كافرين﴾ بتركهم العمل بها فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبيائهم في اشياء فاذا أمروا بها تركوها فهلكوا .

ولما منع السؤال عن أشياء حين نزول القرآن كيلا يبد لهم حكمها ويلزموا بها ، استطرد في منع وضع احكام لم يحكم بها الله فقال :

١٠٣ ﴿ما جعل﴾ شرع ﴿الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلون روى البخاري عن سعيد ابن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الابل بالأنثى بعد بالأنثى

وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ
أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ
إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾
فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ

١٥٨

وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احداهما بأخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه أودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شيء وسموه الحامي ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ في ذلك وينسبونه اليه ﴿واكثرهم لا يعقلون﴾ أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم

١٠٤ ﴿واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول﴾ اي حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿قالوا حسبنا﴾ كافينا ﴿ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين والشريعة قال تعالى ﴿أ﴾ حسبهم ذلك ﴿ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون﴾ الى الحق والاستفهام للانكار مع التوبيخ ثم سلى من اهتدى من المؤمنين المتبعين لأحكام الله فلا يخافوا على انفسهم بقلتهم في انفسهم وكثرة من يخالفهم :

١٠٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ اي احفظوها بالطاعة لأوامر الله وترك ما سواها ﴿لا يضركم﴾ كثرة ﴿من ضل اذا اهتديتم﴾ مع قلتكم لأن من استند الى الله العزيز لا يتضرر بالقلة ولا تغلبه قوة من المخلوقين ﴿الى الله مرجعكم جميعا﴾ انتم ومن يخالفكم ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ من الطاعة له فيجازيكم به ومن عصيان غيركم له فيجازيهم به فلا تنفعهم الكثرة ولا تضركم القلة في ذلك .

ثم علق على قوله «تعالى» «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء» بما يأتي فقال :

١٠٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت﴾ اي اسبابه ﴿حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ خبر بمعنى الأمر اي ليشهدوا واضافة «شهادة» «لبين» على الاتساع والاصل اضافتها للمال و«حين» بدل من «اذا» او ظرف لحضر هذا اذا كنتم في الحضر والمسلمون موجودون لأداء الشهادة ﴿أو آخران من غيركم﴾ اي غير ملتكم ﴿ان أنتم ضربتم﴾ سافرتم ﴿في الارض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما﴾ توقفونهما صفة لآخران ﴿من بعد الصلاة﴾ اي صلاة العصر وعدم تعينها في الآية لتعينها عندهم للتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس وتصادف ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع الملل يعظمون هذا الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب قيل من بعد اي صلاة كانت وال للجنس وقيل من بعد صلاتهما على انهما كافران ﴿فيقسمان﴾ يحلفان ﴿بالله ان ارتبتم﴾ شككتم فيها ويقولان ﴿لا نشتري به﴾ الشهادة اي تحريف الشهادة ﴿ثمنا﴾ عوضا نأخذه بدلا من الدنيا بأن نشهد كذبا لأجله ﴿ولو كان﴾ المشهود له ﴿ذا قربى﴾ قرابة منا ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ التي أمرنا بها ﴿انا اذن﴾ ان كتمناها ﴿لمن الآثمين﴾ .

لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ
أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ
ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ
نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ
تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ
كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ
وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم

١٠٧ ﴿فان عثر﴾ اطلع بعد حلفهما ﴿على انهما استحقا اثما﴾ اي فعلا ما يوجبه من خيانة او كذب في الشهادة ﴿فآخران يقومان مقامهما﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿من الذين استحق عليهم﴾ الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران ﴿الأوليان﴾ بالميت اي الاقربان وفي قراءة «الاولين» جمع اول صفة وبدل من «الذين» ﴿فيقسمان بالله﴾ على خيانة الشاهدين ويقولان ﴿لشهادتنا﴾ يميننا والشهادة بمعنى اليمين نحو «فشهادة احدهم اربع شهادات بالله» ﴿أحق﴾ أصدق ﴿من شهادتهما﴾ يمينهما على شهادتهما ﴿وما اعتدينا﴾ ما تجاوزنا الحق في اليمين ﴿انا اذا لمن الظالمين﴾ لانحرافنا عن الحق والمعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين من اهل دينه او غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه فان ارتاب الورثة على شهادة غير اهل ملته زعما ان الميت أوصى لشخص فليحلفا على شهادتهما انها حق فان اطلع على أمارة كذبهما حلف أقرباء الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه والحكم ثابت في شهادة غير أهل الملة عند عدم غيرهم اذ الحكم بالعلامة خير من عدمها وكذلك تحليفهما في وقت يعظمانه ثم اذا شهدا وحلفا وبعد ذلك اطلع على الكذب فانه ترد شهادتهما وترد اليمين على المدعى عليهم لتجرد الدعوى عن بينة هذا ما ظهر لي والله اعلم .

١٠٨ ﴿ذلك﴾ الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة ﴿أدنى﴾ أقرب الى ﴿أن يأتوا﴾ الشهود غير المسلمين ﴿بالشهادة على وجهها﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أو﴾ أقرب الى ان ﴿يخافوا ان ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ على الورثة المدعى عليهم فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون فلا يكذبوا ﴿واتقوا الله﴾ فيما يأمركم به ﴿واسمعوا﴾ سماع قبول ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن طاعته ولا يهديهم الى طريق الخير

ثم عقب على ما تقدم من ضلالات النصارى بما يأتي الى آخر السورة ليتعظ به المؤمنون وينتبه من يعقل منهم فقال تعالى ذكره :

١٠٩ ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ هو يوم القيامة ﴿فيقول﴾ لهم توبيخا لقومهم ﴿ماذا﴾ اي الذي ﴿أجبتم﴾ به حين دعوتم الى التوحيد ﴿قالوا لا علم لنا﴾ بذلك ﴿انك انت علام الغيوب﴾ اي ما غاب عن العباد ذهب عنهم علمه لشدة هولهم لهذا السؤال وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما سكنون .

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ
وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا
عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ
أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

١١٠ واذكر ما يحاسب الله به عيسى عليه السلام وما فعله قومه به ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾ بشكرها ﴿إذ أيدتك﴾ قويتك ﴿بروح القدس﴾ جبريل ﴿تكلم الناس﴾ حال من الكاف في أيدتك ﴿في المهد﴾ أي طفلا بتبرئتك أمك ﴿وكهلا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة وقال القرطبي وكهلا بالوحي والرسالة ﴿واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة﴾ كصورة ﴿الطير﴾ والكاف اسم بمعنى مثل مفعول ﴿باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني﴾ بارادتي ﴿وتبريء الأكمه والأبرص باذني واذ تخرج الموتى﴾ من قبورهم احياء ﴿باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك﴾ حين هموا بقتلك ﴿اذجئتهم بالبينات﴾ المعجزات ﴿فقال الذين كفروا منهم ان﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي جئت به ﴿الا سحر مبين﴾ وفي قراءة ساحر أي عيسى .

١١١ ﴿واذ أوحيت الى الحواريين﴾ أمرتهم على لسانك ﴿أن﴾ اي بأن ﴿آمنوا بي وبرسولي﴾ عيسى ﴿قالوا آمنا﴾ بكما ﴿واشهد باننا مسلمون﴾ .اذكر .

١١٢ ﴿اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع﴾ ان يفعل ﴿ربك﴾ وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده اي تقدر أن تسأله ﴿أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ المائدة الخوان عليه طعام ولا يقال انهم بسؤالهم اثاروا الشك في ايمانهم بقدرة الله لأنهم تحت تربية عيسى حين ذاك وفيهم ايضا منافقون كما سيظهر ﴿قال﴾ لهم عيسى ﴿اتقوا الله﴾ في اقتراح الآيات ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ .

١١٣ ﴿قالوا نريد﴾ سؤالها من أجل ﴿أن نأكل منها وتطمئن﴾ تسكن ﴿قلوبنا﴾ بزيادة اليقين مع أننا جازمون وموقنون بقدرة الله عليها وبرسالتك ﴿ونعلم﴾ نزداد علما ﴿ان﴾ مخففة اي أنك ﴿قد صدقتنا﴾ في ادعاء النبوة ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ اي نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم و «عليها» متعلق بالشاهدين .

١١٤ ﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا﴾ اي يوم نزولها ﴿عيدا﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لأولنا﴾ بدل من «لنا» باعادة الجار ﴿وآخرنا﴾ ممن يأتي بعدنا ﴿وآية منك﴾ على قدرتك وبنوتي ﴿وارزقنا﴾ اياها ﴿وأنت خير الرازقين﴾ .

١١٥ ﴿قال الله﴾ مستجيبا له ﴿اني منزلها﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿عليكم فمن يكفر بعد﴾ أي بعد نزولها ﴿منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه﴾ العذاب ﴿أحدا من العالمين﴾ اي عالمي زمانهم أو العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم وقال عبد الله بن عمر أن اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون .

فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة احوات فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس وفي حديث انزلت المائدة من السماء خبزا ولحما فأمروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا .

ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ
قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن
كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ
أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾
قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال﴾ اي يقول ﴿الله﴾ لعيسى في القيامة توبيخا لقومه والمشهد امام الناظر كأنه يراه ﴿يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال﴾ عيسى وقد أرعد ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره ﴿ما يكون﴾ ينبغي ﴿لي أن اقول ما ليس لي بحق﴾ خبر ليس ولي للتبيين ﴿ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما﴾ أخفيته ﴿في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ اي ما تخفيه من معلوماتك ﴿انك انت علام الغيوب﴾ .

١١٧ ﴿ما قلت لهم الا ما أمرتني به﴾ وهو ﴿ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا﴾ رقيبا أمنعهم مما يقولون ﴿ما دمت فيهم فلما توفيتني﴾ قبضتني بالرفع الى السماء أو بالتوفي والموت ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿وأنت على كل شيء﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شهيد﴾ مطلع عالم به .

١١٨ ﴿ان تعذبهم﴾ اي من اقام على الكفر منهم ﴿فانهم عبادك﴾ وانت ما لكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿وان تغفر لهم﴾ أي لمن آمن منهم ﴿فانك انت العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

١١٩ ﴿قال الله هذا﴾ اي يوم القيامة ﴿يوم ينفع الصادقين﴾ في الدنيا كعيسى ﴿صدقهم﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم﴾ بطاعته ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابه ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ . ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار اذ يؤمنون عند رؤية العذاب . ثم ختم السورة بقوله تعالى .

١٢٠ ﴿لله ملك السموات والارض﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وما فيهن﴾ أتى بما تغليبا لغير العاقل ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ ومنه اثابة الصادق وتعذيب الكاذب فالسورة بدأت بأمر المؤمنين بإيفاء العقود وختمت بالتنبيه على ان لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير حتى لا يتهاونوا في القيام بالمحافظة على العقود وغيرها من المواثيق بينهم وبين الله او بين الناس فيرتفعوا بذلك دنيا وأخرى والحمد لله رب العالمين .

﴿ سورة الانعام مكية ﴾

في الخبر انها نزلت جملة واحدة ومعها سبعون الف ملك نزلوا بها ليلا ولهم زجل بالتسبيح والتحميد فدعا رسول الله الكتاب فكتبوها من ليلتهم

وهي مائة وخمس أو ست وستون آية موضوعها الرئيسي التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وابطال مذاهب المبطلين والملحدين في أسلوب قوي جدا .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الحمد﴾ وهو الوصف بالجميل الثابت ﴿لله﴾ وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به او الثناء به او هما احتمالات أفيدها الثالث ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات للناظرين ﴿وجعل﴾ خلق ﴿الظلمات والنور﴾ اي كل ظلمة ونور فيدخل فيهما ظلمة الجهل والكفر ونور العلم والايمان والليل والنهار وغير ذلك وجمعها دونه لكثرة اسبابها وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثم الذين كفروا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بربهم يعدلون﴾ يسوون غيره به في العبادة وقيل يميلون عنه الى غيره .

ثم نبه زيادة لايضاح سبب استحقاقه تعالى لعبوديتكم ايها الناس فقال .

٢ ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثم قضى أجلا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وأجل مسمى﴾ مضروب ﴿عنده﴾ لبعثكم ﴿ثم انتم﴾ أيها الكفار ﴿تمترون﴾ تشكون في البعث بعد علمكم انه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر .

٣ ﴿وهو الله﴾ المستحق للعبادة ﴿في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ تعملون من خير وشر .

ثم بين كفرهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها بالكلية بعدما

(٦) سُورَةُ الأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ وَمِائَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ

١٦٢

بين اشراكهم بالله تعالى واعراضهم عن بعض آيات التوحيد فقال :

٤ ﴿وما تأتيهم﴾ اي الناس ﴿من﴾ زائدة ﴿آية من آيات ربهم﴾ من القرآن ﴿ الا كانوا عنها معرضين﴾ .

٥ ﴿فقد كذبوا بالحق﴾ بالقرآن ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء﴾ عواقب ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ هو ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد . والنبأ هو الخبر العظيم الشأن . .

ثم شرع في تنبيههم على وجه التوبيخ وبذل النصيحة لهم فقال :

أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن
لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي
مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾
وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا
وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن
قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ

٦ ﴿ألم يروا﴾ في اسفارهم الى الشام وغيرها ﴿كم﴾ خبرية بمعنى كثيرا ﴿اهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أمة من الامم الماضية ﴿مكناهم﴾ اعطيناهم مكانا ﴿في الارض﴾ بالقوة والسعة ﴿ما لم نمكن﴾ نعط ﴿لكم﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وارسلنا السماء﴾ المطر ﴿عليهم مدرارا﴾ متتابعا ﴿وجعلنا الانهار تجري من تحتهم﴾ تحت مساكنهم ﴿فاهلكناهم بذنوبهم﴾ بتكذيبهم الانبياء ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ اقواما والقرن لفظ يطلق على معان كثيرة فيطلق على الجماعة من الناس سموا بذلك لاقترانهم في مدة من الزمان ومنه قوله عليه السلام «خير القرون قرني» ويطلق على المدة والزمان من مائة سنة أو مائة وعشرين او ثمانين أو سبعين أو ستين اقوال . ثم التفت إلى النبي وقال :

٧ ﴿ولو نزلنا عليك كتابا﴾ مكتوبا ﴿في قرطاس﴾ رق كما اقترحوه ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ أبلغ مما عاينوه لأنه أنفى للشك . ﴿لقال الذين كفروا ان﴾ ما ﴿هذا إلا سحر مبين﴾ تعنتا وعنادا .

٨ ﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿ملك﴾ يصدقه ﴿ولو انزلنا ملكا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لقضي الأمر﴾ بهلاكهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ يمهلون لتوبة او معذرة كسنة الله فيمن قبلهم من اهلاكهم عند وجود مقترحهم اذا لم يؤمنوا .

٩ ﴿ولو جعلناه﴾ اي المنزل اليهم ﴿ملكا لجعلناه﴾ اي الملك ﴿رجلا﴾ اي على صورته ليتمكنوا من رؤيته اذ لا قوة لبشر على رؤية الملك ﴿و﴾ لو انزلناه وجعلناه رجلا ﴿للبسنا﴾ شبهنا ﴿عليهم ما يلبسون﴾ على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا الا بشر مثلهم ثم سلى النبي ﷺ وأوعدهم على فعلهم فقال :

١٠ ﴿ولقد استهزيء برسل من قبلك﴾ فصبروا على الاستهزاء ﴿فحاق﴾ نزل ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب كذلك يحيق بمن استهزأ بك

١١ ﴿قل﴾ لهم ﴿سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا .

١٢ ﴿قل لمن ما في السموات والارض قل لله﴾ ان لم يقولوه لا جواب غيره ﴿كتب﴾ قضى ﴿على نفسه الرحمة﴾ فضلا منه وفيه تلطف في دعائهم الى الايمان ﴿ليجمعنكم الى يوم القيامة﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ جمعكم او يوم القيامة ﴿الذين خسروا انفسهم﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فهم لا يؤمنون﴾ فخسرانهم عدم ايمانهم .

١٣ ﴿وله﴾ تعالى ﴿ما سكن﴾ حل ﴿في الليل والنهار﴾ اي كل شيء فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وهو السميع﴾ لما يقال ﴿العليم﴾ بما يفعل .

١٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿أغير الله اتخذ وليا﴾ أعبده ﴿فاطر السموات والارض﴾ مبدعهما ﴿وهو يطعم﴾ يرزق ﴿ولا يطعم﴾ ولا يرزق الجواب لا ﴿قل اني أمرت ان أكون اول من أسلم﴾ لله من الأمة اي انا فرد من افراد الامة ولست بمعزل عما آمرهم به فيطرق الى شك في الترفع عليهم ﴿و﴾ قيل لي ﴿لا تكونن من المشركين﴾ به .

١٥ ﴿قل اني أخاف ان عصيت ربي﴾ بعبادة غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة .

١٦ ﴿من يصرف﴾ بالبناء للمفعول اي العذاب وللفاعل اي الله والعائد محذوف ﴿عنه يومئذ فقد رحمه﴾ تعالى اي اراد له الخير ﴿وذلك الفوز المبين﴾ النجاة الظاهرة .

١٧ ﴿وان يمسسك﴾ ايها المخاطب ﴿الله بضر﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿فلا كاشف﴾ رافع ﴿له الا هو وان يمسسك بخير﴾ كصحة وغنى ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره .

١٨ ﴿وهو القاهر﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء مستعليا ﴿فوق عباده وهو الحكيم﴾ في خلقه ﴿الخبير﴾ ببواطنهم كظواهرهم .

يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ
أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ
وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ
ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ

السورة مكية تدعو الناس الى الايمان بالله وتوحيده والرسالة وصدق الرسول الذي هو البشر الذي يعرفونه فجاءهم بشيء غير معهود عندهم فيمكن ان يطلبوا منه شهادة على دعواه هذه فقال الله تعالى له :

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟
أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ
إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن
يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ

١٦٥

١٩ ﴿قل﴾ لهم ﴿اي شيء اكبر شهادة﴾ تمييز محول عن المبتدأ ﴿قل الله﴾ ان لم يقولوه لا جـواب غيره هو ﴿شهيد بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم﴾ ايها الناس ﴿به ومن بلغ﴾ عطف على ضمير انذركم اي ومن بلغه القرآن من الانس والجن ﴿ائنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾ استفهام إنكار ﴿قل﴾ لهم ﴿لا اشهد﴾ بذلك ﴿قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون﴾ معه من الاصنام .

٢٠ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ وهم علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ﴿يعرفونه﴾ أي محمداً بنعته في كتابهم روي أن النبي لما قدم المدينة وأسلم عبدالله بن سلام قال له عمر ان الله أنزل على نبيه بمكة «الذين اتيناهم الكتاب» الآية فكيف هذه المعرفة قال عبدالله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني فقال عمر كيف ذلك فقال أشهد انه رسول الله حقا ولا أدري ما تصنع النساء وهو قوله تعالى ﴿كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ به فخسرانهم أنفسهم منعهم من الايمان.

٢١ ﴿ومن﴾ لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك اليه ﴿أو كذب بآياته﴾ القرآن ﴿انه﴾ أي الشأن ﴿لا يفلح الظالمون﴾ بذلك .

٢٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا﴾ توبيخا ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ انهم شركاء لله .

٢٣ ﴿ثم لم تكن﴾ بالتاء وقريء بالياء ﴿فتنتهم﴾ بالرفع وقريء بالنصب اي معذرتهم ﴿الا أن قالوا﴾ اي قولهم ﴿والله ربنا﴾ بالجر نعت وقريء بالنصب على النداء ﴿ما كنا مشركين﴾ قال تعالى :

٢٤ ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف كذبوا على أنفسهم﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وضل عنهم﴾ حال ﴿ما كانوا يفترون﴾ على الله من الشركاء وشفاعتهم لهم .

ثم بين حال الكفار مع النبي في مكة فقال :

إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

١٦٦

٢٥ ﴿ومنهم من يستمع اليك﴾ اذا قرأت ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ اغطية ﴿ان﴾ لا ﴿يفقهوه﴾ يفهموا القرآن ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ صمما فلا يسمعون سماع قبول قال الكلبي اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبه وشيبة بنا ربيعة وأمية بن خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما أدري ما يقول غير أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال أبو سفيان اني أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشيء من هذا وفي رواية الموت أهون علينا من هذا . ﴿وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ لأن كفرهم ناشيء عن عناد لا عن جهل ﴿حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان﴾ ما ﴿هذا﴾ القرآن ﴿الا أساطير﴾ أكاذيب ﴿الاولين﴾ كالأضاحيك والاعاجيب جمع أسطورة بالضم .

٢٦ ﴿وهم﴾ أهل مكة الكفار ﴿ينهون﴾ الناس ﴿عنه﴾ اتباع النبي ﷺ ﴿وينأون﴾ يتباعدون ﴿عنه﴾ اتباع النبي ﷺ وقيل ينهون الناس عن تحقيره لمكانته عندهم ولا يؤمنون به ﴿وان﴾ ما ﴿يهلكون﴾ بالنأي عنه ﴿الا أنفسهم﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وما يشعرون﴾ بذلك .

٢٧ ﴿ولو ترى﴾ يا مخاطب ﴿اذ وقفوا﴾ عرضوا ﴿على النار فقالوا يا﴾ للتنبيه ﴿ليتنا نرد﴾ الى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ بنصب الفعلين في جواب التمني وقرىء برفعهما استئنافا و برفع الأول ونصب الثاني وجواب «لو» لرأيت أمرا عظيما قال تعالى :

٢٨ ﴿بل﴾ للاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني ﴿بدا﴾ ظهر ﴿لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ يكتمون بقولهم «والله ربنا ما كنا مشركين» بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك ﴿ولو ردوا﴾ الى الدنيا فرضا ﴿لعادوا لما نهوا عنه﴾ من الشرك ﴿وانهم لكاذبون﴾ في وعدهم بالايمان .

٢٩ ﴿وقالوا﴾ اي الكفار لانكار البعث وللاستهزاء ﴿ان﴾ ما ﴿هي﴾ الحياة ﴿الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ بعد الموت ولم يكتفوا بمجرد الاخبار بذلك حتى أبرزوها محصورة في نفي واثبات وهي ضمير مبهم يفسره خبره اي لا يعلم ما يراد به الا بذكر خبره وهو من الضمائر التي يفسرها ما بعدها لفظا ورتبة . قال الله تعالى :

٣٠ ﴿ولو ترى اذ وقفوا﴾ عرضوا ﴿على ربهم﴾ لرأيت أمرا عظيما ﴿قال﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخا ﴿أليس هذا﴾ البعث والحساب ﴿بالحق قالوا بلى وربنا﴾ انه لحق ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ به في الدنيا .

٣١ ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ بالبعث ﴿حتى﴾ غاية للتكذيب ﴿اذا جاءتهم الساعة﴾ القيامة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿قالوا يا حسرتنا﴾ هي شدة التألم ونداؤها مجاز اي هذا أوانك فاحضري ﴿على ما فرطنا﴾ قصرنا ﴿فيها﴾ اي الدنيا ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا فتركبهم ﴿ألا ساء﴾ بئس ﴿ما يزرون﴾ يحملونه حملهم ذلك ، ثم عقب بمقارنة الحياة الدنيا ثم عقب بمقارنة الحياة الدنيا بالحياة الآخرة . وقال :

وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ
أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن
نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ
اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ
عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

١٦٧

٣٢ ﴿وما الحياة الدنيا﴾ اي اشتغال بها ﴿الا لعب ولهو﴾ وأما الطاعات وما يعين عليها فن أمور الآخرة ﴿وللدار الآخرة﴾ وفي قراءة «ولدار الآخرة» اي الجنة ﴿خير للذين يتقون﴾ الشرك من الحياة الدنيا لأن منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير متعقبة بالآلام بل مستمرة على الدوام ﴿أفلا تعقلون﴾ بالتاء وقرىء بالياء ذلك فيؤمنون .

٣٣ ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿نعلم إنه﴾ أي الشأن ﴿ليحزنك الذي يقولون﴾ لك من التكذيب ﴿فانهم لا يكذبونك﴾ في السر لعلمهم أنك صادق وفي قراءة بالتخفيف اي لا ينسبونك الى الكذب ﴿ولكن الظالمين﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بآيات الله﴾ القرآن ﴿يجحدون﴾ يكذبون .

٣٤ ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ باهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر باهلاك قومك ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ مواعيده ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ ما يسكن به قلبك .

٣٥ ﴿وان كان كبر﴾ عظم ﴿عليك اعراضهم﴾ عن الاسلام لحرصك عليهم ﴿فان استطعت ان تبتغي نفقا﴾ سربا ﴿في الارض او سلما﴾ مصعدا ﴿في السماء فتأتيهم بآية﴾ مما اقترحوا فافعل المعنى انك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله ﴿ولو شاء الله﴾ هدايتهم ﴿لجمعهم على الهدى﴾ ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ بذلك فهو نهي لرسول الله ﷺ عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم المرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم بأحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم أو الميل الى نزول اقتراحاتهم من الجاهلين بدقائق شئونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم لخروجهم عن الحكمة التشريعية .

ولما أثبت ان على قلوب الكفار أكنة وفي آذانهم وقرا صاروا بذلك من قبيل الموتى فلا يسمعون الدعوة فيستجيبون .

٣٦ ﴿انما يستجيب﴾ دعاءك الى الايمان ﴿الذين يسمعون﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿والموتى﴾ اي الكفار شبههم بهم في عدم السماع ﴿يبعثهم الله﴾ في الآخرة ﴿ثم اليه يرجعون﴾ يردون فيجازيهم بأعمالهم .

٣٧ ﴿وقالوا﴾ اي كفار مكة ﴿لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه آية من ربه﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قل﴾ لهم ﴿ان الله قادر على أن

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ
أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ
فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾
بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ
وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾
فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟
مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟

١٦٨

ينزل﴾ بالتشديد وقريء بالتخفيف ﴿آية﴾ مما اقترحوا ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها .

٣٨ ﴿وما من دابة﴾ تمشي ﴿في الارض ولا طائر يطير﴾ في الهواء ﴿بجناحيه الا أمم أمثالكم﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿ما فرطنا﴾ تركنا ﴿في الكتاب﴾ اللوح المحفوظ ﴿من شيء﴾ فلم نكتبه ﴿ثم الى ربهم يحشرون﴾ فيقضي بينهم ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا .

٣٩ ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿صم﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وبكم﴾ عن النطق بالحق ﴿في الظلمات﴾ الكفر ﴿من يشاء الله﴾ اضلاله ﴿يضلله ومن يشأ﴾ هدايته ﴿يجعله على صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ دين الاسلام .

٤٠ ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿أرأيتكم﴾ أخبروني ﴿ان أتاكم عذاب الله﴾ في الدنيا ﴿أو أتتكم الساعة﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أغير الله تدعون﴾ ليكشف ما حل بكم والجواب لا ﴿ان كنتم صادقين﴾ في أن الاصنام تنفعكم فادعوها .

٤١ ﴿بل اياه﴾ لا غيره ﴿تدعون﴾ في الشدائد ﴿فيكشف ما تدعون اليه﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿ان شاء﴾ كشفه ﴿وتنسون﴾ تتركون ﴿ما تشركون﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه .

٤٢ ﴿ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك﴾ رسلا فكذبوهم ﴿فاخذناهم بالبأساء﴾ شدة الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿لعلهم يتضرعون﴾ يتذللون فيؤمنون .

٤٣ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿اذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿تضرعوا﴾ أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ فلم تلن للايمان ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ من المعاصي فأصروا عليها .

بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ
دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ
قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ
ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ
عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ
وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾
قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ
وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ
هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

١٦٩

٤٤ ﴿فلما نسوا﴾ تركوا ﴿ما ذكروا﴾ وعظوا وخوفوا ﴿به﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فتحنا﴾ بالتخفيف وقريء بالتشديد ﴿عليهم أبواب كل شيء﴾ من النعم استدراجا لهم ﴿حتى اذا فرحوا بما أوتوا﴾ فرح بطر ﴿أخذناهم﴾ بالعذاب ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿فاذا هم مبلسون﴾ آيسون من كل خير.

٤٥ ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ اي آخرهم بأن استؤصلوا ﴿والحمدلله رب العالمين﴾ على نصر الرسل واهلاك الكافرين ومعنى هذا أن قطع دابرهم نعمة أنعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فذكر «الحمد» تعليما للرسل ولمن آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم اذا أهلك المشركين المكذبين.

٤٦ ﴿قل﴾ للكفار ﴿أرأيتم﴾ أخبروني ﴿ان أخذ الله سمعكم﴾ اي أصمكم ﴿وأبصاركم﴾ اي أعماكم ﴿وختم﴾ طبع ﴿على قلوبكم﴾ فلا تعرفون شيئا ﴿من اله غير الله يأتيكم به﴾ بما أخذه منكم بزعمكم ﴿انظر كيف نصرف﴾ نبين ﴿الآيات﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثم هم يصدفون﴾ عنها فلا يؤمنون.

٤٧ ﴿قل﴾ لهم ﴿أرايتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة﴾ ليلا أو نهارا ﴿هل يهلك الا القوم الظالمون﴾ الكافرون اي ما يهلك بالسخط والغضب الا هم.

٤٨ ﴿وما نرسل المرسلين الا مبشرين﴾ من آمن بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من كفر بالنار ﴿فمن آمن﴾ بهم ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

٤٩ ﴿والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون﴾ يخرجون عن الطاعة.

٥٠ ﴿قل﴾ لهم ﴿لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ التي منها يرزق ﴿ولا أعلم الغيب﴾ ما غاب عني ولم يوح الي ﴿ولا اقول لكم اني ملك﴾ من الملائكة ﴿ان﴾ ما ﴿اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الأعمى﴾ الكافر ﴿والبصير﴾ المؤمن الجواب لا ﴿افلا تتفكرون﴾ في ذلك فتؤمنون.

٥١ ﴿وأنذر﴾ خوف ﴿به﴾ اي بالقرآن ﴿الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه﴾ اي غيره ﴿ولي﴾ ينصرهم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لعلهم يتقون﴾ الله باقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات .

٥٢ ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون﴾ بعبادتهم ﴿وجهه﴾ تعالى لا شيئا من أغراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي ﷺ ذلك طمعا في أسلامهم ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ أي ما عليك حساب رزقهم فتطردهم عنك أو ما كان حسابهم عليك بأن كان باطنهم غير مرضي ﴿وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم﴾ جواب النفي ﴿فتكون من الظالمين﴾ ان فعلت ذلك .

٥٣ ﴿وكذلك فتنا﴾ ابتلينا ﴿بعضهم ببعض﴾ اي الشريف بالوضيع والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق الى الايمان ﴿ليقولوا﴾ اي الشرفاء والاغنياء منكرين ﴿أهؤلاء﴾ الفقراء ﴿من الله عليهم من بيننا﴾ بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا اليه قال تعالى . ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ له فيهديهم ؟ الجواب بلى .

٥٤ ﴿واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل﴾ لهم ﴿سلام عليكم كتب﴾ قضى ﴿ربكم على نفسه الرحمة أنه﴾ بالفتح بدل من الرحمة وقريء بالكسر اي الشأن ﴿من عمل منكم سوءا بجهالة﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثم تاب﴾ رجع ﴿من بعده﴾ بعد علمه عنه ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فأنه﴾ اي الله بالفتح على ان المغفرة والرحمة له فهو قوله ﴿غفور﴾ له ﴿رحيم﴾ به وفي قراءة بالكسر على الاستئناف فهو غفور رحيم .

وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

٥٥ ﴿وكذلك﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نفصل الآيات﴾ القرآن ليظهر الحق به ﴿ولتستبين﴾ تظهر ﴿سبيل المجرمين﴾ فيجتنب وفي قراءة بالتحتانية وفي أخرى بالفوقانية ونصب السبيل فهو خطاب للنبي ﷺ .

قُلْ لَآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ
مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ
الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَٰصِلِينَ (٥٧) قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّٰلِمِينَ (٥٨) * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ
إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ
إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم
بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ
أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

٥٦ ﴿قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله قل لا أتبع أهواءكم﴾ في عبادتها ﴿قد ضللت اذن﴾ ان اتبعتها ﴿وما انا من المهتدين﴾ .

٥٧ ﴿قل اني على بينة﴾ بيان ﴿من ربي و﴾ قد ﴿كذبتم به﴾ بربي حيث اشركتم ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب ﴿ان﴾ ما ﴿الحكم﴾ في ذلك وغيره ﴿الا لله يقص﴾ يخبر ويقول ﴿الحق وهو خير الفاصلين﴾ الحاكمين وفي قراءة «يقض» بالضاد أي القضاء الحق .

٥٨ ﴿قل﴾ لهم ﴿لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم﴾ بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ . متى يعاقبهم .

٥٩ ﴿وعنده﴾ تعالى ﴿مفاتح الغيب﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة الى علمه ﴿لا يعلمها الا هو﴾ وهي الخمسة التي في قوله تعالى «ان الله عنده علم الساعة» الآية كما رواه البخاري ﴿ويعلم ما﴾ يحدث ﴿في البر﴾ القفار ﴿والبحر﴾ القرى التي على الانهار او البر والبحر المعروفان لأن الارض هي مجموعهما اي عجائبها ﴿وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس﴾ عطف على ورقة ﴿الا في كتاب مبين﴾ هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله .

٦٠ ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿ويعلم ما جرحتم﴾ كسبتم ﴿بالنهار ثم يبعثكم فيه﴾ أي النهار برد أرواحكم ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثم اليه مرجعكم﴾ بالبعث ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم .

حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ
ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا
مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم
مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ
عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ
ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم
بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾
وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

٦١ ﴿وهو القاهر﴾ مستعليا ﴿فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته﴾ وفي قراءة توفاه ﴿رسلنا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الارواح ﴿وهم لا يفرطون﴾ يقصرون فيما يؤمرون .

٦٢ ﴿ثم ردوا﴾ اي الخلق ﴿الى الله مولاهم﴾ مالكهم ﴿الحق﴾ الثابت العدل ليجازيهم ﴿ألا له الحكم﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك .

٦٣ ﴿قل﴾ يا محمد للكفار ﴿من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ في أسفاركم حين ﴿تدعونه تضرعا﴾ متضرعين ﴿وخفية﴾ تقولون ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿أنجيتنا﴾ وفي قراءة انجانا اي الله ﴿من هذه﴾ الظلمات والشدائد ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ المؤمنين .

٦٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿الله ينجيكم﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿منها ومن كل كرب﴾ غم سواها ﴿ثم أنتم تشركون﴾ به .

٦٥ ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم﴾ من السماء كالحجارة والصيحة ﴿أو من تحت ارجلكم﴾ كالخسف ﴿أو يلبسكم﴾ يخلطكم ﴿شيعا﴾ فرقا مختلفة الاهواء ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ بالقتال قال ﷺ لما نزلت « هذا اهون وأيسر » ولما نزل ما قبله قال : « اعوذ بوجهك » رواه البخاري وروى مسلم حديث « سألت ربي أن لا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها » وفي حديث لما نزلت قال « أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد » ﴿انظر كيف نصرف﴾ نبين لهم ﴿الآيات﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لعلهم يفقهون﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل .

٦٦ ﴿وكذب به﴾ بالقرآن ﴿قومك وهو الحق﴾ الصدق ﴿قل﴾ لهم ﴿لست عليكم بوكيل﴾ فأجازيكم انما انا منذر وامركم الى الله وهذا قبل الامر بالقتال .

٦٧ ﴿لكل نبأ﴾ خبر ﴿مستقر﴾ وقت يقع فيه ويستقر منه عذابكم ﴿وسوف تعلمون﴾ تهديد لهم .

حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا
كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن
تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا
كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا
وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي
ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ

٦٨ ﴿واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿فأعرض عنهم﴾ ولا تجالسهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره وإما﴾ فيه ادغام نون «ان» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿ينسينك﴾ بفتح النون والتشديد وقرىء بسكونها والتخفيف ﴿الشيطان﴾ فقعدت معهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ اي تذكره ﴿مع القوم الظالمين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر. وربما يشق القيام عن الكفار كلما خاضوا في الطعن عن آيات الله فقال الله تعالى في ذلك.

٦٩ ﴿وما على الذين يتقون﴾ الله ﴿من حسابهم﴾ اي الخائضين ﴿من شيء﴾ اذا جالسوهم ﴿ولكن﴾ عليهم ﴿ذكرى﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لعلهم يتقون﴾ الخوض.

٧٠ ﴿وذر﴾ اترك ﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ الذي كلفوه ﴿لعبا ولهوا﴾ باستهزائهم به ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فلا تتعرض لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وذكر﴾ عظ ﴿به﴾ بالقرآن الناس ﴿أن﴾ لا ﴿تبسل نفس﴾ تسلم الى الهلاك ﴿بما كسبت﴾ عملت ﴿ليس لها من دون الله﴾ اي غيره ﴿ولي﴾ ناصر ﴿ولا شفيع﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وان تعدل كل عدل﴾ تفد كل فداء ﴿لا يؤخذ منها﴾ ما تفدي به ﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وعذاب اليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ بكفرهم.

٧١ ﴿قل أندعوا﴾ أنعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعنا﴾ بعبادته ﴿ولا يضرنا﴾ بتركها وهي الاصنام ﴿ونرد على اعقابنا﴾ نرجع مشركين ﴿بعد اذ هدانا الله﴾ الى الاسلام ﴿كالذي استهوته﴾ أضلته وغلبته ﴿الشياطين في الارض حيران﴾ متحيرا لا يدري أين يذهب حال من الهاء ﴿له أصحاب﴾ رفقة ﴿يدعونه الى الهدى﴾ اي ليهدوه الطريق يقولون له ﴿ائتنا﴾ فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد ﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾ وما عداه ضلال ﴿وأمرنا لنسلم﴾ اي بأن نسلم ﴿لرب العالمين﴾.

وأمرنا لنسلم لرب العلمين (٧١) وأن أقيموا الصلوة
واتقوه وهو الذي إليه تحشرون (٧٢) وهو الذي خلق
السموت والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون
قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور علم الغيب
والشهدة وهو الحكيم الخبير (٧٣) * وإذ قال إبرهيم
لأبيه ءازر أتتخذ أصناما ءالهة إني أرىك وقومك
في ضلل مبين (٧٤) وكذلك نري إبرهيم ملكوت
السموت والأرض وليكون من الموقنين (٧٥) فلما
جن عليه اليل رءا كوكبا قال هذا ربي فلما أفل
قال لا أحب الأفلين (٧٦) فلما رءا القمر بازغا قال
هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من
القوم الضالين (٧٧) فلما رءا الشمس بازغة قال هذا

١٧٤

٧٢ ﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه﴾ تعالى ﴿وهو الذي اليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب .

٧٣ ﴿وهو الذي خلق السموات والارض بالحق﴾ اي محقا أو بما هو حق له ليس لأحد فيه شركة ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يقول﴾ للشيء ﴿كن فيكون﴾ هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقومون ﴿قوله الحق﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ القرن النفخة الثانية من اسرافيل لا ملك فيه لغيره سبحانه لمن الملك اليوم ؟ لله ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وهو الحكيم﴾ في خلقه ﴿الخبير﴾ بباطن الأشياء كظاهرها .

ثم ذكر قصة ابراهيم الخليل هنا لمشابهة الحال بالحال وأن قريشاً كانوا يعبدون الاصنام فأنكر الله عليهم عبادتها لأنها لا تقدر على نفع ولا ضر وقص قول ابراهيم الذي يدعون أنهم على ملته فقال :

٧٤ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال ابراهيم لابيه آزر﴾ واسمه تارخ كان من كوثي بالضم قرية بالعراق وكان اهل تلك البلاد وهم الكنعانيون يعتقدون الهية النجوم في السماء والاصنام في الارض فيجعلون لكل نجم صنما فاذا أرادوا التقرب الى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم عند ذلك النجم فقال ابراهيم منكرا على أبيه منبها له على ظهور فساد ما هو مرتكبه ﴿اتتخذ اصناما آلهة﴾ تعبدها استفهام توبيخ ﴿اني أراك وقومك﴾ باتخاذها ﴿في ضلال﴾ عن الحق ﴿مبين﴾ بين .

٧٥ ﴿وكذلك﴾ كما أريناه ضلال أبيه وقومه ﴿نري ابراهيم ملكوت﴾ ملك ﴿السموات والارض﴾ ليستدل على وحدانيتنا ﴿وليكون من الموقنين﴾ بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على ما قال :

٧٦ ﴿فلما جن﴾ أظلم ﴿عليه الليل راى كوكبا﴾ قيل هو الزهرة ﴿قال﴾ لقومه على ارادة هدايتهم وليدلهم على بطلان معتقدهم ليؤمنوا على طريق من ينصف خصمه عالما ببطلانه ثم ينكر عليه فيبطله بالحجة ﴿هذا ربي﴾ في زعمكم ﴿فلما أفل﴾ غاب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ أن اتخذهم اربابا لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث فلم ينجح فيهم ذلك .

٧٧ ﴿فلما راى القمر بازغا﴾ طالعا ﴿قال﴾ لهم ﴿هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي﴾ يثبتني على الهدى ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجح فيهم ذلك .

رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ
قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ
مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي
كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ
مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ
ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ

٧٨ ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا﴾ ذكره لتذكير خبره ﴿ربي هذا أكبر﴾ من الكواكب قال الغزالي سعة الشمس مائة وعشرون سنة اي لو دار على محور الارض فيوم واحد وليلة واحدة للارض تساوي مائة وعشرون سنة والله اعلم فكوكب الشمس اكبر نفعا وضوءا ﴿فلما أفلت﴾ غابت كذلك قويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قال يا قوم اني بريء مما تشركون﴾ بالله من الاصنام والاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث فقالوا له ما تعبد قال :

٧٩ ﴿اني وجهت وجهي﴾ قصدت بعبادتي ﴿للذي فطر﴾ خلق ﴿السموات والارض﴾ ومن جملة خلقه معبوداتكم الشمس والقمر والكواكب اي الله ﴿حنيفا﴾ مائلا الى الدين القيم ﴿وما أنا من المشركين﴾ به .

٨٠ ﴿وحآجه قومه﴾ أي جادلوه في دينه وهددوه بالاصنام أن تصيبه بسوء ان تركها ﴿قال اتحآجوني﴾ بتشديد النون وقرىء بتخفيفها بحذف احدى النونين وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء اي اتجادلوني ﴿في﴾ وحدانية ﴿الله وقد هدان﴾ اليها ﴿ولا أخاف ما تشركون﴾ ه ﴿به﴾ من الاصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿الا﴾ لكن ﴿ان يشاء ربي شيئا﴾ من المكروه يصيبني فيكون ﴿وسع ربي كل شيء علما﴾ اي وسع علمه كل شيء واحاط به ﴿أفلا تتذكرون﴾ هذا فتؤمنون .

٨١ ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ بالله وهي لا تضر ولا تنفع ﴿ولا تخافون﴾ انتم من الله ﴿أنكم أشركتم بالله﴾ في العبادة ﴿ما لم ينزل به﴾ بعبادته ﴿عليكم سلطانا﴾ حجة وبرهانا وهو القادر على كل شيء ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أنحن أم أنتم ﴿ان كنتم تعلمون﴾ من الأحق به أي وهو نحن فاتبعوه قال تعالى :

٨٢ ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ يخلطوا ﴿ايمانهم بظلم﴾ اي شرك كما فسر بذلك في حديث الصحيحين ﴿أولئك لهم الأمن﴾ من العذاب ﴿وهم مهتدون﴾ .

٨٣ ﴿وتلك﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿حجتنا﴾ التي احتج بها ابراهيم على وحدانية الله من افول الكواكب وما بعده والخبر ﴿آتيناها ابراهيم﴾ أرشدناه لها حجة ﴿على قومه نرفع درجات من نشاء﴾ بالتنوين وقرىء بالاضافة في العلم والحكمة ﴿ان ربك حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه .

كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ

٨٤ ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب﴾ ابنه ﴿كلا﴾ منهما ﴿هدينا﴾ اي للشرع الذي أوتيه ابراهيم فانهما مقتديان به ﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ اي قبل ابراهيم ﴿ومن ذريته﴾ اي نوح أو ابراهيم ﴿داود وسليمان﴾ ابنه ﴿وأيوب﴾ وهو ابن اموص بن رازح بن عيص ابن اسحاق بن ابراهيم وذو الكفل بن أيوب ﴿ويوسف﴾ بن يعقوب ﴿وموسى وهارون﴾ ابنا عمران بن يصهر بن لاوى بن يعقوب وهارون اكبر من موسى بسنة ﴿وكذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي المحسنين﴾ فنشرفهم بأنواع الكرامات .

٨٥ ﴿وزكريا ويحي﴾ ابنه ﴿وعيسى﴾ بن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وإلياس﴾ بالهمزة أوله وقريء بتركه ابن ياسين فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران ﴿كل﴾ منهم ﴿من الصالحين﴾ .

٨٦ ﴿واسماعيل﴾ بن ابراهيم ﴿واليسع﴾ اللام زائدة ساكنة وفتح الياء بعدها وقريء. الليسع بلام مشددة وياء ساكنة بعدها هو ابن أخطوب بن العجوز ﴿ويونس﴾ بن متى وهي أمه ﴿ولوطاً﴾ بن هاران أخي ابراهيم ﴿وكلا﴾ منهم ﴿فضلنا على العالمين﴾ بالنبوة . ذكر هنا ثمانية عشر نبياً من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل ولكنْ هنا لطيفة أوجبت الترتيب وهي أن الله خص كل طائفة من الانبياء بنوع من الكرامة والفضل فذكر أولا نوحا وابراهيم واسحاق ويعقوب لأنهم أصول الانبياء واليهم يرجع حسبهم جميعا ثم ان المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله بها ايوب ثم على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف فانه صبر على البلاء والشدة حتى أعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في فضل الانبياء كثرة المعجزات وكثرة البراهين وقد خص الله موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر ومن المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى وإلياس ثم ذكر الله بعد هؤلاء من لم يبق له أتباع ولا شريعة وهم اسماعيل واليسع ولوط والله أعلم .

٨٧ ﴿ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم﴾ عطف على كلا أو نوحا ومن للتبعيض لان بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر ﴿واجتبيناهم﴾ اخترناهم ﴿وهديناهم الى صراط مستقيم﴾ الدين الذي هدوا اليه والشريعة التي عملوا بها .

٨٨ ﴿ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا﴾ فرضا ﴿لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ .

٨٩ ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ بمعنى الكتب ﴿والحكم﴾ الحكمة ﴿والنبوة فان يكفر بها﴾ اي بهذه الثلاثة ﴿هؤلاء﴾ اي اهل مكة او المكلفون المخاطبون وقت ذلك ﴿فقد وكلنا بها﴾ ارصدنا لها ﴿قوما ليسوا بها بكافرين﴾ هم المهاجرون والانصار .

لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ
اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي
جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ
تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا
آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ
إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا
أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

٩٠ ﴿أولئك الذين هدى﴾ اي هداهم ﴿الله فبهداهم﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿اقتده﴾ بهاء السكت وقفا ووصلا وفي قراءة بحذفها وصلا ﴿قل﴾ لمن ارسلت اليهم يا محمد ﴿لا أسألكم عليه﴾ اي القرآن ﴿أجرا﴾ تعطونيه ﴿ان هو﴾ ما القرآن ﴿الا ذكرى﴾ عظة ﴿للعالمين﴾ الانس والجن .

ولما ذكر قصة ابراهيم مع قومه لمشابهتها بقصة النبي ﷺ مع قومه في مكة استطرد الكلام من ابراهيم الى ذكر الانبياء قبله وبعده للعلاقة التي تقدم شرحها وأمر النبي بالاقتداء بهم نبه بما قال أو سيقول بعض أتباع تلك الرسل الموجودون وقت نزول هذه السورة حسداً لصاحب هذه الدعوة الأخيرة ليصدوا الناس عنه وعن دعوته وهم اليهود . وهو من الاخبار بالغيب لأن السورة مكية وان وقع الاخبار بلفظ الماضي اشارة لتحقيق وقوع ذلك فقال تعالى :

٩١ ﴿وما قدروا﴾ يعني اليهود ﴿الله حق قدره﴾ اي عظموه حق عظمته او ما عرفوه حق معرفته ﴿اذ قالوا﴾ اي حين سيقولون للنبي ﷺ عندما يدعوهم الى الاسلام الدين الذي يصدق دين آبائهم والقرآن المنزل الذي يصدق الكتب المنزلة قبله ﴿ما انزل الله على بشر من شيء﴾ فأنكروا بذلك نبوة الانبياء كلهم والكتب المنزلة كلها وانكروا كل ما كانوا عليه من النعمة حسدا ان لا يصل منها شيء الى غيرهم . قال تعالى ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء اذا قابلتهم بعد ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه﴾ بالتاء في المواضع الثلاثة وقرئت بالياء ﴿قراطيس﴾ اي تكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿تبدونها﴾ اي ما تحبون ابداءه منها (وتخفون كثيرا) مما فيها كنعت هذه الرسالة الأخيرة « الاسلام » وصاحبها محمد ﷺ ﴿وعلمتم﴾ ايها الحساد اليهود في الكتاب الاخير اي القرآن ﴿ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ من الكتب المنزلة قبله من التوراة وغيرها ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿قل الله﴾ اي أنزله الله ان لم يقولوه اذ لا جواب غيره ﴿ثم ذرهم في خوضهم﴾ باطلهم ﴿يلعبون﴾ حال لضمير ذرهم المفعول .

ثم تقدم بالكلام في تحقيق انزال هذا الكتاب اي القرآن وبعض صفاته فقال :

٩٢ ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه﴾ قبله من الكتب ﴿ولتنذر﴾ بالتاء وقرىء بالياء عطف على معنى ما قبله اي انزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به ﴿أم القرى ومن حولها﴾ اي مكة وسائر الناس فانذار أهل مكة أصل مستتبع لانذار أهل الارض كافة ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ خوفا من عقابها .

ثم نفى الله تعالى ان يكون القرآن مختلقا بافتراء من عند أحد من الناس فقال :

٩٣ ﴿ومن﴾ أي أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بادعاء النبوة ولم ينبأ ﴿أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء﴾ فمحمد ﷺ مع معرفته لهذا لا يمكنه ان يدعي النبوة ولا يقول انه أوحي اليه ولم يوح اليه شيء بل آية نزول القرآن له يصدق دعواه : ثم هدد من يريد أن يدعي استطاعة صنع كتاب يشابه القرآن يبطل به دعوة محمد ﷺ فقال : ﴿و﴾ لا أحد من ﴿من قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ وهم المستهزؤن قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ الظالمون﴾ المذكورون ممن يفتري على الله الكذب او يدعي أنه ينزل مثل ما انزل الله استهزاء وليبطلوا بذلك الحق ﴿في غمرات﴾ سكرات ﴿الموت والملائكة باسطو أيديهم﴾ اليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا ﴿أخرجوا انفسكم﴾ الينا لنقبضها ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ الهوان ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ بدعوى النبوة والايحاء كذبا وبالاستهزاء لابطال الحق ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ تتكبرون عن الايمان بها وجواب «لو» لرأيت أمراً فظيعا ويقال لهم اذا بعثوا .

٩٤ ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ أي من خروجكم من بطون أمهاتكم حفاة عراة غرلا اي بعثكم وخروجكم من القبور مثل خروجكم من بطون امهاتكم والبعث إعادة وليس ابتداء خلق من جديد ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ اعطيناكم من الاموال ﴿وراء ظهوركم﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿و﴾ يقال لهم توبيخا ﴿ما نرى معكم شفعاءكم﴾ الاصنام ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم﴾ اي في استحقاق عبادتكم ﴿شركاء﴾ لله ﴿لقد تقطع بينكم﴾ بنصب بينكم وفاعل تقطع ضمير اي تشتت جمعكم وفي قراءة بالرفع في بينكم ﴿وضل﴾ ذهب ﴿عنكم ما كنتم تزعمون﴾ في الدنيا من شفاعتها .

ولما تقدم الكلام على تقرير التوحيد والنبوة اردفه بذكر الدلائل على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها على أن المقصود الاعظم معرفة الله الذي يستحق أن يعبده وحده فقال :

٩٥ ﴿ان الله فالق﴾ شاق ﴿الحب﴾ عن النبات ﴿والنوى﴾ عن النخل ﴿يخرج الحي من الميت﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿ومخرج الميت﴾ النطفة والبيضة ﴿من الحي ذلكم﴾ الخالق المخرج ﴿الله فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان .

بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ

١٧٨

٩٦ ﴿فالق الاصباح﴾ مصدر بمعنى الصبح أي شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وجعل الليل سكناً﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿والشمس والقمر﴾ بالنصب عطفا على محل الليل ﴿حسبانا﴾ حسابا للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان بحسبان كما في آية الرحمن ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿تقدير العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه .

٩٧ ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ في الاسفار ﴿قد فصلنا﴾ بينا ﴿الآيات﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لقوم يعلمون﴾ يتدبرون .

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ
حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ
انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ
لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ
كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾
لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

١٧٩

٩٨ ﴿وهو الذي أنشأكم﴾ خلقكم ﴿من نفس واحدة﴾ هي آدم ﴿فمستقر﴾ منكم في الرحم ﴿ومستودع﴾ منكم في الصلب والصفتان للمفعول أي بفتح القاف والدال وقرىء بكسر القاف للفاعل ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ ما يقال لهم .

٩٩ ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿به﴾ بالماء ﴿نبات كل شيء﴾ ينبت ﴿فأخرجنا منه﴾ من النبات شيئا ﴿خضرا﴾ بمعنى أخضر ﴿نخرج منه﴾ من الخضر ﴿حبا متراكبا﴾ يركب بعضه بعضا كسنابل الحنطة ونحوها ﴿ومن النخل﴾ خبر ويبدل منه ﴿من طلعها﴾ أول ما يخرج منها والمبتدأ ﴿قنوان﴾ عراجين ﴿دانية﴾ قريب بعضها من بعض ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جنات﴾ بساتين ﴿من أعناب والزيتون والرمان مشتبها﴾ ورقهما حال ﴿وغير متشابه﴾ ثمرهما ﴿انظروا﴾ يا مخاطبون نظر اعتبار ﴿الى ثمره﴾ بفتح الثاء والميم وقرىء بضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب ﴿اذا أثمر﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿و﴾ الى ﴿ينعه﴾ نضجه اذا أدرك كيف يعود ﴿ان في ذلكم لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الايمان بخلاف الكافرين .

١٠٠ ﴿وجعلوا لله﴾ مفعول ثان ﴿شركاء﴾ مفعول اول ويبدل منه ﴿الجن﴾ حيث اطاعوهم في عبادة الاوثان ﴿و﴾ قد ﴿خلقهم﴾ اي علموا ان الله هو الذي خلقهم مع الجن وليس للجن فيهم تأثير اي فكيف اتخذوا المخلوقين معهم آلهة يعبدونهم مع الخالق ﴿وخرقوا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد أي اختلقوا ﴿له بنين وبنات بغير علم﴾ حيث قالوا عزيز وعيسى ابنا الله والملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيها له ﴿وتعالى عما يصفون﴾ بأن له ولدا .

١٠١ هو ﴿بديع السموات والارض﴾ مبدعهما وما فيهما من غير مثال سبق ﴿أنى﴾ كيف ﴿يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ زوجة ﴿وخلق كل شيء﴾ من شأنه أن يخلق ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ .

١٠٢ ﴿ذلكم الله ربكم لا اله﴾ معبود بحق ﴿الا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾ وحدوه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ حفيظ .

١٠٣ ﴿لا تدركه الأبصار﴾ اي لا تراه وهذا بمعنى الاحاطة أي لا تحيط به الأبصار واما الرؤية للامتاع والامتنان فانه سيحصل للمؤمنين في الآخرة لقوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» وحديث الشيخين «انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ اي يراها ولا تراه ولا يمكن في غيره أن يدرك البصر وخرج بالبصر رؤية القلب التي هي عبارة عن أمر يخلقه الله تعالى في القلب في المنام وهو الرؤيا او عن دوام استحضار صفاته تعالى بصفات الجلال ونعوت الاكرام وهو المسمى بمقام الشهود ﴿وهو اللطيف﴾ باوليائه ﴿الخبير﴾ بهم .

ولما انتهى بذكر دلائل التوحيد والقدرة والحكمة والعلم الالهية الى ادراكه تعالى للأبصار وهي لا تدركه لفت النظر الى البصائر الباطنة لينتفع بها الناس لادراك معاني الصفات الالهية فقال يا ايها النبي قل للناس .

١٠٤ ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ على لسان النبي ﷺ جمع بصيرة وهو النور الذي تبصر به النفس اي الروح كما ان البصر هو النور الذي تبصر به العين والمقصود بالبصائر هنا الحجج والادلة وهي آيات القرآن من ربكم الله المستحق للعبادة لما تقدم له من الصفات الدالة على قدرته وعلمه وحكمته ووحدته ﴿فمن أبصر﴾ ها فآمن ﴿فلنفسه﴾ أبصر لأن ثواب إبصاره له ﴿ومن عمي﴾ عنها فضلَّ ﴿فعليها﴾ وبال اضلاله ﴿وما انا عليكم بحفيظ﴾ رقيب لاعمالكم وانما أنا نذير .

١٠٥ ﴿وكذلك﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نصرف﴾ نبين ﴿الآيات﴾ ليعتبروا ﴿وليقولوا﴾ اي الكفار في عاقبة الامر ﴿درست﴾ بوزن قتلت اي كتب الماضين وجئت بهذا منها وقرىء بوزن قاتلت اي ذاكرت أهل الكتاب وفي قراءة درست بدون الف وسكون التاء اي قدمت وعفت يشيرون الى أنها من أحاديث الأولين ﴿ولنبينه﴾ اي القرآن وان لم يذكر لأنه معلوم ﴿لقوم يعلمون﴾ لأنهم هم الذين يعرفون قيمته .

ثم امر النبي ﷺ بالاستمرار على المصابرة فقال تعالى .

١٠٦ ﴿اتبع ما أوحى اليك من ربك﴾ أي القرآن ﴿لا اله الا هو وأعرض عن المشركين﴾ فلا تعتد بهم وبأباطيلهم اي دم على ما أنت عليه من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد .

١٠٧ ﴿ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا﴾ رقيبا فتجازيهم بأعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ اي من جهتهم تقوم بأمورهم وتدبر مصالحهم فتطلب منا هدايتهم . وعليهم في

ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ
يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ
ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾
وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ
قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ

١٨٠

الموضعين متعلق بما بعده قدم اهتماما أو رعاية للفواصل اي فالأمر بيدنا نتصرف فيه ما نشاء وانما عليك البلاغ والتبشير والانذار .

ثم خاطب تعالى المؤمنين بأن لا يعملوا شيئا يسيء الى عقيدتهم فقال :

١٠٨ ﴿ولا تسبوا الذين يدعون﴾ هم آلهة ﴿من دون الله﴾ اي الاصنام ﴿فيسبوا الله عدوا﴾ اعتداء وظلما ﴿بغير علم﴾ اي جهلا منهم بالله ﴿كذلك﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زينا لكل أمة عملهم﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ثم الى ربهم مرجعهم﴾ في الآخرة ﴿فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ فيجازيهم به .

١٠٩ ﴿وأقسموا﴾ اي كفار مكة ﴿بالله جهد أيمانهم﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لئن جاءتهم آية﴾ مما اقترحوا ﴿ليؤمنن بها قل﴾ لهم ﴿انما الآيات عند الله﴾ ينزلها كما يشاء وانما أنا نذير

يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾
وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْأٓخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

﴿وما يشعركم﴾ يدريكم بايمانهم اذا جاءت اي أنتم لا تدرون ﴿أنها اذا جاءت لا يؤمنون﴾ لما سبق في علم الله بفتح أنها بمعنى لعل او معمولة لما قبلها وفي قراءة بكسرها استئنافاً وفي قراءة بالتاء في يؤمنون خطابا للكفار .

١١٠ ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ نحولها عن الحق فلا يفهمونه لأنهم تركوا طريق الفهم ﴿وابصارهم﴾ عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون ﴿كما لم يؤمنوا به﴾ اي بما أنزل من الآيات ﴿أول مرة ونذرهم﴾ نتركهم ﴿في طغيانهم﴾ ضلالتهم ﴿يعمهون﴾ حال اي يترددون .

١١١ ﴿ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى﴾ كما اقترحوا ﴿وحشرنا﴾ جمعنا ﴿عليهم كل شيء قبلا﴾ بضمتين جمع قبيل اي فوجا فوجا وقريء بكسر القاف وفتح الباء اي معاينة فشهدوا بصدقك ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ لما سبق في علم الله ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن يشاء الله﴾ ايمانهم فيؤمنوا ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ ذلك .

١١٢ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه ﴿شياطين﴾ مردة ﴿الانس والجن يوحي﴾ يوسوس ﴿بعضهم الى بعض زخرف القول﴾ مموهة من الباطل ﴿غرورا﴾ اي ليغروهم ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ اي الايحاء المذكور ﴿فذرهم﴾ دع الكفار ﴿وما يفترون﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم .

١١٣ ﴿ولتصغى﴾ عطف على غرورا أي تميل ﴿اليه﴾ اي الزخرف ﴿أفئدة﴾ قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا﴾ يكتسبوا ﴿ما هم مقترفون﴾ من الذنوب فيعاقبوا عليه . ثم ان عداوة بين جانبين تقتضي حكما بينهما والحكم اما بالعدل وهو حكم الله واما بالزخرف من الشياطين فالكفار يميلون الى الزخرف وقل أنت يا محمد لهم .

١١٤ ﴿أفغير الله أبتغي﴾ اطلب ﴿حكما﴾ قاضيا بيني وبينكم ﴿وهو الذي أنزل اليكم الكتاب﴾ القرآن ﴿مفصلا﴾ مبينا فيه الحق من الباطل ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ التوراة والانجيل ﴿يعلمون أنه﴾ اي القرآن الذي يخاصمونك فيه ويعادونك لاجله ﴿منزل﴾ بالتشديد وقريء بالتخفيف ﴿من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين فيه والمراد التقرير للكفار أنه حق بشهادة علم أهل الكتاب بحقيقته والخطاب المقصود به غيره ﷺ اذ لا يمكن أن يتطرق له شك في حقيقة ما جاء به مع أن غيره من أهل الكتاب يعلم صدقه يقينا :

١١٥ ﴿وتمت كلمت ربك﴾ بالاحكام والمواعيد بافراد الكلمة وقريء بالجمع ﴿صدقا وعدلا﴾ تمييز ﴿لا مبدل لكلماته﴾ بنقص أو خلف أو تحريف وهو وعد من الله بحفظ القرآن كقوله

ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ
إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا
ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا
مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ
وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟
يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ
وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ
لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

١٨٣

تعالى «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون». أو لا نبي ولا كتاب بعده ينسخه ﴿وهو﴾ اي الله ﴿السميع﴾ لما يقال ﴿العليم﴾ بالاحوال فلا يفوته شيء.

١١٦ ﴿وان تطع أكثر من في الارض﴾ اي الكفار الخطاب له ﷺ والمقصود غيره ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ دينه ﴿إن﴾ ما ﴿يتبعون الا الظن﴾ في مجادلتهم لك فيما تدعوهم اليه من الدين مثل مجادلتهم في أمر الميتة اذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وان﴾ ما ﴿هم الا يخرصون﴾ يقدرون بالتخمين في ذلك.

١١٧ ﴿ان ربك هو أعلم﴾ اي عالم ﴿من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيجازي كلا منهم.

لما نهى تعالى عن اتباع المضلين وأدحض حججهم في مخاصمة رسوله ﷺ وأثبت أنه الحق ولا مبدل لكلماته فأمر المومنين باتباعها وخص منها بالذكر أكل ما ذبح وما يقال عند الذبح فقال:

١١٨ ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ اي ذبح على اسمه ﴿ان كنتم بآياته مؤمنين﴾.

١١٩ ﴿وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ تأكيد لاباحة ما ذبح على اسم الله من الذبائح ﴿وقد فصل﴾ بالبناء للفاعل اي بيّن الله وللمفعول في الفعلين ﴿لكم ما حرم عليكم﴾ في آية «حرمت عليكم الميتة» في المائدة ﴿الا ما اضطررتم اليه﴾ منه فهو أيضا حلال لكم حال الضرورة المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرم أكله وهذا ليس منه ﴿وان كثيرا ليضلون﴾ بضم الياء الناس وبفتحها ﴿بأهوائهم﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بغير علم﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ المتجاوزين الحلال الى الحرام.

١٢٠ ﴿وذروا﴾ اتركوا ﴿ظاهر الاثم وباطنه﴾ علانيته وسره والاثم قيل الزنا وقيل كل معصية ﴿ان الذين يكسبون الاثم سيجزون﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يقترفون﴾ يكسبون.

١٢١ ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ بأن مات او ذبح على اسم غيره والا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمدا أو نسيانا فهو حلال في النسيان اتفاقا وفي العمد على المشهور وعليه ابن عباس والشافعي ﴿وانه﴾ اي الأكل منه ﴿لفسق﴾ خروج عما يحل ﴿وان الشياطين ليوحون﴾ يوسوسون ﴿الى اوليائهم﴾ الكفار ﴿ليجادلوكم﴾ في تحليل الميتة ﴿وان أطعتموهم﴾ فيه ﴿انكم لمشركون﴾ لأن من أحل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما أحل الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة فهو مشرك لأنه اثبت حاكما غير الله ومن كان كذلك فهو مشرك وقيل فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك.

ثم مثل صفة المؤمن الذي جاءته أحكام من الله فآمن بها واتبعها وصفة الكافر الذي يتبع زخارف نفسه فقال:

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ
فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا
كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ
ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾
فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن
يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا

١٨٣

١٢٢ ﴿أو من كان ميتا﴾ بالكفر ﴿فاحييناه﴾ بالهدى ﴿وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الايمان وآيات الله وأحكامه ﴿كمن مثله﴾ صفته حال كونه ﴿في الظلمات﴾ ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة وزخارف هواه وهو ﴿ليس بخارج منها﴾ اي الظلمات ؟ والجواب لا يستويان اي لا يستوي المؤمن الذي يتبع أحكام الله والكافر الذي يتخبط في زخارف القول ﴿كذلك﴾ كما زين للمؤمنين الايمان واتباع احكامه ﴿زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ من الكفر والمعاصي .

١٢٣ ﴿وكذلك﴾ كما بين حكم الفرد في الايمان واتباع احكامه والكفر واتباع زخارفه ﴿جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ لعداوتهم لاهل الله والصد عن الايمان مثل عداوة قريش لك يا محمد ولأتباعك ﴿وما يمكرون الا بأنفسهم﴾ لأن وباله عليهم ﴿وما يشعرون﴾ بذلك . ومثل نوع مكرهم فقال :

١٢٤ ﴿واذا جاءتهم﴾ أكابر مجرمي كل قرية ﴿آية﴾ على صدق نبيهم واهل الايمان معه ﴿قالوا لن نؤمن﴾ به ﴿حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ قبله من الرسالة والوحي الينا لأنا أكثر منه مالا وأكبر سنا . قال تعالى ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ بالافراد وقريء بالجمع و«حيث» مفعول به لفعل دل عليه أعلم اي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها فيه وهؤلاء ليسوا أهلا لها ﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ تكبروا عن قبول الحق ﴿صغار﴾ ذل ﴿عند الله﴾ في الدنيا لأنه جزاء المتكبر ﴿وعذاب شديد﴾ النار في الآخرة أو هما جميعا في الدنيا وفي الآخرة ﴿بما كانوا يمكرون﴾ أي بسبب مكرهم برسل الله والمؤمنين أو بقولهم «لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله» واستكبروا أن يكونوا اتباع الرسل فجوزوا بالصغار والعذاب الشديد على تكبرهم .

مثل مثالا ثانيا لصفة من أراد الله هدايته اذا دعي الى الايمان وصفة من لم يرد به الهداية فقال تعالى :

١٢٥ ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام﴾ اذا دعي اليه بأن يقذف في قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث ﴿ومن يرد﴾ الله ﴿أن يضله يجعل صدره ضيقا﴾ بالتشديد وقريء بالتخفيف عن قبوله ﴿حرجا﴾ بفتح الراء مصدر بمعنى الصفة مثل عدل اي شديد الضيق وصف به مبالغة وقريء بكسرها صفة ﴿كأنما يصعد﴾ يتكلف الصعود ولا يستطيعه وفي قراءة يصاعد وفيهما ادغام التاء في الأصل في الصاد وفي أخرى بسكونها ﴿في السماء﴾ لعدم الهواء والريح في السماء يضايق صدره فلا يستطيع الصعود اذ كلما ارتفع الى السماء كلما خف الهواء والريح الضروري للحياة والنفس فيشعر بصعوبة التصاعد حتى ينعدم الهواء بالكلية فيتضايق النفس فاما ان يرجع الى الارض او يموت . ثم عقب عليه فقال : ﴿كذلك﴾ الجعل ﴿يجعل الله الرجس﴾ العذاب او الشيطان اي يسلطه ﴿على الذين لا يؤمنون﴾ فيمنعهم خيري الدنيا والآخرة .

ثم أشار الى ان الاسلام هو الطريق المستقيمة الموصلة الى الخير . وان غيره طريق معوج عن الهدى فقال :

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) * لَهُمْ دَارُ
السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ
الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا
بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ
خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)
وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ

١٢٦ ﴿وهذا﴾ الذي انت عليه يا محمد ﴿صراط﴾ طريق ﴿ربك مستقيما﴾ لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤيدة للجملة والعامل فيها معنى الاشارة ﴿قد فصلنا﴾ بينا ﴿الآيات لقوم يذكرون﴾ فيه ادغام التاء في الاصل في الذال اي يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون .

١٢٧ ﴿لهم دار السلام﴾ اي السلامة وهي الجنة ﴿عند ربهم وهو وليهم﴾ اي متولي ايصال الخير اليهم وناصرهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ اي بسبب اعمالهم الصالحة .

١٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يحشرهم﴾ يحشرهم بالياء الفاعل هو الله وقريء بالنون الخلق ﴿جميعا﴾ ويقال لهم ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس﴾ باغوائكم ﴿وقال أولياؤهم﴾ الذين أطاعوهم ﴿من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الانس لهم ﴿وبلغنا أجلنا الذي اجلت لنا﴾ وهو يوم القيامة وهذا تحاسر منهم ﴿قال﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿النار مثواكم﴾ مأواكم ﴿خالدين فيها الا ما شاء الله﴾ من الاوقات التي يخرجون من مكان الى مكان فيها لشرب الحميم وقيل انه خارجها كما قال «ثم إن مرجعهم لالى الجحيم» وعن ابن عباس انه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى «من» ﴿ان ربك حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه .

١٢٩ ﴿وكذلك﴾ كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض ﴿نولي﴾ من الولاية بمعنى الامارة اي نؤمر ونسلط ﴿بعض الظالمين بعضا﴾ اي على بعض ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي .

١٣٠ ﴿يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم﴾ اي مجموعكم اي بعضكم الصادق بالانس او رسل الجن أنذرهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أن قد بلغنا ووصل الينا ما ذكر من ارسال الرسل وانذارهم ايانا قال تعالى ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ في الدنيا . فان قيل شهدوا بالكفر هنا على أنفسهم وانكروه في قوله تعالى قيل «ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين» وذلك يظنون أولا أن الانكار ينفعهم فيدخلون الجنة مع المؤمنين فينكرون بأفواههم فحينئذ يختم عليها وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر .

ثم عقب على ما تقدم من أخبار يوم القيامة فقال :

١٣١ ﴿ذلك﴾ اي ارسال الرسل وما اشتمل عليه من الحكم ﴿أن﴾ اللام مقدرة وهي مخففة اي لأنه ﴿لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ منها ﴿وأهلها غافلون﴾ لم يرسل اليهم رسول يبين لهم .

بِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ
الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم
مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ
مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن
تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا
هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ
دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٨٥

١٣٢ ﴿ولكل﴾ من العاملين ﴿درجات﴾ جزاء ﴿مما عملوا﴾ من خير وشر ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ بالياء وقرىء بالتاء.

١٣٣ ﴿وربك الغني﴾ عن خلقه وعبادتهم وما يأمرهم به او ينهاهم عنه انما هو لمصلحة ترجع اليهم ﴿ذو الرحمة﴾ بهم ولا يشدد عليهم ويتبع بهم الطريق السهل المستقيم ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ يا أيها الناس بالاهلاك لا ينقص استئصالكم ملكه شيئا ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ من الخلق ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ لم يكونوا على مثل صفتكم بل كانوا طائعين وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون الى زمنكم أي ان يشاء يستأصلكم وينشيء خلقا جديدا بدلكم وذلك سهل عليه وقد أهلك قوما مجرمين مثلكم واستأصلهم وبدلهم بخلقكم من ذرية قوم لم يكونوا مجرمين. ولكن هو ذو الرحمة بكم فأبقاكم رحمة لكم.

١٣٤ ﴿إنما توعدون﴾ من الساعة والعذاب ﴿لآت﴾ لا محالة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ فائتين عذابه

ثم وجه تعالى الخطاب للنبي ﷺ وقال:

١٣٥ ﴿قل﴾ لهم ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم ﴿اني عامل﴾ على حالتي ﴿فسوف تعلمون من﴾ موصولة مفعول العلم ﴿تكون له عاقبة الدار﴾ اي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم ﴿إنه لا يفلح﴾ يسعد ﴿الظالمون﴾ الكافرون.

وذكر فيما يأتي من أمثلة الأحكام التي اخترعها المشركون بالخرص والتخمين ويعملون بها على غير علم ولا هدى فقال:

١٣٦ ﴿وجعلوا﴾ الكفار ﴿لله مما ذرأ﴾ خلق ﴿من الحرث﴾ الزرع ﴿والأنعام نصيبا﴾ يصرفونه الى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيبا يصرفونه الى سدنتها ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم﴾ بالفتح وقرىء بالضم ﴿وهذا لشركائنا﴾ فكانوا اذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا كما قال تعالى، ﴿فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله﴾ اي لجهته ﴿وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء﴾ بئس ﴿ما يحكمون﴾ حكمهم هذا.

١٣٧ ﴿وكذلك﴾ كما زين لهم ما ذكر (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم﴾ بالوأد وهو دفن الاناث بالحياة مخافة الفقر والعيلة والسبي وبالنحر للذكور فكان الرجل يحلف لئن ولد له كذا من الذكور لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب ﴿شركاؤهم﴾ من الجن بالرفع فاعل زين وفي قرءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الاولاد به وجر شركائهم باضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول ولا يضر واضافة القتل الى الشركاء لأمرهم به ﴿ليردوهم﴾ يهلكوهم ﴿وليلبسوا﴾ يخلطوا ﴿عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه﴾ ويقولوا انهم فعلوا ذلك بمشيئة الله وهو قول حق اريد به الباطل ليصدوهم عن التفكر في أن ذلك ضلال ﴿فذرهم وما يفترون﴾ يا محمد وسيرون سوء عاقبة فعلهم هذا.

ومن أباطيلهم التي اخترعوها واتبعوها.

وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ
اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَىٰ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ
وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا
أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً
عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي
أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ
كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ
وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ

١٣٨ ﴿وقالوا هذه﴾ تقسيم الانعام وتخصيص كل قسم بحكم ﴿أنعام وحرث حجر﴾ حرام ﴿لا يطعمها الا من نشاء﴾ من خدمة الاوثان وغيرهم من الرجال والنساء ﴿بزعمهم﴾ اي لا حجة لهم فيه ﴿وانعام حرمت ظهورها﴾ فلا تركب كالسوائب والحوامى ﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك الى الله ﴿افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ عليه.

١٣٩ ﴿وقالوا ما في بطون هذه الانعام﴾ المحرمة وهي السوائب والبحائر ﴿خالصة﴾ حلال مخصوص ﴿لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ اي النساء ﴿وان يكن ميتة﴾ بالنصب وتذكير الفعل وقرىء بالرفع وتأنيث الفعل ﴿فهم فيه شركاء سيجزيهم﴾ الله ﴿وصفهم﴾ ذلك بالتحليل والتحريم اي جزاءه (انه حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه ولأجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة.

ثم عقب على تلك الاحكام الجاهلية التي تمسكوا بها بعد الوحي والحكم بمنعها فقال :

١٤٠ ﴿قد خسر الذين قتلوا﴾ بالتخفيف وقريء بالتشديد ﴿اولادهم﴾ بالوأد والنحر ﴿سفها﴾ جهلا ﴿بغير علم وحرموا ما رزقهم الله﴾ مما ذكر من أقسام الانعام المحرمة بانواع التحريم ﴿افتراء على الله قد ضلوا﴾ عن الطريق المستقيم ﴿وما كانوا مهتدين﴾ اي الى الحق بعد ضلالهم تأكيد لما قبله.

وبعد ذكر أحكام الجاهلية وأباطيلها بين الله تبارك وتعالى امتنانه للناس بأنواع الثمرات والانعام وما يراعي فيها من حق الله فقال :

١٤١ ﴿وهو﴾ اي الله الذي رزقهم ما حرموا على أنفسهم ﴿الذي أنشأ﴾ خلق ﴿جنات﴾ بساتين ﴿معروشات﴾ مبسوطات على الارض كالبطيخ ﴿وغير معروشات﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخيل ﴿و﴾ أنشأ ﴿النخل والزرع مختلفا أكله﴾ ثمره وحب في الهيئة والطعم ﴿والزيتون والرمان متشابها﴾ ورقهما حال ﴿وغير متشابه﴾ طعمهما ﴿كلوا من ثمره اذا أثمر﴾ قبل النضج ﴿وآتوا حقه﴾ اي حق الله وهو زكاة المحصول منها ﴿يوم حصاده﴾ بالفتح وقريء بالكسر يعني يوم جذاذه وقطعه ويتعلق بافراك الزرع وطيب الثمر والعنب فيحسب ما أكل منها بعدهما وقبل الحصاد والجذاذ وبينت السنة أن المخرج من الحب والثمار العشر اذا سقي بماء السماء ونصف العشر اذا سقي بآلة ولا تخرج الزكاة مما هو دون النصاب وهو خمسة أوسق وكل وسق ستون صاعا بصاعه عليه الصلاة والسلام. فالآية مكية ووجوب العمل بها مدني ﴿ولا تسرفوا﴾ باعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿انه﴾ الله ﴿لا يحب المسرفين﴾ المتجاوزين ما حد لهم بمعنى انه لا يثيبهم في عمل السرف اذ هو من الشيطان.

حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ
الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي
بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ
اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

١٤٢ ﴿و﴾ أنشأ ﴿من الانعام حمولة﴾ صالحة للحمل عليها كالابل الكبار ﴿وفرشا﴾ لا تصلح له كالابل الصغار والغنم سميت فرشا لأنها كالفرش للارض لدنوها منها ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ طرائقه في التحريم والتحليل ﴿انه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة .

١٤٣ ﴿ثمانية أزواج﴾ أصناف بدل من حمولة وفرشا ﴿من الضأن﴾ زوجين ﴿اثنين﴾ ذكر وانثى ﴿ومن المعز﴾ بالفتح والسكون وقرىء بفتحتين ﴿اثنين قل﴾ يا محمد لمن حرم ذكور الانعام تارة واناثها أخرى ونسب ذلك الى الله ﴿آلذكرين﴾ من الضأن والمعز ﴿حرم﴾ الله عليكم ﴿أم الانثيين﴾ منهما ﴿أما اشتملت عليه أرحام الانثيين﴾ ذكرا كان أو أنثى ﴿نبئوني بعلم﴾ فيه . المعنى من أين جاء التحريم فان كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام أو الأنوثة فجميع الاناث أو اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام للانكار ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيما تزعمون .

١٤٤ ﴿ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه ارحام الانثيين أم﴾ بل ﴿كنتم شهداء﴾ حضروا ﴿إذ وصاكم الله بهذا﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك والجواب لا . بل أنتم كاذبون فيه ﴿فمن﴾ اي لا احد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بذلك ﴿ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ .

١٤٥ ﴿قل لا أجد فيما أوحي الي﴾ شيئا ﴿محرما على طاعم﴾ أيا كان من الذكور والاناث ﴿يطعمه﴾ من باب فهم رداً لأحكام الجاهلية ﴿الا أن يكون﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿ميتة﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية ﴿او دما مسفوحا﴾ مهراقا بخلاف غيره كالكبد والطحال ﴿أو لحم خنزير فانه رجس﴾ حرام ﴿أو﴾ اي الا ان يكون ﴿فسقا أهل لغير الله به﴾ اي ذبح على اسم غيره ﴿فمن اضطر﴾ الى شيء مما ذكر فاكله ﴿غير باغ ولا عاد﴾ حال كونه في الأكل غير خارج على امام ليفارق الجماعة ولا متعد على الناس في نحو قطع طريق ﴿فان ربك غفور﴾ له ما اكل ﴿رحيم﴾ به ويكره أكل كل ذي ناب من السباع عند المالكية وكل ذي مخلب من الطير عند الشافعية وحملوا الكراهة على المنع بالسنة .

غفور رحيم ﴿١٤٥﴾ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت
ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزينهم
ببغيهم وإنا لصدقون ﴿١٤٦﴾ فإن كذبوك فقل ربكم
ذو رحمة وسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴿١٤٧﴾
سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا ءاباؤنا
ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم
حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا
إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴿١٤٨﴾ قل فلله
الحجة البلغة فلو شاء لهدىكم أجمعين ﴿١٤٩﴾ قل هلم
شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا
فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بايتنا

وبعد ان بين تعالى ما حرم على المسلمين من اللحوم والحيوان عطف عليه ما حرم على اليهود خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين فقال تعالى :

١٤٦ ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ وهو ما لم يفرق أصابعه كالابل والنعام والاوز والبط وقال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾ الثروب وشحم الكلى ﴿الا ما حملت ظهورهما﴾ اي ما علق بها منه ﴿أو﴾ حملته ﴿الحوايا﴾ الامعاء جمع حاوياء وحاوية ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ منه هو شحم الالية فانه أحل لهم ﴿ذلك﴾ التحريم ﴿جزيناهم﴾ به ﴿ببغيهم﴾ بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء من قوله «فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله» الى أن قال «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات» الخ فكانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي عوقبوا بتحريم الشيء مما أحل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون أنها لم تزل محرمة على الامم قبلهم فكذبهم الله بهذا وحذر المسلمين أن يقتدوا بهم في ارتكاب المنهيات فانه يسلب النعمة ﴿وانا لصادقون﴾ في اخبارنا ومواعيدنا .

وعقب عليه وقال :

١٤٧ ﴿فان كذبوك﴾ يا محمد فيما جئت به ﴿فقل﴾ لهم ﴿ربكم ذو رحمة واسعة﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم الى الايمان ﴿ولا يرد بأسه﴾ عذابه اذا جاء ﴿عن القوم المجرمين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على التسجيل عليهم بذلك والاصل لا يرد بأسه عنكم اذا جاء.

ولما لزمت المشركين الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرم أخبر الله عنهم بما سيقولونه عنادا فقال :

١٤٨ ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ فاشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى ﴿كذلك﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ رسلهم ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿قل هل عندكم من علم﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فتخرجوه لنا﴾ اي لا علم عندكم ﴿ان﴾ ما ﴿تتبعون﴾ في ذلك ﴿الا الظن وان﴾ ما ﴿أنتم الا تخرصون﴾ تخمنون وتقولون كذبا فيه .

١٤٩ ﴿قل﴾ ان لم تكن لكم حجة ﴿فلله الحجة البالغة﴾ التامة ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهداكم أجمعين﴾ فالمنفي في الخارج هداية الكل والا فقد هدى بعضهم .

١٥٠ ﴿قل هلم﴾ احضروا ﴿شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ الذي حرمتموه ﴿فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ يشركون .

ولما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموه من ان الله

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾
۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ
نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

أمرهم بتحريم ما حرموا على أنفسهم فكأنهم سألوه وقالوا أي شيء حرم الله علينا وعلم نبيه محمدا ﷺ ان يخبرنا فاجاب بقوله تعالى :

١٥١ ﴿قل تعالوا أتل﴾ أقرأ ﴿ما حرم ربكم عليكم﴾ عنه اي وما أمركم به ﴿أن﴾ مفسرة ﴿لا تشركوا به شيئا و﴾ أحسنوا ﴿بالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم﴾ بالوأد والنحر ﴿من﴾ أجل ﴿املاق﴾ فقر تخافونه أو لنذر نذرتموه ﴿نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش﴾ الكبائر كالزنا ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ اي علانيتها و سرها ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق﴾ كالقود والحد وقتل الردة ورجم المحصن ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿وصاكم به﴾ أمركم به ﴿لعلكم تعقلون﴾ اي تستعملون عقولكم تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة وتفهمون فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا .

١٥٢ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي﴾ اي بالخصلة التي ﴿هي أحسن﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حتى يبلغ اشده﴾ بان يحتلم ويصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه والاشد استحكام قوة الشباب والسن أوله الاحتلام وانتهاؤه الى الثلاثة والثلاثين . ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لا نكلف نفسا الا وسعها﴾ طاقتها في ذلك فان أخطأ في الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد في حديث ﴿واذا قلتم﴾ في حكم أو شهادة أو غيرهما ﴿فاعدلوا﴾ بالصدق ﴿ولوكان﴾ المقول له أو عليه ﴿ذا قربى﴾ قرابة ﴿وبعهد الله﴾ مضاف لفاعله اي ما عهد الله اليكم من الامور المعدودة أو مفعولة أي ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وغيره وما جعله الله من العهود فيما بينكم ﴿أوفوا ذلكم وصاكم به﴾ اي امركم به ﴿لعلكم تذكرون﴾ بالتخفيف وقريء بالتشديد في الامور الخمسة الاولى قال «لعلكم تعقلون» لأنها ظاهرة وفي الأربعة الاخيرة قال «لعلكم تذكرون» لانها خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد والذكر الكثير حتى يقف المكلف فيها على موقف الاعتدال .

ثم عقب بعد هذه الوصايا الحكيمة التي أمر الله بها عباده ونهاهم عن ارتكاب أضدادها فقال :

١٥٣ ﴿وأن﴾ بالفتح على تقدير اللام وقريء بالكسر استئنافا ﴿هذا﴾ الذي وصيتكم به أو جميع ما في السورة من اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة ﴿صراطي مستقيما﴾ حال ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ الطرق المخالفة له ﴿فتفرق﴾ فيه حذف حدى التاءين وأنتم معها وبميل ﴿بكم عن سبيله﴾ دينه القويم وهو الاسلام روى الدارقطني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا ثم قال «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ثم قال «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعون اليها» ثم قرأ هذه الآية . وهذه السبل تعم اليهودية والمجوسية والنصرانية وسائر أهل الملل وأهل البدع وأهل الضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلمات وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد قاله ابن عطية . ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ كرر التوصية على سبيل التوكيد ولما كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكليف وأمر تعالى باتباعه ونهى عن السبل السيئة ، ختم ذلك بالتقوى التي هي اتقاء النار ، اذ من اتبع صراطه نجا النجاة الابدية وحصل على السعادة السرمدية .

ثم بين تعالى أن هذه التوصية قديمة لم يزل يتواصاها كل أمة على لسان نبيها ويجعلها كتابا كما هي منزلة لكم أيها المكلفون من أمة محمد ﷺ .

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ
طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾
أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى
ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟
يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ
أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى
بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

١٥٤ ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ وسميناه التوراة وثم لترتيب الأخبار ﴿تماما﴾ للنعمة ﴿على الذي أحسن﴾ بالقيام به ﴿وتفصيلا﴾ بيانا ﴿لكل شيء﴾ يحتاج اليه في الدين ﴿وهدى ورحمة لعلهم﴾ اي أتباع موسى وهم بنو اسرائيل ﴿بلقاء ربهم﴾ بالبعث ﴿يؤمنون﴾ متعلق بلقاء وقدم عليه للفاصلة .

١٥٥ ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب﴾ من نوع التوراة المذكورة ﴿أنزلناه مبارك﴾ كثير النفع دنيا وأخرى أي يزيد على التوراة بالبركة ﴿فاتبعوه﴾ أيها المكلفون بالعمل بما فيه ﴿واتقوا﴾ به الكفر والمعاصي ﴿لعلكم ترحمون﴾ . أنزلناه .

١٥٦ ﴿أن﴾ لا ﴿تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين﴾ اليهود والنصارى ﴿من قبلنا وان﴾ مخففة واسمها محذوف أي انا ﴿كنا عن دراستهم﴾ قراءة معلوماتهم ﴿لغافلين﴾ لعدم معرفتنا لها اذ ليست بلغتنا .

١٥٧ ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب﴾ كما انزل عليهم ﴿لكنا أهدى منهم﴾ الى الحق لجودة أذهاننا ﴿فقد جاءكم بينة﴾ بيان أبين مما في كتبهم ﴿من ربكم وهدى ورحمة﴾ لمن اتبعه ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله﴾ في القرآن الذي هو هدى ورحمة فأعرض عنه تكذيبا له ﴿وصدف عنها﴾ فلا اظلم ممن فعل ذلك فمنع الخيرات عن نفسه وعمن اتبع طريقه ﴿سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب﴾ اي أشده ﴿بما كانوا يصدفون﴾ .

١٥٨ ﴿هل ينظرون﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿الا ان تأتيهم﴾ بالتاء قرىء بالياء ﴿الملائكة﴾ لقبض أرواحهم ﴿او يأتي ربك﴾ اي أمره أو اتيانا الهيا لا نعرف كيفيته وهو أسلم من تقدير ما لم يرد به علم ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ اي علاماته الدالة على الساعة ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين ﴿لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ الجملة صفه نفس اي نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من المغرب لا تنفعها أيمانها بعد ذلك ﴿أو﴾ نفسا مؤمنة عاصية لم تكن ﴿كسبت في ايمانها خيرا﴾ طاعة اي لا

تنفعها توبتها كما في الحديث روي عن صفوان بن عسال المرادي قال رسول الله ﷺ «باب من قبل المغرب مسيرة عرضه أو قال يسير الراكب في عرضه اربعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه» . أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي كتاب الاشاعة في أشراط الساعة ما نصه : ومن الاشراط العظام طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وهذان أيهما سبق الآخر على أثره

مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا
مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن
جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾
قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ
إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ
صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾
لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾
قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

فان طلعت الشمس قبل خرجت الدابة ضحى يومها أو قريبا من ذلك وان خرجت الدابة قبل طلعت الشمس من الغد ﴿قل انتظروا﴾ أحد هذه الأشياء ﴿انا منتظرون﴾ ذلك فيه تهديد على حد «اعملوا ما شئتم» وذلك لانهم لا ينتظرون ما ذكر لانكارهم للبعث وما بعده وانا منتظرون ذلك بكم لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وحسنها لنا .

ولما بين الله تعالى أن سبيله المستقيم واحد وان هناك سبلا منع المسلمين من اتباعها فتفرق بهم عن سبيله ذكر فيما يأتي أن الذين اتبعوا تلك السبل فرقوا دينهم بها فليسوا على هدى فقال تعالى :

١٥٩ ﴿ان الذين فرقوا دينهم﴾ باختلاف فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا في ذلك وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم أهل البدع وطرق الضلال ممن يدعون الاسلام يتبعون الهوى ويضعفون المسلمين بتفريق كلمتهم واضلالهم عن طريق الهدى والرحمة روى أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله ﷺ فقال : ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ «ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي» .اخرجه الترمذي . ﴿لست منهم في شيء﴾ اي أنت منهم بريء وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست مني أي كل واحد بريء من صاحبه ﴿انما أمرهم الى الله﴾ يتولاه ﴿ثم ينبئهم﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يفعلون﴾ فيجازيهم به فانهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهره لهم على رؤوس الاشهاد .

وبعد ذكر أهل الضلال والبدع وما سيجازون به يوم القيامة أتبعه ببيان قدر جزاء العاملين على التقوى وتوحيد كلمة المسلمين فقال :

١٦٠ ﴿من جاء بالحسنة﴾ فهي كل ما حسنته الشريعة على وفق الكتاب والسنة قولا أو فعلا أو هما معا ﴿فله عشر أمثالها﴾ اي جزاء عشر حسنات ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ فهي كل ما رأته الشريعة قبيحا ﴿فلا يجزى الا مثلها﴾ اي جزاءه ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من جزائهم شيئا .

ثم شرح معنى الدين الاسلامي الحق الذي أمر تعالى نبيه أن يدعو الناس اليه حتى يتبين لمن أراد رشده حقيقته ويضل من اراد الضلالة بلا التباس فقال :

١٦١ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿انني هداني ربي الى صراط مستقيم﴾ ويبدل من محله ﴿دينا قيما﴾ مستقيما اي عرفني دينا قيما ﴿ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ لم يكن ابراهيم منهم قط .

١٦٢ ﴿قل ان صلاتي ونسكي﴾ عبادتي من حج وغيره ﴿ومحياي﴾ حياتي بفتح الياء وقرىء بسكونها ﴿ومماتي﴾ بسكون الياء وقرىء بفتحها اي موتي ﴿لله رب العلمين﴾ .

١٦٣ ﴿لا شريك له﴾ في ذلك ﴿وبذلك﴾ التوحيد ﴿أمرت وانا أول المسلمين﴾ المنقادين لأمر الله من هذه الأمة اي أول من يسارع الى الامتثال لاوامره . ليس من خصائصه بل الكل مأمورون به يقتدى بمن أسلم منهم .

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(٧) سُورَةُ الأَعْرَافِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ

١٦٤ ﴿قل أغير الله أبغي رباً﴾ إلهاً أي لا أطلب غيره ﴿وهو رب كل شيء﴾ اي مالكه ﴿ولا تكسب كل نفس﴾ ذنباً ﴿إلاّ عليها ولا تزر﴾ تحمل نفس ﴿وازرة﴾ آثمة ﴿وزر﴾ نفس ﴿أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾

١٦٥ ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الارض﴾ جمع خليفة اي يخلف بعضكم بعضا فيها ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ بالمال والجاه والشرف والقوة والعلم وغيرها ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ أعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿ان ربك سريع العقاب﴾ لمن عصاه ﴿وانه لغفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم وفي الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة وأكده باللام وجعل خبر ان السابقة صفة جارية على غير من هي له للتنبيه على انه تعالى غفور رحيم مغفرة ورحمة مبالغاً فيهما وعلى انه معاقب بالعرض مسامح في العقوبة اي مغفرته ورحمته لا تتوقف على شيء وعقابه لا يكون الا بعد صدور ذنب .

وقد اشتمل آخر هذه السورة على ما تضمنته من اثبات التوحيد والنبوة والرسالة وكمال القدرة والعلم والحكمة كما اختتمت بما ابتدأت به من صفاته تعالى والحمدلله رب العالمين .

﴿ سورة الأعراف ﴾

وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد «ص» فهي كباقي السور المكية بوجه عام تعالج مواضيع العقيدة . وموضوعها الرئيسي هو انذار من يتولون غير الله ، بهلاك الدنيا وعذاب الآخرة وأن الحق والباطل دائما في صراع .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿المص﴾ الله اعلم بمراده بذلك .

٢ هذا ﴿كتاب أنزل اليك﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فلا يكن في صدرك حرج﴾ ضيق ﴿منه﴾ ان تبلغه مخافة ان تكذب ﴿لتنذر﴾ متعلق بانزل اي للانذار ﴿به وذكرى﴾ تذكرة ﴿للمؤمنين﴾ به اذ هم المنتفعون به . وقل لهم ..

٣ ﴿اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم﴾ اي القرآن ﴿ولا تتبعوا﴾ تتخذوا ﴿من دونه﴾ الله اي لا تتخذوا غيره ﴿أولياء﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قليلا ما تذكرون﴾ بالتاء والياء اي تتعظون وفيه ادغام التاء في الاصل في الذال وفي قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة .

٤ ﴿وكم﴾ خبرية مفعول به ﴿من قرية﴾ اريد اهلها ﴿اهلكناها﴾ اردنا اهلاكها فانذرناها فأبوا ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتا﴾ ليلا ﴿أو هم قائلون﴾ نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم اي مرة جاءها ليلا ومرة نهارا .

إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾
فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم
بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ
خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ
مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ

٥ ﴿فما كان دعواهم﴾ قولهم ﴿اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين﴾ انفسنا باعراضنا عن الايمان .

٦ ﴿فلنسألن الذين أرسل اليهم﴾ اي الامم عن اجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿ولنسألن المرسلين﴾ عن الابلاغ .

٧ ﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوا ﴿وما كنا غائبين﴾ عن ابلاغ الرسل والامم الخالية فيما عملوا .

٨ ﴿والوزن﴾ للاعمال او لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في الحديث . كائن ﴿يومئذ﴾ اي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿الحق﴾ الثابت او العدل نعت الوزن ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالحسنات ﴿فاولئك هم المفلحون﴾ الفائزون .

٩ ﴿ومن خفت موازينه﴾ بالسيئات ﴿فاولئك الذين خسروا انفسهم﴾ بتصييرها الى النار ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ يجحدون اذ جحد الحق ظلم .

ثم بعد ان ذكر الامر باتباع ما انزل من الله والنهي عن اتباع غيره و بين ان مخالفة ذلك يعقب الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة يذكر فيما يأتي ما افاض على الناس من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في امتثال الامر واجتناب النهي فقال :

١٠ ﴿ولقد مكناكم﴾ يا بني آدم ﴿في الارض وجعلنا لكم فيها معايش﴾ بالياء اي اسبابا تعيشون بها جمع معيشة ﴿قليلا ما﴾ لتاكيد القلة ﴿تشكرون﴾ على ذلك اي من النعم التي انعمنا عليكم ان مكنا لكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش وان كنتم لا تشكرون الا قليلا جدا .

١١ ﴿ولقد خلقناكم﴾ اي أباكم آدم ﴿ثم صورناكم﴾ صورناكم وانتم في ظهره اي ومن النعم التي انعمنا عليكم خلق ابيكم آدم ثم تصويره على الصورة الحسنة وتصويركم كذلك على الشكل الذي انتم عليه ولم نجعل صورتكم مثل صور باقي الحيوانات ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية بالانحناء.وتشريف الاب تشريف للابناء وذلك من النعم ﴿فسجدوا الا ابليس﴾ اي سجد الملائكة كلهم الا ابليس ﴿لم يكن من الساجدين﴾ .

١٢ ﴿قال﴾ تعالى لابليس ﴿ما منعك﴾ امتثال الامر مثل الملائكة وجعلك ﴿ألا تسجد اذ﴾ حين ﴿امرتك قال﴾ ابليس اللعين ﴿أنا خير منه﴾ آدم ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ والنار خير من الطين لانها جسم نوراني وقد اخطأ طريق الصواب لان النار فيها الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب واما الطين فشأنه الرزانة .والصبر والحلم والتثبت وفي الطين سبب الحياة وفي النار سبب الهلاك .

١٣ ﴿قال﴾ الله تعالى لابليس ﴿فاهبط منها﴾ اي من الجنة وقيل من السموات ﴿فما يكون﴾ ينبغي ﴿لك ان تتكبر فيها

مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ
لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ
لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾
وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾
فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن
سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن
تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ
إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا

فاخرج﴾ منها ﴿انك من الصاغرين﴾ الذليلين فجزاء التكبر التذليل . والمتكبر لا يلين عن العداوة بل يتفكر في وجود الانتقام.

١٤ ﴿قال﴾ ابليس يطلب من الله ان يمد في عمره لينتقم من آدم الذي هو سبب هلاكه ﴿أنظرني﴾ اخرني ﴿الى يوم يبعثون﴾ أي بني آدم .

١٥ ﴿قال﴾ الله تعالى له ﴿انك من المنظرين﴾ وفي آية أخرى «الى يوم الوقت المعلوم» اي وقت النفخة الاولى . فلما علم ابليس بتأخير عمره المطلوب .

١٦ ﴿قال فبما أغويتني﴾ اي باغوائك اياى والباء للقسم وجوابه ﴿لأقعدن لهم﴾ اي لبني آدم ﴿صراطك المستقيم﴾ اي طريق الوصول اليك .

١٧ ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ اي اتوجه اليهم بالأغواء ﴿ وعن إيمانهم وعن شمائلهم ﴾ لا يأتى من ايمانهم ولا من شمائلهم لوجود الملائكة الكتبة ، وعن للنفي وقال ابن عباس ولا يستطيع ان يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى وكذلك لا يأتي من تحتهم. ايضا اما لانه متكبر فيحب العلو واما الاتيان منها ينفر ويفزع الماتي وهو يحب تاليفه لا تنفيره ﴿ ولا تجد اكثرهم شاكرين ﴾ لما انعمت عليهم فلا يؤمنون بك ولا يمتثلون امرك .

١٨ ﴿قال﴾ تعالى لابليس ﴿اخرج منها مذؤما﴾ بالهمزة معيبا او ممقوتا ﴿مدحورا﴾ مبعدا عن الرحمة ﴿لمن تبعك منهم﴾ من الناس واللام للابتداء او موطئة للقسم وهو ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ اي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية اي من تبعك اعذبه .

وفيما يأتي من القصة ذكر نعمة الله لآدم باسكانه هو وزوجته في الجنة وان الاصغاء لنصيحة العدو تخرج الانسان من النعمة او تسبب العصيان المسبب للخروج من النعمة وان التوبة ترد ما فات من النعم .

١٩ ﴿ويا آدم اسكن انت ﴾ تا كيد للضمير في اسكن فيعطف عليه ﴿وزوجك﴾ حواء بالمد ﴿الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ بالاكل منها وهي الحنطة ﴿فتكونا من الظالمين﴾ لانفسكما لتسببكما ما يخرجكما من النعمة التي تتمتعان بها في الجنة .

٢٠ ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ ابليس ﴿ليبدى﴾ يظهر ﴿لهما ما ووری﴾ فوعل من المواراة اي غطي وستر ﴿عنهما من سوآتهما﴾ وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا﴾ كراهة ﴿ان تكونا ملكين﴾ بالفتح وقرىء بكسر اللام ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ اي وذلك لازم عن الاكل منهما كما في آية أخرى «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» وهذا يوافق قراءة ملكين بالكسر.

٢١ ﴿وقاسمهما﴾ اي اقسم لهما بالله حتى قبلا منه ﴿اني لكما لمن الناصحين﴾ في ذلك .

ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا
ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ
وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ
أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾
يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ
ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ
هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

٢٢ ﴿فدلاهما﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بغرور﴾ منه ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ اي تناولا منها شيئا يسيرا ﴿بدت لهما سوءاتهما﴾ ظهرت اي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منهما سوءه لان انكشافه يسوء صاحبه ﴿وطفقا يخصفان﴾ اخذا يلزقان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ ليسترا به ﴿وناداهما ربهما﴾ وقال ﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ بين العداوة والاستفهام للتقرير.

٢٣ ﴿قالا ربنا ظلمنا انفسنا﴾ بمعصيتنا ﴿وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ .

٢٤ ﴿قال اهبطوا﴾ اي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما اهبطوا الى الارض ﴿بعضكم﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ من ظلم بعضكم بعضا ﴿ولكم في الارض مستقر﴾ مكان استقرار ﴿ومتاع﴾ تمتع ﴿الى حين﴾ تنقضي فيه آجالكم .

٢٥ ﴿قال فيها﴾ اي الارض ﴿تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول ثم عقب القصة بما يأتي فقال :

٢٦ ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا﴾ اي خلقنا لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها كالمطر للقطن والكتان والصوف وغيرهـا لباسا تشابه لباس ابويكـم في الجنة ﴿يواري﴾ يستر في الدنيا ﴿سوآتكم وريشا﴾ هو ما يتجمل به من الثياب ﴿ولباس التقوى﴾ العمل الصالح والسمت الحسن الذي يقيكم من العذاب ﴿ذلك خير﴾ من اتباع الشيطان الذي يكشف عن عورتكم او لباس التقوى الذي يوافق الشريعة ذلك خير من ثوب الخيلاء الذي يكشف عن الكبر وسوء الطوية . ﴿ذلك﴾ البيان من قصة خروج آدم من الجنة ونزع اللباس عنه وعن زوجته لارتكابهما ما نهيا عنه وبيان ان العمل يشابه الثوب في ستر عورة صاحبه في الدنيا ﴿من آيات الله﴾ دلائل قدرته ﴿لعلهم يذكرون﴾ فيؤمنون فيه التفات عن الخطاب . ثم ذكر تعقيبا آخر لقصة آدم تحذيرا لبنيه فقال :

أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟
وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ
رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ
وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾
۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ
مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ

٢٧ ﴿يا بني آدم لا يفتننكم﴾ يضلنكم ﴿الشيطان﴾ اي لا تتبعوه فتفتنوا فيخرجكم من نعمة ربكم ﴿كما أخرج أبويكم﴾ بفتنته ﴿من الجنة ينزع﴾ حال ﴿عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه﴾ اي الشيطان ﴿يراكم هو وقبيله﴾ جنوده والقبيل الجماعة ثلاثة فصاعدا من قوم شتى ﴿من حيث لا ترونهم﴾ للطافة اجسادهم او عدم ألوانهم ﴿انا جعلنا الشياطين أولياء﴾ اعوانا وقرناء ﴿للذين لا يؤمنون﴾ بالله وبأحكامه .

٢٨ ﴿واذا فعلوا فاحشة﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها او كل ذنب مما يخالف الدين الحق اذا نهوا عنه ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ فاقتدينا بهم ﴿والله أمرنا بها﴾ ايضا اي احتجوا بأمرين تقليد الاباء والافتراء على الله . ﴿قل﴾ لهم ﴿ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أنه قاله استفهام انكار .

وبعد أن أنكر عليهم الاقتداء بالآباء على الباطل والافتراء على الله دعاهم الى الحق وقال .

٢٩ ﴿قل﴾ لهم ﴿أمر ربي بالقسط﴾ العدل ﴿وأقيموا﴾ معطوف على معنى بالقسط اي قال أقسطوا وأقيموا ﴿وجوهكم عند كل مسجد﴾ اي اخلصوا له سجودكم ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿كما بدأكم﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئا ولم يكن هناك ارتباط بآباء ولا ابناء ﴿تعودون﴾ اي يعيدكم احياء يوم القيامة .

٣٠ ﴿فريقا﴾ منكم ﴿هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ اي غيره برغم الاقتداء بالآباء ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ .

٣١ ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم﴾ ما يستر عورتكم ﴿عند كل مسجد﴾ اي عند الصلاة والطواف ﴿وكلوا واشربوا﴾ ما شئتم ﴿ولا تسرفوا﴾ بتحريم الحلال أو بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الطعام ﴿انه﴾ الله ﴿لا يحب المسرفين﴾ اي لا يجازيهم على الاسراف بالحسنة وكانت العرب في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ويحرمون على انفسهم في ايام الحج اللحم والدسم فانكر الله عليهم ذلك وقال :

٣٢ ﴿قل﴾ انكارا عليهم ﴿من حرم زينة الله التي اخرج لعباده﴾ من اللباس ﴿والطيبات﴾ المستلذات ﴿من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ بالاستحقاق وان شاركهم فيها غيرهم ﴿خالصة﴾ خاصة بهم بالنصب وقرىء بالرفع على تقدير هي

يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ
أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

﴿يوم القيامة كذلك نفصل الآيات﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لقوم يعلمون﴾ يتدبرون فانهم المنتفعون بها .

٣٣ ﴿قل انما حرم ربي الفواحش﴾ الكبائر كالزنا ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ اي جهرها وسرها ﴿والاثم﴾ المعصية ﴿والبغي﴾ على الناس ﴿بغير الحق﴾ هو الظلم ﴿وان تشركوا با لله ما لم ينزل به﴾ باشراكه ﴿سلطانا﴾ حجة ﴿وان تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره .

واذا كان الامر بالتحليل والتحريم بيد الله وحده فكذلك اجل الانسان في انتهاء عمره أو أجل أمة من الناس في انتهاء أمرها بيد الله وحده فمن شاء فليؤمن بالله ويتبع طريقه ومن شاء فليكفر ويتبع طريق الشيطان حتى يأتيه أجله ويندم حيث لا ينفع الندم .

٣٤ ﴿ولكل أمة أجل﴾ مدة ﴿فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ عليه .

٣٥ ﴿يا بني آدم إما﴾ فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة ﴿يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى﴾ الشرك ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة .

٣٦ ﴿والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا﴾ تكبروا ﴿عنها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

٣٧ ﴿فمن﴾ أي لا احد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك والولد اليه او حكم بتحليل او تحريم ونسبته الى الله ﴿أو كذب بآياته﴾ القرآن ﴿أولئك ينالهم﴾ يصيبهم ﴿نصيبهم﴾ حظهم ﴿من الكتاب﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الاجل وغيره ﴿حتى اذا جاءتهم رسلنا﴾ اي الملائكة ﴿يتوفونهم قالوا﴾ لهم ﴿اين ما كنتم تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله قالوا ضلوا﴾ غابوا ﴿عنا﴾ فلم نرهم ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ عند الموت ﴿أنهم كانوا كافرين﴾ .

كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم
مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ
ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ
فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا
لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ
ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾
لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ

٣٨ ﴿قال﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ادخلوا في﴾ جملة ﴿أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار﴾ متعلق بادخلوا ﴿كلما دخلت أمة﴾ النار ﴿لعنت اختها﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حتى اذا اداركوا﴾ تلاحقوا ﴿فيها جميعا قالت اخراهم﴾ وهم الاتباع ﴿لاولاهم﴾ اي لاجل اولاهم وهم المتبعون ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا﴾ مضعفا ﴿من النار قال﴾ تعالى ﴿لكل﴾ منكم ومنهم ﴿ضعف﴾ عذاب مضعف ﴿ولكن لا يعلمون﴾ بالياء والتاء ما لكل فريق .

٣٩ ﴿وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل﴾ لانكم لم تكفروا بسببنا فنحن وانتم سواء قال تعالى لهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ .

٤٠ ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا﴾ تكبروا ﴿عنها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لا تفتح لهم ابواب السماء﴾ اذا عرج بارواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه الى السماء السابعة كما ورد في الحديث ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج﴾ يدخل ﴿الجمل﴾ الحبل الغليظ ﴿في سم الخياط﴾ ثقب الابرة وهو غير ممكن فكذلك دخولهم ﴿وكذلك﴾ الجزاء المذكور ﴿نجزى المجرمين﴾ الكفار .

٤١ ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وكذلك نجزى الظالمين﴾ .

٤٢ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ مبتدأ وقوله ﴿لا نكلف نفسا الا وسعها﴾ طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ دائمون .

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا
لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ
رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ
أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ
ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا
حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ
وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا
وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ

٤٣ ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تجري من تحتهم﴾ تحت قصورهم ﴿الأنهار وقالوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن﴾ محففة اي انه او مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ .

٤٤ ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ تقريرا وتبكيتا ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا﴾ من الثواب ﴿حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم﴾ من العذاب ﴿حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم﴾ اي نادى مناد بين الفريقين اسمعهم ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ .

٤٥ ﴿الذين يصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿ويبغونها﴾ اي يطلبونها اي السبيل ﴿عوجا﴾ معوجة ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ .

٤٦ ﴿وبينهما﴾ اي اصحاب الجنة والنار ﴿حجاب﴾ حاجز قيل هو سور الاعراف ﴿وعلى الاعراف﴾ وهو سور الجنة ﴿رجال﴾ استوت حسناتهم وسيآتهم كما في الحديث ﴿يعرفون كلا﴾ من اهل الجنة والنار ﴿بسيماهم﴾ بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم اذ موضعهم عال ﴿ونادوا اصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ قال تعالى ﴿لم يدخلوها﴾ اي اصحاب الاعراف الجنة ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها قال الحسن لم يطمعهم الا كرامة يريدها بهم . وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم .

أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾
وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ
قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ
لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾
ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن

٤٧ . ﴿وإذا صرفت ابصارهم﴾ اي اصحاب الاعراف ﴿تلقاء﴾ جهة ﴿اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا﴾ في النار ﴿مع القوم الظالمين﴾ .

٤٨ . ﴿ونادى اصحاب الاعراف رجالا﴾ من اصحاب النار ﴿يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم﴾ من النار ﴿جمعكم﴾ المال أو كثرتكم ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ اي واستكباركم عن الايمان ويقولون لهم مشيرين الى ضعفاء المسلمين .

٤٩ ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ ؟ استفهام تقرير وتوبيخ وشماتة . فقد قيل للذين اقسمتم على عدم دخولهم الجنة ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون﴾ وقرىء ادخلوا بالبناء للمفعول بصيغة الماضي ودخلوا . فجملة النفي حال اي مقولا لهم ذلك .

٥٠ ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ من الطعام ﴿وقالوا ان الله حرمهما﴾ منعهما ﴿على الكافرين﴾ .

٥١ ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ قال الله تعالى ﴿فاليوم ننساهم﴾ نتركهم في النار ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ بتركهم العمل له ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ اي كما جحدوا .

٥٢ ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ القرآن ﴿فصلناه﴾ بيناه بالاخبار والوعد والوعيد ﴿على علم﴾ حال من الفاعل اي فصلناه عالمين بعلم واما من المفعول به اي فصلناه مشتملا على علم ونكر علم تعظيما ﴿هدى﴾ حال من الهاء ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ به .

٥٣ ﴿هل ينظرون﴾ ما ينتظرون ﴿الا تأويله﴾ عاقبة ما فيه ﴿يوم يأتي تاويله﴾ هو يوم القيامة ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ اي تركوا الايمان به ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو﴾ هل ﴿نرد﴾ الى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا . قال تعالى ﴿قد خسروا انفسهم﴾ اي صاروا الى الهلاك ﴿وضل﴾ ذهب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ من دعوى الشرك .

قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن
شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ
قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ
حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ
أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا
وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ

بعد انتهاء الدرس من خلق الإنسان وما يعود اليه أمره ينتقل السياق الى عرض ما في ملكوت السموات والارض ليرد البشر بني آدم الى ربهم الذي خلق هذا الوجود ليدعوه تضرعا وخفية وانابة وخشوعا فقال تعالى .

٥٤ ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام﴾ من ايام الدنيا اي في قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهم في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثم استوى على العرش﴾ هو في اللغة سرير الملك والمراد به هنا الجسم النوراني المرتفع على كل الاجسام المحيط بكلها اي استوى عليه الله استواء يليق به تعالى ﴿يغشى الليل النهار﴾ مخففا ومشددا اي يغطي. كلا منهما بالآخر ﴿يطلبه﴾ يطلب كل منهما الآخر طلبا ﴿حثيثا﴾ سريعا ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ بالنصب عطفا على السموات وقرىء بالرفع مبتدأ خبره ﴿مسخرات﴾ مذللات ﴿بأمره﴾ بقدرته ﴿ألا﴾ تنبيه ﴿له الخلق﴾ جميعا ﴿والأمر﴾ كله ﴿تبارك﴾ تعظم ﴿الله رب﴾ مالك ﴿العالمين﴾ جميع المخلوقات العلوية والسفلية . واذا فهمتم ان ربكم الله هو مالك ما ذكر والمنفرد بالتصرف فيه .

٥٥ ف ﴿ادعوا ربكم تضرعا﴾ حال تذللا ﴿وخفية﴾ سرا ﴿ولا تعتدوا انه لا يحب المعتدين﴾ في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت .

٥٦ ﴿ولا تفسدوا في الارض﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بعد اصلاحها﴾ ببعث الرسل ﴿وادعوه خوفا﴾ من عقابه ﴿وطمعا﴾ فيما عنده من الرحمة ﴿ان رحمت الله قريب من المحسنين﴾ المطيعين المخلصين له الدعاء وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لاضافتها الى الله . وذكر من انواع الرحمة الظاهرة ما يستدل به على الباطنة ومن الدنيوية ما يستدل به على الاخروية ومن احياء الارض الميتة ما يستدل به على احياء الموتى والبعث بعد الموت فقال .

ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ
بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ
نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ
قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ
إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ

٥٧ ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته﴾ اي مبشرات قدام المطر وفي قراءة بالنون بدل الباء وبسكون الشين تخفيفا وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا ﴿حتى اذا أقلت﴾ حملت الرياح ﴿سحابا ثقالا﴾ بالمطر ﴿سقناه﴾ اي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لبلد ميت﴾ لانبات به اي لاحيائها ﴿فأنزلنا به﴾ بالبلد ﴿الماء فأخرجنا به﴾ بالماء ﴿من كل الثمرات كذلك﴾ الاخراج ﴿نخرج الموتى﴾ من القبور بالاحياء ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتؤمنون .

ثم بين فيما ياتي ان البلاد مختلفة في احوالها مثل اختلاف الناس في استجابتهم لامر الله فقال .

٥٨ ﴿والبلد الطيب﴾ العذب التراب ﴿يخرج نباته﴾ حسنا ﴿باذن ربه﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿و﴾ البلد ﴿الذي خبث﴾ ترابه ﴿لا يخرج﴾ نباته ﴿الا نكدا﴾ عسيرا بمشقة وهذا مثل للكافر . ثم قال تعالى كما بينا في ما ذكر من أن البلاد مثل الناس منها الطيب مثل المؤمن ومنها الخبيث مثل الكافر ﴿كذلك نصرف﴾ نبين ﴿الآيات لقوم يشكرون﴾ الله فيؤمنون.

لقد قال الله تعالى في اول السورة «وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون» والان يجر العقول الى مصارع قرى عصى اهلها فحق عليهم الهلاك والدمار تصديقا للنذر وهم من بني آدم الذين اخرج الشيطان ابويهم من الجنة وقيل لهم لا تتبعوا خطوات الشيطان ان الشيطان لكم عدو مبين . وأنذروا على ايدي الرسل واتبعوا الشيطان واولياءه فلاقوا شر مصير . ففي قصصهم عبرة لهذه الامة المسلمة .

بدأ بقصة نوح فقال .

٥٩ ﴿لقد﴾ جواب قسم محذوف ﴿ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره﴾ بالرفع بدل من محله وقرىء بالجر صفة لاله ﴿اني أخاف عليكم﴾ ان عبدتم غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة.

٦٠ ﴿قال الملأ﴾ الاشراف ﴿من قومه انا لنراك في ضلال﴾ جمع ضلاله ﴿مبين﴾ بين .

٦١ ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾ واحدة هي اعم من الضلال فنفيها ابلغ من نفيه ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ .

٦٢ ﴿ابلغكم﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿رسالات ربي وانصح لكم﴾ اي اريد الخير لكم ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ اي اعلم بالوحي من الله ما لا تعلمون من الامور الآتية .

٦٣ ﴿أ﴾ كذبتم ﴿وعجبتم ان جاءكم ذكر﴾ موعظة ﴿من ربكم على﴾ لسان ﴿رجل منكم لينذركم﴾ العذاب ان لم تؤمنوا ﴿ولتتقوا﴾ الله ﴿ولعلكم ترحمون﴾ بها .

٦٤ ﴿فكذبوه فانجيناه والذين معه﴾ من الغرق ﴿في الفلك﴾ السفينة ﴿واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان ﴿انهم كانوا قوما عمين﴾ عن الحق جمع عم يقال عم اذا كان اعمى البصيرة

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا
لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ
اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ
وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

غير عارف بامره واعمى اي في البصر. والفطرة اذا فسدت لا تفكر ولا تتدبر فلم يؤمنوا بالرسول فوقع عليهم عاقبة عدم الاستماع الى الانذار.

٦٥ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿الى عاد﴾ الاولى ﴿أخاهم هودا﴾ بنفس الرسالة التي ارسلنا بها نوحا الى قومه ﴿قال﴾ هود ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده ﴿ما لكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ تخافونه فتؤمنوا.

٦٦ ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك﴾ يا هود ﴿في سفاهة﴾ جهالة ﴿وانا لنظنك من الكاذبين﴾ في دعوى الرسالة.

٦٧ ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾.

٦٨ ﴿ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح أمين﴾ مأمون على الرسالة.

٦٩ ﴿أ﴾ كذبتم ﴿وعجبتم﴾ من اجل ﴿أن جاءكم ذكر من ربكم على﴾ لسان ﴿رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء﴾ في الارض ﴿من بعد قوم نوح وزادكم﴾ على ما اعطى قوم نوح ﴿في الخلق بسطة﴾ قوة وطولا ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ نعمه بالشكر عليها بالايمان بما ارسل به اليكم ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون. فكانت فطرتهم مثل فطرة من قبلهم منجمدة عن التفكر والتدبر.

٧٠ ﴿قالوا﴾ للاجابة بالاستهزاء ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر﴾ نترك ﴿ما كان يعبد آباؤنا﴾ وكأنهم استقلوا المحاورة مع هود واستعجلوا العذاب الذي ينذرهم به وقالوا ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب ﴿ان كنت من الصادقين﴾ في قولك. ومن ثم اجابهم بالامر الحاسم.

رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم
مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ (٧٢)
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ
نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوٓاْ
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا
فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)
قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ

٧١ ﴿قال قد وقع﴾ وجب ﴿عليكم من ربكم رجس﴾ عذاب ﴿وغضب﴾ من ربكم . ثم بدأ بعد ذلك يدحض الباطل الذي اثاروم وقال ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها﴾ اي سميتم بها ﴿انتم وآباؤكم﴾ اصناما تعبدونها ﴿ما نزل الله بها﴾ اي بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿فانتظروا﴾ العذاب ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ ذلك بتكذيبكم اياي فارسلت عليهم الريح العقيم .

٧٢ ﴿فانجيناه﴾ اي هوداً ﴿والذين معه﴾ من المؤمنين ﴿برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ اي استأصلناهم ﴿وما كانوا مؤمنين﴾ في مستقبلهم في علم الله .

٧٣ ﴿و﴾ على نمط من تقدم ذكرهم ارسلنا ﴿الى ثمود﴾ بترك الصرف مرادا به القبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن غابر بن نوح ﴿اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره﴾ فسألوه عن آية ناقة تخرج من جبل تكون آية على رسالته فقال ﴿قد جاءتكم بينة﴾ معجزة ﴿من ربكم﴾ على صدقي ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ حال عاملها معنى الاشارة وكانوا سألوه ان يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء﴾ بعقر او غيره ﴿فيأخذكم عذاب أليم﴾ .

٧٤ ﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء﴾ في الارض ﴿من بعد عاد وبوأكم﴾ أسكنكم ﴿في الارض تتخذون من سهولها قصورا﴾ تسكنونها في الصيف ﴿وتنحتون الجبال بيوتا﴾ تسكنونها في الشتاء ونصبه على الحال المقدرة ﴿فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾ حال مؤكد لعامله . فانهم اعطوا من النعم ما اعطي من قبلهم من عاد وزيادة آية الناقة التي سألوها . ويبدو ان الضعفاء من قومه الذين لا تربطهم عوامل مصلحية آمنوا به فاستقبلهم الرؤساء الذين يستغلون القوانين الموجودة عندهم بقصد صدهم عن اتباع قوانين جديدة .

لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً
مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ
إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ

٢٠٥

٧٥ ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ تكبروا عن الايمان به ﴿للذين استضعفوا لمن أمن منهم﴾ اي من قومه بدل مما قبله باعادة الجار ﴿أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه﴾ اليكم ﴿قالوا﴾ نعم ﴿انا بما ارسل به مؤمنون﴾ .

٧٦ ﴿قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون﴾ ولم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم ثم عمدوا الى الناقة وكانت لها يوم في الماء ولهم يوم فملوا ذلك وان كانوا يجدون منها لبنا بدل الماء .

٧٧ ﴿فعقروا الناقة﴾ عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ وهو ما بلغهم رسولهم صالح من الامر والنهي ثم استهزؤا به واستعجلوا العذاب تعجيزا له ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب على قتلها ومخالفتنا لامرك ﴿ان كنت من المرسلين﴾ .

٧٨ ﴿فاخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة من الارض والصيحة من السماء ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ واقعين على صدورهم ميتين فالرجفة تصاحب الفزع عادة والجثوم دلالة العجز عن الحركة جزاء وفاقا في المصير .

٧٩ ﴿فتولى﴾ أعرض صالح ﴿عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ اي فهذا هو جزاء تكبركم عن الانذار اعقبكم الهلاك وسوء المصير .

٨٠ ﴿و﴾ كما تقدم في قوم نوح ومن ذكر بعدهم ارسلنا ﴿لوطا﴾ وهو ابن هاران بن تارخ بن آرز فلوط ابن اخي ابراهيم هاجر مع ابراهيم فنزل ابراهيم فلسطين ونزل هو بالاردن فارسله الله الى اهل سذوم بالذال المعجمة ﴿اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ اي أدبار الرجال ﴿ما سبقكم بها من احد من العالمين﴾ الانس والجن .

٨١ ﴿أئنكم﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية وادخال الالف بينهما على الوجهين ﴿لتأتون الرجال شهوة﴾ مفعول من اجله اي لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ﴿من دون النساء﴾ اي متجاوزين النساء ﴿بل انتم قوم مسرفون﴾ متجاوزون الحلال الى الحرام بل انتم متجاوزون الطبيعة الى ما لا يوافقها .

ان قوم لوط كانوا اهل ترف ودعارة فاحشة حتى لم يكونوا يتفكرون في شيء وهمهم في اتباع شهوتهم المنحرفة عن الطبيعة والفطرة السليمة فنزلت بذلك عقولهم عن مدارك البهائم فاراد لوط عليه السلام ان يرفع مستوى عقولهم ويردهم الى مسلك الفطرة السليمة في قضاء الشهوة فجابهوه بالرفض والاستهزاء . ومما يدل على هذا جوابهم له .

٨٢ ﴿وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم﴾ اي لوطا واتباعه ﴿من قريتكم انهم اناس يتطهرون﴾ من ادبار الرجال . وهموا به .

٨٣ ﴿فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب لانها كانت منهم فطرة وطريقا وقيل غبر غبورا اي مكث.

٨٤ ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ هو حجارة السجيل فاهلكتهم فهو وسيلة العقاب في مقابل ذلك الدنس الذي كانوا فيه غارقين. ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ الذين يكذبون الرسل ولا يتفكرون في الانذار.

والصفحة الأخيرة من هذا النمط قضية مدين مع شعيب فقال الله تعالى.

٨٥ ﴿و﴾ ارسلنا ﴿الى مدين أخاهم شعيبا﴾ مدين قبيلة سموا باسم ابيهم مدين بن ابراهيم الخليل وشعيب ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم الخليل فهو اخوهم في النسب ﴿قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة﴾ معجزة ﴿من ربكم﴾ على صدقي ولم تبين تلك المعجزة في القرآن الا ان الانذار علم معجزة كقوله ﴿فاوفوا﴾ اتموا ﴿الكيل والميزان ولا تبخسوا﴾ تنقصوا ﴿الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بعد اصلاحها﴾ ببعث الرسل ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾ مريدي الايمان فبادروا اليه.

٨٦. ﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ طريق ﴿توعدون﴾ تخيفون الناس باخذ ثيابهم او المكس كانوا قطاع طريق والرؤساء يضربون الضرائب على الضعفاء ﴿وتصدون﴾ تصرفون ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿من أمن به﴾ بتوعدكم اياه بالقتل ﴿وتبغونها عوجا﴾ معوجا ﴿واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم أي آخر امرهم الهلاك.

٨٧ ﴿وان كان طائفة منكم أمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ به ﴿فاصبروا﴾ انتظروا ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ وبينكم بانجاء المحق واهلاك المبطل ﴿وهو خير الحاكين﴾ اعلم.

كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ
قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾
وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾
وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟

مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن
قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾
قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ
نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ
أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى
ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ
وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ

٨٨ ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ عن الايمان ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين أمنوا معك من قريتنا أو لتعودن﴾ ترجعن ﴿في ملتنا﴾ ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيبا لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه اجاب ﴿قال أ﴾ نعود فيها ﴿ولو كنا كارهين﴾ لها استفهام انكار.

٨٩ ﴿قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون﴾ ينبغي ﴿لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ اي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم ﴿على الله توكلنا ربنا افتح﴾ اي احكم ﴿بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين﴾ الحاكمين.

٩٠ ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ اي قال بعضهم لبعض ﴿لئن﴾ لام القسم ﴿اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون﴾ اي تجاهر المستكبرون بالرد والصد عن سبيل الله. وحاولوا صرف الناس عنه.

٩١ ﴿فاخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فاصبحوا في دارهم جاثمين﴾ ماكثين لا يتحركون. قال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الرجفة بعد ان صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا جميعا وقال ابو عبدالله البجلي كان ابو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك رثته ابنته بشعر.

٩٢ ﴿الذين كذبوا شعيبا﴾ مبتدأ خبره ﴿كأن﴾ مخففة واسمها محذوف اي كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ يقيموا ﴿فيها﴾ في ديارهم ﴿الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين﴾ التاكيد باعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق لنخرجنك الخ فعوقبوا بمقابلته اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم اصلا واخرجوا اخراجا لا دخول بعده ابدا. اشتد عليهم الحر حتى خرجوا وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها وذلك يوم الظلة ثم صاح عليهم جبريل فرجفت بهم الارض فماتوا.

٩٣ ﴿فتولى عنهم﴾ اي اعرض عنهم شعيب ﴿وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾ فلم تسمعوا لي ولم تؤمنوا بي ﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾ استفهام بمعنى النفي وقال القول فيما يظهر تأسفا. وقصة شعيب تبدي ان قومه ارق ممن قبلهم اذ لم تقتصر على طلب الايمان منهم فقط بل فيها شيء من المعاملات.

عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ
مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن
كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ
ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾
أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ
مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ

ثم بعد ان أتم القصص الدالة على ان المنذرين – بالفتح – اذا لم يستمعوا الى الانذار ولم يطيعوا المنذرين – بالكسر – فعاقبتهم الهلاك والدمار أعقب بتعقيبات تدل على عموم الحكم في كل عصر وحين فقال تعالى .

٩٤ ﴿وما ارسلنا في قرية﴾ اي اهل قرية من القرى ﴿من نبي﴾ فكذبوه ﴿الا أخذنا﴾ عاقبنا ﴿أهلها بالبأساء﴾ شدة الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿لعلهم يضرعون﴾ بادغام تاء افتعل في الضاد اي يتذللون فيؤمنوا .

٩٥ ﴿ثم بدلنا﴾ اعطيناهم ﴿مكان السيئة﴾ العذاب ﴿الحسنة﴾ الغنى والصحة ﴿حتى عفوا﴾ كثروا ﴿وقالوا﴾ كفرا للنعمة ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ كما مسنا وهذا عادة الدهر وليست لعقوبة من الله فكانوا على ما انتم عليه قال تعالى ﴿فاخذناهم﴾ بالعذاب ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئه قبله .

٩٦ ﴿ولو أن أهل القرى﴾ المكذبين ﴿آمنوا﴾ بالله ورسلهم ﴿واتقوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لفتحنا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿عليهم بركات من السماء﴾ بالمطر ﴿والارض﴾ بالنبات ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم﴾ عاقبناهم ﴿بما كانوا يكسبون﴾ .

٩٧ ﴿أفأمن اهل القرى﴾ المكذبون ﴿ان يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتا﴾ ليلا ﴿وهم نائمون﴾ غافلون عنه .

٩٨ ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ نهارا ﴿وهم يلعبون﴾ مشتغلون باللعب الذي يلهيهم عن ذكر الله وعن الانذار منه وهذا مثل ما ذكر في اول السورة «وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون» .

٩٩ ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ استدراجه اياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ .

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا
كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ
عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ
بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ
أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا

٢٠٩

١٠٠ ﴿أو لم يهد﴾ يتبين ﴿للذين يرثون الارض﴾ بالسكنى ﴿من بعد﴾ هلاك ﴿اهلها أن﴾ فاعل مخففة واسمها محذوف اي انه ﴿لو نشاء أصبناهم﴾ بالعذاب ﴿بذنوبهم﴾ كما اصبنا من قبلهم . والاستفهام في المواضع الاربعة للتوبيخ والفاء والواو في الموضع الاول عطف بأو ﴿و﴾ نحن ﴿نطبع﴾ نختم ﴿على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ الموعظة سماع تدبر وتلك سنة الله في الابتلاء بالضراء والسراء والبأساء والنعماء . واهلاك من أبى التدبر وتولى عن الايمان .

١٠١ ﴿تلك القرى﴾ التي مر ذكرها ﴿نقص عليك﴾ يا محمد ﴿من أنبائها﴾ اخبار اهلها لتتسلى وليحذر قومك ان يصيبهم مثل ما اصاب هذه القرى ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيئهم ﴿بما كذبوا﴾ كفروا به ﴿من قبل﴾ مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كذلك﴾ الطبع ﴿يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ .

١٠٢ ﴿وما وجدنا لاكثرهم﴾ اي القرى والامم السابقة ﴿من عهد﴾ اي وفاء بعهدهم يوم اخذ الميثاق ﴿وان﴾ مخففة اي انه ﴿وجدنا اكثرهم لفاسقين﴾ .

بعد أن ذكر قصص الأنبياء التي اعلنت محاربة الباطل مواجهة جاء بقصة موسى وفرعون مع قومه بني اسرائيل لأنها تجمع بين المحاربة مواجهة وسراً .

١٠٣ ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ اي الرسل المذكورين وكان ترتيبهم في السورة على ترتيبهم التاريخي وموسى اجتمع مع شعيب كما في سورة غير هذه ولم يذكر ذلك هنا لعدم المناسبة ﴿موسى بآياتنا﴾ التسع ﴿الى فرعون وملائه﴾ قومه لان الضعفاء تابعون للشرفاء لذلك غلب الشرفاء عليهم فقال وملائه ﴿فظلموا﴾ كفروا ﴿بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ بالكفر من اهلاكهم . ولا يبدأ السياق هنا قصة موسى من اولها لان المناسبة هي مناسبة التنذر وتحققها انما يبدؤها من حلقة الرسالة تعجيلا بالغرض الذي يتسق مع سياق السورة ومناسبتها وبعد ان ذكر القصة مجملة يأتي بها مفصلة ومقطعة الى مشاهد حية تموج بالحركة وبالحوار وتتخللها التوجيهات الى مكامن العبر في السياق .

١٠٤ فبدأ في تفصيل القصة فقال ﴿و﴾ أرسلنا موسى الى فرعون فذهب اليه . و ﴿قال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين﴾ اليك فكذبه فرعون لانه كان يقول : أنا ربكم الأعلى .

١٠٥ ﴿حقيق﴾ جدير ﴿على ان﴾ اي بأن ﴿لا اقول على الله الا الحق﴾ وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره ان وما بعده ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي﴾ الى الشام ﴿بني اسرائيل﴾ وكان استعبدهم .

١٠٦ ﴿وقال﴾ فرعون له ﴿ان كنت جئت بآية﴾ على دعواك ﴿فأت بها ان كنت من الصادقين﴾ فيها .

١٠٧ ﴿فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين﴾ حية عظيمة .

١٠٨ ﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه ﴿فاذا هي بيضاء﴾ ذات شعاع ﴿للناظرين﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ثم انعزلوا عن موسى يتشاورون فيما يصنعون به .

١٠٩ ﴿قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر وفي الشعراء : انه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور .

١١٠ ﴿يريد أن يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون﴾ .

١١١ ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أخر امرهما ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ جامعين .

١١٢ ﴿يأتوك بكل ساحر﴾ وفي قراءة سحار ﴿عليم﴾ يفضل موسى في علم السحر .

ولا ندري كيف ارسل فرعون من يحشر السحرة في المدائن وكيف اجتمعوا بهم حتى جاؤا بهم فنحن امام محضر جديد محضر السحرة وفرعون وما بين الجانبين من محاور العقد .

١١٣ ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا أئن﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين ﴿لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين﴾ .

١١٤ ﴿قال نعم وانكم لمن المقربين﴾ فهنا انتهت المحاورة بين السحرة وفرعون .

وامامنا محضر جديد السحرة التقوا مع موسى امام جمع عامة من الناس للمعارضة والمسابقة فتقدم السحرة .

١١٥و ﴿قالوا يا موسى اما ان تلقي﴾ عصاك ﴿واما ان نكون نحن الملقين﴾ ما معنا .

١١٦ ﴿قال﴾ موسى ﴿ألقوا﴾ امر للاذن بتقديم إلقائهم توسلا به الى اظهار الحق . ﴿فلما ألقوا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سحروا أعين الناس﴾ صرفوها عن حقيقة ادراكها ﴿واسترهبوهم﴾ خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى ويمكن ان يفهم ان هناك اصواتا مزعجة وشعاوذ شتى ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ في اعين الناس وان كان في نفسه حقيرا وذلك انهم طلوا حبالا طوالا واخشابا بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصى زئبقا ايضا فلما اثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل الناس انها حيات .

هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ
أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟
فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ
عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ
وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟
صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

١١٧ ﴿وأوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هي تلقف﴾ بحذف احدى التاءين من الاصل تبتلع ﴿ما يأفكون﴾ يقبلون بتمويههم .

١١٨ ﴿فوقع الحق﴾ ثبت وظهر ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ من السحر .

١١٩ ﴿فغلبوا﴾ اي فرعون وقومه ﴿هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ صاروا ذليلين .

١٢٠ ﴿وألقى السحرة ساجدين﴾ .

بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ
ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾
لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن
قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ
نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا

١٢١ ﴿قالوا آمنا بربّ العالمين﴾ .

١٢٢ ﴿رب موسى وهرون﴾ لعلمهم بان ما شاهدوه من العصا لا يتأتى ان يكون بالسحر .

١٢٣ ﴿قال فرعون آآمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتبديل الثانية الفاً ﴿به﴾ موسى ﴿قبل ان آذن﴾ انا ﴿لكم ؟ إن هذا﴾ الذي صنعتموه ﴿لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون﴾ ما ينالكم مني .

١٢٤ ﴿لأقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف﴾ اي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثم لاصلبنكم اجمعين .﴾ قال هذا الكلام تخويفا للسحرة ولكي يستخف عقول العامة وينسيهم ما اصابه من الهزيمة ويجعل الامر مكيدة مدبرة بين موسى والسحرة فيرد بذلك ما فاته من ثقة العامة . واما السحرة فانهم نفعهم علمهم فما خافوه اد دخل الايمان في قلوبهم فلا يرجعون الى الباطل .

١٢٥ ﴿قالوا انا الى ربنا﴾ بعد موتنا باي وجه كان ﴿منقلبون﴾ راجعون في الآخرة .

١٢٦ ﴿وما تنقم﴾ تنكر ﴿منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا .﴾ ثم رجعوا الى الله بالدعاء ليعينهم على تحمل اذى فرعون فقالوا ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا﴾ عند فعل ما توعده بنا لئلا نرجع كفارا ﴿وتوفنا مسلمين .﴾ هذا آخر محضر المسابقة ولا ندرى هل فعل فرعون بالسحرة ما توعدهم به اولم يفعل والظاهر انه لم يفعل ولم يقدر لقوله تعالى « انتما ومن اتبعكما الغالبون » .

ثم ياتي فصل آخر وذلك مشاورة فرعون وملائه بعدما وقعت الهزيمة وانفض الجمع .

١٢٧ ﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾ له ﴿أتذر﴾ تترك ﴿موسى وقومه ليفسدوا في الارض﴾ بالدعاء الى مخالفتك ﴿ويذرك وآلهتك﴾ وكان صنع لهم اصناما صغارا يعبدونها وقال انا ربكم وربها ولذا قال «ربكم الاعلى» ﴿قال سنقتل﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿ابناءهم﴾ المولودين ﴿ونستحي﴾ نستبقي ﴿نساءهم﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وانا فوقهم قاهرون﴾ قادرون . فهذا آخر هذا المحضر.

ثم يبدو ان فرعون وقومه فعلوا ما تواعدوا عليه بني اسرائيل من قتل ابنائهم واستبقاء اناثهم فشكى بنو اسرائيل ذلك لموسى وهو هذا المحضر .

١٢٨ ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا﴾ على اذاهم ﴿ان الأرض لله يورثها﴾ يعطيها ﴿من يشاء من عباده والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾ الله .

١٢٩ ﴿قالوا﴾ بنو اسرائيل لموسى ﴿أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا. قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون﴾ اي يبتليكم الله بالنعمة فيرى أتشكرونها بالاصلاح او تكفرونها بالفساد .

ويدع السياق موسى وقومه ويذكر فرعون وآله كيف يأخذهم الله بعاقبة الظلم والطغيان ويحقق عدة موسى لقومه ورجاءه ويصدق النذير الذي يظلل جو السورة وتساق القصص كلها لتصديقه فقال تعالى .

١٣٠ ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ بالقحط ﴿ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ يتعظون فيؤمنون .

١٣١ ﴿فاذا جاءتهم الحسنة﴾ الخصب والغنى ﴿قالوا لنا هذه﴾ اي نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وان تصبهم سيئة﴾ جدب وبلاء ﴿يطيروا﴾ يتشاءموا ﴿بموسى ومن معه﴾ من المؤمنين ﴿ألا انما طائرهم﴾ شؤمهم ﴿عند الله﴾ يأتيهم به ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ .

١٣٢ ﴿وقالوا﴾ لموسى ﴿مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ . فهو الجموح الذي لا تروضه بينة ولا يلينه اقناع ويعلن الاصرار على التكذيب ولا ينفع معه دليل وعندئذ أتاهم العذاب والبلاء .

١٣٣ ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة ايام ﴿والجراد﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿والقمل﴾ السوس او نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد ﴿والضفادع﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿والدم﴾ في مياههم ﴿آيات مفصلات﴾ مبينات ﴿فاستكبروا﴾ عن الايمان بها ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ .

١٣٤ ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ العذاب ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ من كشف العذاب عنا ان آمنا ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل﴾ .

مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ
مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ
قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ
وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا
بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ
وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ
قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ
عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٣٤)

فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بلغوه إذا هم
ينكثون ﴿١٣٥﴾ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴿١٣٦﴾ وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي
باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل
بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
وما كانوا يعرشون ﴿١٣٧﴾ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يموسى
اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم
تجهلون ﴿١٣٨﴾ إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا
يعملون ﴿١٣٩﴾ قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على
العالمين ﴿١٤٠﴾ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم

١٣٥ ﴿فلما كشفنا﴾ بدعاء موسى ﴿عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم فهو موزع على الخمس يلتجئون الى موسى ويطلبون منه ويسألونه ان يطلب لهم كشف ما نزل بهم ويواعدونه بالايمان به وارسال بني اسرائيل معه . ويدعو الله فيكشف عنهم فيستمرون على الايمان مدة ثم ينكثون عهودهم . وقوله « هم بالغوه » اي بالغوا نهاية الاجل وفراغه فأجاؤا النكث عقب انقضاء الاجل المذكور.

١٣٦ ﴿فانتقمنا منهم﴾ بعد الانواع الخمسة وكان كل واحد منها يمكث عليهم مدته ﴿فاغرقناهم في اليم﴾ البحر الملح ﴿بانهم﴾ بسبب انهم ﴿كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ لا يتدبرونها .

ثم اشار الى الجانب الآخر وهو عندما آمن المستضعفون وهم بنو اسرائيل وقبل ان يزيغوا اعقبهم بالايمان استخلافا في الارض .

١٣٧. ﴿واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ بالاستعباد والقتل ﴿مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر صفة للارض وهي الشام وأرض فلسطين مغارب الشام ومشارق مصر وقيل جميع جهات الارض لأن داودوسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بني اسرائيل وقد ملكا الارض ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى﴾ وهي قوله « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض » الخ ﴿على بني اسرائيل بما صبروا﴾ على اذى عدوهم ﴿ودمرنا﴾ اهلكنا ﴿ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ من العمارة ﴿وما كانوا يعرشون﴾ بكسر الراء وقرىء بضمها اي يرفعون من البنيان . هذا آخر قصة فرعون وقومه وقد لقوا هلاكهم لعدم اتباعهم للمنذر الصادق .

ثم تمضي القصة في حلقة جديدة قصة بني اسرائيل بعد تجاوز البحر على طبيعتهم المحرفة ولم يطل بهم منذ ان انقذهم نبيهم وزعيمهم موسى باسم الله الواحد الذي اهلك عدوهم فتقع ابصارهم على قوم يعكفون على أصنام لهم فيطلبون الى موسى ان يتخذ لهم وثنا يعبدونه .

١٣٨ ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا﴾ فمروا ﴿على قوم يعكفون﴾ بضم الكاف وقرىء بالكسر والقوم العاكفون من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم ﴿على اصنام لهم﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا الها﴾ صنما نعبده ﴿كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ حيث قابلتم نعمة عليكم بما قلتموه .

١٣٩ ﴿ان هؤلاء متبر﴾ هالك ﴿ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ من عبادتها . ثم بين شأن الله ان يخصص بالعبادة .

١٤٠ و ﴿قال أغير الله أبغيكم الها﴾ معبودا وأصله أبغي لكم ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ اي في زمانكم بما ذكره في قوله .

سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ
وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ
ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ
لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ
وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ
لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ
لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ
فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا
وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ
وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ
عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ

١٤١ ﴿و﴾ اذكروا ﴿اذ نجيناكم﴾ وفي قراءة انجاكم ﴿من آل فرعون يسومونكم﴾ يكلفونكم ﴿سوء العذاب﴾ اشده وهو ﴿يقتلون ابناءكم ويستحيون﴾ يستبقون ﴿نساءكم وفي ذلكم﴾ الانجاء او العذاب ﴿بلاء﴾ انعام او ابتلاء ﴿من ربكم عظيم﴾ افلا تتعظون فتنتهون عما قلتم من قولهم اجعل لنا الها .

ثم يبتدىء مشهد آخر وهو استعداد موسى للموقف المرهوب بين يديه في هذه الحياة الدنيا ووصيته لأخيه هارون قبل ذهابه لهذا اللقاء العظيم ليأتي قومه بالرسالة المفصلة بمنعهم اتباع الهوى من التشوق الى الشرك والوثنية التي رأوا قوما يعكفون عليها وفى ذلك منع زيادة فيما أمر الله به ولو كان بحسن نية

١٤٢ ﴿وواعدنا﴾ بالف وقرىء بدون الالف ﴿موسى ثلاثين ليلة﴾ نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى ﴿وأتممناها بعشر﴾ من ذي الحجة ﴿فتم ميقات ربه﴾ وقت وعده بكلامه اياه ﴿أربعين﴾ حال ﴿ليلة﴾ تمييز ﴿وقال موسى لأخيه هرون﴾ عند ذهابه الى الجبل للمناجاة ﴿اخلفني﴾ كن خليفتي ﴿في قومي وأصلح﴾ أمرهم ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ بموافقتهم على المعاصي ..

ثم يأتي مشهد رهيب حيث اختص الله نبيه موسى بالخطاب المباشر ولا ندري نحن كيف كان كلام الله سبحانه لعبده موسى ولا كيف تلقاه موسى وتصوير ذلك متعذر علينا فيجب ايماننا به جملة .

١٤٣ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ اي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وكلمه ربه﴾ بلا واسطة كلاما يسمعه فاستحلى موسى كلام ربه فاشتاق الى رؤيته ﴿قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني﴾ اي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن أرى يفيد امكان رؤيته تعالى ولكن في الآخرة كقوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» . ﴿ولكن انظر الى الجبل﴾ الذي هو اقوى منك ﴿فان استقر﴾ ثبت ﴿مكانه فسوف تراني﴾ اي تثبت لرؤيتي والا فلا طاقة لك ﴿فلما تجلى ربه﴾ اي ظهر من نوره قدر نصف انملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم ﴿للجبل جعله دكا﴾ وقرىء بالمد اي مدكوكا مستويا بالارض الدك والدق بمعنى وهو تفتت الشيء وسحقه ﴿وخر موسى صعقا﴾ مغشيا عليه لهول ما رأى ﴿فلما افاق قال سبحانك﴾ تنزيها لك ﴿تبت اليك﴾ من سؤال ما لم أومر به ﴿وانا أول المؤمنين﴾ في زماني .

١٤٤ ﴿قال﴾ تعالى له ﴿يا موسى اني اصطفيتك﴾ اخترتك ﴿على الناس﴾ اهل زمانك ﴿برسالاتي﴾ بالجمع وقرىء بالافراد ﴿وبكلامي﴾ اي تكليمي اياك ﴿فخذ ما آتيتك﴾ من الفضل ﴿وكن من الشاكرين﴾ لأنعمي .

مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ
يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ
لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ
يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٥ ﴿وكتبنا له في الالواح﴾ اي الواح التوراة وكانت من سدر الجنة او زبرجد او زمرد سبعة او عشرة ﴿من كل شيء﴾ يحتاج اليه في الدين ﴿موعظة وتفصيلا﴾ تبيينا ﴿لكل شيء﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فخذها بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ اي اوضحها للعمل به ﴿ساريكم دار الفاسقين﴾ فرعون واتباعه وهي مصر بعد اهلاكهم لتعتبروا بهم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الارث ويؤيده قراءة من قرأ ساورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله «واورثنا القوم الذين يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها».

ثم بين عاقبة من يتكبر في الارض تحذيرا لبني اسرائيل كيلا يعملوا عمل فرعون واشباهه فقال .

١٤٦ ﴿سأصرف عن آياتي﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الذين يتكبرون في الارض بغير الحق﴾ بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها ﴿وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل﴾ طريق ﴿الرشد﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لا يتخذوه سبيلا﴾ يسلكوه ﴿وان يروا سبيل الغي﴾ الضلال ﴿يتخذوه سبيلا ذلك﴾ الصرف ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ فلا يتدبرونها . وذكر حكما عاما لمن يكذب بآيات الله فقال تعالى .

١٤٧ ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ البعث وغيره ﴿حبطت﴾ بطلت ﴿اعمالهم﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم فيه لعدم شرطه وهو الايمان ﴿هل﴾ ما ﴿يجزون الا﴾ جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ من التكذيب والمعاصي .

وفيما يأتي بيان حال قوم موسى في غيابه الى ميقات ربه فهم وراءه انتكسوا وعبدوا العجل .

١٤٨ ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ اي بعد ذهابه الى المناجاة ﴿من حليهم﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقي عندهم ﴿عجلا﴾ صاغه لهم منه السامري فهو من بني اسرائيل وكان منافقا ﴿جسدا﴾ تمثالا لا صورة منقوشة على جدار وهو بدل من عجلا ﴿له خوار﴾ اي صوت يسمع وقرأ علي وابو السماك «له جؤار» با لجيم والهمزة وهو الصوت الشديد وهو جسد صنع صورة مجوفة بحيث يدخل فيها الريح ويخرج صوتا خوارا مثل البقر او صوتا شديدا ﴿الم يروا﴾ اي بنو اسرائيل الذين عبدوه ﴿انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا﴾ فكيف يتخذ الها ﴿اتخذوه﴾ الها ﴿وكانوا ظالمين﴾ باتخاذه .

١٤٩ ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ اي ندموا على عبادته ﴿ورأوا﴾ علموا ﴿انهم قد ضلوا﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ بالياء وقرىء بالتاء فيهما ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ الهالكين .

وفيما ياتي بيان حال موسى عند رجوعه اليهم وقد اخبره الله قبل ذلك ان قومه افتتنوا بعده واضلهم السامري ثم جاءهم ووجدهم على ذلك وما دار بينه وبينهم في ذلك . قال تعالى .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا
خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)
إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ
رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ
مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ

١٥٠ ﴿ولما رجع موسى الى قومه غضبان﴾ من جهتهم ﴿أسفا﴾ شديد الحزن ﴿قال﴾ لهم ﴿بئسما﴾ اي.بئس خلافة ﴿خلفتموني﴾ ها ﴿من بعدي﴾ خلافتكم هذه حيث اشركتم ﴿أعجلتم امر ربكم﴾ تركتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي على رأس الثلاثين فغيرتم بعدي دينكم ﴿وألقى الالواح﴾ الواح التوراة غضبا لربه فتكسرت وهذا يدل على أن عين اليقين اشد من الخبر اليقين اذ لم يلق موسى الالواح عندما اخبره الله بالامر مع يقينه بصحة الخبر الا بعد ان رآهم على ذلك. ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ اي بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿يجره اليه﴾ غضبا ﴿قال﴾ اخوه وهو هارون ﴿ابن أم﴾ بفتح الميم وقرىء بالكسر اراد أمي وذكرها اعطف لقلبه ﴿ان القوم استضعفوني وكادوا﴾ قاربوا ﴿يقتلونني فلا تشمت﴾ تفرح ﴿بي الاعداء﴾ باهانتك اياي ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة. فلما سمع موسى كلام أخيه ندم على ما فعله به.

١٥١ ﴿قال رب اغفر لي ولأخي﴾ اشركه في الدعاء ارضاء له ودفعا للشماتة به ﴿وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين﴾ قال الله تعقيبا على فعل موسى ودعائه.

١٥٢ ﴿ان الذين اتخذوا العجل﴾ لهم الها ﴿سينالهم غضب﴾ عذاب ﴿من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا﴾ فعذبوا بالامر بقتل انفسهم ﴿وكذلك نجزى المفترين﴾ اي كما جزيناهم نجزي المفترين على الله بالاشراك وغيره.

١٥٣ ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا﴾ رجعوا عنها ﴿من بعدها وآمنوا﴾ بالله ﴿ان ربك من بعدها﴾ من بعد التوبة ﴿لغفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم. وهنا انتهى التعقيب ثم تقدم بذكر القصة فقال.

١٥٤ ﴿ولما سكت﴾ سكن ﴿عن موسى الغضب اخذ الالواح﴾ التي القاها ﴿وفي نسختها﴾ اي ما نسخ فيها اي كتب ﴿هدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ يخافون وادخل اللام على المعمول لتقدمه.

سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ
لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ
وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ
مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾
ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا
عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ

١٥٥ ﴿واختار موسى قومه﴾ اي من قومه ﴿سبعين رجلا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بامره تعالى ﴿لميقاتنا﴾ اي للوقت الذي وعدناه باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة اصحابهم العجل فخرجوا منهم فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله . وذلك قوله تعالى ﴿فلما اخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿قال﴾ موسى ﴿رب لو شئت اهلكتهم من قبل﴾ اي قبل خروجي بهم ليعاين بنو اسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿واياي﴾ معوطف على الهاء في اهلكتهم وقال موسى هذا تسليما لقضاء الله وان كان لم يسبق منه ما يوجب هلاكه ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ استفهام استعطاف اي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إن﴾ ما ﴿هي﴾ اي الفتنة التي وقعت فيها السفهاء ﴿الا فتنتك﴾ ابتلاؤك ﴿تضل بها من تشاء﴾ اضلاله ﴿وتهدى من تشاء﴾ هدايته ﴿انت ولينا﴾ متولي أمورنا ﴿فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين﴾ .

١٥٦ ﴿واكتب﴾ اوجب ﴿لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾ حسنة ﴿انا هدنا﴾ تبنا ﴿اليك﴾ اي رجعنا عن المعصية التي جئناك للاعتذار منها اليك . فهذا آخر دعاء موسى فاجابه الله و ﴿قال عذابي اصيب به من أشاء﴾ تعذيبه ﴿ورحمتي وسعت﴾ عمت ﴿كل شيء﴾ في الدنيا وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي ﴿فسأكتبها﴾ فسأخصصها في الآخرة ﴿للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ خص الزكاة بالذكر هنا لانها كانت اشق على بني اسرائيل ولعل الصلاة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك المنكرات عن آخرها . واستطرد في صفات من كتبت الرحمة له في الآخرة من بني اسرائيل مضيفاً اتباع الرسول النبي الامي بان يؤمنوا به قبل مبعثه ويعملوا بشريعته بعده فقال .

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيٓ
أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَٰهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا
أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ اضْرِب
بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانۢبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ

١٥٧ ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الامي﴾ محمدا ﷺ اذ لا ينازعه احد في هذه الاوصاف ﴿الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل﴾ باسمه وصفته فاسمه في التوراة المنحمنا بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم الثانية او فتحها والكسر افصح وبعدها نون مشددة بعدها الف . ومعنى هذا اللفظ في اللغة السريانية هو لفظ محمد الذي يحمده الناس كثيرا ولفظ احمد مذكور في الانجيل بهذا اللفظ العربي ذكره الخميسي في تاريخه .. ثم ان ذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر محمد ﷺ والقرآن قبل مجيئهما . ذكره الجمل . ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات﴾ مما حرم في شرعهم من لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوها ﴿و يضع عنهم اصرهم﴾ ثقلهم ﴿والاغلال﴾ الشدائد ﴿التي كانت عليهم﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع اثر النجاسة وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وتحريم العمل في يوم السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل . ثم ذكر حكما عاما لكل من اتبع النبي محمدا ﷺ وقال ﴿فالذين آمنوا به﴾ منهم او من غيرهم ﴿وعزروه﴾ وقروه ﴿ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي القرآن ﴿ أولئك هم المفلحون﴾ . الاشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم

ولما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله و شرف من اتبعه وجه الخطاب الى النبي يأمره ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بأهلهما بل هي شاملة لكل من اتبعه مع اختصاص رسالة كل رسول بقومه وارسال موسى الى فرعون وقومه مع انهم غير بني اسرائيل فليس بغريب ان يرسل الله محمدا الى جميع الناس العرب وغيرهم فقال تعالى .

١٥٨ ﴿قل﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ القرآن ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ ترشدون .

هذه الآية تتوسط سياق القصة لان مساق السورة للعبرة والتوجيه فهنا موضع توجيه قوي بمناسبة توجيه بني اسرائيل الى ما سجل في كتابيهم التوراة والانجيل وليدعوا مع الناس جميعا الى الايمان بالرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل .

ثم لا نعرف ما حصل بعد الرجفة التي أخذت رجالات بني اسرائيل وبعد دعوات موسى وابتهالاته هنا ولكن في سياق القصة في سور أخرى ان الله احياهم بعد الرجفة فرجعوا الى قومهم مؤمنين .

ولدفع ما عسى ان يتوهم من تخصص كتابة الرحمة بمن يتبع محمدا في وقته فقط بل عام بمن آمن بموسى المتضمن بذلك قبل وقته فليس بنو اسرائيل كلهم محرومين من ذلك فقال .

١٥٩ ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ جماعة ﴿يهدون﴾ الناس ﴿بالحق وبه يعدلون﴾ في الحكم بعد موسى فلا تخلو امة من خير فمنهم من مستهم تلك الرحمة فاستمر عليها حتى آمن بالرسول النبي الامي .

ثم ان بني اسرائيل لكثرة عصيانهم ومخالفاتهم لما أمروا جعلهم الله من اول امرهم في مصيبة التعصب القبلي العنصري ولم يوجد شعورهم وذلك قوله تعالى .

١٦٠ ﴿وقطعناهم﴾ فرقنا بني اسرائيل ﴿اثنتي عشرة﴾ حال ﴿اسباطا﴾ بدل منه اي قبائل ﴿أمما﴾ بدل مما قبله اي

لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ
حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ
سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ
نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ
لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ
مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا

٢١٩

جعلناهم اسباطا متفرقين كالامم في التفرق والتعدد . وبين كيفية تفريقهم فقال ﴿واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه﴾ في التيه ﴿ان اضرب بعصاك الحجر﴾ فضربه ﴿فانبجست﴾ انفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عينا﴾ بعدد الإسباط ﴿قد علم كل اناس﴾ سبط منهم ﴿مشربهم﴾ عينهم الخاصة بهم وهذا اساس الخلاف بينهم وان جمعوا فيما يأتي بعد فلا يجتمعون لان الشرب هو اساس البناء ﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ في التيه من حر شمس ﴿وانزلنا عليهم المن والسلوى﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ من الطير والسلوى ثم لا تتعدوه الى المحرمات فننتقم منكم . وقد اشربوا حب المخالفات فخالفوا الاوامر ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون .﴾

ثم ذكر بعض الاشياء التي خالفوا فيها الاوامر فقال .

١٦١ ﴿و﴾ اذكر . ﴿اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ بيت المقدس ﴿وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة﴾ أمروا بان يقولوا هذه الكلمة اي ان تحط عنا خطايانا ﴿وادخلوا الباب﴾ اي باب القرية ﴿سجدا﴾ متواضعين على هيئة الراكعين ﴿نغفر﴾ بالنون وقرىء بالتاء مبنيا للمفعول ﴿لكم خطيئآتكم سنزيد المحسنين﴾ بالطاعة ثوابا .

١٦٢ ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على استاههم فانتقمنا منهم ﴿فارسلنا عليهم رجزا﴾ عذاباً ﴿من السماء بما كانوا يظلمون .﴾ من التبديل والتغيير اذ غيروا المقول والمفعول من امر الله فاعقبهم الله ذلك بوقوع الرجز وهو العذاب قيل هو الطاعون ومات به منهم عدد كبير . وهذه العبر هي موضوع السورة .

ومن امثلة مخالفات بني اسرائيل لاوامر الله قصة اهل القرية التي كانت حاضرة البحر في امر السبت كما قال تعالى خطابا لنبيه محمد ﷺ .

١٦٣ ﴿واسألهم﴾ يا محمد توبيخا ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ مجاورة بحر القلزم وهي أيلة ما وقع باهلها وكانت واقعة القرية المذكورة في زمن داود عليه السلام وليس المقصود معرفة من هم بل المقصود معرفة ما يقع على من كان مثلهم في ترك الامتثال لامر الله والبعد عن نهيه ﴿اذ يعدون﴾ يعتدون ﴿في السبت﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه . ﴿اذ﴾ ظرف ليعدون ﴿تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا﴾ ظاهرة على الماء ﴿ويوم لا يسبتون﴾ لا يعظمون السبت اي سائر الايام ﴿لا تأتيهم﴾ ابتلاء من الله ﴿كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي .

١٦٤ ﴿واذ﴾ عطف على اذ قبله ﴿قالت أمة منهم﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿لم تعظمون قوما الله مهلكم او معذبهم عذابا شديدا قالوا﴾ موعظتنا ﴿معذرة﴾ نعتذر بها ﴿الى ربكم﴾ لئلا ننسب الى تقصير في ترك النهي ﴿ولعلهم يتقون﴾ الصيد .

١٦٥ ﴿فلما نسوا﴾ تركوا ﴿ما ذكروا﴾ وعظوا ﴿به﴾ فلم يرجعوا ﴿انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾ بالاعتداء ﴿بعذاب بئيس﴾ شديد وقرىء بدون الهمزة ﴿بما كانوا يفسقون﴾ من مخالفة الوعظ والذكر .

عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا

١٦٦ ﴿فلما عتوا﴾ تكبروا ﴿عن﴾ ترك ﴿ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ صاغرين فكانوها . وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما ادري ما فعل بالفرقة الساكتة . وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت ما فعلوه وخالفت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس انه رجع اليه واعجبه . وهذا آخر هذه العبرة .

ثم جاء بكلام عام للوعظ والتذكير عن مخالفة امر الله فقال .

١٦٧ ﴿و﴾ اذكر اليهود ومن يقتدي بهم . ﴿اذ﴾ ظرف معطوف على ما قبله ﴿تأذن﴾ اعلم ﴿ربك ليبعثن عليهم﴾ اي اليهود ﴿الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ بالذل واخذ الجزية فبعث عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث نبينا محمد ﷺ فضربها عليهم ثم سلط عليهم هتلر الالماني فقتلهم ولا يزالون كذلك الى القيامة ﴿ان ربك لسريع العقاب﴾ لمن عصاه ﴿وانه لغفور﴾ لاهل طاعته ﴿رحيم﴾ بهم .

١٦٨ ﴿وقطعناهم﴾ اي بني اسرائيل فرقناهم ﴿في الارض أمما منهم الصالحون ومنهم﴾ ناس ﴿دون ذلك﴾ الكفار والفاسقون ﴿وبلوناهم بالحسنات﴾ بالنعم ﴿والسيئات﴾ النقم ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن فسقهم . فهؤلاء الذين تقدم ذكرهم كان هذا حالهم قبل زمن نبينا محمد ﷺ وأما بعد مبعثه عليه الصلاة والسلام فما بقي منهم صالح الا من اعتنق الدين الاسلامي وهو قوله تعالى :

١٦٩ ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ اي حطام هذا الشيء الدنيء اي زخرف الحياة الدنيا ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ ما فعلناه ﴿وان يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ الجملة حال اي يرجون المغفرة وهم عائدون الى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وعد بالمغفرة مع الاصرار ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ السؤال للتقرير والاضافة بمعنى في ﴿ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا﴾ عطف على يؤخذ قرءوا ﴿ما فيه﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة اليه مع الاصرار . ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ اي يعملون بمقتضى الكتاب ويتركون الحرام ﴿أفلا تعقلون﴾ بالتاء الخطاب للمسلمين ليعتبروا بمن مضى وما أصابهم من المصائب بسبب مخالفة الكتاب في القول والعمل وقرىء بالياء اي الخلف الذي ورث الكتاب ولا يعمل بمقتضاه من اليهود .

١٧٠ ﴿والذين يمسكون﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿بالكتاب﴾ منهم ﴿وأقاموا الصلاة﴾ كعبدالله بن سلام واصحابه ﴿انا لا نضيع اجر المصلحين﴾ الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اي اجرهم .

وفيه تنبيه لهم على ان من يمسك بالكتاب كما هو دون تحريف ويقيم الصلاة فهو المصلح .

وبمناسبة الحديث عن الميثاق يشير السياق الى الظرف الذي كان قد أخذ عليهم فيه فهو ميثاق لا ينسى لانه أخذ في ظرف لا ينسى

ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ
أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾
أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ
بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ
ٱلْءَايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ
ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ
ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى
ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ
عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ

١٧١ ﴿و﴾ اسألهم عن ذكر الميثاق . ﴿اذ﴾ حين ﴿نتقنا الجبل﴾ قلعناه ورفعناه من اصله ﴿فوقهم كأنه ظلة﴾ سقيفة وهي كل ما أظلك ﴿وظنوا﴾ اليهود ايقنوا ﴿أنه واقع بهم﴾ ساقط عليهم بوعد الله اياهم بوقوعه عليهم ان لم يقبلوا احكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها عليهم فسجد كل واحد منهم على خده الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوف أن يسقط عليهم ولذلك لا يسجد اليهود الا على شق وجوههم اليسرى وقلنا لهم ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ في الميثاق او الكتاب بالعمل به ﴿لعلكم تتقون﴾ اي لعل قلوبكم تخشع وتتقي وتظل موصولة بالله ترقبه ولا تنساه . فمن هذا يعرف ان حقيقة الايمان لا تحصل الا بأخذ الكتاب بالقوة والجد وهو التقوى التي تقي صاحبها من عذاب الله الدنيوي والأخروي .

وبمناسبة ذكر الميثاق على بني اسرائيل يذكر الميثاق الأكبر الذي أخذه الله على جميع بني آدم حتى لا تقول الامة المسلمة ان الميثاق انما أخذ على بني اسرائيل فقط لا بل هو على جميع بني آدم وميثاق بني اسرائيل تذكير للاول وكلمة الشهادة التي يقولها المسلم «لا اله الا الله محمد رسول الله» ميثاق يذكره بالميثاق الاول والى ذلك اشار بقوله تعالى .

١٧٢ ﴿و﴾ اسألهم . ﴿اذ﴾ حين ﴿اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم﴾ بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار ﴿ذرياتهم﴾ بان أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتولدون كالذر بنعمان واد بجنب عرفه او في الجنة يوم عرفة . ونصب دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا ﴿وأشهدهم على انفسهم﴾ قال ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ انت ربنا ﴿شهدنا﴾ بذلك . والاشهاد ﴿أن﴾ لا ﴿تقولوا﴾ بالتاء وقرىء بالياء في الموضعين اي الكفار ﴿يوم القيامة انا كنا عن هذا﴾ التوحيد ﴿غافلين﴾ لا نعرفه .

١٧٣ ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل﴾ اي قبلنا ﴿وكنا ذرية من بعدهم﴾ فاقتدينا بهم ﴿أفتهلكنا﴾ تعذبنا ﴿بما فعل المبطلون﴾ الذين ابطلوا العمل بما انزلت او أخذت به علينا من الميثاق فنحن لا نستحق التعذيب به اذ ابطل العمل به من قبلنا من آبائنا بتأسيس الشرك المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع اشهادهم على انفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس .

١٧٤ ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿ولعلهم يرجعون﴾ عن الكفر فالتوحيد فطرة واما الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى ليرجعوا اليها .

ثم تقدم بذكر بعض القصص التي وقعت في تاريخ بني اسرائيل وهي نموذج مكرور في البشرية فقال تعالى لنبيه ورسوله النبي الامي .

١٧٥ ﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ اي اليهود ليعرفوا حقيقة صدقك في دعوى النبوة او على الناس ليتعظوا ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني اسرائيل انحرف بعد الهدى عن آيات الله فكانت في متناول نظره وفكره ولكنه انسلخ منها وتعرى عنها واتبع الهوى ولم يتمسك بالميثاق الاول ولا بالآيات الماديات ﴿فأتبعه الشيطان﴾ فادركه فصار قرينه اي فصار هو قدوة ومتبوعا للشيطان على سبيل المبالغة ﴿فكان من الغاوين﴾ .

كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ
كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾
وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

٢٢٢

١٧٦ ﴿ولو شئنا لرفعناه﴾ الى منازل العلماء العاملين ﴿بها﴾ الآيات بأن نوفقه للعمل ﴿ولكنه أخلد﴾ مال وسكن ﴿الى الارض﴾ اي الدنيا ومال اليها او هو ضد الارتفاع بالعمل الى السماء والمنزلة العالية ﴿واتبع هواه﴾ في دعائه اليها فوضعناه عن الدرجة الانسانية ﴿فمثله﴾ صفته التي انحط اليها ﴿كمثل الكلب ان تحمل عليه﴾ بالطرد والزجر ﴿يلهث﴾ يدلع لسانه ويظهر عليه امارات التعب ﴿او﴾ ان ﴿تتركه يلهث﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال اي لاهثا ذليلا بكل حال والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما قبلها من الميل الى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله ﴿ذلك﴾ المثل ﴿مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ اي ان المثل في الصورة وان ضرب لواحد فالمراد به كل من تناولته تلك الصفة من وجود العلم وترك العمل به ﴿فاقصص القصص﴾ على اليهود وغيرهم ﴿لعلهم يتفكرون﴾ يتدبرون فيها فيؤمنوا ويتعظوا .

١٧٧ ﴿ساء﴾ بئس ﴿مثلا القوم﴾ اي مثل القوم ﴿الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون﴾ بالتكذيب لان وباله لا يتخطاها فيكونون بذلك ظلموا انفسهم بمنعها ما تستحق لو عملوا بالآيات بدون تحريف .

١٧٨ ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ اي من يوفقه الله الى الايمان بآياته والعمل بها بدون تحريف ولا تغيير فتنفتح بذلك بصيرته لدلائل الهدى الكونية ويقبل دلائل الهدى في الرسالات فهو المهتدي حقا الواصل صدقا الذي يعرف الطريق ويسير على الصراط ﴿ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾ والذي يضله الله لا يفتح قلبه ولا يستخدم عينه واذنه فلا يرى النور ولا يعرف الطريق فيبقى متخبطاً في الظلمات حتى يخسر نفسه فمهما ملك فهو هباء او هواء فهو تعقيب لمثل الشخص الذي آتاه الله العلم ولم يعمل بمقتضاه .

١٧٩ ﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ الحق ﴿ولهم اعين لا يبصرون بها﴾ الدلائل على قدرة الله بصر اعتبار ﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿اولئك كالانعام﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بل هم أضل﴾ من الانعام لانها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿اولئك هم الغافلون﴾ التاركون لأهمية انفسهم .

ومن الانحراف عن طريق الهدى دعاء الله بغير ما روي من اسمائه ومن الهدى دعاؤه تعالى بما انزل على رسوله من أسمائه

١٨٠ ﴿ولله الاسماء الحسنى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث ﴿فادعوه﴾ سموه ﴿بها وذروا﴾ اتركوا ﴿الذين يلحدون﴾ من ألحد ولحد يميلون عن الحق ﴿في اسمائه﴾ حيث اشتقوا منها اسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان . وقال اهل المعاني الالحاد في اسمائه تعالى ان تسميه بما لم يسم الله به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن اسماءه تعالى كلها توقيفية فيجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ﴿سيجزون﴾ في الآخرة جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ من الالحاد .

١٨١ ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ هم امة محمد ﷺ كما في الحديث «لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله» رواه الشيخان وقيل هم العلماء «الدعاة الى الدين» .

١٨٢ ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ القرآن بترك العمل به ﴿سنستدرجهم﴾ نأخذهم قليلا قليلا ﴿من حيث لا يعلمون﴾ .

١٨٣ ﴿وأملي لهم﴾ أمهلهم ﴿ان كيدي متين﴾ شديد لا يطاق .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ
حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا
مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ
ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

١٨٤ ﴿أو لم يتفكروا﴾ فيعلموا ﴿ما بصاحبهم﴾ محمد ﷺ ﴿من جنة﴾ جنون ﴿إن﴾ ما ﴿هو الا نذير مبين﴾ بين الانذار .

١٨٥ ﴿او لم ينظروا في ملكوت﴾ ملك ﴿السموات والارض و﴾ في ﴿ما خلق الله من شيء﴾ بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿و﴾ في ﴿أن﴾ اي انه ﴿عسى أن يكون قد اقترب﴾ قرب ﴿أجلهم﴾ فيموتوا كفارا فيصيروا الى النار فيبادروا الى الا يمان ﴿فبأي حديث بعده﴾ اي القرآن ﴿يؤمنون﴾ .

١٨٦ ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم﴾ بالياء وقرىء بالنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا على محل ما بعد الفاء ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون تحيرا .

ومن الانحراف عن الدين القويم ترك ما يعني الانسان والاشتغال بالسؤال عما لا يعنيه كالذي لا يبصر ما تحت قدميه ويريد ان يرى الافق البعيد .

١٨٧ ﴿يسألونك﴾ اي اهل مكة ﴿عن الساعة﴾ القيامة ﴿ايان﴾ متى ﴿مرساها﴾ استئناف مسبوق ببيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم ﴿قل﴾ لهم ﴿انما علمها﴾ متى تكون ﴿عند ربي لا يجليها﴾ يظهرها ﴿لوقتها الا هو﴾ اللام لبيان الغاية لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها الا هو من غير ان يشعر به أحد من المخلوقين ليكونوا على حذر ﴿ثقلت﴾ عظمت ﴿في السموات والارض﴾ على اهلهما لهولها ﴿لا تأتيكم الا بغتة﴾ فجأة ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ كانك دائم السؤال عنها ولا يعرفون انك لا تسأل عنها اذ عرفت حدودك وتعلم ما هو مخول لك وما هو مفوض الى ربك وهذا استهزاء بهم اي هم لا يعرفون حدودهم وانت تعرف حدودك ولا تجاوزها ﴿ قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ ان علمها عنده تعالى ولذلك يسألونك عنها . ان الساعة غيب لا يعلمها الا الله .

يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ
حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ
ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا
صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ
أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ
أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ

٢٢٤

١٨٨ ﴿قل لا املك لنفسي نفعا﴾ اجلبه ﴿ولا ضرا﴾ ادفعه ﴿الا ما شاء الله﴾ تمكيني منه فاني املكه بان يلهمني إياه وقيل انه استثناء منقطع والمعنى لكن ما شاء الله من ذلك كائن وهو غيب ﴿ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿ان﴾ ما ﴿انا الا نذير﴾ بالنار للكافرين ﴿وبشير﴾ بالجنة ﴿لقوم يؤمنون﴾ اذ هم المنتفعون بالتبشير.

ثم ذكر فيما يأتي جولة جديدة لضرب المثل من واقع الحياة على البداية المستقيمة المنحرفة في الآدميين ثم تنتهي الى الجدل المنطقي حول الآلهة المدعاة التي يعبدها المشركون.

١٨٩ ﴿هو﴾ اي الله ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ اي آدم ﴿وجعل﴾ خلق ﴿منها زوجها﴾ الذكر والانثى على فطرة واحدة ﴿ليسكن﴾ الذكر ﴿اليها﴾ الى الانثى ويألفها ﴿فلما تغشاها﴾ جامعها ﴿حملت حملا خفيفا﴾ هو النطفة ﴿فمرت به﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فلما أثقلت﴾ بكبر الولد في بطنها واشفقا على حياتها ﴿دعوا الله ربهما لئن آتيتنا﴾ اعطيتنا امرا ﴿صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ لك عليه.

١٩٠ ﴿فلما آتاهما﴾ ولدا ﴿صالحا جعلا له﴾ اي لله ﴿شركاء فيما آتاهما﴾ بدل الشكر عليه اشركوا له والشرك صنوف واشكال. واذ كان المشركون على عهد الرسول ﷺ وقبله كانوا ينذرون بعض ابنائهم للآلهة او لمعابد الآلهة او لكهنة المعابد فان الكثيرين اليوم يشركون بالله حين يسمون ابناءهم عبيدا لغير الله سبحانه او حين يجعلون في ابدانهم نصيبا للتمائم والعادات الوثنية التي يزاولها الكثيرون وهي تمثل الانحراف عن التوحيد المطلق واتخاذ الشركاء لله فيما آتاه ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ اي تنزه عما يشركونه به في العبادة والعبادة هي امتثال امر واجتناب نهي من الله أو من غيره فما كان من غير الله فهو الشرك والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض والتقدير هو الذي خلقكم من نفس واحدة فتعالى الله عما يشركون ويكون في قوله يشركون التفات.

عندما ينتهي المثل بدأ السياق يستنكر ما كان عليه المشركون على عهد الرسول عليه السلام من اتخاذهم الاصنام التي لا تعقل ولا تهتدي وليس لها تأثير ما فقال.

١٩١ ﴿ايشركون﴾ بالله في العبادة ﴿مالا يخلق شيئا﴾ ما ﴿و﴾ الحال ﴿هم﴾ المشركون أو الاصنام المعبودة وغلب فيها العقلاء كالمسيح وعزير او لاعتقاد الكفار انها تعقل ﴿يخلقون﴾.

١٩٢ ﴿ولا يستطيعون لهم﴾ لعبادتهم ﴿نصرا ولا أنفسهم ينصرون﴾ بمنعها ممن اراد بهم سوءا من كسر او غيره والاستفهام للتوبيخ.

١٩٣ ﴿وان تدعوهم﴾ ايها المشركون ان تدعوا الاصنام ﴿الى الهدى لا يتبعونكم﴾ لا يجيبونكم الى مرادكم بهم كما يجيبكم الله ان دعوتموه. بتشديد التاء في يتبعوكم وقرىء بالتخفيف ﴿سواء عليكم أدعوتموهم﴾ اليه ﴿ام أنتم صامتون﴾ عن دعائهم لا يتبعون لعدم سماعهم فلا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية.

ثم بين للمشركين غباوتهم بعبادتهم الأصنام فقال.

١٩٤ ﴿ان الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله عباد﴾ مملوكة ﴿امثالكم﴾ بل انتم ارفع منهم لانهم لا حياة فيهم وانتم فيكم الحياة وتتكلمون ومع ذلك اذا أصررتم في اعتقاد ان فيهم حياة ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ دعاءكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ في انها حية تستحق العبادة. ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال.

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ
فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن
تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا
هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ

١٩٥ ﴿ألهم ارجل يمشون بها ام﴾ بل أ ﴿لهم ايد﴾ جمع يد ﴿يبطشون بها ام﴾ بل أ ﴿لهم أعين يبصرون بها ام﴾ بل أ ﴿لهم آذان يسمعون بها﴾ استفهام انكار اي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وانتم أتم حالا منهم . ثم أمر النبي ﷺ ان يتحداهم هم واصنامهم الى قتله ليبين لهم عجزهم فقال ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ادعوا شركاءكم﴾ الى اهلاكي ﴿ثم كيدون فلا تنظرون﴾ فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم .

١٩٦ ﴿ان ولي الله﴾ متولي اموري ﴿الذي نزل الكتاب﴾ القرآن ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ بحفظه .

١٩٧ ﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون﴾ فكيف ابالي بهم .

١٩٨ ﴿وان تدعوهم﴾ اي الاصنام ﴿الى الهدى لا يسمعوا وتراهم﴾ اي الاصنام يا محمد ﴿ينظرون اليك﴾ اي يقابلونك كالناظر ﴿وهم لا يبصرون﴾ وان كانوا مصورين بالعين والانف والاذن فهي صورة لا حياة فيها .

ثم وجه الله تعالى قيمة من مكارم الاخلاق لرسوله محمد ﷺ ليواجه بالدعوة الجاهلية الجهلاء بما سيكون عونا له في القيام بواجباته فقال .

١٩٩ ﴿خذ العفو﴾ اليسر بما جاء بلا كلفة من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وأمر بالعرف﴾ بكل ما امرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكل ما يعرف في الشرع حسنه ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ فلا تقابلهم بسفههم وهي كقوله تعالى «واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» قال جعفر الصادق ليس في القرآن آية اجمع منها لمكارم الاخلاق وقال جبريل في تفسيرها «امرك ربك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك» وهي محكمة في معاملة الكفار بما ينبغي وفي معاملة ضعفاء الاسلام وجفاة الاعراب .

٢٠٠ ﴿واما﴾ ادغمت نون الشرط في ما الزائدة ﴿ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ ان ينخسنك من الشيطان نخس أي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة ﴿فاستعذ بالله﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف اي يدفعه عنك ﴿انه﴾ الله ﴿سميع﴾ للقول ﴿عليم﴾ بكل شيء .

ثم بين ان الناس عند سماع الوعظ والذكر قسمان قسم يتعظ ويتقي واذا دخله شيء من الشيطان تذكر ورجع الى الطريق المستقيم وقسم لا يتعظ ولا يتقي ويستمر على الضلال ويساعد الشيطان في ابطال الحق فقال .

٢٠١ ﴿ان الذين اتقوا﴾ اتبعوا امر الله في جميع حركاتهم وسكناتهم ﴿اذا مسهم﴾ أصابهم ﴿طائف﴾ وفي قراءة طيف اي شيء من وسوسة الشيطان وألم بهم ﴿من الشيطان تذكروا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فاذا هم مبصرون﴾ الحق من غيره فيرجعون اي ان مس الشيطان يعمي ويطمس ويغلق البصيرة ولكن التقوى التي توصل القلوب بالله تفتح بصائر اصحابها وتكشف الغشاوة عن عيونهم .

٢٠٢ ﴿واخوانهم﴾ الشياطين من الكفار والفساق ﴿يمدونهم في الغي﴾ في الضلال والشك من مس الشيطان ﴿ثم لا يقصرون﴾ في امدادهم او مدهم بل يجتهدون في ابطال الحق بسؤال التعنت وطلب الآيات غير ناظرين الى معجزة القرآن .

مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾
وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

(٨) سُورَةُ الأَنفَالِ مَدَنِيَّة
وآياتها خمس وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

٢٠٣ ﴿وإذا لم تأتهم بآية﴾ مما اقترحوا ﴿قالوا لولا﴾ هلا ﴿اجتبيتها﴾ أنشأتها من قبل نفسك يقولون ذلك تهكما ﴿قل﴾ لهم ﴿انما اتبع ما يوحى إلي من ربي﴾ وليس لي أن آتي من عندي بشيء ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر﴾ حجج ﴿من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾

٢٠٤ ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له﴾ ايها المؤمنون ﴿وأنصتوا﴾ عن الكلام ﴿لعلكم ترحمون﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل في قراءة القرآن مطلقا فترك الكلام في الخطبة واجب وفي القراءة ندب .

وتختم السورة كما بدأت بالتوجيه الى ذكر الله وافضله بالنفس فقال .

٢٠٥ ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ أي سراً ﴿تضرعا﴾ تذللا ﴿وخيفة﴾ خوفا منه . ثم باللسان ﴿و﴾ فوق السر ﴿دون الجهر من القول﴾ اي قصداً بينهما ﴿بالغدو والآصال﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عن ذكر الله وفي سورة الرعد قال تعالى « الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

٢٠٦ ﴿ان الذين عند ربك﴾ اي الملائكة ﴿لا يستكبرون﴾ لا يتكبرون ﴿عن عبادته ويسبحونه﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وله يسجدون﴾ اي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا امثالهم .

هنا يشرع للقارىء سجود التلاوة في صلاة او غيرها ويشرع للمستمع اذا صح للقارىء ان يؤمه في الصلاة ويشترط في سجود التلاوة شروط الصلاة.وتجوز بعد صلاتي الصبح والعصر وقبل الاسفار الاعلى والاصفرار. والله اعلم .

﴿ سورة الأنفال ﴾

مدنية او الا « واذ يمكر بك » الآيات السبع فمكية وهي خمس او ست او سبع وسبعون آية .

وموضوعها الرئيسي التربية الحزبية نزلت في غزوة بدر فتضمنت الكثير من نظام السلم والحرب ونظام الغنائم والاسرى ونظام المعاهدات والمواثيق ونظام النصر والهزيمة وواجبات المجاهدين في الاعداد والاستعداد ثم ترك الامر بعد ذلك لله وما النصر الا من عند الله .

نزلت بعد ان تمت غزوة بدر الكبرى التي فرقت بين الحق والباطل وبين الاسلام والكفر وجعلت الاسلام دولة مستقلة لها كيانها ونظامها وسلطتها مما يخالف أنظمة العالم قبلها او بعدها .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان هي لنا لأننا باشرنا القتال وقال الشيوخ كنا ردءا لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم الينا فلا تستأثروا بها نزل بيان من الله أن المال لله ولرسوله فقط اذ النصر ليس من احد الفريقين وانما هو من الله الذي هيأهم لما هيأ لهم فقال .

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ
إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ
مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾
وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ
وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

١ ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿عن الانفال﴾ الغنائم سميت انفالا جمع نفل بمعنى الزيادة لانها مثل النفل على ما انعم الله به عليهم من النصر الاكبر والعز الادوم الذي نالوه عقيب هذه الحرب ﴿قل﴾ لهم ﴿الانفال لله والرسول﴾ يجعلانها حيث شاءا . فقسمها ﷺ بينهم على السواء رواه الحاكم في المستدرك .

ثم امرَ المسلمين بما يجب في حقهم فقال ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ اي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين﴾ حقا .

٢ ﴿إنما المؤمنون﴾ الكاملو الايمان ﴿الذين اذا ذكر الله﴾ اي وعيده ﴿وجلت﴾ خافت ﴿قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ تصديقا فنفس التصديق تقبل القوة للفرق الذي نعرفه بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة . ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ به يثقون لا بغيره .

٣ ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿ومما رزقناهم﴾ اعطيناهم ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله .

٤ ﴿اولئك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هم المؤمنون حقا﴾ صدقا بلا شك ﴿لهم درجات﴾ منازل في الجنة ﴿عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة .

ثم ذكر فيما ياتي اسبابا تدل على ان الانفال لله وللرسول فقال .

٥ ﴿كما﴾ انه ليس لهم تدبير في خروجك بهم ﴿أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ الوحي متعلق بأخرج ﴿وان فريقا من المؤمنين لكارهون﴾ الخروج اي هذه الحال التي هي حكم الله بان الانفال لله والرسول في كراهتهم لها مثل اخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك ايضا .

وذلك ان ابا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي ﷺ واصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرجت وخرج ابو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير . واخذ ابو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لابي جهل ارجع فأبى وسار الى بدر . فشاور ﷺ اصحابه وقال ان الله وعدني احدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى .

٦ ﴿يجادلونك في الحق﴾ القتال سمي حقا اذ هو كيان الامة ﴿بعدما تبين﴾ ظهر لهم انه الصواب ﴿كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون﴾ اليه عيانا في كراهتهم له

٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ يعدكم الله احدى الطائفتين﴾ العير او النفير ﴿أنها لكم وتودون﴾ تريدون ﴿ان غير ذات الشوكة﴾ اي البأس والسلاح وهي العير ﴿تكون لكم﴾ لقلة عددها وعددها بخلاف النفير ﴿ويريد الله ان يحق الحق﴾ يظهره ﴿بكلماته﴾ السابقة بظهور الاسلام ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير .

٨ ﴿ليحق الحق﴾ يثبته ﴿ويبطل﴾ يمحق ﴿الباطل﴾ الكفر ﴿ولو كره المجرمون﴾ المشركون ذلك . وهذا مما يدل على ان الانفال لله المدبر هذه الامور والرسول المنفذ لامر الله .

٩ اذكر ﴿اذ تستغيثون ربكم﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم ﴿فاستجاب لكم أني﴾ اي بأني ﴿ممدكم﴾ معينكم ﴿بالف من الملائكة مردفين﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضا وعدهم بها اولا ثم صارت ثلاثة الاف ثم خمسة كما في آل عمران ثم نبه تعالى بقوله .

١٠ ﴿وما جعله الله﴾ اي الامداد ﴿الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم﴾ ففيه تنبيه على ان الواجب على المسلم ان لا يتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده الظفر والاعانة وكل ما تحصل من ذلك مثل الانفال فهوله ولرسوله .

١١ اذكر ﴿اذ يغشيكم﴾ بالياء والتشديد وقرىء بدونه وبالف وبدون تشديد ﴿النعاس أمنة﴾ امنا مما حصل لكم من الخوف ﴿منه﴾ تعالى ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ من الاحداث ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وسوسته اليكم بانكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء ﴿وليربط على قلوبكم﴾ باليقين والصبر ﴿ويثبت به الاقدام﴾ أن تسوخ في الرمل لان الماء اذا نزل على الرمل جمد وسهل المشي عليه ولم يبق فيه غبار . وكل هذا مما يبين ان النصر انما هو من الله وحده .

١٢ واذكر ﴿اذ يوحي ربك الى الملائكة﴾ الذين امد بهم المسلمين ﴿أني﴾ بأني ﴿معكم﴾ بالعون والنصر ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ بالاعانة والتبشير ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ الخوف ﴿فاضربوا فوق الاعناق﴾ اي الرؤس ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ اي اطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل ان يصل اليه سيفه ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه منها شيء فهزموا .

١٣ ﴿ذلك﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بأنهم شاقوا﴾ خالفوا ﴿الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب﴾ له . وهذه القاعدة عامة .

١٤ ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿فذوقوه﴾ ايها الكفار في الدنيا ﴿وان للكافرين﴾ في الآخرة ﴿عذاب النار﴾ محتم وكذلك لبعض الفساق المسلمين عذاب النار الا انهم لا يدومون فيها كما في الحديث .

ثم تطرق بذكر اسباب النصر الذي هو بيده ان يبذل المؤمنون وسعهم وهو الذي يقتل الكفار وينجح الرمية حين ترمى ويضعف تدبير الكافرين فلا يفلحون فقال .

رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ
قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم
مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ

كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن
تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا
وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ

١٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا﴾ اي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فلا تولوهم الادبار﴾ منهزمين.

١٦ ﴿ومن يولهم يومئذ﴾ اي يوم لقائهم ﴿دبره الا متحرفا﴾ منعطفا ﴿لقتال﴾ بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة ﴿او متحيزا﴾ منضما ﴿الى فئة﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فقد باء﴾ رجع ﴿بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ المرجع هي وهذا مخصوص بما اذا لم يزد الكفار على الضعف.

١٧ ﴿فلم تقتلوهم﴾ ببدر بقوتكم ﴿ولكن الله قتلهم﴾ حقيقة وبنصره اياكم ﴿وما رميت﴾ يا محمد اعين القوم ﴿اذ رميت﴾ بالحصى لان كفا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿ولكن الله رمى﴾ بايصال ذلك اليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء﴾ عطاء ﴿حسنا﴾ هو النصر والغنيمة ﴿ان الله سميع﴾ لاقوالكم ﴿عليم﴾ بأحوالكم.

١٨ ﴿ذلكم﴾ البلاء حق ﴿وان الله موهن﴾ مضعف ﴿كيد الكافرين.﴾ وقرىء بتشديد الهاء والتنوين في موهن ونصب كيد. ثم التفت الى الكفار يسخر منهم فقال.

١٩ ﴿ان تستفتحوا﴾ أيها الكفار اي تطلبوا الفتح اي القضاء حيث قال ابو جهل منكم اللهم أينا كان اقطع للرحم واتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة اي اهلكه ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو ابو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وان تنتهوا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فهو خير لكم وان تعودوا﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نعد﴾ لنصره عليكم ﴿ولن تغنى﴾ تدفع ﴿عنكم فئتكم﴾ جماعتكم ﴿شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ بفتح ان على تقدير اللام وقرىء بكسرها استئنافا. وماذا تفعل الكثرة اذا كان الله في جانب المؤمنين ان المعركة على هذا النحو لن تكون متكافئة ابدا لأن المؤمنين معهم الله والكفار ليس معهم الا انفسهم وما اضعف وما اخسر جانبا يحاربه الله وما اقوى وما اربح جانبا يتولاه الله.

ثم رجع الخطاب الى المؤمنين بعد ان ذكر ان الله في جانبهم ومن كان الله في جانبه يجب عليه ان يحافظ على طاعته ليدوم في أمن وربح.

٢٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا﴾ تعرضوا ﴿عنه﴾ بمخالفة أمره ﴿وانتم تسمعون﴾ القرآن والمواعظ وتفهمون معناها.

٢١ ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون او المشركون الذين هم كالدواب الصم البكم المجانين.

ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَٱذْكُرُوٓا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ
وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا

٢٢ ﴿ان شر الدواب عند الله الصم﴾ عن سماع الحق ﴿البكم﴾ عن النطق به ﴿الذين لا يعقلون﴾ .

٢٣ ﴿ولو علم الله فيهم خيرا﴾ صلاحا بسماع الحق ﴿لأسمعهم﴾ سماع تفهم ﴿ولو أسمعهم﴾ فرضا وقد علم ان لا خير فيهم ﴿لتولوا﴾ عنه ﴿وهم معرضون﴾ عن قبوله عنادا وجحودا .

٢٤ ﴿يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾ بالطاعة ﴿اذا دعاكم لما يحييكم﴾ من أمر الدين والجهاد لانه سبب الحياة الابدية والعز السرمدي ﴿واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه﴾ فلا يستطيع ان يؤمن او يكفر الا بارادته ﴿وانه اليه تحشرون﴾ فيجازيكم باعمالكم .

٢٥ ﴿واتقوا فتنة﴾ ان اصابتكم ﴿لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بانكار موجبها من المنكر . قال ابن عباس امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم والذنوب التي يعم الناس اثرها كثيرة كإقرار المنكر بين أظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد والحكم بغير ما أنزل الله . ﴿واعلموا ان الله شديد العقاب﴾ لمن يخالفه .

فاستجيبوا لما يدعوكم اليه الرسول فهو انما يدعوكم لما يحييكم .

٢٦ . ﴿واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض﴾ ارض مكة ﴿تخافون ان يتخطفكم الناس﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فآواكم﴾ الى المدينة ﴿وأيدكم﴾ قواكم ﴿بنصره﴾ يوم بدر بالملائكة وغيرهم ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ الغنائم ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمه وتجيبون دعوته الى ما يزيدكم حياة ويزيدكم من نعم الله مولاكم .

ثم ان الاموال والاولاد قد تقعد الانسان عن الاستجابة خوفا وبخلا عليها وشفقة كما حصل لأبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ الى بني قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار اليهم انه الذبح لأن عياله وماله فيهم . فمخالفة النبي في مثل هذا اثانية خيانة لله ولرسوله وسائر المسلمين فلا بد من التنبيه اليه فقال تعالى .

٢٧ ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول و﴾ لا ﴿تخونوا أماناتكم﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وانتم تعلمون﴾ اي والحال تعلمون ان قد وقع منكم خيانة .

٢٨ ﴿واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ لكم صادة عن امور الآخرة ﴿وان الله عنده أجر عظيم﴾ فلا تفوتوه بمراعاة الاموال والاولاد والخيانة لأجلهم . الدين امانة وكل شعيرة من شعائره جزء من تلك الامانة فمن أخل بشيء منها لانانيته فقد خان الله ورسوله وخان اخوانه المسلمين فيجب على فاعل ذلك التوبة والتائب كمن لا ذنب له .

إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ
إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا
كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا

٢٩ ﴿يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله﴾ بالانابة وغيرها ﴿يجعل لكم فرقانا﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم﴾ ذنوبكم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ .

ثم استطرد السياق الى ما كان من امر الرسول ﷺ في مكة ومن أمر المشركين معه الى ان صار الامر الى ما صار اليه في المدينة بعد غزوة بدر الكبرى فقال .

٣٠ ﴿و﴾ اذكر يا محمد . ﴿اذ يمكر بك الذين كفروا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿ليثبتوك﴾ يوثقوك ويحبسوك ﴿او يقتلوك﴾ كلهم قتلة رجل واحد ﴿او يخرجوك﴾ من مكة ﴿و﴾ الحال انهم ﴿يمكرون﴾ بك اي احتالوا في ابطال امرك ﴿ويمكر الله﴾ بهم بتدبير امرك بأن أوحى اليك ما دبره وأمرك بالخروج فرد عليهم عاقبة مكرهم ﴿والله خير الماكرين﴾ اعلمهم به ومن احوال المشركين عندما كان النبي ﷺ بمكة بينهم .

٣١ ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ القرآن ﴿قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ قاله النضر بن الحرث لانه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الاعاجم ويحدث بها اهل مكة ﴿ان﴾ ما ﴿هذا﴾ القرآن ﴿الا أساطير الاولين﴾ أكاذيب اي ما سطروه من القصص والاخبار يقصد بذلك ابطال اعجاب الناس به فلا يلتفتون اليه .

٣٢ ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا﴾ الذي يقرأه محمد ﴿هو الحق﴾ المنزل ﴿من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم﴾ مؤلم على انكاره قاله النضر او غيره استهزاء وايهاما على بصيرة وجزم ببطلان رسالة محمد ﷺ . قال تعالى .

٣٣ ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ بما سألوه ﴿وأنت فيهم﴾ لان العذاب اذا نزل عم ولم تعذب أمة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ اي لوجود المؤمنين المستغفرين فيهم فليس قول الكفار في طوافهم غفرانك غفرانك بالاستغفار الذي يمنع وقوع العذاب عليهم لعدم شرطه كما قال «لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما» وقوله .

٣٤ ﴿وما لهم ان لا يعذبهم الله﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿وهم يصدون﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عن المسجد الحرام﴾ ان يطوفوا به ﴿وما كانوا أولياءه﴾ كما زعموا انهم مستحقون ولاية امره مع شركهم وهذا رد لما كانوا يقولونه نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿ان﴾ ما ﴿أولياؤه الا المتقون﴾ عن الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ ان لا ولاية لهم عليه .

مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ
ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ
جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾
قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن
يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى

٣٥ ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء﴾ صفيرا ﴿وتصدية﴾ تصفيقا اي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها عن ابن عمر رضي الله عنه انهم كانوا يضعون خدودهم على الارض ويصفقون ويصفرون ﴿فذوقوا العذاب﴾ ببدر وغيره ﴿بما كنتم تكفرون﴾ بكفركم اذ من بدل الدين الذي أمر به واتبع هواه كافر. يعذبه الله مرتين بعذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة .

والكفار ينفقون اموالهم ليتعاونوا على الكفر. هكذا كانوا يوم بدر وهكذا ظلوا بعد بدر. والله ينذرهم بالحسرة على ما ينفقون من اموالهم في ذلك ويعدهم الهزيمة والخذلان فقال .

٣٦ ﴿ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ اي يحاربون النبي والمؤمنين لذلك وسبيل الله هو كل ما فيه رفع للاسلام ﴿فسينفقونها ثم تكون﴾ في عاقبة الامر ﴿عليهم حسرة﴾ ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثم يغلبون﴾ في الدنيا ﴿والذين كفروا﴾ منهم ومن غيرهم ﴿الى جهنم﴾ في الآخرة ﴿يحشرون﴾ يساقون .

٣٧ ﴿ليميز﴾ متعلق بتكون بالتخفيف وقرىء بالتشديد اي يفصل ﴿الله الخبيث﴾ الكافر ﴿من الطيب﴾ المؤمن ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا﴾ يجمعه متراكما بعضه على بعض ﴿فيجعله في جهنم. اولئك هم الخاسرون﴾ .

٣٨ ﴿قل للذين كفروا﴾ كأبي سفيان واصحابه ﴿إن ينتهوا﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ من اعمالهم ﴿وان يعودوا﴾ الى قتاله ﴿فقد مضت سنت الاولين﴾ اي سنتنا فيهم بالاهلاك فكذلك نفعل بهم .

٣٩ ﴿وقاتلوهم﴾ ايها المؤمنون معطوف على «قل للذين» افرد الضمير في الاول للتلطف بهم وهو وظيفة النبي وجمع في الثاني لتحريض المؤمنين على القتال ﴿حتى لا تكون﴾ توجد ﴿فتنة﴾ شرك ﴿ويكون الدين كله لله﴾ وحده ولا يعبد غيره ﴿فان انتهوا﴾ عن الكفر ﴿فان الله بما يعملون بصير﴾ فيجازيهم به .

٤٠ ﴿وان تولوا﴾ عن الايمان ﴿فاعلموا ان الله مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نعم المولى﴾ هو ﴿ونعم النصير﴾ هو اي الناصر لكم .

ولما ثبت ان الانفال لله ولرسوله لما تقدم من الادلة المذكورة اعلاه بدأ يبين كيف يقسم هذا المال ويوزع الغنائم بعد ان ردت ملكيتها لله وللرسول في اول السورة فقال .

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى
ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ
ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ
وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ
حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ
فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ
فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

٤١ ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ أخذتم من الكفار قهرا ﴿من شيء فأن لله خمسه﴾ يأمر فيه بما شاء ﴿وللرسول ولذى القربى﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿واليتامى﴾ اطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿والمساكين﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره من المسلمين اي يستحقه النبي ﷺ والاصناف الاربعة على ما كان يقسمه من ان لكل خمس الخمس وبعد وفاته ﷺ صار سهمه الى ما رأى الامام فيه وعند أبي حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته ثم الاخماس الاربعة الباقية للغانمين ﴿ان كنتم آمنتم بالله﴾ فاعلموا ذلك ﴿وما﴾ عطف على بالله ﴿انزلنا على عبدنا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يوم الفرقان﴾ اي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يوم التقى الجمعان﴾ المسلمون والكفار ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم .

٤٢ ﴿اذ﴾ بدل من يوم ﴿انتم﴾ كائنون ﴿بالعدوة الدنيا﴾ القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي وقال ابو عمرو هي المكان المرتفع ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾ البعدى منها ﴿والركب﴾ العير كائنون بمكان ﴿اسفل منكم﴾ مما يلي البحر ﴿ولو تواعدتم﴾ انتم والنفير للقتال ﴿لاختلفتم في الميعاد ولكن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾ في علمه وهو نصر الاسلام ومحق الكفر . فعل ذلك ﴿ليهلك﴾ يكفر ﴿من هلك عن بينة﴾ اي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿ويحيى﴾ يؤمن ﴿من حي عن بينة وان الله لسميع عليم﴾ .

٤٣ اذكر ﴿اذ يريكهم الله في منامك﴾ اي نومك ﴿قليلا﴾ فأخبرت به أصحابك فسروا ﴿ولو اراكهم كثيرا لفشلتم﴾ جبنتم ﴿ولتنازعتم﴾ اختلفتم ﴿في الامر﴾ امر القتال ﴿ولكن الله سلم﴾ سلمكم من الفشل والتنازع ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب .

٤٤ ﴿واذ يريكموهم﴾ ايها المؤمنين ﴿اذ التقيتم في اعينكم قليلا﴾ نحو سبعين او مائة وهم الف لتقدموا عليهم ﴿ويقللكم في اعينهم﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم اراهم اياهم مثليهم كما في آل عمران ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع﴾ تصير ﴿الامور﴾. فيسيرها ويدبرها ولا يملك سواه تصريفا لها ولا تدبيرا .

فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى
إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

٤٥ ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة﴾ جماعة كافرة ﴿فاثبتوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ ادعوه بالنصر وكان النبي عليه السلام يقول عند لقاء العدو اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون .

٤٦ ﴿واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فتفشلوا﴾ تجبنوا ﴿وتذهب ريحكم﴾ قوتكم ودولتكم ﴿واصبروا ان الله مع الصابرين﴾ بالنصر والعون .

٤٧ ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم﴾ ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بطرا ورئاء الناس﴾ حيث قالوا لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿ويصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله والله بما تعملون﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿محيط﴾ علما فيجازيهم به .

٤٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ زين لهم الشيطان﴾ ابليس ﴿اعمالهم﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج لقتال المسلمين من اعدائهم بني بكر وهم قبيلة كنانة وكانت قريبة من قريش بينها وبينهم الحروب الكثيرة فأتى ابليس قريشا في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية برجال من بني مدلج ﴿وقال﴾ لهم ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم﴾ من كنانة . ﴿فلما تراءت﴾ التقت ﴿الفئتان﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكانت يده في يد الحرث بن هشام ﴿نكص﴾ رجع ﴿على عقبيه﴾ هاربا ﴿وقال﴾ لما قالوا له أتخذ لنا على هذه الحال ﴿إني بريء منكم﴾ من جواركم ﴿اني أرى ما لا ترون﴾ من الملائكة ﴿اني أخاف الله﴾ ان يهلكني ﴿والله شديد العقاب﴾ من تمام كلام الشيطان بسطا لعذره او مستأنف من كلام الله تعالى تهديدا لابليس .

٤٩ واذكر ﴿ اذ يقول المنافقون والـذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد ﴿غر هؤلاء﴾ المسلمين ﴿دينهم﴾ اذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما انهم ينصرون بسببه قال تعالى في جوابهم ﴿ومن يتوكل على الله﴾ يثق به يغلب ﴿فان الله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم﴾ في صنعه .

وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ
ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ
عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ
فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٢٣٥

٥٠ ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿اذ يتوفى﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿الذين كفروا الملائكة يضربون﴾ حال ﴿وجوههم وأدبارهم﴾ بمقامع من حديد ﴿و﴾ يقولون لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ اي النار وجواب لو لرأيت أمرا عظيما .

٥١ ﴿ذلك﴾ التعذيب ﴿بما قدمت ايديكم﴾ عبر بها دون غيرها لأن اكثر الافعال تزاول بها ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ اي بذى ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب .

. تلك سنة الله الماضية التي لا تتخلف ولا تتبدل وذلك هو المصير المحتوم لكل من يشرك بالله ويكفر به .

٥٢ ﴿كدأب﴾ كعادة ﴿آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله﴾ بالعقاب ﴿بذنوبهم﴾ جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها ﴿ان الله قوي﴾ على ما يريد ﴿شديد العقاب﴾ .

٥٣ ﴿ذلك﴾ اي تعذيب الكفرة ﴿بأن﴾ اي بسبب ان ﴿الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم﴾ مبدلا لها بالنقمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يبدلوا نعمتهم كفرا كتبديل كفار مكة اطعامهم من جوع وتأمينهم من خوف وبعث النبي ﷺ اليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وان الله سميع عليم﴾ .

٥٤ ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون﴾ قومه معه ﴿وكل﴾ من الامم المكذبة ﴿كانوا ظالمين﴾ اي لأنفسهم بالكفر ولانبيائهم بالتكذيب .

وفيما يأتي درس عن نظام الاسلام للحرب والسلم والجهاد والانفاق في سبيل الله وفي العهود والمواثيق وعلاقات الدم والجنس والارض وعلاقات العقيدة . وبيان أن الجهاد فريضة يجب ان يستعد لها المسلمون بقدر الطاقة ويتركوا الباقي لله وان السلم هو الاصل والقاعدة واما الحرب فحالة طارئة لدفع الباطل واثبات الحق . قال تعالى

٥٥ ﴿ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾

٥٦ ﴿الذين عاهدت منهم﴾ أن لا يعينوا المشركين وهم بنو قريظة من يهود المدينة ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ عاهدوا فيها أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا العهد ثم عاهدهم فنكثوا ومالأوهم عليه يوم الخندق وهكذا ﴿وهم لا يتقون﴾ الله في الغدر .

٥٧ ﴿فإما﴾ فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة ﴿تثقفنهم﴾ تجدنهم ﴿في الحرب فشرد﴾ فرق ﴿بهم من خلفهم﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لعلهم﴾ اي الذين خلفهم ﴿يذكرون﴾ يتعظون بهم .

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم
مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟
مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾
۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ
حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾
وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ
أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

٥٨ ﴿وإما تخافن من قوم﴾ عاهدوك ﴿خيانة﴾ في عهد بأمارة تلوح لك منهم ﴿فانبذ﴾ اطرح عهدهم ﴿اليهم على سواء﴾ حال اي مستويا انت وهم في العلم بنقض العهد بان تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿ان الله لا يحب الخائنين﴾ تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال قبل النبذ واما بعد نبذ العهد فالحرب خدعة .

٥٩ ﴿ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا﴾ الله اي فاتوه ﴿انهم لا يعجزون﴾ لا يفوتونه والمفعول الاول ليحسبوا محذوف اي انفسهم وقرىء بالتاء اي لا تحسبن يا محمد وفي قراءة بفتح أن على تقدير اللام .

٦٠ ﴿وأعدوا﴾ يا ايها المسلمون ﴿لهم﴾ لقتالهم ﴿ما استطعتم من قوة﴾ قال ﷺ هي الرمي رواه مسلم وكذلك جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان به في الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باعدادها . وقوله ﷺ « الا ان القوة الرمي » لا ينافي كون غير الرمي ليس من القوة ويدخل في هذه الآية كل استعداد من الآلات القديمة والحديثة وتعلم الفروسية وكل ذلك مأمور به لأنه من فروض الكفايات ﴿ومن رباط الخيل﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ويدخل في هذا حبس الناس العسكريين ﴿ترهبون﴾ تخوفون ﴿به عدو الله وعدوكم﴾ الكفار ﴿وآخرين من دونهم﴾ اي غيرهم وهم المنافقون من المسلمين الذين دخلوا الاسلام للغدر بالاسلام ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم﴾ جزاؤه ﴿وانتم لا تظلمون﴾ تنقصون منه شيئا .

٦١ ﴿وان جنحوا﴾ مالوا ﴿للسلم﴾ بكسر السين وفتحها الصلح ﴿فاجنح لها﴾ وعاهدهم والسلم يذكر ويؤنث والضمير في جنحوا للكفار وسواء كان العقد للجزية كما هو عند المالكية او للهدنة اتفاقا فالآية محكمة ﴿وتوكل على الله﴾ ثق به ﴿انه هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالاحوال ..

٦٢ ﴿وان يريدوا أن يخدعوك﴾ بالصلح ليستعدوا لك فصالحهم ولا تخش منه لان حسبك الله وهو قوله ﴿فان حسبك الله﴾ اي هو كافيك ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ .

٦٣ ﴿وألف﴾ جمع ﴿بين قلوبهم﴾ بعد الإحن بين القبائل وكان بين الأوس والخزرج فتن وحروب منذ مائة وعشرين سنة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام وبمحمد ﷺ . ﴿لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ بقدرته ﴿إنه عزيز﴾ غالب على امره ﴿حكيم﴾ لا يخرج شيء عن حكمته

ثم ان الله تبارك تعالى نبه نبيه على انه حسبه وكافيه وهو ايضا حسب من إتبعه من المومنين فمن يكن الله حسبه فلا ينبغي له ان يتردد في الدخول في القتال في سبيل الله فقال تعالى .

٦٤ ﴿يا ايها النبي حسبك الله و﴾ حسب ﴿من اتبعك من المؤمنين﴾ .

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ
إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن
يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ
وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ
يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ
ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ
سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا
غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ

٢٣٧

٦٥ ﴿يا أيها النبي حرض﴾ حث ﴿المؤمنين على القتال﴾ للكفار ولا يمنعهم من ذلك قلة عددهم ولا كثرة عدد اعدائهم ﴿ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ منهم ﴿وان يكن﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم﴾ اي بسبب انهم ﴿قوم لا يفقهون﴾ وهذا خبر بمعنى الامر اي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة الالف ويثبتوا لهم ثم نسخ لما كثروا بقوله .

٦٦ ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا﴾ بفتح الضاد وقرىء بضمها عن قتال عشرة امثالكم ﴿فان يكن﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ منهم ﴿وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله﴾ بارادته وهو خبر بمعنى الامر اي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا اليهم ﴿والله مع الصابرين﴾ بعونه .

ثم شرع في بيان حكم الاسر والاسارى في الاسلام فقال .

٦٧ ﴿ما كان لنبي ان يكون﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿له اسرى حتى يثخن في الارض﴾ يبالغ في قتل الكفار وتظهر شوكته وقوة المسلمين وذل الكفار فلا يخشى صولة الكفار خصوصا اذا اطلقت الاسرى . وقد اخذ النبي ﷺ بعد المشورة الفداء من اسرى بدر قبل نزول هذه الآية ﴿تريدون﴾ ايها المؤمنون ﴿عرض الدنيا﴾ حطامها فربما تميلون الى أخذ الفداء قبل الاثخان ﴿والله يريد الآخرة﴾ اي ثوابها الثابت ولذلك يرشدكم الى ما هو اثبت لكم ﴿والله عزيز حكيم﴾ اي ان الله يدبر لكم الامور وهو قوله في سورة القتال «اذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها» .

٦٨ و ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ فيما اخذتم من الفداء ﴿لمسكم فيما اخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾ والكتاب هو قوله تعالى فيما اظن «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله .» ففيه كتاب على ان النبي ﷺ اذن له ان يشاور اصحابه في مسائل حربية وان يتوكل على الله في تنفيذها بدون انتظار وحي ليعلم اصحابه عمل الرآسة ومهمة الرئيس . فليس قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم الخ بعتاب وليس الكتاب ايضا حكم احلال الغنائم والاسرى لانه سيأتي في الآية التي بعد هذه فقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم انما هو تذكير بنعمة الله لهذه الامة المسلمة على انه اباح لهم ما لم يبح للامم قبلهم من مشاركتهم فيما يؤلف قلوبهم وفيما يأتي بمصالحهم الدنيوية والأخروية

ثم فيما يتعلق باباحة الغنائم لهذه الامة قال تعالى .

٦٩ ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله، ان الله غفور رحيم﴾ ما لم يبح لأمة قبلكم .

وفيما يأتي كيفية معاملة الاسرى قال الله تعالى .

ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ
خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن
وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي
ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا

٧٠ ﴿يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى﴾ وفي قراءة الأسارى ﴿ان يعلم الله في قلوبكم خيرا﴾ ايمانا واخلاصا ﴿يؤتكم خيرا مما أخذ منكم﴾ من الفداء بان يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿ويغفر لكم﴾ ذنوبكم ﴿وا لله غفور رحيم﴾ . فهذا يدل على أن العدو يؤخذ منه ما ترتب عليه من الفداء وان اظهر اسلامه ثم يعامل معاملة طيبة مثل ما حصل للعباس عم النبي ﷺ فانه فدى نفسه وابن أخيه عقيلا بن ابي طالب ونوفلا بن الحارث بعد ان سلب منه عشرون اوقية .

٧١ ﴿وان يريدوا﴾ اي الاسرى ﴿خيانتك﴾ بما اظهروا من القول ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فأمكن منهم﴾ ببدر قتلا واسرا فليتوقعوا مثل ذلك ان عادوا ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه .

وفي الختام بيان العلاقات بين المؤمنين والمشركين ومن تناوله ولاية الاسلام قال الله تعالى .

٧٢ ﴿ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله﴾ وهم المهاجرون ﴿والذين آووا﴾ النبي ﷺ ﴿ونصروا﴾ وهم الانصار ﴿اولئك بعضهم اولياء بعض﴾ في النصرة والارث وكانوا يتوارثون بولاية الاسلام والاخوة الاسلامية بين المهاجرين والانصار ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم﴾ بفتح الواو وقرىء بالكسر ﴿من شيء﴾ فلا ارث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حتى يهاجروا﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ لهم على الكفار ﴿الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد فلا تنصروهم وتنقضوا عهدهم ﴿والله بما تعلمون بصير﴾ .

٧٣ ﴿والذين كفروا بعضهم اولياء بعض﴾ في النصرة والارث فلا ارث بينكم وبينهم . ﴿إلا تفعلوه﴾ اي تولي المسلمين وقمع الكفار ﴿تكن فتنة في الارض وفساد كبير﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن
بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

(٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ مَدَنِيَّةٌ
وآياتها تسع وعشرون ومائة

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾
وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ
أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ

٧٤ ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة .

٧٥ ﴿والذين آمنوا من بعد﴾ اي بعد السابقين الى الايمان والهجرة ﴿وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ ايها المهاجرون والانصار ﴿وأولو الارحام﴾ ذوو القرابات ﴿بعضهم اولى ببعض﴾ في الارث من التوارث بالايمان والهجرة المذكور في الآية السابقة ﴿في كتاب الله﴾ القرآن ﴿ان الله بكل شيء عليم﴾ ومنه حكمة الميراث .

﴿ سورة التوبة مدنية ﴾

مدنية او الا الآيتين آخرها وآياتها مائة وتسع وعشرون آية ولم تكتب فيها البسملة لانه ﷺ لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم . وسميت سورة التوبة لاشتمالها على ذكر التوبة في قوله « لقد تاب الله على النبي » الخ ولها اسماء كثيرة وروى البخاري عن البراء انها آخر سورة نزلت . وموضوعها الرئيسي فصل العلاقات بين الامة المسلمة والكفار من المشركين واهل الكتاب والمنافقين .

لقد كان بين المسلمين والمشركين عهود ولم يكن المشركون يحافظون على عهودهم الا ريثما تلوح لهم فرصة يحسبونها موآتية للكرة على المسلمين فأعلن الله في اول هذه السورة براءته ورسوله من عهودهم فقال .

١ ﴿براءة من الله ورسوله﴾ واصلة ﴿الى الذين عاهدتم من المشركين﴾ عهدا مطلقا او دون اربعة اشهر او فوقها . ونقض العهد بما ذكر في قوله .

٢ ﴿فسيحوا﴾ سيروا آمنين ايها المشركون ﴿في الارض اربعة اشهر﴾ اولها شوال بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿واعلموا انكم غير معجزي الله﴾ اي فائتي عذابه ﴿وان الله مخزي الكافرين﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والآخرة بالنار .

خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم
مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟
عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟
ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟

٣ ﴿وأذان﴾ اعلام ﴿من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر﴾ يوم النحر ﴿أن﴾ اي بان ﴿الله بريء من المشركين﴾ وعهودهم ﴿ورسوله﴾ بريء ايضا . وقد بعث النبي ﷺ عليا سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان رواه البخاري ﴿فان تبتم﴾ من الكفر ﴿فهو خير لكم وان توليتم﴾ عن الايمان ﴿فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر﴾ اخبر ﴿الذين كفروا بعذاب اليم﴾ مؤلم وهو القتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة .

٤ ﴿الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا﴾ من شروط العهد ﴿ولم يظاهروا﴾ يعاونوا ﴿عليكم أحداً﴾ من الكفار ﴿فأتموا اليهم عهدهم الى﴾ انقضاء ﴿مدتهم﴾ التي عاهدتم عليها ﴿ان الله يحب المتقين﴾ باتمام العهود .

٥ ﴿فاذا انسلخ﴾ خرج ﴿الاشهر الحرم﴾ وهي آخر مدة التأجيل ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ في حل او حرم ﴿وخذوهم﴾ بالاسر ﴿واحصروهم﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا الى القتل او الاسلام ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض ﴿فان تابوا﴾ من الكفر ﴿واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿ان الله غفور رحيم﴾ لمن تاب .

٦ ﴿وان أحد من المشركين﴾ الناقضين للعهد الذين امرت بالتعرض لهم ﴿استجارك﴾ استأمنك من القتل ﴿فأجره﴾ ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ القرآن ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ اي موضع أمنه وهو دار قومه ان لم يؤمن لينظر في أمره ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿بأنهم قوم لا يعلمون﴾ دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا .

لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً
يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾
ٱشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ
إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ
ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا
نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

٧ ﴿كيف﴾ اي لا ﴿يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾ وهم كافرون بهما غادرون ﴿الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل ﴿فما استقاموا لكم﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فاستقيموا لهم﴾ على الوفاء به وما شرطية ﴿ان الله يحب المتقين﴾ وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا باعانة بني بكر حلفائهم على خزاعة حلفائه ﷺ .

٨ ﴿كيف﴾ يكون للمشركين عهد ﴿وان يظهروا عليكم﴾ يظفروا بكم ﴿لا يرقبوا﴾ يراعوا ﴿فيكم إلاً﴾ قرابة ﴿ولا ذمة﴾ عهداً بل يؤذونكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ بكلامهم الحسن ﴿وتأبى قلوبهم﴾ الوفاء به ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ ناقضون للعهد .

٩ ﴿اشتروا بآيات الله﴾ القرآن ﴿ثمناً قليلا﴾ من الدنيا اي تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه ﴿انهم ساء﴾ بئس ﴿ما كانوا يعملون﴾ عملهم هذا .

١٠ ﴿لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة واولئك هم المعتدون﴾ .

١١ ﴿فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فاخوانكم﴾ اي فهم اخوانكم ﴿في الدين ونفصل﴾ نبين ﴿الآيات لقوم يعلمون﴾ يتدبرون .

١٢ ﴿وان نكثوا﴾ نقضوا ﴿أيمانهم﴾ مواثيقهم ﴿من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم﴾ عابوه ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر والنكتة فيه انه بمحاربة الائمة ينقاد الاتباع ويلفت انظارهم بسرعة واذا ما استطاع الائمة ان ينتصروا انقادوا كلهم بسهولة ﴿انهم لا أيمان﴾ عهود ﴿لهم﴾ وفي قراءة بالكسر في همزة إيمان ﴿لعلهم ينتهون﴾ عن الكفر .

١٣ ﴿ألا﴾ للتحضيض ﴿تقاتلون قوما نكثوا﴾ نقضوا ﴿أيمانهم﴾ عهودهم ﴿وهموا باخراج الرسول﴾ من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿وهم بدأوكم﴾ بالقتال ﴿اول مرة﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم ان تقاتلوهم ﴿أتخشونهم﴾ أتخافونهم ﴿فالله أحق ان تخشوه﴾ في ترك قتالهم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ .

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

١٤ ﴿قاتلوهم يعذبهم الله﴾ يقتلهم ﴿بايديكم ويخزهم﴾ يذلهم بالاسر والقهر ﴿وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ بما فعل بهم وهم بنو خزاعة .

١٥ ﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ كربها ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ بالرجوع الى الاسلام كأبي سفيان ﴿والله عليم حكيم﴾ .

١٦ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الانكار ﴿حسبتم ان تتركوا﴾ اي يترككم الله بدون تكليفكم بالقتال الذي سئمتموه ﴿ولما يعلم الله﴾ قبل ان يظهر الله ﴿الذين جاهدوا منكم﴾ بالاخلاص ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ بطانة واولياء اي ولم يظهر المخلصين وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿والله خبير بما تعملون﴾ هو بيان لقوله تعالى ولما يعلم الله اي لم يظهر المخلصين من غيرهم . وانه لمن مصلحة الجماعة ومن مصلحة العقيدة ان تهتك الاستار وتكشف الولائج وتعرف المداخل فيمتاز المكافحون المخلصون ويكشف الفئة التي تدور من خلف الجماعة وتتصل بخصومها استجلابا للمصلحة ولو على حساب الجماعة . فيعرف الناس كلا الفريقين على حقيقته وان كان الله يعلمهم من قبل «والله خبير بما تعملون» .

وبعد البراءة والاعلان لم يبق عذر لمسلم لا يقاتل المشركين ولا يتقوى به المسلمون في القتال وسياسة موضع قبلتهم في يد غيرهم وليس للمشرك حق ان يعمر بيت الله المستحق للعبادة وحده فقال تعالى .

١٧ ﴿ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله﴾ بالجمع وقرىء بالافراد اي بدخولها والقعود فيها وخدمتها ﴿شاهدين على انفسهم بالكفر﴾ بالسجود للاصنام ﴿اولئك حبطت﴾ بطلت أعمالهم﴾ التي عملوها من السقاية والرفادة و باقي اعمال الخير لعدم شرطها ﴿وفي النـ ـر هم خالدون﴾ .

١٨ ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخروأقام الصلاة وآتى الزكوة ولم يخش﴾ احدا ﴿الا الله فعسى اولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفات ﴿ان يكونوا من المهتدين﴾ الذي يمشون على هدى من الله . والمقصود بالمساجد هنا جميع مساجد اقطار الارض . ويجوز ان يدخل المسجد كافر باذن مسلم في عمل لا بد منه والتعمير يكون بنحو البناء والتزيين بالفرش والسراج و بالعبادة و ترك حديث الدنيا فيها .

ثم التفت للكفار مخاطبا فقال .

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ
ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

١٩ ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ اي الذين يعملونها مع الشرك ﴿كمن آمن بالله واليوم الآخر و جاهد في سبيل الله﴾ ثم استأنف وقال ﴿لا يستوون عند الله﴾ في الفضل ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ الكافرين نزلت على من قال ذلك وهو العباس او غيره .

٢٠ ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم اعظم درجة﴾ رتبة ﴿عند الله﴾ من غيرهم ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ الظافرون بالخير .

٢١ ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ دائم .

٢٢ ﴿خالدين﴾ حال مقدرة ﴿فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم﴾ .

ثم لا بد من تجريد المشاعر والصلات في قلوب الجماعة المؤمنة وتمحيصها لله ولدين الله وتخليصها من وشائج القربى والمصلحة واللذة فاما حب لذائذ الحياة واما حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله .

٢٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا﴾ اختاروا ﴿الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون﴾ .

٢٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿ان كان آباؤكم وابناؤكم وازواجكم واخوانكم وعشيرتكم﴾ اقرباؤكم وفي قراءة عشيراتكم ﴿واموال اقترفتموها﴾ اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ عدم نفاقها ﴿ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ فملتم اليها عما يتطلبه حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله ﴿فتربصوا﴾ انتظروا ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فتح مكة فيه تهديد لهم ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ اي اذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين وبين مهمات الدنيا وجب ترجيح الدين ليبقى الدين سليما والذين يرجحون مصالح الدنيا على الدين فساق يخاف عليهم عاقبة الفسق وهذا تكليف جماعي على الامة الاسلامية جملة وعلى افرادها تفصيلا ..

بعد ذكر التجرد لله الذي به ترتفع راية الاسلام ويعتز المسلمون استعرض صفحة من الواقع الذي عاشه المسلمون منذ قريب يوم حنين غفلت قلوب المسلمين لحظات عن الله مأخوذة بالكثرة في العدد والعتاد ليعلم المسلمون ان الثقة بالله هي عدة النصر فقال .

٢٥ و﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ للحرب كبدر وقريظة والنضير عندما كانت ثقتكم قوية بالله ولم يتخللها حب نفسي ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم حنين﴾ واد بين مكة والطائف اي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان من الهجرة ﴿اذ﴾ بدل من يوم ﴿أعجبتكم كثرتكم﴾ فقلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثني عشر الفا والكفار اربعة آلاف ﴿فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت﴾ ما مصدرية اي مع رحبها اي سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون اليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ منهزمين وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب والعباس آخذ بلجام البغلة وابو سفيان بركابه .

٢٦ ﴿ثم انزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فردوا الى النبي ﷺ لما ناداهم العباس باذنه وقاتلوا ﴿وانزل﴾ الله ﴿جنودا لم تروها﴾ ملائكة ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل والاسر ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾

٢٧ ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ منهم بالاسلام لان غلبة الاسلام يجلب المغلوب اليه ﴿والله غفور رحيم﴾ فيتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاءوا فبايعوا رسول الله على الاسلام فرد اليهم ذراريهم ونساءهم .

وبعد التذكير بما وقع على المسلمين في غزوة حنين ينهي القول في شأن المشركين ويجعل الوجدان يقشعر منهم فيحصل بذلك التقاطع التام بين الفريقين فقال .

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ
شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم
مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ
بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

٢٨ ﴿يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس﴾ قذر لخبث باطنهم فهو النجس المعنوي لا الحسي فالحي طاهر بالطهارة الحسية والكافر نجس بالنجاسة المعنوية. ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ اي لا يدخلوا المسجد فقط ويدخلون مكة بالتجارة ويخفف عليهم في الخراج اذا حملوا الطعام الى مكة والمدينة وعليه المالكية وقيل لا يدخلون الحرم ذميين او حربيين ولا يقيمون في جزيرة العرب ويقيمون في غيرها من بلاد الاسلام ولا يدخلون المساجد الا باذن من مسلم . ﴿بعد عامهم هذا﴾ عام تسع من الهجرة . وهذا النهي يقتضي عدم حضور المشركين موسم الحج ﴿وان خفتم عيلة﴾ فقرا ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء﴾ وقد اغناهم بالفتوح والجزية وقوله ان شاء قيد به الامر لتنقطع الامال اليه تعالى لينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود به يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ﴿ان الله عليم﴾ بالاشياء كلها ﴿حكيم﴾ في صنعه وهنا انتهى الدرس بالمشركين .

مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن
دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن
يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

واما الدرس التالي فانه يقرر الموقف مع اهل الكتاب وهو قتالهم لانهم منحرفون عن كتابهم فاما ان يفيئوا الى الدين القيم الذي هو الاسلام واما ان يعطوا الجزية. وفي ذلك يبين وجوه انحرافهم وسلوك احبارهم ورهبانهم الذين اتخذوهم آلهة يحلون لهم ما يشاؤن ويحرمون عليهم ويأكلون اموالهم بالباطل ويصدون عن سبيل الله فقال .

٢٩ ﴿قاتلوا﴾ أيها المؤمنون ﴿الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ والا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ كالخمر ﴿ولا يدينون دين الحق﴾ الثابت الناسخ لغيره من الاديان وهو دين الاسلام ﴿من الذين﴾ بيان للذين ﴿أوتوا الكتاب﴾ اي اليهود والنصارى ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام واعطاء الجزية غاية في القتال والمراد باعطائها التزامها بالعقد وان لم يجيء وقت دفعها ﴿عن يد﴾ حال اي منقادين او بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وهم صاغرون﴾ اذلاء منقادون لحكم الاسلام .

٣٠ ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح﴾ عيسى ﴿ابن الله ذلك قولهم بافواههم﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يضاهئون﴾ بهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو وقرىء يضاهون بضم الهاء بدون همز اي يشابهون به ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ من المشركين الذين قالوا ان الملائكة بنات الله فاشتركوا في الكفر ﴿قاتلهم﴾ لعنهم ﴿الله انى﴾ كيف ﴿يؤفكون﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل .

٣١ ﴿اتخذوا احبارهم﴾ علماءهم اي اليهود ﴿ورهبانهم﴾ عباد النصارى ﴿اربابا من دون الله﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل ﴿والمسيح ابن مريم﴾ اتخذوه الهاً اذ لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الهية ﴿وما أمروا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه﴾ تنزيها له ﴿عما يشركون﴾ من نسبة الولد اليه او ترك سلطة التحليل والتحريم في يد غيره من الخلائق .

ثم ان الكفار من مشركي العرب واليهود والنصارى وغيرهم محاولتهم واحدة هي القضاء على دين الاسلام الا انه لا يمكنهم ذلك بالعمل .

٣٢ فهم ﴿يريدون ان يطفئوا نور الله﴾ شرعه وبراهينه ﴿بافواههم﴾ باقوالهم فيه ﴿ويأبى الله الا ان يتم نوره﴾ اي يظهره ﴿ولو كره الكافرون﴾ ذلك .

٣٣ ﴿هو الذي ارسل رسوله﴾ محمدا ﷺ ﴿بالهدى ودين الحق﴾ الذي فيه تعظيم الله وحده والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه والتبري من كل معبود سواه ﴿ليظهره﴾ يعليه ﴿على الدين كله﴾ جميع الاديان المخالفة له ﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك. وهذا آخر الآيات من اول السورة التي أمر النبي ﷺ عليا بالتأذين بها في موسم الحج . ومن حسن المقطع فيه ما أتم به الكلام هنا .

ثم شرع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لأراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم اربابا يطيعوهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون فقال .

٣٤ ﴿يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون﴾ يأخذون ﴿اموال الناس بالباطل﴾ كالرشا في الحكم والمسامحة في الاحكام ﴿ويصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه بتحريف الآيات الدالة على نعت النبي ﷺ ويذكرون في تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾ اي الكنوز ﴿في سبيل الله﴾ اي يؤدون منها حقه من الزكاة ﴿فبشرهم﴾ اخبرهم ﴿بعذاب اليم﴾ مؤلم .

٣٥ ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى﴾ تحرق ﴿بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم ﴿هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ اي جزاءه .

ثم ذكر ما يوقع التشابه بين اهل الكتاب ومشركي العرب من تغيير الاحكام لتوافق اهواءهم فقال .

٣٦ ﴿ان عدة الشهور﴾ المعتد بها للسنة ﴿عند الله اثنا عشر شهرا﴾ هي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الأخرى ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحج . كلها مذكرة إلا جمادى ولا يضاف اليها الشهر إلا شهر ربيع وشهر رمضان وأيامها ثلاثمائة واربعة أو خمسة وخمسون يوما ﴿في كتاب الله﴾ في اللوح المحفوظ ﴿يوم خلق السموات والأرض منها﴾ اي الشهور ﴿اربعة حرم﴾ محرمة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ذلك﴾ اي تحريمها ﴿الدين القيم﴾ المستقيم ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ الاشهر الحرم ﴿انفسكم﴾ بالمعاصي فانها فيها أعظم وزرا وقيل في الاشهر كلها ومن جملة المعاصي ترك الجهاد فيها واعطاء الفرصة للاعداء الذين يبدلون حرمتها بالتأخير وهو النسيء الى شهر غيرها فيقاتلونكم فيها وانتم غير مستعدين لمقابلتهم ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ حال اي جميعا في كل الشهور ﴿كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر .

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ
ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ
بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ
عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ
فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾
إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ

فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ
إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ
إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ
الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

٢٤٧

٣٧ ﴿انما النسيء﴾ اي التأخير لحرمة شهر الى شهر آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم اذا هل وهم في قتال الى صفر ﴿زيادة في الكفر﴾ لكفرهم بحكم الله فيه اذ انهم لما توارثوه على انه شريعة ثم استحلوه كان ذلك مما يعد كفرا ﴿يضل﴾ بضم الياء وقرىء بالفتح ﴿به الذين كفروا يحلونه﴾ اي النسيء ﴿عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عدة﴾ عدد ﴿ما حرم الله﴾ من الاشهر فلا يزيدون على تحريم اربعة ولا ينقصون ولا ينظرون الى اعيانها ﴿فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم﴾ فظنوه حسنا ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ الذين ستروا قلوبهم عن الهدى وستروا دلائل الهدى عن قلوبهم فاستحقوا بذلك ان يتركهم الله لما هم فيه من ظلام وضلال .

ولما انهى القول على الكفار الخارجين عن دائرة الاسلام والمعاملة معهم بدأ درسا جديدا في معرفة المنافقين وكيف يعاملون. والمنافقون هم الذين اندسوا في صفوف المسلمين باسم الاسلام فاظهروا الاسلام وأبطنوا الكفر يكيدون للاسلام داخل صفوفه . والنفاق آفة النفوس الضعيفة الملتوية التي تضعف عن المواجهة فتلجأ الى الدسيسة وتصعب عليها الاستقامة فتداور وتحاور فلما بلغ رسول الله ﷺ ان الروم قد جمعوا له على اطراف الجزيرة بالشام وانضمت اليهم بعض قبائل العرب وقدموا مقدماتهم الى البلقاء ، استنفر الناس الى قتال الروم وكان ﷺ قلما يخرج الى غزوة الا ورى بغيرها مكيدة في الحرب الا ما كان من هذه الغزوة غزوة تبوك فقد صرح بها اذ كانوا في عسر وشدة الحر وبعد الشقة فشق عليهم الامر وخرج مكامن النفاق كما سيظهر فيما يأتي قال الله تعالى .

٣٨ ﴿يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم﴾ بادغام التاء في الاصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل اي تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿الى الارض﴾ والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ ﴿أرضيتم بالحيوة الدنيا﴾ ولذتها ﴿من الآخرة﴾ بدل نعيمها ﴿فما متاع الحياة الدنيا في﴾ جنب متاع ﴿الآخرة الا قليل﴾ حقير .

٣٩ ﴿الا﴾ بادغام نون ان الشرطية في لا في الموضعين ﴿تنفروا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ مؤلما ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ اي يأتي بهم بدلكم ﴿ولا تضروه شيئا﴾ بترك نصره فان الله ناصر دينه ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه نصر دينه ونبيه .

٤٠ ﴿الا تنصروه﴾ النبي ﷺ ﴿فقد نصره الله اذ﴾ حين ﴿أخرجه الذين كفروا﴾ من مكة اي الجأوه الى الخروج لما ارادوا قتله او حبسه او نفيه بدار الندوة ﴿ثاني اثنين﴾ حال اي احد اثنين وآخر ابو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها ﴿اذ﴾ بدل قبله ﴿هما في الغار﴾ نقب في جبل ثور ﴿اذ﴾ بدل ثان ﴿يقول لصاحبه﴾ ابي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين لو نظر احدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لا تحزن ان الله معنا﴾ بنصره ﴿فانزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿عليه﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على ابي بكر وهو الاصح عندي اذ هو المنزعج ﴿وايده﴾ اي النبي ﷺ ﴿بجنود لم تروها﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا﴾ اي دعوة الشرك ﴿السفلى﴾ المغلوبة ﴿وكلمة الله﴾ كلمة الشهادة ﴿هي العليا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿والله عزيز﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ في صنعه .

وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾
لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن
يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾
۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ
ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

٤١ ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ نشاطا وغير نشاط وقيل اقوياء ضعفاء او اغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية «ليس على الضعفاء» ﴿وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم فلا تثاقلوا .

وفيما يأتي بدأ يستعرض موقف المنافقين الذين استأذنوا الرسول ﷺ في التخلف فأذن لهم ويبدي سوء طويتهم فقال .

٤٢ ﴿لو كان﴾ ما دعوتهم اليه ﴿عرضا﴾ متاعا من الدنيا ﴿قريبا﴾ سهل المأخذ ﴿وسفرا قاصدا﴾ وسطا ﴿لاتبعوك﴾ طلبا للغنيمة ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وسيحلفون بالله﴾ اذا رجعتم اليهم ﴿لو استطعنا﴾ الخروج ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بالحلف الكاذب قال عليه الصلاة والسلام : «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ في قولهم .

وكان ﷺ أذن لجماعة منهم في التخلف باجتهاد منه لأن الله قال له فان استأذنوك فأذن لمن شئت منهم فعاتبه الله على ذلك وقد قدم العفو تعطيبا له وتطمينا لقلبه ﷺ فقال .

٤٣ ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ في التخلف وهلا تركتهم ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ في العذر ﴿وتعلم الكاذبين﴾ فيه .

٤٤ ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ في التخلف عن ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين﴾ .

٤٥ ﴿انما يستأذنك﴾ في التخلف ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت﴾ شكت ﴿قلوبهم﴾ في الدين ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ يتحيرون .

٤٦ ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ معك ﴿لأعدوا له عدة﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ اي لم يرد خروجهم ﴿فثبطهم﴾ كسلهم ﴿وقيل﴾ لهم ﴿اقعدوا مع القاعدين﴾ المرضى والنساء والصبيان اي قدر الله تعالى ذلك .

لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ
الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن
قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا
فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا

٤٧ ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً﴾ فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ اي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يبغونكم﴾ يطلبون لكم ﴿الفتنة﴾ بالقاء العداوة ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿والله عليم بالظالمين﴾ .

٤٨ ﴿لقد ابتغوا﴾ لك ﴿الفتنة من قبل﴾ اول ما قدمت ﴿وقلبوا لك الامور﴾ اي اجالوا العكر في الكيد وابطال دينك ﴿حتى جاء الحق﴾ النصر ﴿وظهر﴾ عز ﴿أمر الله﴾ دينه ﴿وهم كارهون﴾ له فدخلوا فيه ظاهرا .

٤٩ ﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ في التخلف ﴿ولا تفتني﴾ وهو الجد بن قيس قال له النبي ﷺ «هل لك في جلاد بني الاصفر» فقال اني مغرم بالنساء واخشى ان رأيت نساء بني الاصفر لا أصبر عنهن فافتتن قال تعالى ﴿الا في الفتنة سقطوا﴾ بالتخلف وقرىء سقط لأنهم تخلفوا في النساء ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ لا محيص لهم عنها .

٥٠ ﴿ان تصبك حسنة﴾ كنصر وغنيمة ﴿تسؤهم وان تصبك مصيبة﴾ شدة ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿من قبل﴾ قبل هذه المصيبة ﴿ويتولوا وهم فرحون﴾ بما اصابك .

٥١ ﴿قل﴾ هم ﴿لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا﴾ اصابته ﴿هو مولانا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ الفاء سببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر .

٥٢ ﴿قل هل تربصون﴾ فيه حذف احدى التاءين من الاصل اي تنتظرون ان يقع ﴿بنا الا احدى﴾ العاقبتين ﴿الحسنيين﴾ تثنية حسنى تأنيث أحسن اي النصر او الشهادة ﴿ونحن نتربص﴾ ننتظر ﴿بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ بقارعة من السماء ﴿او بايدينا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فتربصوا﴾ بنا ذلك ﴿انا معكم متربصون﴾ عاقبتكم .

٥٣ ﴿قل أنفقوا﴾ في طاعة الله ﴿طوعا او كرها لن يتقبل منكم﴾ ما انفقتموه ﴿انكم كنتم قوما فاسقين﴾ والامر هنا بمعنى الخبر.

٥٤ ﴿وما منعهم ان تقبل﴾ بالتاء والياء ﴿منهم نفقاتهم الا انهم﴾ فاعل وان يقبل مفعول ﴿كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى﴾ متثاقلون ﴿ولا ينفقون الا وهم كارهون﴾ النفقة لانهم يعدونها مغرما.

٥٥ ﴿فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم﴾ اي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿انما يريد الله ليعذبهم﴾ اي ان يعذبهم ﴿بها في الحياة الدنيا﴾ بما يلقون في جمعها من مشقة وفيها من المصائب بعد تحصيلها من التعب والشدة والغم والحزن فمن كانت حاله هكذا في ماله واولاده فهي عنده نقمة وان كان الاغنياء يرونها في الظاهر نعمة. ﴿وتزهق﴾ تخرج ﴿أنفسهم وهم كافرون﴾ فيعذبهم في الآخرة اشد العذاب.

٥٦ ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم﴾ اي مؤمنون ﴿وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون ان تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية.

٥٧ ﴿لو يجدون ملجأ﴾ يلجئون اليه ﴿او مغارات﴾ سراديب ﴿او مدخلا﴾ موضعا يدخلونه ﴿لولوا اليه وهم يجمحون﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعا لا يرده شيء كالفرس الجموح

٥٨ ﴿ومنهم من يلمزك﴾ يعيبك ﴿في﴾ قسم ﴿الصدقات﴾ اي الزكاة ﴿فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون﴾.

٥٩ ﴿ولوانهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ من الصدقات ونحوها ﴿وقالوا حسبنا﴾ كافينا ﴿الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ من صدقة اخرى ما يكفينا ﴿انا الى الله راغبون﴾ ان يغنينا وجواب لو لكان خيرا لهم اذ الصدقات امر من الله وفريضة تؤخذ من الاغنياء وترد على الفقراء وهي محصورة في طوائف من الناس يعينهم القرآن وليست متروكة لاختيار احد من الناس.

قال الله لبيان مصارف الزكاة.

أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ
وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم
مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا
أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾
وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟
وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها
والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴿٦٠﴾
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير
لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا
منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴿٦١﴾
يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن
يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴿٦٢﴾ ألم يعلموا أنه من يحادد
الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي
العظيم ﴿٦٣﴾ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة
تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج
ما تحذرون ﴿٦٤﴾ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض

٦٠ ﴿إنما الصدقات﴾ الزكوات مصروفة ﴿للفقراء﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم ﴿والمساكين﴾ الذين لا يجدون شيئا وهم احوج عند مالك من الفقراء واخروا عن الفقراء صونا لعرض الفقراء واهتماما بهم مثل تقديم الوصية على الدين وعند الشافعية فالفقير اسوأ حالا من المسكين ﴿والعاملين عليها﴾ اي الصدقات من جابٍ وقسم وكاتب وحاشر والعريف والحاسب ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ ليسلموا او يثبت اسلامهم او يسلم نظراؤهم او يذبوا عن المسلمين وحكم جميع الاقسام باق عند المالكية لا عند الشافعية فالأول والاخير لا يعطيان اليوم لعز الاسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الاصح ﴿وفي﴾ فك ﴿الرقاب﴾ اي المكاتبين ﴿والغارمين﴾ اهل الدين استدانوا لغير معصية او تابوا وليس لهم وفاء او لاصلاح ذات البين ولو اغنياء ﴿وفي سبيل الله﴾ اي القائمين بالجهاد بمن لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره ﴿فريضة﴾ نصب بفعله المقدر ﴿من الله﴾ وليست باختيار أحد من الناس ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء . واضاف الصدقات الى الاصناف الاربعة بلام الملك والى الاربعة الأخيرة بفي الظرفية للاشعار باطلاق الملك في الاربعة الاولى وتقييده في الاخرة بما اذا صرفت في مصارفها المذكورة فاذا لم يحصل الصرف في مصارفها استرجعت بخلافه في الاولى . وليس المقصود صرفها في جميع الاصناف الثمانية بل لا يجوز صرفها لغيرها ولا يشترط اعطاء ثلاثة من صنف بل يكفي دفعها لواحد بمقتضى الحاجة . وبينت السنة ان شرط المعطى منها الاسلام وان لا يكون هاشمياً ولا مطلبيا .

ثم تقدم في ذكر احوال المنافقين وقال .

٦١ ﴿ومنهم﴾ اي المنافقون ﴿الذين يؤذون النبي﴾ بعيبه ويقل حديثه ﴿ويقولون﴾ اذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿هو اذن﴾ اي يسمع كل قيل ويقبله فاذا حلفنا له انا لم نقل صدقنا والاذن مجاز مرسل كما يراد بالعين الرجل اذا كان ربيئة لان العين هي المقصودة منه فصارت كأنه الشخص كله ﴿قل﴾ هو ﴿اذن﴾ مستمع ﴿خير لكم﴾ لا مستمع شر ﴿يؤمن بالله ويؤمن﴾ يصدق ﴿للمؤمنين﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين ايمان التسليم وغيره ﴿ورحمة﴾ بالرفع عطفا على اذن والجر عطفا على خير ﴿للذين آمنوا منكم﴾ اي اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم لا يكشف اسرارهم ولا يهتك أستارهم . ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم﴾ .

٦٢ ﴿يحلفون بالله لكم﴾ ايها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما اتوه وما فعلوه ﴿ليرضوكم والله ورسوله أحق ان يرضوه﴾ بالطاعة ﴿ان كانوا مؤمنين﴾ حقا وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او خبر الله او رسوله محذوف .

٦٣ ﴿الم يعلموا أنه﴾ اي الشأن ﴿من يحادد﴾ يشاقق ﴿الله ورسوله فأن له نار جهنم﴾ جزاء ﴿خالدا فيها ذلك الخزي العظيم﴾ .

٦٤ ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم﴾ اي المؤمنين ﴿سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزؤن ﴿قل استهزؤا﴾ امر تهديد ﴿ان الله مخرج ما تحذرون﴾ اخراجه من نفاقكم

٦٥ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم﴾ عن استهزائهم بك وبالقرآن وهم سائرون معك الى تبوك ﴿ليقولن انما كنا نخوض ونلعب﴾ حيث قالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات ويقولون ايضا ان محمدا يزعم انه انزل في اصحابنا قرآن وانما هو قوله وكلامه فأطلع الله نبيه على قولهم فلما سئلوا قالوا ما كنا نخوض في شيء من امرك وامر اصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ﴿قل﴾ لهم ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ .

٦٦ ﴿لا تعتذروا﴾ عنه ﴿قد كفرتم بعد ايمانكم﴾ اي ظهر كفركم بعد اظهار الايمان ﴿ان نعف﴾ بالنون مبنيا للفاعل وقرىء بالياء مبنيا للمفعول ﴿عن طائفة منكم﴾ باخلاصها وتوبتها كجحش بن حمير كان يضحك ولا يخوض وكان يمشي مجانبا لهم وكان ينكر بعض ما سمع ثم تاب وتاب الله عليه ﴿نعذب﴾ بالنون وقرء بالتاء ﴿طائفة بانهم كانوا مجرمين﴾ مصرين على النفاق .

بعد ذكر نماذج من اقوال المنافقين وأعمالهم وتصوراتهم عمد الى تقرير المنافقين بصفة عامة وعرض الصفات الرئيسية التي تميزهم عن المؤمنين الصادقين وتحديد العذاب الذي ينتظرهم أجمعين فقال .

٦٧ ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ اي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿يأمرون بالمنكر﴾ الكفر والمعاصي ﴿وينهون عن المعروف﴾ الايمان والطاعة ﴿ويقبضون ايديهم﴾ عن الانفاق في الطاعة وهو كناية عن الشح ﴿نسوا الله﴾ تركوا دين الله ﴿فنسيهم﴾ تركهم من لطفه ﴿ان المنافقين هم الفاسقون﴾ .

٦٨ ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم﴾ جزاء وعقابا ﴿ولعنهم الله﴾ ابعدهم عن رحمته ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ دائم .

وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾
لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ
مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾
كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا
وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا
ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى
خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ
طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

٢٥٣

٦٩ مثل المنافقين ﴿كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة وأكثر أموالا واولادا فاستمتعوا﴾ تمتعوا ﴿بخلاقهم﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فاستمعتم﴾ ايها المنافقون ﴿بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ . ﴿كالذي خاضوا﴾ اي كخوضهم او كالفوج الذي خاضوا

﴿اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون﴾ اما وجه بطلانه في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فانه ليس ترتبه على المثوبة والكرامة بل على طريق الاستدراج .

٧٠ ﴿ألم يأتهم نبأ﴾ خبر ﴿الذين من قبلهم قوم نوح وعاد﴾ هم قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم ابراهيم وأصحاب مدين﴾ قوم شعيب ﴿والمؤتفكات﴾ قرى قوم لوط اي أهلها ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات فكذبوهم فاهلكوا وانما اقتصر على هذه الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق وكل ذلك قريب من ارض العرب وكانوا يمرون عليها ويعرفونها واخبار اهلها . وقد ذكر القرآن كيف اهلكوا في بعض الآيات الا قوم ابراهيم اهلكوا بسلب النعمة عنهم ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بارتكاب المعاصي فالنفس المنحرفة تبطرها القوة فلا تتذكر وتبصر مصارع الاولين قبلها حتى تحق عليهم كلمة الله ويأخذهم اخذ عزيز مقتدر .

وفي مقابلة المنافقين وأوصافهم وما أعد الله لهم من الجزاء الموافق لاعمالهم يذكر المؤمنين الصادقين في ايمانهم فقال .

٧١ ﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ الصادقون في ايمانهم ﴿بعضهم اولياء بعض﴾ بيان لحسن حالهم حالا ومآلا بالوصاية من المعونة والنصرة ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء عن انجاز وعده ووعيده ﴿حكيم﴾ لا يضع شيئا الا في محله . فهو وعد للمؤمنين ووعيد للمنافقين .

٧٢ ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ اقامة ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ اعظم من ذلك كله ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ اي الرضوان هو الفوز اي اكبر مما يعده الناس فوزا من حطام الدنيا .

وبعد التمييز بين المؤمنين الصادقين والمنافقين الذين ادعوا الاسلام باللسان يأمر الله نبيه بجهاد الكفار والمنافقين ويبين ان المنافقين كفار بأقوالهم وافعالهم التي تناقض الشريعة فقال .

ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ
وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟
إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ
خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾
۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ
بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا
فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ
ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

٧٣ ﴿يا ايها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ باللسان والحجة ﴿واغلظ عليهم﴾ بالانتهار والمقت ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ المرجع هي .

٧٤ ﴿يحلفون﴾ اي المنافقون ﴿بالله ما قالوا﴾ ما بلغك عنهم من السب ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم﴾ اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا وكان عمار بن ياسر اذ ذاك آخذا بخطام ناقة الرسول يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها . ﴿وما نقموا﴾ انكروا ﴿الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم ﴿فان يتوبوا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يك خيرا لهم﴾ كما وقع للجلاس بن اسود فانه تاب وحسن اسلامه ﴿وان يتولوا﴾ عن الايمان ﴿يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا﴾ بالقتل ﴿والآخرة﴾ بالنار ﴿وما لهم في الارض من ولي﴾ يحفظهم منه ﴿ولا نصير﴾ يمنعهم .

٧٥ ﴿ومنهم﴾ اي من المنافقين ﴿من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ فيه ادغام التاء في الاصل في الصاد ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا قد عاهدوا الله على الصدقة والعمل الصالح إن وسع عليهم في الرزق ثم بعد ان تحقق لهم ذلك نكثوا العهد وبخلوا وتولوا وأما القول بانها نزلت في ثعلبة بن حاطب فغير صحيح لان ثعلبة صحابي جليل شهد بدراً كما أن النص القرآني الوارد بالجمع يدفعه ويرده .

٧٦ ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا﴾ عن طاعة الله ﴿وهم معرضون﴾ عن العهد فارتدوا عن الاسلام .

٧٧ ﴿فأعقبهم﴾ اي فصير عاقبتهم ﴿نفاقا﴾ ثابتا ﴿في قلوبهم الى يوم يلقونه﴾ أي الله وهو يوم القيامة ﴿بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾

٧٨ ﴿ألم يعلموا﴾ اي المنافقون ﴿ان الله يعلم سرهم﴾ ما اسروه في انفسهم ﴿ونجواهم﴾ ما تناجوا بينهم ﴿وان الله علام الغيوب﴾ ما غاب عن العيان .

ومن احوال المنافقين ايذاء المؤمنين الصادقين فيما يعملون من الدين ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله غني عن صدقة هذا فنزل .

إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا
أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا
تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا
يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا
وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم

٧٩ ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿يلمزون﴾ يعيبون ﴿المطوعين﴾ المتنفلين ﴿من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم﴾ طاقتهم فيأتون به ﴿فيسخرون منهم﴾ والخبر ﴿سخر الله منهم﴾ أي جازاهم على سخريتهم ﴿ولهم عذاب اليم﴾ .

٨٠ ﴿استغفر﴾ يا محمد ﴿لهم اولا تستغفر لهم﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﷺ «اني خيرت» يعنى في الاستغفار رواه البخاري ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث «لو اعلم أني لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت عليها» وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه ايضا وسأزيد على السبعين فبين له حسم المغفرة بآية «سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم» ﴿ذلك بأنهم كفروا با لله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ وهذا دليل على أن الاستهزاء بأهل الدين كفر . والله لا يغفر ان يشرك به .

وينتقل السياق مرة اخرى الى الحديث عن المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال .

٨١ ﴿فرح المخلفون﴾ عن تبوك ﴿بمقعدهم﴾ اي بقعودهم ﴿خلاف﴾ اي بعد ﴿رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا﴾ اي قال بعضهم لبعض ﴿لا تنفروا﴾ لا تخرجوا الى الجهاد ﴿في الحر قل نار جهنم أشد حرا﴾ من تبوك فالاولى ان يتقوها بترك التخلف ﴿لو كانوا يفقهون﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا .

٨٢ ﴿فليضحكوا قليلا﴾ في الدنيا ﴿وليبكوا﴾ في الآخرة ﴿كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر .

٨٣ ﴿فان رجعك﴾ ردك ﴿الله﴾ من تبوك ﴿الى طائفة منهم﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ معك الى غزوة أخرى ﴿فقل﴾ لهم ﴿لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم وهذا بالمقاطعة عنهم في بعض الاعمال مما يؤدي الى نقص في الامور العامة . ثم أمر ﷺ بقطع كل شفقة عنهم وكان قد صلى النبي ﷺ على ابن أبي فقال له الله .

مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟
ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ
ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ
ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ

٨٤ ﴿ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره﴾ لدفن أو زيارة ﴿انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ كافرون ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه لما توفي عبدالله ابن أبي أتى ابنه عبدالله الى رسول الله ﷺ فسأله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه ، ثم ان النبي ﷺ فعل كل ذلك تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا ويروى ان النبي ﷺ تكلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال ﷺ وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله . والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه . ويروى انه اسلم الف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي ﷺ قال الله تعالى :

٨٥ ﴿ولا تعجبك اموالهم و اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق﴾ تخرج ﴿أنفسهم وهم كافرون﴾ كررت هذه الآية مع تغير في الفاظها تنبيها على ان اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وتنبيها على ان عدو الله يقاطع ولا يبالي بما عنده من الاولاد والاموال فان كان اولاده صالحين فنعماهم والافهم من جملة اعداء الله ولاسيما وقد بين النبي ﷺ ان سبب مداراته لأبي انما لأتباعه الذين كان يرجو ان يدخل الف منهم في الاسلام بذلك العمل وقد حصل فهو اذاً خصوصية منه عليه افضل الصلاة والسلام .

٨٦ ﴿واذا انزلت سورة﴾ طائفة من القرآن ﴿ان﴾ اي بأن ﴿آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول﴾ ذوو الغنى والمقدرة ﴿منهم﴾ اي من المنافقين ﴿وقالوا ذرنانكن مع القاعدين﴾ .

٨٧ ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ جمع خالفة اي النساء اللاتي يخلفن في البيوت دون ان يشعروا ما في هذه القعدة الذليلة من صغار وهوان ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ الخير ولو كانوا يفقهون لأدركوا ما في الجهاد من قوة وكرامة وبقاء كريم ، وما في التخلف من ضعف ومهانة وفناء دميم .

٨٨ ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه﴾ اصحاب النفوس الكريمة الذين تحملوا تكاليف العقيدة ﴿جاهدوا بأموالهم وانفسهم﴾ وأدوا واجب الايمان وعملوا للرفعة التي لا تنال بالقعود ﴿واولئك لهم الخيرات﴾ في الدنيا والآخرة في الدنيا لهم العزة والغنيمة والكلمة العليا وفي الآخرة لهم الجزاء الاوفى ورضوان من الله ﴿واولئك هم المفلحون﴾ الفائزون .

٨٩ ﴿اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ من نيل الكرامة العظمى .

ثم شرع في بيان أحوال منافقي الاعراب بعد ذكر احوال منافقي المدينة فقال :

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ
وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ
لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾
* إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ
رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ
فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ
قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ
وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ

٩٠ ﴿وجاء المعذرون﴾ بادغام التاء في الاصل في الذال اي المعتذرون بمعنى المعذورين وقرىء به ﴿من الاعراب﴾ جمع اعرابي وهم سكان البادية جاؤا الى النبي ﷺ ﴿ليؤذن لهم﴾ في القعود لعذرهم فاذن لهم ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في ادعاء الايمان من منافقي الاعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم﴾ .

٩١ ﴿ليس على الضعفاء﴾ كالشيوخ ﴿ولا على المرضى﴾ كالعمي والزمنى ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ في الجهاد ﴿حرج﴾ اثم في التخلف عنه ﴿اذا نصحوا لله ورسوله﴾ في حال قعودهم بعدم الارجاف والتثبيط بالطاعة ﴿ما على المحسنين﴾ بذلك ﴿من سبيل﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿والله غفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم في التوسعة في ذلك .

٩٢ ﴿ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم﴾ معك الى الغزو وهم سبعة من الانصار وقيل بنو مقرن بطن من مزينة وقيل اصحاب ابي موسى الاشعري كما في البخارى ﴿قلت لا أجد ما احملكم عليه﴾ حال ﴿تولوا﴾ جواب اذا اي انصرفوا ﴿واعينهم تفيض﴾ تسيل ﴿من﴾ للبيان ﴿الدمع حزنا﴾ لاجل ﴿ألا يجدوا ما ينفقون﴾ في الجهاد .

٩٣ ﴿انما السبيل﴾ اي الطريق للمعاقبة واتى بانما للمبالغة في التوكيد لا للحصر ﴿على الذين يستأذنونك﴾ في التخلف ﴿وهم اغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ تقدم مثله .

٩٤ ﴿يعتذرون اليكم﴾ في التخلف ﴿اذا رجعتم اليهم﴾ من الغزو ﴿قل﴾ لهم ﴿لا تعتذروا لن نؤمن لكم﴾ نصدقكم ﴿قد نبأنا الله من اخباركم﴾ اي اخبرنا بأحوالكم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون﴾ بالبعث ﴿الى عالم الغيب والشهادة﴾ اي الله ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم الله عليه .

٩٥ ﴿سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم﴾ رجعتم ﴿اليهم﴾ من تبوك انهم معذورون في التخلف ﴿لتعرضوا عنهم﴾ بترك المعاتبة ﴿فأعرضوا عنهم انهم رجس﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾ .

٩٦ ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ ولا ينفع رضاكم مع سخط الله .

٩٧ ﴿الاعراب﴾ أهل البدو سواء من العرب او من مواليهم ﴿اشد كفرا ونفاقا﴾ من اهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم و بعدهم عن سماع القرآن ﴿وأجدر﴾ اولى ﴿ان﴾ اي بأن ﴿لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله﴾ من الاحكام والشرائع لبعدهم عن مجلسه ﷺ وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم .

٩٨ ﴿ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق﴾ في سبيل الله ﴿مغرما﴾ غرامة وخسرانا لانه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو أسد وغطفان ﴿ويتربص﴾ ينتظر ﴿بكم الدوائر﴾ دوائر الزمان بأن تنقلب عليكم فيتخلص ﴿عليهم دائرة السوء﴾ بالفتح وقرىء بالضم اي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿والله سميع﴾ لأقوال عباده ﴿عليم﴾ بافعالهم .

٩٩ ﴿ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ كجهينة ومزينة ﴿ويتخذ ما ينفق﴾ في سبيله ﴿قربات﴾ تقربه ﴿عند الله و﴾ وسيلة الى ﴿صلوات﴾ دعوات ﴿الرسول﴾ له ﴿الا انها﴾ اي نفقتهم ﴿قربة﴾ بسكون الراء وقرىء بضمها ﴿لهم﴾ عنده ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ جنته ﴿ان الله غفور﴾ لاهل طاعته ﴿رحيم﴾ بهم .

وبعد الحديث عن المنافقين من اهل المدينة واستعراض صنوف الاعراب يعود السياق ليستعرض واقع الامة كلها ، حاضرها و باديها ، ومؤمنها ومنافقها ، طائعها وعاصيها ، ومن يخلط الطاعة بالمعصية ومن عرف مصيره ومن ترك أمره لله . ذلك كله على العهد تبوك فقال .

بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا
عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾
الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ
مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ
سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾
وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ

اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد
لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا
ذلك الفوز العظيم (١٠٠) ومن حولكم من الأعراب
منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم
نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب
عظيم (١٠١) وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله
غفور رحيم (١٠٢) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم
والله سميع عليم (١٠٣) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة
عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب
الرحيم (١٠٤) وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

٢٥٩

١٠٠ ﴿والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار﴾ وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة ﴿والذين اتبعوهم﴾ الى يوم القيامة ﴿باحسان﴾ في العمل ﴿رضي الله عنهم﴾ بطاعته ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابه اي تبدلوا الرضى بربهم الأعلى وهؤلاء هم الصنف الاشرف في هذه الملة ﴿و﴾ جزاؤهم ﴿أعدلهم جنات تجري تحتها الانهار﴾ وفي قراءة بزيادة من ﴿خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ .

١٠١ ﴿وممن حولكم﴾ ايها المؤمنون ﴿من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة﴾ منافقون فالمدينة عاصمة الاسلام وغيرها تابع لها مكأنه يقول ويوجد صنف المنافقين من حول العاصمة وفيها ﴿مردوا على النفاق﴾ لجوا فيه واستمروا عليه وحذقوه حتى ليخفى امرهم ﴿لا تعلمهم﴾ ايها النبي لما بلغوا في التحيل في النفاق الى ان صرت بحيث لا تعلمهم مع صفاء خاطرك وعدم اطلاعك على الاسرار ﴿نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين﴾ بالفضيحة او القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثم يردون﴾ في الآخرة ﴿الى عذاب عظيم﴾ هو النار .

١٠٢ ﴿و﴾ صنف آخر قوم ﴿آخرون﴾ مبتدأ ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ من التخلف عنه والخبر ﴿خلطوا عملا صالحا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك التخلف الواقع منهم في تبوك او اعترفوا بذنبهم او غير ذلك ﴿وآخر سيئا﴾ وهو تخلفهم ﴿عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم﴾ وهذا الصنف منه ابو لبابة وجماعة من اصحابه تخلفوا عن غزوة تبوك ثم احسوا وطأة الذنب فاعترفوا بذنوبهم وندموا وأوثقوا انفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا ان لا يحلهم الا النبي ﷺ فحلهم لما غفر لهم بهذه الآية ولما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا فقال ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيئا ثم امره الله بأخذها .

١٠٣ ﴿خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ من ذنوبهم فاخذ ثلث اموالهم وتصدق بها ﴿وصل عليهم﴾ ادع لهم ﴿ان صلوتك﴾ بالافراد وقرىء بالجمع ﴿سكن﴾ رحمة ﴿لهم﴾ وقيل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿والله سميع عليم﴾ .

١٠٤ ﴿الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ﴾ يقبل ﴿الصدقات وان الله هو التواب﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿الرحيم﴾ بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم الى التوبة والصدقة .

١٠٥ ﴿وقل﴾ لهم او للناس الذين يخلطون الاعمال الصالحة والسيئة ﴿اعملوا﴾ ما شئتم ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون﴾ بالبعث ﴿الى عالم الغيب والشهادة﴾ اي الله ﴿فينبئكم

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ
لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ
عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ
أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم به والاستقبال بالنظر للمجازاة والا فالعلم حاصل بالفعل والمجازاة من الله معلومة ومن رسوله والمؤمنين بمعنى الثناء عليهم والدعاء لهم .

١٠٦ ﴿و﴾ صنف آخر قوم ﴿آخرون﴾ من المتخلفين ﴿مرجون﴾ بدون الهمز مؤخرون عن التوبة ﴿لأمر الله﴾ فيهم بما شاء ﴿إما يعذبهم﴾ بان يميتهم بلا توبة ﴿واما يتوب عليهم والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم كالثلاثة الآتي ذكرهم بعد وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلا وميلا الى الدعة لانفاقا ولم يعتذروا الى النبي ﷺ كغيرهم فوقف امرهم خمسين يوما وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد .

١٠٧ ﴿و﴾ منهم صنف يعمل لتضعيف الاسلام والمسلمين بعمل يوهم انه يفعله لمساعدة الاسلام ولا يفهم المكر فيه الا الحذاق الناظرون لعواقب الامور مثل عمل اصحاب مسجد الضرار ﴿الذين اتخذوا مسجدا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضرارا﴾ مضارة لاهل مسجد قباء ﴿وكفرا﴾ لانهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلا له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وتفريقا بين المؤمنين﴾ الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وارصادا﴾ ترقبا ﴿لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ اي قبل بنائه وهوأبو عامر المذكور ﴿وليحلفن ان﴾ ما ﴿اردنا﴾ ببنائه ﴿الا﴾ الفعلة ﴿الحسنى﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ في ذلك وكانوا سألوا النبي ﷺ ان يصلي فيه فنزل .

١٠٨ ﴿لا تقم﴾ تصل ﴿فيه أبدا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيه الجيف ﴿لمسجد أسس﴾ بنيت قواعده ﴿على التقوى من اول يوم﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما في البخارى ﴿أحق﴾ منه ﴿ان تقوم﴾ تصلي ﴿فيه فيه رجال﴾ هم الانصار ﴿يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ اي يثيبهم وفيه ادغام التاء في الاصل في الطاء وروى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة انه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به ؟ قالوا والله يا رسول الله مانعلم شيئا الا انه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي الحديث رواه البزار فقالوا نتبع الحجارة بالماء فقال « هوذا فعليكموه » .

١٠٩ ﴿أفمن اسس بنيانه على تقوى﴾ مخافة ﴿من الله و﴾ رجاء ﴿رضوان﴾ منه ﴿خير أم من أسس بنيانه على شفا﴾ طرف ﴿حرف﴾ بضم الراء وسكونها جانب ﴿هار﴾ مشرف على السقوط ﴿فانهار به﴾ سقط مع بانيه ﴿في نار جهنم﴾ خير تمثيل للبناء على ضد التقوى للتقرير بما يؤل اليه والاستفهام للتقرير اي الاول خير وهو مثال مسجد قباء والثاني مثال مسجد الضرار ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ .

لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ
قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ
ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ
ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُولِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ

١١٠ ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة﴾ شكا ﴿في قلوبهم الا ان تقطع﴾ تنفصل ﴿قلوبهم﴾ بأن يموتوا ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم .

هذه خاتمة براءة وهي تعقيبات من حديث الجهاد والتخلف والمؤمنين والمنافقين وما فيه من دلائل الايمان والنفاق وبعض صفات الرسول الى هذه الامة ﷺ . فبدأ بالمبايعة التي هي العهد بين الله وبين المؤمنين وكيفية الاخلاص فيها فقال

١١١ ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ جملة استئناف بيان للشراء وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول اي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي ﴿وعدا عليه حق﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف اي وعدهم وعدا وحق ذلك الوعد حقا اي تحقق وثبت ﴿في التوراة والانجيل والقرآن﴾ فكل أمة أمرت بالجهاد ووعدت عليه الجنة او كل امة علمت هذا الوعد الذي أمر به هذه الامة لثبوته في كتبهم ﴿ومن اوفى بعهده من الله﴾ اي لا احد أوفى منه ﴿فاستبشروا﴾ ايها المؤمنون فيه التفات عن الغيبة ﴿ببيعكم الذي بايعتم به وذلك﴾ البيع ﴿هو الفوز العظيم﴾ المنيل غاية المطلوب ثم بين صفات المؤمنين التي تقتضي الاخلاص واثبات عقد البيع فقال .

١١٢ ﴿التائبون﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والنفاق اي هم التائبون ﴿العابدون﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الحامدون﴾ له على كل حال ﴿السائحون﴾ الصائمون من قوله عليه الصلاة والسلام «سياحة أمتي الصوم» شبه بها لانه يعوق عن الشهوات ﴿الراكعون الساجدون﴾ المصلون ﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون حدود الله﴾ لاحكامه بالعمل بها . ثم امر النبي ﷺ فقال ﴿وبشر المؤمنين﴾ الموصوفين بهذه الصفات بالجنة .

فيما تقدم من السورة امر بمقاطعة جميع الكفار في جميع المعاملة وهنا يؤكد ان المقاطعة حتى في الدعاء لهم والاستغفار وان علاقة الدم لا تنفع اذا عدمت علاقة العقيدة فقال .

١١٣ ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى﴾ ذوي قرابة كابي طالب عم النبي ﷺ فلا يستغفر له وكذلك سائر المؤمنين نهوا عن ذلك للذوي قرباهم لكمال المقاطعة بين الامة المسلمة والكافرة ﴿من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم﴾ النار بأن ماتوا على الكفر .

إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ
تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ
وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ
إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

١١٤ . ﴿وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه﴾ بقوله سأستغفر لك ربي رجاء أن يسلم ﴿فلما تبين له انه عدوٌ لله﴾ بموته على الكفر ﴿تبرأ منه﴾ وترك الاستغفار له ﴿ان ابراهيم لأواه﴾ كثير التأوه وهو كناية عن فرط رحمته ورقة قلبه ﴿حليم﴾ صبور على الأذى حيث تحمل مقاطعة ابيه وترك الدعاء له بعدما تبين له انه عدو لله فليس لكم ان تحتجوا في الاستغفار لأقربائكم بما فعل ابرهيم قبل أن يعرف حالة أبيه

ثم ان النفس لتشفق على ما صدر منها من المجاملة والاستغفار للاقارب قبل النهي أتؤاخذ بذلك على انه ذنب ام ماذا يكون عاقبة ذلك وقد مات جماعة من المسلمين قبل النهي عن الاستغفار فما هو موقفهم بعد النهي قال تعالى .

١١٥ ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم﴾ للاسلام ﴿حتى يبين لهم ما يتقون﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقون الاضلال ﴿ان الله بكل شيء عليم﴾ ومنه مستحق الاضلال والهداية .

ولما امرهم بمقاطعة الكفار البتة ولو كانوا اولي قربى بين لهم

١١٦ ﴿ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم﴾ ايها المؤمنون ﴿من دون الله﴾ اي غيره ﴿من ولي﴾ يحفظكم منه ﴿ولا نصير﴾ يمنعكم عن ضره ولا يتأتى النصر ولا معونة الا منه ليتوجه المؤمنون اليه متبرئين مما سواه .

وغزوة تبوك حصلت في غاية التعب والمشقة والعسرة وبعد الشقة فتحملها النبي والذين خرجوا معه فاثابهم الله بما يفرح قلوبهم بقوله تعالى .

١١٧ ﴿لقد تاب الله﴾ أدام توبته ﴿على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ اي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث ﴿من بعدما كاد يزيغ﴾ بالياء تميل ﴿قلوب فريق منهم﴾ عن اتباعه الى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثم تاب عليهم﴾ بالثبات ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ .

١١٨﴿و﴾ تاب ﴿على الثلاثة الذين خلفوا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت﴾ اي مع رحبها اي سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون اليه ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿ان﴾ مخففة ﴿لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم﴾ وفقهم للتوبة ﴿ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم﴾ اي تاب الله عليهم من هذا الخاص ليتوبوا عامة عن كل ما مضى وليتوبوا الى الله انابة كاملة في كل ما سيأتي كما قال كعب بعدها يا رسول الله ان توبتي ان أنخلع من مالي صدقة الى الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر . وقلت يا رسول الله انما نجاني الله بالصدق وان من توبتي أن لا احدث الا صدقا ما بقيت . قال فوالله ما اعلم أحدا من المسلمين ابلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما أبلاني الله تعالى . والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ الى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي . وفي ظل قصة الثلاثة الذين خلفوا وتوبتهم عقب فقال :

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ
الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن
رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ
نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ

١١٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ بترك معاصيه ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ في الايمان والعهود بأن تلتزموا الصدق .

ثم يأتي بيان شامل لاهل المدينة التي هي قصبة بلاد الاسلام وقوة إيمانهم وما بذلوه في سبيل الله من تضحيات فقال .

١٢٠ ﴿ ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله﴾ اذا غزا ﴿ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذلك﴾ النهي عن التخلف ﴿بانهم﴾ بسبب أنهم ﴿لا يصيبهم ظمأ﴾ عطش ﴿ولا نصب﴾ تعب ﴿ولا مخمصة﴾ جوع ﴿في سبيل الله ولا يطؤن موطئا﴾ مصدر بمعنى وطأ ﴿يغيظ﴾ يغضب ﴿الكفار ولا ينالون من عدو﴾ لله ﴿نيلا﴾ قتلا او أسرا او نهبا ﴿الا كتب لهم به عمل صالح﴾ ليجازوا عليه ﴿ان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ اي أجرهم بل يثيبهم وفيه اظهار محل الاضمار اشارة الى انهم محسنون ومدحهم بذلك .

١٢١ ﴿ولا ينفقون﴾ فيه ﴿نفقة صغيرة﴾ ولو تمرة ﴿ولا كبيرة ولا يقطعون واديا﴾ بالسير ﴿الا كتب لهم﴾ ذلك ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ اي جزاءه .

ثم ان الامر بالخروج الى القتال في سبيل الله والنهي عن التخلف لا يقتضي اهمال سائر الواجبات من بناء الامة من الفقه في الدعوة وحمل اوامرها ونهيها الى الاقاصي والاطراف . ومن هنا نبه المسلمين الى هذا الجانب الذي لا يقل اهمية عن النفرة في القتال فقال .

١٢٢ ﴿وما كان المؤمنون لينفروا﴾ الى الغزو ﴿كافة فلولا﴾ فهلا بالتحضيض على الطلب ﴿نفر من كل فرقة﴾ قبيلة ﴿منهم طائفة﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿ليتفقهوا﴾ اي الطائفة الخارجة التي لها كفاء للتفقه ﴿في الدين ولينذروا قومهم﴾ الذين مكثوا في الاعمال الاخرى من أمور واجبات الأمة اللازمة ﴿اذا رجعوا﴾ النفير الذين خرجوا للتفقه ﴿اليهم﴾ قومهم الماكثين بتعليمهم ما علموه من الاحكام ﴿لعلهم يحذرون﴾ اي يعلمون ما يجب عليهم من واجبات دينهم وليقوموا ايضا بمتطلبات حياتهم الدنيوية فلا بد للأمة أن تقوم رجالها في كل ميادين الحياة والا فلم تكن أمة مستقلة . وهو امر حي في كل وقت وحين وعصر وذكر التفقه في الدين يبين أهميته في الحياة اذ به ترتبط الامة بالقوانين الالهية المرضية لدى الكل وباقي المعلومات والفنون من الاستعدادات للقوة والرباط لحفظها .

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ
قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

٢٦٤

١٢٣ ﴿يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ اي الاقرب فالاقرب منهم ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ شدة اي اغلظوا عليهم ومع ذلك لا تجاوزوا حدود الشريعة ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر .

ولان السورة نزلت لقطع العلاقات بين الامة المسلمة وغيرها واشد مصيبة على الامة منافقوها اذ هم داخلون في وسطها ومعدودون من افرادها فلا بد من معرفة اوضح آية تبين النفاق من الاخلاص حتى تكون الامة على حذر من نفسها ايضا قال تعالى .

١٢٤ ﴿واذا ما أنزلت سورة﴾ من القرآن ﴿فمنهم﴾ من افراد الامة من تظهر فيه علامة النفاق وهو ﴿من يقول﴾ لاصحابه استهزاء ﴿أيكم زادته هذه إيمانا﴾ تصديقا قال تعالى ﴿فاما الذين آمنوا﴾ بالاخلاص ﴿فزادتهم ايمانا و﴾ حالهم التي يعرفون بهم ﴿هم يستبشرون﴾ يفرحون بها .

١٢٥ ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ نفاق ﴿فزادتهم رجسا الى رجسهم﴾ كفراً إلى كفرهم بها والرجس الشيء المستقذر والكفر أقذر شيء ﴿وماتوا وهم كافرون﴾ .

١٢٦ ﴿أو لا يرون﴾ بالياء اي المنافقون وبالتاء ايها المؤمنون ﴿انهم يفتنون﴾ يبتلون ﴿في كل عام مرة او مرتين﴾ بالقحط والامراض ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكرون﴾ يتعظون .

١٢٧ ﴿واذا ما انزلت سورة﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نظر بعضهم الى بعض﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هل يراكم من أحد﴾ اذا قمتم فان لم يرهم أحد قاموا والا ثبتوا ﴿ثم انصرفوا﴾ جميعا من مجلس الوحي خوفا من الافتضاح ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الهدى ﴿بانهم قوم لا يفقهون﴾ الحق لعدم تدبرهم .

بدأت السورة ببراءة الله ورسوله من المشركين وتكلمت على قطع العلاقات بين الامة المسلمة والكفار بوجه عام وتختم ببيان الصلة بين النبي وبين امته وبيان ان ما جاءهم به فانما هو خير وأمر هو أن يعتمد على ربه وحده حين يتولى عنه من يتولى فهو ناصره وكافيه فقال تعالى .

١٢٨ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ اي محمد ﷺ ﴿عزيز﴾ شديد ﴿عليه ما عنتم﴾ اي عنتكم اي مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حريص عليكم﴾ ان تهتدوا ﴿بالمؤمنين رؤوف﴾ شديد الرحمة ﴿رحيم﴾ يريد لهم الخير .

١٢٩ ﴿فان تولوا﴾ عن الايمان بك ﴿فقل حسبي﴾ كافيَّ ﴿الله لا اله إلا هو عليه توكلت﴾ اي به وثقت لا بغيره ﴿وهو رب العرش﴾ الجسم ﴿العظيم﴾ المحيط بجميع المخلوقات خصه بالذكر لانه اعظم المخلوقات وروى الحاكم في المستدرك عن ابي بن كعب قال آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول الى آخر السورة .

(١٠) سورة يونس مكية
وآياتها تسع ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ① أَكَانَ
لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ
ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ
رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ②
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ③ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا

﴿ سورة يونس مكية ﴾

وهي مكية وأياتها مائة وتسع أو عشر وموضوعها الرئيسي الجدل حول مسائل العقيدة والتوجيه الى آيات الله الكونية والى سنن الله في الارض والعظة بالقرون الماضية ومصائرها .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الر﴾ الله اعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن والاضافة بمعنى من ﴿الحكيم﴾ المحكم الذي لا تغيره الدهور .

٢ ﴿أكان للناس﴾ اي اهل مكة استفهام انكار والجار والمجرور حال من قوله ﴿عجبا﴾ بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الاول ﴿أن أوحينا﴾ اي ايحاؤنا ﴿الى رجل منهم﴾ محمد ﷺ ﴿أن﴾ مفسرة ﴿أنذر﴾ خوف ﴿الناس﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وبشر الذين آمنوا أن﴾ اي بأن ﴿لهم قدم صدق عند ربهم﴾ اجرا حسنا بما قدموه من الاعمال أي قدماً ثابتة لانه حق تطمئن به القلوب ﴿قال الكافرون ان هذا﴾ النبي ﷺ ﴿لساحر مبين﴾ بين وفي قراءة لسحر والمشار إليه القرآن . اي قالوا عن النبي ﷺ إنه ساحر وعن القرآن إنه سحر مبين فعلوا ذلك مكابرة وعناداً وحسداً . فقد اثبت بهذه الآية الوحي فالموحي هو الله والموحى اليه النبي ﷺ لفائدة الناس .

فالتوحيد قسمان توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية والثاني لم يكن محل انكار جدى من المشركين فهم كانوا يعتقدون بوجود الله ولكن كانوا يشركون معه أربابا يتوجهون اليهم بالعبادة اما ليقربوهم الى الله زلفى كما قالوا مرة ، واما لأنهم يمثلون قوة من قوى الله الكثيرة كما يعتقد بعض المشركين قديما وحديثا وهو نفي توحيد الألوهية فالى اثباته اشار بقوله .

٣ ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام﴾ من ايام الدنيا اي في قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهم في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به ﴿يدبر الامر﴾ بين الخلائق ﴿ما من﴾ زائدة ﴿شفيع﴾ يشفع لأحد ﴿الا من بعد اذنه﴾ رد لمن يعبد غير الله ويزعم انه يشفع له لان حقيقة الشفاعة للآذن فطلبها منه لازم ﴿ذلكم﴾ الخالق المدبر ﴿الله ربكم فاعبدوه﴾ وحده ﴿افلا تذكرون﴾ بادغام التاء في الاصل في الذال .

٤ ﴿إليه﴾ تعالى ﴿مرجعكم جميعا وعد الله حقا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿إنه﴾ بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام ﴿يبدأ الخلق﴾ اي بدأه بالانشاء ﴿ثم يعيده﴾ بالبعث ﴿ليجزي﴾ يثيب ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ اي بسبب قسطهم اذ لم يضعوا العبادة في غير محلها ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وعذاب اليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ اي بسبب كفرهم .

٥ ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ ذات ضياء اي نور ﴿والقمر نورا وقدره﴾ من حيث سيره ﴿منازل﴾ ثمانية وعشرون منزلا في ثمان وعشرين ليله ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما او ليلة ان كان تسعة وعشرين يوما ﴿لتعلموا﴾ بذلك ﴿عدد السنين والحساب﴾ سئل أبو عمرو عن الحساب أتنصبه أم تجره فقال من يدري ما عدد الحساب يريد لا يمكن عطفه على السنين اذ يقتضي ذلك ان يعلم عدد الحساب ولا يعلمه الا الله . ﴿ما خلق الله ذلك﴾ المذكور ﴿الا بالحق﴾ اي بالأمر الثابت الحقيقي ولا يتغير ولا يتبدل ﴿يفصل﴾ بالياء والنون يبين الله ﴿الآيات لقوم يعلمون﴾ يتدبرون .

٦ ﴿ان في اختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وما خلق الله في السموات﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿و﴾ في ﴿الارض﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار واشجار وغيرها ﴿لآيات﴾ دالات على قدرته تعالى ﴿لقوم يتقونه﴾ فيؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها .

ثم قسم الناس فئتين فئة كافرة وفئة مؤمنة فقال .

٧ ﴿ان الذين لا يرجون لقاءنا﴾ بالبعث ولا يتوقعونه ولا يخافونه بان يؤمنوا به ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ بدل الآخرة لانكارهم لها ﴿واطمأنوا بها﴾ سكنوا اليها ﴿والذين هم عن آياتنا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غافلون﴾ تاركون النظر فيها .

٨ ﴿أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ من الشرك والمعاصي .

٩ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم﴾ يرشدهم ﴿ربهم بايمانهم﴾ بان يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيامة ﴿تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم﴾ .

إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ
حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟
عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ
يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ

فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ
أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ * وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ
لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ
فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾
وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ
مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ
مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ

١٠ ﴿دعواهم فيها﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا ﴿سبحانك اللهم﴾ اي يا الله ﴿وتحيتهم﴾ فيما بينهم ﴿فيها سلام وآخر دعواهم أن﴾ مفسرة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ المعنى ان اهل الجنة لا يهمهم في الجنة هم واقصى ما يشغلهم حتى ليوصف بأنه «دعواهم» هو تسبيح الله اولا وحمده أخيرا ويتخلل هذا وذلك تحيات بينهم وبين أنفسهم وبينهم وبين الملائكة . ثم يتعقب بأن الناس ما كانوا يعرفون لأنفسهم خيرا ولا شرا اذ أنهم في أقوالهم يستعجلون على أنفسهم الشر كما يستعجلون لها الخير فقال .

١١ ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ مما لهم فيه مضرة ومكروه كقول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنك الله لابارك الله فيك ﴿استعجالهم﴾ اي كما يجيبهم ويعجل لهم الاجابة عند استعجالهم ﴿بالخير﴾ ما فيه لهم مصلحة كدعائهم بالرزق والرحمة ﴿لقضي﴾ بالبناء للمفعول وقرىء للفاعل ﴿اليهم أجلهم﴾ بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فنذر﴾ نترك ﴿الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون متحيرين في اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة الى نهاية مصيرهم الفظيع . وبمناسبة استعجال الشر مع كراهته يعرض صورة الانسان فقال .

١٢ ﴿واذا مس الإنسان﴾ الكافر ﴿الضر﴾ المرض والفقر ﴿دعانا لجنبه﴾ اي مضطجعا ﴿او قاعدا أو قائما﴾ اي في كل حال ﴿فلما كشفنا عنه ضره مر﴾ على كفره ﴿كأن﴾ مخففة واسمها محذوف اي كأنه ﴿لم يدعنا الى ضر مسه﴾ اي الى حالته الاولى وترك الدعاء واهمل جانب الله ﴿كذلك﴾ كما زين له الدعاء عند الضر والاعراض عند الرخاء ﴿زين للمسرفين﴾ المشركين ﴿ما كانوا يعملون﴾ .

١٣ ﴿ولقد اهلكنا القرون﴾ الامم ﴿من قبلكم﴾ يا اهل مكة ﴿لما ظلموا﴾ بالشرك ﴿و﴾ قد ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الدالات على صدقهم ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ عطف على ظلموا ﴿كذلك﴾ كما اهلكنا أولئك ﴿نجزى القوم المجرمين﴾ الكافرين.

١٤ ﴿ثم جعلناكم﴾ يا أهل مكة ﴿خلائف﴾ جمع خليفة ﴿في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسولنا محمداً .

غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ
نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ
أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ
إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ

١٥ ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ القرآن ﴿بينات﴾ ظاهرات حال ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ ليس فيه تعييب آلهتنا ﴿أو بدله﴾ من تلقاء نفسك قالوا هذا استهزاء وسخرية او قالوه على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كذاب في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله . ﴿قل﴾ لهم ﴿ما يكون﴾ ينبغي ﴿لي ان ابدله من تلقاء﴾ قبل ﴿نفسي ان﴾ ما ﴿اتبع الا ما يوحى الى اني أخاف ان عصيت ربي﴾ بتبديله ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يوم القيامة .

١٦ ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم﴾ أعلمكم فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والكاف مفعول ﴿به﴾ ولا نافية عطف على ما قبله وفي قراءة بلام جواب لوأي لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فقد لبثت فيكم عمرا﴾ مكثت فيكم سنين أربعين ﴿من قبله﴾ لا احدثكم بشيء ﴿أفلا تعقلون﴾ انه ليس من عندي .

١٧ ﴿فمن﴾ اي لا احد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بأن يقول كلاما وينسبه الى الله والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه في قولي ان هذا القرآن منه ﴿او كذب بآياته﴾ كما كذبتم بالقرآن انتم فلا احد اظلم منكم بتكذيبكم بهذا القرآن ﴿انه﴾ اي الشأن ﴿لا يفلح﴾ يسعد ﴿المجرمون﴾ المكذبون بالقرآن او المستهزئون به .

. اصل العباده يكون من خوف ضر من المعبود يصيب العابد ان لم يعبده او لرغبته في نفع منه .

١٨ ﴿و﴾ المشركون ﴿يعبدون من دون الله﴾ غيره ﴿ما لا يضرهم﴾ ان لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ ان عبدوه وهو الاصنام مع انهم يعرفون ان الله هو الذي يخلق الضر والنفع بدليل ﴿ويقولون﴾ عنها ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل﴾ لهم ﴿اتنبئون الله﴾ تخبرونه ﴿بما لا يعلم في السموات ولا في الارض﴾ استفهام انكار والمعنى أتنبئون الله بالذي يعلمه الله واذا لم يعلم الله شيئا استحال وجود ذلك الشيء لانه تعالى لا يعزب عن علمه شيء وذلك الشيء هو الشفاعة فما عبارة عن الشفاعة اي لو كانت لاحد في السموات والارض لعلمها الباري تعالى ﴿سبحانه﴾ تنزيها له ان يكون لاحد شيء لا يعرفه ﴿وتعالى عما يشركونه﴾ معه بالياء وقرىء بالتاء ثم بين الله تعالى ان هذا الشرك او النوع منه شيء عارض لأن التوحيد والاسلام ملة اجتمعت عليها الناس قاطبة وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة فقال .

١٩ ﴿وما كان الناس﴾ العرب ﴿إلا أمة واحدة﴾ على دين واحد هو الاسلام من لدن ابراهيم الى عمرو بن لحى الذي كان اول من بحر البحائر وسيب السوائب أو المراد بالناس عامة كانوا على دين الاسلام من لدن آدم الى نوح ﴿فاختلفوا﴾ بان ثبت بعض وكفر بعض ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الجزاء الى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ اي الناس في الدنيا ﴿فيما فيه يختلفون﴾ من الدين بتعذيب الكافرين .

ثم تقدم في بيان انواع ضلالاتهم فقال .

عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى
مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ
بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ
مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ

٢٠ ﴿ويقولون﴾ المشركون ﴿لولا﴾ هلا ﴿انزل عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿آية من ربه﴾ كما كان للانبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فقل﴾ لهم ﴿انما الغيب﴾ ما غاب عن العباد اي الامر ﴿لله﴾ ومنه الآيات فلا يأتي بها الا هو وانما علي التبليغ ﴿فانتظروا﴾ العذاب ان لم تؤمنوا ﴿اني معكم من المنتظرين﴾ .

٢١ ﴿واذا اذقنا الناس﴾ اي الكفار ﴿رحمة﴾ مطرا وخصبا ﴿من بعد ضراء﴾ بؤس وجدب ﴿مستهم اذا لهم مكر في آياتنا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قل﴾ لهم ﴿الله أسرع مكرا﴾ مجازاة ﴿ان رسلنا﴾ الحفظة ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ بالتاء وقرىء بالياء .

٢٢ ﴿هو الذي يسيركم﴾ وفي قراءة ينشركم ﴿في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك﴾ السفن ﴿وجرين بهم﴾ فيه التفات عن الخطاب والحكمة فيه هنا أن قوله هو الذي يسيركم خطاب فيه امتنان واظهار نعمة على المخاطبين وهي شاملة للمؤمنين والكفار ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة ولما كان في آخر الآية ما يقتضي ان الكفار اذا نجوا بغوا في الارض عدل عن خطابهم بذلك الى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق ﴿بريح طيبة﴾ لينة ﴿وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم﴾ اي اهلكوا ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ الدعاء ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿انجيتنا من هذه﴾ الاهوال ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ الموحدين .

٢٣ ﴿فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق﴾ سبب شرعي اي بالظلم والشرك ﴿يا ايها الناس انما بغيكم﴾ ظلمكم ﴿على انفسكم﴾ لأن اثمه عليها تمتعون ﴿متاع الحيوة الدنيا﴾ تمتعون فيها قليلا ﴿ثم الينا مرجعكم﴾ بعد الموت ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ فنجازيكم عليه وفي قراءة برفع متاع بتقدير هو قبله ثم ناسب المحل ان يصف الحياة الدنيا للذين يغترون بها ويؤثرون متاعها على متاع الآخرة فقال .

أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا
يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ
أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ
وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ
سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ
كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا

٢٤ ﴿انما مثل﴾ صفة وانما ليست للحصر لانه تعالى ضرب للحياة الدنيا أمثالا غير هذا ﴿الحيوة الدنيا كماء﴾ مطر ﴿انزلناه من السماء فاختلط به﴾ بسببه ﴿نبات الارض﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مما يأكل الناس﴾ من البر والشعير وغيرهما ﴿والانعام﴾ من الكلأ ﴿حتى اذا أخذت الارض زخرفها﴾ بهجتها من النبات ﴿وازينت﴾ بالزهر وأصله تزينت ابدلت التاء زايا وادغمت في الزاي ﴿وظن اهلها انهم قادرون عليها﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أتاها أمرنا﴾ قضاؤنا او عذابنا ﴿ليلا او نهارا فجعلناها﴾ اي زرعها ﴿حصيدا﴾ كالمحصود بالمناجل ﴿كأن﴾ مخففة اي كأنها ﴿لم تغن﴾ تكن ولم تمكث ﴿بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ قال قتادة ان المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولأن المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها .

٢٥ ﴿والله يدعو الى دار السلام﴾ السلامة وهي الجنة بالدعاء الى الايمان والدعاء ترغيب للناس في الحياة الاخروية اثر ترهيبهم من الحياة الدنيوية ﴿ويهدى من يشاء﴾ هدايته ﴿الى صراط مستقيم﴾ دين الاسلام .

٢٦ ﴿للذين أحسنوا﴾ بالأيمان ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾ هي النظر اليه تعالى كما في حديث مسلم ﴿ولا يرهق﴾ يغشى ﴿وجوههم قتر﴾ سواد ﴿ولا ذلة﴾ كآبة ﴿اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ .

٢٧ ﴿والذين﴾ عطف على الذين أحسنوا اي وللذين ﴿كسبوا السيئات﴾ عملوا الشرك ﴿جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من﴾ زائدة ﴿عاصم﴾ مانع ﴿كأنما أغشيت﴾ ألبست ﴿وجوههم قطعا﴾ بفتح الطاء جمع قطعة واسكانها اي جزءا ﴿من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾
فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ
لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا
إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾
قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾
قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ

٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم﴾ اي الخلق ﴿جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ نصب بالزموا مقدرا ﴿أنتم﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿وشركاؤكم﴾ أي الاصنام ﴿فزيلنا﴾ ميزنا ﴿بينهم﴾ وبين المؤمنين كما في آية وامتازوا اليوم ايها المجرمون ﴿وقال﴾ لهم ﴿شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون﴾ ما نافية وقدم المفعول للفاصلة .

٢٩ ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن﴾ مخففة اي انا ﴿كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ .

٣٠ ﴿هنالك﴾ اي ذلك اليوم ﴿تبلو﴾ من البلوى وفي قراءة بتاءين من التلاوة ﴿كل نفس ما اسلفت﴾ قدمت من العمل ﴿وردوا الى الله مولاهم الحق﴾ الثابت الدائم ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ عليه من الشركاء .

٣١ ﴿قل﴾ لهم ﴿من يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والارض بالنبات ﴿أمن يملك السمع﴾ بمعنى الأسماع اي خلقها ﴿والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر﴾ بين الخلائق ﴿فسيقولون﴾ هو ﴿الله فقل﴾ لهم ﴿افلا تتقون﴾ الله فتؤمنوا .

٣٢ ﴿فذلكم﴾ الفعال لهذه الاشياء ﴿الله ربكم الحق﴾ الثابت ﴿فماذا بعد الحق الا الضلال﴾ استفهام تقرير اي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فانى﴾ كيف ﴿تصرفون﴾ عن الايمان مع قيام البرهان .

٣٣ ﴿كذلك﴾ كما صرف هؤلاء عن الايمان ﴿حقت كلمة ربك على الذين فسقوا﴾ كفروا وهي ﴿انهم لا يؤمنون﴾ بدل من الكلمة .

٣٤ ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ اي ينشيء الخلق اي المخلوقات ثم يعيده للحياة بعد الموت فقيه الزام الخصم بالجواب كما يصح بما يعترف به يصح أيضا بما تبينت وثبتت حقيقته لقوة برهانه فلذا جعلت الاعادة كالبدء في الالزام لظهور برهانها وان لم يعترفوا بها ولذلك أمر الرسول ان ينوب عنهم في الجواب فقال ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ فان قبلوا هذا الجواب اذ لا بد من قبوله فلا جواب غيره فقل لهم ﴿فأنى تؤفكون﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل .

٣٥ ﴿قل هل من شركائكم من يهدى﴾ غيره ﴿الى الحق﴾ ضد الباطل بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قل الله يهدى﴾ من يشاء ﴿للحق﴾ وقل لهم أيضا ﴿أفمن يهدى﴾ غيره ﴿الى الحق﴾ وهو الله ﴿أحق ان يتبع أمن لا يهدى﴾ بكسر الهاء وبادغام التاء في الدال فالتقى الساكنان الهاء والتاء المدغمة فكسرت الهاء اصله يهتدى وقرىء بفتح الهاء بنقل فتحة التاء المدغمة اليها . ﴿الا أن يهدى﴾ مبنى للمفعول أي أحق ﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه ثم نبه على ان من يعبد غير الله لا يعبد على يقين ولا يتبع عقلا في عمله ولا حجة فقال .

٣٦ ﴿وما يتبع اكثرهم﴾ في عبادته الاصنام ﴿الا ظنا﴾ واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن أن يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على مقتضاها وبطلان ما يخالفها وانما قلدوا فيه آباءهم ﴿ان الظن لا يغنى من الحق شيئا﴾ فيما يطلب منه العلم ﴿ان الله عليم بما يفعلون﴾ فيجازيهم عليه .

٣٧ ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى﴾ افتراء ﴿من دون الله﴾ اي غيره ﴿ولكن﴾ انزل ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب ﴿وتفصيل الكتاب﴾ تبيين ما كتبه الله من الاحكام وغيرها ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه من رب العالمين﴾ متعلق بتصديق او بأنزل المحذوف وقرىء برفع تصديق بتقدير هو.

٣٨ ﴿ام﴾ بل أ ﴿يقولون افتراه﴾ اي اختلقه محمد ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فانكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وادعوا﴾ للاعانة عليه ﴿من استطعتم من دون الله﴾ اي غيره ﴿ان كنتم صادقين﴾ في أنه افتراه فلم تقدروا على ذلك قال تعالى .

قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾
قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ
يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن
لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ
شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ
تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ
وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾
وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ
مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى
ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ
شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ
قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ

٢٧٣

٣٩ ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ اي القرآن ولم يتدبروه ﴿ولما﴾ لم ﴿يأتهم تأويله﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كذلك﴾ التكذيب ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ رسلهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ بتكذيب الرسل اي آخر امرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء .

٤٠ ﴿ومنهم﴾ أي أهل مكة ﴿من يؤمن به﴾ لعلم الله ذلك منه ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ أبدا ﴿وربك اعلم بالمفسدين﴾ تهديد لهم .

٤١ ﴿وان كذبوك فقل﴾ لهم ﴿لي عملي ولكم عملكم﴾ اي لكل جزاء عمله ﴿أنتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون﴾ المعنى هو اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب فالآية محكمة .

٤٢ ﴿ومنهم من يستمعون اليك﴾ اذا قرأت القرآن ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿ولو كانوا﴾ مع الصمم ﴿لا يعقلون﴾ يتدبرون اد لا يمكن الفهم لمن اجتمع فيه فقد السمع والعقل .

٤٣ ﴿ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون﴾ اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك على البصيرة ولذلك يحسن الاعمى المستبصر ما لا يحسنه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى . شبههم بهم في عدم الاهتداء بل اعظم «فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» وجواب لو في الجملتين محذوف اي لا تسمعهم ولا تهديهم على كل حال مفروضة ثم عقب الكلام بقوله تعالى .

٤٤ ﴿ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون﴾ اي لما حكم الله على اهل الشقاوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الآية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل متصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم . والله اعلم .

٤٥ ﴿و﴾ انذرهم ﴿يوم يحشرهم كأن﴾ اي كانهم ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا او القبور ﴿الا ساعة من النهار﴾ لهول ما رأوا وجملة التشبيه حال من الضمير في نحشرهم ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضا اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال والجملة حال مقدرة او متعلق الظرف ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ بالبعث ﴿وما كانوا مهتدين﴾ معطوف على صلة الذين اي قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله غير مهتدين .

٤٦ ﴿واما﴾ فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة ﴿نرينك بعض الذى نعدهم﴾ به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف اي فذاك ﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فالينا مرجعهم ثم الله شهيد﴾ مطلع ﴿على ما يفعلون﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب .

٤٧ ﴿ولكل أمة﴾ من الامم ﴿رسول فاذا جاء رسولهم﴾ اليهم فكذبوه ﴿قضى بينهم بالقسط﴾ بالعدل فيعذبوا وينجى الرسول ومن صدقه ﴿وهم لا يظلمون﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء .

٤٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيه .

٤٩ ﴿قل لا املك لنفسي ضرا﴾ ادفعه ﴿ولا نفعا﴾ أجلبه ﴿الا ما شاء الله﴾ ان يقدرني عليه فكيف املك لكم حلول العذاب ﴿لكل امة اجل﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون﴾ يتأخرون عنه ﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ يتقدمون عليه .

٥٠ ﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ﴿ان أتاكم عذابه﴾ اي الله ﴿بياتا﴾ ليلا ﴿أو نهارا ماذا﴾ أي شيء ﴿يستعجل منه﴾ اي العذاب ﴿المجرمون﴾ المشركون فيه وضع الظاهر موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك اذا أتيتك ماذا تعطيني والمراد به التهويل اي ما اعظم ما استعجلوا .

٥١ ﴿أثم اذا ما وقع﴾ حل بكم ﴿آمنتم به﴾ اي الله أو العذاب عند نزوله والهمزة لانكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال لكم ﴿آلآن﴾ تؤمنون ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ استهزاء .

٥٢ ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد﴾ اي الذين تخلدون فيه ﴿هل﴾ ما ﴿تجزون الا﴾ جزاء ﴿بما كنتم تكسبون﴾ يقال لهم ذلك وكأنما قد آمنوا به وقد وقع كما كانوا يعتقدونه ويخاطبون به تبكيتا في مشهد يشهدونه الآن .

ثم ان الحق عندما يخبر به منكره لا يستطيع ان يرده بحجة ولا يستطيع ان يصدقه لانه يرى بذلك استسلامه له وكبرياؤه يأبى ذلك فيتزلزل تجاهه كأنه يريد ان يستوثق وليس له يقين فيقول أحق ما تقوله يا محمد من الوعيد والعذاب قال الله تعالى قبل ان يقع السؤال منه .

٥٣ ﴿ويستنبئونك﴾ يستخبرونك ﴿أحق هو﴾ ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قل إي﴾ نعم ﴿وربي إنه لحق وما انتم بمعجزين﴾ بفائتين العذاب .

أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ
كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾
* وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ
وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ
مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا

ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾
أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟
هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم
مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ
أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ
وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

٥٤ ﴿و﴾ اذا وقع العذاب ﴿لو أن لكل نفس ظلمت﴾ كفرت ﴿ما في الارض﴾ جميعا من الاموال ﴿لافتدت به﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وأسروا الندامة﴾ على ترك الايمان ﴿لما رأوا العذاب﴾ اي أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿وقضي بينهم﴾ بين الخلائق ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئا .

٥٥ ﴿ألا﴾ اداة تنبيه ذكر بعد التلويح بان النفس الظالمة لو كان لها ما في الارض لافتدت به فبين انها لا تملك ولا يمكن لها ان تملك الارض ﴿إن لله ما في السموات والارض ألا﴾ كررها لاثبات الوعيد ﴿ان وعد الله﴾ بالبعث والجزاء ﴿حق﴾ ثابت وجد ليس بهزل ﴿ولكن اكثرهم﴾ اي الناس ﴿لا يعلمون﴾ ذلك .

٥٦ ﴿هو يحيي ويميت﴾ في الدنيا ﴿واليه ترجعون﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم . وهنا انتهت أدلة التوحيد وفيما يأتي بيان لأدلة الرسالة .

الرسالة اخص من النبوة فالنبي رجل اوحى الله اليه بشرع ليعمل به هو وحده واذا امر بتبليغه الى غيره فهو رسول فقد انقطعت المرتبتان بمحمد ﷺ لاثبات النبوة والرسالة قال تعالى .

٥٧ ﴿يا أيها الناس﴾ المكلفون ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾ كتاب فيه ما لكم وعليكم وهو القرآن ﴿وشفاء﴾ دواء ﴿لما في الصدور﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وهدى﴾ من الضلال ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ به .

٥٨ ﴿قل بفضل الله﴾ الاسلام ﴿وبرحمته﴾ القرآن ﴿فبذلك﴾ الفضل والرحمة ﴿فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ من الدنيا بالياء وقرىء بالتاء .

٥٩ ﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ﴿ما أنزل الله﴾ خلق ﴿لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قل آلله أذن لكم﴾ في ذلك التحريم والتحليل . لا ﴿أم﴾ بل ﴿على الله تفترون﴾ تكذبون بنسبة ذلك اليه وكفى به زاجرا لمن أفتى بغير اتقان كبعض فقهاء هذا الزمان واظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح الافتراء على الله .

٦٠ ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب﴾ اي شيء ظنهم به ﴿يوم القيامة﴾ ايحسبون أنه لا يعاقبهم . لا ينبغي هذا الحسبان ولا صحة له بوجه من الوجوه . ثم عقب على انعام الله بالرحمة والفضل على الناس بارسال الرسل اليهم وقال ﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ بأموالهم والانعام عليهم بالعقل وانزال الكتب وارسال الرسل فبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول بادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امور المعاش ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ تلك النعم الجليلة فلا يصرفون مشاعرهم الى ما خلقت له .

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

٢٧٦

٦١ ﴿وما تكون﴾ يا محمد ﴿في شأن﴾ أمر ﴿وما تتلوا منه﴾ اي من الشأن او الله ﴿من قرآن﴾ انزله عليك ﴿ولا تعملون﴾ خاطبه وأمته ﴿من عمل الا كنا عليكم شهودا﴾ رقباء ﴿اذ تفيضون﴾ تشرعون ﴿فيه﴾ اي العمل ﴿وما يعزب﴾ يغيب ﴿عن ربك من مثقال﴾ دون وزن ﴿ذرة﴾ أصغر نملة ﴿في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين﴾ بين هو اللوح المحفوظ .

وبعد ذكر ادلة الألوهية والربوبية وبعد ان ذكر الأدلة على اثبات النبوة والرسالة يذكر فيما يأتي اولياء الله ومعنى الولاية ويبدأ بحرف التنبيه ليجلب العقول الى الدرس وحرف تحقيق وتوكيد لاثبات مضمونه وتقديره في الذهن فقال .

٦٢ ﴿الا إن أولياء الله﴾ جمع ولي وهو ضد العدو فهو المحب ومحبة العباد لله طاعتهم له ومحبته لهم اكرامه اياهم فعلى الاول يكون فعيل بمعنى فاعل وعلى الثاني بمعنى مفعول فهو مشترك بينهما أصله من ولي بمعنى قرب فولي كل شيء هو الذي يكون قريبا منه والقرب من الله بالمكان والجهة محال . فالقرب منه انما يكون اذا كان القلب مستغرقا في نور معرفة الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وإن سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان اجتهد اجتهد في طاعة الله ولا يفتر عن ذكر الله ولا يرى له رباً غير الله . واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه وهو قوله تعالى ﴿لا خوف عليهم﴾ في الدنيا لا يعتريهم ما يوجب ذلك بل يستمرون على النشاط والسرور لثقتهم بالله ﴿ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة وفي الحديث «لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس» .

ثم وصفهم فقال .

٦٣ ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ اي جمعوا بين الايمان والتقوى فالايمان هو التصديق بكل ما جاء به محمد ﷺ والتقوى امتثال امر الله واجتناب نهيه قال القشيري شرط الولي ان يكون محفوظا كما ان من شرط النبي ان يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع فالولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة ا هـ .

٦٤ ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له . وفي حديث عن ابي ذر قال قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن اخرجه مسلم قال الشيخ محيى الدين النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة بقوله «بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار» وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الارض . وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى «تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون» . وتوجد اقوال غير ما ذكر وكلها تدخل في معناه والحمدلله رب العالمين . ﴿وفي الآخرة﴾ بالجنة والثواب قال ابن عباس رضي الله عنه البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن تعرج بها الى الله تعالى وتبشره برضوان الله . وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنة وكريم ثواب اهـ فمن دخل في ولاية الله فان الله كافيه وناصره ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ذلك﴾ المذكور من البشارة لاولياء الله ﴿هو الفوز العظيم﴾ لانه لا خوف ولا حزن بعده .

يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ
سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ
إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ
الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي
وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ

٢٧٧

قد ذكر الله تبارك وتعالى اولياءه في حفظه ونصره لا خوف عليهم ولا حزن. ثم النبي ﷺ أكرم ولي على الله من سائر اوليائه فها هو مرسل الى المشركين والكفار اصحاب اموال واولاد واستعدادات مادية ظاهرة يواجهونه بالاستهزاء والتكذيب فقال الله له.

٦٥ ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ لك لست مرسلا وغيره ﴿ان﴾ استئناف ﴿العزة﴾ القوة ﴿لله جميعا هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالاحوال والكفار ليس لهم من العزة شيء فلا يؤثر كلامهم عليك وليس لهم سمع ولا علم حتى يسمعوا او يعلموا ما اعد الله لحمايتك منهم ثم برهن على ذلك فقال.

٦٦ ﴿الا﴾ حرف تنبيه ﴿ان﴾ للتأكيد ﴿لله من في السموات ومن في الارض﴾ من العقلاء عبيدا وملكا وخلقا فغير العاقل فيهما من باب أولى في عدم الاشتراك مع الله في عزته ﴿وما يتبع الذين يدعون﴾ يعبدون ﴿من دون الله﴾ غيره اصناما ﴿شركاء﴾ له على الحقيقة اي الاصنام التي يتبعونها ليست بشريكة له اذ ليس لهم مع الله شركة في شيء ﴿ان﴾ ما ﴿يتبعون﴾ في ذلك ﴿الا الظن﴾ اي ظنهم آلهة تشفع لهم ﴿وان﴾ ما ﴿هم الا يخرصون﴾ يكذبون في ذلك. ثم برهن على قوله وهو السميع والعليم بقوله تعالى.

٦٧ ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ اسناد الابصار الى النهار مجاز لانه يبصر فيه ﴿ان في ذلك لآيات﴾ دلالات على انفراده تعالى بالعزة والسمع والعلم ﴿لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر واتعاظ والسامع يعرف ان الذي خلق له السمع له سمع وعلم.

٦٨ و﴿قالوا﴾ اي الكفار ﴿اتخذ الله ولدا﴾ الملائكة عند مشركي العرب وعزيرا عند اليهود وعيسى عند النصارى ليعبدوهم معه لان ابنا يشارك اباه في جميع الوجوه وفي العزة قال تعالى لهم ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عن الولد ﴿هو الغني﴾ عن كل أحد وانما يطلب الولد من يحتاج له ﴿له ما في السموات وما في الارض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا فلا يشاركه شيء منهما في العزة ﴿ان﴾ ما ﴿عندكم من سلطان﴾ حجة ﴿بهذا﴾ الذي تقولونه ﴿اتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ استفهام توبيخ.

٦٩ ﴿قل ان الذين يفترون على الله الكذب﴾ بنسبة الولد اليه ليشاركه في العزة ﴿لا يفلحون﴾ لا يسعدون اذ استندوا الى غير قوي وطلبوا النصر والولاية من غير عزيز وليس له من العزة شيء وتركوا الله الذي له العزة جميعا فلا فلاح لهم.

٧٠ ولكن لهم. ﴿متاع﴾ قليل ﴿في الدنيا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم وذلك ليس بفلاح ﴿ثم الينا مرجعهم﴾ بالموت ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد﴾ بعد الموت ولا يستطيع أحد ان يشفع لهم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ اي بكفرهم بنسبة العزة لغير محلها وطلب النصر ممن لا يقدر أن ينصر نفسه.

٧١ ﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ الكفار الناسبين العزة لغير الله ﴿نبأ نوح﴾ خبره مع قومه الكفار الذين نسبوا العزة لغير الله ﴿اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر﴾ شق ﴿عليكم مقامي﴾ لبثي فيكم ﴿وتذكيري﴾ وعظي اياكم ﴿بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم﴾ اعزموا على امر تفعلونه بي ﴿وشركاءكم﴾ الواو بمعنى مع ونصب شركاء اي الذين تظنون بهم عزة وانهم ينصرونكم ونصب شركاء يدل على قلة اهمية الشركاء من الذين يعبدونهم ﴿ثم لا يكن امركم عليكم غمة﴾ مستورا بل اظهروه وجاهروني به ﴿ثم اقضوا الي﴾ امضوا في ما اردتموه ﴿ولا تنظرون﴾ تمهلون

فاني لست مباليا لان ولي الله وله العزة جميعا ومن استند اليه فلا يخاف شيئا .

٧٢ ﴿فان توليتم﴾ عن تذكيري ﴿فما سألتكم من أجر﴾ ثوابا عليه ﴿إن﴾ ما ﴿أجرى الا على الله و﴾ الحال ﴿أمرت أن أكون من المسلمين﴾ الذين انقادوا لله في عبادته اي امرت ان اكون واحدا منهم ولست عليهم بملك ولا احملهم على شيء وأنا منه بريء اي اذا توليتم عن تذكيري لكم مع كل هذا فتولوا ولا تضرون الا انفسكم .

٧٣ ﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ السفينة ﴿وجعلناهم﴾ اي من معه ﴿خلائف﴾ في الارض ﴿واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان وما نفعتهم قوتهم ولا شركاؤهم بشيء عن الهلاك ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ بفتح الذال من اهلاكهم لعدم ايمانهم وعدم مقدرتهم على اضرار المنذرين بالكسر فكذلك يكون امرك وامر قومك الذين يكذبونك .

٧٤ ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ اي نوح ﴿رسلا الى قومهم﴾ كابراهيم وهود وصالح، ﴿فجاؤهم بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ اي قبل بعث الرسل اليهم لدعوتهم الى الايمان الصحيح ﴿كذلك نطبع﴾ نختم ﴿على قلوب المعتدين﴾ الظالمين الذين ينسبون عزة لغير الله فلا يفيقون ولا يتفكرون ليرجعوا عن ذلك حتى يهلكوا ولا تنفعهم شركاؤهم بشيء كما فعلنا بهؤلاء الامم الذين كذبوا الرسل بعد نوح .

٧٥ ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه﴾ رؤساء قومه ﴿بآياتنا﴾ التسع ﴿فاستكبروا﴾ عن الايمان بها ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ مذنبين بفعل الجرائم والتعاظم بقوتهم ونسبة العزة الى غير مستحقها .

٧٦ ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين﴾ بين ظاهر.

٧٧ ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ انه سحر ﴿أسحر هذا﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ والاستفهام في الموضعين للانكار .

وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا
إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟
بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ
هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ
سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ

٢٧٨

٧٨ ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ لتصرفنا اللفت والفتل بمعنى ﴿عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء﴾ الملك ﴿في الارض﴾ ارض مصر ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ مصدقين .

٧٩ ﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم﴾ فائق في علم السحر .

أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم
بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ
عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ
لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم
مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ

٨٠ ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى﴾ بعدما قالوا له إما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ﴿ألقوا ما انتم ملقون﴾ .

٨١ ﴿فلما ألقوا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قال موسى ما﴾ موصولة مبتدأ ﴿جئتم به﴾ صلة الموصول الخبر ﴿السحر﴾ وفي قراءة بهمزتين بدل من ما الاستفهامية ﴿إن الله سيبطله﴾ اي بيمحه ﴿ان الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ .

٨٢ ﴿ويحق﴾ يثبت ويظهر ﴿الله الحق بكلماته﴾ بمواعيده ﴿ولو كره المجرمون﴾ .

٨٣ ﴿فما آمن لموسى﴾ اي معه ﴿الا ذرية﴾ طائفة ﴿من﴾ اولاد ﴿قومه﴾ اي فرعون ﴿على خوف﴾ مع خوف ﴿من فرعون وملائهم ان يفتنهم﴾ يصرفهم عن دينهم بتعذيبه ﴿وان فرعون لعال﴾ متكبر ﴿في الارض﴾ ارض مصر ﴿وانه لمن المسرفين﴾ المجاوزين الحد بادعاء الربوبية .

٨٤ ﴿وقال موسى﴾ تطمينا لقلوبهم وازالة للخوف عنهم وسؤالهم قومه من حيث ايمانهم ﴿يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين﴾ .

٨٥ ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق فيفتتنوا بنا .

٧٦ ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ .

٧٨ ﴿وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوءا﴾ اتخذا ﴿لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة كانت قبلتهم هي الكعبة قبلة ابراهيم وقيل كانت بيت المقدس ﴿وأقيموا الصلاة﴾ اتموها ﴿وبشر المؤمنين﴾ بالنصر والجنة .

فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا
لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ
لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ

٨٨ ﴿وقال موسى﴾ لما أتى بالمعجزات الباهرة ورأى القوم يصرون على الكفر والعناد أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر اولا سبب اقدام الغير على الجرائم التي هي السبب في الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها قدم هذه المقدمة ﴿ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا﴾ آتيتهم ذلك ﴿ليضلوا﴾ في عاقبته ﴿عن سبيلك﴾ دينك ﴿ربنا اطمس على اموالهم﴾ امسخها ﴿واشدد على قلوبهم﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ المؤلم دعا عليهم وأمن هارون على دعائه.

٨٩ ﴿قال﴾ تعالى ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ فمسخت اموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فاستقيما﴾ على الرسالة والدعوة الى أن يأتيهم العذاب ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ في استعجال قضائي روي أنه مكث بعدها اربعين سنة.

٩٠ ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم﴾ لحقهم ﴿فرعون وجنوده بغيا وعدوا﴾ مفعول له ﴿حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه﴾ اي بأنه وفي قراءة بالكسر استئنافا ﴿لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين﴾ كره ان تناله الرحمة طبع الله على فمه كما طبع على قلبه بكفره من قوله تعالى «وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم» وقال تعالى «ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون». وقيل انه لم يقبل منه لانه لم يثبت رسالة موسى المرسل اليه كما لا يدخل أحد الاسلام اليوم الا بالشهادتين وهما لا اله الا الله محمد رسول الله وقال له.

٩١ ﴿آلآن﴾ تومن ﴿وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ بضلالك واضلالك من الايمان.

٩٢ ﴿فاليوم ننجيك﴾ نخرجك من البحر ﴿ببدنك﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لتكون لمن خلفك﴾ بعدك ﴿آية﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس ان بعض بني اسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه. ثم عقب على قصة إهلاك فرعون فقال ﴿وان كثيرا من الناس﴾ وهم الكفار ﴿عن آياتنا لغافلون﴾ فلا يعتبرون بها ليعرفوا ان العزة لله جميعا فيعتمدوا عليه ولا يخافوا احدا في عبادته.

جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ
جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ
لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ
حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ

٩٣ ﴿ولقد بوأنا﴾ انزلنا ﴿بني اسرائيل﴾ مع ضعفهم ﴿مبوأ صدق﴾ منزل كرامة يصدق الظن فيه عادة العرب اذا مدحت شيئا أضافته الى الصدق والمراد بالمكان المبوأ قولان احدهما مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرائيل جميع ما تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انها أرض الشام وقدس والاردن لأنها واد الخصب والخير والبركة ﴿ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حتى جاءهم العلم﴾ هو عيسى عليه السلام وكانوا يعرفون مجيئه وصفاته فأذلهم الله بعد العزة ﴿ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من امر الدين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين .

تقدم ان الله تبارك وتعالى قال للنبي ﷺ «ولا يحزنك قولهم» اي انك لست برسول ولا تخف منهم «ان العزة لله جميعا» وبرهن له على ذلك بالأدلة والامثلة التي ذكرها من قصص الامم قبله ثم قال له مخاطبا .

٩٤ ﴿فان كنت﴾ يا محمد ﴿في شك مما انزلنا اليك﴾ من الوحي ﴿فاسأل الذين يقرؤن الكتاب﴾ التوراة والانجيل ﴿من قبلك﴾ فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه قال والله لا اشك ولا أسأل ثم أكد الله له ذلك وقال ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين فيه .

٩٥ ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ .

٩٦ ﴿ان الذين حقت﴾ وجبت ﴿عليهم كلمت ربك﴾ بالعذاب من قومك ﴿لا يؤمنون﴾ .

٩٧ ﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ لا يؤمنون ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ ثم يؤمنوا عندما لا ينفع الايمان وهو مثل ما حصل لفرعون عند الاغراق من الايمان بعد فوات وقت التوبة ثم بين تعالى فيما يأتي انه من تاب قبل فوات وقت التوبة فانه يقبل منه توبته فمثلي في ذلك بقوم يونس وقال .

٩٨ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كانت قرية﴾ أريد اهلها ﴿آمنت﴾ قبل نزول العذاب ولم يؤخروا الى حلوله ﴿فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا﴾ عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله والا بمعنى لكن ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين﴾ انقضاء آجالهم .

ومن هنا تأتي التعقيبات على ما تقدم الى آخر السورة وفيها تسلية له ﷺ وزيادة بيان ان العزة لله وحده ولا شفاعة لأحد من المخلوقات من عذاب الله الا باذنه تعالى فقال .

٩٩ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾ لا .

١٠٠ ﴿وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله﴾ بارادته ﴿ويجعل الرجس﴾ العذاب ﴿على الذين لا يعقلون﴾ يتدبرون آيات الله .

١٠١ ﴿قل﴾ للكفار ﴿انظروا ماذا﴾ اي الذي ﴿في السموات والارض﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى بالتصرف والعزة ﴿وما تغنى الآيات والنذر﴾ جمع نذير اي الرسل ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ في علم الله اي ما تنفعهم .

١٠٢ ﴿فهل﴾ فما ﴿ينتظرون﴾ بتكذيبك ﴿الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم﴾ من الأمم اي مثل وقائعهم من العذاب ﴿قل فانتظروا﴾ ذلك ﴿اني معكم من المنتظرين﴾ .

١٠٣ ﴿ثم ننجى﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿رسلنا والذين آمنوا﴾ من العذاب ﴿كذلك﴾ الانجاء ﴿حقا علينا ننج المؤمنين﴾ النبي ﷺ واصحابه حين تعذيب المشركين .

١٠٤ ﴿قل يا ايها الناس﴾ المكلفون ﴿ان كنتم في شك من ديني﴾ انه حق ﴿فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ اي غيره وهي الاصنام لشككم فيه ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ بقبض ارواحكم ﴿وامرت أن﴾ اي بأن ﴿أكون من المؤمنين﴾ بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهذا تصريح بأن ما هو عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي .

١٠٥ ﴿و﴾ قيل لي ﴿ان أقم وجهك للدين حنيفا﴾ مائلا اليه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ .

١٠٦ ﴿ولا تدع﴾ تعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعك﴾ ان عبدته ﴿ولا يضرك﴾ ان لم تعبده ﴿فان فعلت﴾ ذلك فرضا ﴿فانك إذاً من الظالمين﴾ لانك وضعت العبادة الى غير مستحقها .

إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾
قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى
ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ
إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى
مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

لَهُۥ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ
حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ

١٠٧ ﴿وان يمسسك﴾ يصبك ﴿الله بضر﴾ كفقر ومرض ﴿فلا كاشف﴾ رافع ﴿له الا هو وان يردك بخير فلا راد﴾ دافع ﴿لفضله﴾ الذي أرادك به ﴿يصيب به﴾ اي بالخير ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ .

١٠٨ ﴿قل يأيها الناس﴾ اي المكلفون ﴿قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه﴾ لان ثواب اهتدائه له ﴿ومن ضل فانما يضل عليها﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وما انا عليكم بوكيل﴾ فاجبركم على الهدى .

١٠٩ ﴿واتبع ما يوحى اليك واصبر﴾ على الدعوة واذاهم ﴿حتى يحكم الله﴾ فيهم بأمره ﴿وهو خير الحاكمين﴾ اعدلهم وقد صبر حتى حكم على الكفار والمشركين بالقتال والجزية . بدأت السورة بعجب الناس أن يوحي الله الى رجل منهم وختمت بامر هذا الرجل الذي هو النبي بالصبر على أذاهم حتى يحكم بينهما . والله اعلم .

﴿ سورة هود مكية ﴾

مكية مائة واثنتان او ثلاث وعشرون آية .

والموضوع الرئيسي للسورة هو العقيدة توحيد الله بالعبادة والاعتقاد برسالة الرسول .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الر﴾ الله اعلم بمراده بذلك هذا ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ عجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثم فصلت﴾ بينت بالاحكام والقصص والمواعظ ﴿من لدن حكيم خبير﴾ اي الله .

نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى
فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا
حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ
فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ
ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

٢ ﴿أن﴾ اي بأن ﴿لا تعبدوا الا الله انني لكم نذير﴾ بالعذاب ان كفرتم ﴿وبشير﴾ بالثواب ان آمنتم .

٣ ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ من الشرك ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿اليه﴾ بالطاعة ﴿يمتعكم﴾ في الدنيا ﴿متاعا حسنا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿الى أجل مسمى﴾ هو الموت ﴿ويؤت﴾ في الآخرة ﴿كل ذي فضل﴾ في العمل ﴿فضله﴾ جزاءه ﴿وان تولوا﴾ فيه حذف احدى التاءين اي تعرضوا ﴿فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ هو يوم القيامة .

٤ ﴿الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾ ومنه الثواب والعذاب .

٥ ﴿ألا﴾ حرف تنبيه ﴿إنهم﴾ الكفار او المنافقون ﴿يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ من النبي كيلا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ يتغطون بها ﴿يعلم﴾ تعالى ﴿ما يسرون وما يعلنون﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ اي بما في القلوب .

٦ ﴿وما من﴾ زائدة ﴿دابة في الارض﴾ هي ما دب عليها ﴿الا على الله رزقها﴾ تكفل به فضلا منه تعالى ﴿ويعلم مستقرها﴾ مسكنها في الدنيا او الصلب ﴿ومستودعها﴾ بعد الموت او في الرحم ﴿كل﴾ مما ذكر ﴿في كتاب مبين﴾ بين هو اللوح المحفوظ .

٧ ﴿وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام﴾ من مقدار ايام الدنيا ﴿وكان عرشه﴾ قبل خلقهما ﴿على الماء﴾ والله اعلم بمراده به والايمان به واجب ﴿ليبلوكم﴾ متعلق بخلق اي خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أيكم أحسن عملا﴾ اطوع لله وكل ما كان اوفق للسنة قولا وفعلا واعتقادا فهو أحسن عملا ﴿ولئن قلت﴾ يا محمد لهم ﴿انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان﴾ ما ﴿هذا﴾ القرآن الناطق بالبعث او الذي تقوله ﴿الا سحر مبين﴾ بين وفي قراءة ساحر والمشار اليه النبي ﷺ .

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ
مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ
أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ
أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟
مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾

٨ ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب الى﴾ مجيء ﴿أمة﴾ اوقات ﴿معدودة ليقولن﴾ استهزاء ﴿ما يحبسه﴾ ما يمنعه من النزول قال تعالى ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا﴾ مدفوعا ﴿عنهم وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب .

٩ . ﴿ولئن اذقنا الانسان﴾ الكافر ﴿منا رحمة﴾ غنى وصحة ﴿ثم نزعناها منه انه ليؤس﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كفور﴾ شديد الكفر به .

١٠ ﴿ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء﴾ فقر وشدة ﴿مسته ليقولن ذهب السيئات﴾ المصائب ﴿عنى﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿انه لفرح﴾ بطر ﴿فخور﴾ على الناس بما اوتى .

١١ ﴿إلا﴾ لكن ﴿الذين صبروا﴾ على الضراء ﴿وعملوا الصالحات﴾ في النعماء ﴿اولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ هو الجنة .

١٢ ﴿فلعلك﴾ يا محمد ﴿تارك بعض ما يوحى اليك﴾ فلا تبلغهم اياه لتهاونهم به ﴿وضائق به صدرك﴾ بتلاوته عليهم لاجل ﴿ان يقولوا لولا﴾ هلا ﴿انزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿انما انت نذير﴾ فلا عليك الا البلاغ لا الاتيان بما اقترحوه ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ حفيظ فيجازيهم .

١٣ ﴿أم﴾ بل ﴿يقولون افتراه﴾ اي القرآن ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ في الفصاحة والبلاغة والاشتمال على ارشاد وتوجيه ونهي وغير ذلك ﴿مفتريات﴾ فانكم عربيون فصحاء مثلي تحداهم بها اي عشر سور أولاً ثم بسورة ﴿وادعوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿من استطعتم من دون الله﴾ اي غيره ﴿ان كنتم صادقين﴾ في انه افتراء .

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن
لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن
قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ
فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

١٤ ﴿فإلم﴾ يوصل ان مع لم هنا وما عداه نحو «وإن لم ينتهوا» «فان لم يستجيبوا لك» فمقطوع ﴿يستجيبوا لكم﴾ اي النبي وذكر بلفظ الجمع تعظيما له ﷺ ﴿فاعلموا﴾ فزيدوا بذلك ثباتا ويقينا وعدم الخوف من مواجهة المعارضين المكذبين ﴿انما أنزل﴾ هذا القرآن متلبسا ﴿بعلم الله﴾ وليس افتراء عليه ﴿وان﴾ مخففة اي أنه معطوف على انما ﴿لا اله الا هو فهل انتم مسلمون﴾ بعد هذه القاطعة اي اسلموا .

١٥ ﴿من﴾ اسلم وعمل عملا رياء و ﴿كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ بان اراد غير الله بعمله ﴿نوف اليهم اعمالهم﴾ اي جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فيها﴾ بأن نوسع له رزقه ﴿وهم فيها﴾ اي في الدنيا ﴿لا يبخسون﴾ ينقصون شيئا من اعمالهم التي عملوها .

١٦ ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط﴾ بطل ﴿ما صنعوا فيها﴾ اي الاخرة فلا ثواب له ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ وفي قراءة زيد بن علي وبطل ما كانوا يعملون بالفعل اي ما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال بطلت ولا ثواب لها في الآخرة اذا عملت لغير الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قال الله تعالى أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه» أخرجه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ريحها أخرجه أبو داود . قلت : الرياء درجات رياء النفاق وصاحبه كافر ورياء الاعمال وصاحبه فاسق . ولما ذكر من تبطل اعماله بالرياء او الكفر قارن فيما يأتي بين المؤمن الذي يعمل على يقين بما انزل الله وبين الكافر الذي يعمل على هواه فقال تعالى .

١٧ ﴿أفمن كان على بينة﴾ بيان وحجة ﴿من ربه﴾ وهو النبي ﷺ وهي القرآن ﴿ويتلوه﴾ يتبعه ﴿شاهد﴾ له يصدقه ﴿منه﴾ اي من الله وهو جبريل في القرآن من الاحكام ﴿ومن قبله﴾ القرآن ﴿كتاب موسى﴾ التوراة شاهد له أيضا ﴿إماما ورحمة﴾ حال لكتاب موسى اي أفمن يعمل بما انزل الله عليه المؤيد بالحجج من الله كمن يعمل بغيره . لا يستويان ﴿اولئك﴾ اي من كان على بينة ويعملون بها ﴿يؤمنون به﴾ اي القرآن فلهم الجنة ﴿ومن يكفر به من الاحزاب﴾ جمع حزب اي الكفار فانهم احزاب متفرقون اذ لا تجتمع اهواءهم المتبعة ﴿فالنار موعده فلاتك في مرية﴾ شك ﴿منه﴾ من القرآن ﴿انه الحق من ربك﴾ وليس بافتراء على الله ﴿ولكن اكثر الناس﴾ الذين تدعوهم الى العمل به ﴿لا يؤمنون﴾ به لأنه خالف أهواءهم ويدعون انه افتراء وكذب على الله .

١٨ ﴿ومن﴾ اي لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بأي نوع من الكذب كان الافتراء ﴿اولئك﴾ المفترون على الله كذبا ﴿يعرضون على ربهم﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿ويقول الاشهاد﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ بصحة الرسالة من الله وعلى الكفار بالتكذيب أو على المفترين بالافتراء وهو المقصود هنا ﴿هؤلاء الذين كذبوا﴾ افتروا الكذب ﴿على ربهم الا لعنة الله على الظالمين﴾ المفترين على الله الكذب .

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (١٩) أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ
يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا
كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ (٢٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٢١) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (٢٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ (٢٣) * مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ
وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥)
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

١٩ ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ دين الاسلام ﴿ويبغونها﴾ يطلبون السبيل ﴿عوجا﴾ معوجة اي يطلبون ان يصيبوها بعيب من جانب غير مستقيم فافتراء اشياء واضافتها اليها ليزيلوا الناس بها عن الحجة البيضاء ﴿وهم بالآخرة هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾ اذ لو آمنوا بها لما افتروا على الله كذبا .

٢٠ ﴿أولئك لم يكونوا معجزين﴾ الله ﴿في الارض﴾ مع سعتها بهم وتصرفهم فيها وفي الآخرة من باب أولى حيث لم يكن لهم ذلك ﴿وما كان لهم من دون الله﴾ اي غيره ﴿من أولياء﴾ انصار يمنعونهم من عذابه ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ باضلالهم غيرهم ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ للحق ﴿وما كانوا يبصرون﴾ لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك .

٢١ ﴿اولئك الذين خسروا انفسهم﴾ لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ على الله .

٢٢ ﴿لا جرم﴾ حقا ﴿أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ .

٢٣ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا﴾ سكنوا واطمأنوا أو انابوا ﴿الى ربهم﴾ واستعملوا احكامه واتبعوها بغير تبديل ولا تغيير ﴿أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ على عكس ما كان عليه الفريق الاول .

٢٤ ﴿مثل﴾ صفة ﴿الفريقين﴾ هم الكفار المفترون على الله كذباً والمؤمنون الذين كانوا على بينة من ربهم ﴿كالاعمى والاصم﴾ هذا مثل الكافر ﴿والبصير والسميع﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هل يستويان مثلا﴾ صفة تمييز محول عن الفاعل والاصل هل يستوى مثلهم والاستفهام انكاري والجواب لا يستويان . ﴿أفلا تذكرون﴾ أيها المكلفون فيه ادغام التاء في الاصل في الذال تتعظون .

وفيما يأتي قصص من قصص الانبياء لبيان أنهم لم يكونوا مفترين على الله كذبا وكل ما جاؤا به فهو من الله وبذلك تكاد الفاظهم تكون واحدة مع اختلاف لغاتهم وأماكنهم واوقاتهم والبيئة التي يعيشون عليها لان الحق لا يتبدل ولا يتغير مهما تغيرت الاحوال والافتراء هو الذي يتغير بتغيير الاشخاص على الترتيب التاريخي فقال .

٢٥ ﴿ولقد ارسلنا نوحا﴾ واسمه عبد الغفار ولقبه نوح لكثرة نياحته ﴿الى قومه أني﴾ اي بأني وفي قراءة بالكسر على حذف القول ﴿لكم نذير مبين﴾ بين الانذار .

٢٦ ﴿أن﴾ اي بأن ﴿لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم﴾ ان عبدتم غيره ﴿عذاب يوم أليم﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة .

٢٧ ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ وهم الاشراف ﴿ما نراك الا بشرا مثلنا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا﴾ أسافلنا كالحاكة والاساكفة صناع الهابوج وكالحجامين وهذه سنة الله في الانبياء والاولياء اول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلهم فلا يتكبرون عن الاتباع بمال ولا جاه ولا تغرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين . ﴿بادي الرأي﴾ بالهمز وتركه اي ابتداء من غير تفكر فيك اي ولو تفكروا لم يتبعوك . ونصبه على الظرف اي وقت حدوث اول رأيهم ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ في دعوى الرسالة ادرجوا قومه معه في الخطاب .

٢٨ ﴿قال يا قوم ارأيتم﴾ اخبروني ﴿ان كنت على بينة﴾ بيان ﴿من ربي وآتاني رحمة﴾ نبوة ﴿من عنده فعميت﴾ خفيت ﴿عليكم﴾ بتشديد الميم والبناء للمفعول وفي قراءة بتخفيفها والبناء للفاعل ﴿أنلزمكموها﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وانتم لها كارهون﴾ لا نقدر على ذلك .

٢٩ ﴿ويا قوم لا اسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مالاً﴾ تعطونيه ﴿ان﴾ ما ﴿أجرى﴾ ثوابي ﴿الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا﴾ كما امرتموني ﴿انهم ملاقوا ربهم﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ عاقبة امركم .

٣٠ ﴿ويا قوم من ينصرني﴾ يمنعني ﴿من الله﴾ اي عذابه ﴿ان طردتهم﴾ اي لا ناصر لي ﴿افلا﴾ فهلا ﴿تذكرون﴾ بادغام التاء الثانية في الاصل في الذال تتعظون .

أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ
إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا
بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ
كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا
وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم
مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ
مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن
يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ
ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠
بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن
قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا
مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا
فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

٢٨٩

٣١ ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا﴾ اني ﴿اعلم الغيب ولا أقول اني ملك﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿ولا أقول للذين تزدري﴾ تحتقر ﴿اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في أنفسهم﴾ قلوبهم ﴿اني اذاً﴾ ان قلت ذلك ﴿لمن الظالمين﴾ لأني ادعيت اذاً ما لا يليق بي وذلك افتراء على الله .

٣٢ ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ خاصمتنا ﴿فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فيه .

٣٣ ﴿قال انما يأتيكم به الله ان شاء﴾ تعجيله لكم فان أمره اليه لا الي ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين الله .

٣٤ ﴿ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم﴾ اي اغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي ﴿هو ربكم واليه ترجعون﴾ بالبعث فيجازيكم بما تستحقون من عذاب او عقاب .

ثم اعترض في القصة بكلام فيه تنبيه للسامع ليتفكر في صدق النبي ﷺ وتنشيط له في تتبع باقي القصة فلا يفوته منها شيء فقال .

٣٥ ﴿ام﴾ بل أ ﴿يقولون﴾ كفار مكة ﴿افتراه﴾ اختلق محمد خبر نوح وقصته عليهم كما كانوا يزعمون انه يفتري القرآن ينسبه الى الله ﴿قل ان افتريته﴾ خبر نوح ﴿فعلي اجرامي﴾ اثمي من الكذب اي عقوبته لان من افترى جرما فعليه عار كذبه ﴿وانا بريء مما تجرمون﴾ اجرامكم في نسبة الافتراء الي كذبا منكم .

ثم رجع السياق لتتميم الكلام على قصة نوح فقال تعالى .

٣٦ ﴿واوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس﴾ تحزن ﴿بما كانوا يفعلون﴾ من الشرك فدعا عليهم بقوله رب لا تذر على الأرض الخ فأجاب الله تعالى دعاءه وقال .

٣٧ ﴿واصنع الفلك﴾ السفينة ﴿بأعيننا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿ووحينا﴾ وتعليمنا اياك كيفية العمل بالوحي ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ كفروا بترك اهلاكهم ﴿انهم مغرقون﴾ .

٣٨ ﴿ويصنع الفلك﴾ حكاية حال ماضية ﴿وكلما مر عليه ملأ﴾ جماعة ﴿من قومه سخروا منه﴾ استهزؤا به ﴿قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون﴾ اذا نجونا وغرقتم .

٣٩ ﴿فسوف تعلمون من﴾ موصولة مفعول تعلمون ﴿يأتيه عذاب يخزيه ويحل﴾ ينزل ﴿عليه عذاب مقيم﴾ دائم .

٤٠ ﴿حتى﴾ غاية للصنع ﴿اذا جاء امرنا﴾ باهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ للخباز بالماء وقيل فار التنور وقت طلوع الفجر ونور الصبح ومعنى فار نبع بقوة من التنور وكان ذلك علامة لنوح ﴿قلنا احمل فيها﴾ في السفينة ﴿من كل زوجين﴾ اي ذكراً وانثى من كل انواعهما ﴿اثنين﴾ ذكراً وانثى وهو مفعول وفي القصة ان الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما في السفينة ﴿واهلك﴾ اي زوجته واولاده ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ اي منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاث ﴿ومن آمن وما آمن معه الا قليل﴾ قيل ستة رجال ونساؤهم وقيل جميع من كان في السفينة مؤمنون نصفهم رجال ونصفهم نساء .

٤١ ﴿وقال﴾ نوح ﴿اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها﴾ بضم الميمين وقرىء بفتحهما مصدران اي جريها وسيرها ﴿ان ربي لغفور رحيم﴾ حيث لم يهلكنا .

٤٢ ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ في الارتفاع والعظم ﴿ونادى نوح ابنه﴾ كنعان ﴿وكان في معزل﴾ عن السفينة ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ .

٤٣ ﴿قال سآوي الى جبل يعصمني﴾ يمنعني ﴿من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ عذابه ﴿الا﴾ لكن ﴿من رحم﴾ الله فهو المعصوم قال تعالى ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ .

٤٤ ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار انهارا وبحارا ﴿ويا سماء أقلعي﴾ امسكي عن المطر فأمسكت ﴿وغيض﴾ نقص ﴿الماء وقضي الامر﴾ تم امر هلاك قوم نوح ﴿واستوت﴾ وقفت السفينة ﴿على الجودى﴾ جبل قرب الموصل ﴿وقيل بعدا﴾ هلاكا ﴿للقوم الظالمين﴾ الكافرين.

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ
زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ
وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا
بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾
وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ
فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ
وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ
عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ
ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ
لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ
وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ
يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن
مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾
تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ
أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

٤٥ ﴿ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني﴾ كنعان ﴿من اهلي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وان وعدك الحق﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وانت أحكم الحاكمين﴾ اعلمهم واعدلهم .

٤٦ ﴿قال﴾ تعالى ﴿يا نوح انه ليس من اهلك﴾ الناجين او من اهل دينك ﴿انه﴾ اي عمل ابنك ﴿عمل غير صالح﴾ فانه كافر ولا نجاة للكافرين وفي قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه ﴿فلا تسألن﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿ما ليس لك به علم﴾ من انجاء ابنك ﴿اني أعظك ان تكون من الجاهلين﴾ بسؤالك ما لم تعلم .

٤٧ ﴿قال رب اني اعوذ بك﴾ من ﴿ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي﴾ ما فرط مني ﴿وترحمني اكن من الخاسرين﴾ كان سؤال نوح عن تأويل وعد وعده الله بان ينجيه واهله فأخذ بظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه فقدم على هذا السؤال لهذا السبب معاتبة الله عز وجل على سؤاله ما ليس وعده بنجاته لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرقه مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له ودعاه وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه الصلاة والسلام سوى تأويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم . كان لنوح زوجتان واربع بنين فهلكت زوجة واحدة وابن واحد اي كنعان مع الهالكين ونجا مع نوح الباقون وزوجاتهم الثلاثة فمجموع من نجا في السفينة ثمانية انفار مع نوح عليه السلام .

٤٨ ﴿قيل يا نوح اهبط﴾ انزل في السفينة ﴿بسلام﴾ بسلامة او بتحية ﴿منا وبركات﴾ خيرات ﴿عليك وعلى امم ممن معك﴾ في السفينة اي من اولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وأمم﴾ بالرفع مبتدأ ممن معك وخبره ﴿سنمتعهم﴾ في الدنيا ﴿ثم يمسهم منا عذاب اليم﴾ في الآخرة وهم الكفار . الى هنا انتهت قصة نوح وفيها ما يرشد الى ان الانبياء لا يفترون على الله كذبا ويخافون على انفسهم في اقل شيء مما يوهم انه خطأ في جانبهم ويرجعون الى ربهم عز وجل الذي عصمهم ثم عقب على قصة نوح فقال تعالى .

٤٩ ﴿تلك﴾ هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿من أنباء الغيب﴾ اخبار ما غاب عنك ﴿نوحيها اليك﴾ يا محمد ﴿ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا﴾ القران على التفصيل وهو اقوى دليل انه ليس افتراء منك بل هو تنزيل من الله العزيز الحكيم ﴿فاصبر﴾ على التبليغ واذى قومك كما صبر نوح ﴿ان العاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾ .

٥٠ ﴿و﴾ ارسلنا ﴿الى عاد اخاهم هودا﴾ اخوهم في القبيلة ينتسب الى عاد من ذرية سام بن نوح ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده ﴿ما لكم من﴾ زائدة ﴿اله غيره إن﴾ ما ﴿انتم﴾ في عبادتكم الاوثان ﴿الا مفترون﴾ كاذبون على الله .

يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى
فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً
إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ
قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى
تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ
بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن
تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ

٥١ ﴿يا قوم لا اسألكم عليه﴾ على التوحيد ﴿اجرا ان﴾ ما ﴿اجرى الا على الذي فطرني﴾ خلقني ﴿افلا تعقلون﴾

٥٢ ﴿ويا قوم استغفروا ربكم﴾ من الشرك ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿اليه﴾ بالطاعة ﴿يرسل السماء﴾ المطر وكانوا قد منعوه ﴿عليكم مدرارا﴾ كثير الدرور ﴿ويزدكم قوة الى﴾ مع ﴿قوتكم﴾ بالمال والولد ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ مشركين .

٥٣ ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة﴾ برهان على قولك ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾ اي لقولك ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾.

٥٤ ﴿ان﴾ ما ﴿نقول﴾ في شأنك ﴿الا اعتراك﴾ اصابك ﴿بعض آلهتنا بسوء﴾ فخبلك لسبك اياها فانت تهذيب ﴿قال اني اشهد الله﴾ علي ﴿واشهدوا اني بريء مما تشركون﴾ به .

٥٥ ﴿من دونه فكيدوني﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جميعا﴾ انتم واوثانكم ﴿ثم لا تنظرون﴾ تمهلون .

٥٦ ﴿اني توكلت على الله ربي وربكم ما من﴾ زائدة ﴿دابة﴾ تدب على الارض ﴿الا هو اخذ بناصيتها﴾ اي مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر الا باذنه وخص الناصية بالذكر لان من اخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿ان ربي على صراط مستقيم﴾ اي طريق الحق والعدل .

شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)
وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ
قَوْمِ هُودٍ (٦٠) * وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ
الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا
مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا
لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ
إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي

٥٧ ﴿فان تولوا﴾ فيه حذف احدى التاءين اي تعرضوا ﴿فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا﴾ باشراككم ﴿ان ربي على كل شيء حفيظ﴾ رقيب .

٥٨ ﴿ولما جاء أمرنا﴾ عذابنا ﴿نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة﴾ هداية ﴿منا ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ شديد فالانجاء الاول من العذاب الدنيوي وهو الريح المذكورة في قوله تعالى «سخرها عليهم سبع ليال» الآية فاصابهم صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال وكان يدخل من انف الواحد ويخرج من دبره فيرفعه في الجو فيسقط على الأرض فتتقطع أعضاؤه . والانجاء الثاني من العذاب الأخروي ولذلك وصفه بالشدة .

ثم عقب على قصة هود وقومه عاد بالاشارة الى ديارهم حتى يرى القارىء كأنه ينظر اليهم فقال .

٥٩ ﴿وتلك عاد﴾ اشارة الى آثارهم اي فسيحوا في الارض وانظروا اليها ثم وصف احوالهم فقال ﴿جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله﴾ جمع لان من عصى رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤا به وهو التوحيد ﴿واتبعوا﴾ اي السفلة ﴿امر كل جبار عنيد﴾ معاند للحق من رؤسائهم .

٦٠ ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ من الناس ﴿ويوم القيامة﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿الا إن عاداً كفروا﴾ جحدوا ﴿ربهم ألا بعداً﴾ من رحمة الله ﴿لعاد قوم هود﴾ واللعنة هي الابعاد عن الرحمة والهلاك وقوله الا بعدا لعاد تكرار لانه بمعنى اللعنة والفائدة فيه دلالة على نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين لها بسبب عصيانهم أمر الله وتكذيب الرسل واتباع امر كل جبار عنيد معاند للحق من رؤسائهم .

٦١ ﴿و﴾ ارسلنا ﴿الى ثمود﴾ ممنوع من الصرف وقرىء بالصرف تسمى عادا الثانية وعاد الاولى هم قوم هود المتقدم ذكرهم وثمود جدهم وسميت به القبيلة لشهرته وبينه وبين صالح خمسة اجداد وبين صالح وهود مائة وثمانون سنة وثمودهم سكان الحجر مكان بين الشام والمدينة ﴿أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده ﴿مالكم من اله غيره هو انشأكم﴾ ابتدأ خلقكم ﴿من الارض﴾ بخلق ابيكم آدم منها ﴿واستعمركم فيها﴾ جعلكم عمارا تسكنون بها ﴿فاستغفروه﴾ من الشرك ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿اليه﴾ بالطاعة ﴿ان ربي قريب﴾ من خلقه بعلمه ﴿مجيب﴾ لمن سأله .

٦٢ ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا﴾ نرجو ان تكون سيدا ﴿قبل هذا﴾ الذي صدر منك ﴿أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ من الاوثان ﴿واننا لفي شك مما تدعونا اليه﴾ من التوحيد ﴿مريب﴾ موقع في الريب .

٦٣ ﴿قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة﴾ بيان وحجة ﴿من ربي وآتاني منه رحمة﴾ نبوة ﴿فمن ينصرني﴾ يمنعني ﴿من الله﴾ اي عذابه ﴿ان عصيته فما تزيدونني﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غير تخسير﴾ تضليل .

٦٤ ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ حال عامله الاشارة ﴿فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء﴾ عقر ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ ان عقرتموها .

٦٥ ﴿فعقروها﴾ عقرها قدار بأمرهم ﴿فقال﴾ صالح ﴿تمتعوا﴾ عيشوا ﴿في داركم ثلاثة أيام﴾ ثم تهلكون ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ فيه واقع وصادق .

٦٦ ﴿فلما جاء امرنا﴾ باهلاكهم ﴿نجينا صالحا والذين آمنوا معه﴾ وهم اربعة آلاف ﴿برحمة منا و﴾ نجيناهم ﴿من خزي يومئذ﴾ بكسر الميم اعرابا وقرىء بفتحها بناء لاضافته الى مبني وهو الاكثر ﴿ان ربك هو القوى العزيز﴾ الغالب والخطاب لمحمد ﷺ وهو تعقيب على القصة .

٦٧ ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين .

٦٨ ﴿كأن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ يقيموا ﴿فيها﴾ في دارهم ﴿الا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ بغير صرف وقرىء بالصرف على معنى الحي والقبيلة .

ثم ذكر فيما يأتي قصة ابراهيم عليه السلام لكنها مذكورة هنا توطئة لقصة لوط لا استقلالا ولذلك لم يذكرها على اسلوب ما قبلها وما بعدها قال تعالى .

٦٩ ﴿ولقد جاءت رسلنا﴾ من الملائكة ثلاثة على قول ابن عباس رضي الله عنه على صور الغلمان الحسان الوجوه ﴿ابراهيم بالبشرى﴾ باسحاق ويعقوب بعده ﴿قالوا سلاما﴾ مصدر ﴿قال سلام﴾ عليكم ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ مشوي .

مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾
وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ
ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ
أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ
جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ
فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ

إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ
يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا
فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾
يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ
رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ
كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ

٧٠ ﴿فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم﴾ بمعنى أنكرهم ﴿وأوجس﴾ أضمر في نفسه ﴿منهم خيفة﴾ خوفا وانما خاف منهم لامتناعهم من طعامه فخاف منهم الخيانة على عادة الخائن انه لا يأكل من الطعام الذي يقدم اليه لانه لا يعرف انهم ملائكة في ابتداء الامر ولذا قدم لهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما قدمه لهم لعلمه ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولما خاف منهم ﴿قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط﴾ لنهلكهم.

٧١ ﴿وامرأته﴾ امرأة ابراهيم وهي سارة ﴿قائمة﴾ تخدمهم ﴿فضحكت﴾ سرورا لزوال خوف زوجها معها لما تبين الأمر ان الضيوف لا يريدون بهم خيانة ﴿فبشرناها باسحاق ومن وراء﴾ بعد ﴿اسحاق يعقوب﴾ بالنصب اي وهبناها يعقوب من وراء اسحاق او معطوف عليه وقرىء بالرفع مبتدأ والجار والمجرور قبله خبره. فالبشارة باسحاق لازالة حزنها من عدم الولد وبيعقوب بشارة ثانية أنها ستعيش حتى تراه وقد رأته.

٧٢ ﴿قالت يا ويلتى﴾ كلمة تقال عند امر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة ﴿أألد وأنا عجوز﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وهذا بعلي شيخا﴾ له مائة أو وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما في ذا من الاشارة ﴿ان هذا لشيء عجيب﴾ ان يولد ولد من الهرمين.

٧٣ ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله﴾ قدرته فدعوا لها ولزوجها وما اشتملا عليه بقولهم ﴿رحمت الله وبركاته عليكم﴾ يا ﴿اهل البيت﴾ بيت ابراهيم ﴿انه﴾ الله ﴿حميد﴾ محمود اي يستحق أن تحمدوه لاصطفائه لكم ﴿مجيد﴾ كريم بكم حيث بشركم بالولد بعد العجز والشيخوخة.

٧٤ ﴿فلما ذهب عن ابراهيم الروع﴾ الخوف ﴿وجاءته البشرى﴾ بالولد ثم سمع منهم انهم جاؤا ايضا لاهلاك قوم لوط أخذته الرقة والشفقة في قلبه وفرط الرحمة عليهم شرع ﴿يجادلنا﴾ يجادل رسلنا ﴿في﴾ شأن ﴿قوم لوط﴾ والذي حمله على مجادلتنا هو.

٧٥ ﴿ان ابراهيم لحليم﴾ كثير الاناة ﴿أواه﴾ كثير التأوه والتضرع الى الله ﴿منيب﴾ رجاع اليه فطلب الشفقة عليهم وتشفع لهم لعلهم يؤمنون او يلدون مؤمنين فقال الملائكة الرسل.

٧٦ ﴿يا ابراهيم أعرض عن هذا﴾ الجدال ﴿انه قد جاء امر ربك﴾ بهلاكهم فلا تنفع الشفاعة ﴿وانهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ غير مصروف عنهم لا بجدل ولا بدعاء.

٧٧ ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا﴾ بعد ان تركوا قرية ابراهيم جاؤا الى قرية لوط وبينهما اربعة فراسخ ﴿سيء بهم﴾ جواب لما اي حزن بسببهم ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ صدرا لانهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم من قومه ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ شديد.

أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

٧٨ ﴿وجاءه قومه﴾ لما علموا بهم ﴿يهرعون﴾ يسرعون مبنى للمفعول اي يسرعون في اضطراب ﴿اليه ومن قبل﴾ قبل مجيئهم ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ وهي اتيان الرجال في الادبار وصار لهم ذلك عادة حتى لا يستحيون من ذلك المنكر إن هم اصبحوا ﴿قال﴾ لوط ﴿يا قوم هؤلاء بناتي﴾ فتزوجوهن وهن نساء قومه وأضافهن الى نفسه لأن كل نبي أبوأمته من حيث الشفقة والتربية ﴿هن أطهر لكم فاتقوا الله﴾ فيما ينهاكم عنه ﴿ولا تخزون﴾ تفضحون، ﴿في ضيفي﴾ أضيافي ﴿اليس منكم رجل رشيد﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والسؤال للتوبيخ .

٧٩ ﴿قالوا لقد علمت. ما لنا في بناتك من حق﴾ حاجة وشهوة ﴿وانك لتعلم ما نريد﴾ من اتيان الرجال والعلم بمعنى العرفان فتعدى لمفعول واحد فليس امرنا بخفي عنك .

٨٠ ﴿قال لو ان لي بكم قوة﴾ طاقة ﴿او آوى الى ركن شديد﴾ عشيرة تنصرني اذ ليس له نسب فيهم الا المصاهرة كان غريباً فيهم لانه كان اولا بالعراق مع ابراهيم فلما هاجر معه الى الشام ارسله الله الى اهل سدوم وهي قرية عند حمص وجواب لو محذوف اي لبطشت بكم . فلما راى الملائكة ذلك .

٨١ ﴿قالوا يا لوط انا رسل ربك﴾ وكان لا يعرف حقيقتهم ﴿لن يصلوا اليك﴾ بسوء ﴿ فأسر باهلك بقطع﴾ طائفة بقطع همزة فاسر وقرئى بهمزة الوصل ﴿ من الليل ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿الا امرأتك﴾ بالنصب استثناء من الاهل اي فلا تسر بها وقرىء بالرفع بدل من أحد اي لا يلتفت احد الا امرأتك ﴿انه مصيبها ما أصابهم﴾ فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا ﴿ان موعدهم الصبح﴾ فقال اريد أعجل من ذلك فقالوا ﴿أليس الصبح بقريب﴾ والاستفهام للتقرير .

٨٢ ﴿فلما جاء أمرنا﴾ باهلاكهم ﴿جعلنا عاليها﴾ اي قراهم ﴿سافلها﴾ اي بأن رفعها جبريل الى السماء واسقطها مقلوبة الى الارض ﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ طين طبخ بالنار ﴿منضود﴾ متراكب بعضه فوق بعض .

٨٣ ﴿مسومة﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عند ربك﴾ ظرف لها ﴿وما هي﴾ الحجارة او بلادهم ﴿من الظالمين﴾ المشركين أهل مكة ﴿ببعيد﴾ فانهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم . وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل أمر اي ليس بأمر بعيد اي ممكن سهل أو قريب المأخذ .

عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ
بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟
فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ
أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ
فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى
مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ
إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ
هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

٨٤ ﴿و﴾ ارسلنا ﴿الى مدين أخاهم شعيبا﴾ ومدين اسم ابن ابراهيم الخليل ثم صار اسما للقبيلة من أولاده وهو المراد هنا وقيل هو في الاصل اسم مدينة بناها مدين المذكور وشعيب منهم بالنسب ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحدوه ﴿ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ اي عند الاخذ وعند الدفع ﴿اني اراكم بخير﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي ﴿واني اخاف عليكم﴾ ان لم تؤمنوا ﴿عذاب يوم محيط﴾ بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه .

٨٥ ﴿ويا قوم اوفوا المكيال والميزان﴾ اتموهما ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تبخسوا الناس اشياءهم﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾ بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة افسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا .

٨٦ ﴿بقيت الله﴾ رزقه الباقي لكم بعد ايفاء الكيل والوزن ﴿خير لكم﴾ من البخس ﴿ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم انما بعثت نذيرا .

٨٧ ﴿قالوا﴾ له استهزاء ﴿يا شعيب أصلاتك تأمرك﴾ بتكليف ﴿ان نترك ما يعبد آباؤنا﴾ من الاصنام ﴿أو﴾ نترك ﴿ان نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ المعنى هذا الامر باطل لا يدعو اليه داع بخير ﴿انك لأنت الحليم الرشيد﴾ قالوا ذلك استهزاء .

٨٨ ﴿قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا﴾ حلالا أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف ﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ واذهب ﴿الى ما أنهاكم عنه﴾ فأرتكبه ﴿ان﴾ ما ﴿أريد الا الاصلاح﴾ لكم بالعدل ﴿ما استطعت وما توفيقي﴾ قدرتي على ذلك او غيره من الطاعات ﴿الا بالله عليه توكلت واليه أنيب﴾ أرجع .

٨٩ ﴿ويا قوم لا يجرمنكم﴾ يكسبنكم ﴿شقاقي﴾ خلافي فاعل يجرم والضمير مفعول به أول والثاني ﴿أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود او قوم صالح﴾ من العذاب ﴿وما قوم لوط﴾ منازلهم او زمن هلاكهم ﴿منكم ببعيد﴾ فاعتبروا .

٩٠ ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم﴾ للمؤمنين ﴿ودود﴾ محب لهم .

٩١ ﴿قالوا﴾ إيذانا بقلة المبالاة ﴿يا شعيب ما نفقه﴾ نفهم ﴿كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا﴾ ذليلا ﴿ولولا رهطك﴾ عشيرتك ﴿لرجمناك﴾ لقتلناك بالحجارة ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ كريم عن الرجم لمخالفتنا لك في الدين وانما رهطك هم الاعزة لموافقتنا لهم في الدين والعقيدة لا لقوة شوكتهم .

٩٢ ﴿قال يا قوم أرهطي أعز﴾ أكرم ﴿عليكم من الله﴾ فتتركون قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله الذي ارسلني اليكم ﴿واتخذتموه﴾ اي الله ﴿وراءكم ظهريا﴾ خلف ظهوركم لا تراقبونه باشراككم به والاهانة برسوله والسؤال يحتمل التوبيخ والانكار ﴿ان ربي بما تعملون محيط﴾ علما فيجازيكم .

٩٣ ﴿و يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم تهديد ﴿اني عامل﴾ على حالتي ﴿سوف تعلمون من﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم زيادة تهديد ﴿اني معكم رقيب﴾ منتظر .

٩٤ ﴿ولما جاء أمرنا﴾ باهلاكهم ﴿نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ صاح بهم جبريل ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين .

٩٥ ﴿كأن﴾ مخففة اي كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ يقيموا ﴿فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود﴾ هلاكا لمدين كما بعدت اي هلكت ثمود والتشبيه أن هلاك كل منهما بالصيحة وبعد بكسر العين في الماضي ويبعد بفتحها في المضارع من باب طرب بمعنى الهلاك واما بعد بضم العين فمعناه ضد القرب من العرب من لا يفرق بينهما فيكون ككرم مطلقا .

٩٦ ﴿ولقد ارسلنا موسى﴾ فهي القصة السابعة ورتبت على الترتيب التاريخي نوح ثم هود ثم صالح ثم ابراهيم ثم لوط ثم مدين ثم موسى ﴿بآياتنا وسلطان مبين﴾ برهان بين .

وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ
وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن
لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ
نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ
وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ
ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ
وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ
أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ
مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا
لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ

٩٧ ﴿الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد﴾ سديد.

٩٨ ﴿يقدم قومه﴾ اي يتقدمهم ﴿يوم القيامة﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فأوردهم النار﴾ اي ادخلهم فيها ﴿وبئس الورد المورود﴾ هي.

٩٩ ﴿وأتبعوا في هذه﴾ اي الدنيا ﴿لعنة ويوم القيامة﴾ لعنة ﴿بئس الرفد﴾ العون ﴿المرفود﴾ رفدهم وهو تهكم والا فاللعنة اذلال لهم وانزال بهم الى الحضيض. فهذا يدل على ان من اتبع غيره على ضلال هو معه في عذاب الاخرة ولا يعذر بجهل بعد الانذار في الدنيا.

ثم عقب على القصص التي تقدم الخبر عنها بتعقيبات ونبه على مهمات النكت فيها وفي غيرها فقال.

١٠٠ ﴿ذلك﴾ المذكور مبتدأ خبره ﴿من أنباء القرى نقصه عليك﴾ يا محمد ﴿منها﴾ اي القرى ﴿قائم﴾ هلك اهله دونه مثل الآثار الباقية شبّهه بالزرع القائم على ساقه ﴿وحصيد﴾ ومنها ما هو كالحصيد هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل.

١٠١ ﴿وما ظلمناهم﴾ باهلاكهم بغير ذنب ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بالشرك ﴿فما أغنت﴾ دفعت ﴿عنهم آلهتهم التي يدعون﴾ يعبدون ﴿من دون الله﴾ اي غيره ﴿من﴾ زائدة لتأكيد النفي ﴿شيء لما جاء أمر ربك﴾ عذابه ﴿وما زادوهم﴾ بعبادتهم لها ﴿غير تتبيب﴾ تخسير.

١٠٢ ﴿وكذلك﴾ مثل ذلك الاخذ ﴿أخذ ربك اذا أخذ القرى﴾ أريد اهلها ﴿وهي ظالمة﴾ بالذنوب اي فلا يغني عنهم من اخذهم شيء ولا يرده شيء ﴿ان أخذه﴾ أي ربك ﴿أليم شديد﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الاشعري قال رسول الله ﷺ «ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ وكذلك أخذ ربك الآية.

١٠٣ ﴿ان في ذلك﴾ المذكور من القصص ﴿لآية﴾ لعبرة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة ذلك﴾ اي يوم القيامة ﴿يوم مجموع له﴾ فيه ﴿الناس وذلك يوم مشهود﴾ يشهده جميع الخلائق.

١٠٤ ﴿وما نؤخره الا لأجل معدود﴾ لوقت معلوم عند الله.

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ
مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ
نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ
رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا
أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

١٠٥ ﴿يوم يأت﴾ ذلك اليوم ﴿لا تكلم﴾ فيه حذف احدى التاءين ﴿نفس إلا باذنه﴾ تعالى ﴿فمنهم﴾ اي الخلق ﴿شقي و﴾ منهم ﴿سعيد﴾ كتب كل ذلك في الازل .

١٠٦ ﴿فاما الذين شقوا﴾ في علمه تعالى ﴿ففي النار لهم فيها زفير﴾ صوت شديد ﴿وشهيق﴾ صوت ضعيف اصله رد النفس الى الصدر .

١٠٧ ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والارض﴾ مدة دوامها ومعنى ذلك بدون انتهاء وهو من كلام العرب عندما قصدوا ابدا بغير انتهاء ﴿الا ما شاء ربك﴾ استثناء أريد به التبرك ورد المشيئة الى الله لا انهم مستمرون في النار الى غاية معروفة بل هم فيها خالدون ابداً ﴿ان ربك فعال لما يريد﴾ ومن ذلك تخليد الشقي في النار .

١٠٨ ﴿واما الذين سعدوا﴾ بضم السين وقرىء بفتحها ﴿ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك﴾ كما تقدم ودل عليه قوله ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ مقطوع أبداً وعطاء اسم مصدر بمعنى اعطاء وعباد الاصنام يقلدون أباءهم في العبادة وليست لهم حجة على ذلك الا التقليد الأعمى كما تقدم وعلق عليه هنا وقال .

١٠٩ ﴿فلا تك﴾ يا محمد ﴿في مرية﴾ شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ من الاصنام انما نعذبهم كما عذبنا من قبلهم فانا لانهملهم وان أمهلناهم فاصبر . وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم﴾ اي كعبادتهم ﴿من قبل﴾ وقد عذبناهم ﴿وانا لموفوهم﴾ مثلهم ﴿نصيبهم﴾ حظهم من العذاب ﴿غير منقوص﴾ اي تاما .

وان اختلف الناس في شأن القرآن فقال بعضهم كذب وافتراء وقال آخرون شعر أو كهانه فلا يحزنك ذلك منهم .

١١٠ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن فتسل ولا تحزن فان ما وقع لك من ذلك وقع لمن كان قبلك ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وانهم﴾ اي المكذبين به ﴿لفي شك منه مريب﴾ موقع في الريبة .

١١١ ﴿وان﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿كلا﴾ اي كل الخلائق ﴿لما﴾ بتشديد لما بمعنى الا فان نافية وقرىء بتخفيفها فما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر او فارقة ﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ اي جزاءها ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ عالم ببواطنه كظواهره .

بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ
يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ
مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ
فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ
بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ
ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ
رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ

٣٠١

١١٢ ﴿فاستقم﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء اليه ﴿كما أمرت و﴾ ليستقم ﴿من تاب معك ولا تطغوا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿انه بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به .

١١٣ ﴿ولا تركنوا﴾ تميلوا ﴿الى الذين ظلموا﴾ بموادة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم ﴿فتمسكم﴾ تصيبكم ﴿النار وما لكم من دون الله﴾ أي غيره ﴿من﴾ زائدة ﴿أولياء﴾ يحفظونكم منه ﴿ثم لا تنصرون﴾ تمنعون من عذابه .

١١٤ ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ الغداة والعشي اي الصبح والظهر والعصر ﴿وزلفا﴾ جمع زلفة اي طائفة ﴿من الليل﴾ اي المغرب والعشاء ﴿ان الحسنات﴾ الواجبة كالصلوات الخمس والمندوبة كالنوافل ﴿يذهبن السيئات﴾ الذنوب الصغائر قرأ النبي هذه الآية لمن قبل أجنبية فاخبره ﷺ فقال ألي هذا فقال لجميع أمتي كلهم رواه الشيخان ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ عظة للمتعظين .

١١٥ ﴿واصبر﴾ يا محمد على أذى قومك او على الصلاة ﴿فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ بالصبر على الطاعة .

١١٦ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كان من القرون﴾ الامم الماضية ﴿من قبلكم اولو بقية﴾ اصحاب دين وفضل او اصحاب الرأي وسمو اولو بقية لأن الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم . ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ﴿ينهون عن الفساد في الارض﴾ المراد به النفي اي ما كان ذلك ﴿الا﴾ لكن ﴿قليلا ممن انجينا منهم﴾ نهوا فنجوا ومن للبيان ﴿واتبع الذين ظلموا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿ما اترفوا﴾ نعموا ﴿فيه﴾ اي من الشهوات فاهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك ﴿وكانوا مجرمين﴾ فاهلكوا بجرمهم .

١١٧ ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم﴾ منه لها ﴿واهلها مصلحون﴾ مؤمنون مع اعتنائهم باصلاح ما فسد فيهم من الاخلاق والاحوال والمعنى لا يهلك الله قوما وفيهم الوعاظ والمنبهون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. ولما ذكر انه لا يهلك أمة وفيها مرشدون نبه وعقب تعالى فيما يأتي ان الامر بيده يفعل ما يشاء .

١١٨ ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ اهل دين واحد وهو الاسلام ولكن لم يجعل الكل عليه لعلم مشيئته ذلك الجعل ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الدين بان يكونوا على اديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم لكل من هؤلاء دين من هذه الاديان قد اختلف اهله فيه ايضا اختلافا كثيرا فعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة اه والمراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وارادوا بالفرقة الواحدة اهل السنة والجماعة .

١١٩ ﴿الا من رحم ربك﴾ اراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ اهل الاختلاف له واهل الرحمة لها ﴿وتمت كلمة ربك﴾ وهي ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ الجن ﴿والناس أجمعين﴾

ثم عقب في سبب ذكر القصص والامم الماضية مع رسلهم انه لتسلية النبي ﷺ ليتعظ قومه ويكون ذكرى لهم واحكاما في دينهم ومعاملاتهم فقال

١٢٠ ﴿وكلا﴾ نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف اليه اي كل ما يحتاج له ﴿نقص عليك من انباء الرسل ما﴾ بدل من كلا ﴿نثبت﴾ نطمئن ﴿به فؤادك﴾ قلبه ﷺ ﴿وجاءك في هذه﴾ الانباء او الآيات ﴿الحق﴾ كل ما في القرآن حق وخصت هذه السورة بذكر مجيء الحق فيها تشريفا لها والحق هو الثابت الذي لا يتغير والتعريف فيه للجنس او العهد والمراد به البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الايمان خلاف الكفار .

١٢١ ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ حالكم ﴿انا عاملون﴾ على حالتنا تهديد لهم .

١٢٢ ﴿و﴾ قل لهم ايضا ﴿انتظروا﴾ عاقبة أمركم ﴿انا منتظرون﴾ ذلك .

١٢٣ ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ اي علم ما غاب فيهما ﴿واليه يرجع﴾ بالبناء للمفعول يرد وقرىء للفاعل اي يعود ﴿الامر كله﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فاعبده﴾ وحده ﴿وتوكل عليه﴾ ثق به فانه كافيك ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ وانما يؤخركم لوقتكم وفي قراءة بالمثناة التحتية وهكذا تختم السورة التي بدأت بالتوحيد في العبادة والتوبة والانابة والرجعة الى الله في النهاية بمثل ما بدأت به من عبادة الله وحده والتوجه اليه وحده والرجعة في نهاية المطاف وذلك بعد طول التطواف في آفاق الكون واغوار النفس وطواء القرون . وفقنا الله الى العمل بما فيها : بمنه وكرمه .

مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(١٢) سورة يوسف مكية
وآياتها احدى عشرة ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

﴿ سورة يوسف مائة واحدى عشرة آية ﴾

وموضوعها الرئيسي العقيدة وما يقوم عليها في حياة الناس من روابط الاخوة والاسرة والنظم الاجتماعية وما يتعلق بذلك وفيها تسلية للنبي ﷺ بما لاقاه من اذى الاقارب والاباعد .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الر﴾ الله اعلم بمرادة بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن والاضافة بمعنى من ﴿المبين﴾ المظهر للحق من الباطل .

٢ ﴿انا انزلناه قرآنا عربيا﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم﴾ ايها العرب ﴿تعقلون﴾ تفهمون معانيه .

٣ ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ جمع قصة أصله من قص الخبر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكره شيئا فشيئا وقصة يوسف أحسن القصص لما فيها من الحكم والنكت وسير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والضبر على الاذى والتجاوز عنه أحسن التجاوز وغير ذلك

أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن
كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ
لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ
رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ
لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ
مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ
يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ
وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ

من الفوائد الشريفة قال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها . ﴿بما اوحينا﴾ بايحاءنا ﴿اليك هذا القرآن وان﴾ مخففة اي وانه ﴿كنت من قبله لمن الغافلين﴾ عن هذه القصة التي لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط .

٤ اذكر ﴿اذ قال يوسف لأبيه﴾ يعقوب ﴿يا أبت﴾ بالكسر دلالة على ياء الاضافة المحذوفة وقرىء بالفتح دلالة على الف محذوفة قلبت عن الياء ﴿اني رأيت﴾ في المنام ﴿أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم﴾ تأكيد ﴿لي ساجدين﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء .

٥ ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ يحتالوا في هلاكك حسدا لعلمهم بتاويلها من انهم الكواكب والشمس أمك والقمر ابوك ﴿ان الشيطان للانسان عدو مبين﴾ ظاهر العداوة .

٦ ﴿وكذلك﴾ كما رأيت ﴿يجتبيك﴾ يختارك ﴿ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث﴾ تعبير الرؤيا وهي ما يرى في النوم وسميت احاديث لأنها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث الشيطان والنفس ان كانت كاذبة ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ اولاده ﴿كما أتمها﴾ بالنبوة ﴿على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم الله يعلم حيث يجعل رسالته وهو مقدس عن العبث فلا يضع النبوة الا في نفس قدسية . فان قلت هذه البشارات التي ذكرها يعقوب ان كان قاطعا بصحتها انها ستكون في يوسف فلماذا حزنَ عليه واشتبه عليه الامر وخاف من اخوته أن يهلكوه وقال اخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قال ابن الخطيب والجواب انه لا يبعد ان يكون قوله وكذلك يجتبيك ربك مشروطا بان لا يكيدوه لان ذكر ذلك قد تقدم وأيضا فيبعد ان يقال انه عليه السلام كان قاطعا بان يوسف سيصل الى هذه المناصب الا انه لا يمتنع أن يقع في المضايق الشديدة ثم يتخلص منها ويصل الى تلك المناصب وكان خوفه بهذا السبب ويكون قوله أخاف أن يأكله الذئب الزجر في حقه أي بما يمكن لهم ان ينتبهوا اليه ويحتنوا به من غير تعريض بما يثير الحسد في نفوسهم . والله اعلم .

بعد ان ذكر السياق ما دار بين يوسف وابيه يعقوب من المحاورة والشفقة والبشارات التي سيواجهها الابن انتقل الى قصة يوسف مع اخوته بما يجلب عقل السامع ان الاخبار بتلك القصة من النبي الامي البعيد عن مواقعها وعن اسباب معرفتها لمثله من دلائل نبوته ﷺ فقال .

٧ ﴿لقد كان في﴾ قصة ﴿يوسف واخوته﴾ وهم احد عشر ﴿آيات﴾ عبر دالة على صدقك بالنبوة يا محمد ﴿للسائلين﴾ عن خبرهم . ثم شرع تعالى وقال اذكر للسائلين عنهم .

٨ ﴿اذ قالوا﴾ اي بعض اخوة يوسف لبعضهم ﴿ليوسف﴾ ﴿وأخوه﴾ شقيقه بنيامين ﴿أحب﴾ خبر ﴿الى أبينا منا ونحن عصبة﴾ جماعة ﴿ان أبانا لفي ضلال مبين﴾ بين بايثارهما علينا .

لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾
قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ
الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ
الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ
عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا

٣٠٤

٩ ﴿اقتلوا يوسف او اطرحوه أرضا﴾ اي بارض بعيدة ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وتكونوا من بعده﴾ اي بعد قتل يوسف او طرحه ﴿قوما صالحين﴾ بأن تتوبوا وتكونوا صالحين في امر دنياكم بانتظام أمركم مع ابيكم .

١٠ ﴿قال قائل منهم﴾ هو يهوذا ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه﴾ اطرحوه ﴿في غيابت الجب﴾ وقرىء غيابات جمع غيابة وهي مظلم البئر وقيل سد أو طاق في البئر قريب من الماء يغيب ما فيه عن العيون والجب البئر التي تطوى وسمي بذلك اما لكونه محفورا في جبوب الارض اي ما غلظ منها واما لأنه قطع في الارض ومنه الجب في الذكر . ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ المسافرين ﴿ان كنتم فاعلين﴾ ما اردتم من التفريق فاكتفوا بذلك . فيبدوا أنهم وقفوا على هذا الرأي وارادوا تنفيذه فذهبوا الى أبيهم بمحاولة أخذه منه .

١١ ﴿قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون﴾ لقائمون بمصالحه . وفي قراءة لاتأمنا بالاشمام وهو عبارة عن ضم الشفتين اشارة الى حركة الفعل مع الادغام الصريح كما يشير اليه الواقف. قالوا وتكون الاشارة الى الضمة بعد الادغام وقبل كماله .

١٢ ﴿أرسله معنا غدا﴾ الى الصحراء ﴿يرتع ويلعب﴾ بالياء وقرىء بالنون فيهما ينشط ويتسع ﴿وانا له لحافظون﴾ .

١٣ ﴿قال اني ليحزنني ان تذهبوا﴾ اي ذهابكم ﴿به﴾ لفراقه ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ المراد به الجنس وكانت ارضهم كثيرة الذئاب وقد رأى في المنام أن ذئباً شد عليه ﴿وانتم عنه غافلون﴾ مشغولون .

١٤ ﴿قالوا لئن﴾ لام قسم ﴿أكله الذئب ونحن عصبة﴾ جماعة ﴿إنا اذا لخاسرون﴾ عاجزون فأرسله معهم .

١٥ ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا﴾ عزموا ﴿أن يجعلوه في غيابت الجب﴾ وجواب لما محذوف اي فعلوا ذلك بعد ان نزعوا قميصه بعد ضربه واهانته وارادة قتله وادخلوه فلما وصل الى نصف البئر القوه ليموت فسقط في الماء ثم اوى الى صخرة فنادوه فاجابهم يظن رحمتهم فارادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذا ﴿وأوحينا اليه﴾ في الجب وحي حقيقة وله سبع عشرة سنة او دونها تطمينا لقلبه ﴿لتنبئنهم﴾ بعد اليوم ﴿بأمرهم﴾ بصنيعهم ﴿هذا وهم لا يشعرون﴾ بك حال الانباء . هذا فعلهم في تنفيذ ما تشاوروا واتفقوا عليه .

ثم رجعوا الى ابيهم وقد اتفقوا ايضا على ما سيفعلونه لتتم لهم المكيدة على فراق أخيهم في حالة لا يعرف ابوهم حقيقتها فقال .

١٦ ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ وقت المساء ﴿يبكون﴾ .

وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ
وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ
بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ
عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ
عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ

٣٠٥

١٧ ﴿قالوا يا أبانا أنا ذهبنا نستبق﴾ نرمي ونتناضل بالسهام حتى يظهر أينا اسبق رميا وهذا معنى قولهم سابقا ونلعب ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ ثيابنا ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن﴾ مصدق ﴿لنا ولو كنا صادقين﴾ عندك لاتهمتنا في هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وأنت تسيء الظن بنا .

١٨ ﴿وجاؤا على قميصه﴾ محله نصب على الظرفية أي فوقه ﴿بدم كذب﴾ اي ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا انه دمه ﴿قال﴾ يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم ﴿بل سولت﴾ زينت ﴿لكم أنفسكم أمرا﴾ ففعلتموه ﴿فصبر جميل﴾ لاجزع فيه وهو خبر مبتدأ محذوف أي صبري ﴿والله المستعان﴾ المطلوب منه العون ﴿على ما تصفون﴾ تذكرون من أمر يوسف وهذا آخر محاورتهم مع ابيهم .

١٩ ﴿وجاءت سيارة﴾ مسافرون من مدائن الى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ﴿فارسلوا واردهم﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فأدلى﴾ ارسل ﴿دلوه﴾ في البئر فتعلق به يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قال يا بشرى﴾ بدون الف وقرىء بالف بين الراء والياء مضاف الى ياء التكلم ونداؤها مجاز اي احضرى فهذا وقتك ﴿هذا غلام﴾ فاجتمعت السيارة حوله ﴿وأسروه﴾ اخفوا امره جاعليه ﴿بضاعة﴾ متاعا للبيع أسره مالك بن ذعر الخزاعى واصحابه وقالوا إنه بضاعة استبضعناه لبعض اهل المال لنبيعه لهم بمصر وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منه الشركة فيه ﴿والله عليم بما يعملون﴾ اي بما يترتب على عملهم القبيح بحسب الظاهر من الاسرار والفوائد .

٢٠ ﴿وشروه﴾ باعوه ﴿بثمن بخس﴾ ناقص ﴿دراهم معدودة﴾ دون عشرين لانهم في ذلك الزمان كانوا لا يزنون ما كان اقل من اربعين درهما ويأخذونه عدا ويزنون ما بلغها وهو أوقية ﴿وكانوا﴾ المسافرون ﴿فيه من الزاهدين﴾ واصله زهد اي قلة الرغبة في شيء اي باعه السيارة في مصر بثمن زهيد لانهم لم يشددوا فيه اذ وجدوه بلا كلفة ويريدون ان يتخلصوا منه لمنظره المهيب .

٢١ ﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ وهو قطفير العزيز الذي كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف ومات في حياته ﴿لامرأته﴾ زليخاء ﴿اكرمي مثواه﴾ مقامه عندنا ﴿عسي ان ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ وكان حصورا ﴿وكذلك﴾ كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مكنا ليوسف في الارض﴾ ارض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿ولنعلمه من تأويل الاحاديث﴾ تعبيرها عطف على مقدر متعلق بكنا اي لنملكه أو الواو زائدة ﴿والله غالب على أمره﴾ تعالى ولا يعجزه شيء ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ ذلك فعاش يوسف مكرما في بيت العزيز .

٢٢ ﴿ولما بلغ أشده﴾ وهو ثلاثون سنة او ثلاثة واشد جمع شدة او الشد أي الربط على الشيء والعقد عليه قال الراغب وفيه تنبيه على ان الانسان اذا بلغ هذا القدر يتقوى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزايله ﴿آتيناه حكما﴾ حكمة ونبوة ﴿وعلما﴾ فقها في الدين قبل ان يبعث رسولا ﴿وكذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزى المحسنين﴾ لأنفسهم والاحسان الصبر على النوائب كما صبر يوسف وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته وفيه من حسن التخلص ما فيه .

ثم شرع في بيان مصيبته الكبرى فقال .

وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ
إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ
كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ
وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ
سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى
عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ
مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ
قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾
فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ
إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا

٢٣ ﴿وراودته التي هو في بيتها﴾ زليخا امرأة العزيز ﴿عن نفسه﴾ اي طلبت منه أن يواقعها ﴿وغلقت الابواب﴾ للبيت ﴿وقالت﴾ له ﴿هيت لك﴾ اي هلم واللام للتبيين كأنها تقول الكلام معك والخطاب لك بفتح الهاء والتاء وفي قراءة بكسر الهاء وفتح التاء وأخرى بضم التاء مع فتح الهاء ﴿قال معاذ الله﴾ اعوذ بالله من ذلك ﴿أنه﴾ اي الله ﴿ربي﴾ خالقي ﴿أحسن مثواى﴾ مقامي فلا أخونه فيما نهاني عنه ﴿انه﴾ اي الشأن ﴿لا يفلح الظالمون﴾ الزناة لأن ظلم الزاني على المزني بأهله .

٢٤ ﴿ولقد همت به﴾ قصدت منه الجماع مع العزم عليه والرضا به وطلبها ذلك صراحة . ﴿وهم بها﴾ هما عارضاً خطر في نفسه من غير اختيار ولا عزم ولا رضا وهو هم لا مؤاخذة به ثم دفعها وولى هاربا ﴿لولا ان رآى برهان ربه﴾ وهو ذكره الله وما أنعم عليه من العلم والتقوى والحكمة وجواب «لولا» محذوف تقديره لهم بها كما همت به . فلم يحصل منه هم محظور البتة ﴿كذلك﴾ أريناه البرهان ﴿لنصرف عنه السوء﴾ الخيانة ﴿والفحشاء﴾ الفعل القبيح ﴿انه من عبادنا المخلصين﴾ المختارين وفي قراءة بكسر اللام اي في الطاعة . فالواجب اعتقاد براءة يوسف مما نسبه اليه بعض القصاص أنه رغب في مطاوعتها اول الأمر .

٢٥ ﴿واستبقا الباب﴾ بادرا اليه يوسف للفرار وهي للتشبث به فأمسكت بثوبه وجذبته اليها فقطعت منه قطعة بقيت في يدها ﴿وقدت قميصه من دبر وألفيا﴾ وجدا ﴿سيدها﴾ زوجها ﴿لدى الباب﴾ جالسا فخافت فنزهت نفسها بقولها ﴿قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءا﴾ زنا ﴿الا ان يسجن﴾ يحبس اي سجن ﴿أو عذاب اليم﴾ مؤلم بأن يضرب اي بادرت بتنزيه نفسها وصرف القتل عن يوسف بذكر احدى العقوبتين السجن أو الضرب وقدمت السجن خوفا من ان يصاب بأذى وهذا يدل على فرط ذكائها مع ما كانت فيه من الدهشة والفشل فيما أراد منه .

٢٦ ﴿قال﴾ يوسف متبرئا ﴿هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها﴾ ابن عمها وكان شيخا كبيرا حكيما واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع العزيز يريد ان يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا أنا لا ندري أيكما قدام صاحبه ولكن ﴿ان كان قميصه قد من قبل﴾ قدام ﴿فصدقت وهو من الكاذبين﴾ .

٢٧ ﴿وان كان قميصه قد من دبر﴾ خلف ﴿فكذبت وهو من الصادقين﴾ .

٢٨ ﴿فلما راى﴾ زوجها ﴿قميصه قد من دبر قال انه﴾ اي قولك ما جزاء من اراد الخ ﴿من كيدكن ان كيدكن﴾ أيها النساء ﴿عظيم﴾ ثم قال .

وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾
۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن
نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ
عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ
حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾
قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ

٢٠٧

٢٩ يا ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ الامر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿واستغفرى﴾ يازليخاه ﴿لذنبك انك كنت من الخاطئين﴾ الآثمين . كان العزيز قليل الغيرة . وبهذا انتهت القضية .

الأمر في بيت الامارة وفي أعلى بيتها مثل هذا لا يمكن ان يخفى عن الناس والسر اذا جاوز اثنين فليس بسر فاشتهر الخبر وشاع وتكلم النساء وتداولنه فيما بينهن .

٣٠ ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ مدينة مصر ﴿امرأة العزيز تراود فتاها﴾ عبدها ﴿عن نفسه قد شغفها حبا﴾ تمييز اي دخل حبه شغاف قلبها اي غلافه ﴿إنا لنراها في ضلال﴾ خطأ ﴿مبين﴾ بين بحبها اياه .

٣١ ﴿فلمّا سمعت بمكرهن﴾ غيبتهن لها ﴿ارسلت اليهن وأعتدت﴾ اعدت ﴿لهن متكأ﴾ طعاما من الفواكه يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الاترج وقيل هو كل شيء يتكأ عليه من الطعام والشراب والحديث وهو قوله ﷺ لا آكل متكئاً . يقال ان امرأة العزيز زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللواتي عيرنها ﴿وآتت﴾ اعطت ﴿كل واحدة منهن سكينا وقالت﴾ ليوسف وهو في حال احسن ما يكون في سن ثلاث وثلاثين وقد اعطى شطر الحسن وقيل قد ورثه من جدته سارة وكان حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحكه واذا تكلم ظهر من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه ﴿اخرج عليهن﴾ وكان يخاف من مخالفتها فخرج وقد زينته وحبسته في مكان آخر ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ أعظمنه وهبنه ودهشن عند رؤية جماله وعليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع وكان ذلك للجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم ان أكبرنه ووقع الرعب قلوبهن المملوءة بالعواطف لاول رؤية ﴿وقطعن ايديهن﴾ بالسكاكين ولم يشعرن بالالم لشغل عقولهن بيوسف ﴿وقلن حاش لله﴾ تنزيها له ﴿ما هذا﴾ أي يوسف ﴿بشرا ان﴾ ما ﴿هذا الا ملك كريم﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية وفي الصحيح انه اعطي شطر الحسن .

٣٢ ﴿قالت﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن ،وقد تبرأت من ملامهن وسفرت عن الحياء بين أقرانها ﴿فذلكن﴾ فهذا هو ﴿الذي لمتنني فيه﴾ حبه بيان لعذرها ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ امتنع والسين زائدة اصله استعصم على وزن استفعل بدل اعصتم على وزن افتعل زيد ليدل على صوت المرأة الحزينة على الاعتصام وحركة بدنها عند الحكاية واظهار ضعفها أمامه ومع ذلك ما استفادت منه شيئاً ثم عللت لوعتها بقولها ﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾ به ﴿ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ الذليلين فكأنها فسرت اعتصامه بالتكبير عليها وهي مولاته .

وسكوتهن يدل على استمرارهن في الدهشة ولا يعرفن ماذا يقلن حتى انفض المجلس فانتشر الكلام وتعاظم الامر وضاقت البلاد بيوسف فطلب من ربه النجاة .

٣٣ ﴿قال رب السجن احب الى مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب﴾ أمل ﴿اليهن وأكن﴾ اصر ﴿من الجاهلين﴾ المذنبين الذين لا ينظرون الى عواقب الامور والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى .

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٤)
ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ
حِينٍ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ
فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ
إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ
تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ
ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٣٧) وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ

٣٤ ﴿فاستجاب له ربه﴾ دعاءه ﴿فصرف عنه كيدهن انه هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالاحوال .

ولما وصل الأمر الى هذا الحد وقد دعا يوسف ربه ان يحفظه من هذه الفتنة العظيمة استجاب الله له بجعل الرجال يهتمون للامر ويتشاورون فيما يصنعون بيوسف فتطمئن قلوب نسائهم وينسونه .

٣٥ ﴿ثم بدا﴾ ظهر ﴿لهم من بعدما راوا الآيات﴾ الدالات على براءة يوسف. ﴿ليسجننه حتى﴾ الى ﴿حين﴾ ينقطع فيه كلام الناس فسجن .

٣٦ ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ غلامان للملك احدهما ساقيه وآخر صاحب طعامه وسبب سجنهما ان اهل مصر أرادوا قتل الملك الريان بن الوليد العمليقي فجعلوا لهما رشوة على ان يسما الملك في طعامه وشرابه فأجابا ثم ان الساقي ندم ورجع والخباز قبل الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال له الساقي لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب من الشراب فشرب وقال للخباز كل من الطعام فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق انهما دخلا مع يوسف فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنختبرنه ﴿قال احدهما﴾ وهو الساقي واسمه سرهم ﴿اني اراني اعصر خمرا﴾ اي عنبا ﴿وقال الآخر﴾ صاحب الطعام واسمه برهم ﴿اني أراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا﴾ خبرنا ﴿بتأويله﴾ بتعبيره ﴿انا نراك من المحسنين﴾ والاحسان هنا بمعنى العلم اي العالمين بتعبير الرؤيا او من الذين يحسنون العشرة للناس لما رأوا سلوكه مع المساجين .

٣٧ ﴿قال﴾ لهما مخبرا انه عالم بتعبير الرؤيا ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ في منامكما ﴿الا نبأتكما بتأويله﴾ في اليقظة ﴿قبل أن يأتيكما﴾ تاويله فقالا له هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا عراف وانما ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ فيه حث على ايمانهما وقيل لما قصا عليه الرؤيا كره ان يعبر لهما حين سألاه لما علم من المكروه لأحدهما واعرض عن سؤالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد لانه علم ان احدهما هالك فأراد أن يدخله في الاسلام فبدأ باظهار المعجزة لهذا السبب فقال لا يأتيكما طعام الخ ثم قواه بقوله ﴿اني تركت ملة﴾ دين ﴿قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾ .

٣٨ ﴿واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان﴾ ينبغي ﴿لنا أن نشرك بالله من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ لعصمتنا ﴿ذلك﴾ التوحيد ﴿من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يشكرون﴾ الله على فضله ثم صرح بدعائهما الى الايمان فقال .

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ
إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ
وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ
ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا
ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ
فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ
بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ
لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ

٣٩ ﴿يا صاحبي﴾ ساكني ﴿السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ خير استفهام تقرير .

٤٠ ﴿ما تعبدون من دونه﴾ اي غيره ﴿الا اسماء سميتموها﴾ سميتم بها أصناماً ﴿أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها﴾ بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿ان﴾ ما ﴿الحكم﴾ القضاء ﴿الا لله﴾ وحده ﴿أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك﴾ التوحيد ﴿الدين القيم﴾ المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون .

٤١ ﴿يا صاحبي السجن اما احدكما﴾ اي الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿فيسقي ربه﴾ سيده ﴿خمرا﴾ على عادته ﴿وأما الآخر﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ هذا تأويل رؤياكما فقالا ما رأينا شيئا انما ادعينا انا رأينا لنختبرك ونجربك وقيل رأيا الرؤيا حقيقة فقال ﴿قضى الامر الذي فيه تستفتيان﴾ تسألان عنه صدقتما أو كذبتما

٤٢ ﴿وقال للذي ظن﴾ أيقن ﴿انه ناج منهما﴾ وهو الساقي ﴿اذكرني عند ربك﴾ سيدك فقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج ﴿فأنساه﴾ اي الساقي وقيل يوسف ﴿الشيطان ذكر﴾ يوسف عند ﴿ربه فلبث﴾ مكث يوسف ﴿في السجن بضع سنين﴾ قبل سبعا أو تسعا والبضع ما دون عشرة وفي الحديث «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس» اي التي مكثها في السجن قبل ان يقول اذكرني فمجموع مكثه في السجن اثنتا عشرة سنة .

اذا جاء الأجل تهيأ السبب لما دنا خروج يوسف واراد الله اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته فقصها على معبري الرؤيا بين بلاده .

٤٣ ﴿وقال الملك﴾ ملك مصر الريان بن الوليد ﴿اني ارى﴾ اي رايت ﴿سبع بقرات سمان يأكلهن﴾ يبتلعهن ﴿سبع﴾ من البقر ﴿عجاف﴾ جمع عجفاء التي لا شحم فيها أولا مخ في عظامها ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر﴾ اي سنبلات ﴿يابسات﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها . ﴿يأيها الملأ﴾ العلماء الاشراف ﴿أفتوني في رؤياي﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿ان كنتم للرؤيا تعبرون﴾ فاعبروها .

٤٤ ﴿قالوا﴾ هذه ﴿اضغاث﴾ اخلاط ﴿احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين﴾ جمعوا في وصف الحلم بالبطلان أو لتضمنه اشياء مختلفة اي ليس للمنامات الباطلة تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثانية للعذر بجهلهم بتأويله .

٤٥ ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ اي من الفتيين وهو الساقي ﴿وادكر﴾ فيه ابدال التاء في الاصل دالا وادغامها في الدال أي تذكر ﴿بعد أمة﴾ حين حال يوسف ﴿أنا انبئكم بتأويله فارسلون﴾ فأرسلوه فأتى يوسف فقال .

٤٦ يا ﴿يوسف أيها الصديق﴾ الكثير الصدق ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس﴾ اي الملك واصحابه ﴿لعلهم يعلمون﴾ تعبيرها .

٤٧ ﴿قال تزرعون﴾ أي ازرعوا ﴿سبع سنين دأبا﴾ متتابعا وهي تأويل السبع السمان ﴿فما حصدتم فذروه﴾ اتركوه ﴿في سنبله﴾ لئلا يفسد ﴿الا قليلا مما تأكلون﴾ فادرسوه .

٤٨ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ اي السبع المخصبات ﴿سبع شداد﴾ مجدبات صعاب وهي تأويل السبع العجاف ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات اي تأكلونه فيهن ﴿الا قليلا مما تحصنون﴾ تدخرون .

٤٩ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ السبع المجدبات ﴿عام فيه يغاث الناس﴾ بالمطر ﴿وفيه يعصرون﴾ الاعناب وغيرها لخصبه .

٥٠ ﴿وقال الملك﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها ﴿ائتوني به﴾ اي بالذي عبرها ﴿فلما جاءه﴾ اي يوسف ﴿الرسول﴾ وطلبه للخروج ﴿قال﴾ قاصدا اظهار براءته قبل الخروج من السجن ﴿ارجع الى ربك﴾ اي سيدك ﴿فاسأله﴾ ان يسأل ﴿ما بال﴾ حال ﴿النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي﴾ الله ﴿بكيدهن عليم﴾ وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وانه بريء مما عيب به والوعيد لهن على كيدهن وكانت النسوة اربعين ولا بد ان يكن من علية القوم المعروفين فرجع الرسول واخبر الملك بذلك .

فلما سمع الملك ذلك جمع النسوة في قصره فسألهن .

بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا
وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾
يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي
أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ

يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ
قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ
عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾
۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ
ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ
إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ
يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ
وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

٥١ و ﴿قال ما خطبكن﴾ شأنكن ﴿اذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ هل وجدتن منه ميلا اليكن ﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص﴾ وضح ﴿الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين﴾ في قوله هي راودتني عن نفسي .

٥٢ ﴿ذلك﴾ التصريح بالحق وكشف الغطاء بما هو واقع ﴿ليعلم﴾ يوسف ﴿اني لم أخنه بالغيب﴾ بالاستمرار على ستر حقيقة الامر وحال غيبته مع انه راعى جانبي حيث قال. ما بال النسوة الخ ولم يذكرني انا وحدي مع ان الفتن كلها انما نشأت من جهتي فكافأته على ذلك بالاعتراف بأن الذنب مني بقولي أنا راودته عن نفسه الخ ﴿وان الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ ثم تواضعت لله فقالت .

٥٣ ﴿وما أبرىء نفسي﴾ مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ﴿ان النفس﴾ الجنس ﴿لأمارة﴾ كثيرة الامر ﴿بالسوء﴾ حيث سولت لي ما فعلته ونسبته اليه كذبا ﴿إلا ما رحم ربي﴾ اي الانفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ﴿ان ربي غفور رحيم﴾ اي غفور لمن استغفر من ذنبه واعترف به رحيم له . وهذا يدل على انها كانت أسلمت على يد يوسف من من قبل .

ولما سمع الملك في مجلسه مع النسوة حقيقة أمر يوسف من براءته وتنزهه عن التهمة وانه يكن نفسا كريمة مع ما اظهر من الحكمة والعلم بتعبير رؤياه التي أعيت العرافين والكهان عنده اشتاق اليه .

٥٤ ﴿وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي﴾ اجعله خالصا لي دون شريك فجاءه الرسول وقال أجب الملك فقام وودع اهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ولبس ثيابا حسانا ودخل عليه ﴿فلما كلمه﴾ كلم الملك يوسف اذ الملك هو الذي يبدأ بالكلام اي استنطق يوسف فأجابه يوسف بكلام أعجبه ﴿قال﴾ له ﴿انك اليوم لدينا مكين أمين﴾ ذو مكانة وامانة على أمرنا فماذا ترى ان نفعل قال اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فيأتي اليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لي بهذا .

٥٥ ﴿قال﴾ يوسف ﴿اجعلني على خزائن الارض﴾ ارض مصر ﴿اني حفيظ عليم﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب وحاسب وان قلت كيف طلب يوسف عليه السلام الامارة والولاية مع ما ورد من النهي عنهما من كراهة طلبهما لما صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال رسول الله ﷺ : «لا تسألوا الامارة فانك ان أوتيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسألة أعنت عليها» اخرجناه من الصحيحين قال بعض العلماء انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهة فيه كما وجب على يوسف طلبها لأنه مرسل من الله والرسول اعلم بمصالح الامة من غيره وطلبها من وسائل تنفيذ اوامر الله فوجب عليه ذلك عليه السلام .

ثم عقب على قصة تمكنه من الملك فقال .

٥٦ ﴿وكذلك﴾ انعمنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مكنا ليوسف في الارض﴾ ارض مصر ﴿يتبوأ﴾ ينزل ﴿منها حيث يشاء﴾ بعد الضيق والحبس وفي القصة ان الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزل العزيز ومات بعد فتزوج يوسف زوجته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ .

٥٧ ﴿ولأجر الآخرة خير﴾ من أجر الدنيا ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ بيان للمحسنين وفيه اظهار مكان الضمير للتوصل به الى وصفهم بالايمان والتقوى بعد وصفهم بالاحسان .

ثم جاء أوان القحط واصاب أرض كنعان والشام واخوة يوسف كان مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين والعربات ثغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر وهو قوله تعالى .

٥٨ ﴿وجاء اخوة يوسف﴾ الا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم ان عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فدخلوا عليه فعرفهم﴾ انهم اخوته ﴿وهم له منكرون﴾ لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم ما اقدمكم بلادي فقالوا الميرة فقال لعلكم عيون قالوا معاذ الله قال فمن أين انتم قالوا من بلاد كنعان وابونا يعقوب نبي الله وله اولاد غيركم قالوا نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا وهلك في البرية وكان أحبنا اليه وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه . فأمر بانزالهم واكرمهم .

٥٩ ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ وفى هم كيلهم ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ اي بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿الا ترون أني اوفى الكيل﴾ اتمه من غير بخس ﴿وانا خير المنزلين﴾ .

٦٠ ﴿فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾ اي ميرة ﴿ولا تقربون﴾ نهي او عطف على محل فلا كيل أي ولا تدنوا مني اي من بلادي ولا تدخلوها فضلا عن وصولكم الي .

٦١ ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وانا لفاعلون﴾ ذلك .

٦٢ ﴿وقال لفتيانه﴾ وفي قراءة لفتيته أي غلمانه ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم ﴿في رحالهم﴾ اوعيتهم لعلهم يعرفونها إذا رجعوا إلى [أهلهم] ويعد فتح اوعيتهم ورؤيتهم ما فيها ﴿لعلهم يرجعون﴾ الينا لانهم لا يستحلون امساكها .

(الجزء الثالث عشر)

فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴿٥٨﴾ ولما جهزهم
بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني
أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ﴿٥٩﴾ فإن لم تأتوني به
فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴿٦٠﴾ قالوا سنراود عنه
أباه وإنا لفاعلون ﴿٦١﴾ وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم
يرجعون ﴿٦٢﴾ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا
الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون ﴿٦٣﴾
قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل
فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين ﴿٦٤﴾ ولما فتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي
هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا

٣١٢

٦٣ ﴿فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ ان لم ترسل اخانا اليه ﴿فأرسل معنا اخانا نكتل﴾ بالنون وقرىء بالياء ﴿وانا له لحافظون﴾ .

٦٤ ﴿قال هل﴾ ما ﴿آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه﴾ يوسف ﴿من قبل﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فالله خير حافظا﴾ وفي قراءة حفظا تمييز كقولهم لله دره فارسا ﴿وهو ارحم الراحمين﴾ فأرجو أن يمن بحفظه .

وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ
مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ
بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا
وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ
قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ

٦٥ ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي﴾ ما نافية أى لا نظلم أحدا ﴿هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا﴾ نأتى بالميرة لهم وهي الطعام ﴿ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير﴾ لأخينا ﴿ذلك كيل يسير﴾ سهل على الملك لسخائه .

٦٦ ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا﴾ عهدا ﴿من الله﴾ بأن تحلفوا ﴿لتاتنني به الا ان يحاط بكم﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تستطيعوا الاتيان به فأجابوه الى ذلك ﴿فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول﴾ نحن وأنتم ﴿وكيل﴾ شهيد وأرسله معهم .

٦٧ ﴿وقال يا بني لا تدخلوا﴾ مصر ﴿من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة﴾ لئلا تصيبكم العين لانهم كانوا أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد فأمرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهي قوة سمية تنبعث من عين العائن فتتصل بالمعيون فيهلك او يفسد كالقوة السمية من الافاعي والعقارب تتصل بالملدوغ فيهلك وان كانت العين غير محسوسة لنا والداعي الى هذه الوصية من ابيهم الشفقة على بنيامين وفي الحديث قال النبي ﷺ «اللهم اني أعوذ بكلمات الله التامة من كل نفس هامة وعين لامة» اي الهامة ذات سم يقتل واللامة ذات اللمم وهو الضرر من ألم ولم يقل ملمة للازدواج والمشاكلة بهامة أو لأنه اراد ان يتفرقوا عند الدخول لعلهم يرون يوسف . لأنهم ينظرون الى الناس متفرقين أكثر مما اذا كانوا مجتمعين . . ﴿وما أغني﴾ ادفع ﴿عنكم﴾ بقولي ذلك ﴿من الله من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ قدرة عليكم وانما ذلك شفقة ﴿إن﴾ ما ﴿الحكم الا لله﴾ وحده ﴿عليه توكلت﴾ به وثقت ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ قال تعالى .

٦٨ ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ اي متفرقين ﴿ما كان يغني عنهم من الله﴾ اي قضائه ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء الا﴾ لكن ﴿حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ وهي إمكان رؤيتهم ليوسف ﴿وانه لذو علم لما علمناه﴾ لتعليمنا اياه أن يوسف حي ﴿ولكن اكثر الناس﴾ حوله ﴿لا يعلمون﴾ المعلومات التي علمناه اياه فيحملون كلامه على غير معناها .

ثم سافروا الى مصر

٦٩ ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى﴾ ضم ﴿اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس﴾ تحزن ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الحسد لنا وأمره ان لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على ان يبقيه عنده .

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن
جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم
مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا
جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ
فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ
أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ
ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ
كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ
أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا
لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

٧٠ ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية﴾ هي صاع من ذهب مرصع بالجوهر ﴿في رحل اخيه﴾ بنيامين ﴿ثم اذن مؤذن﴾ نادى مناد بعد انفصالهم من مجلس يوسف ﴿أيتها العير﴾ القافلة ﴿انكم لسارقون﴾ .

٧١ ﴿قالوا و﴾ قد ﴿اقبلوا عليهم ماذا﴾ ما الذي ﴿تفقدون﴾ه .

٧٢ ﴿قالوا نفقد صواع﴾ صاع ﴿الملك ولمن جاء به حمل بعير﴾ من الطعام اي يكون جعلاً له ﴿وأنا به﴾ بالحمل ﴿زعيم﴾ كفيل .

٧٣ ﴿قالوا تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين﴾ ما سرقنا قط .

٧٤ ﴿قالوا﴾ المؤذن واصحابه ﴿فما جزاؤه﴾ اي السارق ﴿ان كنتم كاذبين﴾ في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم .

٧٥ ﴿قالوا جزاؤه﴾ مبتدأ خبره ﴿من وجد في رحله﴾ يسترق ثم اكد بقولهم ﴿فهو﴾ السارق ﴿جزاؤه﴾ المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب وشرعه ﴿كذلك﴾ الجزاء ﴿نجزى الظالمين﴾ بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش أوعيتهم .

٧٦ ﴿فبدأ بأوعيتهم﴾ ففتشها ﴿قبل وعاء أخيه﴾ لئلا يتهم ﴿ثم استخرجها﴾ اي السقاية ﴿من وعاء اخيه﴾ قال تعالى ﴿كذلك﴾ الكيد ﴿كدنا ليوسف﴾ علمناه الاحتيال في أخيه ﴿ما كان﴾ يوسف ﴿ليأخذ أخاه﴾ رقيقا من السرقة ﴿في دين الملك﴾ حكم ملك مصر لان جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق اي قيمته لا بالاسترقاق ﴿الا ان يشاء الله﴾ أخذه بحكم أبيه اي لم يتمكن من أخذه الا بمشيئة الله بالهامه سؤال اخوته وجوابهم بسنتهم ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ بالتنوين وقرىء بالاضافة في العلم كيوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾ من المخلوقين ﴿عليم﴾ أعلم منه حتى ينتهي الى الله تعالى .

٧٧ ﴿قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ اي يوسف اي لما اخرج الصاع من رحل بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا رؤسهم فقالوا تبرئة لساحتهم ان يسرق الخ يعنون ان هذه الوقعة ليست بعيدة منه فان أخاه الذي هلك كان سارقاً ايضا ونحن لسنا على طريقتهما لأننا من ام اخرى ﴿فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها﴾ يظهرها ﴿لهم﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قال﴾ في نفسه ﴿انتم شر مكانا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿والله اعلم﴾ عالم ﴿بما يصفون﴾ تذكرون من أمره .

قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن
نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾
فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ
فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ
يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا
عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى
كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى
ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

٧٨ ﴿قالوا يأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا﴾ يحبه اكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فخذ احدنا﴾ اي استعبده ﴿مكانه﴾ بدلا منه ﴿انا نراك من المحسنين﴾ في أفعالك .

٧٩ ﴿قال معاذ الله﴾ نصب على المصدر حذف فعله واضيف الى المفعول اي نعوذ بالله من ﴿ان نأخذ﴾ احدا ﴿الا من وجدنا متاعنا عنده﴾ لم يقل سرق تحرزا من الكذب ﴿انا اذا﴾ ان اخذنا غيره ﴿لظالمون﴾ .

٨٠ ﴿فلما استيأسوا﴾ يئسوا ﴿منه خلصوا﴾ اعتزلوا ﴿نجيا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره اي يناجي بعضهم بعضا ﴿قال كبيرهم﴾ سنا روبيل او رأيا يهوذا ﴿ألم تعلموا أن اباكم قد أخذ عليكم موثقا﴾ عهدا ﴿من الله﴾ في أخيكم ﴿ومن قبل ما﴾ زائدة ﴿فرطتم في يوسف﴾ وقيل مصدرية مبتدأ خبره من قبل ﴿فلن ابرح﴾ أفارق ﴿الارض﴾ أرض مصر ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ بالعودة اليه ﴿او يحكم الله لي﴾ بخلاص أخي ﴿وهو خير الحاكين﴾ أعدلهم .

٨١ ﴿ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا﴾ عليه ﴿الا بما علمنا﴾ تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله ﴿وما كنا للغيب﴾ لما غاب عنا حين اعطاء الموثق ﴿حافظين﴾ ولو علمنا انه يسرق لم نأخذه وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل الصاع دس في رحله ونحن لا نعلم ذلك .

٨٢ ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ هي مصر اي ارسل الى اهلها فاسألهم ﴿والعير﴾ اي اصحاب العير ﴿التي اقبلنا فيها﴾ وهم قوم كنعان ﴿وانا لصادقون﴾ في قولنا فرجعوا اليه وقالوا له ذلك .

٨٣ ﴿قال﴾ يعقوب ليس الامر كما ذكرتم حقيقة ﴿بل سولت﴾ زينت ﴿لكم أنفسكم امرا﴾ ففعلتموه . اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فصبر جميل﴾ صبري ﴿عسى الله أن يأتيني بهم﴾ بيوسف وأخويه ﴿جميعا انه هو العليم﴾ بحالي ﴿الحكيم﴾ في صنعه انما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لأنه اذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى عليه وعلى بنيه من اول الامر وهو رؤيا يوسف وقوله يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا جميعا .

٨٤ ﴿وتولى عنهم﴾ تاركا خطابهم ﴿وقال يا اسفى﴾ بالالف بدل من ياء الاضافة اي يا حزني ﴿على يوسف وابيضت عيناه﴾ انمحق سوادها وبدل بياضا من بكائه ﴿من الحزن﴾ عليه ﴿فهو كظيم﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه .

٨٥ ﴿قالوا تالله﴾ لا ﴿تفتئوا﴾ تزال ﴿تذكر يوسف حتى تكون حرضا﴾ مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوى فيه الواحد وغيره ﴿او تكون من الهالكين﴾ الموتى .

٨٦ ﴿قال﴾ لهم ﴿انما اشكوا بثى﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث الى الناس ﴿وحزني الى الله﴾ لا الى غيره فهو الذي تنفع الشكوى اليه ﴿واعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من ان رؤيا يوسف صدق وهو حي ثم قال .

٨٧ ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ اطلبوا خبرهما ﴿ولا تيأسوا﴾ تقنطوا ﴿من روح الله﴾ رحمته ﴿انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف .

٨٨ ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يأيها العزيز مسنا واهلنا الضر﴾ الجوع ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفا أو غيرها ﴿فأوف﴾ اتم ﴿لنا الكيل وتصدق علينا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ يثيبهم فرق عليهم وادركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم .

٨٩ ﴿قال﴾ لهم توبيخا ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف﴾ من الضرب والادخال في غيابات الجب وغيره ﴿واخيه﴾ من هضمكم له بعد فراق اخيه ﴿اذ انتم جاهلون﴾ ما يؤول اليه أمر يوسف

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ
مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ
حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ
وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن
رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ
قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ
مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ
يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ
قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾
قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ
وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾
وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ
الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ
فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا
كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ

٩٠ ﴿قالوا﴾ بعد أنْ عرفوه لما ظهر من شمايله متثبتين ﴿أئنك﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين ﴿لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قدمن﴾ أنعم ﴿الله علينا﴾ بالاجتماع ﴿انه من يتق﴾ يخف الله ﴿ويصبر﴾ على ما يناله ﴿فان الله لا يضيع اجر المحسنين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر .

٩١ ﴿قالوا تالله لقد آثرك﴾ فضلك ﴿الله علينا﴾ بالملك وغيره ﴿وان﴾ مخففة اي انا ﴿كنا لخاطئين﴾ آثمين في أمرك فأذلنا لك يقال خطىء اذا كان عن عمد وأخطأ اذا لم يكن عن عمد ولهذا قيل هنا خاطئين ولم يقل مخطئين .

٩٢ ﴿قال لا تثريب﴾ عتب ﴿عليكم اليوم﴾ خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره اولى ﴿يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين﴾ وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال .

٩٣ ﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾ وهو قميص لبسه واكتسب من ريحه فريح الانسان معروف مثل شخصيته لمن كان يعرفه ﴿فألقوه على وجه أبي يأت﴾ يصير ﴿بصيرا﴾ كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له قوله فارتد بصيرا . قال يوسف ذلك لعلمه ان اباه يعقوب نبي من انبياء الله ومن صفة الانبياء كمال الصفات البشرية ويجوز في حقهم مرض لا يؤدي الى نقص فذهاب بصر ابيه انما هو بحزنه واشتغال قلبه بما دهمه من ذلك فذهب بصره به واذا استراح ريحه الذي يعرفه منه حقيقة كما يعرف شخصيته يطمئن ويذهب الحزن ويرجع البصر بانكشاف ما ذهب به . ﴿واثتوني بأهلكم أجمعين﴾ .

٩٤ ﴿ولما فصلت العير﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قال أبوهم﴾ لمن حضر من اولاد بنيه وأولادهم ﴿اني لاجد ريح يوسف﴾ اوصلته اليه الصبا او الدبور باذنه تعالى من مسيرة ثلاثة أيام او ثمانية أو أكثر ﴿لولاَ ان تفندون﴾ تسفهون لصدقتموني .

٩٥ ﴿قالوا﴾ له ﴿تالله انك لفى ضلالك﴾ خطئك ﴿القديم﴾ من افراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد لانه كان عندهم ان يوسف قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره .

٩٦ ﴿فلما أن﴾ زائدة ﴿جاء البشير﴾ يهوذا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فأحب ان يفرحه كما احزنه ﴿القاه﴾ طرح القميص ﴿على وجهه فارتد﴾ رجع ﴿بصيرا قال ألم أقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون﴾ اي من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا .

٩٧ ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين﴾ .

٩٨ ﴿قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم﴾ اخر ذلك الى السحر ليكون اقرب الى الاجابة او الى ليلة الجمعة أو حتى يسأل يوسف فان كان قد عفا عنهم استغفر لهم .

ثم توجهوا الى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم .

إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ
هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ
أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ
ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾
* رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ
ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

٣١٨

٩٩ ﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ في مضربه الخيامه ﴿آوى﴾ ضم ﴿اليه أبويه﴾ اباه وامه أو خالته ﴿وقال﴾ لهم ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ فدخلوا وجلس يوسف على سريره .

١٠٠ ﴿ورفع ابويه﴾ اجلسهما معه ﴿على العرش﴾ السرير ﴿وخروا﴾ اي ابواه واخوته ﴿له سجدا﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان وكان ذلك جائزا فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة . ﴿وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي﴾ اي أنعم علي ويقال احسن بي والي بمعنى ﴿اذ اخرجني من السجن﴾ لم يقل من الجب تكرما لئلا تخجل اخوته ولقوله لا تثريب عليكم اليوم أو لأن مصيبة السجن كانت اعظم عنده لطول مدتها وكونها لزوال التهمة عنه وباثباتها ارتفع الى عرش الملك ﴿وجاء بكم من البدو﴾ البادية وهي ضد الحاضرة وكان يعقوب تحول الى البادية وسكنها مع اولاده وان الله تعالى لم يبعث نبيا من أهل البادية ﴿من بعد أن نزغ﴾ أفسد ﴿الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم﴾ بخلقه ﴿الحكيم﴾ فكأنه يقول كل ذلك ما وقع الا بتدبير من الله لحكمة رتبها على العاقبة الحميدة عنده لنا . واقام عنده أبوه اربعا وعشرين سنة او سبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثماني عشرة او اربعين او ثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تم أمره تاقت نفسه الى الملك الدائم فقال .

١٠١ ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث﴾ تعبير الرؤيا يا ﴿فاطر﴾ خالق ﴿السموات والارض انت ولي﴾ متولي مصالحي ﴿في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ من آبائي . فعاش بعد ذلك اسبوعا او أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون في قبره في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه .

هذا آخر القصة الطويلة المفيدة وكل جزء منها درس عظيم للدين والدنيا في حياتنا الاجتماعية ففيها محاورة الاب وملاطفته مع ابنه وكيفية تهذيبه وفيها مشاكل الاخوة فيما بينهم وفيها بيان رحمة الله ولطفه لمن عول عليه وفيها احوال النساء وفتنتهن وفيها تربية من يقصد به قيادة الناس وفيها العلوم الظاهرة التي تنفع الناس والباطنة التي لا يظهرها الا للخاص من عباده وفيها اثبات النبوة والرسالة وبيان الدين وتعبير الرؤيا وفيها بيان ان الحق لا يظهر الا بعد حين وفيها طاعة الوالدين وبرهما والاحسان الى العشيرة وفيها الأخذ باللين في الامور والعفو عمن ظلمك وفيها رد الامور الى الله وطلب الخاتمة الحسنة ونحوها وستأتي بعد ذلك التعقيبات للنكت المهمة منها قال الله تعالى .

١٠٢ ﴿ذلك﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿من انباء الغيب﴾ أخبار ما غاب يا محمد ﴿نوحيه اليك﴾ لتثبت به نبوتك بالدليل القاطع على صحتها لأنك كنت أميا ولم تقرأ الكتب ولم تلق العلماء ولم تسافر الى غير بلدك الذي نشأت فيه ومع ذلك أتيت بهذه القصة الطويلة على احسن تركيب وأفصح عبارة فعلم ان اتيانك بها انما هو بوحي من الله . ﴿وما كنت لديهم﴾ اي اخوة يوسف ﴿اذ اجمعوا أمرهم﴾ في كيده أي عزموا عليه ﴿وهم يمكرون﴾ به اي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وانما حصل لك علمها من جهة الوحي .

١٠٣ ﴿وما أكثر الناس﴾ اي المكلفين ﴿ولو حرصت على ايمانهم ﴿بمؤمنين﴾ .

لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم
بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ
عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾
قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ
ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ
ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ
عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ
قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا
عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

٣١٩

١٠٤ ﴿وما تسألهم عليه﴾ اي على تبليغ القرآن ﴿من أجر﴾ تأخذه منها ﴿إن﴾ ما ﴿هو﴾ اي القرآن ﴿إلا ذكر﴾ عظة ﴿للعالمين﴾ اي قاطبة وهذا كالتعليل لما قبله لان الوعظ العام ينافي اخذ الاجر من البعض لأنه لا يختص بهم .

١٠٥ ﴿وكأين﴾ وكم ﴿من آية﴾ دالة على وحدانية الله ﴿في السموات والارض يمرون عليها﴾ يشاهدونها ﴿وهم عنها معرضون﴾ لا يتفكرون فيها .

١٠٦ ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرزاق ﴿الا وهم مشركون﴾ به اي يخلصون له العمل في العبادة الا اشركوا غيره فيها بالرياء وما فوقها من انواع الكفر والشرك فكانت قريش تقول في تلبيتها لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وبعض المسلمون اليوم يعظمون الاولياء فوق التعظيم الشرعي وينسبون اليهم التصرفات في امور الدنيا والوقوف على علم المغيبات .

١٠٧ ﴿أفأمنوا﴾ في فعلهم ذلك ﴿أن﴾ لا ﴿تأتيهم﴾ في الدنيا ﴿غاشية﴾ نقمة تغشاهم ﴿من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت اتيانها قبله .

١٠٨ ﴿قل﴾ لهم ﴿هذه سبيلي﴾ وفسرها بقوله ﴿أدعوا الى﴾ دين ﴿الله على بصيرة﴾ حجة واضحة ﴿انا ومن اتبعني﴾ آمن بي عطف على انا ابتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وسبحان الله﴾ تنزيها له من الشركاء ﴿وما انا من المشركين﴾ من جملة سبيله لان التبري من المشركين الذين يتبعون الخرافات من دون التبصر داخل في سبيله .

١٠٩ ﴿وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى﴾ بالنون وكسر الحاء وفي قراءة بالياء وفتح الحاء ﴿اليهم﴾ لا ملائكة ويفهم من هذا ايضا ان الانبياء رجال لا نساء فالمرأة لا تكون نبيا ﴿من اهل القرى﴾ الامصار لأنهم اعلم بخلاف اهل البوادي لجفائهم وجهلهم بسياسة الناس . ومنها يفهم ان يعقوب لبس من اهل البدو وانما انتقل مع اهله بعد الى البدو كما تقدم البيان عليه ﴿أفلم يسيروا﴾ المرسل اليهم النبي ﷺ من اهل مكة ومن حولهم ﴿في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ اي آخر أمرهم من اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿ولدار الآخرة﴾ اي الجنة ﴿خير للذين اتقوا﴾ الله وعملوا بمقتضى اوامره ونواهيه ﴿أفلا تعقلون﴾ بالتاء وقرىء بالياء هذا فتؤمنوا . فلا يغركم تمادي ايامكم فان من قبلكم من الامم المكذبة لرسلهم امهلوا .

١١٠ ﴿حتى اذا استيئس﴾ يئس ﴿الرسل وظنوا﴾ اي ايقن الامم ﴿أنهم قد كذبوا﴾ بالتخفيف اي ظن الامم ان الرسل اخلفوا ما وعدوا به من النصر وقرىء بالتشديد وعليه ففاعل ظنوا يرجع الى الرسل اي أيقن الرسل ان تكذيب الامم لهم ثابت لطول ما تراخى النصر عنهم ﴿جاءهم نصرنا فنجي﴾ بنون مشددة ماض وقرىء بنونين مشددا مضارع نجي مشددا أو انجى كاكرم ﴿من نشاء﴾ ﴿ولا يرد بأسنا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين .

١١١ ﴿لقد كان في قصصهم﴾ اي الرسل ﴿عبرة لأولي الألباب﴾ اصحاب العقول ﴿ما كان﴾ هذا القرآن ﴿حديثا يفترى﴾ يختلق من غير الله ﴿ولكن﴾ كان ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ قبله من الكتب ﴿وتفصيل﴾ تبيين ﴿كل شيء﴾ يحتاج اليه في الدين ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم . فهذا أحسن ختام للسورة التي بدأت بتلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وختمت بما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فانها اثبتت رسالة محمد ﷺ ابتداء وختاما ورسالة من قبله من الرسل مثل يعقوب ويوسف وان الفوائد المستنبطة من قصصهم هدى ورحمة للناس الى يوم القيامة . والحمد لله رب العالمين .

﴿ سورة الرعد ﴾

مكية او مدنية وعدد آياتها ثلاث او خمس وأربعون وموضوعها الرئيسي الدعوة الى الله على طريقة الاستدلال بالكون العلوي والسفلي الحسي والمعنوي في اسلوب عجيب .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿المر﴾ الله اعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن والاضافة بمعنى من ﴿والذي انزل اليك من ربك﴾ اي القرآن مبتدأ خبره ﴿الحق﴾ لا شك فيه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يؤمنون﴾ بأنه من عند الله تعالى .

عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

(١٣) سُورَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ

رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ
اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ
مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ
وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ * وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ
قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ

٢ ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ اي العمد جمع عماد وهو الاسطوانة ﴿ثم استوى على العرش﴾ ثم هنا لمجرد العطف لا للترتيب لان الاستواء على العرش غير مرتب على رفع السموات استواء يليق به ﴿وسخر الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فلكه ﴿لأجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿يدبر الامر﴾ يقضي امر ملكه ﴿يفصل الآيات﴾ الدالات على قدرته ﴿لعلكم﴾ ايها المكلفون ﴿بلقاء ربكم﴾ بالبعث ﴿توقنون﴾ .

٣ ﴿وهو الذي مد الارض﴾ بسطها الى ما لا يدرك منتهاها بأن جعلها حجما عظيما لا يقع البصر على منتهاها ﴿وجعل﴾ خلق ﴿فيها رواسي﴾ جبالا ثوابت تمسكها عن الاضطراب ﴿وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ من كل نوع ﴿يغشي﴾ يغطي ﴿الليل﴾ بظلمته ﴿النهار﴾ اي يستر النهار بالليل وضوء النهار يستر به ظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعده في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالايات العلوية ظاهر باعتبار ان ظهوره في الارض ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لقوم يتفكرون﴾ في صنع الله فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الأشياء وقيل قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ويقال لا يمكن الا فيما يمكن ان تكون له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله اذ الله منزه عن أن يوصف بصورة .

٤ ﴿وفي الارض قطع﴾ بقاع مختلفة ﴿متجاورات﴾ متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿من أعناب وزرع﴾ بالرفع عطفا على جنات والجر على اعناب وكذلك قوله ﴿ونخيل صنوان﴾ جمع صنو وهي النخلات يجمعها اصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وغير صنوان﴾ منفردة ﴿تسقى﴾ بالتاء اي الجنات وما فيها وقرىء بالياء اي المذكور ﴿بماء واحد﴾ ومع ذلك تراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح ﴿ونفضل﴾ بالنون وقرىء بالياء ﴿بعضها على بعض في الأكل﴾ بضم الكاف وقرىء بسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون ويستعملون عقولهم بالتفكر فيها . خص هذا بالعقل والاول بالتفكر لان الاستدلال باختلاف النهار اسهل ولأن التفكر في الشيء سبب لتعقله والسبب مقدم على المسبب فناسب تقديم التفكر على التعقل وبعد ان ذكر الادلة الموجبة للايمان بقدرة الله على البعث وأستمرار الكفار على التكذيب به قال الله تعالى مخاطبا للنبي ﷺ .

٥ ﴿وان تعجب﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك مع انك كنت مشتهرا بينهم موصوفا عندهم بالصدق والامانة ومع ما معك من الادلة القاطعة فليس التكذيب بعجيب ﴿فعجب﴾ حقيق بالعجب خبر والمبتدأ ﴿قولهم﴾ منكرين للبعث ﴿أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد﴾ لان القادر على انشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على اعادتهم وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وقرىء بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين وتركها وفي قراءة بالاستفهام في الاولى والخبر في الثانية وأخرى عكسه ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم وأوالئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ عجب ايضا استهزاؤهم باستعجال العذاب .

لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ
ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾
ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ
وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن
جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾
لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ
أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ
وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن
دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا

٦ ﴿ويستعجلونك بالسيئة﴾ العذاب ﴿قبل الحسنة﴾ الرحمة ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ جمع المثلة بوزن السمرة اي عقوبات امثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على﴾ مع ﴿ظلمهم﴾ والا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وان ربك لشديد العقاب﴾ لمن عصاه
وعجب ايضا طلبهم الآية .

٧ ﴿ويقول الذين كفروا لولا﴾ هلا ﴿انزل عليه﴾ محمد ﴿آية من ربه﴾ كالعصا واليد و الناقة قال تعالى ﴿انما انت منذر﴾ مخوف الكافرين وليس عليك اتيان بالآيات ولا بما يقترحون ﴿ولكل قوم هاد﴾ نبي يدعوهم الى ربهم بحذف الياء في هاد وقفا ووصلا وقرىء باثباتها وقفا وحذفها في الرسم لا غير .

فيما يأتي شروع في بيان ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على أنه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزله لعلمه بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال تعالى .

٨ ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ من ذكر وانثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وما تغيض﴾ تنقص ﴿الارحام﴾ مدة الحمل ﴿وما تزداد﴾ منه ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ بقدر واحد لا يتجاوزه .

٩ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد ﴿الكبير﴾ العظيم ﴿المتعال﴾ على خلقه بالقهر بدون ياء وقرىء بها .

١٠ ﴿سواء منكم﴾ في علمه تعالى ﴿من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف﴾ مستتر ﴿بالليل﴾ بظلامه ﴿وسارب﴾ بذهابه في سربه اي طريقه ﴿بالنهار﴾ .

١١ ﴿له﴾ للإنسان ﴿معقبات﴾ ملائكة تتعقبه ﴿من بين يديه﴾ قدامه ﴿ومن خلفه﴾ وراءه ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ أي بأمره وقيل الجن والانس في نومه ويقظته وقيل يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول إن الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات ﴿ان الله لا يغير ما بقوم﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿واذا اراد الله بقوم سوءا﴾ عذابا ﴿فلا مرد له﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وما لهم﴾ لمن أراد الله بهم سوءا ﴿من دونه﴾ أي غير الله ﴿من﴾ زائدة لتأكيد النفي ﴿وال﴾ اي ناصر يلي أمرهم يمنعه عنهم .

١٢ ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا﴾ للمسافرين من الصواعق وللمقيمين الذين يضرهم المطر كمن يجفف الثمر ونحوه او يخاف ان ينزل المطر في غير زمانه ﴿وطمعا﴾ للمقيم في المطر ﴿وينشيء﴾ يخلق ﴿السحاب الثقال﴾ بالمطر .

مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾
لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ
بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ
أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ
قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا

٢٢٣

١٣ ﴿ويسبح الرعد﴾ هو ملك موكل بالسحاب يسوقه متلبسا ﴿بحمده﴾ اي يقول سبحان الله وبحمده ﴿و﴾ يسبح ﴿الملائكة من خيفته﴾ اي الله ﴿ويرسل الصواعق﴾ وهي النار تخرج من السحاب ﴿فيصيب بها من يشاء﴾ فتحرقه وفي الكرخي واعلم ان امر الصاعقة عجيب جدا لأنها نار تتولد في السحاب واذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان . قال محمد ابن علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر وروى ان رجلا من طواغيت العرب بعث اليه النبي ﷺ من يدعوه فقال لمبعوث رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف راسه اي عظم الراس على وزن علم ﴿وهم﴾ الكفار ﴿يجادلون﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿في الله وهو شديد المحال﴾ القوة او الأخذ اي في خلال الاهوال من الصواعق والتسبيح من الملائكة مع حمده وبين رحمانيته من نزول المطر وعذابه من نار الصواعق والكفار مع ضعفهم وافتقارهم وهم يجادلون فيه وهو شديد القوة ومحيط بهم فجدالهم فيه غباوة وجهل .

١٤ ﴿له﴾ تعالى ﴿دعوة الحق﴾ الثابتة وهي دعوة الناس الى عبادته هو وحده وهي الدعوة منه تعالى يدعوهم الى ان يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله . والآلهة غيره تعالى ليست لها دعوة بل اتباعها يدعونها وهي لا تستجيب ولذلك قال تعالى ﴿والذين يدعون﴾ اي يدعونهم الكفار ﴿من دونه﴾ اي غيره وهم آلهتهم ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ مما يطلبونه ﴿الا﴾ استجابة ﴿كباسط﴾ اي كاستجابة باسط ﴿كفيه الى الماء﴾ يدعوه من السحاب ﴿ليبلغ فاه﴾ بنزوله من السحات اليه ﴿وما هو ببالغه﴾ اي فيه أبدا فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وما دعاء الكافرين﴾ عبادتهم آلهتهم ﴿الا في ضلال﴾ ضياع لا يجيب لها وفي أي جو لا يبلغ هذا الداعي اللاهث قطرة من ماء؟ في جو البرق والرعد والسحاب الثقال التي تجري بامر الله الواحد القهار لانه دعا غير صاحبها ليعطيه اياه .

١٥ ﴿ولله يسجد﴾ يعبد ويتواضع ﴿من في السموات﴾ من الملائكة ﴿والارض﴾ من الانس والجن وغيرهم ﴿طوعا﴾ من المؤمنين ﴿وكرها﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿و﴾ يسجد ﴿ظلالهم بالغدو﴾ البكر ﴿والآصال﴾ العشايا . ومعنى السجود له ان قدرته ومشيئته نافذتان فيهم وهم خاضعون منقادون له في كل وقت المعبر عنه بالغدو والآصال . وهنا محل السجود للقارىء والسجود من العزائم لبزدوج الشخص والظل في السجود لله رب العالمين .

وفي هذا الجو واجههم بأسئلة توجيهية فيها نوع من التهكم والسخرية بهم ان كان لهم عقل يفهمون به فقال تعالى .

١٦ ﴿قل﴾ يا محمد لقومك ﴿من رب السموات والارض قل الله﴾ ان لم يقولوه لا جواب غيره ﴿قل﴾ لهم ﴿أفاتخذتم من دونه﴾ اي غيره ﴿أولياء﴾ الهة تعبدونها ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا﴾ تركتم مالكهما استفهام توبيخ ﴿قل هل يستوى الاعمى والبصير﴾ الكافر . والمؤمن ﴿أم هل تستوى الظلمات والنور﴾ الكفر والايمان لا ﴿ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق﴾ اي خلق الشركاء بخلق الله ﴿عليهم﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام انكار أي ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وهو الواحد القهار﴾ لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال .

رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ
مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟
لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم
مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾
۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ
مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ
ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟

١٧ ﴿انزل﴾ تعالى ﴿من السماء ماء﴾ مطرا ﴿فسالت اودية بقدرها﴾ بمقدار مائها ﴿فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾ عاليا عليه هو ما على وجهه من قذر ونحوه حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان وهذا الزبد نافش راب منتفخ ولكنه يعود غثاء والماء من تحته سارب ساكن هادىء ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة ﴿أو﴾ كذلك يقع في المعادن والفلزات ﴿مما يوقدون﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿عليه في النار﴾ من جواهر الارض كالذهب والفضة والنحاس التي تذاب لتصاغ منها ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿حلية﴾ زينة كالذهب والفضة ﴿و﴾ تصاغ منها طلب ﴿متاع﴾ ينتفع به كالأوني النافعة للحياة كالحديد والرصاص فان الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الاصيل لكنه ﴿زبد مثله﴾ اي مثل زبد السيل وهو خبيثه الذي ينفيه الكير يذهب ويبقى المعدن في نقاء ﴿كذلك﴾ المذكور من زبد الماء وزبد المعدن الذي يكاد يخفي الماء النافع والمعدن النفيس ﴿يضرب الله الحق والباطل﴾ أي يبين مثلهما يكاد الباطل في اول الأمر يغلب الحق في الظواهر ﴿فاما الزبد﴾ من السيل وما اوقد عليه من الجواهر ﴿فيذهب جفاء﴾ باطلا مرميا به ﴿واما ما ينفع الناس﴾ من الماء والجواهر ﴿فيمكث﴾ يبقى ﴿في الارض﴾ زمانا بعد ذهاب الزبد وكذلك الباطل يضمحل وينمحق وان علا على الحق في بعض الاوقات والحق ثابت باق ﴿كذلك﴾ المذكور ﴿يضرب﴾ يبين ﴿الله الامثال﴾ لبيان دعوة الحق ودعوة الباطل .

ثم بين فيما يأتي جزاء الفريق الاول الذي استجاب لدعوة الحق التي هي لله وجزاء الفريق الثاني الذي يدعو دعوة الباطل التي هي لغير الله فقال .

١٨ ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ وقت ان دعاهم الى الحق وهم الفريق الاول فأجابوه بالطاعة ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ لله وهم الفريق الثاني فأشغلوا بدعوة غير الله واعرضوا عن دعوة الله ﴿لو ان لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به﴾ من العذاب ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ الفراش هي .

ثم بين كيفية اجابة دعوة الحق وصفات استجابتها وعدم اجابتها وصفات من لم يستجبها فقال .

١٩ ﴿افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق﴾ فآمن به ﴿كمن هو أعمى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به . لا ﴿انما يتذكر﴾ يتعظ ﴿اولو الالباب﴾ أصحاب العقول المستجيبون .

٢٠ ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ المأخوذ عليهم بينهم وبين الله او بينهم وبين المخلوقين ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ بترك الايمان او الفرائض .

٢١ ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من الايمان والرحم وغير ذلك ﴿ويخشون ربهم﴾ اي وعيده ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ تقدم مثله .

الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ
وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ
وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ
مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ

٣٢٥

٢٢ ﴿والذين صبروا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿وجه ربهم﴾ رضاه لا غيره من اعراض الدنيا ﴿وأقاموا الصلاة وأنفقوا﴾ في الطاعة ﴿مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن﴾ يدفعون ﴿بالحسنة السيئة﴾ كالجهل بالحلم والاذى بالصبر ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ اي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة .

٢٣ هي ﴿جنات عدن﴾ اقامة ﴿يدخلونها﴾ هم ﴿ومن صلح﴾ آمن ﴿من آبائهم وازواجهم وذرياتهم﴾وان لم يعملوا الى مستوى عملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ من ابواب الجنة للتهنئة يقولون .

٢٤ ﴿سلام عليكم﴾ هذا الثواب ﴿بما صبرتم﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فنعم عقبى الدار﴾ عقباكم من جملة مقول الملائكة ثم ذكر الفريق الثاني غير المستجيبين لدعوة الحق فقال .

٢٥ ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ البعد من رحمة الله ﴿ولهم سوء الدار﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم .

ولما ذكر ان الذين لا يجيبون دعوة الله لهم اللعنة ولهم سوء الدار يمكن ان يرد عليه سؤال فاذن لماذا فتح الله أبواب النعم واللذات في الدنيا وتقرير الجواب ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والايمان .

٢٦ ﴿الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿وفرحوا﴾ الكفار فرح بطر ﴿بالحياة الدنيا﴾ أي بما نالوه فيها ﴿وما الحياة الدنيا في﴾ جنب الحياة ﴿الآخرة إلا متاع﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب .

وفيما يأتي كلام يجري مجرى التعجب من طلب الكفار آية وذلك لأن الآيات الباهرة التي ظهرت على يد الرسول بلغت في الكثرة وقوة الدلالة الى حالة يستحيل فيها أن تصير مشتبهة على العاقل فطلب آيات أخرى بعد ذلك واقع في غاية التعجب والاستنكار قال تعالى .

٢٧ ﴿ويقول الذين كفروا﴾ من اهل مكة ﴿لولا﴾ هلا ﴿انزل عليه﴾ على محمد ﴿آية من ربه﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قل﴾ لهم ﴿ان الله يضل من يشاء﴾ من كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزلت كل آية لان عنادكم عن تدبرها بلغ الغاية فلا يرجى به ايمان ﴿ويهدى﴾ يرشد ﴿اليه من أناب﴾ رجع اليه ويبدل من .

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ
أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ
ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ
ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ
حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾
وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ

٣٢٦

٢٨ ﴿الذين آمنوا وتطمئن﴾ تسكن ﴿قلوبهم بذكر الله﴾ وعده بالخير والثواب ولا تضطرب للمكاره لانسها بالله واعتمادها عليه ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ اي قلوب المؤمنين اي بذكره وحده دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنيويات .

٢٩ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ مبتدأ خبره ﴿طوبى﴾ مصدر من الطيب او شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ﴿لهم وحسن مآب﴾ مرجع .

٣٠ ﴿كذلك﴾ كما اجرينا العادة بأن الله يضل ويهدى لا بالآيات المقترحة فكذلك أيضا ﴿ارسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم﴾ بالوحي بالآيات المقترحة ﴿لتتلو﴾ تقرأ ﴿عليهم الذي اوحينا اليك﴾ وهو القرآن ﴿و﴾ الحال ﴿هم يكفرون بالرحمن﴾ الذي انزل برحمانيته القرآن لهدايتهم بدل ان يشكروه ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب﴾ اي الذي انكرتم هو ربي اليه توبتي ومرجعي . ومن امثلة الآيات التي يقترحونها قولهم ان كنت نبيا فسير عنا جبال مكة واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا أباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي فللجواب عنها قال .

٣١ ﴿ولو ان قرآنا﴾ أنزل على الامم الذين من قبلكم ﴿سيرت به الجبال﴾ نقلت عن اماكنها ﴿أو قطعت﴾ شقت ﴿به الارض او كلم به الموتى﴾ بان يحيوا لما آمنوا لأنهم اقترحوها وكذلك انتم لو فعل لكم مثل ما ذكر فلا تؤمنون به لمشابهة فعلكم بفعلهم ﴿بل لله الامر جميعا﴾ وهو قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا انه لم يرد ذلك لعلمه بأنه لا ينفعهم وانما ينفع التسليم لأمر بدون طلب آية .

وربما تشفق قلوب المؤمنين على الكفار الذين يقترحون آية فيطلبون تحقيقها لهم واظهارها طمعا في ايمان المقترحين وشفقة عليهم فرد الله تعالى على ذلك بقوله ﴿أفلم ييأس﴾ يعلم ﴿الذين آمنوا أن﴾ مخففة أي أنه ﴿لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾ الى الايمان من غير آية فاليأس علم بعدم وجود شيء فاذا علم الذين آمنوا عدم وجود مشيئة الله لهداية الناس جميعا فلا ينبغي لهم ان يطلبوا وجودها لأن طلب المحال ممنوع ومع ذلك توجد آية تحملهم على الايمان لو انهم يعقلونها ﴿و﴾ هي ﴿لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ بسبب صنعهم اي كفرهم ﴿قارعة﴾ داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والاسر والحرب والجدب ﴿او تحل﴾ القارعة ﴿قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله﴾ بالنصر عليهم ﴿ان الله لا يخلف الميعاد﴾ بل يوفي به وينجزه كما أنجزه على قريش فانهم كانوا قاسوا انواعا من البلايا عليهم او على أبوابهم حتى اتى عليهم فتح مكة . ثم سلى النبي ﷺ عما يلاقيه من قومه المستهزئين به فقال ان استهزؤا بك .

٣٢ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ كما استهزىء بك ﴿فامليت﴾ امهلت ﴿للذين كفروا ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة ﴿فكيف كان عقاب﴾ اي هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك حكما عدلا .

وفيما يأتي مقارنة بين المعبود بحق وهو الله والمعبود بغير الحق وهي الاصنام وما شابهها .

عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ
أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ
بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ
مِن وَاقٍ (٣٤) ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ
اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن
يُنكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ
إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا
عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

٣٣ ﴿أفمن هو قائم﴾ رقيب ﴿على كل نفس بما كسبت﴾ عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الاصنام ، لا . دل على هذا ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾ له من هم ؟ ﴿أم﴾ بل أ ﴿تنبؤنه﴾ تخبرون الله ﴿بما﴾ أي بشريك ﴿لا يعلم﴾ه ﴿في الارض﴾ استفهام انكاري اي لا شريك له فلو كان لعلمه تعالى عن ذلك ﴿أم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بظاهر من القول﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ كفرهم فلا يفيد فيهم الاحتجاج ﴿وصدوا عن السبيل﴾ طريق الهدى ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ .

٣٤ ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والاسر ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد منه ﴿وما لهم من الله﴾ اي عذابه ﴿من واق﴾ مانع .

ولما ذكر ان عذاب الآخرة أشق من عذاب الدنيا تشتاق النفس ان يذكر لها نعمة الآخرة وما اعد الله للمتقين فقال .

٣٥ ﴿مثل﴾ صفة ﴿الجنة التي وعد المتقون﴾ مبتدأ خبره محذوف اي فيما نقص عليكم ﴿تجرى من تحتها الأنهار أكلها﴾ ما يؤكل فيها ﴿دائم﴾ لا يفنى ﴿وظلها﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تلك﴾ الجنة ﴿عقبى﴾ عاقبة ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ عاقبتهم النار وهي تفسير لما تقدم من قوله «ولعذاب الآخرة اشق» أعاذنا الله منها .

وبعد ذكر دعوة الله وما تضمنت عليه من الحق والجزاء لمن استجاب اليها بين فيما يأتي ان تلك الدعوة مكتوبة في الكتب يصدق بعضها بعضا فقال .

٣٦ ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود والنصارى ﴿يفرحون بما أنزل اليك﴾ القرآن لموافقته ما عندهم ﴿ومن الاحزاب﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿من ينكر بعضه﴾ كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿قل انما أمرت﴾ فيما أنزل الي ﴿أن﴾ اي بأن ﴿اعبد الله ولا اشرك به اليه أدعوا واليه مآب﴾ مرجعي .

٣٧ ﴿و﴾ كما انزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم ﴿كذلك﴾ الانزال ﴿انزلناه﴾ اي القرآن ﴿حكما عربيا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ اي الكفار فيما يدعونك اليه من ملتهم فرضا ﴿بعدما جاءك من العلم مالك من الله﴾ زائدة لتأكيد النفي ﴿ولي﴾ ناصر ﴿ولا واق﴾ من عذابه .

وكما كانت دعوة الله مكتوبة في كتبه التي يصدق بعضها بعضا وكذلك الرسل الذين جعلهم الله واسطة بينه وبين عباده في تبيين دعوته للناس متشابهون في صفاتهم البشرية وغيرها ولذلك قال تعالى .

٣٨ ﴿ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية﴾ اولادا وأنت مثلهم ﴿وما كان لرسول﴾ منهم ﴿ان يأتي بآية الا باذن الله﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لكل أجل﴾ مدة ﴿كتاب﴾ مكتوب فيه تحديده وكل وقت له احكام تناسبه وشرائع مقصودة لاهله على حد مستواهم في الحضارة والارتقاء فاذا انتهت حكمة حكم نسخ ويبدل به غيره مما يكون انسب للناس .

٣٩ ﴿يمحوا الله﴾ منه ﴿ما يشاء ويثبت﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد فيه ما يشاء من الاحكام وغيرها ﴿وعنده أم الكتاب﴾ اصله الذي لا يتغير منه شيء وهو ما كتبه في الازل وقيد فيه كل شيء ووقته .

٤٠ ﴿وان ما﴾ فيه ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة ﴿نرينك بعض الذي نعدهم﴾ به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف اي فذلك من جملة المحو والاثبات ﴿او نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم فهو ايضا كذلك وهو امر بيد الله ﴿فانما عليك البلاغ﴾ لا عليك الا التبليغ ﴿وعلينا الحساب﴾ اذا صاروا الينا فنجازيهم ومن جملة الوعد الذي وعدوا به قوله تعالى «أن الارض يرثها عبادي الصالحون» فهو محو واثبات وان انكروه .

٤١ ﴿أولم يروا﴾ اي اهل مكة ﴿أنا نأتي الارض﴾ نقصد أرضهم ﴿ننقصها من اطرافها﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿والله يحكم﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لا معقب﴾ لاراد ﴿لحكمه وهو سريع الحساب﴾ سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير وغيره .

٤٢ ﴿و﴾ ان مكر قومك بك يا محمد فلا تحزن ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ من الامم بانبيائهم كما مكروا بك ﴿فلله المكر جميعا﴾ وليس مكرهم كمكره لانه تعالى ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ فيعد لها جزاءه وهذا هو المكر كله لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وسيعلم الكفار﴾ في قراءة بالافراد الكافر والمراد

مالك من الله من ولي ولا واق ﴿٣٧﴾ ولقد أرسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول
أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب ﴿٣٨﴾
يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتب ﴿٣٩﴾
وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما
عليك البلغ وعلينا الحساب ﴿٤٠﴾ أولم يروا أنا نأتي
الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب
لحكمه وهو سريع الحساب ﴿٤١﴾ وقد مكر الذين
من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس
وسيعلم الكفر لمن عقبى الدار ﴿٤٢﴾ ويقول الذين
كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتب ﴿٤٣﴾

به الجنس ﴿لمن عقبى الدار﴾ اي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم ام للنبي ﷺ وآله وسلم واصحابه .

٤٣ ﴿ويقول الذين كفروا﴾ لك ﴿لست مرسلا قل﴾ لهم ﴿كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ من مؤمني اليهود والنصارى ومن معطوف على الله فاعل كفى بإظهار المعجزات الدالة على رسالتي بشهادة من الله . وعلم مؤمني أهل الكتاب بصدقي شهادتهم لي عليكم .

بدأت السورة «بتلك آيات الكتاب والذي انزل من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون» وختمت بقوله تعالى «ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» وهذا بعد جولة عميقة في ارجاء العالم العلوي والسفلي في اثبات دعوة الحق من الله .

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (١)
ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ (٣) وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤)

﴿ سورة ابراهيم مكية ﴾

وآياتها احدى أو ثنتان او اربع او خمس وخمسون آية وموضوعها الرئيسي الوعظ والتذكير والارشاد على اسلوب حكيم.

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الر﴾ الله اعلم بمراده بذلك. هذا القرآن ﴿كتاب انزلناه اليك﴾ يا محمد ﴿لتخرج الناس من الظلمات﴾ الكفر ﴿الى النور﴾ الايمان ﴿باذن﴾ بأمر ﴿ربهم﴾ ويبدل من النور قوله ﴿الى صراط﴾ طريق ﴿العزيز﴾ الغالب ﴿الحميد﴾ المحمود.

٢ ﴿الله﴾ عطف بيان وما بعده صفة وقرىء بالرفع مبتدأ خبره ﴿الذي له ما في السموات وما في الارض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾.

٣ ﴿الذين﴾ عطف بيان ﴿يستحبون﴾ يختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دين الاسلام ﴿ويبغونها﴾ اي السبيل ﴿عوجا﴾ معوجا ﴿اولئك في ضلال بعيد﴾ عن الحق.

٤ ﴿وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم﴾ يفهمهم ما أتى به ﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

• ﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا﴾ التسع وقلنا له ﴿أن اخرج قومك﴾ بني اسرائيل ﴿من الظلمات﴾ الكفر ﴿الى النور﴾ الايمان فهي مثل انذار محمد ﷺ ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ بانواع عقوباته الفائضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه ﴿ان في ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات لكل صبار﴾ على الطاعة ﴿شكور﴾ للنعم .

٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم﴾ المولودين ﴿ويستحيون﴾ يستبقون ﴿نساءكم﴾ لقول بعض الكهنة ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وفي ذلكم﴾ الانجاء او العذاب ﴿بلاء﴾ انعام او ابتلاء ﴿من ربكم عظيم﴾ .

٧ ﴿واذ تأذن﴾ أعلم ﴿ربكم لئن شكرتم﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لأزيدنكم ولئن كفرتم﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه ﴿ان عذابي لشديد﴾ .

٨ ﴿وقال موسى﴾ لقومه ﴿ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ محمود في صنعه بهم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ
ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن
فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ

أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾
۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ
لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا
لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ
أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

٩ ﴿ألم يأتكم﴾ استفهام تقرير ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذين من قبلكم قوم نوح وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله﴾ لكثرتهم ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فردوا﴾ اي الامم ﴿ايديهم في افواههم﴾ اي اليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ وقيل كذبوا الرسل وردوا ما جاءوا به وقيل كذبوهم بافواههم وردوا أقوالهم ﴿وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به﴾ في زعمكم ﴿وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب﴾ موقع في الريبة .

١٠ ﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾ استفهام انكار أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فاطر﴾ خالق ﴿السموات والارض﴾ من جملة الدلائل الدالة عليه اي عجيب الشك في وجود فاطر السموات والارض ﴿يدعوكم﴾ الى طاعته ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ من زائدة فان الاسلام يغفر ما قبله او تبعيضية لاخراج حقوق العباد ﴿ويؤخركم﴾ بلا عذاب ﴿الى أجل مسمى﴾ أجل الموت ﴿قالوا ان﴾ ما ﴿انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ من الاصنام ﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ حجة ظاهرة على صدقكم .

١١ ﴿قالت لهم رسلهم ان﴾ ما ﴿نحن الا بشر مثلكم﴾ كما قلتم ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ بالنبوة ﴿وما كان﴾ ما ينبغي ﴿لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله﴾ بأمره لانا عبيد مربوبون ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يثقوا به .

١٢ ﴿وما لنا الا نتوكل على الله﴾ اي لا مانع لنا من ذلك ﴿وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ على أذاكم ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ اي فليدوموا ويثبتوا على التوكل عليه فالتوكل الاول بمعنى احداثه والثاني الدوام عليه فالتوكلان مختلفان .

الظالمين (١٣) ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك
لمن خاف مقامي وخاف وعيد (١٤) واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد (١٥) من ورآئه جهنم ويسقى من مآء
صديد (١٦) يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من
كل مكان وما هو بميت ومن ورآئه عذاب غليظ (١٧)
مثل الذين كفروا بربهم أعملهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك
هو الضلل البعيد (١٨) ألم تر أن الله خلق السموت
والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩)
وما ذلك على الله بعزيز (٢٠) وبرزوا لله جميعا فقال
الضعفؤا للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم
مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدنا الله

١٣ ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا أو لتعودن﴾ لتصيرون ﴿في ملتنا﴾ ديننا ﴿فأوحى اليهم﴾ الرسل ﴿ربهم﴾ بعد هذه المحاورات ﴿لنهلكن الظالمين﴾ الكافرين .

١٤ ﴿ولنسكننكم الارض﴾ ‌ارضهم ﴿من بعدهم﴾ بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ النصر وايراث الارض ﴿لمن خاف مقامي﴾ اي مقامه بين يدي ﴿وخاف وعيد﴾ اي بالعذاب .

١٥ ﴿واستفتحوا﴾ اي استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وخاب﴾ خسر ﴿كل جبار﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عنيد﴾ معاند للحق .

١٦ ﴿من ورائه﴾ اي أمامه يستعمل في الضدين ﴿جهنم﴾ يدخلها ﴿ويسقى﴾ فيها ﴿من ماء صديد﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم .

١٧ ﴿يتجرعه﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ يزدرده لقبحه وكراهته ﴿ويأتيه الموت﴾ اي اسبابه المقتضية له من انواع العذاب ﴿من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عذاب غليظ﴾ قوي متصل ويستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه .

وفي هذا المصير يجيء التعقيب مثلا مصورا في مشهد يضرب للذين كفروا ، واعمالهم الحيوية في الحياة الدنيا فقال تعالى .

١٨ ﴿مثل﴾ صفة ﴿الذين كفروا بربهم﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿أعمالهم﴾ التي عملوها كصدقة وصلة في عدم الانتفاع بها ﴿كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه والمجرور خبر المبتدأ ﴿لا يقدرون﴾ اي الكفار ﴿مما كسبوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿على شيء﴾ اي لا يجدون له ثوابا لعدم شرطه وهو الايمان ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم أنهم على شيء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب واذا بعد الضلال فلا يرجى له الرجوع الى الهدى .

ثم رجع السياق الى موضوع السور من التذكير والارشاد فقال .

١٩ ﴿ألم تر﴾ تنظر يا مخاطب استفهام تقرير ﴿ان الله خلق السموات والارض بالحق﴾ متعلق بخلق ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ ايها الناس ﴿ويأت بخلق جديد﴾ بدلكم .

٢٠ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ شديد .

ولما ذكر اذهاب‌الله بالناس وابدالهم بخلق جديد نبه ان ذلك سهل عليه جعل المشهد كأنه حصل ومات الناس واقبروا وانتهت مدة مكثهم في البرزخ .

لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن
مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ
وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم
مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى
وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى
كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ
أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ

٢١ ﴿وبرزوا﴾ اي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه ﴿لله جميعا فقال الضعفاء﴾ الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ المتبوعين ﴿إنا كنا لكم تبعا﴾ جمع تابع ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون ﴿عنا من عذاب الله من شيء﴾ من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض ﴿قالوا﴾ اي المتبوعون ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ لدعوناكم الى الهدى ﴿سواء علينا أجزعنا ام صبرنا ما لنا من﴾ زائدة لتاكيد النفي ﴿محيص﴾ ملجأ .

٢٢ ﴿وقال الشيطان﴾ ابليس ﴿لما قضى الامر﴾ وادخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه ﴿ان الله وعدكم وعد الحق﴾ بالبعث والجزاء وصدقكم ﴿ووعدتكم﴾ أنه غير كائن ﴿فأخلفتكم وما كان لي عليكم من﴾ زائدة لتأكيد النفي ﴿سلطان﴾ حجة وقوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿الا﴾ لكن ﴿أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم﴾ على اجابتي ﴿ما انا بمصرخكم﴾ بمغيثكم ﴿وما انتم بمصرخي﴾ بفتح الياء وقرىء بكسرها ﴿اني كفرت بما اشركتمون﴾ باشراككم اياي مع الله ﴿من قبل﴾ في الدنيا قال الله ﴿ان الظالمين﴾ الكافرين ﴿لهم عذاب اليم﴾ مؤلم .

ثم ألحق في المشهد بعد ذكر حال الكفار ومحاورتهم بعضهم لبعض وخطبة ابليس لهم شرح احوال المؤمنين السعداء وما أعدلهم من الأجر الجزيل الدائم بقوله .

٢٣ ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين﴾ حال مقدرة ﴿فيها باذن ربهم تحيتهم فيها﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سلام﴾ اي سلام عليكم كما هو في بعض الآيات .

ثم عقب بمثالين لبيان شرح احوال « كلمة طيبة » وهي كلمة التوحيد واحوال « كلمة خبيثة » وهي كلمة الكفر فقال .

٢٤ ﴿ألم تر﴾ تنظر ايها الانسان ﴿كيف ضرب الله مثلا﴾ ويبدل منه ﴿كلمة طيبة﴾ اي لا اله الا الله وكل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة ﴿كشجرة طيبة﴾ هي النخلة ﴿اصلها ثابت﴾ في الارض ﴿وفرعها﴾ غصنها ﴿في السماء﴾ .

٢٥ ﴿تؤتي﴾ تعطي ﴿أكلها﴾ كل حين باذن ربها﴾ بارادته كذلك كلمة الايمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد الى السماء وبناله بركته وثوابه كل وقت ﴿ويضرب﴾ يبين ﴿الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون فيؤمنوا .

٢٦ ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر اي كل ما دل على الكفر من الكلام ﴿كشجرة خبيثة﴾ هي الحنظل ﴿اجتثت﴾ استؤصلت ﴿من فوق الارض ما لها من قرار﴾ مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لاثبات لها ولا فرع ولا بركة وفي الحقيقة تسميتها شجرة مجاز لان الشجرة ماله ساق والنجم ما لا ساق له وهذه من النجم بخلاف النخلة لها عروق وساق وفروع ولذلك شبهت كلمة الايمان بها فالتصديق عروقها والقول ساقها والعمل فروعها .

٢٧ ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ هي كلمة التوحيد ﴿في الحياة الدنيا﴾ اي فلا يزالون على دينهم اذا افتتنوا يأمنون فيها من الأسر والقتل وغير ذلك مما يعصمه الاسلام ﴿وفي الآخرة﴾ اي في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين ﴿ويضل الله الظالمين﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لا ندري كما في الحديث ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه .

٢٨ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿الى الذين بدلوا نعمت الله﴾ اي شكرها ﴿كفرا﴾ هم كفار قريش ﴿وأحلوا﴾ أنزلوا ﴿قومهم﴾ باضلالهم اياهم ﴿دار البوار﴾ الهلاك .

٢٩ ﴿جهنم﴾ عطف بيان ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿وبئس القرار﴾ المقر هي .

٣٠ ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ شركاء ﴿ليضلوا﴾ بضم الياء الناس وبفتحها بأنفسهم ﴿عن سبيله﴾ دين الاسلام ﴿قل﴾ لهم ﴿تمتعوا﴾ بدنياكم قليلا ﴿فان مصيركم﴾ مرجعكم ﴿الى النار﴾ فيه تهديد شديد لهم وتنبيه لمن يريد ان يقتدى بهم في أفعالهم هذه ثم عقب بالارشادات فقال .

٣١ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع﴾ فداء ﴿فيه ولا خلال﴾ مخالة اي صداقة تنفع . هو يوم القيامة ثم جاء ذكر

اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴿٢٦﴾ يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴿٢٧﴾
۞ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم
دار البوار ﴿٢٨﴾ جهنم يصلونها وبئس القرار ﴿٢٩﴾
وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن
مصيركم إلى النار ﴿٣٠﴾ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا
الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي
يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴿٣١﴾ الله الذي خلق السموات
والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات
رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره
وسخر لكم الأنهار ﴿٣٢﴾ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين

الله ووصفه باسم الموصول وذكر له سبع صلات تشتمل على عشرة ادلة على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته ليربط العبادة المأمور بها بالمعبود فقال .

٣٢ ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ
وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا
وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ
كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ
غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ
مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى
ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾

٣٣ ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ جاريين في فلكهما لا يفتران ﴿وسخر لكم الليل﴾ لتسكنوا فيه ﴿والنهار﴾ لتبتغوا فيه من فضله .

٣٤ ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ على حسب مصالحكم ﴿وان تعدوا نعمة الله﴾ بمعنى انعامه ﴿لا تحصوها﴾ لا تطيقوا عدها ﴿ان الانسان﴾ الكافر ﴿لظلوم كفار﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه .

ثم امر بذكر ابراهيم الشخصية المثالية في ربط النعم بشكر منعمها والاخلاص في عبادة الله وسبب النعم التي تتمتع بها قريش لعلهم يذكرون ويقتدون به فقال .

٣٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد﴾ مكة ﴿آمنا﴾ ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿واجنبني﴾ ابعدني ﴿وبني﴾ عن ﴿أن نعبد الاصنام﴾ .

٣٦ ﴿رب انهن﴾ اي الاصنام ﴿أضللن كثيرا من الناس﴾ بعبادتهم لها ﴿فمن تبعني﴾ على التوحيد ﴿فانه مني﴾ من أهل ديني ﴿ومن عصاني فانك غفور رحيم﴾ هذا قبل علمه انه تعالى لا يغفر الشرك .

٣٧ ﴿ربنا اني اسكنت من ذريتي﴾ اي بعضها وهو اسماعيل مع أمه هاجر ﴿بواد غير ذي زرع﴾ هو مكة ﴿عند بيتك المحرم﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة﴾ قلوبا ﴿من الناس تهوى﴾ تميل وتحن ﴿اليهم﴾ قال ابن عباس لو قال افئدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وقد فعل بنقل الطائف اليه .

٣٨ ﴿ربنا انك تعلم ما نخفى﴾ نسر ﴿وما نعلن وما يخفى على الله من﴾ زائدة ﴿شيء في الارض ولا في السماء﴾ يحتمل ان يكون من كلامه تعالى او كلام ابراهيم .

٣٩ ﴿الحمد لله الذي وهب لي﴾ اعطاني ﴿على﴾ مع ﴿الكبر اسماعيل﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿واسحاق﴾ ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿ان ربي لسميع الدعاء﴾ .

٤٠ ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة و﴾ اجعل ﴿من ذريتي﴾ من يقيمها وأتى بمن لإعـلام الله تعالى له أن منهم كفارا ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ المذكور.

٤١ ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل اسلمت امه وقرىء والدي مفردا وولدي ﴿وللمؤمنين يوم يقوم﴾ يثبت ﴿الحساب﴾ يوم يبدو ويظهر فيه الحساب وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة.

بعد ذكر ابراهيم الخليل ودعـائه الذي هو أصل النعم التي انعمها الله على قريش مما دعاهم به الى التذكر والرجوع الى الله تعالى هددهم بما يأتي ان استمروا على الكفر والعناد فقال.

٤٢ ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿انما يؤخرهم﴾ بلا عذاب ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ لهول ما ترى يقال شخص بصر فلان اي فتحه فلم يغمضه.

٤٣ ﴿مهطعين﴾ مسرعين حال ﴿مقنعي﴾ رافعي ﴿رؤسهم﴾ الى السماء ﴿لا يرتد اليهم طرفهم﴾ بصرهم ﴿وافئدتهم﴾ قلوبهم ﴿هواء﴾ خالية من العقل لفزعهم.

٤٤ ﴿وانذر﴾ خوف يا محمد ﴿الناس﴾ جميعا ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ هو يوم القيامة ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ كفروا منهم ﴿ربنا أخرنا﴾ بأن تردنا الى الدنيا ﴿الى أجل﴾ الدنيا ﴿قريب نجب دعوتك﴾ بالتوحيد ﴿ونتبع الرسل﴾ فيقال لهم توبيخا ﴿أولم تكونوا أقسمتم﴾ حلفتم ﴿من قبل﴾ في الدنيا ﴿مالكم من﴾ زائدة ﴿زوال﴾ عنها الى الآخرة.

٤٥ ﴿وسكنتم﴾ فيها ﴿في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر من الامم السابقة ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وضربنا﴾ بينا ﴿لكم الأمثال﴾ في القرآن فلم تعتبروا.

ثم التفت عنهم وعن خطابهم وذكر ما فعلوه بالنبي ﷺ بدل الايمان به من المكائد.

٤٦ ﴿وقد مكروا﴾ بالنبي ﷺ ﴿مكرهم﴾ حيث ارادوا قتله او تقييده أو اخراجه ﴿وعند الله مكرهم﴾ أي علمه أو جزاؤه ﴿وان﴾ ما ﴿كان مكرهم﴾ وان عظم ﴿لتزول منه الجبال﴾

رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ
إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ
هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ
وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ

اللام في لتزول لام الجحود والفعل منصوب بان مضمرة وجوبا بعدها المعنى لا يعبأ به ولا يضرون الا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها في القرار والثبات وفي قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فان مخففة والمراد تعظيم مكرهم. وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية «تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا» وعلى الاول ما قرىء شاذا وما كان مكرهم الخ.

ثم التفت الى النبي ﷺ مخاطبا له ومواسيا له عما يلاقيه من قومه ومواعدا له بالنصر عليهم فقال.

تخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام ﴿٤٧﴾
يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا
لله الواحد القهار ﴿٤٨﴾ وترى المجرمين يومئذ مقرنين
في الأصفاد ﴿٤٩﴾ سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم
النار ﴿٥٠﴾ ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع
الحساب ﴿٥١﴾ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا
أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب ﴿٥٢﴾

(١٥) سورة الحجر مكية
وآياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴿١﴾ ربما

٤٧ ﴿فلا تحسبن الله﴾ يا محمد ﴿مخلف وعده رسله﴾ بالنصر بل ينصرهم ﴿ان الله عزيز﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذو انتقام﴾ ممن عصاه .

٤٨ اذكر ﴿يوم تبدل الارض غير الارض والسموات﴾ هو يوم القيامة ليحشر الناس على أرض بيضاء نقيه كما في حديث الصحيحين وروى مسلم سئل النبي ﷺ أين الناس يومئذ قال على الصراط ﴿وبرزوا﴾ خرجوا من القبور ﴿لله الواحد القهار﴾ .

٤٩ ﴿وترى﴾ يا محمد تبصر ﴿المجرمين﴾ الكافرين ﴿يومئذ مقرنين﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿في الاصفاد﴾ القيود او الاغلال .

٥٠ ﴿سرابيلهم﴾ قمصهم ﴿من قطران﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وتغشى﴾ تعلو ﴿وجوههم النار﴾ .

٥١ ﴿ليجزي﴾ متعلق ببرزوا ﴿الله كل نفس ما كسبت﴾ من خير او شر ﴿ان الله سريع الحساب﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك .

٥٢ ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بلاغ للناس﴾ اي أنزل لتبليغهم ﴿ولينذروا به وليعلموا﴾ بما فيه من الحجج ﴿أنما هو﴾ اي الله ﴿اله واحد وليذكر﴾ بادغام التاء في الاصل في الذال يتعظ ﴿أولوا الالباب﴾ اصحاب العقول. وقد اشتملت هذه الآية على جميع ما مارسته هذه السورة من التوحيد والوحي والارشاد والتذكر والوعظ وقد ختمت بما بدأت به عند قوله «كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور» وفيها من المحسنات البديعة ما يسمونه برد العجز على الصدر والحمد لله رب العالمين على ما أنعم وأجزل .

﴿ سورة الحجر مكية ﴾

وعدد آياتها تسع وتسعون آية وموضوعها الرئيسي هو ابراز المصير المخوف الذي ينتظره الكافرون . ترجع كلها الى ذلك المحور الأصيل سواء في ذلك القصة ومشاهد الكون ومشاهد القيامة والتوجيهات والتعقيبات التي تسبق القصص وتتخللها وتعقب عليها .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن والاضافة بمعنى من ﴿وقرآن مبين﴾ مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة .

٢ ﴿ربما﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿يود﴾ يتمنى ﴿الذين كفروا﴾ يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين

يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ
أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى
نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا
عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

٣٣٨

﴿لو كانوا مسلمين﴾ وربَّ للتكثير فانه يكثر منهم تمني ذلك وقيل للتقليل فان الاهوال تدهشهم فلا يفيقون كي يتمنوا ذلك الا في أحيان قليلة .

٣ ﴿ذرهم﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يأكلوا ويتمتعوا﴾ بدنياهم ﴿ويلههم﴾ يشغلهم ﴿الأمل﴾ بطول العمر وغيره عن الايمان ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة أمرهم وهذا محكم لا ينسخ بالقتال فيه تهديد لأهل الاهواء واللهو .

٤ . ﴿وما اهلكنا من﴾ زائدة ﴿قرية﴾ أريد أهلها ﴿الا ولها كتاب﴾ أجل ﴿معلوم﴾ محدود لاهلاكها .

٥ ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ عنه .

٦ . ﴿وقالوا﴾ كفار مكة للنبي ﷺ ﴿ياايها الذي نزل عليه الذكر﴾ القرآن حسب زعمه ﴿انك لمجنون﴾ .

٧ ﴿لو ما﴾ هلا ﴿تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾ في قولك انك نبي وان هذا القرآن من عند الله قال تعالى .

٨ ﴿ما ننزل﴾ بالنون وقرىء بالياء فيه حذف احدى التاءين ﴿الملائكة الا بالحق﴾ بالوجه الذي قدره الله واقتضته حكمته وهو العذاب هنا ﴿وما كانوا اذاً﴾ اي حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿منظرين﴾ مؤخرين .

٩ . ﴿انا نحن﴾ تأكيد لاسم ان أو فصل ﴿نزلنا الذكر﴾ القرآن ﴿وانا له لحافظون﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص بخلاف الكتب المنزلة فقد دخل فيها التحريف والتبديل لان الله وكل حفظها للأحبار والربانيين والرهبان فبدلوها ولو كان موكـلا لحفظ العلماء لبدلوه كما بدل هؤلاء ولكن بحمد الله لم يفعل ذلك بل حفظه الله تعالى .

١٠ ﴿ولقد ارسلنا من قبلك﴾ رسلا ﴿في شيع﴾ الفرق ﴿الأولين﴾ والاضافة من قبيل اضافة الموصوف لصفته جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه وسموا شيعا لأنهم تركوا دينهم القويم وتفرقوا في طرق الضلال والبدع .

١١ ﴿وما﴾ كان ﴿يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ .

١٢ ﴿كذلك نسلكه﴾ اي مثل ادخالنا الاستهزاء الذي هو وليد التكذيب ﴿في قلوب﴾ اولئك ﴿المجرمين﴾ الكفار .

١٣ ﴿لا يؤمنون به﴾ الذكر والقرآن ﴿وقد خلت سنة الاولين﴾ اي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم انبياءهم وهؤلاء مثلهم .

١٤ ﴿ولو فتحنا عليهم﴾ اي لهم ﴿بابا من السماء فظلوا فيه﴾ في الباب ﴿يعرجون﴾ يصعدون .

لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ
ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ

١٥ ﴿لقالوا انما سكرت﴾ سدت والسكر ما يسد به الباب ﴿أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ اي سحر محمد عقولنا كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات اي فكأنه. سكرت أبصارنا لا عقولنا ونحن وان كنا نتخيل بأبصارنا هذه الاشياء كاننا نصعد وندخل السماء لكنا نعلم بعقولنا ان الحال بخلافه اي لا حقيقة له ثم قالوا بل نحن قوم مسحورون كأنهم أضربوا عن الحصر في الابصار وقالوا بل جاوز ذلك الى عقولنا بسحر صنعه لنا اي إن عدم ايمانهم ليس لعدم دلائله وليس يمنعهم عن الايمان ان الملائكة لا تنزل فصعودهم الى السماء اشد دلالة وألصق بهم من نزول الملائكة. انما هم قوم مكابرون بلا مبالاة بالحق الواضح.

ثم انهم اذا استمروا في طلب الآيات فلينظروا الى السماء.

١٦ ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا﴾ قيل منازل تسير فيها الكواكب السبعة وهي اثنا عشر عند المنجمين الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. والكواكب السبعة هي المريخ والزهرة والعطارد والقمر والشمس والمشتري وزحل فقالوا المريخ له الحمل والعقرب. والزهرة لها الثور والميزان. وعطارد الجوزاء والسنبلة. والقمر له السرطان. والشمس لها الأسد. والمشتري له القوس والحوت. والزهرة له الجدي والدلو. وانا اراها والله اعلم مجامع النجوم لان للنجوم مجامع وكل مجمع يحتوي على جملة من النجوم لا يعلم عددها الا الله الذي خلقها وكل مجموعة يدور بعضها حول بعض على نظام بديع وفي وظائف مختلفة تدل على باهر قدرته وحكمته تعالى في ذهن البصير ﴿وزيناها﴾ أي السماء بتلك الكواكب في رؤية العين ﴿للناظرين﴾ لكل من ينظر ويرى ما في السماء من كثرتها ولمعانها وانتشارها في كل ناحية من نواحي السماء وكبر حجمها وسرعة سيرها وتقلبها بين افلاكها مع توازنها في أماكنها وعدم تساقط بعضها على بعض.

١٧ ﴿وحفظناها﴾ اي السماء بالشهب ﴿من كل شيطان رجيم﴾ مرجوم اي يدخل الشيطان في السماء فيدنسها بكفره فهي مطهرة من الشرك لا يعبد فيها غير الله تعالى.

١٨ ﴿الا﴾ لكن ﴿من استرق السمع﴾ حفظه من الجن ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ اي لحقه كوكب أي سنان أو شعلة منه يضيء يحرقه أو يثقبه أو يخبله وذلك ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات فيدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات بأجمعها ثم صاروا يسترقون السمع اي المسموع فيرمون بالشهب.

١٩ ﴿و﴾ خلقنا آية أخرى ﴿الارض مددناها﴾ وسعناها حتى انها تراها العيون مبسوطه ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالا ثوابت لئلا تتحرك وتخسف بأهلها ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ معلوم مقدر عند الله فيعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس.

٢٠ ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ بالياء من الثمار والحبوب ﴿و﴾ جعلنا لكم ﴿من لستم له برازقين﴾ من العبيد والدواب والانعام فانما يرزقهم الله فتنتفعون بهم فهذا من غاية الامتنان وآية ظاهرة لهم تدل على من سخرها لهم مع انهم يشاركونهم في الانسانية والعقل وربما يكونون اقوى منهم جسما وانفذ عقلا مع ذلك سخرهم الله لهم.

وآية اخرى تدل على وجود الله قوله.

٢١ ﴿وان﴾ ما ﴿من﴾ زائدة لتاكيد النفي ﴿شيء الا عندنا خزائنه﴾ كيانه محفوظة ﴿وما ننزله الا بقدر معلوم﴾ على حسب المصالح اذ لو نزل مرة واحدة لامتنع انتفاعكم به فينزل بقدر مصلحتكم فيه ثم مثل كيفية انزال الأشياء على قدر الحاجة فقال.

٢٢ ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ تلقح الأشياء بحيث لا تأتي

مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ
مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا
سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾
فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ
أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ
أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ
خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾
قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ
رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

٣٤٠

بقوة تفسدها وهي كثيرة عند الله ولا يرسل الا ما يلقح ويلد الاشياء بقدر الرغبات ومما يتسبب في تلقيح الرياح السحاب ﴿فانزلنا من السماء﴾ السحاب لانه في سماء الارض ﴿ماء﴾ مطرا ﴿فاسقيناكموه﴾ اي صالحا للسقيا وما انزلناه جبالا يكسر بيوتكم ويهلك منافعكم ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ اي ليست خزائنه بأيديكم هذا فيما ترونه وتحسونه فما بالكم بما لا تحسونه كما اشار اليه بقوله .

٢٣ ﴿وانا لنحن نحيي ونميت﴾ نداولهما في اجسامكم تعرفونهما ولا تحسونهما الا بعلاماتهما ﴿ونحن الوارثون﴾ اي الباقون نرث جميع الخلق ثم ان الحياة والممات لم يتركا بلا قيد .

٢٤ ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ اي من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ المتأخرين الى يوم القيامة .

٢٥ ﴿وان ربك هو يحشرهم انه حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه اي صفتا الحكمة والعلم كاملتان ومن ادلتهما خلق الانسان والجان واليه اشار تعالى بقوله .

٢٦ ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ آدم ﴿من صلصال﴾ طين يابس يسمع له صلصلة اي صوت اذا نقر ﴿من حمأ﴾ طين اسود ﴿مسنون﴾ متغير اي لم يجعل الحياة فيه الا آخر مرحلة حيث خرج عن حال الحياة اذ اليابس من الطين أبعد من الطين الرطب المتغير ومع ذلك لم يجعل انسانا الا بعد ان ييبس الطين وصار صلصالا وهذا مما يزيد العاقل دهشة في امر الله تعالى .

٢٧ ﴿والجان﴾ ابا الجن وهو ابليس ﴿خلقناه من قبل﴾ اي قبل خلق آدم ﴿من نار السموم﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ في المسام وعن ابي صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي تكون بين السماء وبين الحجاب فاذا احدث الله أمرا خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب قلت والله اعلم لعله يقصد الكهرباء .

بعد ان ذكر خلق الانسان من طين بعد خلق الجان من نار السموم ذكر كيفية ذلك وكيف حصلت العداوة بين الجنسين فقال .

٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون﴾ .

٢٩ ﴿فاذا سويته﴾ أتممته ﴿ونفخت﴾ أجريت ﴿فيه من روحي﴾ فصار حيا واضافة الروح اليه تشريفا لآدم وبيان لخلق عيسى فلا فرق بين روحيهما وروح باقي بني آدم وانما الشرف في النبوة وقد شاركهما فيها غيرهما ﴿فقعوا له ساجدين﴾ سجود تحية بالانحناء او السجود الحقيقي وكان جائزا بأمر من الله وآدم قبلة تشريفا له .

٣٠ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ فيه تأكيدان .

٣١ ﴿الا ابليس﴾ هو ابو الجن كان بين الملائكة ﴿أبى﴾ امتنع ﴿ان يكون مع الساجدين﴾ .

٣٢ ﴿قال﴾ تعالى ﴿يا ابليس مالك﴾ ما عذرك في ﴿أن لا تكون مع الساجدين﴾ .

٣٣ ﴿قال لم أكن لأسجد﴾ لا ينبغي لي ان اسجد ﴿لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون﴾ .

٣٤ ﴿قال فاخرج منها﴾ اي من الجنة الفاء في جواب شرط مقدر اي فحيث عصيت وتكبرت فاخرج منها ﴿فانك رجيم﴾ مطرود .

٣٥ ﴿وان عليك اللعنة الى يوم الدين﴾ الجزاء ويوم الدين آخر اللعنة لأنه آخر التكليف .

٣٦ ﴿قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون﴾ اي الناس يقصد ان لا يموت أبدا لانه اذا امهل الى يوم البعث الذي هو وقت النفخة الثانية لا يموت بعد ذلك لانقطاع الموت من حين النفخة الاولى فعلم انه اذا امهل الى يوم البعث امهل الى الابد فاجابه اليه تعالى .

٣٧ ﴿قال فانك من المنظرين﴾ .

(سـورة الحجـر)

أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا
صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ
جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ
وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾
وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا
سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ

٣٤١

٣٨ ﴿الى يوم الوقت المعلوم﴾ وقت النفخة الاولى .

٣٩ ﴿قال رب بما أغويتني﴾ اي باغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لأزينن لهم في الارض﴾ المعاصي والشرك ﴿ولأغوينهم اجمعين﴾ ثم استثنى من يعرف انه لا يستطيع ان يغويهم فقال .

٤٠ ﴿الا عبادك منهم المخلصين﴾ اي المؤمنين الذين خلصتهم من حبائلي .

٤١ ﴿قال﴾ تعالى ﴿هذا صراط علي مستقيم﴾ اشارة الى ان الايمان بالوحدانية والعمل بمقتضاه هو الصراط الذي لا يعارضه الشيطان على من يمسك به وفيه النجاة من حبائل الشيطان قال الله تعالى .

٤٢ ﴿ان عبادي﴾ اي المؤمنين ﴿ليس لك﴾ يا ابليس ﴿عليهم سلطان﴾ قوة ﴿الا﴾ لكن ﴿من اتبعك من الغاوين﴾ الكافرين . ظاهر هذه المحاورة بين الله تعالى وبين ابليس يقتضي ان الله تعالى تكلم معه بغير واسطة وان قيل ان مكالمة الله تعالى بغير واسطة من اعظم المناصب واشرف المراتب فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة فالجواب ان مكالمة الله انما تكون منصبا عاليا اذا كانت على سبيل الاكرام والاعظام واما اذا كانت على سبيل الإهانة والطرد فلا ثم ذكر مرجع أتباع الشيطان فقال تعالى .

٤٣ ﴿وان جهنم لموعدهم أجمعين﴾ اي من اتبعك يا ابليس معك .

٤٤ ﴿لها سبعة ابواب﴾اطباق﴿لكل باب﴾منها﴿منهم جزء﴾ نصيب ﴿مقسوم﴾ اول الاطباق جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولكل دركة قوم يسكنونها والمعنى الله يجزيء أتباع ابليس سبعة أجزاء لان مراتب الكفر مختلفة قال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون . ثم ذكر من يقابل أتباع ابليس وهم المتقون الذين امتثلوا اوامر الله واجتنبوا نواهيه وجزاءهم فقال .

٤٥ ﴿ان المتقين في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ تجري فيها ويقال لهم .

٤٦ ﴿ادخلوها بسلام﴾ اي سالمين من كل مخوف او مع سلام اي سلموا وادخلوا ﴿آمنين﴾ من كل فزع ومن زوال هذا النعيم .

٤٧ ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ حقد كامن في صدورهم وكل خصال ذميمة روى أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد ﴿اخوانا﴾ حال من ضمير صدورهم ﴿على سرر متقابلين﴾ حال ايضا لا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الأسرة بهم .

٤٨ ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ تعب ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ أبدا .

ثم بعد ان ذكر وصف مصيري اهل النار واهل الجنة وما يرغب عن الاولى وما يرغب في الثانية امر تعالى رسوله ﷺ ان يواجه الناس ويخبرهم عن ربهم ليزيد الترغيب في تلبية دعوته والتنفير عن مخالفته فقال .

٤٩ ﴿نبيء﴾ خبر يا محمد ﴿عبادي اني انا الغفور﴾ للمؤمنين ﴿الرحيم﴾ بهم .

٥٠ ﴿وأن عذابي﴾ للعصاة ﴿هو العذاب الاليم﴾ المؤلم .

الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن
مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾
قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ
الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ
ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾
وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ

٥١ ﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم﴾ وهم ملائكة اثنا عشر او عشرة او ثلاثة منهم جبريل .

٥٢ ﴿اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ اي هذا اللفظ ﴿قال﴾ ابراهيم عليه السلام لما عرض عليهم الاكل فلم يأكلوا ﴿إنا منكم وجلون﴾ خائفون .

٥٣ ﴿قالوا لا توجل﴾ تخف ﴿إنا﴾ رسل ربك ﴿نبشرك بغلام عليم﴾ ذي علم كثير هو اسحاق كما ذكر في هود .

٥٤ ﴿قال أبشرتموني﴾ بالولد ﴿على ان مسني الكبر﴾ حال اي مع مسه اياي ﴿فبم﴾ فبأي شيء ﴿تبشرون﴾ استفهام تعجب او انكار .

٥٥ ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بالصدق ﴿فلا تكن من القانطين﴾ اليائسين .

٥٦ ﴿قال ومن يقنط﴾ بفتح النون وقرىء بكسرها ﴿من رحمة ربه الا الضالون﴾ الكافرون فهذا يدل على ان تعجب ابراهيم عليه السلام كان باعتبار العادة من وجود ولد من شيخ وعجوز دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى فلما علم انهم جادون سألهم عن سبب مجيئهم .

٥٧ ﴿قال فما خطبكم﴾ شأنكم ﴿أيها المرسلون﴾ .

٥٨ ﴿قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين﴾ كافرين اي قوم لوط لاهلاكهم .

٥٩ ﴿الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين﴾ لايمانهم .

٦٠ ﴿الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين﴾ الباقين في العذاب لكفرها . هنا آخر قصة الضيوف مع ابراهيم فمرورهم على ابراهيم توطئة لقصتهم مع لوط وقومه وفائدة التوطئة البشارة للمؤمنين بان الله ينخرق العادة بالايمان وان ما اصاب مؤمنا من خير او غيره يشاركه فيه مؤمن آخر .

ثم تقدمت الملائكة الرسل بسيرهم الى قرى قوم لوط .

٦١ ﴿فلما جاء آل لوط﴾ اي لوط ﴿المرسلون﴾ .

٦٢ ﴿قال﴾ لهم ﴿انكم قوم منكرون﴾ لا اعرفكم .

٦٣ ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا﴾ اي قومك ﴿فيه يمترون﴾ يشكون وهو العذاب .

٦٤ ﴿وأتيناك بالحق﴾ بالامر المتقين ﴿وانا لصادقون﴾ في قولنا

٦٥ ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم﴾ امش خلفهم ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ وهو الشام فخرج هو وبنتاه فلم يخرج من قريته الا هو وبنتاه وطوى الله لهم الارض في وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم .

٦٦ ﴿وقضينا اليه﴾ اوحينا اليه ﴿ذلك الامر﴾ وهو ﴿ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ حال اي يتم استئصالهم في الصباح .

٦٧ ﴿وجاء أهل المدينة﴾ مدينة سذوم وهم قوم لوط لما اخبروا ان في البيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة ﴿يستبشرون﴾ حال طمعا في فعل الفاحشة بهم .

ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾
قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن
كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ
أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا

٦٨ ﴿قال﴾ لوط ﴿ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ .

٦٩ ﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ بقصدكم اياهم بفعل الفاحشة بهم .

٧٠ ﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ عن اضافتهم .

٧١ ﴿قال هؤلاء بناتي﴾ اي نساء القرية لأنهم بناته ﴿ان كنتم فاعلين﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن قال تعالى .

٧٢ ﴿لعمرك﴾ خطاب للنبي ﷺ اي وحياتك في الدر المنثور للشيخ جلال الدين السيوطي اخرج ابن مردويه عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : ما حلف الله بحياة أحد الا بحياة محمد ﷺ قال لعمرك ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ يترددون .

٧٣ ﴿فاخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ وقت شروق الشمس .

٧٤ ﴿فجعلنا عاليها﴾ اي قراهم ﴿سافلها﴾ بأن رفعها جبريل الى السماء وأسقطها مقلوبة الى الارض ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ طين طبخ بالنار .

٧٥ ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ دلالات على ان مصير من يخالف أمر الله العذاب الشديد الصارم ﴿للمتوسمين﴾ للناظرين المعتبرين .

٧٦ ﴿وانها﴾ اي قرى قوم لوط ﴿لبسبيل مقيم﴾ طريق قريش الى الشام لم تندرس أفلا يعتبرون بهم .

٧٧ ﴿ان في ذلك لآية﴾ لعبرة ﴿للمؤمنين﴾ اي كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسل عرف ان ذلك انما لانتقام الله من الجهال لاجل مخالفتهم واما الذين لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم وحصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية ولقد جمع الله الايات أولا باعتبار تعدد ما قص من حديث لوط وضيف ابراهيم وتعرض قوم لوط لهم وما كان من اهلاكهم وقلب المدائن على من فيها وامطار الحجارة على من غاب عنها ووحدها ثانيا باعتبار وحدة قرية قوم لوط المشار اليها بقوله وانها لبسبيل مقيم فلا يرد كيف جمع الآية أولا ووحدها ثانيا والقصة واحدة . ففي القصة سرعة الانتقام وسوء المصير لمن كفر بآيات الله وخرج بذلك عن دائرة الانسانية الى مشاركة الحيوان في الوقاحة وعدم الحياء في ارتكاب ما حرم الله سبحانه وتعالى .

ثم شرع في قصة شعيب وذكرت مختصرة لان المقصود هنا اشارة الى سرعة الانتقام وسوء مصير من كفر بآيات الله فقال

٧٨ ﴿وان﴾ مخففة من الثقيلة اي إنه ﴿كان أصحاب الايكة﴾ هي غيضة شجر بقرب المدينة وهم قوم شعيب ﴿لظالمين﴾ بتكذيبهم شعيبا .

٧٩ ﴿فانتقمنا منهم﴾ بأن اهلكناهم بشدة الحر ﴿وانهما﴾ أي قوم لوط والأيكة ﴿لبإمام﴾ طريق ﴿مبين﴾ واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة ويقتدي بكم غيركم ؟ .

ثم شرع في قصة صالح بالاختصار فقال .

٨٠ ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر﴾ واد بين المدينة والشام وهو مكان ثمود ﴿المرسلين﴾ بتكذيبهم صالحا لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد .

٨١ ﴿وآتيناهم آياتنا﴾ في الناقة ﴿فكانوا عنها معرضين﴾ لا يتفكرون فيها .

٨٢ ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين﴾ .

٨٣ ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ وقت الصباح .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ
ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ
مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩
كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ
عِضِينَ ٩١ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٩٣ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ
يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦ وَلَقَدۡ
نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ

٨٤ ﴿فما أغنى﴾ دفع ﴿عنهم﴾ العذاب ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من بناء الحصون وجمع الاموال .

ثم عقب على القصة فقال اما الاموال فهي عندنا .

٨٥ ﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق﴾ بحقنا فمن طلبه من غيرنا فلن يجده ﴿وان الساعة لآتية﴾ لا محالة فيجازي كل أحد بعمله ﴿فاصفح﴾ يا محمد عن قومك ﴿الصفح الجميل﴾ اعرض عنهم اعراضا لاجزع فيه اي ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم ليظهر الخلق الحسن والعفو والصفح .

٨٦ ﴿ان ربك هو الخلاق﴾ لكل شيء ﴿العليم﴾ بكل شيء .

٨٧ ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ فهي خير من الأموال قال ﷺ هي الفاتحة رواه الشيخان لانها تثنى في كل ركعة ﴿والقرآن العظيم﴾ وهو من عطف الكل على البعض .

٨٨ ﴿لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا﴾ اصنافا ﴿منهم ولا تحزن عليهم﴾ ان لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك﴾ ألن جانبك وهي كناية عن حسن التدبير والشفقة من خفض الطائر جناحه على الفروخ وضمها اليه ﴿للمؤمنين﴾ .

٨٩ ﴿وقل اني انا النذير﴾ من عذاب الله ان ينزل عليكم ﴿المبين﴾ المبين الانذار .

٩٠ ﴿كما انزلنا﴾ الانذار ﴿على المقتسمين﴾ الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الاسلام

٩١ و﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أجزاء قال بعضهم انه سحر وبعضهم كهانة وبعضهم شعر وقيل آمنوا بما وافقهم وكفروا بما لم يوافقهم قال مقاتل والفراء هم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا اعقاب مكة وانقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة فانه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن وسموا المقتسمين لأنهم اقتسموا الطرق فأماتهم الله شر ميتة وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد فاذا سألوه عن النبي ﷺ قال صدق أولئك قال الله تعالى .

٩٢ ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ سؤال توبيخ .

٩٣ ﴿عما كانوا يعملون﴾ من الاستهزاء بك .

٩٤ ﴿فاصدع﴾ يا محمد ﴿بما تؤمر﴾ أي اجهر به وامض في التفريق بين الحق والباطل أمر النبي ﷺ في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من ارسل اليهم ولا يبالي باستهزاء مستهزىء وهو قوله ﴿وأعرض عن المشركين﴾ المستهزئين بك .

٩٥ ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾ بك باهلاكنا منهم بآفة وقد اشتهر منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث .

٩٦ ﴿الذين يجعلون مع الله الها آخر﴾ صفة ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة امرهم .

٩٧ ﴿ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من الاستهزاء والتكذيب .

رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ
يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

(١٦) سُورَةُ النَّحْلِ مَكِّيَّة
وآياتها ثمان وعشرون ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ

٩٨ ﴿فسبح بحمد ربك﴾ اي قل سبحان الله وبحمده ﴿وكن من الساجدين﴾ المصلين .

٩٩ ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ الموت .

﴿ سورة النحل ﴾

مكية مائة وثمان وعشرون آية وتسمى سورة النعم لكثرة تعداد نعم الله فيها وموضوعها الرئيسي الدلالة على انه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار منزه عن النقائص وانه يبدي حكمته في جميع الاشياء العلوية والسفلية والعاقلة وغيرها جليلها وحقيرها مع الامتنان للناس فيها كما سيظهر الكلام عليها في محلاتها إن شاء الله .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿أتى امر الله﴾ اي مقدماته وأوائله وهو نصر رسول الله ﷺ ﴿فلا تستعجلوه﴾ تطلبوه قبل حينه فانه واقع لا محالة واستعجالهم له يدل على عدم مبالاتهم بالانذار واستمرارهم على شركهم بالله ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ اي تنزيها له عما يشركون به غيره .

٢ ﴿ينزل الملائكة﴾ اي جبريل ﴿بالروح﴾ بالوحي اذ به احياء القلوب من الجهالات ﴿من امره﴾ بارادته ﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم الانبياء ﴿ان﴾ مفسرة ﴿أنذروا﴾ خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿انه لا اله الا أنا فاتقون﴾ خافون وامتثلوا اوامري .

٣ ﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ ولم يشارك احد فيهما مما يدل على تنزهه عن شريك ﴿تعالى﴾ الله ﴿عما يشركون﴾ به من بعض مخلوقاته في السموات والارض اي والذي خلق السموات والارض كيف يكون له شريك .

٤ ﴿خلق الانسان من نطفة﴾ مني الى ان صيره قويا شديدا ﴿فاذا هو خصيم﴾ شديد الخصومة ﴿مبين﴾ بين الخصومة في انكار امر الله قائلا في نفي البعث مثلا من يحيي العظام وهي رميم ولو تفكر في خلقه لصدق امر الله بدون نزاع .

٥ ﴿والأنعام﴾ الابل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره ﴿خلقها لكم﴾ في جملة الناس ﴿فيها دفء﴾ ما تستدفئون به من الكساء والرداء من أشعارها وأصوافها واوبارها ﴿ومنافع﴾ من النسل والدر والركوب ﴿ومنها تأكلون﴾ قدم الظرف للفاصلة .

٦ ﴿ولكم فيها جمال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردونها الى مراحها بالعشي ﴿وحين تسرحون﴾ تخرجونها الى المرعى بالغداة .

٧ ﴿وتحمل أثقالكم﴾ احمالكم ﴿الى بلد لم تكونوا بالغيه﴾ واصلين اليه على غير الابل ﴿الا بشق الانفس﴾ بجهادها ﴿ان ربكم لرؤف رحيم﴾ بكم حيث خلقها لكم .

٨ ﴿و﴾ خلق ﴿الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ مفعول له والتعليل بهما لتعريف الامتنان المقصود بها اذ الحكم لا يترك الامتنان بأجل النعم وهو الاكل و يمن بادناها وهو ما ذكر لها ومنفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فهي اولى بالذكر أولا لو كانت مباحة ثم يعطف عليها غيرها كما صنع في ذكر الأنعام على هذا مالك وابو حنيفة وعليه قول ابن عباس وقيل التعليل بالركوب والزينة لا ينافي خلقها لغير ذلك كالاكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين وعليه الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه أخرجه البخاري ومسلم . وروى الشيخان عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في لحوم الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحوش ونهى النبي ﷺ عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل . قلت ورأي الاكل للحوم الخيل عندي أصوب لانه نص ظاهر لا يمكن ان يقال انه منسوخ بالآية لأن السورة مكية وهذا الحكم مدني وفي آخر حياته ﷺ وقد فرق فيه بين لحوم الخيل ولحوم البغال والحمير مع انها مذكورة في الآية الواحدة وعمله ﷺ شرح لما انبهم من معاني القرآن اذ هو المرجع الوحيد في هذا الشأن وذكر الركوب والزينة في الآية اعظم من الاكل فيما يختص بالخيل اذ ركوبها يأتي بفوائد كثيرة للاكل ولغيره فناسب ما هو أهم فيها وهو الركوب والزينة

ثم عقب على ما مضى وقال ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من الاشياء العجيبة الغريبة من الحيوانات وغيرها .

٩ ﴿وعلى الله﴾ بيان ﴿قصد السبيل﴾ طريق الهدى من الضلالة وهو الاسلام ﴿ومنها﴾ اي السبل ﴿جائر﴾ حائد عن

وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا
بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٧
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ٨ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ٩ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنبِتُ لَكُم بِهِ
الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

٣٤٦

الاستقامة مثل النصرانية واليهودية وسائر ملل الكفر ﴿ولو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهداكم﴾ الى قصد السبيل ﴿أجمعين﴾ فتهتدون اليه باختيار منكم ولكن لم يشأ ذلك فكان الامر كما ذكر لحكمة يعلمها هو تعالى .

ثم شرع في بيان نعم أخرى لم تكن من الحيوان بدأ بذكر المطر والماء وقال .

١٠ ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ تشربونه ﴿ومنه شجر﴾ ينبت بسببه ﴿فيه تسيمون﴾ ترعون دوابكم .

١١ ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ مما فيه تغذية وتفكه أو تغذية فقط او تفكه فقط ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ دالة على كمال علمه وحكمته تعالى ﴿لقوم يتفكرون﴾ في صنعه فيؤمنون لأن من نظر في انبات

يذكرون ﴿١٣﴾ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما
طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك
مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴿١٤﴾
وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا
لعلكم تهتدون ﴿١٥﴾ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴿١٦﴾
أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴿١٧﴾ وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴿١٨﴾ والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴿١٩﴾ والذين يدعون من
دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ﴿٢٠﴾ أموات غير
أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴿٢١﴾ إلهكم إله
واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون ﴿٢٢﴾ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون

النبات بالماء فيرى الحبة اذا وضعت في الارض الرطبة بالماء تنتفخ وينشق اعلاها فيصعد منه شجرة الى الهواء واسفلها تغوص منه عروق في الارض ثم ينمو الأعلى ويقوى وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار على اجسام مختلفة الطباع والطعوم والالوان والروائح والأشكال والمنافع فمن تفكر في ذلك علم ان من هذه الاشياء فعله وآثاره لا يشبه شيء في شيء من صفاته وانه ظاهر لعين البصيرة فيؤمن به .

ثم ذكر تسخيره الاشياء لفائدة الانسان فقال .

١٢ ﴿و﴾ هو الذي ﴿سخر لكم الليل والنهار والشمس﴾ بالنصب عطفا على ما قبله وقرىء بالرفع مبتدأ ﴿والقمر﴾ على الوجهين ﴿والنجوم﴾ بالرفع مبتدأ وقرىء بالنصب عطفا على ما قبله ﴿مسخرات﴾ بالرفع خبر للنجوم فقط او للشمس وعطف عليها وبالنصب حال ﴿بأمره﴾ ارادته ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون .

١٣ ﴿و﴾ سخر لكم ﴿ما ذرأ﴾ خلق ﴿لكم في الارض﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مختلفا ألوانه﴾ كأحمر وأصفر واخضر وغيرها ﴿ان في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ يتعظون

١٤ ﴿وهو الذي سخر البحر﴾ ذلله للركوب والغوص فيه ﴿لتأكلوا منه لحما طريا﴾ هو السمك ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وترى﴾ تبصر ﴿الفلك﴾ السفن ﴿مواخر فيه﴾ تمخر الماء اي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ولتبتغوا﴾ عطف على لتأكلوا تطلبوا ﴿من فضله﴾ تعالى بالتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على ذلك

١٥ ﴿وألقى في الارض رواسي﴾ جبالا ثوابت ﴿ان﴾ لا ﴿تميد﴾ تتحرك ﴿بكم و﴾ جعل فيها ﴿انهارا﴾ كالنيل ﴿وسبلا﴾ طرقا ﴿لعلكم تهتدون﴾ الى مقاصدكم

١٦ ﴿وعلامات﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وبالنجم﴾ بمعنى النجوم ﴿هم يهتدون﴾ الى الطرق والقبلة بالليل .

١٧ ﴿أفمن يخلق﴾ وهو الله ﴿كمن لا يخلق﴾ وهو الاصنام حيث تشركونها معه في العبادة ﴿أفلا تذكرون﴾ هذا فتؤمنوا .

١٨ ﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ تضبطوها فضلا ان تطيقوا شكرها ﴿ان الله لغفور رحيم﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم ولم يقطعها ايضا بهما .

ويبين فيما يأتي احاطة علمه تعالى بجميع الأشياء فقال .

١٩ ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ .

٢٠ ﴿والذين تدعون﴾ بالتاء وقرىء بالياء اي تدعونهم لتعبدوهم ﴿من دون الله﴾ من الالهة ﴿لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ يصورون من الحجارة وغيرها .

٢١ ﴿أموات غير احياء﴾ تأكيد ﴿وما يشعرون﴾ الالهة ﴿ايان﴾ وقت ﴿يبعثون﴾ مع الخلق في البعث فكيف يعبدون اذ لا يكون الها الا الخالق الحي العالم بالغيب .

٢٢ ﴿الهكم﴾ المستحق للعبادة ﴿اله واحد﴾ لا نظير له في ذاته ولا صفاته وهو الله تعالى ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وهم مستكبرون﴾ متكبرون عن الايمان به .

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ
رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ
عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن
فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ
وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ
بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

٣٤٨

٢٣ ﴿لا جرم﴾ حقا ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ فيجازيهم بذلك ﴿انه لا يحب المستكبرين﴾ بمعنى انه يعاقبهم قال العلماء وكل ذنب يمكن ستره واخفاؤه الا التكبر فانه فسق يلزمه الاعلان وهو اصل العصيان كله قال رسول الله ﷺ «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل في كل مكان ... الحديث» حسنه الترمذي فتصغر لهم اجسامهم في الحشر حين يضرهم تصغيرها وتعظم لهم .في النار حين يضر هم عظمها .

ثم ذكر حال المتكبرين بالنسبة للوحي اذا سئلوا عنه فقال .

٢٤ ﴿واذا قيل لهم﴾ اي المتكبرين مثل النضر بن الحرث ﴿ماذا﴾ إستفهامية وذا موصولة وصلته ﴿انزل ربكم﴾ على محمد ﴿قالوا﴾ هو ﴿اساطير﴾ اكاذيب ﴿الاولين﴾ اضلالا للناس اي ما يقوله محمد اساطير الاولين ولم ينزل عليه شيء ولذلك لم ينصبوا أساطير ورفعوه على أنه خبر مبتدأ اي قالوا : كلامه أساطير الاولين .

٢٥ ﴿ليحملوا﴾ في عاقبة الامر ﴿اوزارهم﴾ ذنوبهم ﴿كاملة﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يوم القيامة ومن﴾ بعض ﴿أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الاثم ﴿الا﴾ للتنبيه ﴿ساء﴾ بئس ﴿ما يزرون﴾ يحملون حملهم هذا .

٢٦ ﴿قد مكر الذين﴾ استكبروا عن الايمان ﴿من قبلهم﴾ قريش وامثالهم ممن يتكبر الآن مثل نمروذ بن كنعان الجبار وكان اعظم اهل الارض تجبرا في زمن ابراهيم عليه السلام بنى صرحا طويلا ليصعد منه الى السماء ليقاتل اهلها ﴿فأتى الله﴾ قصد ﴿بنيانهم من القواعد﴾ الاساس فارسل عليه الريح والزلزالة فهدمتها ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ اي وهم تحته ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من جهة لا تخطر ببالهم وهو تمثيل لافساد ما ابرمه المستكبرون من المكر بالرسل وسواء كان هناك من ينساق فبلا اولا ولا يختص بنمروذ فكل من يمكر للدين فان هذا عاقبته بأخذه الله من حيث لا يعلم .

٢٧ ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يذلهم ﴿ويقول﴾ لهم الله على لسان الملائكة توبيخا ﴿أين شركائي﴾ بزعمكم ﴿الذين كنتم تشاقون﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فيهم﴾ في شأنهم ﴿قال﴾ اي يقول ﴿الذين أوتوا العلم﴾ من الانبياء والمؤمنين ﴿ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين﴾ يقولونه شماتة بهم .

٢٨ ﴿الذين تتوفاهم﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بالكفر ونصب ظالمي على الحال من المفعول في تتوفاهم ﴿فألقوا السلم﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ شرك في اعتقادنا فتقول الملائكة ﴿بلى﴾ اي كنتم تعملون السوء ﴿ان الله عليم بما كنتم تعملون﴾ وانه مجازيكم به ويقال لهم .

٢٩ ﴿فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبس مثوى﴾ مأوى ﴿المتكبرين﴾ عن الايمان وهذا بيان سوء عاقبة التكبر اعاذنا الله منه بمنه وكرمه .

ثم تقدم في ذكر الفريق الآخر فريق المتواضعين الذين آمنوا واتبعوا ما انزل الله على رسلهم فقال .

* وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ
وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ
يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ
كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ
وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ

٣٠ ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ الشرك ﴿ماذا انزل ربكم قالوا﴾ انزل ربنا ﴿خيرا﴾ اي اثبتوا إنزال الوحي ﴿للذين احسنوا﴾ بالايمان الجملة بدل من خيرا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ حياة طيبة ﴿ولدار الآخرة﴾ الجنة ﴿خير﴾ من الدنيا وما فيها قال تعالى فيها ﴿ولنعم دار المتقين﴾ هي .

٣١ ﴿جنات عدن﴾ اقامة مبتدأ خبره ﴿يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك﴾ الجزاء ﴿يجزي الله المتقين﴾ .

٣٢ ﴿الذين﴾ نعت ﴿تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ طاهرين من الكفر ﴿يقولون﴾ لهم عند الموت ﴿سلام عليكم﴾ في الدر المنثور ما اخرجه مالك وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن محمد بن كعب القرطبي قال : اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاء ملك فقال السلام عليك يا ولي الله يقرأ عليه السلام ويبشره بالجنة ويقال لهم في الآخرة ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ وقيل السلام في الآخرة ولذلك جاء بعده « ادخلوا الجنة » فهو من قول خزنة الجنة .

وبعد ان ذكر المتكبر عن الايمان واحوال المؤمنين ومرجع كل فريق منهما التفت السياق الى الكفار فقال تعالى .

٣٣ ﴿هل ينظرون﴾ الكفار ﴿الا أن تاتيهم﴾ وقرىء بالياء ﴿الملائكة﴾ لقبض ارواحهم ﴿او يأتي أمر ربك﴾ العذاب او القيامة المشتملة عليه ﴿كذلك﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ من الامم كذبوا رسلهم فاهلكوا ﴿وما ظلمهم الله﴾ باهلاكهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر .

٣٤ ﴿فاصابهم سيئات ما عملوا﴾ اي جزاؤها ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ اي العذاب .

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا
عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ
لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ
كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

٣٥ ﴿وقال الذين اشركوا﴾ من اهل مكة وان كان الحكم عاما لجميع الكفار فانهم يستدلون بالصدق ليتوصلوا به الى الباطل ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ من البحائر والسوائب فاشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ اي كذبوا رسلهم فيما جاوا به اذ حجتهم هذه ان ما يفعلونه انما هو بمشيئة الله فهو راض به ينتج منها ابطال بعث الرسل ﴿فهل﴾ فما ﴿على الرسل الا البلاغ المبين﴾ الا البلاغ البين وليس عليهم هداية .

٣٦ ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ كما بعثناك الى هؤلاء رغم انف من يريد ان يبطل بعث الرسل فقال الرسل لأممهم ﴿أن﴾ ﴿اعبدوا الله﴾ وحده ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ الشيطان ان تعبدوه بارتكاب ما يدعوكم اليه مما نهي عنه شرعا فارتكاب ما يدعوكم اليه مما نهي عنه شرعا فارتكابه عبادة للشيطان ﴿فمنهم من هدى الله﴾ فآمن ﴿ومنهم من حقت﴾ وجبت ﴿عليه الضلالة﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فسيروا﴾ يا أيها الكفار ﴿في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ رسلهم من الهلاك .

٣٧ ﴿ان تحرص﴾ يا محمد او يا سامع ﴿على هداهم﴾ وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك ﴿فان الله لا يهدى﴾ بالبناء للفاعل وقرىء للمفعول ﴿من يضل﴾ من يريد اضلاله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب الله .

٣٨ ﴿وأقسموا بالله جهد ايمانهم﴾ اي غاية اجتهادهم فيها ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ انكروا البعث كما انكروا التوحيد قال تعالى ﴿بلى﴾ يبعثهم ﴿وعدا عليه حقا﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر اي وعد ذلك وعدا وحقه حقاً ﴿ولكن اكثر الناس﴾ الكفار لأنهم أكثر أهل الارض المعمورة ﴿لا يعلمون﴾ ذلك

٣٩ ﴿ليبين﴾ يبعثهم المقدر ﴿لهم الذي يختلفون﴾ مع المؤمنين ﴿فيه﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين﴾ في انكار البعث .

٤٠ ﴿انما قولنا لشيء اذا اردناه﴾ اي اردنا ايجاده وقولنا مبتدأ خبره ﴿أن نقول له كن فيكون﴾ اي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة على البعث وعلى سهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى .

ولما بين تعالى ان ايجاد الامور عنده سهل بعد ان ذكر ان البعث بعد الموت حق أشار فيما يأتي انه لا ينبغي لمسلم ان يستمر بعد الاسلام في محل لا يستطيع ان ينفذ اوامر الله وعليه ان يهاجر في الله وقال .

يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن
يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم
بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ
يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ
دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

٤١ ﴿والذين هاجروا في الله﴾ لاقامة دينه ﴿من بعدما ظلموا﴾ بالاذى ومنع اقامة شعائر دينهم ﴿لنبوئنهم﴾ ننزلنهم ﴿في الدنيا﴾ دارا ﴿حسنة﴾ خير من دارهم التي تركوها ﴿ولأجر الآخرة﴾ اي الجنة ﴿أكبر﴾ أعظم مما سنعطيهم في الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ المهاجرون ان هجرتهم في الله خير لهم من البقاء في دار الكفر فلا يتهاونون فيها اذا جاء الامر بها من الله .

٤٢ ﴿الذين صبروا﴾ على أذى المشركين، والهجرة لاظهار الدين وترك الأوطان والاحباب والاموال والأهل والاولاد ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون فقد وقع الامر بها فهاجروا الى المدينة المنورة فبدل لهم داراً خيراً من دارهم وملكهم الدنيا وما فيها في أقرب مدة والوعد بالخير لمن هاجر في الله مستمر وفقنا الله لما فيه صلاح ديننا ودنيانا بمنه وكرمه .

٤٣ ﴿وما ارسلنا من قبلك الا رجالا﴾ من البشر مثل محمد لا نساء لان الرجال اكمل خلقة وعقلا ولا ملائكة لأنه لا يرسل الى جنس الا منه ليفهموا منه ويقتدوا به ﴿نوحي اليهم﴾ نرسل اليهم بالوحي ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ العلماء بالتوراة والانجيل ﴿ان كنتم لا تعلمون﴾ ذلك فانهم يعلمونه وانتم الى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ﷺ .

٤٤ ﴿بالبينات﴾ متعلق بمحذوف اي ارسلناهم بالحجج الواضحة ﴿والزبر﴾ الكتب ﴿وانزلنا اليك الذكر﴾ القرآن ﴿لتبين للناس ما نزل اليهم﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ في ذلك فيعتبروا ففي هذه الآية دليل على ان المجمل من القرآن يطلب تفسيره من الحديث والسنة اذ لا يجوز مخالفتها .

٤٥ ﴿أفامن الذين مكروا﴾ الاستفهام للتنبيه والفاء للعطف على مقدر داخل في معمول التفكر اي يتفكرون مكر قوم من الامم السالفة افأمن الذين مكروا مكرات ﴿السيئات﴾ بأنبيائهم ﴿ان يخسف الله بهم الارض﴾ كما فعل بقارون ﴿او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ اي من جهة لا يخطر ببالهم فيقتدوا بهم في الأمن وعدم الخوف ان يفعل بهم ذلك اذا مكروا تلك السيئات . فالجواب لا وما مكر قوم بنبي فأمنوا الخسف او العذاب .

٤٦ ﴿او يأخذهم في تقلبهم﴾ معطوف على ان يخسف اي او أمنوا ان يأخذهم الله في حال أسفارهم للتجارة ﴿فما هم بمعجزين﴾ بفائتين العذاب .

٤٧ ﴿او يأخذهم على تخوف﴾ تنقص شيئا فشيئا حتى يهلك الجميع حال من فاعل او المفعول ﴿فان ربكم﴾ أيها المخاطبون ﴿لرؤف رحيم﴾ حيث لم يعاجل الذين مكروا السيئات بالنبي ﷺ .

٤٨ ﴿او لم يروا﴾ معطوف على تفكروا المقدر والتقدير بالعقوبة أتفكروا ولم يروا ﴿الى ما خلق الله من شيء﴾ له ظل كشجر وجبل ﴿يتفيؤ﴾ تتميل ﴿ظلاله عن اليمين والشمائل﴾ جمع شمال اي اي عن جانبيه اول النهار وآخره ﴿سجدا لله﴾ حال اي خاضعين بما يراد منهم ﴿وهم﴾ اي الظلال ﴿داخرون﴾ صاغرون نزلت منزلة العقلاء لانقيادها للطاعة له تعالى .

٤٩ ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة﴾ اي نسمة تدب عليها اي يخضع له بما يطلب منهم وغلب في الاتيان بما لما لا يعقل لكثرته ﴿والملائكة﴾ ذكرهم لكيلا يظن خروجهم بعد ان ذكر ماله ظل وقوله من دابة ولم تكن الملائكة من ضمن الدواب ولا من ضمن ما له ظل لأنهم نورانيون ولا يدبون ﴿وهم لا يستكبرون﴾ لا يتكبرون عن عبادته .

يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾
۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ
فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا
رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ

٥٠ ﴿يخافون﴾ اي الملائكة حال من ضمير يستكبرون ﴿ربهم من فوقهم﴾ حال من ربهم عاليا عليهم بالقهر وهو القاهر فوق عباده ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ به ولا يتعدونه فالملائكة كلهم لا يعصون الله ربهم ولا يستكبرون عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون وكذلك غير العقلاء مقهورة على ما جبلت عليه واما العقلاء من الانس والجن فمنهم المطيع والعاصي .

٥١ ﴿وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين﴾ تأكيد ﴿انما هو اله واحد﴾ أتى به لاثبات الالهية والوحدانية ﴿فاياي فارهبون﴾ خافون دون غيري وفيه التفات عن الغيبة .

٥٢ ﴿وله ما في السموات والارض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وله الدين﴾ الطاعة ﴿واصبا﴾ دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف ﴿أفغير الله تتقون﴾ وهو الاله الحق ولا اله غيره والاستفهام للانكار والتوبيخ .

٥٣ ﴿وما بكم من نعمة فمن﴾ نعمة ﴿الله﴾ لا يأتي بها غيره وما شرطية او موصولة .

٥٤ ﴿ثم اذا مسكم﴾ اصابكم ﴿الضر﴾ الفقر والمرض ﴿فاليه تجارون﴾ ترفعون اصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره ﴿ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ .

٥٥ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ من النعمة قل لهم يا محمد ﴿فتمتعوا﴾ باجتماعكم على عبادة آلهة غير الله ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة عملكم ثم فصل فيما يأتي انواع الآلهة التي يعبدونها من الاصنام والجن والملائكة على انهم بنات الله أشار الى النوع الاول فقال .

٥٦ ﴿ويجعلون﴾ المشركون عباد الاصنام ﴿لما لا يعلمون﴾ انها تضر ولا تنفع وهي الاصنام ﴿نصيبا مما رزقناهم﴾ من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تالله لتسألن﴾ سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة ﴿عما كنتم تفترون﴾ على الله من انه أمركم بذلك أو انها تشفع لكم عند الله . ثم أشار الى النوع الثاني من المشركين فقال .

٥٧ ﴿ويجعلون لله البنات﴾ بقولهم الملائكة بنات الله وقائلو ذلك كنانة وخزاعة ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عما زعموا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ اي البنين والجملة في محل نصب حال المعنى له البنات اللواتي يكرهونهن وهو منزه عن الولد ويجعلون لأنفسهم الابناء الذين يختارونهم فيختصون بالاسنى كقوله « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون » .

٥٨ ﴿واذا بشر احدهم بالانثى﴾ تولد له ﴿ظل﴾ صار ﴿وجهه مسودا﴾ متغيرا تغير مغتم ﴿وهو كظيم﴾ ممتلىء غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى .

هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم
مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ
لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾
تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

٥٩ ﴿يتوارى﴾ يختفي ﴿من القوم﴾ اي قومه ﴿من سوء ما بشّر به﴾ خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به ﴿أيمسكه﴾ يتركه بلا قتل ﴿على هون﴾ هوان وذل ﴿أم يدسه في التراب﴾ بأن يئده ﴿ألا ساء﴾ بئس ﴿ما يحكمون﴾ حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا المحل. وأشار الى النوع الثالث من الكفرة الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالآخرة فقال

٦٠ ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ اي الكفار ﴿مثل السوء﴾ اي الصفة السوأى بمعنى القبيحة في كل شيء في الشعور والسلوك وفي الاعتقاد والعمل وفي التصور والتعامل وفي الارض والسماء فكل جميل عندهم قبيح والقبيح جميل ﴿ولله المثل الاعلى﴾ الصفة العليا التي ارشد اليها المؤمنين في جميع شعورهم ومعاملاتهم واعتقاداتهم واعمالهم وتصوراتهم وكل ذلك بنظام وعلى صراط مستقيم ويسمى مجموعها بالشريعة الغراء ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه ثم عقب على تلك الاحكام فقال .

٦١ ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ بالمعاصي ﴿ما ترك عليها﴾ اي الارض ﴿من دابة﴾ نسمة تدب عليها لأن ظلم الظالمة منها يصيب التي لم تظلم فيهلكها وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم . او من دابة ظالمة ﴿ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون﴾ عنه ﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ عليه .

٦٢ ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ لأنفسهم من البنات والشرك في الرياسة واهانة الرسل ﴿وتصف﴾ تقول ﴿ألسنتهم﴾ مع ذلك ﴿الكذب﴾ وهو ﴿ان لهم الحسنى﴾ في الدنيا بتزيين الشيطان لهم أنهم على حق او عند الله في الآخرة اي الجنة لقوله « ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى » قال تعالى ﴿لا جرم﴾ حقا ﴿ان لهم النار وأنهم مفرطون﴾ متروكون فيها أو مقدمون اليها وفي قراءة بكسر الراء اي متجاوزون الحد .

٦٣ ﴿تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك﴾ رسلا ﴿فزين لهم﴾ للامم ﴿الشيطان أعمالهم﴾ السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فهو وليهم﴾ اي لا ولي لهم غير الشيطان وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم ﴿اليوم﴾ في الدنيا ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة .

٦٤ ﴿وما انزلنا عليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿الا لتبين لهم﴾ للناس ﴿الذي اختلفوا فيه﴾ من أمر الدين الذي تفرقوا فيه فرقا ﴿وهدى﴾ عطف على الذي ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ به .

ثم بين ادلة العقيدة مقرونة بالامتنان فقال .

يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ
مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا
لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ
مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ
الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ
عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ
عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ

٦٥ ﴿والله انزل من السماء ماء فأحيا به الارض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يبسها ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ دالة على البعث ﴿لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر .

٦٦ ﴿وان لكم في الانعام لعبرة﴾ اعتبارا ﴿نسقيكم﴾ بيان للعبرة ﴿مما في بطونه﴾ اي الانعام ﴿من﴾ للابتداء متعلقة بنسقيكم ﴿بين فرث﴾ ثفل الكرش ﴿ودم لبنا خالصا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم او ريح أو لون وهو بينهما ﴿سائغا للشاربين﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به .

٦٧ ﴿ومن ثمرات النخيل والاعناب﴾ ثمر ﴿تتخذون منه سكرا﴾ خمرا يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها ﴿ورزقا حسنا﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ على قدرته تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون ومن اخرج اللبن من بين الفرث والدم واخرج السكر والرزق من الثمرات كامل القدرة وكامل الحكمة ومستطيع ان يبعث الاموات يوم القيامة للحساب والجزاء .

ثم ذكر العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال تعالى .

٦٨ ﴿واوحى ربك الى النحل﴾ وحي الهام المراد منه الهداية اي ارشدها وعلمها والخطاب للنبي ﷺ او كل فرد من الناس ممن له عقل يستدل به على كمال قدرته تعالى ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فها فرج خالية ضائعة ولما حصل المقصود فألهمها الله تعالى أن تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل ولا فرجة خالية ضائعة وان تجعل على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها . والخروج من بيوتها لترعى ثم ترجع الى بيوتها دون أن تضل عنها ولما امتازت هذه الحشرات الضعيفة بهذه الخواص العجيبة الدالة على الالهام الالهي ﴿ان﴾ مفسرة او مصدرية ﴿اتخذي من الجبال بيوتا﴾ تأوين اليها ﴿ومن الشجر﴾ بيوتا ﴿ومما يعرشون﴾ اي يبنون لك من الاماكن والا لم تأو اليها ويدل هذا على قبولها التعليم والدجن .

٦٩ ﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي﴾ ادخلي ﴿سبل ربك﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذللا﴾ جمع ذلول حال من السبل اي مسخرة لك فلا تعسر عليك وان ترعرت ولا تضلي عن العود منها وان بعدت وقيل من الضمير في اسلكي اي منقادة لما يراد منك ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ هو العسل ﴿مختلف الوانه فيه شفاء للناس﴾ من الاوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء او لكلها بضميمته الى غيره بنيته ويقول الجلال السيوطي وبدونها وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان ثم ان العسل شفاء اما بنفسه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه وتنكير الشفاء اما للتبعيض واما للتعظيم ﴿ان في ذلك لآية﴾ واحدة من آيات كثيرة جدا ﴿لقوم يتفكرون﴾ في صنعه تعالى وامتنانه بالنعم لعباده ليشكروه .

ثم ذكر آية أخرى أمس بالنفس البشرية لانها في صميم ذواتهم في اعمارهم وازواجهم وبنيهم واحفادهم فقال تعالى .

٧٠ ﴿والله خلقكم﴾ ولم تكونوا شيئا ﴿ثم يتوفاكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ومنكم من يرد الى ارذل العمر﴾ أي اخسه من الهرم والخرف ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئا﴾ قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة قال بعض العلماء عمر الانسان له اربع مراتب

عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ
يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ
أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ
ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ
ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا
رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا
يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

ولها سن النشوة والنماء وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد. ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من الثلاثة وثلاثين الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل. ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى ستين سنة وفي هذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر. ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيه يبين النقص ويكون الهرم والخرف. وكان النبي ﷺ يدعو ويقول «اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» وقال الزجاج وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير جاهلا بعد ان كان عالما ليريكم من قدرته انه قادر على اماتته واحيائه وانه قادر على نقله من العلم الى الجهل وانه قادر على احيائه بعد اماتته فيكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت ﴿ان الله عليم﴾ بتدبير خلقه ﴿قدير﴾ على ما يريد.

٧١ ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿فما الذين فضلوا﴾ اي الموالي ﴿برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم﴾ اي يجعلون ما رزقناهم من الاموال شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فهم﴾ اي المماليك والموالي ﴿فيه سواء﴾ شركاء المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء.

٧٢ ﴿والله جعل لكم من انفسكم ازواجا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ اولاد الأولاد من الحفد اي السرعة لان الحافد يسرع في خدمة جده من هنا فسره بعضهم بالخدم وبالاختان وبالأصهار وباولاد الزوجة من غير الزوج ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من انواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أفبالباطل﴾ من كلامهم ﴿يؤمنون﴾ ان الاصنام تنفع وتضر بالشفاعة وان بعض الطيبات حرام كالبحائر والسوائب ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ باشراكهم.

٧٣ ﴿ويعبدون من دون الله﴾ اي غيره ﴿ما لا يملك لهم رزقا من السموات﴾ بالمطر ﴿والارض﴾ بالنبات ﴿شيئا﴾ بدل من رزقا ﴿ولا يستطيعون﴾ لا يقدرون على شيء وهو الاصنام.

٧٤ ﴿فلا تضربوا لله الامثال﴾ لا تجعلوا لله اشباها تشركونه بها ﴿ان الله يعلم﴾ كيف تضرب الامثال ﴿وانتم لا تعلمون﴾ ذلك ثم بين لهم كيفية ضرب الامثال له بمثالين فقال في الاول.

٧٥ ﴿ضرب الله مثلا﴾ ويبدل منه ﴿عبدا مملوكا﴾ صفة تميزه من الحر فانه عبدالله ﴿لا يقدر على شيء﴾ لعدم ملكه ﴿ومن﴾ نكرة موصوفة اي وحرا ﴿رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا﴾ اي يتصرف فيه كيف يشاء ﴿هل يستوون﴾ اي العبيد العجزة والحر المتصرف، لا يستوون في الدرجة والرفعة والشرف مع انهم كلهم عباد الله اشتركوا في العبودية لله فرفع بعضهم بالحرية والغنى وأذل بعضا بالعبودية تحت جنسهم. فاذا كان الجنس الواحد لا يستوى افراده لامتيازها في بعض الصفات فكيف يستوي الخالق والمخلوق مع بعدما بينهما ﴿الحمد لله﴾ الذي لا مثال له ﴿بل اكثرهم﴾ الناس ﴿لا يعلمون﴾ كيف يقيسون الأمور باشباهها فيقعون بالجهل في الضلال البعيد.

٧٦ ﴿و﴾ في المثل الثاني قال تعالى ﴿ضرب الله مثلا﴾ ويبدل منه ﴿رجلين احدهما أبكم﴾ ولد اخرس ﴿لا يقدر على شيء﴾ لانه لا يفهم بفتح الياء والهاء ولا يفهم بالضم والكسر ﴿وهو كل﴾ ثقيل ﴿على مولاه﴾ ولي أمره ﴿اينما يوجهه﴾ يصرفه ﴿لايأت بخير﴾ وهذا مثل الكافر ﴿هل يستوى هو﴾ اي الابكم المذكور ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ اي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وهو على صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ وهو الثاني المؤمن لا يستويان في القيمة والشرف والمكانة عند الناس مع انهما بشران اشتركا في البشرية وافترقا في بعض الصفات وكيف الحال بين الخالق والمخلوقين .

بعد ان ضرب الله مثالين قارن فيهما بين النوعين المختلفين في بعض الصفات في جنس واحد فانه ذكر ما يتفرد به تعالى من أحاطة علمه بالاشياء وكمال قدرته على ما أراد فقال .

٧٧ ﴿ولله غيب السموات والارض﴾ اي علم ما غاب فيهما وخفي عن المخلوقين له وحده ﴿وما امر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ منه لانه بلفظ كن فيكون لمح البصر هو رجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ففعل ذلك ولفظ كن اي جمع صوت الكاف مع النون متقاربان أو لفظ كن كخذ اقل وقت من لمحة البصر وهذا اغرب مثال يضرب لقصر الوقت في ايجاد شيء ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ ومنه ما ذكر في احياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان أجمعين لقيام الساعة في المدة القليلة التي مثل إمرها به وتقدم في بيان آثار القدرة مع الامتنان للمخلوقين فقال .

٧٨ ﴿والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا﴾ الجملة حال ﴿وجعل لكم السمع﴾ بمعنى الاسماع ﴿والابصار والافئدة﴾ القلوب ﴿لعلكم تشكرون﴾ه على ذلك فتؤمنوا .

٧٩ ﴿ألم يروا﴾ الناس ﴿الى الطير مسخرات﴾ مذللات للطيران لنفعهم وهذا النوع المسخر لفائدة الناس لم يوجد منه الا الطائرات الجوية اذ غيرها ليس مسخرا ﴿في جو السماء﴾ اي الهواء بين السماء والارض تحمل الناس والاثقال الباهظة بين مرامي اقطار الارض ﴿ما يمسكهن﴾ عند طيرانها مع حمل ثقيل ﴿الا الله﴾ بقدرته الكاملة ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ اي ان في الاشارة الى وجود مثل هذه الطائرات الجوية قبل وقتها باكثر من الف سنة لآيات باقيات على صدق رسالة محمد ﷺ اذ ان ذلك من المغيبات التي لا يعرفها الا الله وان قلت كيف عرفت ان المقصود بالطير المسخرات في السماء هذه الطائرات المخترعة التي تقطع الجو من بلد الى آخر بالناس قلت في الجواب انها لما قيل الطير المسخرات فالتسخير دائما يكون حال الانتفاع بالشيء المسخر

وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ
أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ
مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم
مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ
لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ

ولا يوجد طير ينتفع بها الناس في حال طيرانها في الجو الا هي نعم توجد طير تستعمل للصيد مثل الباز او للبريد مثل الحمام ومع ذلك لم تنطبق بما ذكرنا مثل انطباقها هنا ولذلك قال لا يمسكهن الا الله لما في ذلك من اظهار القدرة الكاملة وذكر الامتنان التي نحن بصددها في هذه السورة . واما الطير العادية فهي أقرب للمقصود في سورة الملك عند قوله تعالى « او لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن » اذ المقصود هناك اظهار الرحمانية والمقصود هنا اظهار كمال القدرة واحاطة العلم والامتنان بتدبير والله اعلم .

وتقدم في ذكر آثار القدرة مع الامتنان فقال تعالى .

٨٠ ﴿والله جعل لكم﴾ أيها الناس ﴿من بيوتكم سكنا﴾ موضعا تسكنون فيه ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا﴾ كالخيام والقباب ﴿تستخفونها﴾ للحمل ﴿يوم ظعنكم﴾ سفركم ﴿ويوم

يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا
رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا
رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ
فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى
ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا

اقامتكم ومن اصوافها﴾ اي الغنم ﴿وأوبارها﴾ اي الابل ﴿واشعارها﴾ اي المعز ﴿اثاثا﴾ متاعا لبيتكم كبسط واكسية ﴿ومتاعا﴾ تتمتعون به ﴿الى حين﴾ يبلى فيه.

٨١ ﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظلالا﴾ جمع ظل تقيكم حر الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال اكنانا﴾ جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرداب وما يتخذ لبناء البيوت منها ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ قمصا ﴿تقيكم الحر﴾ اي والبرد ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ حربكم اي الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن ﴿كذلك﴾ كما خلق هذه الاشياء ﴿يتم نعمته﴾ في الدنيا ﴿عليكم﴾ بخلق ما تحتاجون اليه ﴿لعلكم﴾ ايها الناس ﴿تسلمون﴾ تنقادون الى الايمان اذا فهمتم ان الله يريد بكم الخير والانعام .

٨٢ ﴿فان تولوا﴾ اعرضوا عن الاسلام ﴿فانما عليك﴾ يا محمد ﴿البلاغ المبين﴾ الابلاغ البين فلا عتاب عليك ولا مؤاخذة في عدم ايمانهم لأنك بلغت ما أمرت بتبليغه وهدايتهم من الله لا منك .

٨٣ ﴿يعرفون نعمت الله﴾ اي يقرون بأنها من عنده ﴿ثم ينكرونها﴾ باشراكهم عنادا ﴿واكثرهم الكافرون﴾ الجاحدون المعاندون وأقلهم الجاهلون بأنها اي النعمة منه تعالى .

٨٤ ﴿و﴾ اذكر لهم ﴿يوم نبعث من كل أمة شهيدا﴾ هو نبيها يشهد لها بالايمان وعليها بالكفر وهو يوم القيامة وانت ستشهد لقومك او عليهم ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار او طلب الرجوع الى الدنيا لاصلاح ما أفسدوا ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لا يطلب منهم العتبى اي الرجوع الى ما يرضى الله .

٨٥ ﴿واذا راى الذين ظلموا﴾ كفروا من قومك او من الامم السالفة في ذلك اليوم ﴿العذاب﴾ النار ﴿فلا يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون عنه اذا راوه

٨٦ ﴿واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نذعوا﴾ نعبدهم ﴿من دونك فالقوا اليهم القول﴾ اي قالوا لهم ﴿انكم لكاذبون﴾ في قولكم انكم عبدتمونا كما في آية أخرى «ما كانوا اياناا يعبدون» سيكفرون بعبادتهم اي يقولون لهم ما عبدتمونا وعبدتم اهواءكم وإذا رأوا ان المجادلة لا تنفعهم رجعوا.

٨٧ ﴿وألقوا الى الله يومئذ السلم﴾ اي استسلموا لحكمه حيث لا ينفعهم الانقياد لانقطاع التكليف ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم : ويبدل من فاعل يفترون .

٨٨ ﴿الذين كفروا وصدوا﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿زدناهم عذابا فوق العذاب﴾ الذي استحقوه بكفرهم . قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال ﴿بما كانوا يفسدون﴾ اي بالافتراء والكفر وصدهم الناس عن الايمان .

عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ
وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٨٩ ﴿و﴾ اذكر لهم مرة ثانية لزيادة تنبيه وتذكر ﴿يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم﴾ هو نبيهم ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿شهيدا على هؤلاء﴾ قومك ﴿و﴾ الحال قد ﴿نزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن في الدنيا ليعملوا به فأبوا وذلك الكتاب أنزل لفائدتهم ﴿تبيانا﴾ بيانا ﴿لكل شيء﴾ يحتاج اليه الناس من أمر الشريعة ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة وبشرى﴾ بالجنة ﴿للمسلمين﴾ الموحدين وفيه قولنا .

٩٠ ﴿ان الله يأمر بالعدل﴾ التوحيد او الانصاف ﴿والاحسان﴾ أداء الفرائض او ان تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث ﴿وايتاء﴾ اعطاء ﴿ذي القربى﴾ القرابة خصه بالذكر اهتماما به ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ الزنا ﴿والمنكر﴾ شرعا من الكفر والمعاصي ﴿والبغي﴾ وتفريق الامة بالخروج عن الإمام ظلما بدون حق ﴿يعظكم﴾ بالامر والنهي ﴿لعلكم تذكرون﴾ وفيه ادغام التاء في الاصل في الذال وفي المستدرك عن ابن مسعود وهذه اجمع آية في القرآن للخير والشر.

٩١ ﴿و﴾ في الكتاب الذي أنزلنا عليك ايضا قولنا ﴿اوفوا بعهد الله﴾ من البيع والايمان وغيرها ﴿اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ مواثيقها ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ بالوفاء حيث حلفتم بهوالجملة حال ﴿ان الله يعلم ما تفعلون﴾ تهديد لهم .

٩٢ ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت﴾ افسدت ﴿غزلها﴾ ما غزلته ﴿من بعد قوة﴾ احكام له وبرم ﴿انكاثا﴾ حال جمع نكث وهو ما ينكث اي يحل إحكامه اي لا تكونوا في نقض عهودكم وايمانكم مثل امرأة حمقاء تغزل صوفها وتنقضه ﴿تتخذون ايمانكم دخلا بينكم﴾ اي تتخذون في نقض العهود أيمانكم للفساد والخديعة فيما بينكم من المعاملات والدخل ما يدخل في شيء وليس منه اي لا كونوا مثل المرأة الحمقاء التي تغزل وتنقض غزلها في عهودكم وأيمانكم . وجملة تتخذون حال من ضمير تكونوا . ﴿أن﴾ اي لأن ﴿تكون أمة﴾ اي لان كانت امة وجماعة ﴿هي أربى﴾ أكثر ﴿من أمة﴾ اي لا تنقضوا أيمانا عقدتموها مع جماعة لوجود جماعة أخرى هي أكثر من الاولى عددا أو غنى او شرفا . وكانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا اكثر منهم وأعز نقضوا حلف اولئك وحالفوهم وهذا الحكم داخل في كل شيء لا تترك صاحبك القديم لوجود صاحب جديد لكون الجديد اعز او أغنى او اشرف من القديم وحفظ العهد هو العز والغنى والشرف ﴿انما يبلوكم الله به﴾ اي يختبركم الله بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر الى المطيع منكم والعاصي او بكون أمة أربى لينظر اتفون ام لا . ثم عقب وقال هذا ما ذكرنا وبيناه في الكتاب الذي انزلناه عليك من قولنا ان الله يأمر بالعدل الخ لتعملوا به في الدنيا ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي .

٩٣ ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ اهل دين واحد ﴿ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عما كنتم تعملون﴾ لتجازوا عليه .

وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ
ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ
بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا
بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟

٩٤ ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم﴾ كرره تأكيدا ﴿فتزل قدم﴾ اي اقدامكم عن محجة الاسلام ﴿بعد ثبوتها﴾ استقامتها عليها ﴿وتذوقوا السوء﴾ العذاب ﴿بما صددتم عن سبيل الله﴾ اي بصدكم عن الوفاء بالعهد او بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ في الآخرة .

٩٥ ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لاجله ﴿انما عند الله﴾ من الثواب ﴿هو خير لكم﴾ مما في الدنيا ﴿ان كنتم تعلمون﴾ ذلك فلا تنقضوه .

٩٦ ﴿ما عندكم﴾ من الدنيا ﴿ينفد﴾ يفنى ﴿وما عند الله﴾ باق﴾ دائم ﴿ولنجزين﴾ بالنون وقرىء بالياء ﴿الذين صبروا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾ بجزاء أحسن من عملهم الذي كانوا يعملونه في الدنيا .

٩٧ ﴿من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ في الدنيا بالرزق الحلال او بالقناعة ﴿ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾ اي بجزاء أحسن مما يستحق عملهم الذي كانوا يعملونه في الدنيا وان الحياة الطيبة في الدنيا لا تمنع الأجر في الآخرة .

وبعد ان ذكر الله تعالى انه انزل الكتاب على رسوله تبيانا وهدى ورحمة وذكر أيات شاملة لما في الكتاب ثم عقب فيما يأتي بأدب من آداب قراءة ذلك الكتاب فقال .

٩٨ ﴿فاذا قرأت القرآن﴾ أي اردت قراءته ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ اي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا على مذهب الاكثرين من الفقهاء والمحدثين من ان الاستعاذة تطلب قبل القراءة وذهب جماعة من الصحابة والتابعين وعليه مالك وجماعة وداود الظاهري الى الاستعاذة بعد القراءة تمسكا بظاهر الآية وان القارىء يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوسوسة له في قلبه هل حصل له ذلك الثواب أولا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب خالصا . والامر بها للندب والاستحباب وذهب عطاء الى وجوب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كأنت في الصلاة او في غيرها .

٩٩ ﴿انه﴾ اي الشيطان ﴿ليس له سلطان﴾ تسلط ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ .

١٠٠ ﴿انما سلطانه على الذين يتولونه﴾ بطاعته ﴿والذين هم به﴾ الشيطان ﴿مشركون﴾ في عبادتهم لله فمن انعام الله تعالى علينا ان علمنا ما نقول ونتحرز به عن الشيطان في حال عبادتنا .

ومن رحمته تعالى ان ربى المسلمين الاولين بالتدريج على حسب طاقة البشر فانزل بعض الاحكام المؤقتة لتكون وصلة ينتقل بها الناس من عادات الكفر الثابتة فيهم الى الأخلاق الكريمة التي جاءهم بها الاسلام فتنزل الاحكام المؤقتة لتكون المرحلة الاولى للوصول الى الغاية المطلوبة فتنسخ المؤقتة بعد اداء عملها فيؤتى بالثابتة الناسخة فعند ذلك قال المشركون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هذا الا افتراء فقال الله تعالى .

إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ
رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ
وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى
ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا
مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ
بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى
ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

١٠١ ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ بنسخها وانزال غيرها لمصلحة العباد ﴿والله أعلم بما ينزل قالوا﴾ اي الكفار للنبي ﷺ انما انت مفتر﴾ كذاب تقوله من عندك ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ .

١٠٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿نزله روح القدس﴾ بضم الدال وقرىء بسكونها اي جبريل ﴿من ربك بالحق﴾ متلبسا بالصدق فلا يمكن لأحد تغييره بله تقوله ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ به على الاخلاق الكريمة ﴿وهدى﴾ حال اي انزله وهو هدى ﴿وبشرى للمسلمين﴾ اي المقادين لأمر الله واذا سمعوا أن روح القدس ينزل بالقرآن يمكن ان يؤولوه بانسان من البشر فقال الله للرد عن مثل ذلك .

١٠٣ ﴿ولقد﴾ للتحقيق ﴿نعلم أنهم يقولون انما يعلمه﴾ محمدا القرآن ﴿بشر﴾ من الناس يعرف من كتب الاولين الانجيل او التوراة ﴿لسان﴾ لغة ﴿الذي﴾ اي الكتاب الذي ﴿يلحدون﴾ يميلون ﴿اليه أعجمي وهذا﴾ القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو بيان وفصاحة فلا يمكن لمن يقرأ كتابا أعجميا ان ينقله الى اللسان العربي بهذا النظام العربي الصميم ولم يكن فيه خلط عجمة ويروى انه كان رجل نصراني يسمى قينا يدخل على النبي ﷺ ويستمع منه القرآن فقال بعض قريش انه هو الذي يعلمه القرآن فكيف يعلمه القرآن وهو رجل أعجمي والكتاب الذي كان يقرأ منه نصرانيته كتب بلغة العجم وهذا القرآن لسان عربي مبين أعجزت العرب فصاحته وبلاغته ؟ .

١٠٤ ﴿ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله﴾ الى الرشد الذي تضمنته الآيات فيطلبون ما يبطلها ويفسدها على الناس ليصدهم بذلك عن سبيل الله ﴿ولهم عذاب اليم﴾ مؤلم .

١٠٥ ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ فيقولون ان محمدا يتقولها او يعلمه اياها رجل من البشر ليطعنوا في امرها حتى يبطلوها ان استطاعوا فعملهم هذا هو الافتراء ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ فيما يقولونه في ذلك والتأكيد بالتكرار وبأن وغيرهما رد لقولهم انما انت مفتر . ثم هدد ضعفاء المسلمين الذين يمكن ان يغتروا بتضليل الكفار أو بتعذيبهم لهم فيكفروا بعد الايمان ويرتدوا عن الاسلام فيبطل عملهم فقال .

١٠٦ ﴿من كفر بالله من بعد ايمانه﴾ مبتدأ او اسم شرط ﴿الا من أكره﴾ على التلفظ به ﴿وقلبه مطمئن بالايمان﴾ لا يضره تلفظه بالكفر تقية ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ له اي فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه والخبر أو الجواب ﴿فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ في الدنيا والآخرة لانهم صاروا بذلك مذبذبين لا يقبلهم الكفار ولا المخلصون وفي الآخرة لهم النار اذا ماتوا على الكفر والفاء داخله على الخبر او الجواب .

١٠٧ ﴿ذلك﴾ الوعيد لهم ﴿بأنهم استحبوا الحياة الدنيا﴾ اختاروها ﴿على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ .

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ
وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟
مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠) ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ
تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً
مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا۟
مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

١٠٨ ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ عما يراد بهم فارتدادهم عن الاسلام انما هو لطبع الله على بصيرتهم ولغفلتهم بتضليل الكفار اليه ليردوهم عن الخير الذي اعتنقوه .

١٠٩ ﴿لاجرم﴾ حقا ﴿انهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ لمصيرهم الى النار المؤبدة .

ولما هددهم على الارتداد عقب بترغيبهم بالهجرة ليجاهدوا لحفظ عقيدتهم فقال .

١١٠ ﴿ثم ان ربك للذين هاجروا﴾ الى محل رضاه لاقامة دينه ﴿من بعدما فتنوا﴾ عذبوا على دينهم ﴿ثم﴾ بعد الهجرة ﴿جاهدوا﴾ الكفار وحاربوهم للمحافظة على عقيدتهم ﴿وصبروا﴾ على مفارقة الاوطان والاهل والاولاد والمال وعلى الطاعة ﴿ان ربك من بعدها﴾ الهجرة او الفتنة ﴿لغفور﴾ لهم فيما اصابهم حال الفتنة مما اظهروه من الكفر تقية ﴿رحيم﴾ بهم وخبر ان الاولى دل عليه خبر الثانية .

١١١ ﴿يوم تأتي كل نفس﴾ الظرف متعلق بغفور رحيم قبله ﴿تجادل﴾ تحتاج ﴿عن نفسها﴾ لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة وتسعى في خلاص نفسها والجملة نعت نفس ﴿وتوف كل نفس﴾ جزاء ﴿ما عملت وهم لا يظلمون﴾ شيئا .

١١٢ ﴿وضرب الله مثلا﴾ لكل قوم أنعم الله عليهم بسبب ايمانهم ثم كفروا فبدل الله النعمة بنقمة ويبدل من مثلا ﴿قرية﴾ هي مكة والمراد اهلها ﴿كانت آمنة﴾ من الغارات لا تهاج بدعاء أبيهم ابراهيم ﴿مطمئنة﴾ لا يحتاج الى الانتقال عنها لضيق او خوف ﴿يأتيها رزقها رغدا﴾ واسعا ﴿من كل مكان فكفرت بأنعم الله﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فاذاقها الله لباس الجوع﴾ فقحطوا سبع سنين ﴿والخوف﴾ بما يرون من قوة الاسلام ضد ما يحبون من الاستمرار على عبادة آلهتهم ﴿بما كانوا يصنعون﴾ من الكفر

١١٣ ﴿ولقد جاءهم رسول منهم﴾ محمد ﷺ ﴿فكذبوه فأخذهم العذاب﴾ الجوع والخوف ﴿وهم ظالمون﴾ في ذلك لأنهم كانوا يعرفون صدقه فكذبوه .

ولما نبه المسلمين على مكائد الكفار وحذرهم عن الارتداد ومثل لهم ما أصاب من ارتد بعد الايمان أمرهم بالتنعم بما احل لهم من الرزق فقال .

١١٤ ﴿فكلوا﴾ ايها المؤمنون ﴿مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله﴾ عليكم بالطاعة ﴿ان كنتم اياه تعبدون﴾ اي تطيعون .

١١٥ ﴿انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم﴾ اي فمن دعته ضرورة المخمصة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على والي المسلمين ولا متعد على الناس بالخروج لقطع الطريق فأكل ما حرم عليه فالله لا يؤاخذه بذلك ويغفر له ما ارتكب بحكم الضرورة ويرحمه بفضله واما الباغي والمتعدي فلا يجوز لهما ان يأكلا ما حرم عليهما حال عصيانهما فعلى هذا لا يباح تناول شيء من المحرمات في سفر المعصية ومن ذلك منعهم وضع أحكام بأنفسهم في تحليل او تحريم فقال .

١١٦ ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم﴾ اي وصف ألسنتكم ﴿الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ نسبة ذلك اليه ﴿ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ .

١١٧ لهم ﴿متاع قليل﴾ في الدنيا ﴿ولهم في الآخرة عذاب اليم﴾ مؤلم .

١١٨ ﴿وعلى الذين هادوا﴾ ادعوا التوبة ايام موسى ثم بدلوا بعد ذلك شرائع الله عليهم ﴿حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ في آية «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر» الى آخرها ﴿وما ظلمناهم﴾ بتحريم ذلك عليهم ﴿ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ بمجاوزتهم حدود الله وأثبت عليهم ما حكموا به أنفسهم وبارتكابهم المعاصي الموجبة لذلك .

١١٩ ﴿ثم ان ربك﴾ مع ذلك ﴿للذين عملوا السوء﴾ بتحليل أو تحريم ﴿بجهالة ثم تابوا﴾ رجعوا ﴿من بعد ذلك وأصلحوا﴾ ما افسدوا من عملهم ﴿ان ربك من بعدها﴾ اي الجهالة او التوبة ﴿لغفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم . وربما تقول اليهود نحن ما حرمنا وما احللنا الا ما حرم ابراهيم لو حلل فنزه الله ابراهيم عن ذلك فقال .

إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا
تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ

١٢٠ ﴿ان ابراهيم كان امة﴾ اماماً قدوة جامعا لخصال الخير ﴿قانتا﴾ مطيعا ﴿لله حنيفا﴾ مائلا عن الاديان الباطلة الى الدين القيم ﴿ولم يك من المشركين﴾ الذين يخترعون احكاما من عند أنفسهم ويتبعونها دون ما انزل عليهم .

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ
ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾
ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ
وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٢١ ﴿شاكرا لأنعمه﴾ بالطاعة ولا يبدلها بالكفر ﴿اجتباه﴾ اصطفاه الله ﴿وهداه الى صراط مستقيم﴾ شريعة الله .

١٢٢ ﴿وآتيناه﴾ فيه التفات من الغيبة ﴿في الدنيا حسنة﴾ هي الثناء الحسن في كل اهل الاديان ﴿وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم الدرجات العلى .

١٢٣ ﴿ثم﴾ من تمام ما أنعمنا على ابراهيم ان جعلناك في ذريته ﴿أوحينا اليك﴾ يا محمد ﴿أن اتبع ملة﴾ عقيدة ﴿ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ كرره لتنزيهه عن زعم اليهود والنصارى والمشركين انهم على ملته وانهم انتسبوا اليه .

ولما أمر النبي باتباع ملة ابراهيم يمكن ان يقول اليهود او مشابه لهم لماذا لم يتبع ابراهيم في تعظيم يوم السبت وتعظيمه معروف في شرع اليهود فأجيب بقوله تعالى .

١٢٤ ﴿انما جعل السبت﴾ فرض تعظيمه ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ على نبيهم. وهم اليهود أمروا ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه لأنهم اختاروه ليوافقوا ربهم في ترك العمل فيه حسب زعمهم واختارت النصارى يوم الأحد مبدأ الخلق لتفضيل العمل لا للعطلة وقال تعالى «يأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» . ومن ذلك كره ترك العمل بالجملة يوم الجمعة وحرم ما عدا السعي للذكر بعد النداء الى انتهاء الصلاة ﴿وان ربك ليحكم بينهم﴾ اي بين اليهود وبين نبيهم ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من امره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته وهو تعقيب عام في جميع المأمورات والمنهيات في اليهود وغيرهم وهنا انتهى ذكر النعم ثم امر النبي ﷺ بالدعوة الى الله فهي مما أنعم الله بها على هذه الأمة فقال .

١٢٥ ﴿ادع﴾ الناس يا محمد ﴿الى سبيل ربك﴾ دينه ﴿بالحكمة﴾ بالقرآن ﴿والموعظة الحسنة﴾ مواعظه او القول الرقيق ﴿وجادلهم بالتي﴾ بالمجادلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالدعاء الى الله بآياته والدعاء الى حججه ﴿ان ربك هو أعلم﴾ اي عالم ﴿بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين﴾ فيجازيهم .

١٢٦ ﴿وان﴾ آذوك في حال تبليغ الدعوة مثل ما فعلوا بحمزة، ومثلوا به فقال ﷺ وقد رآه لأمثلن بسبعين منهم مكانك و ﴿عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم﴾ عن الانتقام ﴿لهو﴾ اي الصبر ﴿خير للصابرين﴾ في طاعة الله لأن كل ما أصاب الداعي في الدعوة طاعة يحتسبه فكف ﷺ وكفر عن يمينه رواه البزار .

١٢٧ ﴿واصبر﴾ يا محمد فيما أصابك من اذاهم في حال الدعوة ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ بتوفيقه ﴿ولا تحزن عليهم﴾ اي الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على ايمانهم ﴿ولاتك في ضيق مما يمكرون﴾ اي لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم

١٢٨ ﴿ان الله مع الذين اتقوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿والذين هم محسنون﴾ يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني ان اردت ايها الانسان ان أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين . وفي هذا اشارة الى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله . قال بعض المشايخ كمال الطريق مع الحق صلح مع الخلق وكمال الانسان أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل أن يعمل به . ابتدأت السورة بأتى امر الله وختمت بان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فخوفت في اولها وأمنت المؤمنين في

في آخرها قال السيد قطب في كتابه في ظلال القرآن هذا هو دستور الدعوة الى الله كما رسمه والنصر مرهون باتباعه كما وعد الله ومن أصدق من الله قيلا ؟

﴿ سورة الاسراء ﴾

وتسمى سورة بني اسرائيل مكية مائة وعشر آيات او واحدى عشرة آية ومحور موضوعها الرئيسي المقارنة بين الاشياء بالنسبة للدين وشخصية الرسول ﷺ .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿سبحان﴾ اي تنزيه ﴿الذي أسرى بعبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليلا﴾ نصب على الظرف والاسراء سير الليل وفائدة ذكره الاشارة بتنكيره الى تقليل مدته ﴿من المسجد الحرام﴾ اي مكة وكانت دورها تفتح الى المسجد وهو حول الكعبة بقدرالمطاف الآن وأول من وسع في المسجد عمر بن الخطاب فكانوا يشترون دور مكة ويدخلونها فيه وهي بلد الله الحرام لا يسفك فيها دم انسان ظلما ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاؤه وكان المسرى بجسم النبي ﷺ في اليقظة والا لما كان موضع اعجاب المشركين ولا ينكر أحد ان يقع مثل ذلك بالرؤيا ﴿الى المسجد الاقصى﴾ بيت المقدس لبعده من مكة واول من بناه آدم بعد ان بنى الكعبة باربعين سنة ﴿الذي باركنا حوله﴾ بالثمار والأنهار ومزيد الثواب بالصلاة فيه ﴿لنريه من آياتنا﴾ عجائب قدرتنا ﴿انه هو السميع البصير﴾ اي العالم بأقوال النبي ﷺ وافعاله فأنعم عليه بالاسراء المشتمل على اجتماعه بالانبياء وعروجه الى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فانه ﷺ قال وأُتيتُ بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه . فركبته . فسار بي حتى أتيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربطهفيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل اصبت الفطرة قال ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة يحي وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا

(١٧) سورة الإسراء مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ

لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل له من انت فقال جبريل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل له من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم مستندا الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهي فاذا اوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها

شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ
وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾
إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ
عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ

٣٦٥

تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يستطيع ان يصفها من حسنها قال فاوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً فرجعت الى موسى قال ما فعلت فقلت قد حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فلم أزل ارجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه ، رواه الشيخان واللفظ لمسلم وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ رأيت ربي عز وجل اي ليلة المعراج . ففي الآية مقارنة المسجد الحرام والمسجد الاقصى وليس بحرم واستطرد بعد ذكر الاسراء بقصة اعطاء موسى الكتاب بجامع ان موسى اعطي التوراة بمسيره الى الطور وهو بمنزلة معراجه لانه منح ثمة التكليم وشرف باسم الكليم فقال تعالى .

٢ ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ تفوضون اليه أمركم بالفوقانية التفاتا وان مفسرة والقول مضمر اي قلنا لهم لا تتخذوا والفعل مجزوم بلا الناهية وفي قراءة بالتحتانية. والفعل منصوب بأن فيقدر قبلها لام التعليل ولا نافية .

٣ ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ في السفينة أي كونوا كما كان نوح في العبودية والانقياد في كثرة الشكر لله تعالى بفعل الطاعات ﴿انه كان عبدا شكوراً﴾ كثير الشكر لنا حامدا في جميع أحواله . والى هنا انتهى تفسير هدى من قوله «وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل» فهو في التوراة خاص لهم وفي القرآن عام لجميع الناس ومخصوص للمؤمنين وفيه اخبار بان اليهود وباقي الناس سواء في الدم والنسب اذ يشاركهم الناس في كونهم ذرية من حمل مع نوح .

ومن الاخبار بالغيب في التوراة قوله تعالى .

٤ ﴿وقضينا﴾ أوحينا ﴿الى بني اسرائيل في الكتاب﴾ التوراة والله ﴿لتفسدن في الارض﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مرتين ولتعلن علوا كبيرا﴾ تبغون بغيا عظيما .

٥ ﴿فاذا جاء وعد اولاهما﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد﴾ اصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فجاسوا﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خلال الديار﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ وقد أفسدوا الاولى بقتل أشعيا أو ارمياء فبعث الله عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس .

٦ ﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾ الدولة والغلبة ﴿عليهم﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ عشيرة وقلنا لكم .

٧ ﴿ان أحسنتم﴾ بالطاعة ﴿أحسنتم لانفسكم﴾ لأن ثوابه لها ﴿وان أسأتم﴾ بالفساد ﴿فلها﴾ اساءتكم ﴿فاذا جاء وعد﴾ المرة ﴿الآخرة﴾ بعثناهم ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ ليحزنوكم بالقتل او السبي حزنا يظهر في وجوهكم ﴿وليدخلوا المسجد﴾ بيت

المقدس فيخربوه ﴿كما دخلوه﴾ ليخربوه ﴿اول مرة﴾ اي المرة الاولى ﴿وليتبروا﴾ يهلكوا ﴿ما علوا﴾ غلبوا عليه ﴿تتبيرا﴾ اهلاكاً وقد افسدوا ثانيا بالمعاصي فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ اموالهم ونساءهم وجميع ما في البيت المقدس وقلنا في الكتاب .

٨ ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ بعد المرة الثانية ان تبتم ﴿وان عدتم﴾ الى الفساد ﴿عدنا﴾ الى العقوبة وقد عادوا بقتل يحيي وارادة قتل عيسى فقتلوا انسانا بتحويل الله عملهم على ذلك الرجل بدل عيسى فقتلتهم النصارى شر قتله ثم كذبوا محمدا ﷺ فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ محبسا وسجنا .

٩ ﴿ان هذا القرآن يهدى للتي﴾ اي للطريقة التي ﴿هي أقوم﴾ اعدل واصوب ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا﴾ اي في الدنيا بأن يجعلهم أعزاء ويبوئهم في الارض وفي الآخرة بأن يدخلهم الجنة ويرضى عنهم .

١٠ ﴿و﴾ ينذر الكفار بقوله ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا﴾ اعددنا ﴿لهم عذابا أليما﴾ مؤلما هو النار . ويرشد القرآن ايضا الانسان كيف يدعو ربه ليوافق اجابته اذ الانسان لا يعرف ما الخير لنفسه وما الشر عليها .

١١ ﴿ويدع الانسان بالشر﴾ على نفسه وأهله اذا ضجر حذفت واو يدعو لفظا لسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين ﴿دعاءه﴾ اي كدعائه له ﴿بالخير﴾ في الالحاح الا أنه يستجاب له في الخير ولا يستجاب له في الشر كقوله تعالى «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم» . الآية ﴿وكان الانسان﴾ الجنس ﴿عجولا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته .

١٢ ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ دالتين ترشد الحواس فينظروا الى قدرتنا ﴿فمحونا آية الليل﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والاضافة للبيان ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ اي مبصرا فيها بالضوء ﴿لتبتغوا﴾ فيه ﴿فضلا من ربكم﴾ بالكسب ﴿ولتعلموا﴾ بها ﴿عدد السنين والحساب﴾ للاوقات ﴿وكل شيء﴾ يحتاج اليه ﴿فصلناه تفصيلا﴾ بيناه تبيينا .

١٣ ﴿وكل انسان ألزمناه طائره﴾ عمله يحمله ﴿في عنقه﴾ خص بالذكر لان اللزوم فيه أشد وقال مجاهد ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد ﴿ونخرج له﴾ للانسان ﴿يوم القيامة كتابا﴾ مكتوبا فيه عمله ﴿يلقاه منشورا﴾ صفتان لكتابا وهذا الطائر أشبه بالمسجل يسجل فيه أعمال صاحبه وأقواله ثم يجعل كتابا يوم القيامة ويقال له

ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ
وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ
كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا
لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا

١٤ ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ محاسبا .

١٥ ﴿من اهتدى فانما يهتدى لنفسه﴾ لان ثواب اهتدائه له ﴿ومن ضل فانما يضل عليها﴾ لأن اثمه عليها ﴿ولا تزر﴾ نفس ﴿وازرة﴾ آثمة اي لا تحمل ﴿وزر﴾ نفس ﴿اخرى وما كنا معذبين﴾ أحدا ﴿حتى نبعث رسولا﴾ يبين له ما يجب عليه .

١٦ ﴿واذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا ﴿ففسقوا فيها﴾ فخرجوا عن امرنا ﴿فحق عليها القول﴾ بالعذاب ﴿فدمرناها تدميرا﴾ اهلكناها باهلاك اهلها وتخريبها كما خربت بيت المقدس مرتين بمعاصي أهلها اليهود من بني اسرائيل .

١٧ ﴿وكم﴾ اي كثيرا ﴿اهلكنا من القرون﴾ الامم ﴿من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا﴾ عالما ببواطنها وظواهرها وبه يتعلق بذنوب . هنا آخر المقارنة بين قصة الاسراء والمعراج وبين قصة ذهاب موسى الى الطور المذكورة ضمنا وبين

مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا
سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾
كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾
لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل
لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ
إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

التوراة وهدايتها لبني اسرائيل وبين القرآن وهدايته للمؤمنين من بني آدم وتحذير أهل القرآن من هذه الأمة بما وقع على بني اسرائيل والامم السالفة بسبب مخالفتهم أوامر ربهم .

ثم تقديم السياق في الارشاد واصلاح السلوك الفردي والجماعي مقارنا بين الضدين فقال .

١٨ ﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿العاجلة﴾ اي الدنيا ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ التعجيل له بدل من له باعادة الجار . قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه ﴿ثم جعلنا له﴾ في الآخرة ﴿جهنم يصلاها﴾ يدخلها ﴿مذموما﴾ ملوما ﴿مدحورا﴾ مطرودا عن الرحمه .

١٩ ﴿ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ عمل عملها

اللائق بها ﴿وهو مؤمن﴾ حال ﴿فأولئك كان سعيهم مشكور
عند الله اي مقبولا مثابا عليه .

٢٠ ﴿كلا﴾ من الفريقين ﴿نمد﴾ نعطي ﴿هؤلاء وهؤلاء
بدل ﴿من﴾ متعلق بنمد ﴿عطاء ربك﴾ في الدنيا ﴿وما كان عط
ربك﴾ فيها ﴿محظورا﴾ ممنوعا عن احد .

٢١ ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الرز
والجاه ﴿وللآخرة أكبر﴾ اعظم ﴿درجات واكبر تفضيلا﴾
الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها .

٢٢ ﴿لا تجعل مع الله الها آخر﴾ خطاب للنبي لينزجر غ
او لكل مكلف وحاصل ما ذكر في هذه الآيات من التكالي
خمسة وعشرون نوعا بعضها اصلي وبعضها فرعي وقد ابتدأت
الاصلي في قوله «لا تجعل مع الله» الخ واختتمت به ايضا في قو
«ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا» اي
بين الله ان سعادة الآخرة منوطة بارادتها بأن يسعى سعيها وبأن يك
مؤمنا شرع في تفصيل هذه الأمور المجملة فبدأ بشرح حقيقة الايم
وبيان ما هو العمدة فيه وهو التوحيد فقال لا تجعل مع الله الها آخر
ذكر عقيبه سائر الاعمال التي يكون من عمل بها ساعيا في الآخ
﴿فتقعد مذموما مخذولا﴾ لا ناصر لك .

٢٣ ﴿وقضى﴾ أمر ﴿ربك أن﴾ بأن ﴿لا تعبدوا الا اياه
اي تخلصوا له العبادة ﴿و﴾ ان تحسنوا ﴿بالوالدين احسانا
بأن تبروهما ﴿اما يبلغن عندك الكبر احدهما﴾ فاعل ﴿أو كلاهما
وفي قراءة يبلغان فأحدهما بدل من الفه ﴿فلا تقل لهما أف﴾ بف
الهمزة وكسر الفاء منونا وقرىء بفتح الفاء منونا وغير منون وبالك
غير منون وهو مصدر بمعنى تبا وقبحا . ومعنى عندك أن يكونا
كنفك وكفالتك وبلوغ الكبر شرط خرج مخرج الغالب من ان الو
انما يتهاون بوالديه عند الكبر والا فالنهي عن قول أف لا يختص
بالكبيرين .

٢٤ ﴿ولا تنهرهما﴾ ولا تزجرهما ﴿وقل لهما قولا كريما
جميلا لينا ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ الن لهما جانبك الذلي
﴿من الرحمة﴾ اي لرقتك عليهما ﴿وقل رب ارحمهما كما
رحماني حين ﴿ربياني صغيرا﴾ .

٢٥ ﴿ربكم اعلم بما في نفوسكم﴾ من اضمار البر والعقوق ﴿ا
تكونوا صالحين﴾ طائعين لله في حق الوالدين ﴿فانه كان للأوابين
الراجعين الى طاعته ﴿غفورا﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين م
بادرة وهم لا يضمرون عقوقا وعد بالغفران مع شرط الصلا
والأوبة الى طاعة الله والاواب الحفيظ الذي اذا ذكر خطاي
استغفر منها .

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ
ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ
رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾
وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ
إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ
كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ
سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

٢٦ ﴿وآت﴾ أعط ﴿ذا القربى﴾ القرابة ﴿حقه﴾ من البر والصلة ﴿والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾ بالانفاق في غير طاعة الله .

٢٧ ﴿ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾ اي على طريقتهم ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾ شديد الكفر لنعمه فكذلك أخوه المبذر .

٢٨ ﴿واما تعرضن عنهم﴾ اي المذكورين من القربى وما بعده فلم تعطهم ﴿ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ اي لكونك كنت محتاجا وفقيرا في وقت طلبهم منك لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾ لينا سهلا بأن تعدهم بالاعطاء عند مجيء الرزق .

٢٩ ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك﴾ اي لا تمسكها عن الانفاق كل المسك ﴿ولا تبسطها﴾ في الانفاق ﴿كل البسط فتقعد ملوما﴾ راجع للأول ﴿محسورا﴾ منقطعا لا شيء عندك راجع للثاني .

٣٠ ﴿ان ربك يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم .

٣١ ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ بالوأد ﴿خشية﴾ مخافة ﴿املاق﴾ فقر ﴿نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا﴾ اثما ﴿كبيرا﴾ عظيما .

٣٢ ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ ابلغ من لا تأتوه ﴿انه كان فاحشة﴾ قبيحا ﴿وساء﴾ بئس ﴿سبيلا﴾ طريقا هو.

٣٣ ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق﴾ الا بسبب الحق الشرعي ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه﴾ لوارثه ﴿سلطانا﴾ تسليطا على القاتل ﴿فلا يسرف﴾ يتجاوز الحد ﴿في القتل﴾ بأن يقتل غير قاتله او بغير ما قتل به ﴿انه كان منصورا﴾ اي الولي كان منصورا اي بثبوت القصاص له وباعانة الحكام له على القصاص اي استيفائه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته عليه .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ
خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ
الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ
سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ
رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ
فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ
وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ

٣٤ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن﴾ اي ولا تقربوه بحال من الاحوال الا بالخصلة التي هي أحسن من جميع الخصال وهي تنميته له والانفاق عليه منه بالمعروف ﴿حتى يبلغ أشده﴾ بلوغه الى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح ماله فحينئذ تزول ولاية غيره عنه . وان بلغ غير كامل العقل لم تزل الولاية عنه ولا يشترط في البلوغ ان يصل الى ثلاث وثلاثين سنة بل بل مجرد البلوغ وهو عاقل يكفي . ﴿وأوفوا بالعهد﴾ اذا عاهدتم الله او الناس ﴿ان العهد كان مسئولا﴾ عنه .

٣٥ ﴿وأوفوا الكيل﴾ أتموه ﴿اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ الميزان السوي ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ مآلا

٣٦ ﴿ولا تقف﴾ تتبع ﴿ما ليس لك به علم﴾ اي لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل ماخوذ من القفا كأنه يقفو الامور يتبعها ويتعرفها وحقيقته انه لا يتكلم في أحد بالظن ﴿ان السمع والبصر والفؤاد﴾ القلب ﴿كل أولئك كان عنه مسؤلا﴾ صاحبه ماذا فعل به .

٣٧ ﴿ولا تمش في الارض مرحا﴾ اي ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿انك لن تخرق الارض﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ المعنى انك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال .

٣٨ ﴿كل ذلك﴾ المذكور من الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر . بيضاوي فاولها : «لا تجعل مع الله الها آخر» وثانيها وثالثها : «وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه» لاشتمالهما على تكليفين الامر بعبادة الله والنهي عن عبادة غيره رابعها : «بالوالدين احسانا» خامسها : «فلا تقل لهما اف» سادسها «ولا تنهرهما» سابعها : «وقل لهما قولا كريما» ثامنها : «واخفض لهما جناح الذل» وتاسعها : «وقل رب ارحمهما» عاشرها : «وآت ذا القربى حقه» حادي عشرها : «والمسكين» ثاني عشرها : «وابن السبيل» ثالث عشرها : «ولا تبذر تبذيرا» . رابع عشرها : «فقل لهم قولا ميسورا» . خامس عشرها : «ولا تجعل يدك مغلولة» . سادس عشرها : «ولا تبسطها الخ» . سابع عشرها : «ولا تقتلوا اولادكم» . ثامن عشرها : «ولا تقربوا الزنا» تاسع عشرها : «ولا تقتلوا النفس» . عشرونها : «فلا يسرف في القتل» والبقية : (ولا تقربوا مال اليتيم» واوفوا بالعهد» . «واوفوا الكيل» . «وزنوا بالقسطاس» . «ولا تقف» . «ولا تمش» الخ وكلها تكليفات ﴿كان سيئه عند ربك مكروها﴾ وفي قراءة سيئة المراد بها المنهيات اثنتا عشرة خصلة وتأنيث سيئة مراعاة لمعنى كل وقوله مكروها تذكيره مراعاة للفظها . وفي الآية اكتفاء اي وكان حسنه اي الحسن منه وهو المأمورات عند ربك مرضيا محمودا اهـ وبه تتم المقارنة .

ثم عقب على ما تقدم فقال تعالى .

٣٩ ﴿ذلك مما أوحى اليك﴾ يا محمد ﴿ربك من الحكمة﴾ من الشرائع التي لم تنسخ ذكرها في ثماني عشرة آية أولها لا تجعل الخ وذكرها في التوراة في عشر آيات وآخرها ولا تمش في الارض مرحا ومن في «مما أوحى» للتبعيض لان هذه بعض ما أوحاه الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾ مطرودا عن رحمة الله . وفي تكراره تنبيه على ان التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره تعالى ضاع سعيه وعلى أنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ما هو عاقبة الشرك في الدنيا وثانيها ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى

ولما أمر بالتوحيد ونهى عن اثبات شريك لله أتبعه بذكر فساد طريقة من اثبت الولد له تعالى لا سيما ان يكون ذلك الولد أخس الاولاد عند القائل فقال .

إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا
لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ
وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾
وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ
فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ
إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

٣٧٠

٤٠ ﴿أفأصفاكم﴾ أخلصكم يا اهل مكة ﴿ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿انكم لتقولون﴾ بذلك ﴿قولا عظيما﴾ باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلق ادونهم .

٤١ ﴿ولقد صرفنا﴾ بينا ﴿في هذا القرآن﴾ من الامثال والوعد والوعيد ﴿ليذكروا﴾ يتعظوا ﴿وما يزيدهم﴾ ذلك ﴿الا نفورا﴾ عن الحق .

٤٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿لو كان معه﴾ اي الله ﴿آلهة كما تقولون اذاً لابتغوا﴾ طلبوا ﴿الى ذي العرش﴾ اي الله ﴿سبيلا﴾ ليقتلوه على عادة ملوك الدنيا عند تعددهم وقوله الى ذي العرش اشارة الى استحالة محاربة ذي العرش اي مالك كل المخلوقات .

٤٣ ﴿سبحانه﴾ تنزيها له ﴿وتعالى عما يقولون﴾ بالياء وقرىء بالتاء من الشركاء ﴿علوا كبيرا﴾ مصدر واقع موقع التعالى وبرهن على نفي الشريك له فقال .

٤٤ ﴿تسبح له﴾ تنزهه ﴿السموات السبع والارض ومن فيهن وان﴾ ما ﴿من شيء﴾ من المخلوقات ﴿الا يسبح﴾ ملتبسا ﴿بحمده﴾ اي يقولون سبحان الله وبحمده ﴿ولكن لا تفقهون﴾ ﴿تسبيحهم﴾ لانه ليس بلغتكم بل بلغات لا تفهمونها اي ولأنكم محجوبون عن سماعها وهذا يقتضي ان تسبيح الجماد بلسان المقال وهو الذي اختاره الخازن وأثبته بأحاديث متعددة وهو قريب جدا . وقيل ان تسبيح العقلاء بلسان المقال وتسبيح غيرهم من الحيوان والجماد بلسان الحال حيث تدل تلك المخلوقات على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والخطاب. للكفار وهم لا يفقهون تسبيح الموجودات لانهم اثبتوا لله شركاء وزوجا وولدا فهم غافلون عن أكثر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ﴿انه﴾ اي الله ﴿كان حليما غفورا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة .

ولما قارن بين رسالة موسى لبني اسرائيل و بين رسالة محمد لبني آدم اجمعين ناسب ان يذكر للنبي ما يحفظه او يطمئن قلبه عن القتل كما كانت بنو اسرائيل تقتل انبياءها بعد موسى فقال .

٤٥ ﴿واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا﴾ اي ساترا لك عنهم فلا يرونك اذا ارادوا قتلك . والقرآن هنا مطلق في اي مكان منه قرأه فهو حفظ عن قتل وقيل ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والجاثية وهي في سورة النحل « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم » . وفي سورة الكهف « وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه » وفي حم الجاثية « افرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم » الآية فكان الله يحجبه ببركة هذه الآيات عن عيون المشركين اه وفي القرطبي قلت ويزداد الى هذه الآيات اول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون لما في السيرة أنه ﷺ خرج من بيته للهجرة فأخذ حفنة من تراب في يده وأخذ الله ابصار الكفار عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث اراد ان ينصرف . اه باختصار .

٤٦ ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ اغطية ﴿ان يفقهوه﴾ من ان يفقهوا القرآن اي فلا يفهمونه اولا يستطيعون ان يتفكروا في الطريق التي ينجحون فيها في قتله ﷺ ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ ثقلا فلا يسمعونه او الاحمال الثقيلة تثبطهم عن القيام لمحاربته فان النوم موضعه الاذن « فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا » ﴿واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولو على أدبارهم نفورا﴾ عن سماع القرآن أو عن مقاومتك .

سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾
أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا
قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ
ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ
عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ

٤٧ ﴿نحن أعلم﴾ منك ﴿بما يستمعون به﴾ بسببه من الهزؤ ﴿إذ يستمعون اليك﴾ قراءتك ﴿واذ هم نجوى﴾ يتناجون بينهم اي يتحدثون فصرفنا هم عن محاولة القتل ﴿اذ يقول الظالمون﴾ في تناجيهم ﴿ان﴾ ما ﴿تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ مخدوعا مغلوبا في عقله فلا خير في قتله . قال تعالى .

٤٨ ﴿أنظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الامثال﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فضلوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ طريقا اليه وبدل أن يتفكروا في طرق القتل تفكروا في كلمات الانكار .

٤٩ ﴿وقالوا﴾ منكرين للبعث استهزاء بك واستخفافا لرأيك ﴿أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ الاستفهام للانكار والاستبعاد لما بين رطوبة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة .

٥٠ ﴿قل﴾ لهم ﴿كونوا حجارة او حديدا﴾ .

٥١ ﴿او خلقا مما يكبر في صدوركم﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من ايجاد الروح فيكم ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ الى الحياة ﴿قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿اول مرة﴾ ولم تكونوا شيئا لان القادر على البدء قادر على الاعادة بل هو أهون ﴿فسينغضون﴾ يحركون ﴿اليك رؤسهم﴾ . تعجبا واستهزاء وسخرية ﴿ويقولون متى هو﴾ اي البعث ﴿قل عسى أن يكون قريبا﴾ .

٥٢ ﴿يوم يدعوكم﴾ يناديكم من القبور على لسان اسرافيل ﴿فتستجيبون﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿بحمده﴾ حال كونكم متلبسين بحمده عند القيام من القبور روي انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقيل قوله « بحمده » بمعنى وله الحمد أي كأنه قال وان كنتم تستهزئون بما اقول لكم فانه واقع لا محالة اقوله وانا متلبس بحمده لانه أرشدني الى الحق ﴿وتظنون﴾ حين قيامكم من القبور للبعث ﴿ان﴾ ما ﴿لبثتم﴾ في الدنيا أو في القبور ﴿الا قليلا﴾ لهول ما ترون امامكم من عذاب أشد من عذاب القبر .

وبعد ان ذكر ما يجعل أصحاب الدعوة مطمئنين في أنفسهم من قراءة القرآن بين فيما يأتي ما يسقط المودة بين المسلمين

٥٣ ﴿وقل لعبادي﴾ المومنين ﴿يقولوا﴾ اذا دار الكلام فيما بينهم الكلمة ﴿التي هي أحسن﴾ الطف من غيرها بعبارات لينة وتحيات طيبة ﴿ان الشيطان ينزغ﴾ يفسد ﴿بينهم﴾ اذا لم يتحروا في الكلام والمخاطبات الكلمات الطيبة الحسنة ﴿ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا﴾ بين العداوة يلقي الشحناء بين الاخوة بالكلمة الخشنة . ثم ان الحكم بالظاهر واما الباطن فموكل لله .

٥٤ ﴿ربكم اعلم بكم﴾ بنواياكم ﴿ان يشأ يرحمكم﴾ فيصلح سرائركم ﴿او إن يشأ يعذبكم﴾ بذنوبكم فالامر بيده تعالى واذا قلت لهم ذلك فقد بلغت وقمت بواجبك ﴿وما ارسلناك عليهم وكيلا﴾ فتجبرهم على الطاعة وانما عليك البلاغ المبين .

٥٥ ﴿وربك اعلم بمن في السموات والارض﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم فمنهم الانبياء والصالحون والطالحون ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ بتخصيص من فضل منهم بفضيلة لم تعط لغيره كتفضيل موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء ﴿وآتينا داود زبورا﴾ وهو كتاب انزل باللسان السرياني على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة أطولها قدر ربع من القرآن

زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا (٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ
مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا
كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ
بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ
مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)
وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ
فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا (٦٠)
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

واقصرها قدر سورة اذا جاء نصرالله . وكلها دعاء وتحميد وليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام وخص الزبور بالذكر هنا لما مر من اول السورة من ذكر كتاب موسى اي التوراة اشارة الى أن القرآن عند المقارنة قد احتوى على ما اشتملا عليه من الاحكام والارشاد والدعاء والتحميد . واذا كان الانبياء يتفاوتون فيما بينهم عند المقارنة في الفضل مع أنهم معصومون كلهم لا يخالفون أمر الله ولا يعصونه ألبتة فالتفاوت في غيرهم من باب أولى .

٥٦ ﴿قل﴾ للكافرين ﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ له الى غيركم .

٥٧ ﴿اولئك الذين يدعون﴾هم آلهة ﴿يبتغون﴾ يطلبون ﴿الى ربهم الوسيلة﴾ القربة بالطاعة ﴿أيهم﴾ بدل من واو يبتغون اي يبتغيها الذي هو ﴿أقرب﴾ اليه مثل الملائكة وعيسى فكيف بغيره مثل باقي الصالحين الذين يدعوهم أتباعهم شركاء ويظنون بهم الشفاعة ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ كغيرهم فكيف يدعونهم آلهة والمعنى أن هؤلاء المعبودين من الملائكة والانبياء او الصالحين مفتقرون الى الله وراجون رحمته وخائفون عذابه فلا يصلحون للالوهية لأن الاله يكون غنيا الغنى المطلق . واقرب خلق الله الى الله يخاف من عذاب الله فكيف تكون الحال بغير الاقرب فلا يجوز أن يعبد أقرب خلق الله الى الله استقلالا أو اشراكا لأنه لا يأمن لنفسه هو حتى يضمن الشفاعة لغيره «من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه» ﴿ان عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقا بأن يحذره اي يخافه كل أحد حتى الرسل والملائكة ويتوجهون بعباداتهم الى الله فما أجدر غيرهم أن يتوجهوا اليه كما يتوجه اليه من يدعونهم آلهة من دونه وهم عباد يبتغون رضاه بالرجاء والخوف وذلك هو الايمان الخالص لأنه نتيجة الخوف والرجاء .

ولما ذكر تعالى انه الملك المنفرد بالتصرف في عباده فلا تجوز العبادة لأحد إلا له استطرد بذكر تدبيره في الخلق . فقال :

٥٨ ﴿وان﴾ ما ﴿من قرية﴾ أريد أهلها ﴿الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ بالموت ﴿أو معذبوها عذابا شديدا﴾ بالقتل وغيره ﴿كان ذلك في الكتاب﴾ اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ مكتوبا .

ومن اسباب اهلاك الامم السابقة طلبهم الآيات من رسلهم فتنزل عليهم فيعصونها فيهلكون عليها واما امة محمد فهي آخر الامم لم يرد الله ان يهلكها على تلك الحالة ولذلك قال تعالى :

٥٩ ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ التي يقترحها اهل مكة وغيرهم ﴿الا ان كذب بها الاولون﴾ لما ارسلناها فأهلكناهم ولو ارسلنا الى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الاهلاك وقد حكمنا بامهالهم لاتمام امر محمد ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ آية ﴿مبصرة﴾ بينة واضحة ﴿فظلموا﴾ كفروا ﴿بها﴾ فاهلكوا ﴿وما نرسل بالآيات﴾ المعجزات ﴿الا تخويفا﴾ للعباد بنزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا ويؤمنوا نزل . واما هذه الأمة فقد ارسلنا اليها بالآيات غير المقترحة وهي القرآن تخويفا لها بعذاب الآخرة فان أمر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة ومع ذلك .

٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قلنا لك﴾ يا محمد ﴿ان ربك احاط بالناس﴾ علما وقدرة فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف احدا فهو يعصمك منهم فمن تعدى منهم فانه يهلكه وقد اهلك صناديد قريش ببدر وأهلك امثالهم في مواقع كثيرة . فانه وعيد مستمر على من يجترىء بتكذيب آياته تعالى الى يوم القيامة . ﴿وما جعلنا الرؤيا التي اريناك﴾ عيانا ليلة الاسراء تسميتها رؤيا لوقوعها بالليل وسرعة تقضيها كأنها منام ﴿الا فتنة للناس﴾ أهل مكة كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها . ﴿و﴾ ما جعلنا ﴿الشجرة

قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا
ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ
ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى
لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ
إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ
كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

الملعونة في القرآن﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته فنسبوا لله العجز عن خلق شجرة في النار وهو قادر على اكثر منه ويقويه ان النعامة تبتلع الجمر والحديد المحمي بالنار ولا يحرقها وان السمندل = وهو حيوان دون الثعلب = يستلذ بالنار ويمكث فيها ويتخذ من وبره مناديل فاذا وسخت طرحت في النار فيزول الوسخ وتبقى بحالها ويعمل الثلج من النار والملعونة اي المذمومة تقول العرب لكل طعام ضار انه ملعون ﴿ونخوفهم﴾ بها ﴿فما يزيدهم﴾ تخويفنا ﴿الا طغيانا كبيرا﴾ مجاوزة للحد فيه فيصدهم الشيطان عن الايمان بها .

ثم استطرد في ذكر قصة آدم مع الشيطان التي بذرت العداوة بين الجنسين حتى لا يكاد بنو آدم يخلصون من مكائد الشيطان فيفلحون فقال .

٦١ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ مهما كان السجود فانهم مأمورون به ولا يسرى حكم السجود لغيره الا بأمر من الله وقد منع في الاسلام وفيه المقارنة بين الملائكة والشيطان ﴿فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا﴾ نصب بنزع الخافض اي من طين .

٦٢ ﴿قال ارأيتك﴾ اي اخبروني ﴿هذا الذي كرمت﴾ فضلته ﴿علي﴾ بالامر بالسجود له وأنا خير منه خلقتني من نار ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن﴾ لأستأصلن ﴿ذريته﴾ بالاغواء ﴿الا قليلا﴾ منهم ممن عصمته فهذا محل الشاهد في القصة .

٦٣ ﴿قال﴾ تعالى له ﴿اذهب﴾ منظرا الى وقت النفخة الاولى ﴿فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم﴾ انت وهم ﴿جزاء موفورا﴾ وافرا كاملا .

٦٤ ﴿واستفزز﴾ استخف ﴿من استطعت منهم بصوتك﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع الى المعصية ﴿وأجلب﴾ صح ﴿عليهم بخيلك ورجلك﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وشاركهم في الاموال﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿والاولاد﴾ من الزنا ﴿وعدهم﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الاباء وتأخير التوبة لطول الامل ﴿وما يعدهم الشيطان﴾ بذلك ﴿الا غرورا﴾ باطلا .

٦٥ ﴿ان عبادي﴾ المؤمنين ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ تسلط وقوة ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ حافظاً لهم منك .

٦٦ ﴿ربكم الذي يزجى﴾ يجري ﴿لكم الفلك﴾ السفن ﴿في البحر لتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ تعالى بالتجارة ﴿انه كان بكم رحيما﴾ في تسخيرها لكم .

٦٧ ﴿واذا مسكم الضر﴾ شدة ﴿في البحر﴾ خوف الغرق ﴿ضل﴾ غاب عنكم ﴿من تدعون﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿الا اياه﴾ تعالى فانكم تدعونه وحده لأنكم في شدة لا يكشفها الا هو ﴿فلما نجاكم﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿الى البر أعرضتم﴾ عن التوحيد ﴿وكان الانسان كفورا﴾ جحودا للنعم .

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ

٦٨ ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ اي الارض كقارون ﴿او يرسل عليكم حاصبا﴾ يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ حافظا منه .

٦٩ ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ البحر ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ اي ريحا شديدة لا تمر بشيء الا قصفته فتكسر فلككم ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ بكفركم ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ ناصرا وتابعا يطالبنا بما فعلنا بكم وفيه مقارنة بين عبادة الله وعبادة الشيطان ثم قارن فيما ياتي بين بني آدم وغيرهم فقال .

٧٠ ﴿ولقد كرمنا﴾ فضلنا ﴿بني آدم﴾ بالعلم والنطق والعقل واعتدال الخلق وتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وغير ذلك ﴿وحملناهم في البر﴾ على الدواب ﴿والبحر﴾ على السفن ﴿ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تفضيلا﴾ فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولا يلزم تفضيل أفراده اذ هم أفضل من البشر غير الانبياء .

وبعد ذكر المقارنة بين جنس الناس وبين غيرهم من المخلوقات ذكر المقارنة بين الامم في الآخرة وبين المؤمن والكافر فقال .

٧١ ﴿يوم ندعوا كل أناس بامامهم﴾ نبيهم فيقال يا امة فلان أو بكتابهم فيقال يا اهل القرآن ويا أهل التوراة او بكتاب اعمالهم فيقال يا صاحب الخير يا صاحب الشر وهو يوم القيامة ﴿فمن أوتي﴾ منهم ﴿كتابه بيمينه﴾ وهم السعداء أولوا البصائر في الدنيا ﴿فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون﴾ ينقصون من اعمالهم ﴿فتيلا﴾ قدر قشرة النواة .

٧٢ ﴿ومن كان في هذه﴾ اي الدنيا ﴿أعمى﴾ عن الحق كقوله تعالى « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن طريقة النجاة وقراءة الكتاب ويقول يا ليتني لم أوت كتابيه ﴿وأضل سبيلا﴾ أبعد طريقا عنه . واستطرد من هذا الى ذكر انه لا محايدة في الاسلام ولا تخص جماعة بحكم دون أخرى فقيه قال .

٧٣ ﴿وان﴾ مخففة ﴿كادوا﴾ قاربوا ﴿ليفتنونك﴾ يستنزلونك ﴿عن الذي اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا﴾ لو فعلت ذلك فملت بتخصيص جماعة بحكم دون أخرى ﴿لاتخذوك خليلا﴾ .

٧٤ ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحق بالعصمة ﴿لقد كدت﴾ قاربت ﴿تركن﴾ تميل ﴿اليهم شيئا﴾ ركونا ﴿قليلا﴾ لشدة احتيال الناس والحاحهم فيما يجلب لهم نفعا او يدفع عنهم شدة وقد سألت ثقيف النبي ﷺ ان يحرم واديهم وألحوا عليه وسألوه ان لا يعشروا ويحشروا وان لا يضعوا اليدين على الركبتين او على الارض او لا ينكبوا على الارض في الصلاة . وصريح في الآية ان النبي ﷺ لم يركن ولا قارب ان يركن لمثل هذه الأهواء .

٧٥ ﴿اذا﴾ لو ركنت ﴿لأذقناك ضعف الحياة﴾ عذابها ﴿وضعف الممات﴾ عذابه اي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا

ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾
أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ
ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾
وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى

والآخرة ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ مانعا منه فهذا خلاف الدستور الانساني حيث يعطى بعض امتيازات لبعض الاشخاص او لجنس من الناس او لبعض من البلاد .

ارادت قريش اخراج الرسول من ارضه الى الشام بقوة أو بحيلة فقال الله .

٧٦ ﴿وان﴾ مخففة ﴿كادوا ليستفزونك من الارض﴾ ارض مكة ﴿ليخرجوك منها واذا﴾ لو اخرجوك ﴿لا يلبثون خلافك﴾ بكسر الخاء والف بعد اللام وقرىء بفتح الخاء وسكون اللام اي يمكثون بعدك ﴿الا قليلا﴾ من الزمان ثم يهلكون .

٧٧ ﴿سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا﴾ اي كسنتنا فيهم من اهلاك من اخرجهم ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ تبديلا فلما لم يرد الله اهلاك هذه الامة منع أهل مكة من اخراج رسولها منها حتى امره بالهجرة ووجه المقارنة ان الامم السالفة اخرجوا رسلهم مثل قوم ابراهيم وقوم شعيب وفرعون مع موسى فأنجى الله الرسل وأهلك الذين أخرجوهم .

ثم أمر الله نبيه بالصلاة لأنها منجى الخائفين ومأوى الفارين الى ربهم فقال .

٧٨ ﴿أقم الصلاة﴾ اي انت وأمتك الصلوات الخمس وال للعهد الذهني اي التي اعطيت ليلة المعراج في اوقاتها المعينة لها ﴿لدلوك الشمس﴾ اي من زوالها ﴿الى غسق الليل﴾ اقبال ظلمته اي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وقرآن الفجر﴾ صلاة الصبح ﴿ان قرآن الفجر كان مشهودا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار .

٧٩ ﴿ومن الليل فتهجد﴾ فصل ﴿به﴾ بالقرآن فيه استخدام في قوله قرآن الفجر ذكره اولا بمعنى الصبح وأعاد عليه الضمير بمعنى القرآن الكتاب المنزل ﴿نافلة لك﴾ فريضة زائدة لك دون امتك او فضيلة على الصلوات المفروضة . ﴿عسى ان يبعثك﴾ يقيمك ﴿ربك﴾ في الآخرة ﴿مقاما محمودا﴾ يحمدك فيه الاولون والاخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء حيث يظهر الله فضلك على جميع الناس بلا مقارنة مع أحد منهم وادع بعد الصلوات .

٨٠ ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ اي مدخلا مرضيا لا أرى فيه ما أكره أو موضع دخول مرضي عندك فادخله الله المدينة لما هاجر ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ اخراجا لا التفت بقلبي اليها اي مكة ﴿واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ قوة تنصرني بها على اعدائك .

٨١ ﴿وقل﴾ أيضا في الدعاء ﴿جاء الحق﴾ الاسلام ﴿وزهق الباطل﴾ بطل الكفر ﴿ان الباطل كان زهوقا﴾ مضمحلا زائلا . فقد اجاب الله الكريم دعاءه فاخرجه من مكة خروج صدق وادخله المدينة دخول صدق فطابت به نفسه ثم جعل له سلطانا نصيرا فرجع الى مكة مكرما فدخلها ﷺ وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول «جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» حتى سقطت رواه الشيخان .

ثم تبتدىء التعليقات والتعقيبات من هنا الى آخر السورة وكلها تدعو الى الايمان بالقرآن وبرسالة محمد ﷺ فقال .

٨٢ ﴿وننزل من﴾ للبيان ﴿القرآن ما هو شفاء﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للمومنين﴾ به ﴿ولا يزيد الظالمين﴾ الكافرين ﴿الا خسارا﴾ لكفرهم به .

٨٣ ﴿واذا أنعمنا على الانسان﴾ الجنس ﴿أعرض﴾ عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾ ثنى عطفه متبخترا الا من عصمه الله ومثل

نعمة القرآن تستحق الشكر من الانسان ولكن قليل منهم الشكور ﴿وإذا مسه الشر﴾ الفقر والشدة ﴿كان يؤسا﴾ قنوطا من رحمة الله فيبالغ في الدعاء والتضرع مثل قوله في آية «اذا مسه الشر فذو دعاء عريض» .

٨٤ ﴿قل﴾ يا محمد لمنكري القرآن ﴿كل﴾ منا ومنكم ﴿يعمل على شاكلته﴾ طريقته ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ طريقا فيثيبه .

٨٥ ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قل﴾ لهم ﴿الروح من أمر ربي﴾ اي علمه ولا تستطيعون ان تعلموه مهما افرغتم اوقاتكم في طلب علمه ﴿وما أوتيتم من العلم﴾ اي مبادىء العلم الذي ينبغي أن تطلبوه ﴿الا قليلا﴾ فكيف تجاوزتم بسؤالكم الى ما لا ينفعكم علمه .

٨٦ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك﴾ من العلم القليل الذي اعطيتم فتبقون جهالا ليس لكم من العلم شيء ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ ضامنا لك يجبرنا على رد ما محينا منك من العلم القليل .

٨٧ ﴿الا﴾ لكن أبقيناه ﴿رحمة من ربك ان فضله كان عليك﴾ وعلى أمتك بابقاء العلم ﴿كبيرا﴾ عظيما حيث انزل القرآن عليك وفيه العلم الكثير حيث تصلحون به دنياكم وأخراكم وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل .

٨٨ ﴿قل﴾ لهم ليعرفوا عظم ما أنعمنا به عليهم بانزال هذا القرآن ﴿لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ في ما احتوى عليه من العلم وفي الفصاحة والبلاغة والاحكام والارشاد ﴿لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ معينا .

٨٩ ﴿ولقد صرفنا﴾ بينا وكررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان ﴿للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ صفة لمحذوف اي مثلا من جنس كل مثل ليعرفوا انه حق من الله ﴿فأبى أكثر الناس﴾ المكلفين ﴿الا كفورا﴾ جحودا للحق .

٩٠ ﴿وقالوا﴾ عطف على أبى ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا﴾ عينا ينبع منها الماء .

ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ
يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ
ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ
عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ

خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا
كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ
بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ
جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾
قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا
بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾
وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ

٩١ ﴿او تكون لك جنة﴾ بستان ﴿من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها﴾ وسطها ﴿تفجيرا﴾ .

٩٢ ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا﴾ قطعا ﴿او تأتي بالله والملائكة قبيلا﴾ مقابلة وعيانا فنراهم .

٩٣ ﴿او يكون لك بيت من زخرف﴾ ذهب ﴿او ترقى﴾ تصعد ﴿في السماء﴾ بسلم ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ لو ادعيت انك رقيت ليلة المعراج ﴿حتى تنزل علينا﴾ منها ﴿كتابا﴾ فيه تصديقك ﴿نقرؤه قل﴾ لهم ﴿سبحان ربي﴾ تعجب ﴿هل كنت﴾ ما كنت ﴿الا بشرا رسولا﴾ كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بآية الا باذن الله .

٩٤ ﴿وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا﴾ اي قولهم منكرين ﴿أبعث الله بشرا رسولا﴾ ولم يبعث ملكا .

٩٥ ﴿قل﴾ لهم ﴿لو كان في الارض﴾ بدل البشر ﴿ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾ اذ لا يرسل الى قوم رسول الا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه . وان سألوك عن شهيد على صدق رسالتك .

٩٦ ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم .

٩٧ ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء﴾ يهدونهم ﴿من دونه ونحشرهم يوم القيامة﴾ ماشين ﴿على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت﴾ سكن لهبها ﴿زدناهم سعيرا﴾ تلهبا واشتعالا .

سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ
بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ
وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا

٩٨ ﴿ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا﴾ منكرين للبعث ﴿أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ اي بعثا جديدا او حال اي مخلوقين .

٩٩ ﴿أو لم يروا﴾ يعلموا ﴿ان الله الذي خلق السموات والارض﴾ مع عظمهما ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ أي الاناس في الصغر ﴿وجعل لهم أجلا﴾ للموت والبعث ﴿لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا﴾ جحودا له .

١٠٠ ﴿قل﴾ لهم شرحا لحالهم التي يدعون خلافها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ لاجل ان نتبسط ونتسع في الرزق ﴿لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ من الرزق والمطر ﴿اذا لأمسكتم﴾ اي لبقيتم على بخلكم وشحكم ولا تتوسعون لأنفسكم ﴿خشية الانفاق﴾ خوف نفادها بالانفاق فتقترون يقال انفق فلان اذا افتقر فهو كالاملاق ﴿وكان الانسان قتورا﴾ بخيلا على نفسه .

وان كذبوا القرآن فليس بعجيب .

١٠١ ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ واضحات وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات ﴿فاسأل﴾ يا محمد ﴿بني اسرائيل﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك او قلنا له اي لموسى وفي قراءة بلفظ الماضي اي فسأل فرعون بني اسرائيل ﴿اذ جاءهم﴾ موسى ﴿فقال له فرعون اني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ مخدوعا مغلوبا على عقلك .

١٠٢ ﴿قال لقد علمت﴾ يا فرعون ﴿ما انزل هؤلاء﴾ الآيات ﴿الا رب السموات والارض﴾ حال كونها ﴿بصائر﴾ عبرا ولكنك تعاند وفي قراءة بضم التاء ﴿واني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ هالكا او مصروفا عن الخير .

١٠٣ ﴿فأراد﴾ فرعون ﴿ان يستفزهم﴾ يخرج موسى وقومه ﴿من الارض﴾ ارض مصر ﴿فاغرقناه ومن معه جميعا﴾ اهلك الله فرعون ومن معه من جنوده بارادة استفزار موسى مع انه لم يهلك قريشا لما تشاوروا في استفزار النبي لأنهم كادوا يستفزونه وقاربوا ان يعملوا ولم يفعلوا واما فرعون فقد شرع في تنفيذ ارادته بموسى فحصل الفرق بينهما عند المقارنة .

مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ
ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ
لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ
إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ
رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟
ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ
بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾
وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ
فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

٣٧٩

١٠٤ ﴿وقلنا من بعده﴾ بعد غرق فرعون ﴿لبني اسرائيل اسكنوا الارض﴾ اي ارض الشام ومصر معا ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ اي الساعة وهي النفخة الثانية ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ انتم وقوم فرعون مختلطين ثم نحكم بينكم ونميز سعداء كم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى. قلت يمكن أن تكون المرة الآخرة وقت اجتماع اليهود غربي نهر الأردن لمحاربة المسلمين كما ثبت في الحديث.

بعد أن ذكر الادلة الواضحة المقتضية لصدق الرسول فيما جاء به وثبوت ان القرآن حق من عند الله أكد ذلك بقوله تعالى.

١٠٥ ﴿وبالحق انزلناه﴾ اي القرآن لان الكلام عليه من قوله «قل لان اجتمعت الانس والجن على ان يأتو بمثل هذا القرآن» اي أزلناه بالحكمة ألالهية المقتضية لانزاله ﴿وبالحق﴾ المشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها ﴿نزل﴾ كما انزل لم يعتره تبديل ﴿وما ارسلناك﴾ يا محمد به ﴿الا بشيرا﴾ من آمن به بالجنة ﴿ونذيرا﴾ لمن كفر به بالنار.

١٠٦ ﴿وقرآنا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فرقناه﴾ نزلناه مفرقا بالتخفيف في فرقناه في عشرين سنة اوثلاث وقيل بينا فيه الحلال والحرام والحق والباطل وقرىء بالتشديد اي فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم واحكام ومواعظ وامثال وقصص وأخبار ماضية ومستقبلة او انه دال على التفريق والتنجيم ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿ونزلناه تنزيلا﴾ شيئا بعد شيء على حسب المصالح.

١٠٧ ﴿قل﴾ للكفار ﴿آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ به تهديد لهم ﴿ان الذين اوتوا العلم من قبله﴾ قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا﴾ من تعظيمه ساجدين لله على انجاز وعده الذي وعدهم به في الكتب القديمة ان يرسل محمدا ﷺ ونزل له القرآن وخصت الاذقان بالذكر وان كان السجود بالجباه دلالة على انهم يخرون مندهشين لما سمعوا فيه فيسجدون على غير نظام فيسقطون على الاذقان لانها اقرب جزء من الوجه للأرض.

١٠٨ ﴿ويقولون﴾ في حال السجود ﴿سبحان ربنا﴾ تنزيها له عن خلف الوعد ﴿ان﴾ مخففة اي انه ﴿كان وعد ربنا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لمفعولا﴾.

١٠٩ ﴿ويخرون للاذقان يبكون﴾ عطف بزيادة صفة ﴿ويزيدهم﴾ القرآن ﴿خشوعا﴾ تواضعا لله فوق ما استقبلوه. ولما ذكر ان الذين اوتوا العلم من قبل نزول القرآن اذا تلي عليهم القرآن يخرون ساجدين ويقولون سبحان ربنا ان كان وعده لمفعولا امر الله تعالى نبيه فقال.

١١٠ ﴿قل﴾ لقومك اذا سجدوا ﴿ادعوا الله او ادعوا الرحمن﴾ اي باسمه الله واسمه الرحمن ﴿أياً﴾ شرطية ﴿ما﴾ زائدة لتأكيد ما في اي من ابهام أى أيَّ هذين ﴿تدعو﴾ فهو حسن دل على هذا ﴿فله﴾ اي لمسماهما ﴿الاسماء الحسنى﴾ وهذان منها فانها كما في الحديث الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار

النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذي وهي توقيفية .

ثم ذكر فيما يأتي كيفية الدعاء أو القراءة في الصلاة من جهة رفع الصوت وعدمه فقال ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ بقراءتك او دعائك كما قالت عائشة وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ﴿ولا تخافت﴾ تسر ﴿بها﴾ بحيث لا يسمع منك اصحابك ﴿وابتغ﴾ اقصد ﴿بين ذلك﴾ الجهر والمخافتة ﴿سبيلا﴾ طريقا خير الامور الوسط وهذا في غير المرابطين وحارس البحر فالرفع عندهم أولى لانه شعارهم وكذلك في تكبير العيد والتلبية والسر في غير هذا أفضل من الجهر .

ثم ذكر كيفية الدعاء من جهة الفاظه وقال .

١١١ ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك﴾ في الالوهية ﴿ولم يكن له ولي﴾ ينصره ﴿من﴾ أجل ﴿الذل﴾ اي لم يذل فيحتاج الى ناصر ﴿وكبره تكبيرا﴾ اي وعظمه تعظيما تاما بكل ما وردت الشريعة من تعظيم الله كاتخاذ الزينة والاستقبال للقبلة ورجاء تقبله دعاءك وخوف عقابه ورفع الاكف رغبة ورهبة والصلاة على نبيه محمد ﷺ وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على انه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته . روى الامام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ انه كان يقول «آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك» الى آخر السورة .

﴿ سورة الكهف مكية ﴾

آياتها مائة وعشر او خمس عشرة . وموضوعها الرئيسي هو تصحيح العقيدة والعمل بمقتضى واضح الشريعة ، وترك كل ما خالفها مهما استحسنه العقل أو غيره .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الحمد﴾ هو الوصف بالجميل ثابت ﴿لله﴾ تعالى وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به ، أو انشاء ثناء به ، أو هما احتمالات أفيدها الثالث ﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ، ليعمل به عباده المؤمنون ، فينتظم به صلاح معاشهم ومعادهم . ﴿ولم يجعل له﴾ الكتاب ﴿عوجا﴾ التواء ولا انحرافا . فمعانيه كلها ملتئمة وليس فيها اختلاف ولا تناقض ، والجملة حال من الكتاب .

٢ ﴿قيما﴾ مستقيما حال ثانية مؤكدة ، ﴿لينذر﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿بأسا﴾ عذابا ﴿شديدا من لدنه﴾ من قبل الله ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات﴾ هو ما وافق الشرع قولا وعملا ونية ﴿ان لهم أجرا حسنا﴾ .

(١٨) سورة الكهف مكية
وآياتها عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل
لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا (٢) مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ
ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)
فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا
ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا

٣ ﴿ماكثين فيه أبدا﴾ هو الجنة .

٤ ﴿وينذر﴾ من جملة الكافرين ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ .

٥ ﴿ما لهم به﴾ بهذا القول ﴿من علم ولا لآبائهم﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كبرت﴾ عظمت ﴿كلمة تخرج من أفواههم﴾ كلمة : تمييز مفسر للضمير المبهم ، والمخصوص بالذم محذوف اي مقالتهم المذكورة ﴿إن﴾ ما ﴿يقولون﴾ في ذلك ﴿إلا﴾ قولا ﴿كذبا﴾ .

٦ ﴿فلعلك باخع﴾ مهلك ﴿نفسك على آثارهم﴾ بعدهم ، أي بعد توليهم عنك ﴿ان لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ القرآن ﴿أسفا﴾ غيظا وحزنا منك لحرصك على ايمانهم . ونصبه على المفعول له ثم علل النهي عن البخع بقوله تعالى .

لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا
صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ
لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

٧ ﴿انا جعلنا ما على الأرض﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ... ﴿زينة لها لنبلوهم﴾ لنختبر الناس ، ناظرين الى ذلك ﴿أيهم أحسن عملا﴾ بموافقة ما ارسلناك به اليهم في النية والقول والعمل .

٨ ﴿وانا لجاعلون ما عليها صعيدا﴾ فتاتا ﴿جرزا﴾ يابسا لا ينبت . أي لنبلونهم أيهم أحسن عملا في اتباع ما أمرناهم به، وترك ما نهيناهم عنه ، ولم يغتر بزخرف الأرض الذي ينقطع ويتركها يابسة ، ونعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالأرض كصعيد أملس لا نبات فيه ، فلا يغترن أصحاب الاموال بالاموال عن امتثال امرنا واجتناب نهينا ، والاموال لا تجدي شيئا بدون التقوى .

ثم ضرب مثلا على ما تقدم بقصة أصحاب الكهف فقال تعالى :

٩ ﴿ام حسبت﴾ أي بل أظننت ﴿ان أصحاب الكهف﴾ الغار في الجبل ﴿والرقيم﴾ اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم . وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كانوا﴾ في قصتهم ﴿من﴾ جملة ﴿آياتنا عجبا﴾ خبر كان وما قبله حال ، أي كانوا عجبا دون باقي الآيات في بيان اعتنائنا بالصالحين المتمسكين بأوامرنا . وكانت قصتهم بعد بعثة عيسى عليه السلام ، ألمح لها ثم شرع في تفصيلها بعد ذكرها مجملة للتعجيب ، فقال اذكر .

١٠ ﴿إذ أوى الفتية الى الكهف﴾ جمع فتى وهو الشباب الكامل ، خائفين على ايمانهم من قومهم الكفار ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك﴾ من قبلك ﴿رحمة وهيء﴾ أصلح ﴿لنا من أمرنا رشدا﴾ هداية فاستجبنا دعاءهم .

١١ ﴿فضربنا على آذانهم﴾ أي أنمناهم ﴿في الكهف سنين عددا﴾ معدودة .

١٢ ﴿ثم بعثناهم﴾ أيقظناهم ﴿لنعلم﴾ علم مشاهدة ﴿أي الحزبين﴾ أي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أحصى﴾ أفعل بمعنى أضبط ﴿لما لبثوا﴾ للبثهم ، متعلق بما بعده ﴿أمدا﴾ غاية . اختلف المفسرون في الحزبين وأشهر الأقوال عندي ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما : « المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك ، أو أصحاب الكهف » . والدليل ان السورة تبين اعتناء الله بالصالحين ، فأبقى تاريخهم للاقتداء بهم ، ما تقدم من ذكر القصة مجملا بعد التلميح ، ثم يلي بعد تفصيلها :

قال تعالى :

١٣ ﴿نحن نقص﴾ نقرأ ﴿عليك نبأهم بالحق﴾ بالصدق ﴿انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ .

١٤ ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ قويناهم على قول الحق ﴿اذ قاموا﴾ بين يدي ملكهم المرتد عن الاسلام مع عيسى الى عبادة الأوثان واسمه دقيانوس الرومي ، وكان قد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه﴾ أي غيره ﴿الها لقد قلنا اذا شططا﴾ أي قولا ذا شطط ، أي افراطا في الكفر ان دعونا ا غير الله فرضا .

١٥ ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ ﴿قومنا﴾ عطف بيان ﴿اتخذوا من دونه آلهة لولا﴾ هلا ﴿يأتون عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسلطان بين﴾ بحجة ظاهرة . ﴿فمن أظلم﴾ أي لا أحد أظلم ﴿ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك اليه تعالى . قال بعض الفتية لبعض :

١٦ ﴿واذا اعتزلتموهم وما يعبدون﴾ ومعبوداتهم ﴿الا الله﴾ فالاستثناء متصل لأن فيهم من يعبد الله ﴿فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا﴾ بكسر الميم وفتح الفاء ، وقرىء بالعكس ، ما ترتفقون به من غداء وعشاء وناموا في الكهف ، وكان قد رافقهم كلب ليحرسهم فنام معهم .

١٧ ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ، اي تميل ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ ناحيته ﴿واذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة ، وتعطيهم من ضوئها شيئا ثم يزول بسرعة . والمقصود بيان حفظهم من تطرق البلى اليهم وتغير الأبدان والألوان ، والتأذي بحر أو برد ﴿وهم في فجوة منه﴾ متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿من آيات الله﴾ دلائل قدرته ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ .

١٨ ﴿وتحسبهم﴾ لو رأيتهم ﴿ايقاظا﴾ أي منتبهين ، لأن أعينهم منفتحة ، جمع يقظ بكسر القاف ﴿وهم رقود﴾ نيام جمع راقد ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم . ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾ يديه ﴿بالوصيد﴾ بفناء الكهف . وكانوا اذا انقلبوا انقلب ، وهو مثلهم في النوم واليقظة . ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فررا ولملئت﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿منهم رعبا﴾ بسكون العين وقرىء بضمها ، منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم . وروي عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود قال : «غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف ، فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا اليهم ، فقال ابن عباس : قد منع من ذلك من هو خير منك «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا» فبعث معاوية ناسا فقال : اذهبوا فانظروا . فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم اهـ «خطيب» . فظن معاوية أن هذا المنع من الاطلاع مختص بذلك الزمان الذي قبل بعثهم ، وأما ابن عباس فعلم ان ذلك عام في جميع الأوقات .

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم
مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن
كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ
لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ
رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ
مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً
ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ

٣٨٣

١٩ ﴿وكذلك﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بعثناهم﴾ أيقظناهم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ عن حالهم مدة لبثهم ﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها ، فظنوا أنه غروب يوم الدخول . ثم ﴿قالوا﴾ متوقفين في قدر مدة لبثهم ﴿ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ بسكون الراء وكسرها بفضتكم ﴿هذه الى المدينة﴾ يقال انها المسماة الآن طرسوس ، بفتح الراء ، وكانت في الجاهلية تسمى أفسوس ، وقيل هما بلدان مختلفان من مدائن الروم . ﴿فلينظر﴾ الرسول وهو يمليخا منهم ﴿أيها أزكى طعاما﴾ أي أطعمة المدينة أحل . لأنهم يعرفون ان منهم من يذبح للطواغيت ، وفيهم من يخفي إيمانه ، أو أكثر بركة كالبر والارز ﴿فليأتكم برزق منه﴾ من الطعام الحلال أو المبارك . وهذا يدل على أن اتخاذ الزاد لا ينافي التوكل على الله بل يطلب التزود للانسان ﴿وليتلطف ولا يشعرن بكم أحد﴾ .

٢٠ ﴿انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرجم . وهو ما كانوا يفعلونه بالمؤمنين ان لم يرتدوا ﴿أو يعيدوكم﴾ يصيروكم ﴿في ملتهم ولن تفلحوا اذا﴾ أي ان عدتم في ملتهم ﴿أبدا﴾ .

٢١ ﴿وكذلك﴾ كما بعثناهم ﴿أعثرنا﴾ أطلعنا ﴿عليهم﴾ قومهم والمؤمنين ﴿ليعلموا﴾ أي قومهم ﴿أن وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق﴾ ثابت بطريق أن القادر على انامتهم المدة الطويلة وابقائهم على حالهم بلا غذاء ، قادر على احياء الموتى ﴿وأن الساعة لا ريب﴾ لا شك ﴿فيها اذ﴾ معمول لأعثرنا ﴿يتنازعون﴾ أي الناس الموجودون ﴿بينهم أمرهم﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فقالوا﴾ اي قال بعضهم لبعض ﴿ابنوا عليهم﴾ حولهم ﴿بنيانا﴾ يسترهم .

٢٢ ﴿ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ أي الرؤساء منهم ﴿لنتخذن عليهم﴾ حولهم ﴿مسجدا﴾ نصلي فيه وفعلوا ذلك على باب الكهف .

٢٣ ﴿سيقولون﴾ أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ ، أي يقول بعضهم : هم ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون﴾ أي بعضهم ﴿خمسة سادسهم كلبهم﴾ . والقولان لنصارى نجران موضع بين الشام واليمن والحجاز . وقيل : القول الأول لليهود كما في البيضاوي ﴿رجما بالغيب﴾ أي ظنا في الغيبة عنهم ، وهو راجع الى القولين معا . ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك . شبهه بالرمي بالحجارة التي لا تصيب غرضا ، أي ظنا من غير دليل ولا برهان . ﴿ويقولون﴾ أي بعضهم : ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ الجملة من المبتدأ والخبر صفة سبعة بزيادة الواو . وقيل تأكيد ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف . ووصف الاولين بالرجم دون الثالث دليل على انه مرضي وصحيح ﴿قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل﴾ . قال ابن عباس : أنا من القليل ممن علموا ذلك باخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام ، وقال : هم سبعة ، وهم : مكسامينا وتمليخا ومرطونس ونيتونس وساريونس وذو نوانس وفليستطيونس وهو راع لغنم ، واسم الكلب قطمير وقيل حمران وقيل ريان . ﴿فلا تمار﴾ تجادل ﴿فيهم إلا مراء ظاهرا﴾ بما أنزل عليك ﴿ولا تستفت فيهم﴾ تطلب الفتيا ﴿منهم﴾ النصارى أهل الكتاب ﴿أحدا﴾ وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم للتحقيق .

وبعد ان نهى الله تعالى رسوله عن استفتاء أحد من اهل الكتاب في أصحاب الكهف علمه الآداب الشرعية فالأولى ان يعلق كل ما يريد أن يفعله بمشيئة الله تعالى وان يذكره اذا نسي فقال

وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى
لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ
مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا
لَهُۥ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم
مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
وَاتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ
وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾
وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ
فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

٢٤ ﴿ولا تقولن لشيء﴾ أي لأجل شيء ﴿اني فاعل ذلك غدا﴾ اي فيما يستقبل من الزمان ﴿الا أن يشاء الله﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، أي لا تقل لشيء في حال من الأحوال الا في حال تلبسك بالتعليق بالمشيئة . وقيل موضع «أن يشاء» الجر متعلق بمقدر حال ، والتقدير لا تقولن أفعل غدا الا متلبسا بأن يشاء الله بأن تقول : ان شاء الله . والأدب الثاني قوله ﴿واذكر ربك﴾ بأن تسبحه أو تستغفره ﴿اذا نسيت﴾ شيئا في الكلام وذكرته على غير ما هو عليه نسيانا أو خطأ ، وهو حكم عام في كل كلام . ويكون ذكر المشيئة بعد النسيان كذكرها مع القول . قال الحسن وغيره : ما دام في المجلس . واما في نفي كفارة اليمين فلا ينفع الاستثناء الا اذا نوي واتصل بالكلام ولفظ بان شاء الله أو الا أن يشاء الله . واذا اختل شرط فالكفارة بالحنث الا لعذر كقطع الكلام بنحو القحة . والأدب الثالث قوله تعالى : ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا﴾ من خبر اهل الكهف في الدلالة على نبوتي ، وهو مرتبط بقوله : «نحن نقص عليك نبأهم بالحق» أي اذا بلغتهم خبر أهل الكهف الذي قصصناه عليك ، فلا تقتصر عليه بل قدم المشيئة الالهية في أقوالك واطلب من الله الهداية لأعظم مما أعطاك ﴿رشدا﴾ هداية ، وقد فعل الله تعالى ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك .

٢٥ ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة﴾ بالتنوين ﴿سنين﴾ عطف بيان لثلثمائة وهذه السنون الثلثمائة عند أهل الكتاب شمسية ، وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين ، وقد ذكرت في قوله : ﴿وازدادوا تسعا﴾ أي تسع سنين ، فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية .

٢٦ ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره . والمقصود بذكر هذا والله أعلم تعليم آخر برد ما خفي علمه الى الله تعالى ، ولذلك فصله من القصة ، وذكره في آداب الكلام المستنبطة منها ، وأتم التعقيبات بذكر صفاته تعالى ، والتنبيه باحاطته بالأشياء ، ليرسخ ذلك في ذهن المتكلم ولا يخرج بكلامه عن أدب من الآداب المذكورة ، فقال : ﴿له﴾ تعالى ﴿غيب السموات والأرض﴾ أي علمه ﴿أبصر به﴾ أي بالله وهي صيغة تعجب ﴿وأسمع﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز ، والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء . ﴿ما لهم﴾ لأهل السموات والأرض ﴿من دونه من ولي﴾ ناصر ﴿ولا يشرك في حكمه أحدا﴾ لأنه غني عن الشرك .

بعد ذكر أصحاب الكهف وبيان عنايته تعالى بمن تمسك به ، وما استنبط منها من التعقيبات الأدبية ، أمر النبي ﷺ بالتعليمات الآنية التي تحقق للمسلم الاخلاص والايمان الكامل فقال :

٢٧ ﴿واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك﴾ القرآن ، واعمل به ولا تلتفت الى ما يقولون ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أن يتوصل اليه بتغيير أو تبديل ﴿ولن تجد من دونه ملتحدا﴾ أي لا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بالتبديل للقرآن .

٢٨ ﴿واصبر نفسك﴾ احبسها ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون﴾ بعبادتهم ﴿وجهه﴾ رضاه تعالى لا شيئا من أغراض الدنيا ، وهم الفقراء ﴿ولا تعد﴾ تنصرف ﴿عيناك عنهم﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ أي القرآن اعترازا بغناه روي انه قال بعضهم وقد وجد النبي عنده جماعة من الفقراء ، منهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه ، فقال

وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ
بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن
سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ
الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا
رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا
وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ

للنبي ذلك الرجل : أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ، ان أسلمنا تسلم الناس ، وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء ، فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وهو مثل قول أتباع نوح له : «أنؤمن لك واتبعك الأرذلون» ﴿واتبع هواه﴾ في الشرك ﴿وكان أمره فرطا﴾ اسرافا .

٢٩ ﴿وقل﴾ له هذا القرآن ﴿الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن﴾ بالقرآن ﴿ومن شاء فليكفر﴾ به تهديد لهم ﴿انا اعتدنا للظالمين﴾ أي الكافرين ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾ ما أحاط بها

﴿وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ كعكر الزيت ، وهو الدردي أي ما بقي أسفل الاناء ﴿يشوي الوجوه﴾ من حره اذا قرب اليها ﴿بئس الشراب﴾ هو ﴿وساءت﴾ أي النار ﴿مرتفقا﴾ تمييز منقول عن الفاعل ، أي قبح مرتفقها . وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة «وحسنت مرتفقا» والا فأي ارتفاق في النار .

٣٠ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ الجملة خبر «ان الذين» ، وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر ، والمعنى أجرهم اي نثيبهم بما تضمنه .

٣١ ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ اقامة ﴿تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور﴾ قيل «من» زائدة ، وقيل للتبعيض ، وهي جمع اسورة كأخمرة جمع سوار كحمار ﴿من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس﴾ مارق من الديباج ﴿واستبرق﴾ ما غلظ منه . وفي آية الرحمن : «بطائنها من استبرق» ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ جمع أريكة وهي السرير في الحجلة ، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس . ﴿نعم الثواب﴾ الجزاء الجنة . ﴿وحسنت مرتفقا﴾ أي متكئا ومسكنا ومنزلا فيه مشاكلة لما تقدم من وصف النار مع اهلها .

ولما وصف مآل أهل الطاعة ومآل أهل المعصية في الآخرة ؛ ذكر فيما يأتي خاتمة الطغيان في الدنيا وعاقبته بضرب مثالين فقال :

٣٢ ﴿واضرب﴾ يا محمد اي اجعل ﴿لهم﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مثلا رجلين﴾ بدل ، وما بعده تفسير للمثل ﴿جعلنا لأحدهما﴾ الكافر ﴿جنتين﴾ بستانين ، وجعلهما اثنين اكثر امتاعا فيحفه السرور يمينا وشمالا ﴿من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا﴾ يقتات به .

٣٣ ﴿كلتا الجنتين﴾ كلتا مفرد يدل على التثنية ، وهو مبتدأ ﴿آتت﴾ خبره ﴿أكلها﴾ ثمرها ﴿ولم تظلم﴾ تنقص ﴿منه شيئا﴾ . ﴿وفجرنا﴾ اي شققنا ﴿خلالهما نهرا﴾ يجري بينهما .

٣٤ ﴿وكان له﴾ مع الجنتين ﴿ثمر﴾ بفتح الثاء والميم ، وقرىء بضمهما وبضم الأول وسكون الثاني وهو جمع ثمرة ، كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن . ﴿فقال لصاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره﴾ أي يراجعه في الكلام متفاخرا ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ عشيرة .

مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾
قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن
تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ
رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ
قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾
أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا
وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ
أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

٣٥ ﴿ودخل جنته﴾ بصاحبه يطوف به فيها ، ويريه أثمارها . ولم يقل جنتيه ارادة للروضة أو لأنه لا يدخلهما معا في وقت واحد ، فلا بد من ترتيب لدخول احداهما قبل الأخرى ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ بالكفر ﴿قال ما أظن أن تبيد﴾ تنعدم ﴿هذه أبدا﴾ .

٣٦ ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ مرجعا .

٣٧ ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره﴾ يجاوبه ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ لأن آدم خلق من تراب ، ولأن مادة خلقه منه ﴿ثم من نطفة﴾ مني ﴿ثم سواك﴾ عدلك وصيرك ﴿رجلا﴾ كاملا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله ، ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على أن يعيده منه .

٣٨ ﴿لكنا﴾ أصله لكن أنا ، نقلت حركة الهمزة الى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها ﴿هو﴾ ضمير الشأن تفسره الجملة بعده ، والمعنى انا أقول ﴿الله ربي ولا أشرك بربي أحدا﴾ كرر الاسم الظاهر «ربي» للتبرك أو للتلذذ أو للتعظيم أو للتعليم .

٣٩ ﴿ولولا﴾ هلا ﴿اذ دخلت جنتك قلت﴾ عند اعجابك بها هذا ﴿ما شاء الله لا قوة الا بالله﴾ وفي الحديث : «من أعطي خيرا من اهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها» أي هذا الذي أعطيته هو الذي شاءه الله وأراده لا بحولي وقوتي ﴿ان ترن أنا﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿أقل منك مالا وولدا﴾ .

٤٠ ﴿فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾ جواب الشرط ﴿ويرسل عليها حسبانا﴾ جمع حسبانة أي صواعق ﴿من السماء فتصبح صعيدا زلقا﴾ أرضا ملساء لا يثبت عليها قدم .

٤١ ﴿أو يصبح ماؤها غورا﴾ بمعنى غائرا ، عطف على يرسل دون تصبح ، لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فلن تستطيع له طلبا﴾ حيلة تدركه بها .

٤٢ ﴿وأحيط بثمرة﴾ بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلك ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ندما وتحسرا ﴿على ما أنفق فيها﴾ في عمارة جنته ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ دعائمها للكرم بان سقطت ثم سقط الكرم ﴿ويقول يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾ قاله تحسرا على تلف المال لا توبة . بدليل قوله :

وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ
نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ
نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ
لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

٣٨٧

٤٣ ﴿ولم تكن﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿له فئة﴾ جماعة ينصرونه من دون الله﴾ عند هلاكها ﴿وما كان منتصرا﴾ أي ما كان قادرا على واحد من هذه الأمور بنفسه .

ثم عقب على المثل المضروب فقال تعالى :

٤٤ ﴿هنالك﴾ أي اذا وصل الأمر الى مثل تلك الحالة من الهلاك والدمار ﴿الولاية﴾ بفتح الواو : النصرة ، وقرىء بكسرها أي : الملك والقهر والسلطة ، مبتدأ خبره ﴿لله الحق﴾ بالجر صفة الجلالة ، وقرىء بالرفع صفة الولاية ﴿هو خير ثوابا﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وخير عقبا﴾ بسكون القاف ، وقرىء بضمها ، عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز. أي طاعة الله والاشتغال بها خير ثوابا لأن ثمرها لا ينتهي ولا يهلك ، وخير عاقبة لبقاء فائدته حتى يصل بصاحبه الى دار الآخرة ويدخل به الجنة .

فحاصل ما قاله الكافر من القول الشنيع ، الذي اخرجه عن الطاعة وكفر به ، ثلاث مقالات : الاولى : انا اكثر منك مالا الخ . الثانية دخل الجنة وهو ظالم لنفسه يرى أن نتيجة ذلك من عمله لا من الله . الثالثة : وما اظن الساعة قائمة الخ وقد تعقبه المومن في الثلاثة على سبيل اللف والنشر المشوش . فوبخه على الأخيرة بقوله : «أكفرت بالذي خلقك» الخ ، ووعظه ونصحه على الثانية بقوله : «ولولا اذ دخلت جنتك» .. الخ . وقرعه على الأولى بقوله : «فعسى ربي» ولم يوبخه على الكسب لحصول الجنتين بل أرشده الى شكر منعمها الذي اعطاه اياهما ، وبين رجاءه أن يرزقه ربه خيرا منهما ، عندما يرسل عليهما حسبانا من السماء فتصبحا صعيدا زلقا .

ثم ينقلنا السياق الى المثل الثاني لبيان ما عمل لغير وجه الله اذ هو الدنيا لا غير ، فقال :

٤٥ ﴿واضرب﴾ صير ﴿لهم﴾ لقومك ﴿مثل الحيوة الدنيا﴾ مفعول أول ﴿كماء﴾ مفعول ثان ﴿أنزلناه من السماء فاختلط به﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿نبات الأرض﴾ أو امتزج الماء بالنبات فروي وحسن ﴿فأصبح﴾ صار النبات ﴿هشيما﴾ يابسا متفرقة أجزاؤه ﴿تذروه﴾ تنثره وتفرقه ﴿الرياح﴾ فتذهب به . المعنى : شبه الدنيا بنبات حسن فييبس فتكسر ففرقته الرياح ، وفي قراءة الريح . ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ كامل القدرة ، فمن عمل لله تعالى ساعده ومن عمل لغيره خذله .

٤٦ ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ لمن لم يقصد بهما وجه الله فيتجمل بهما فيها فيهلكانه ، وأما من قصد بهما الآخرة والعمل لله فهذا في قوله ﴿والباقيات الصالحات﴾ أي أعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الأبد . ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان ، وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، وسائر أعمال البر والكلام الطيب . ﴿خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ اي ما يأمله الانسان ويرجوه عند الله تعالى .

ثم بين تعالى فيما يأتي أن اعمال الحياة الدنيا لاقرار لها ولاثبات وهي مضمحلة وسيحاسب عليها فقال :

٤٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نسير الجبال﴾ نذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا ، ﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وحشرناهم﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فلم نغادر﴾ نترك ﴿منهم احدا﴾ .

٤٨ ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾ ، أي مصطفين كل أمة صف . ويقال لهم : ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ أي

فرادى حفاة عراة غرلا فلا مال ولا بنون ، ويقال لمنكر البعث : ﴿بل زعمتم أن﴾ مخففة من الثقيلة ، أي أنه ﴿لن نجعل لكم موعدا﴾ للبعث .

٤٩ ﴿ووضع الكتاب﴾ كتاب كل امرىء في يمينه من المؤمنين وفي شماله من الكافرين ﴿فترى المجرمين﴾ الكافرين ﴿مشفقين﴾ ﴿مما فيه ويقولون﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلتنا﴾ هلكتنا ، وهو مصدر لا فعل له من لفظه . ونداؤها على تشبيهها بشخص يطلب اقباله كأنه قيل : يا هلاكنا اقبل فهذا أوانك ، وفيه تقريع لهم واشارة الى انه لا صاحب لهم غير الهلاك وطلبوه لئلا يروا ما هم فيه . ﴿مال هذا الكتاب﴾ بقطع اللام عن هذا في الكتابة ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ من ذنوبنا ﴿الا احصاها﴾ عدها وأثبتها ، تعجبوا منه في ذلك ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا﴾ مثبتا في كتبهم ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ بزيادة سيئة او نقص ثواب ، أي لا يعاقب بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن .

ثم ان كل عمل لغير الله فهو للحياة الدنيا كما تقدم ، وكل من عمله فانما اتبع الشيطان في ذلك ، مع أن الشيطان عدو بني آدم فلا يأخذه الى خير كما قال تعالى :

٥٠ ﴿واذ﴾ منصوب باذكر ﴿قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ بأمر منا ﴿فسجدوا الا ابليس كان من الجن﴾ الاستثناء منقطع وابليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد ، والملائكة لا ذرية لهم ولا يعصون الله ما أمرهم ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ يا بني آدم ، والهاء في الموضعين لابليس ﴿أولياء من دوني﴾ تطيعونهم ﴿وهم لكم عدو﴾ أي أعداء ، حال ﴿بئس للظالمين بدلا﴾ ابليس وذريته في اطاعتهم بدل وطاعة الله الذي خلقكم وفضل أباكم آدم على الملائكة . وقال تعالى :

٥١ ﴿ماأشهدتهم﴾ أي ابليس وذريته ﴿خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ اي لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وما كنت متخذ المضلين﴾ الشياطين ﴿عضدا﴾ أعوانا في الخلق ، فكيف تطيعونهم .

٥٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يقول﴾ بالياء « الله » ، وقرىء بالنون ﴿نادوا شركائي﴾ الآلهة ﴿الذين زعمتم﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ لم يجيبوهم ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين الآلهة وعابديها ، او بين المؤمنين والكفار ﴿موبقا﴾ قال ابن عباس : أي جعلنا بين المؤمنين وبين الكفار حاجزا . وقيل : بين الأوثان وعبدتها نحو قوله تعالى : « فزيلنا بينهم » قال ابن الاعرابي : كل شيء حاجز بين شيئين فهو موبق بالفتح .

حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن
دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾
۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ
أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ
يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن
يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ

٥٣ ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ اي أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أي واقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ معدلا .

وبعدما بين أن من يعمل لغير الله انما يعبد الشيطان عدوه ، بين سبب عداوة الشيطان لبني آدم ، وسخافة من يشرك بالله شيئا في عبادته ، وجزاء ذلك يوم القيامة ، عقب على عناد الكفار واستمرارهم على الكفر بعد قيام الحجج عليهم فقال :

٥٤ ﴿ولقد صرفنا﴾ بينا ، وفيه من المحسنات البديعة رد العجز الى الصدر ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ صفة لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿وكان الانسان﴾ أي الكافر ﴿أكثر شيء جدلا﴾ خصومة في الباطل ، وهو تمييز منقول من اسم كان . المعنى : وكان جدل الانسان اكثر شيء فيه .

٥٥ ﴿وما منع الناس﴾ أي الكفار ﴿أن يؤمنوا﴾ مفعول ثان ﴿اذ جاءهم الهدى﴾ القرآن ﴿ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم

سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ
المُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا
هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ
عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى
فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ بَل لَّهُم
مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ القُرَى
أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ
أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

﴿سنة الأولين﴾ فاعل ، أي سنتنا فيهم وهي الاهلاك المقدر عليهم ﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾ بضمتين جمع قبيل أي أنواعا ، وقرىء بكسر القاف وفتح الباء أي مقابلة وعيانا ، وهو القتل يوم بدر ، فهو على هذا من الاخبار بالغيب.

٥٦ ﴿وما نرسل المرسلين الا مبشرين﴾ للمؤمنين ﴿ومنذرين﴾ مخوفين للكافرين ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ بقولهم أبعث الله بشرا رسولا ونحوه ﴿ليدحضوا به﴾ ليبطلوا بجدلهم ﴿الحق﴾ القرآن ﴿واتخذوا آياتي﴾ أي القرآن ﴿وما أنذروا﴾ به من النار ﴿هزوا﴾ سخرية ، وقرىء بالهمزة بدل الواو.

٥٧ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿انا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أي من أن يفقهوا القرآن ، فلا يفهمونه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ ثقلا فلا يسمعونه ﴿وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا﴾ أي بالجعل المذكور ﴿أبدا﴾ ومع ذلك :

٥٨ ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم﴾ في الدنيا ﴿بما كسبوا لعجل لهم العذاب﴾ فيها ﴿بل لهم موعد﴾ وهو يوم القيامة ﴿لن يجدوا من دونه موئلا﴾ ملجأ.

٥٩ ﴿وتلك القرى﴾ اي أهلها كعاد وثمود وغيرهما ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ كفروا ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ بفتح الميم ، اي لهلاكهم . وقرىء بالضم اي لاهلاكهم ﴿موعدا﴾ وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم.

ولما ذكر الله كثرة جدل الانسان في نفسه ليبطل الحق ، وان تكبر الناس منعهم عن الايمان ، والرسل ما ارسلوا الا بالتبشير والانذار ، أردف قصة موسى مع الخضر لمناسبتها ، وهي أن الرسل دائما يمتثلون لامر الله ، لا يتكبرون ولا يسكتون عن الحق ، فقال :

٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال موسى﴾ هو ابن عمران من سبط لاوى بن يعقوب بن ابراهيم الخليل ، وقد أمره الله تعالى ان يذهب الى عبد من عباد الله بمجمع البحرين ليتعلم منه ﴿لفتاه﴾ يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم ﴿لا أبرح﴾ لا أزال أسير ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق اي المكان الجامع لذلك ﴿أو أمضي حقبا﴾ دهرا طويلا في بلوغه ان بعد.

٦١ ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ بين البحرين ﴿نسيا حوتهما﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره ﴿فاتخذ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر﴾ أي جعله بجعل الله ﴿سربا﴾ أي مثل السرب وهو الشق الطويل لانفاذ له . وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه .

٦٢ ﴿فلما جاوزا﴾ ذلك المكان بالسير الى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قال﴾ موسى ﴿لفتاه آتنا غداءنا﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ تعبا ، وحصوله بعد المجاوزة .

٦٣ ﴿قال أرأيت﴾ أي تنبه ﴿اذ أوينا الى الصخرة﴾ بذلك المكان ﴿فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان﴾ يبدل من الهاء المضمومة ، وقرئت بالكسر. ﴿أن أذكره﴾ بدل اشتمال ﴿واتخذ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر عجبا﴾ مفعول ثان ، أي فتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم بيانه .

٦٤ ﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك﴾ أي فقدنا الحوت ﴿ما﴾ أي الذي ﴿كنا نبغ﴾ نطلبه فانه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فارتدا﴾ رجعا ﴿على آثارهما﴾ يقصانها ﴿قصصا﴾ فأتيا الصخرة .

٦٥ ﴿فوجدا عبدا من عبادنا﴾ هو الخضر ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ نبوة في قول وولاية في آخر وعليه أكثر العلماء . قال شيخ الاسلام في شرحه على البخاري في كتاب العلم «واختلف في الخضر أهو نبي أو رسول أو ملك أو ولي ، والصحيح أنه نبي واختلف في حياته ، والجمهور على أنه حي الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة . والمعتمد أنه مات لقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ ﴿وعلمناه من لدنا﴾ من قبلنا ﴿علما﴾ مفعول ثان أي معلوما من المغيبات . روى البخاري «أن موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل :أي الناس أعلم؟فقال : أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه ، فأوحى الله اليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى : يا رب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رأسيهما فناما ، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا . وامسك الله عن الحوت جرية الماء ، فصار عليه مثل الطاق . فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ، حتى اذا كان الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الى قوله «واتخذ سبيله في البحر عجبا» قال : وكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا الخ .

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

٦٦ ﴿قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ بضم الراء وسكون الشين وقرىء بفتحهما ، سأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة .

٦٧ ﴿قال انك لن تستطيع معي صبرا﴾ .

٦٨ ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ في الحديث السابق عقب هذه الآية يا موسى اني على علم من الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه . وقوله خبرا مصدر بمعنى لم تحط أي لم تخبر حقيقته .

٦٩ ﴿قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي﴾ اي وغير عاص ﴿لك أمرا﴾ تأمرني به وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يغتروا بأنفسهم طرفة عين : وقول ذلك وتقديمه فيما يفعل شريعة ، وقد تقدم بيان ذلك ، والأنبياء والأولياء محافظون على الشريعة .

٧٠ ﴿قال فان اتبعتني فلا تسألني﴾ وفي قراءة بفتح اللام

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا
لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ
إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا
نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ
إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ
لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ
لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ
بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾
فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾

٧١ ﴿فانطلقا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حتى اذا ركبا في السفينة﴾ التي مرت بهما ﴿خرقها﴾ الخضر بأن اقتلع لوحا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللج. ﴿قال﴾ له موسى ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها ﴿لقد جئت شيئا امرا﴾ عظيما منكرا. روي أن الماء لم يدخلها.

٧٢ ﴿قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا﴾.

٧٣ ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت﴾ أي غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك ﴿ولا ترهقني﴾ تكلفني ﴿من أمري عسرا﴾ مشقة في صحبتي اياك أي عاملني فيها بالعفو واليسر.

٧٤ ﴿فانطلقا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حتى اذا لقيا غلاما﴾ لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجها ﴿فقتله﴾ الخضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال. وأتى هنا بالفاء العاطفية لأنه عقب اللقاء وجواب اذا. ﴿قال﴾ له موسى: ﴿اقتلت نفسا زكية﴾ بتشديد الياء بلا ألف، وقرىء زاكية بألف بعد الزاي وتخفيف الياء، أي طاهرة لم تبلغ حد التكليف. ﴿بغير نفس﴾ أي تقتل نفسا ﴿لقد جئت شيئاً نكرا﴾ بسكون الكاف، وقرىء بضمها أي منكرا.

٧٥ ﴿قال الم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا﴾ زاد «لك» على ما قبله لعدم العذر هنا، ولهذا:

٧٦ ﴿قال ان سألتك عن شيء بعدها﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ لا تتركني اتبعك ﴿قد بلغت من لدني﴾ بالتشديد، وقرىء بالتخفيف من قبلي ﴿عذرا﴾ في مفارقتك لي.

٧٧ ﴿فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية﴾ هي انطاكية ﴿استطعما أهلها﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا﴾ ارتفاعه مائة ذراع ﴿يريد أن ينقض﴾ أي يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فأقامه﴾ الخضر بيده ﴿قال﴾ له موسى: ﴿لو شئت لتخذت﴾ بتشديد التاء، وفي قراءة بالتخفيف ﴿عليه اجرا﴾ جعلا، فيه تحريض على أخذ الجعل ليتعشيا به، أو تعريض بأنه فضول لما في «لو» من النفي حيث لم يضيفونا مع حاجتنا الى الطعام.

٧٨ ﴿قال﴾ له الخضر ﴿هذا فراق﴾ أي وقت فراق ﴿بيني وبينك﴾ فيه اضافة «بين» الى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سأنبئك﴾ قبل فراقي لك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ أي الأمور الثلاثة المتقدمة.

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ
أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾
وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا
طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ
زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ
قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ

٣٩٢

٧٩ ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ عشرة ﴿يعملون في البحر﴾ بها مؤاجرة لها طلبا للكسب . وهذا يدل على جواز الشركة في الكسب ﴿فاردت أن أعيبها﴾ اي جعلت فيها عيبا ﴿و﴾ السبب انه ﴿كان وراءهم﴾ اذا رجعوا أو امامهم الآن ﴿ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ المصدر المبين لنوع الأخذ فلو لم اعبها لغصبها ذلك الملك

٨٠ ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾ فانه كما في حديث مسلم طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك .

٨١ ﴿فأردنا أن يبدلهما﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿ربهما خيرا منه زكاة﴾ أي صلاحا وتقى ﴿وأقرب﴾ منه ﴿رحما﴾ بسكون الحاء وقرىء بضمها رحمة ، البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة .

٨٢ ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ سميت قرية أولا لخسة أهلها والمدينة هنا لتعظيم الغلامين ، أسم أحدهما أصرم والآخر صريم ﴿وكان تحته كنز﴾ مال مدفون من ذهب وفضة . وقال ابن عباس : كان علما في صحف مدفونة ﴿لهما وكان أبوهما صالحا﴾ فحفظناه في أنفسهما ومالهما ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أي ايناس رشدهما ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ مفعول له ، عامله «أراد» . وفيه ما يدل على أن الله يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وان بعدوا عنه . وقد روي أن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وعلى هذا يدل قوله تعالى «ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين» . ﴿وما فعلته﴾ اي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار ﴿عن أمري﴾ أي إختياري بل بأمر من الله ، وهذا يدل على أنه نبي لأن تنقيص أموال الناس واراقة دمائهم وتغيير أحوالهم لا يكون ذلك الا بالنص وأمر الله تعالى ولا يمكن أن يرتكب هذا بالهام ، والأولياء تابعون لشرائع أنبيائهم ولا يخرجون عنها ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ يقال استطاع واسطاع بمعنى أطاق ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في «فأردت» «فأردنا» «فأراد ربك» .

وفي القرطبي المراد بالتأويل التفسير ، وقيل في تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر : «انها حجة على موسى عليه السلام وعتب عليه ، وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم ؟ فلما أنكر الغلام قيل له : أين انكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه ؟ فلما أنكر إقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجر اهـ . وقيل : ان الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى : أوصني قال له : كن بساما ولا تكن ضحاكا ، ودع اللحاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران » . قلت : والمقصود اتباع الشريعة ، والقريحة الانسانية لا تعرف الحسن ولا القبيح الا بارشاد من الله بواسطة الرسل فقط .

وبعد قصة موسى والعبد ذكر قصة ذي القرنين حيث أعطي الملك والسلطة على الأرض ، وانفق تلك السلطة في سبيل الله والدعوة اليه فسخر الله له من كل شيء سببا . فقال :

٨٣ ﴿ويسألونك﴾ اليهود ، وفيه اخبار بالغيب لأن السورة مكية والسؤال مدني ، ويمكن أن يكون مكيا بواسطة المشركين سؤال تعنت ﴿عن ذي القرنين﴾ اسمه الاسكندر . ولم يكن نبيا بل القطع أنه عبد صالح . ﴿قل سأتلو﴾ سأقص ﴿عليكم منه﴾ في حاله ﴿ذكرا﴾ خبرا .

٨٤ ﴿انا مكنا له في الأرض﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وآتيناه من كل شيء﴾ يحتاج اليه ﴿سببا﴾ طريقا يوصله الى مراده

وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ
وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا
مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ
لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل
لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا
لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ
ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ
قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ
مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ
بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ

٨٥ ﴿فأتبع سببا﴾ بقطع الهمزة وقرىء بوصلها ، وهما بمعنى سلك طريقا نحو المغرب .

٨٦ ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس﴾ المراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل الى ساحل البحر المحيط ، راى الشمس عند غروبها ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود ، وغروبها في العين في رأي العين والا فهي أعظم من الأرض واكبر كثيراً ﴿ووجد عندها﴾ أي العين ﴿قوما﴾ كافرين في الأصل اذ لم يرسل اليهم من قبل . ﴿قلنا ياذا القرنين﴾ ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان وليا فعلى لسان نبي . والالهام لغير نبي لا يكون شرعا ﴿إما أن تعذب﴾ القوم بالقتل ﴿واما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ بالأسر .

٨٧ ﴿قال أما من ظلم﴾ بالشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ نقتله ﴿ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾ بسكون الكاف وقرىء بضمها ، شديدا في النار .

٨٨ ﴿وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى﴾ اي الجنة ، بنصب جزاء وتنوينه ، قال الفراء : ونصبه على التفسير أي التميز أي لجهة نسبة الخبر المقدم . وقرىء بالاضافة للبيان ﴿وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ أي نأمره بما يسهل عليه .

٨٩ ﴿ثم أتبع﴾ بقطع الهمزة وقرىء بهمزة وصل وهما بمعنى ، أي ذو القرنين ﴿سببا﴾ نحو المشرق .

٩٠ ﴿حتى اذا بلغ مطلع الشمس﴾ موضع طلوعها ﴿وجدها تطلع على قوم﴾ هم الزنج ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ أي الشمس ﴿سترا﴾ من لباس ولا سقف لأن أرضهم لا تحمل بناء ، ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها .

٩١ ﴿كذلك﴾ أي الأمر قلنا ﴿وقد احطنا بما لديه﴾ أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿خبرا﴾ علما .

٩٢ ﴿ثم أتبع﴾ بقطع الهمزة ووصلها ﴿سببا﴾ .

٩٣ ﴿حتى اذا بلغ بين السدين﴾ بفتح السين وقرىء بضمها هنا وبعدهما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر ما بينهما كما سيأتي ﴿وجد من دونهما﴾ اي أمامهما ﴿قوما لا يكادون يفقهون قولا﴾ اي لا يفهمونه الا بعد بطء ، وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف .

٩٤ ﴿قالوا ياذا القرنين أن يأجوج ومأجوج﴾ بالهمز وقرىء بتركه ، هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مفسدون في الأرض﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم الينا ﴿فهل نجعل لك خرجا﴾ جعلا من المال ، وفي قراءة خراجا ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ حاجزا فلا يصلون الينا من هذه الفتحة .

٩٥ ﴿قال ما مكني﴾ وفي قراءة بنونين من غير ادغام ﴿فيه ربي﴾ من المال والملك وغيره ﴿خير﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي اليه ، وأجعل لكم السد تبرعا . روى انه دخل بلادهم ورآهم على مقادير مختلفة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له أساسا حتى بلغ الماء ، فبنى الجدار بالصخر والنحاس المذاب فلما وصل الى ظاهر الأرض بنى بقطع الحديد ، وهو قوله : ﴿فأعينوني بقوة﴾ لما أطلبه منكم ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ حاجزا حصينا .

٩٦ ﴿آتوني زبر الحديد﴾ قطعه على قدر الحجارة التي يبنى بها وجعل بينهما الحطب والفحم ﴿حتى اذا ساوى بين الصدفين﴾ بفتح الحرفين ، وقرىء بضمهما وضم الأول وسكون الثاني أي جانبي الجبلين بالبناء ، ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قال انفخوا﴾ فنفخوا ﴿حتى اذا جعله﴾ أي الحديد ﴿نارا﴾ أي كالنار ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطرا﴾ هو النحاس المذاب ، تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لاعمال الثاني ، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار شيئا واحدا ، وذلك يمنع رين الحديد فيتحمل السنين والرطوبات . فجاء يأجوج ومأجوج يقصدون أن يعلوه أو يثقبوه فما استطاعوا ، وهو قوله تعالى .

٩٧ ﴿فما اسطاعوا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾ أن يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ خرقا لصلابته وسمكه .

فلما رأى ذو القرنين نجاحه في ذلك أظهر تواضعه لله الذي أقدره على مثل هذا العمل العظيم .

٩٨ ﴿قال هذا﴾ أي السد أي الاقدار عليه ﴿رحمة من ربي﴾ نعمة لأنه مانع من خروجهم .﴿فاذا جاء وعد ربي﴾ بخروجهم القريب من البعث ، روى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال في السد : «يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه ، قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا قال : فيعيده الله كأشد مما كان ، حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم الى الناس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى . قال : فيرجعون منه على الناس فيستسقون المياه ، وتنفر الناس منهم» وهذا معنى قوله : ﴿جعله دكاء﴾ بالمد وقرىء بغيره أي مدكوكا مبسوطا مساويا للأرض فيغور فيها أو يذوب حتى يصير ترابا . فيخرجون على الناس فيشربون المياه وتنفر الناس منهم فيهربون الى حصونهم فيزدادون قوة وقسوة ، فيبعث الله عليهم داء في رقابهم فيهلكون ﴿وكان وعد ربي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حقا﴾ كائنا : ثم ختم قصة خروجهم بما يناسب حال الناس يوم البعث فقال :

فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) آتوني
زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا
حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا (٩٦)
فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (٩٧)
قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء
وكان وعد ربي حقا (٩٨) * وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا (٩٩)
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا (١٠٠) الذين
كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون
سمعا (١٠١) أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي
من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين
نزلا (١٠٢) قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا (١٠٣)

٣٩٤

٩٩ ﴿وتركنا بعضهم يومئذ﴾ يوم خروجهم ﴿يموج في بعض﴾ يختلط به لكثرتهم وشدة الازدحام ، فيعمون بقاع العالم ما عدى مكة والمدينة وبيت المقدس ، وكذلك لا يصلون الى من تحصن منهم بورد أو ذكر. قال تعالى : ﴿ونفخ في الصور﴾ أي القرن للبعث بعد النفخة الأولى والموتة العامة ﴿فجمعناهم﴾ أي الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جمعا﴾ حقيقيا اليأجوج والمأجوج وغيرهم من الخلائق .

ثم استطرد بعد ذكر الجمع الى محضر يوم القيامة فقال :

١٠٠ ﴿وعرضنا﴾ قربنا ﴿جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾

١٠١ ﴿الذين كانت أعينهم﴾ بدل من الكافرين ﴿في غطاء عن ذكري﴾ أي القرآن فهم عمي لا يهتدون به ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوه عليهم بغضا له ، فلا يؤمنون به . ثم سأل سؤال انكار وتوبيخ لمن يعبد

ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟
ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ
ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ
كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن
كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

٣٩٥

خبر الله بغير دليل فقال :

١٠٢ ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي﴾ كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من المخلوقات . ﴿من دوني أولياء﴾ أربابا ، مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثاني لحسب محذوف المعنى : أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أ[illegible]م عليه كلا ، أي لا ينبغي ولا يليق هذا الحسبان . ﴿انا أعتدنا جهنم للكافرين﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نزلا﴾ أي هي معدة لهم كالنزل المعد للضيف . ففي الكلام استهزاء بهم .

ولما كانت الدروس في السورة بينت اعتناءه تعالى بالصالحين ونصره لهم وخذلانه للكافرين الضالين عقب عليها ببيان الكفر والضلال وجزاء أصحابهما ، فقال :

١٠٣ ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا﴾ تمييز طابق المميز وبينهم بقوله :

١٠٤ ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ بطل عملهم ﴿وهم يحسبون﴾ يظنون ﴿أنهم يحسنون صنعا﴾ عملا يجازون عليه .

١٠٥ ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿ولقائه﴾ اي وبالبعث والحساب والعقاب ﴿فحبطت أعمالهم﴾ بطلت ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ أي نجعل لهم قدرا .

١٠٦ ﴿ذلك﴾ أي الأمر الذي ذكرت من حبوط اعمالهم وغيره ، مبتدأ وخبره ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾ أي مهزوا بهما .

ثم ذكر جزاء الفريق المقابل وهم الصالحون الذين آمنوا بآيات الله وصدقوا رسوله وعملوا بمقتضى الشرع فقال :

١٠٧ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم﴾ في علم الله ﴿جنات الفردوس﴾ هو وسط الجنة وأعلاها ، والاضافة اليه للبيان . ﴿نزلا﴾ ما يعد للضيف أو محل نزول .

١٠٨ ﴿خالدين فيها لا يبغون﴾ لا يطلبون ﴿عنها حولا﴾ تحولا الى غيرها .

ولما اشتملت السورة على قصص وأمثال حكمية وما يدهش العقول منها ، ويدعو العقلاء الى الايمان بالله وبما جاء به الرسول ﷺ ، عقب تعالى ببيان وفور علمه ، وما يقرب الى العقل فهمه ، فقال .

١٠٩ ﴿قل لو كان البحر﴾ أي ماؤه ﴿مدادا﴾ هو ما يكتب به ﴿لكلمات ربي﴾ الدالة على حكمه وعجائبه ﴿لنفد البحر﴾ في كتابتها ﴿قبل أن تنفد﴾ بالتاء وقرىء بالياء تفرغ ﴿كلمات ربي﴾ أي مدلولاتها ﴿ولو جئنا بمثله﴾ أي البحر ﴿مددا﴾ زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي ونصبه على التمييز .

ثم ختم باثبات صفة الرسول ومضمون الرسالة والتوحيد فقال :

١١٠ ﴿قل انما أنا بشر﴾ آدمي ﴿مثلكم﴾ وهذه صفة الرسول البشرية ﴿يوحى إلي﴾ فيه اثبات النبوة والرسالة ﴿أنما الهكم اله واحد﴾ وأن ، المكفوفة بما باقية على مصدريتها . والمعنى يوحى إلي وحدانية الاله ، فيه اثبات الألوهية والوحدانية . ﴿فمن كان يرجو﴾ يأمل ﴿لقاء ربه﴾ بالبعث والجزاء ﴿فليعمل عملا صالحا﴾ أي مستوفيا لمعتبراته شرعا ﴿ولا يشرك بعبادة ربه احد﴾ أي فيها ، أي لا يشرك معه ولا يرائي ﴿أحدا﴾ غيره فيه توحيد الربوبية .

ختمت السورة بما بدأت به من اثبات الألوهية والربوبية والرسالة ، واشتملت على الارشاد وعلى اعتناء الله بأهل طاعته وتسهيل السبيل لهم . والحمد لله رب العالمين .

رد الأذهان
إلى
معاني القرآن

الجزء الثاني

تفسير
أبي بكر محمود جومي
رئيس قضاة نيجيريا

(١٩) سورة مريم مكية
وآياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ⓵ ذكر رحمت ربك عبده زكريا ⓶
إذ نادى ربه نداء خفيا ⓷ قال رب إني وهن
العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك
رب شقيا ⓸ وإني خفت الموالي من وراءي وكانت
امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ⓹ يرثني ويرث
من آل يعقوب واجعله رب رضيا ⓺ يا زكريا إنا
نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ⓻
قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا

﴿ سورة مريم مكية ﴾

وهي ثمان أو تسع وتسعون آية . وموضوعها الرئيسي بيان تنزه الله تعالى عن أن يتخذ ولداً .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده بذلك . وقال ابن عباس هو اسم من اسماء الله تعالى . ﴿ذكر رحمت ربك عبده﴾ مفعول رحمة ﴿زكريا﴾ بالقصر وقرىء بالمد .

٢ ﴿اذ﴾ متعلق برحمة ﴿نادى ربه نداء﴾ مشتملا على دعاء ﴿خفيا﴾ سرا في جوف الليل لأنه أسرع للاجابة .

٣ ﴿قال رب اني وهن﴾ ضعف ﴿العظم﴾ جميعه ﴿مني واشتعل الرأس﴾ مني ﴿شيبا﴾ تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعري كما ينتشر شعاع النار في الحطب واني أريد أن أدعوك ﴿ولم اكن بدعائك﴾ أي بدعائي اياك ﴿رب شقيا﴾ أي خائبا فيما مضى فلا تخيبني فيما يأتي .

٤ ﴿واني خفت الموالي﴾ أي الذين يلونني في النسب كبني العم لأنهم كانوا أشرار بني اسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم ﴿من ورائي﴾ بعد موتي على الدين أن يضيعوه ، كما شاهدته في بني اسرائيل من تبديل الدين . ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ لا تلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿وليا﴾ ابنا .

٥ ﴿يرثني﴾ بالرفع صفة «وليا» وقرىء بالجزم جواب الأمر . وهذه هي حكمة وجود الولد . ﴿ويرث﴾ بالوجهين ﴿من آل يعقوب﴾ جدي : العلم والنبوة ، لا المال لأن الأنبياء لا يورثون فيه . ﴿واجعله رب رضيا﴾ مرضيا عندك قال تعالى في اجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته .

٦ ﴿يا زكريا انا نبشرك بغلام﴾ يرث كما سألت ﴿اسمه يحيى﴾ تولى الله تسميته تعظيما له وسماه بخصوص يحيى لأنه به حيي رحم أمه بعد موته بالعقم ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾ أي مسمى بيحيى ، وجعله مصدقا لكلمة من الله وهو عيسى ، فتم بذلك وصل ما طلب زكريا من استمرار الوراثة وسياسة الدين ، وان كان يحيى قتل قبل أبيه على القول المشهور ، واما على القول المقابل فلا اشكال .

٧ ﴿قال﴾ زكريا : ﴿رب أنى﴾ كيف ﴿يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ من عتا يبس أي نهاية السن مائة وعشرين سنة ، وبلغت امرأته ثمانية وتسعين سنة . وأصل عتي : عتو . وكسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة ، والثانية ياء لتدغم فيها الياء ، وسؤال زكريا استفهام استبعاد بحسب العادة الالهية لا استبعاد عن القدرة ، أو استفهام تعجب وسرور بهذا الأمر العجيب ، وهذا القول أحسن لتقدم سؤال زكريا ربه لتيقنه بامكان حصول مسؤوله

وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ
هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ خُذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن
لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن
جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

٣٩٧

٨ ﴿قال﴾ الله الأمر ﴿كذلك﴾ من خلق غلام منكما ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أي بأن أرد عليك قوة الجماع وافتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ قبل خلقك، ولاظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها.

ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر به :

٩ ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قال آيتك﴾ عليه ﴿ألا تكلم الناس﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله ﴿ثلاث ليال﴾ أي بأيامها كما في «آل عمران»: «ثلاثة أيام» ﴿سويا﴾ حال من فاعل تكلم أي بلا علة.

١٠ ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة. أصل المحراب: الغرفة وصدر البيت واكرم مواضعه، والموضع الذي ينفرد به الملك، وأما المحراب المعروف الآن هو الطاق المجوف في حائط المسجد يصلي فيه الامام فهو محدث لا تعرفه العرب ﴿فأوحى﴾ أشار زكريا ﴿اليهم أن سبحوا﴾ صلوا ﴿بكرة وعشيا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى. وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له :

١١ ﴿يا يحيى خذ الكتاب﴾ التوراة ﴿بقوة﴾ بجد ﴿وآتيناه الحكم﴾ النبوة ﴿صبيا﴾ ابن ثلاث سنين.

١٢ ﴿وحنانا﴾ رحمة للناس ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿وزكاة﴾ صدقة عليهم ﴿وكان تقيا﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها.

١٣ ﴿وبرا بوالديه﴾ أي محسنا اليهما ﴿ولم يكن جبارا﴾ متكبرا ﴿عصيا﴾ عاصيا لربه.

١٤ ﴿وسلام﴾ منا ﴿عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ أي في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها.

ثم أردف تعالى على قصة ولادة يحيى بن زكريا قصة مريم لارتباطهما. وقد تقدم في «آل عمران» أن ما رأى زكريا من خرق العادة في كفالته لمريم حمله على دعاء طلب الولد وأن يحيى مصدق بكلمة من الله، الا أن ذكره هناك لاظهار القدرة الالهية وذكره هنا لاظهار الحكمة في طلب الولد لعجزه وللوراثة فالله منزه عن ذلك.

قال تعالى :

١٥ ﴿واذكر في الكتاب﴾ القرآن ﴿مريم﴾ أي خبرها ﴿إذ﴾ حين ﴿انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار.

١٦ ﴿فاتخذت من دونهم حجابا﴾ أرسلت سترا تستتر به لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها. ﴿فأرسلنا اليها روحنا﴾ جبريل ﴿فتمثل لها﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بشرا سويا﴾ تام الخلق.

١٧ ﴿قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا﴾ فتنتهي عني بتعوذي.

١٨ ﴿قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾ بالنبوة. وقرىء ليهب.

قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ
ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾
۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي
قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ
ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي
وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

١٩ ﴿قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر﴾ يتزوج ﴿ولم أك بغيا﴾ زانية .

٢٠ ﴿قال﴾ الأمر ﴿كذلك﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أي بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه ﴿ولنجعله آية للناس﴾ على قدرتنا ﴿ورحمة منا﴾ لمن آمن به ﴿وكان﴾ خلقه ﴿أمرا مقضيا﴾ به في علمي فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصورا .

٢١ ﴿فحملته فانتبذت﴾ تنحت ﴿به مكانا قصيا﴾ بعيدا من أهلها .

٢٢ ﴿فأجاءها﴾ جاء بها ﴿المخاض﴾ وجع الولادة ﴿الى جذع النخلة﴾ لتعتمد عليه فولدت ، والحمل والتصوير والولادة في ساعة ﴿قالت﴾ للتنبيه ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ الأمر ﴿وكنت نسيا منسيا﴾ شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر .

٢٣ ﴿فناداها من تحتها﴾ بكسر ميم «من» وقرىء بالفتح ، أي المولود وهو عيسى عليه السلام ، لأنه أسفل منها عندما ولد ﴿أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾ نهر ماء كان قد انقطع .

٢٤ ﴿وهزي اليك بجذع النخلة﴾ كانت يابسة او الباء زائدة ﴿تساقط﴾ بضم التاء وتخفيف السين ، وفي قراءة أصله بتاءين قلبت الثانية سينا وأدغمت في السين ﴿عليك رطبا﴾ تمييز ﴿جنيا﴾ صفته .

٢٥ ﴿فكلي﴾ من الرطب ﴿واشربي﴾ من السري ﴿وقري عينا﴾ بالولد ، تمييز محول من الفاعل أي لتقر عينك به أي تسكن فلا تطمح الى غيره . ﴿فاما﴾ فيه ادغام نون «ان» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ترين﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿من البشر أحدا﴾ فيسألك عن ولدك .

٢٦ ﴿فقولي اني نذرت للرحمن صوما﴾ أي امساكا عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل ﴿فلن أكلم اليوم انسيا﴾ أي بعد ذلك .

٢٧ ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ حال ، فراوه ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا﴾ عظيما حيث أتيت بولد من غير أب .

يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك
بغيا ﴿٢٨﴾ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان
في المهد صبيا ﴿٢٩﴾ قال إني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا ﴿٣٠﴾ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني
بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴿٣١﴾ وبرا بوالدتي ولم
يجعلني جبارا شقيا ﴿٣٢﴾ والسلام علي يوم ولدت ويوم
أموت ويوم أبعث حيا ﴿٣٣﴾ ذلك عيسى ابن مريم قول
الحق الذي فيه يمترون ﴿٣٤﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولد
سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴿٣٥﴾
وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴿٣٦﴾
فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من
مشهد يوم عظيم ﴿٣٧﴾ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا

٣٩٩

٢٨ ﴿يا أخت هرون﴾ هو رجل صالح أي يا شبيهته في العفة ﴿ما كان أبوك امرأ سوء﴾ أي زانيا ﴿وما كانت أمك بغيا﴾ زانية ، فمن أين لك هذا الولد ؟

٢٩ ﴿فأشارت﴾ لهم ﴿إليه﴾ أن كلموه وهذا يدل على أنه هو الذي كلمها عند ولادته ﴿قالوا كيف نكلم من كان﴾ أي وجد ﴿في المهد صبيا﴾ .

٣٠ ﴿قال اني عبد الله آتاني الكتاب﴾ أي الانجيل ﴿وجعلني نبيا﴾ .

٣١ ﴿وجعلني مباركا أينما كنت﴾ أي نفاعا للناس ، اخبار بما كتب له في اللوح ، فالماضي بمعنى المستقبل . ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ أمرني بهما ﴿ما دمت حيا﴾ .

٣٢ ﴿وبرا بوالدتي﴾ منصوب بجعلني مقدرا ﴿ولم يجعلني جبارا﴾ متعاظما ﴿شقيا﴾ عاصيا لربه .

٣٣ ﴿والسلام﴾ من الله ﴿علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى ، قال تعالى :

٣٤ ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق﴾ بالنصب بتقدير قلت والمعنى القول الحق ، وفي قراءة بالرفع خبر مبتدأ مقدر أي : قول ابن مريم ﴿الذي فيه يمترون﴾ من المرية أي يشكون وهم النصارى حيث قالوا : ان عيسى ابن الله . ولاكما يقول اليهود : انه ابن يوسف النجار ابن عم مريم الذي كان معها يخدمان المسجد الذي بمنة جبل صهيون ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما . قال الله تعالى :

٣٥ ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ تنزيها له عن ذلك ﴿اذا قضى أمرا﴾ أي أراد أن يحدثه ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ بالرفع بتقدير هو، وقرىء بالنصب بتقدير «ان» ، ومن ذلك خلق عيسى من غير أب . ومن تمام قول عيسى قوله .

٣٦ ﴿وان الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ بفتح «أن» بتقدير اذكر يا عيسى لقومك ، وبكسرها بتقدير قل بدليل «ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم» ﴿هذا﴾ المذكور ﴿صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ مؤد الى الجنة . وقد أخر هذا الكلام عما قبله من كلام عيسى لأن الأول قاله تبرئة لأمه والثاني كان يرشد الناس به حال حياته معهم ليبين خطأ ما يأتي من اختلافهم فيه ، وهو قوله تعالى .

٣٧ ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ أي النصارى في عيسى : أهو ابن الله أو اله معه أو ثالث ثلاثة ؟ قالت اليعقوبية : هو الله تعالى هبط الى الأرض فأحيا من أحيي وأمات من أمات ثم صعد الى السماء ، وقالت النسطورية : هو ابن الله . وقالت الاسرائيلية ملوك النصارى : هو ثالث ثلاثة الله اله وأمه اله . وقال المسلمون منهم الذين كانوا على الحق : هو عبدالله ورسوله وكلمته . وكان لكل فريق منهم أتباع على قولهم فاقتتلوا وصاروا أحزابا ﴿فويل﴾ فشدة عذاب ﴿للذين كفروا﴾ بما ذكر وغيره ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ أي حضور يوم القيامة وأهواله .

لَكِنِ الظَّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَٰنَ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ
كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ
وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ

٣٨ ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يوم يأتوننا﴾ في الآخرة ﴿لكن الظالمون﴾ من اقامة الظاهر مقام المضمر ﴿اليوم﴾ أي في الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾ اي بين، به صموا عن سماع الحق وعموا عن ابصاره أي أعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وأبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صما عميا.

٣٩ ﴿وأنذرهم﴾ خوف يا محمد الكفار ﴿يوم الحسرة﴾ هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الاحسان في الدنيا ﴿اذ قضي الأمر﴾ فيه بالعذاب ﴿وهم﴾ في الدنيا ﴿في غفلة﴾ عنه ﴿وهم لا يؤمنون﴾ به.

٤٠ ﴿انا نحن﴾ تأكيد ﴿نرث الأرض ومن عليها﴾ من العقلاء منهم كعيسى وغيرهم باهلاك أهلها ﴿والينا يرجعون﴾ فيه للجزاء، ولا يمكن أن تتخذ منهم ابنا.

٤١ ﴿واذكر﴾ لهم ﴿في الكتاب ابراهيم﴾ أي خبره، عاش من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة.
﴿انه كان صديقا﴾ مبالغا في الصدق ﴿نبيا﴾ ويبدل من خبره.

٤٢ ﴿اذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿يا أبت﴾ التاء عوض عن ياء الاضافة ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك﴾ لا يكفيك ﴿شيئا﴾ من نفع أو ضر.

٤٣ ﴿يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا﴾ طريقا ﴿سويا﴾ مستقيما.

٤٤ ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ كثير العصيان.

٤٥ ﴿يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ ان لم تتب ﴿فتكون للشيطان وليا﴾ ناصرا وقرينا في النار اعلم أن ابراهيم رتب هذا الكلام على غاية الحسن وقرنه بغاية التلطف والرفق، فقوله: يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لأنه نبهه أولا على ما يدل على المنع من عبادة الأصنام ثم أمره باتباعه في الايمان، ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله: واني أخاف.. الخ، وانما فعل ذلك لأمور: أحدها شدة تعلق قلبه بصلاحه وأداء حق الأبوة، وهو موضوع السورة في الحكمة من وجود الولد. وثانيها: ان النبي الهادي الى الحق لا بد أن يكون رقيقا حتى يقبل كلامه. وثالثها: النصح لكل أحد فالى أبيه أولى.

٤٦ ﴿قال﴾ أبوه: ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم﴾ فتعيبها ﴿لئن لم تنته﴾ عن التعرض لها ﴿لأرجمنك﴾ بالحجارة او بالكلام القبيح فاحذرني ﴿واهجرني مليا﴾ دهرا طويلا.

إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ
مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ
مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

٤٠١

٤٧ ﴿قال سلام عليك﴾ مني أي لا أصيبك بمكروه ﴿سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا﴾ من حفي أي بارا فيجيب دعائي ، وقد وفى بوعده المذكور في «الشعراء» بقوله : «واغفر لأبي» . وهذا قبل أنْ يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في «براءة» .

٤٨ ﴿وأعتزلكم وما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله وادعو﴾ اعبد ﴿ربي عسى الا اكون بدعاء ربي﴾ بعبادته ﴿شقيا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام .

٤٩ ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ بأن ذهب من بابل أو «كوثا» بلد بالعراق ، الى الأرض المقدسة حيث انفرد عن أقاربه ، وهاجر من أرضه المعهودة في سبيل الله ﴿وهبنا له﴾ ابنين يأنس بهما ﴿اسحق ويعقوب وكلا﴾ منهما ﴿جعلنا نبيا﴾ .

٥٠ ﴿ووهبنا لهم﴾ الثلاثة ﴿من رحمتنا﴾ المال والولد ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ رفيعا ، هو الثناء الحسن في جميع أهل الملل .

فينتج من قصة ابراهيم مع أبيه ترحم الولد واحترامه لأبيه وحب هدايته له ، ومن قصة ابراهيم وابيه التأنس وكمال التنعم بوجود ابن صالح وبقاء الاسم واستمرار العمل الصالح به .

٥١ ﴿واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا﴾ بفتح اللام وقرىء بكسرها من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ .

٥٢ ﴿وناديناه﴾ بقول : «يا موسى اني أنا الله» ﴿من جانب الطور﴾ اسم جبل ﴿الأيمن﴾ أي الذي على يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وقربناه نجيا﴾ مناجيا بأن اسمعه الله تعالى كلامه .

٥٣ ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ نعمتنا ﴿أخاه هرون﴾ بدل أو عطف بيان ﴿نبيا﴾ حال هي المقصودة بالهبة اجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسن منه بأربع سنين . وجعلناه عضدا له وناصرا ومعينا ، فالانسان مهما علا وكرم يحتاج الى من يعضده ، فالأخ مثل الابن في مثل هذه الأماكن ،

٥٤ ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد﴾ لم يعد شيئا الا وفى به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع اليه في مكانه ﴿وكان رسولا﴾ الى جرهم قبيلة من عرب اليمن ، نزلوا على هاجر أم اسماعيل بوادي مكة حين خلفها ابراهيم وابنها فسكنوا هناك حتى كبر اسمعيل وزوجوه منهم ، وأرسل اليهم ﴿نبيا﴾ .

٥٥ ﴿وكان يأمر أهله﴾ أي قومه ﴿بالصلاة والزكوة وكان عند ربه مرضيا﴾ أصله مرضووا ، قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة . ولم يذكر له ابن مع أن السورة موضوعها وجود الولد والحكمة فيه ولعله لم يذكر له الولد لكونه جد النبي ﷺ فولده معروف مستغن عن أن يذكر لشهرته .

٥٦ ﴿واذكر في الكتاب ادريس﴾ هو جد أبي نوح لأنه نوح بن لامك ، أولملك بفتح اللام وسكون الميم ، ابن متوشلخ بوزن متدحرج ابن أخنوخ وهو أدريس بن شيث بن آدم لصلبه ، أفاده السيوطي في «التحبير» شرفه الله بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ، وكان خياطا . وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وأول من لبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود ، وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر في علم النجوم والحساب . ﴿انه كان صديقاً نبياً﴾ .

٥٧ ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ هو حي في السماء الرابعة او السادسة أو السابعة يعبد الله مع الملائكة . قلت : انه مات مثل باقي الأنبياء لقوله تعالى : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ ، الآية ، الأنبياء ، والله أعلم .

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾
۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ
إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى
نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا
بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

٥٨ ﴿أولئك﴾ مبتدأ ﴿الذين أنعم الله عليهم﴾ صفة له ﴿من النبيين﴾ بيان له وهو في بمعنى الصفة ، وما بعده الى جملة الشرط صفة للنبيين. فقوله : ﴿من ذرية آدم﴾ أي ادريس ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ في السفينة أي ابراهيم ابن ابنه سام ﴿ومن ذرية ابراهيم﴾ أي اسماعيل واسحق ويعقوب ﴿و﴾ ذرية ﴿اسرائيل﴾ وهو يعقوب ، أي موسى وهرون وزكريا ويحي وعيسى ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾ أي من جملتهم وخبر أولئك. ﴿اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ جمع ساجد وباك ، فكونوا يا أمة محمد مثلهم . وأصل بكي بكوي ، قلبت الواو ياء والضمة كسرة .

٥٩ ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة﴾ بتركها كاليهود والنصارى ، ﴿واتبعوا الشهوات﴾ من المعاصي ﴿فسوف يلقون غيا﴾ هو واد في جهنم أي يقعون فيه .

٦٠ ﴿الا من تاب وآمن وعمل صالحا﴾ شرعا ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون﴾ ينقصون ﴿شيئا﴾ من ثوابهم .

٦١ ﴿جنات عدن﴾ اقامة بدل من «الجنة» التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ حال ، اي غائبين عنها . ﴿انه كان وعده﴾ أي موعوده ﴿مأتيا﴾ بمعنى آتيا ، وأصله مأتوى ، أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله .

٦٢ ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾ من الكلام ﴿الا﴾ لكن يسمعون ﴿سلاما﴾ من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ أي على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا .

٦٣ ﴿تلك الجنة التي نورث﴾ نعطي وننزل ﴿من عبادنا من كان تقيا﴾ بطاعته ، فنبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه ، والورثة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث أنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط . و«التقي» هنا بمعنى المؤمن الذي اتقى الكفر ، فيدخلها الفاسق بالمغفرة أو بعد العذاب . لأن الله لا يغفر أن يشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

ولما ذكر تعالى أنه يرث الأرض ومن عليها ، وذكر ايضا بعض أخبار من كان عليها وكيف عاشوا هم وذريتهم فيها في الدعوة اليه تعالى ، ثم خلف من بعدهم فيها من ضيعوا العبادة ، انتقل بالكلام الى السماء وأهلها فقال : تقول الملائكة :

٦٤ ﴿وما نتنزل﴾ أي من السماء ﴿الا بأمر ربك﴾ يا محمد ﴿له ما بين أيدينا﴾ أي امامنا من أمور السماء والارض الظاهرة ﴿وما خلفنا﴾ مما لم يصل اليه علمنا من أمور الغيب التي ما اطلعنا عليها ﴿وما بين ذلك﴾ من الأمور التي عرفناها وجهلنا الحكمة فيها ، أي له ملك ذلك جميعه . ﴿وما كان ربك نسيا﴾ فعيل بمعنى مفعول ؛ أي لا ينسى تعالى لما يدل على وجوده تعالى من آثار صنعه وكمال سلطته على كل شيء . وكل شيء ينطق بذكره وتسبيحه ،

وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ
سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ
حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ
عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ
الظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ
أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ

٦٥ هو ﴿رب﴾ مالك ﴿السموات والأرض وما بينهما﴾ أي كل ما في السموات وما في الأرض وما بينهما عبيده تعالى وليس له فيها ابن سبحانه ولا شريك . ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾ أي اصبر عليها ونزهه في كل شيء في ذاته وصفاته وأسمائه ﴿هل تعلم له سميا﴾ أي من يشاركه في اسم ويستحق أن يسمى الها أو أحدا سمي بالله ، فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط ، وذلك لظهور أحديته وتعالي ذاته عن المماثلة . واذا صح أن لا أحد مثله لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها .

ومن العبادة له تعالى : الايمان بالبعث بعد الموت للعرض والحساب والجزاء .

٦٦ ﴿ويقول الانسان﴾ الكافر بذلك ﴿أئذا﴾ بتحقيق الهمزتين بلا ألف وقرىء بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما بوجهيها وبين الأخرى ﴿ما مت لسوف أخرج حيا﴾ من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي أي لا أحيي بعد الموت و«ما» زائدة للتأكيد وكذا اللام ، ورد عليه بقوله تعالى .

٦٧ ﴿أو لا يذكر الانسان﴾ بسكون الذال وضم الكاف ، وفي قراءة بتشديد الذال وفتح الكاف أصله يتذكر أبدلت التاء ذالا وأدغمت في الذال . ففي الأول الفعل متعد ومفعوله ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ فيستدل بالابتداء على الاعادة .

٦٨ ﴿فوربك﴾ يا محمد وفيه تشريف له ﷺ ﴿لنحشرنهم﴾ أي المنكرين للبعث ﴿والشياطين﴾ أي نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ من خارجها ﴿جثيا﴾ بكسر الجيم والثاء وقرىء بضم الجيم ، جمع جاث وأصله جثو أو جثوي من جثا يجثو أو يجثي لغتان أي جثيا على الركب .

٦٩ ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ فرقة منهم ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ جراءة .

٧٠ ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها﴾ أحق بجهنم الأشد وغيره ﴿صليا﴾ دخولا واحتراقا فنبدأ بهم . وأصله صلوي من صلي بكسر اللام وفتحها .

٧١ ﴿وان﴾ أي ما ﴿منكم﴾ أحد ﴿الا واردها﴾ أي داخلها أي جهنم . ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ حتمه وقضى به لا يتركه .

٧٢ ﴿ثم ننجي﴾ مشددا وقرىء مخففا ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك والكفر منها ﴿ونذر الظالمين﴾ بالشرك والكفر ﴿فيها جثيا﴾ على الركب . والمراد بالورود المرور على الصراط فانه ممدود عليها روي عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الورود الدخول فلا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم ، وفي الحديث فتقول النار للمؤمنين جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي .

٧٣ ﴿واذا تتلى عليهم﴾ أي المؤمنين والكافرين في الدنيا ﴿آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ واضحات ، حال ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين﴾ نحن وانتم ﴿خير مقاما﴾ منزلا ومسكنا بالفتح من قام ، وقرىء بالضم من أقام ﴿وأحسن نديا﴾ بمعنى النادي وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه . يعنون : نحن ، فنكون خيرا منكم . قال تعالى :

٧٤ ﴿وكم﴾ أي كثيرا ﴿أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿هم أحسن أثاثا﴾ مالا ومتاعا ﴿ورئيا﴾ منظرا من الرؤية ، فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء .

لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ
وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾
أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾
أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾
وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ
عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا
نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ

٧٥ ﴿قل من كان في الضلالة﴾ شرط جوابه ﴿فليمدد﴾ بمعنى الخبر ، أي يمد ﴿له الرحمن مدا﴾ في الدنيا يستدرجه .

﴿حتى اذا رأوا ما يوعدون إما العذاب﴾ كالقتل والأسر ﴿وإما الساعة﴾ المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ أعوانا ، أهم أم المؤمنون ؟ وجندهم الشياطين ، وجند المؤمنين عليهم الملائكة .

٧٦ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا﴾ بالايمان ﴿هدى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿والباقيات الصالحات﴾ هي الطاعات تبقى لصاحبها ﴿خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾ أي ما يرد اليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار ، والخيرية هنا في مقابلة قولهم : «أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا» أي جماعة وأعوانا . والا فهم لا ثواب لهم وعاقبتهم لا خير فيها .

ثم ذكر تعالى ما يعجب من تخيلات الكفار التي لا تستند على حجة فقال :

٧٧ ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ لما تليت عليه مثل العاصي ابن وائل ﴿وقال﴾ استهزاء ﴿لأوتين مالا وولدا﴾ على تقدير البعث. يروى أن العاصي بن وائل طلب منه خباب بن الأرت من البدريين أن يقضي له أجرة عمله من الصياغة له ، وخوفه بالبعث بعد الموت من حيث وقوع المجازاة فيه . فقال له العاصي استهزاء وتعنتا : «لأوتين مالا وولدا» فأقضيك وحلف يمينا فاجرة .

٧٨ ﴿أطلع الغيب﴾ أي أعلمه ؟ واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت . ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ بأن يؤتى ما قاله .

٧٩ ﴿كلا﴾ أي لا يؤتى ذلك ﴿سنكتب﴾ نأمر بكتب ﴿ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾ نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره .

﴿ونرثه ما يقول﴾ من المال والولد ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فردا﴾ لا مال له ولا ولد .

٨١ ﴿واتخذوا﴾ أي الكفار ﴿من دون الله﴾ الأوثان ﴿آلهة﴾ يعبدونهم ﴿ليكونوا لهم عزا﴾ أعزاء أي شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا .

٨٢ ﴿كلا﴾ أي لا مانع من عذابهم ﴿سيكفرون﴾ اي الآلهة ﴿بعبادتهم﴾ أي ينفونها كما في آية أخرى : «وما كانوا ايانا يعبدون» ﴿ويكونون عليهم ضدا﴾ أي اعداء . وفي «القاموس» ضده في الخصومة من باب رد غلبه ومنعه برفق .

ثم عقب تعالى عن مضمون ما تقدم بما يأتي من هنا الى آخر السورة فقال .

٨٣ ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين﴾ سلطناهم ﴿على الكافرين تؤزهم﴾ تهيجهم الى المعاصي أو تزعجهم بشدة أو تغريهم بصوت غير مفهوم كأزير القدر والمرجل اذا غلا واشتد غليانه حتى سمع له صوت ﴿أزا﴾

وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾
لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾
تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ
ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى
لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ
وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ
بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ
مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

٨٤ ﴿فلا تعجل عليهم﴾ بطلب العذاب ﴿انما نعد لهم﴾ الليالي والأيام أو الأنفاس ﴿عداً﴾ الى وقت عذابهم

٨٥ اذكر ﴿يوم نحشر المتقين﴾ بإيمانهم ﴿الى الرحمن وفدا﴾ جمع وافد بمعنى راكب .

٨٦ ﴿ونسوق المجرمين﴾ بكفرهم ﴿الى جهنم وردا﴾ جمع وارد بمعنى ماش عطشان .

٨٧ ﴿لا يملكون﴾ أي الناس ﴿الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ أي شهادة أن لا اله الا الله والتبرؤ من الحول والقوة الا بالله وعدم رجاء غير الله ، قاله ابن عباس .

٨٨ ﴿وقالوا﴾ أي الكفار من اليهود والنصارى ومن زعم من العرب أن الملائكة بنات الله ﴿اتخذ الرحمن ولدا﴾ قال تعالى لهم :

٨٩ ﴿لقد جئتم شيئا إداً﴾ أي منكرا عظيما .

٩٠ ﴿تكاد﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿السموات يتفطرن﴾ بالتاء وتشديد الطاء ، وفي قراءة بالنون وكسر الطاء المخففة أي بالانشقاق ﴿منه﴾ هذا القول الفظيع ﴿وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا﴾ أي تنطبق عليهم من أجل :

﴿ان دعوا للرحمن ولدا﴾ قال تعالى :

٩٢ ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ أي ما يليق به ذلك .

٩٣ ﴿ان﴾ اي ما ﴿كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا﴾ ذليلا خاضعا يوم القيامة ومنهم عزير وعيسى .

٩٤ ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم .

٩٥ ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه .

٩٦ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى .

٩٧ ﴿فانما يسرناه﴾ القرآن ﴿بلسانك﴾ العربي أي لغتك العربية ﴿لتبشر به المتقين﴾ الفائزين بالايمان والعاملين بمقتضى الشريعة ﴿وتنذر﴾ تخوف ﴿به قوما لدا﴾ جمع ألد أي جدل بالباطل وهم الكفار.

(٢٠) سورة طه مكية
وآياتها خمس وثلاثون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ (٢) إِلَّا
تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٣) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ
وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥)
لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الثَّرَىٰ (٦) وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)
اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨) وَهَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ

٩٨ ﴿وكم﴾ أي كثيرا ﴿أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿هل تحس﴾ تجد ﴿منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾ صوتا خفيا؟ والجواب لا . فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء .

﴿ سورة طه مكية ﴾

هي مائة وخمس وثلاثون آية وموضوعها الرئيسي: «ان دين الله يسر لا مشقة فوق الطاقة فيه ، والمقصود اتباع المأمورات واجتناب النواهي بقدر الطاقة» .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿طه﴾ الله أعلم بمراده بذلك .

٢ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن﴾ يا محمد ﴿لتشقى﴾ لتتعب رط تأسفك على كفر قريش ، اذ ما عليك الا أن تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد أي أنزل اليك لتسعد .

٣ ﴿الا﴾ لكن أنزلناه ﴿تذكرة﴾ به ﴿لمن يخشى﴾ يخاف الله .

٤ ﴿تنزيلا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ جمع عليا ككبر وكبرى .

٥ هو ﴿الرحمن على العرش﴾ وهو في اللغة سرير الملك ﴿استوى﴾ استواء يليق به .

٦ ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما﴾ من المخلوقات ﴿وما تحت الثرى﴾ هو التراب الندي فان لم يكن نديا فهو تراب ، ولا يقال له حينئذ ثرى .

٧ ﴿وان تجهر بالقول﴾ في ذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به ﴿فانه يعلم السر وأخفى﴾ منه أي ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر .

٨ ﴿الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث ، والحسنى مؤنث الأحسن .

٩ ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أي قد أتاك .

هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠
رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا
تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ
عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا
هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ
بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ

١٠ ﴿اذ رأى نارا فقال لأهله﴾ لامرأته وهي بنت شعيب واختلف أيهما الصغرى أو الكبرى ﴿امكثوا﴾ هنا وذلك في مسيره من مدين طالبا مصر ﴿اني آنست﴾ أبصرت ﴿نارا لعلي آتيكم منها بقبس﴾ شعلة في رأس فتيلة أو عود ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي هاديا يدلني على الطريق ، وكان أخطأها لظلمة الليل . وقال «لعل» لعدم الجزم بوفاء الوعد. وروي أن الله تعالى نادى موسى بالواد المقدس وأرسله الى فرعون ، شيعته الملائكة وصافحوه وخلف أهله في الموضع الذي تركهم فيه . فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب. فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز بني اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه ، فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر .

١١ ﴿فلما أتاها﴾ أي النار التي آنسها ، قال ابن عباس ، رأى شجرة خضراء طافت به من أسفلها الى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضوأ ما يكون . فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة ، فلا نور بلا احراق . ويقال أن الشجرة عوسج ﴿نودي يا موسى﴾ .

١٢ ﴿اني﴾ بكسر الهمزة بتأويل نودي بقيل ، وقرىء بفتحها بتقدير الباء . ﴿أنا﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس﴾ المطهر أو المبارك ﴿طوى﴾ بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية . والخلع تعظم أو تبرك ولأن الحفوة تواضع لله . وقيل أمر بخلعهما لنجاستها لأنهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ كما روي عن السدي .

١٣ ﴿وأنا اخترتك﴾ من قومك ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك مني .

١٤ ﴿انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ فيها أي لتذكرني في الصلاة فانها مشتملة على كلامي .

١٥ ﴿ان الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها. ﴿لتجزى﴾ فيها ﴿كل نفس بما تسعى﴾ به من خير أو شر.

١٦ ﴿فلا يصدنك﴾ يصرفنك ﴿عنها﴾ أي الايمان بها ﴿من لا يؤمن بها واتبع هواه﴾ في انكارها ﴿فتردى﴾ أي تهلك ان صددت عنها .

١٧ ﴿وما تلك﴾ كائنة ﴿بيمينك يا موسى﴾ الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها .

١٨ ﴿قال هي عصاي أتوكأ﴾ أعتمد ﴿عليها﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وأهش بها﴾ أخبط ورق الشجر بها ليسقط ﴿على غنمي﴾ فتأكله ﴿ولي فيها مآرب﴾ جمع مأربة مثلثة الراء أي حوائج ﴿أخرى﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام وزاد في الجواب بيان حاجاته بها .

١٩ ﴿قال ألقها يا موسى﴾ .

٢٠ ﴿فألقاها فإذا هي حية﴾ ثعبان عظيم ﴿تسعى﴾ تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان المعبر به فيها في آية أخرى .

٢١ ﴿قال خذها ولا تخف﴾ منها ﴿سنعيدها سيرتها﴾ منصوب بنزع الخافض أي إلى حالتها ﴿الأولى﴾ فأدخل يده في فمها فعادت عصا ، وتبين أن موضع الادخال موضع مسكها بين

ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾
قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾
وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾
وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ
بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾
قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ
مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾
أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ
بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً
مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ

شعبيها ، وأرى ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون .

٢٢ ﴿واضمم يدك﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿إلى جناحك﴾ أي جنبك الأيسر العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تخرج﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بيضاء من غير سوء﴾ أي برص ، تضيء كشعاع الكهرباء تغشى البصر ﴿آية أخرى﴾ وهي و «بيضاء» حالان من ضمير تخرج .

٢٣ ﴿لنريك﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿من آياتنا﴾ الآية ﴿الكبرى﴾ أي العظمى على رسالتك . وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها .

٢٤ ﴿اذهب﴾ رسولاً ﴿إلى فرعون﴾ ومن معه ﴿إنه طغى﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلٰهية .

٢٥ ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ وسِّعه لتحميل الرسالة .

٢٦ ﴿ويسر لي أمري﴾ لأبلِّغها .

٢٧ ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير ، بعدما فطمته أمه وردته إلى فرعون فنشأ في حجره وحجر امرأته آسية يربيانه واتخذاه ولدا ، فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب إذ رفعه وضرب به فرعون فغضب فرعون وتطير بضربته حتى همَّ بقتله ، فقالت آسية : أيها الملك إنه صغير لا يعقل جَرِّبْهُ إن شئت فجاء بطستين أحدهما فيه جمر وآخر فيه جوهر فوضعهما بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجوهر ، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على الجمر ، وأخذ جمرة ووضعها في فيه ، فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة .

٢٨ ﴿يفقهوا﴾ يفهموا ﴿قولي﴾ عند تبليغ الرسالة .

٢٩ ﴿واجعل لي وزيرا﴾ معينا عليها ﴿من أهلي﴾ .

٣٠ ﴿هرون﴾ مفعول ثان ﴿أخي﴾ عطف بيان .

٣١ ﴿اشدد به أزري﴾ ظهري .

٣٢ ﴿وأشركه في أمري﴾ أي الرسالة . والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب .

٣٣ ﴿كي نسبحك﴾ تسبيحاً ﴿كثيرا﴾ .

٣٤ ﴿ونذكرك﴾ ذكراً ﴿كثيراً﴾ .

٣٥ ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ عالماً فأنعمت علينا بالرسالة . فأجابه تعالى :

٣٦ ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ منّاً عليك .

٣٧ ﴿ولقد مننّا عليك مرة أخرى﴾ .

٣٨ ﴿إذ﴾ للتعليل ﴿أو حينا إلى امك﴾ مناماً أو إلهاما لَمّا ولدتك وخافت ان يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿ما يوحى﴾ في أمرك ويبدل منه .

٣٩ ﴿أن اقذفيه﴾ ألقيه ﴿في التابوت فاقذفيه﴾ التابوت ﴿في اليم﴾ بحر النيل ﴿فليلقه اليمُّ بالساحل﴾ أي شاطئه ، والأمر بمعنى الخبر ﴿يأخذه عدو لي وعدوله﴾ هو فرعون ﴿وألقيتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عليك محبة مني﴾ لتحب من الناس ، فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿ولتصنع على عيني﴾ تربى على رعايتي وحفظي لك .

كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ
الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ
جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾
اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾
اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ
يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا
أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ
مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ
رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ
رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ

٤٠ ﴿إذ﴾ للتعليل ﴿تمشي أختك﴾ مريم لتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن ﴿فتقولُ هل أدلكم على من يكفله﴾ فأجيبت ، فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها﴾ بلقائك ﴿ولا تحزن﴾ حينئذ . ﴿وقتلتَ نفساً﴾ هو القبطي بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فنجّيناك من الغم وفتنّاك فتُونا﴾ اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه . وقد روي أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال : خلصناك من محنة بعد محنة ، ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ، وألقته أمه في البحر، وهمّ فرعون بقتله ، وقتل قبطيا ، آجر نفسه عشر سنين ، وضل الطريق ، وضلت غنمه في ليلة مظلمة . وكان ابن عباس يقول عند كل واحدة : فهذه فتنة يا ابن جبير . ﴿فلبثت سنين﴾ عشراً ﴿في أهل مدين﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب النبي ، وتزوُّجك بابنته ﴿ثم جئت على قدر﴾ في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك ﴿يا موسى﴾ .

٤١ ﴿واصطنعتك﴾ اخترتك ﴿لنفسي﴾ بالرسالة .

٤٢ ﴿إذهب أنت وأخوك﴾ إلى الناس ﴿بآياتي﴾ التسع ﴿ولا تنيا﴾ تفترا ﴿في ذكرى﴾ بتسبيح وغيره .

٤٣ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ بادعائه الربوبية .

٤٤ ﴿فقولا له قولاً لينا﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لعله يتذكر﴾ يتعظ ﴿أو يخشى﴾ الله فيرجع والترجي بالنسبة اليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع .

٤٥ ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يَفْرُطَ علينا﴾ أي يعجل بالعقوبة ﴿أو أن يطغى﴾ علينا أي يتكبر .

٤٦ ﴿قال لا تخافا إنني معكما﴾ بعوني ﴿اسمع﴾ ما يقول ﴿وأرى﴾ ما يفعل .

٤٧ ﴿فأتياه فقولا إنا رسُولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ المراد بارسالهم إطلاقهم من الأسر والقسر، دل على هذا المعنى قوله : ﴿ولا تعذبهم﴾ أي خلِّ عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قد جئناك بآية﴾ بحجة ﴿من ربك﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي السلامة له من العذاب .

٤٨ ﴿انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب﴾ ما جئنا به ﴿وتولى﴾ أعرض عنه . فمجموع ما أرسلا به الى فرعون ست جمل كما ظهر.

ثم لا يعرف ما حصل بزوجة موسى ولا كيف استمر حالهما على جاداه وقالا له جميع ما ذكر.

٤٩ ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ اقتصر عليه لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالتربية .

خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ
عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢)
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن
نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ (٥٤) * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ
ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ
أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ
مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ
ٱلنَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠)

٥٠ ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء﴾ من الخلق ﴿خلقه﴾ الذي هو عليه متميز به عن غيره ﴿ثم هدى﴾ الحيوان منه الى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك .

٥١ ﴿قال﴾ فرعون : ﴿فما بال﴾ حال ﴿القرون﴾ الأمم ﴿الأولى﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان .

٥٢ ﴿قال﴾ موسى : ﴿علمها﴾ أي علم حالها محفوظ ﴿عند ربي في كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لا يضل﴾ يغيب ﴿ربي﴾ عن شيء ﴿ولا ينسى﴾ ربي شيئا .

٥٣ هو ﴿الذي جعل لكم﴾ في جملة الخلق ﴿الأرض مهدا﴾ فراشا ﴿وسلك﴾ سهل ﴿لكم فيها سبلا﴾ طرقا ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ مطرا . قاله تعالى تتميما لما وصفه به موسى وخطابا لهذه الأمة المسلمة . ﴿فأخرجنا به أزواجا﴾ أصنافا ﴿من نبات شتى﴾ صفة أزواجا ، أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما . وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى ، من شت الأمر تفرق .

٥٤ ﴿كلوا﴾ منها ﴿وارعوا أنعامكم﴾ فيها جمع نعم هي الابل والبقر والغنم يقال : رعت الأنعام ورعيتها . والأمر للاباحة وتذكير النعمة ، والجملة حال من ضمير «فأخرجنا» أي مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿ان في ذلك﴾ المذكور هنا ﴿لآيات﴾ لعبرا ﴿لأولي النهى﴾ لأصحاب العقول ، جمع نهية كغرفة وغرف، سمي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح .

٥٥ ﴿منها﴾ أي الأرض ﴿خلقناكم﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وفيها نعيدكم﴾ مقبورين بعد الموت ﴿ومنها نخرجكم﴾ عند البعث ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم .

٥٦ ﴿ولقد أريناه﴾ أي أبصرنا فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ التسع ﴿فكذب﴾ بها وزعم انها سحر ﴿وأبى﴾ أن يوحد الله تعالى .

٥٧ ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ مصر ويكون لك الملك فيها ﴿بسحرك يا موسى﴾ .

٥٨ ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ يعارضه ﴿فاجعل بيننا وبينك موعدا﴾ لذلك ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا﴾ منصوب بنزع الخافض في ﴿سوى﴾ بضم أوله وقرىء بكسره أي وسطا تستوي اليه مسافة الجائي من الطرفين .

٥٩ ﴿قال﴾ موسى ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وأن يحشر الناس﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضحى﴾ وقته للنظر فيما يقع .

٦٠ ﴿فتولى فرعون﴾ أدبر ﴿فجمع كيده﴾ أي ذوي كيده من السحرة ﴿ثم أتى﴾ بهم الموعد .

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ
يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا
وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن
تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا
فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧)
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ
تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا

٦١ ﴿قال لهم موسى﴾ وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا ﴿ويلكم﴾ أي ألزمكم الله الويل ﴿لا تفتروا على الله كذبا﴾ باشراك أحد معه ﴿فيسحتكم﴾ بضم الياء وكسر الحاء وقرىء بفتحها أي يهلككم ﴿بعذاب﴾ من عنده ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من افترى﴾ كذب على الله .

٦٢ ﴿فتنازعوا امرهم بينهم﴾ في موسى وأخيه ﴿وأسروا النجوى﴾ أي الكلام بينهم فيهما .

٦٣ ﴿قالوا﴾ لأنفسهم ﴿ان هذان﴾ وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث ﴿لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ مؤنث أمثل ، بمعنى أشرف أي بأشرافكم بميلهم اليهما لغلبتهما

٦٤ ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ من السحر بهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم ، وقرىء بهمزة وصل ﴿ثم ائتوا صفا﴾ حال ، أي مصطفين . ﴿وقد أفلح﴾ فاز ﴿اليوم من استعلى﴾ غلب .

٦٥ ﴿قالوا يا موسى﴾ اختر ﴿اما أن تلقي﴾ عصاك أولا ﴿واما أن نكون أول من ألقى﴾ عصاه .

٦٦ ﴿قال بل ألقوا﴾ فألقوا ﴿فاذا حبالهم وعصيهم﴾ أصله عصوو قلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد ﴿يخيل اليه من سحرهم أنها﴾ حيات ﴿تسعى﴾ على بطونها .

٦٧ ﴿فأوجس﴾ أحس ﴿في نفسه خيفة موسى﴾ أي خافه من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به .

٦٨ ﴿قلنا﴾ له ﴿لا تخف انك أنت الأعلى﴾ عليهم بالغلبة .

٦٩ ﴿وألق ما في يمينك﴾ وهي عصاه ﴿تلقف﴾ تبتلع ﴿ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر﴾ أي جنسه ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ بسحره . فالقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه .

٧٠ ﴿فألقي السحرة سجدا﴾ خروا ساجدين لله تعالى ﴿قالوا آمنا برب هرون وموسى﴾ .

٧١ ﴿قال﴾ فرعون ﴿آمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا ﴿له قبل أن آذن﴾ أنا ﴿لكم أنه لكبيركم﴾ معلمكم ﴿الذي علمكم السحر﴾ وأنتم تلامذته في السحر فاصطلحتم معه على ان تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لأمره وتفخيما لشأنه . أراد فرعون بهذا القول أن يلقي شبهة على الناس الحاضرين كيلا يتبعوا السحرة في الايمان مع موسى وهارون ثم خوفهم بقوله للسحرة : ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ حال ، يعني مختلفة أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي عليها ﴿ولتعلمن اينا﴾ يعني نفسه ورب موسى ﴿أشد عذابا وأبقى﴾ أدوم على مخالفته .

٧٢ ﴿قالوا لن نوثرك﴾ لن نختارك ﴿على ما جاءنا من البينات﴾ الدالة على صدق موسى ﴿والذي فطرنا﴾ خلقنا . قسم أو عطف على «ما» . ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أي اصنع ما قلته فنحن لن ننهزم عن عقيدتنا به ﴿انما تقضي هذه الحيوة الدنيا﴾ النصب على الاتساع أي فيها وتجزى عليه في الآخرة .

٧٣ ﴿انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ من الاشراك وغيره ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ عملا لمعارضة موسى وقولا من الحلف بعزتك ، ﴿والله خير﴾ منك ثوابا اذا أطيع ولم يقولوا أشد عذابا كيلا ينسبوا الشر الى الله ، وأن خيره شامل ﴿وأبقى﴾ منك عذابا اذا عصي . ثم بينوا سبب قولهم خير وأبقى فقالوا :

٧٤ ﴿انه من يأت ربه مجرما﴾ كافرا كفرعون ﴿فان له جهنم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيا﴾ حياة تنفعه .

٧٥ ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات﴾ من عمل الطاعات ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ جمع عليا مؤنث أعلى .

٧٦ ﴿جنات عدن﴾ اي اقامة بيان له ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ تطهر من الذنوب بالايمان بالله ورسوله .

ولم يذكر القرآن لنا عن فعل فرعون من التهديد والوعيد للسحرة شيئاً أنفذه أم لا ، والغالب أنه لم يفعله والله أعلم . وبعد سنين أقامها موسى بينهم يدعو فرعون وقومه بآيات الله فلم يزدادوا الا عتوا ، وكادوا كيدهم ، قال تعالى :

بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ
ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن
نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ
مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾
إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾
وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَاضْرِبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧)
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨)
وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن
يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ
بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ

٤١٣

٧٧ ﴿ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي﴾ بهمزة قطع من أسرى ، وبهمزة وصل وكسر النون من سرى ، لغتان . أي سر بهم ليلا من أرض مصر ﴿فاضرب﴾ اجعل ﴿لهم﴾ بالضرب بعصاك ﴿طريقا في البحر يبسا﴾ أي يابسا ، فامتثل ما أمر به وأيبس الله الأرض فمروا فيها ﴿لا تخاف دركا﴾ أي أن يدركك فرعون وجنوده . وأصل الدرك قطعة من الجيش ترسل لتلحق القائت . ﴿ولا تخشى﴾ غرقا .

٧٨ ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ وهو معهم ﴿فغشيهم من اليم﴾ البحر ﴿ما غشيهم﴾ فأغرقهم .

٧٩ ﴿وأضل فرعون قومه﴾ بدعائهم الى عبادته ﴿وما هدى﴾ بل أوقعهم في الهلاك ، خلاف قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد .

وبعد اهلاك فرعون وجنوده من تعالى على بني اسرائيل بأشياء ذكرها لهم على وجه الامتنان فقال :

٨٠ ﴿يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ فرعون باغراقه ﴿وواعدناكم جانب الطور الايمن﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ هما الترنجبين او الطير السماني ، بتخفيف الميم والقصر . والمنادى هم : من أنعم الله عليهم أيام موسى وينسحب الحكم على الموجودين في كل وقت ودعوة الله هي هي في أيام موسى الى زمن النبي ﷺ ، وخوطبوا اذن بما انعم الله على أجدادهم زمن النبي موسى . وكذلك قوله تعالى لهم :

٨١ ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أي المنعم به عليكم ﴿ولا تطغوا فيه﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ بكسر الحاء أي يجب ، وقرىء بضمها أي ينزل ، ﴿ومن يحلل عليه غضبي﴾ بكسر اللام وبضمها ﴿فقد هوى﴾ سقط في النار.

٨٢ ﴿واني لغفار لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن﴾ وحد الله ﴿وعمل صالحا﴾ بصدق بالفرض والنفل ﴿ثم اهتدى﴾ باستمراره على ما ذكر الى موته .

ومن التذكير بالامتنان على بني اسرائيل ما يقصه الله لهم ولنا ، اذ قال تعالى لموسى .

٨٣ ﴿وما أعجلك عن قومك﴾ لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿يا موسى﴾ ؟ واراد بالقوم : السبعين الذين حضروا المناجاة وأخذوا التوراة ، اذ كانوا قد مشوا على أثر موسى لأخذ التوراة ، وكان موسى قد استخلف هرون على بني اسرائيل ، فتخلف السبعون عن المجيء ، وكان موسى يظن أنهم يأتون وراءه بقرب منه ، واشتغل الباقون بعبادة عجل صنعه رجل يسمى موسى بن ظَفَر منسوب الى سامرة قبيلة من بني اسرائيل ، كان منافقاً . وكانوا يقرعون الطبل فيقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ، وأصل ذلك من دين الزنادقة عباد النار.

٨٤ ﴿قال﴾ موسى جواب على سؤال ربه له : ﴿هم أولاء﴾ أي بالقرب مني يأتون ﴿على أثري﴾ يعني السبعين الآتين معه ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾ عني أي زيادة على رضاك .

٨٥ ﴿قال﴾ تعالى له ﴿فانا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي بعد فراقك لهم ، والمراد بالقوم هنا بنوا اسرائيل الذين استخلف موسى عليهم أخاه هارون . ﴿وأضلهم السامري﴾ فعبدوا العجل بالطبل والرقص . وفي «القرطبي» : وسئل الامام أبو بكر الطرطوشي : ما يقول سيدنا الفقية في جماعة يجتمعون ويكثرون من ذكر الله تعالى وذِكر محمد ﷺ ، ثم انهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل ، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ،

غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا
أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ
بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ
إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ

ويحضرون شيئا يأكلونه . فهل الحضور معهم جائز أم لا ؟ أفتونا يرحمكم الله . الجواب : يرحمك الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . اما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار ، فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل ، واما الطبل فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى . وانما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم عن الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم ، وهذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي وابن حنبل وغيرهم من ائمة المسلمين اهـ الجمل .

٨٦ ﴿فرجع موسى الى قومه غضبان﴾ من جهتهم ﴿أسفا﴾ شديد الحزن ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾ أي صدقا أنه يعطيكم التوراة ﴿أفطال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي اياكم ﴿أم أردتم أن يحل﴾ يجب ﴿عليكم غضب من ربكم﴾ بعبادتكم العجل ﴿فأخلفتم موعدي﴾ وتركتم المجيء بعدي ، أي خالفه الفريقان من بني اسرائيل : الفريق الأول الذي كان مع هارون ينتظرون رجوع موسى بالتوراة ، والثاني : السبعون رجلا الذين أمرهم موسى ان يتبعوه لحضور أخذ التوراة ، والذين أجاب موسى عنهم بقوله «هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى» ، وكلا الفريقين خالف الوعد .

٨٧ ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ مثلث الميم ، والقراءة بفتحها أي بقدرتنا أو أمرنا ﴿ولكنا حملنا﴾ بضم الحاء وكسر الميم مشددا ، وقرىء بفتح الحاء والميم مخففا ﴿أوزارا﴾ أثقالا ﴿من زينة القوم﴾ أي حلي قوم فرعون ، استعارها منهم بنو اسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم ﴿فقذفناها﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فكذلك﴾ كما القيناها ﴿ألقى السامري﴾ ما معه من حليهم وكان صائغا .

٨٨ ﴿فأخرج لهم عجلا﴾ صاغه من الحلي ﴿جسدا﴾ بجسد انسان ، قال في «البارع» : لا يقال الجسد الا للحيوان العاقل ولا يقال لغيره جسد الا للزعفران وللدم اليابس . ﴿له خوار﴾ أي صوت يسمع بدخول ريح وخروجها . ﴿فقالوا﴾ أي السامري وأتباعه ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ موسى ربه هنا وذهب يطلبه .

٨٩ قال تعالى ﴿أفلا يرون أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي «انه» ﴿لا يرجع﴾ العجل ﴿إليهم قولا﴾ أي لا يرد لهم جوابا ﴿ولا يملك لهم ضرا﴾ أي دفعه ﴿ولا نفعا﴾ أي جلبه أي فكيف يتخذ الها ؟

٩٠ ﴿ولقد قال لهم هرون من قبل﴾ من قبل أن يرجع موسى : ﴿يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني﴾ في عبادته ﴿واطيعوا أمري﴾ فيها .

٩١ ﴿قالوا لن نبرح﴾ نزال ﴿عليه عاكفين﴾ على عبادته مقيمين ﴿حتى يرجع الينا موسى﴾ . أي هذه هي حقيقة أمر هرون معهم قبل مجيء موسى ، انه لم يسكت وقد حذرهم من عبادتهم العجل فأبوا . ثم التفت موسى لهارون وهو لا يعرف موقفه معهم .

٩٢ ﴿ قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا﴾ بعبادته .

٩٣ ﴿ألا تتبعن﴾ «لا» زائدة وهي للتأكيد ﴿أفعصيت أمري﴾ باقامتك بين من يعبد غير الله تعالى .

٩٤ ﴿قال﴾ هرون ، ومن كلامه نفهم الحالة التي عامله موسى بها : ﴿يا ابن ام﴾ بفتح الميم وقرىء بكسرها ، اراد أمي ،

بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ
بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ
لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ
ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ
نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ
سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ
عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ
وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ

٤١٥

وذكرها اعطف لقلبه لما في جانب الأم من الرأفة والشفقة والا فهو أخوه الشقيق ﴿لا تأخذ بلحيتي﴾ وكان أخذها بشماله ﴿ولا برأسي﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضبا ، ﴿اني خشيت﴾ لو اتبعتك ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أن تقول فرقت بين بني اسرائيل﴾ وتغضب علي ﴿ولم ترقب﴾ تنتظر ﴿قولي﴾ فيما رأيته في ذلك ، ولم تتأمل في القول حتى تفهم عذري .

٩٥ ولما سمع موسى عذر أخيه في ذلك التفت الى السامري ﴿قال فما خطبك﴾ شأنك الداعي الى ما صنعت ﴿يا سامري﴾ .

٩٦ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ بالياء وقرىء بالتاء ، أي علمت ما لم يعلموه . قال هذا الكلام يعتذر به عما صدر منه من صنع العجل وفيه ما يشعر بالكذب شأنه شأن المنافقين اذا كشف لهم الأمور . ﴿فقبضت قبضة من﴾ تراب ﴿أثر الرسول﴾ يوهم أنه رأى رسولا معروفا عند المخاطب يعني موسى ، يطلب بذلك قبول عذره . ﴿فنبذتها﴾ القيتها في صورة العجل المصاغ . ﴿وكذلك سولت﴾ زينت ﴿لي نفسي﴾ أن أفعل فعلته فخرج كما رأيت ، ودعوت بني اسرائيل الى عبادته قبل أن ترجع .

٩٧ ﴿قال﴾ له موسى ﴿فاذهب﴾ من بيتنا ﴿فان لك في الحياة﴾ أي مدة حياتك ﴿أن تقول﴾ لمن رأيته ﴿لا مساس﴾ أي لا تقربني فكان يهيم في البرية واذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا ، وكذلك كانت أتباعه . وفي «القرطبي» : وقال قتادة : بقاياهم الى اليوم يقولون لا مساس وان مس أحد من غيرهم واحدا منهم حم كلاهما في الوقت ، ﴿وان لك موعدا﴾ لعذابك ﴿لن تخلفه﴾ بفتح اللام أي لن يخلف الله موعدك ، وقرىء بكسرها أي لن تغيب عنه ، أي تبعث اليه . ﴿وانظر الى الهك الذي ظلت﴾ أصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفا ، أي دمت ﴿عليه عاكفا﴾ أي مقيما تعبده ﴿لنحرقنه﴾ بالنار ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾ نذرينه في هواء البحر . وفعل موسى ما ذكره ثم التفت الى الذين اتبعوه وقال لهم لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل :

٩٨ ﴿انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما﴾ تميز محول عن الفاعل ، أي وسع علمه كل شيء .

هنا انتهت قصة موسى وفيها بيان اعتناء الله تعالى بالرسل ثم عقب تعالى على القصة فقال مخاطبا النبي ﷺ :

٩٩ ﴿كذلك﴾ كما قصصنا يا محمد هذه القصة ﴿نقص عليك من أنباء﴾ أخبار ﴿ما قد سبق﴾ من الأمم ﴿وقد آتيناك﴾ أعطيناك ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكرا﴾ قرآنا .

١٠٠ ﴿من أعرض عنه﴾ فلم يؤمن به ﴿فانه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ حملا ثقيلا من الاثم .

١٠١ ﴿خالدين فيه﴾ في عذاب الوزر ﴿وساء لهم يوم القيامة حملا﴾ تميز مفسر للضمير في ساء ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم ، واللام للبيان ، ويبدل من يوم القيامة .

١٠٢ ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ القرن النفخة الثانية ﴿ونحشر المجرمين﴾ الكافرين ﴿يومئذ زرقا﴾ عيونهم مع سواد وجوههم .

وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ
الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

١٠٣ ﴿يتخافتون بينهم﴾ يتسارون أي يخفضون اصواتهم ويخفضونها لما لحقهم من الرعب والهول ، ﴿ان﴾ ما ﴿لبثتم﴾ في القبر ﴿الا عشرا﴾ من الليالي بأيامها .

١٠٤ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ في ذلك ، أي ليس كما قالوا ﴿اذ يقول أمثلهم﴾ أعدلهم ﴿طريقة﴾ فيه : ﴿ان لبثتم الا يوما﴾ يستقلون لبثهم في القبر جدا لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها وهكذا جاء التعقيب بأن اتباع ذكر الله ، وهو القرآن أو أحكام الله و الاسلام ، هو الطريق السهل والحمل الخفيف ، والانحراف عنه اتباع للطريق الوعر الصعب والحمل الثقيل في الدنيا والآخرة .

ثم تقدم في بيان موضوع السورة من أن الدين يسر ليس فيه مشقة والمقصود فيه الانقياد لأمر الله تعالى ، فهو الذي يسهل الأمور لمن اتبعه . فوطأ الكلام بسؤال ليجيب عنه بالمقصود في أمثال مختلفة ، فقال تعالى :

١٠٥ ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فقل﴾ لهم ﴿ينسفها ربي نسفا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها كالرياح .

١٠٦ ﴿فيذرها قاعا﴾ منبسطا ﴿صفصفا﴾ مستويا .

١٠٧ ﴿لا ترى فيها عوجا﴾ انخفاضا ﴿ولا أمتا﴾ ارتفاعا .

١٠٨ ﴿يومئذ﴾ أي يوم اذ نسفت الجبال ﴿يتبعون﴾ أي الناس بعد القيام من القبور ﴿الداعي﴾ الى المحشر بصوته ، وهو اسرافيل يقول : هلموا الى عرض الرحمن ﴿لاعوج له﴾ أي لاتباعهم ، أي لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وخشعت﴾ سكنت ﴿الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا﴾ صوت الأقدام في نقلها الى المحشر كصوت أخفاف الابل في مشيها .

١٠٩ ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة﴾ أحدا ﴿الا من اذن له الرحمن﴾ أن يشفع له ﴿ورضي له قولا﴾ بأن يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله ، اذا كان من هذه الأمة . وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة في حق الفساق لأن قوله تعالى «ورضي له قولا» يكفي في صدقه أن يكون الله تعالى قد رضي له قولا واحدا من أقواله ، والفاسق قد رضي الله من أقواله شهادة لا اله الا الله بشرطها ، فوجب أن تكون الشفاعة نافعة له ، لأن الاستثناء من النفي اثبات .

١١٠ ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمور الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمور الدنيا ﴿ولا يحيطون به علما﴾ أي هم لا يعلمون جميع ما بين أيديهم وما خلفهم ، ومن باب أولى غير ذلك ، فلا يسعهم الا التسليم لأمره تعالى .

١١١ ﴿وعنت الوجوه﴾ خضعت ﴿للحي القيوم﴾ أي الله سبحانه وتعالى ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من حمل ظلما﴾ أي شركا .

١١٢ ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ الطاعات ﴿وهو مؤمن فلا يخاف ظلما﴾ بزيادة في سيئاته ﴿ولا هضما﴾ ينقص من حسناته .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾
وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ
عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟
إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ
وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ
لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا
وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ
هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

٤١٧

١١٣ ﴿وكذلك﴾ معطوف على «كذلك نقص» أي مثل انزال ما ذكر ﴿أنزلناه﴾ أي القرآن ﴿قرآنا عربيا وصرفنا﴾ كررنا ﴿فيه من الوعيد لعلهم يتقون﴾ الشرك ﴿أو يحدث﴾ القرآن ﴿لهم ذكرا﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبروا .

١١٤ ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ عما يقول المشركون .

ولما كان تلقي القرآن من الملك فيه صعوبة للبشر فكان النبي ﷺ يتبع جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الوحي وشفقة على القرآن ، مخافة النسيان ، وهو كلام الله ورسالته الى عباده ، ففي ذلك ما فيه من المشقة له ﷺ مع أنه قال الله له «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» فسهل الله ذلك ونهاه عن المبادرة ، فقال : ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أي بقراءته ﴿من قبل أن يقضى اليك وحيه﴾ أي يفرغ جبريل من ابلاغه كقوله تعالى «لا تحرك به لسانك لتجعل به» روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : لا تتله قبل أن نبينه وقيل : ولا تعجل أي لا تسأل انزاله قبل أن يقضى بأن يأتيك بيان تأويله . ﴿وقل رب زدني علما﴾ أي بالقرآن فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه .

ولما نهاه تعالى عن المبادرة بالقرآن ، نبهه على علة ذلك بقصة آدم فقال تعالى :

١١٥ ﴿ولقد عهدنا الى آدم﴾ وصيناه أن لا ياكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ من قبلك وكان يبادر الأمر بالتلقي ويخاف أن ينساه ﴿فنسي﴾ عهدنا من سبب تعجيله به ﴿ولم نجد له عزما﴾ حزما على ضبط جميع العهد فحصل ما حصل منه .

١١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس﴾ وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أبى﴾ عن السجود لآدم وقال أنا خير منه .

١١٧ ﴿فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك﴾ حواء بالمد ، ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك ، واقتصر على شقائه لأن الرجل يسعى على زوجته ، وهو محل موضوع السورة من أن ترك الأمر يسبب الشقاء واتباعه يزيله .

١١٨ ﴿ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾ قارن بين الجوع الذي هو ذل الباطن والعرى الذي هو ذل الظاهر لهذه المناسبة .

١١٩ ﴿وأنك﴾ بفتح الهمزة وقرىء بكسرها عطف على اسم «ان» وجملتها ﴿لا تظمأ فيها﴾ تعطش ﴿ولا تضحى﴾ لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة . وقارن ايضا بين الظمأ الذي هو حرارة الباطن والتضحي الذي هو حرارة الظاهر للمناسبة ، فلو جمع الجوع والظمأ ثم التعري والتضحي لما حصل التنبيه على الانعام والامتنان مثل ما حصل في ذلك ، ولله المثل الأعلى وهو العليم الحكيم .

١٢٠ ﴿فوسوس اليه﴾ الى آدم ﴿الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ اي التي يخلد من يأكل منها ﴿وملك لا يبلى﴾ أي : تصرف يدوم ولا ينقطع ، فبادر آدم قبل أن يأتيه بيان منا .

مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ
رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ
ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ
بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ
يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾
أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ

١٢١ ﴿فأكلا﴾ أي آدم وحواء ﴿منها فبدت لهما سوآتهما﴾ أي ظهر لكل واحد منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه . ﴿وطفقا يخصفان﴾ أخذا يلزقان الورق ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ ليستترا به ﴿وعصى آدم ربه﴾ باستعجاله تصديق حلف ابليس بالله له ، واعتقد أن الشجرة المنهية معينة وأن غيرها من بقية أفرادها من بقية أفراد الجنس ليس منهيا عنه ﴿فغوى﴾ أي ضل عن مطلوبه وهو الخلود في الجنة والتصرف بما فيها .

١٢٢ ﴿ثم اجتباه ربه﴾ قربه ﴿فتاب عليه﴾ رجع به عن العتب الى الرضى لأنه لم يخالفه عمدا وانما هو عن تأويل وعجل ﴿وهدى﴾ أي هداه الى الرشد والهدى .

١٢٣ ﴿قال اهبطا﴾ أي آدم وحواء ﴿منها﴾ من الجنة أنتما ومن اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿جميعا بعضكم﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ يظلم بعضهم بعضا ﴿فاما﴾ فيه ادغام نون «ان» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يأتينكم مني هدى﴾ كتاب ورسول بشريعة ﴿فمن اتبع هداي﴾ فيه وضع الظاهر موضع الضمير مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه او للمبالغة في ايجاب اتباعه ﴿فلا يضل﴾ في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة .

١٢٤ ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي ولم يؤمن به ﴿فان له﴾ في الدنيا ﴿معيشة ضنكا﴾ بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بعذاب الكافر في القبر ﴿ونحشره﴾ أي المعرض عن الهدى ﴿يوم القيامة أعمى﴾ أي أعمى البصر.

١٢٥ ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا﴾ في الدنيا وعند البعث .

١٢٦ ﴿قال﴾ الأمر ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿وكذلك﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿اليوم تنسى﴾ تترك في النار.

الى هنا انتهت قصة آدم مع الشيطان في الجنة وبعد خروجه هو وزوجته الى الدنيا مع ما اشتملا عليه من ذريتهما ، وما خاطبهم الله تعالى به من عدم الشقاء في الدنيا والآخرة لمن تبع هداه تعالى .

فهو نداء عام لبني آدم من أولهم لآخرهم ، ثم خصص هذه الأمة المحمدية بقوله تعالى :

١٢٧ ﴿وكذلك﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن الهدى ﴿نجزي من أسرف﴾ اي جاوز الحد في العبادة وأشرك بالله من هذه الأمة ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ وهو القرآن فتكون له معيشة ضنكا في الدنيا ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وابقى﴾ أدوم .

١٢٨ ﴿أفلم يهد لهم﴾ أي كفار هذه الامة ﴿كم﴾ خبرية مفعول ، وفاعل يهد اهلاك دل عليه ﴿أهلكنا﴾ كثيرا من الأمم ﴿قبلهم من القرون﴾ أي الأمم الماضية بتكذيب الرسل ﴿يمشون﴾ حال من ضمير لهم ﴿في مساكنهم﴾ في سفرهم الى الشام وغيرها وما ذكر من أخذ «اهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه ﴿ان في ذلك لآيات﴾ لعبرا ﴿لأولي النهى﴾ لذوي العقول .

مُسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ
فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا
نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ
مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾
وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ
وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ
أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

٤١٩

١٢٩ ﴿ولو لا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير العذاب عنهم الى الآخرة ﴿لكان﴾ الاهلاك ﴿لزاما﴾ لازما لهم حالا لما ارتكبوا من تكذيب القرآن ﴿وأجل مسمى﴾ مضروب لهم ، معطوف على «كلمة» أي : ولولا كلمة وأجل مسمى لوقع الاهلاك العاجل عليهم .

١٣٠ ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ من كلمات الكفر حتى يأتي الأمر بالقتال ﴿وسبح﴾ صل ﴿بحمد ربك﴾ حال ، أي متلبسا به . ﴿قبل طلوع الشمس﴾ صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ ساعاته ﴿فسبح﴾ صل المغرب والعشاء ﴿وأطراف النهار﴾ عطف على محل «من آناء» المنصوب ، أي صل الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس ، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ، ﴿لعلك ترضى﴾ بما تعطى من الثواب .

١٣١ ﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا﴾ أصنافا ﴿منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لنفتنهم فيه﴾ بأن يطغوا ﴿ورزق ربك﴾ في الجنة ﴿خير﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وأبقى﴾ أدوم .

١٣٢ ﴿وأمر أهلك﴾ أي أهل بيتك وأهل دينك اي اتباعك وأمتك ﴿بالصلاة واصطبر عليها﴾ على مشاقها ﴿لا نسألك﴾ نكلفك ﴿رزقا﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿نحن نرزقك﴾ فتفرغ لأمر العبادة ولا تهتم بما تكفلنا لك ﴿والعاقبة﴾ المحمودة وهي الجنة ﴿للتقوى﴾ لاتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، أي للمتقين .

ثم ذكر بعض أقاويلهم الباطلة التي أمر النبي بالصبر عليها ، فقال تعالى :

١٣٣ ﴿وقالوا﴾ أي المشركون ﴿لولا﴾ هلا ﴿يأتينا﴾ محمد ﴿بآية من ربه﴾ مما يقترحونه ﴿أو لم تأتهم﴾ بالتاء وقرىء بالياء ، أي تكفهم ﴿بينة﴾ بيان ﴿ما في الصحف الأولى﴾ المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية واهلاكهم بتكذيب الرسل ، أي لم يكفهم اشتمال القرآن على بيان ما في الصحف الأولى في كونه معجزة حتى طلبوا غيرها .

١٣٤ ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ قبل محمد الرسول ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة ﴿ربنا لولا﴾ هلا ﴿أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك﴾ المرسل بها ﴿من قبل أن نذل﴾ في القيامة ﴿ونخزى﴾ في جهنم .

١٣٥ ﴿قل﴾ لهم ﴿كل﴾ منا ومنكم ﴿متربص﴾ منتظر ما يؤول اليه الأمر ﴿فتربصوا فستعلمون﴾ في القيامة ﴿من أصحاب الصراط﴾ الطريق ﴿السوي﴾ المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة أنحن أم أنتم .

ابتدأت السورة بنفي المشقة والشقاء بانزال القرآن ، واختتمت بجعل أصحاب هذا الكتاب على الصراط السوي الذي لا شقاء فيه لمن اتبعه لكونه ملء هدى ، واشتملت على علوم وأحكام تهدي الناس الى النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

(٢١) سورة الأنبياء مكية
وآياتها اثنتا عشرة ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾
مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

﴿ سورة الأنبياء عليهم السلام مكية ﴾

وهي مائة واحدى أو اثنتا عشرة آية . وموضوعها الرئيسي بيان أن ملة الأنبياء كلهم ملة واحدة ، وأنهم مبتلون بأنواع الابتلاء فيحتفي الله برعايتهم في تلك الاحوال .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿اقترب﴾ قرب ﴿للناس﴾ أي كل الناس ﴿حسابهم﴾ يوم القيامة ﴿وهم في غفلة﴾ عنه ﴿معرضون﴾ عن التأهب له بالايمان .

٢ ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ تنزله ، أي جديد نزوله أي لفظ كتاب منزل ﴿الا استمعوه وهم يلعبون﴾ يستهزؤن .

٣ ﴿لاهية﴾ غافلة ﴿قلوبهم﴾ عن معناه ﴿وأسروا النجوى﴾ أي الكلام والتشاور في استنباط ما يهدمون به ما أتاهم من ذكر واظهار فساده للناس عامة ﴿الذين ظلموا﴾ بدل من واو «وأسروا النجوى» . وقالوا: ﴿هل هذا﴾ أي محمد ﴿الا بشر مثلكم﴾ فما يأتي به سحر ﴿أفتأتون السحر﴾ تتبعونه ﴿وأنتم تبصرون﴾ تعلمون أنه سحر .

٤ لقد ﴿قال﴾ الرسول على زعمه ﴿ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع﴾ لما تقول ﴿العليم﴾ به . فهو داخل في نجواهم ، وحكوه عن الرسول استهزاء وعدم رضاهم به ، وفي قراءة «قل» بصيغة الأمر ، أي قل أيها الرسول للمستهزئين أو للمنكرين لكونك بشرا رسولا ، ويتشاورون سرا في ابطال الحق : «ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع» لما أسروه «العليم» به .

٥ ﴿بل﴾ للانتقال من غرض الى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قالوا﴾ فيما أتى به من ذكر هو ﴿أضغاث أحلام﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿بل افتراه﴾ اختلقه ﴿بل هو شاعر﴾ فما أتى به شعر وهو الكلام الموزون ، يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ، أو كل كلام كذلك وان لم يكن موزونا فهو شعر ، وهذا مقصودهم هنا وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا كما ادعى ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ من الرسل بالآيات .

٦ قال تعالى ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ أي أهلها ﴿أهلكناها﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿أفهم يؤمنون﴾ الاستفهام أنكاري ، والجواب : لا .

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ
ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ
ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾
وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا
قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا
يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ
حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ

٧ ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ يا محمد ﴿الا رجالا نوحي﴾ بالنون وكسر الحياء ، وفي قراءة بالياء وفتح الحاء ﴿اليهم﴾ كما نوحي اليك فلبسوا ملائكة . ﴿فاسألوا﴾ أيها الجهال ﴿أهل الذكر﴾ أهل الكتب السالفة الواقفين على أحوال الرسل السالفة فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال ﴿ان كنتم لا تعلمون﴾ ذلك فانهم يعلمونه وأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديقكم المؤمنين بمحمد لاتفاقكم معهم في انكاره .

٨ ﴿وما جعلناهم﴾ أي الرسل ﴿جسدا﴾ بمعنى أجسادا ﴿لا يأكلون الطعام﴾ بل يأكلونه ﴿وما كانوا خالدين﴾ في الدنيا .

٩ ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ بنصرهم وانجائهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ أي المصدقين لهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المجاوزين الحد بتكذيب الرسل .

ثم استأنف الكلام لتحقيق حقيقة القرآن الذي هو من نوع الذكر ، الذي ذكر في صدر السورة اعراضهم عن كل ما يأتيهم منه ، فقال تعالى :

١٠ ﴿لقد أنزلنا اليكم﴾ يا معشر قريش ﴿كتابا﴾ القرآن ، نكرة للتعظيم . ﴿فيه ذكركم﴾ أي شرفكم ، أي هو سبب لتشريفكم من بين العرب لكونه نزل بلغتكم ، وقيل : فيه ما تحتاجون اليه في أمور دينكم ودنياكم . وقيل : فيه موعظتكم ، وهو الأنسب بسياق النظام الكريم ﴿أفلا تعقلون﴾ فتؤمنون به ، سؤال توبيخ . ثم خوفهم بقوله :

١١ ﴿وكم قصمنا﴾ أهلكنا ﴿من قرية﴾ أي أهلها ﴿كانت ظالمة﴾ كافرة ﴿وانشأنا بعدها قوما آخرين﴾ .

١٢ ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ أي شعر أهل القرية بالهلاك ﴿اذا هم منها يركضون﴾ يهربون مسرعين . فقالت لهم الملائكة استهزاء :

١٣ ﴿لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم﴾ نعمتم ﴿فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون﴾ شيئا من دنياكم على العادة .

١٤ ﴿قالوا يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا ﴿انا كنا ظالمين﴾ بالكفر .

١٥ ﴿فما زالت تلك﴾ الكلمات ﴿دعواهم﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ أي كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا وصاروا ﴿خامدين﴾ ميتين كخمود النار اذا طفئت .

ثم أثبت تعالى فيما يأتي انفراده بالملك ونفى كل نوع من الشركة مع أحد فيه ، فقال :

١٦ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ عابثين من غير قصد بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا .

مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى
ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ
عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾
يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً
مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ
لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾
لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن
دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن
مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ
فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ
إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟

١٧ ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ ما يلهى به من زوجة أو ولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ من عندنا لا من عند أهل الأرض أو من غيرهم من المخلوقات المسخرة للعبادة ﴿ان كنا فاعلين﴾ ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده .

١٨ ﴿بل نقذف﴾ نرمي ﴿بالحق﴾ دلائل الايمان ﴿على الباطل﴾ الخرافات والكفر ﴿فيدمغه﴾ يذهبه ﴿فاذا هو زاهق﴾ ذاهب ، ودمغه في الأصل أصاب دماغه بالضرب وهو مقتل ﴿ولكم الويل﴾ العذاب ايها الكفار ﴿مما تصفون﴾ الله به من الزوجة أو الولد .

١٩ ﴿وله﴾ تعالى ﴿من في السموات والأرض﴾ ملكا فليس له فيهما ابن أو شريك ﴿ومن عنده﴾ أي الملائكة المقربون مبتدأ خبره ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ لا يعيون ولا يتعبون فيها .

٢٠ ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل .

٢١ ﴿أم﴾ بمعنى بل للانتقال وهمزة الانكار ﴿اتخذوا آلهة﴾ كائنة ﴿من الأرض﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هم﴾ أي الآلهة ﴿ينشرون﴾ أي يحيون الموتى ؟ والجواب : لا ولا يكون الها الا من يحيي الموتى .

٢٢ ﴿لو كان فيهما﴾ أي السموات والأرض ﴿آلهة الا الله﴾ أي غيره ﴿لفسدتا﴾ خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الحكم وعدم الاتفاق عليه . ﴿فسبحان الله﴾ تنزيه ﴿رب العرش﴾ خالق العرش الذي هو أعظم مخلوقاته ﴿عما يصفون﴾ الله به من الشريك له وغيره .

٢٣ ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ لكمال قوته وعزة سلطانه القاهر ، وكل شيء غيره مخلوق له ، ولا أحد من مخلوقاته يسأله عما يفعله من اعزاز أو اذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لأنه الرب المالك للأعناق . ﴿وهم يسألون﴾ عن أفعالهم .

٢٤ ﴿أم اتخذوا من دونه﴾ تعالى أي سواه ﴿آلهة﴾ فيه استفهام توبيخ ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ على ذلك ولا سبيل اليه ﴿هذا ذكر من معي﴾ من أمتي ، والذكر هنا العبادة اي التوحيد ونفي شريك عن الله ، أي عبادة من معي من أمتي وملتهم ﴿وذكر من قبلي﴾ وهو ايضا عبادة من قبلي من الرسل مع أممهم الذين اتبعوهم على الهدى أي كتب الله المنزلة ، سواء القرآن والانجيل والتوراة وغيرها في توحيد الله بالألوهية والربوبية . ولا يقول أحد من الأنبياء وأتباعهم أن مع الله الها بما قال هؤلاء . تعالى الله عن ذلك ﴿بل اكثرهم﴾ الناس ﴿لا يعلمون الحق﴾ التوحيد لميلهم الى التشريك ﴿فهم معرضون﴾ عن النظر الموصل اليه .

٢٥ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي﴾ بالنون وكسر الحاء . وقرىء بالياء وفتح الحاء ﴿اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون﴾ أي وحدوني .

اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ﴿٢٦﴾
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴿٢٧﴾ يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من
خشيته مشفقون ﴿٢٨﴾ ۞ ومن يقل منهم إني إله من
دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴿٢٩﴾
أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي
أفلا يؤمنون ﴿٣٠﴾ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد
بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ﴿٣١﴾
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها
معرضون ﴿٣٢﴾ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر كل في فلك يسبحون ﴿٣٣﴾ وما جعلنا لبشر من

٢٦ ﴿وقالوا﴾ اي المشركون من العرب ، وهم خزاعة وجهينة وبنو سلمة وبنو مليح : ﴿اتخذ الرحمن ولدا﴾ من الملائكة ﴿سبحانه بل﴾ هم ﴿عباد مكرمون﴾ عنده والعبودية تنافي الولادة .

٢٧ ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ أي لا يأتون بقولهم الا بعد قوله تعالى ، ﴿وهم بأمره يعملون﴾ أي بعده .

٢٨ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ تعالى أن يشفع له ﴿وهم من خشيته﴾ تعالى ﴿مشفقون﴾ أي خائفون .

٢٩ ﴿ومن يقل منهم اني إله من دونه﴾ أي الله أي غيره أيا كان ﴿فذلك نجزيه جهنم كذلك﴾ كما نجزي مدعي الألوهية ﴿نجزي الظالمين﴾ أي المشركين الذين اتخذوا غير الله الها .

٣٠ ﴿أو لم﴾ بواو وقرىء بتركها ﴿ير﴾ يعلم ﴿الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا﴾ روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : « ان المعنى كانتا واحدا ملتزقا احداهما بالأخرى ، ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي وأقر الأرض كما هي » . ﴿ففتقناهما﴾ اي جعلنا السماء سبعا والارض مثلهن ، او فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ، من فتق الرحم أي جعله يقبل العلوق بعد أن كان يابسا ، والله اعلم بمراده . ﴿وجعلنا من الماء﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كل شيء حي﴾ من حيوان ونبات وغيره ، ﴿أفلا يؤمنون﴾ بتوحيدي .

٣١ ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ جبالا ثوابت ﴿ان﴾ لا ﴿تميد﴾ تتحرك ﴿بهم وجعلنا فيها﴾ اي الرواسي ﴿فجاجا﴾ مسالك ﴿سبلا﴾ بدل ، أي طرقا نافذة واسعة ﴿لعلهم يهتدون﴾ الى مقاصدهم في الأسفار .

٣٢ ﴿وجعلنا السماء سقفا﴾ أي مثله في البيوت ﴿محفوظا﴾ عن الوقوع ﴿وهم عن آياتها﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿معرضون﴾ لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له .

٣٣ ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل﴾ تنوينه عوض عن المضاف اليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿في فلك﴾ أي مستدير ، ويدل هذا على أن النجوم كلها في فلك واحد وان كانت مترامية البعد فيما بينها والله أعلم ﴿يسبحون﴾ يسيرون بسرعة كالسابح في الماء وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل .

وبعد أن ذكر تعالى أدلة التوحيد ذكر فيما يأتي دلائل بشرية الرسول وثبوت الرسالة وجزاء من كفر بها فقال :

قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ
وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ

٣٤ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ أي البقاء في الدنيا ، فأنت بشر ستموت مثل سائر البشر ، فما بال الكفار يتمنون موتك ﴿أفان مت فهم الخالدون﴾ فيها ؟ والجواب : لا ، فلماذا اذاً يكرهون أن يكون الرسول بشرا مثلهم فالجملة الأخيرة ، من الاستفهام الانكاري .

٣٥ ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ في الدنيا ﴿ونبلوكم﴾ نختبركم ﴿بالشر والخير﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة ﴿فتنة﴾ مفعول له ، أي لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا ﴿والينا ترجعون﴾ فنجازيكم بحسبما يظهر منكم من الأعمال . وفيه الاشارة الى أن الحكمة من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب .

ولقد سبق أن الكفار كانوا يسرون النجوى ويقولون : هل هذا الا بشر مثلكم ثم عطف تعالى ما يأتي عليه وقال :

٣٦ ﴿واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا﴾ اي أي مهزوءا به ، يقولون : ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي يعيبها . ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ لهم ﴿هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾ به . ومن الاستهزاء به استعجالهم العذاب فقال تعالى :

٣٧ ﴿خلق الانسان من عجل﴾ اي أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سأريكم آياتي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فلا تستعجلون﴾ فيه فأراهم القتل ببدر .

٣٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالقيامة ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيه .

٣٩ قال تعالى : ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون﴾ يدفعون ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ يمنعون منها في القيامة . وجواب «لو» : ما قالوا ذلك .

٤٠ ﴿بل تأتيهم﴾ القيامة ﴿بغتة فتبهتهم﴾ تحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة .

٤١ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فحاق﴾ نزل ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب ، فكذا يحيق بمن استهزأ بك .

بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ
تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا
يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ
أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ
وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ
نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ
بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ
وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ
وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ

٤٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿من يكلؤكم﴾ يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ من عذابه ان نزل بكم أي لا أحد يفعل ذلك. والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لانكارهم له ﴿بل هم عن ذكر ربهم﴾ أي القرآن ﴿معرضون﴾ لا يتفكرون فيه ولا يتعرضون له ليسمعوا ما فيه من الأدلة التي ان تفكروا فيها انتفعوا بما يرشدهم الى الخوف وترك الاستهزاء.

٤٣ ﴿أم﴾ فيها معنى الهمزة الانكاري، أي أ ﴿لهم آلهة تمنعهم﴾ مما يسوءهم ﴿من دوننا﴾ أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا والجواب: لا. ﴿لا يستطيعون﴾ أي الآلهة ﴿نصر أنفسهم﴾ فلا ينصرونهم ﴿ولا هم﴾ أي الكفار ﴿منا﴾ من عذابنا ﴿يصحبون﴾ يجارون، يقال: صحبك الله أي حفظك وأجارك.

٤٤ ﴿بل﴾ دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم، بل ان ما هم فيه من الحفظ انما هو قوله: ﴿متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ بما أنعمنا عليهم للاستدراج ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ فاغتروا بذلك ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾ نقصد أرضهم ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بالفتح للنبي ﷺ بتسليط المسلمين عليها، وأسند عمل جيوش الرسول الى نفسه تعالى تعظيما لهم واشارة الى أنه بقدرته، وفيه تعظيم للجهاد والمجاهدين: ﴿أفهم الغالبون﴾ والجواب: لا، بل النبي وأصحابه.

٤٥ ﴿قل﴾ لهم: ﴿انما أنذركم بالوحي﴾ من الله لا من قبل نفسي. ﴿ولا يسمع الصم الدعاء اذا﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية بينها وبين الياء. ﴿ما ينذرون﴾ اي هم لتركهم العمل بما سمعوا من الانذار كالصم.

٤٦ ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ وقعة خفيفة ﴿من عذاب ربك ليقولن يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا ﴿انا كنا ظالمين﴾ بالاشراك وتكذيب محمد.

ثم بين تعالى ما سيقع عند اتيان ما أنذروا به فقال:

٤٧ ﴿ونضع الموازين القسط﴾ ذوات العدل ﴿ليوم القيامة﴾ أي فيه ﴿فلا تظلم نفس شيئا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وان كان﴾ العمل ﴿مثقال﴾ زنة ﴿حبة من خردل أتينا بها﴾ أي بموزونها ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ محصين في كل شيء، والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء، فحقيق بالعاقل أن يكون على أشد الخوف منه. والميزان واحد لجميع الأعمال وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود، وميكائيل حافظه وأمين عليه. ويكون الوزن بعد الحساب ومن لا يحاسب لا يوزن له.

بعد البيان على الملة الاسلامية وعقيدتها شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام، وهي عشر قصص لتسلية الرسول ﷺ فيما يناله من قومه، وتقوية قلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض، وبيان أن ملل الأنبياء كلها على أساس واحد، وذلك موضوع السورة، فقال تعالى:

٤٨ ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان﴾ أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿وضياء﴾ بها ﴿وذكرا﴾ أي عظة بها ﴿للمتقين﴾.

٤٩ ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ عن الناس أي في الخلاء عنهم ﴿وهم من الساعة﴾ أي أهوالها ﴿مشفقون﴾ أي خائفون.

أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ
مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ
مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ
ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟
بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ

٥٠ ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿ذكر مبارك﴾ كثير الخير يشتمل على أكثر مما اشتملت عليه التوراة من الضياء والذكر للمتقين ، ﴿أنزلناه﴾ كما أنزلت . ﴿أفأنتم له منكرون﴾ مع تقدم ما يرشدكم الى تصديقه من التوراة الاستفهام فيه للتوبيخ هذه هي القصة الأولى .

وتقدم الى القصة الثانية ، فقال :

٥١ ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ الضمير للقرآن أي اعطينا ابراهيم هداية القرآن من التوحيد واثبات النبوة والذكر والوعد والوعيد ﴿من قبل﴾ من قبل مجيء موسى وهرون ﴿وكنا به عالمين﴾ أي بأنه أهل لذلك .

٥٢ ﴿اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل﴾ الأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ أي على عبادتها مقيمون .

٥٣ ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فاقتدينا بهم .

٥٤ ﴿قال﴾ لهم ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم﴾ بعبادتها ﴿في ضلال مبين﴾ بين

٥٥ ﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ في قولك هذا ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ فيه ؟

٥٦ ﴿قال بل ربكم﴾ المستحق للعبادة ﴿رب﴾ مالك ﴿السموات والأرض الذي فطرهن﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وأنا على ذلكم﴾ الذي قلته ﴿من الشاهدين﴾ به .

٥٧ ﴿وتالله لأكيدن﴾ لأحطمن ﴿أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ .

٥٨ ﴿فجعلهم﴾ بعد ذهابهم الى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿جذاذا﴾ بضم الجيم وقرىء بكسرها وبفتحها ، فتاتا بفأس ﴿الا كبيرا لهم﴾ علق الفأس في عنقه ﴿لعلهم اليه﴾ أي الى كبيرهم ﴿يرجعون﴾ فيرون ما فعل بغيره .

٥٩ ﴿قالوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما حل باصنامهم : ﴿من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين﴾ في هذا الفعل .

٦٠ ﴿قالوا﴾ أي بعضهم لبعض ﴿سمعنا فتى يذكرهم﴾ يعيبهم ﴿يقال له ابراهيم﴾ . وذلك أن ابراهيم خرج معهم الى مجتمعهم ،فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال : اني سقيم أشتكي رجلي . فتركوه ومضوا ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس ، حيث قال بصيغة الحلف : «وتالله لأكيدن أصنامكم» فسمعها الضعفاء ، فلما رجعوا ورأوا ما حصل تذكروا ما كانوا قد سمعوا منه فأخبروا عظماءهم عند النازلة .

٦١ ﴿قالوا﴾ الرؤساء لأتباعهم : ﴿فأتوا به على أعين الناس﴾ أي ظاهرا ﴿لعلهم يشهدون﴾ عليه أنه الفاعل .

فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴿٦٢﴾ قال بل فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴿٦٣﴾
فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴿٦٤﴾ ثم
نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴿٦٥﴾
قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا
يضركم ﴿٦٦﴾ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا
تعقلون ﴿٦٧﴾ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم
فاعلين ﴿٦٨﴾ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴿٦٩﴾
وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ﴿٧٠﴾ ونجيناه
ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴿٧١﴾ ووهبنا
له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ﴿٧٢﴾
وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل

٦٢ ﴿قالوا﴾ له بعد اتيانه ﴿أأنت﴾ بتحقيق الهمزين وقرىء بابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ، ﴿فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم﴾ ؟

٦٣ ﴿قال﴾ ساكتا عن فعله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ هذا على طريقة الكناية التعريضية . والدليل عليه قوله : ﴿فاسألوهم ان كانوا ينطقون﴾ أي إسألوهم عن فاعله فان نطقوا فهو الذي فعله ، وان لم ينطقوا فعاجز النطق لا يقدر على فعل ، والعاجز عن الفعل لا يكون الها مستحقا للعبادة .

٦٤ ﴿فرجعوا الى أنفسهم﴾ بالتفكر ﴿فقالوا﴾ لأنفسهم ﴿انكم أنتم الظالمون﴾ أي بعبادتكم من لا ينطق ، فالذي كسرها ليس بظالم .

٦٥ ﴿ثم نكسوا على رؤسهم﴾ انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة ، فشبه عودهم الى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليا على أعلاه ، أي قلبهم الله على رؤسهم فعادوا الى الكفر وقالوا : والله ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم ؟

٦٦ ﴿قال أفتعبدون من دون الله﴾ أي بدله ﴿ما لا ينفعكم شيئا﴾ من رزق وغيره ﴿ولا يضركم﴾ شيئا اذا لم تعبدوه :

٦٧ ﴿أف﴾ بكسر الفاء وقرىء بفتحها ، بمعنى مصدر أي نتنا وقبحا ﴿لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ أي غيره ﴿أفلا تعقلون﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة وانما يستحقها الله تعالى .

٦٨ ﴿قالوا حرقوه﴾ أي ابراهيم ﴿وانصروا آلهتكم﴾ أي بتحريقه ﴿ان كنتم فاعلين﴾ نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا ابراهيم وجعلوه في المنجنيق ورموه في النار قال تعالى :

٦٩ ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت اضاءتها ، وبقوله «سلاما» سلم من الموت ببردها .

٧٠ ﴿وأرادوا به كيداً﴾ وهو التحريق ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ في مرادهم .

٧١ ﴿ونجيناه ولوطا﴾ ابن أخيه هاران ، وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخوره من العراق من بلد «كوثا» ومعه لوط وسارة بنت عم ابراهيم ، الذي هو هاران الأكبر ، وكانت آمنت بابراهيم ﴿الى الارض التي باركنا فيها للعالمين﴾ بكثرة الأنهار والأشجار . نزل ابراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم .

٧٢ ﴿ووهبنا له﴾ أي ابراهيم وكان سأل ولدا كما ذكر في الصافات ﴿اسحق ويعقوب نافلة﴾ أي زيادة على المسؤول أو هو ولد الولد ﴿وكلا﴾ أي هو وولده ﴿جعلنا صالحين﴾ أنبياء .

٧٣ ﴿وجعلناهم أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية ياء ؛ يقتدى بهم في الخير ﴿يهدون﴾ الناس ﴿بأمرنا﴾ الى ديننا ﴿وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلواة وايتاء الزكوة﴾ أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم . وحذف هاء اقامة تخفيف ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ تقديم الجار والمجرور للحصر أي لنا لا غيرنا من الأصنام . فابراهيم أخرجه قومه منهم فبدل له الله أهلا وذرية طيبة فاوحشوه وآنسه الله وكان تابعا فاصبح متبوعا مقتدى به .

والقصة الثالثة هي :

٧٤ ﴿ولوطا آتيناه حكما﴾ فصلا بين الخصوم ﴿وعلما﴾ أي فقها ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل﴾ أي أهلها الأعمال ﴿الخبائث﴾ من اللواط والرمي بالبندق او اللعب بالطيور والضراط في المجلس وغير ذلك من أعمال الخلاعة ﴿انهم كانوا قوم سوء﴾ مصدر ساءه نقيض سره ﴿فاسقين﴾ .

٧٥ ﴿فأدخلناه في رحمتنا﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿انه من الصالحين﴾ عباد الله الذين يدعون الناس الى ملة التوحيد والاتزان في الأمور على مقتضى حكم الله فيها .

والقصة الرابعة هي قوله تعالى :

٧٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿نوحا﴾ أرسل وهو ابن اربعين سنة ، ومكث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة فتكون مئة عمره ألفا وخمسين سنة من «التحبير» ابتلاؤه بالتكذيب وطول العمر في العبادة ﴿اذ نادى﴾ بدل من «نوحا» اي دعا ربه على قومه بقوله : «رب الخ» ﴿من قبل﴾ اي من قبل ابراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ونصرناه ﴿فنجيناه واهله﴾ الذين في سفينته ﴿من الكرب العظيم﴾ وهو تكذيب قومه له واستمرارهم على الكفر فأغرقوا .

٧٧ ﴿ونصرناه﴾ منعناه ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ الدالة على رسالته أن يصلوا اليه بسوء ﴿انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم اجمعين﴾ فما نجا الا أصحاب السفينة وجملتهم ستة رجال ونساؤهم ، وقيل : جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء . لقد دعا نوح على قومه بالهلاك ، وأما نبينا محمد ﷺ فدعا لقومه بالهداية بقوله : «اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون» .

والقصة الخامسة قوله :

٧٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿داود وسليمان﴾ أي قصتهما وابتلاؤهما بالنعمة والملك . ويبدل منهما ﴿اذ يحكمان في الحرث﴾ هو زرع أو كرم ﴿اذ نفشت فيه غنم القوم﴾ أي غنم بعض قوم داود أي أمته ، قال ابن عباس وقتادة : وذلك ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث : ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فأفسدته فلم تبق منه شيئا . فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث . فخرجا فمرا على سليمان ، وهو ابن احدى عشرة سنة ، فقال : كيف قضى بينكما؟ فأخبراه . فقال سليمان : لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا . وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين . فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له : كيف تقضي؟ ويروى أنه قال له :

ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم

٤٢٨

بحق النبوة والأبوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين .

قال : أدفع الغنم الى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ، ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه ، فاذا صار الحرث كهيئته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه . فقال داود : القضاء ما قضيت . قال الله : ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين . قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم ، وقال : سليمان ينتفع بدرها ونسلها وصوفها الى أن يعود الحرث كما كان باصلاح صاحبها فيردها اليه .

٧٩ ﴿ففهمناها﴾ أي المسألة ﴿سليمان﴾ وحكمهما باجتهاد ورجع داود الى سليمان ﴿وكلا﴾ منهما ﴿آتينا حكما﴾ نبوة ﴿وعلما﴾ بأمور الدين . هذا في شرعهم أما في شرعنا فحكم داود أقرب اذا كانت قيمة الدواب تقابل قيمة الحرث وصاحبها مفلس ، فتباع أو يأخذها ان رضي وفيه ما فيه من قطع الخصومة بخلاف حكم سليمان ، فمن هذا قيل : كان حكمهما بوحي

مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ
عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن
يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ
حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ
ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا
مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ
عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ
وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي
رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ
مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

٤٢٩

والثاني ناسخ للأول بدليل قوله «وكلا آتينا حكما وعلما» فعليه فالمسألة وقعت بعد نبوة سليمان على القاعدة. ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ كذلك سخرت للتسبيح معه لأمره به اذا وجد فترة لينشط له ﴿وكنا فاعلين﴾ تسخير تسبيحهما معه وان كان عجبا عندكم أي مجاوبته للسيد داود كما سبح الحصى في كف رسول الله ﷺ وسمع الناس ذلك، وكان داود هو الذي يسمع وحده. ويروى أن مثل هذا وقع لغير واحد من هذه الأمة: كان مطرف بن عبد الله بن الشخير اذا دخل بيته سبحت معه أبنيته.

٨٠ ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ وهي الدرع التي تسمى الزرد وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح والدرع بمعنى قميص المرأة، ﴿لكم﴾ في جملة الناس ﴿لتحصنكم﴾ بالفوقانية للبوس، وبالتحتانية لداود، وبالنون لله ﴿من بأسكم﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فهل أنتم﴾ يا أيها الناس ﴿شاكرون﴾ نعمي بتصديق الرسول، أي اشكروني بذلك.

٨١ ﴿و﴾ سخرنا ﴿لسليمان الريح عاصفة﴾، وفي آية أخرى «رخاء» أي شديدة الهبوب وخفيفة بحسب ارادته ﴿تجري بأمره الى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي الشام، أي تجري منتهية اليها في رواحه من سفره، اي رجوعه منه بعدما سافرت به بكرة. قال الحسن: لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأسرع. الريح تجري بأمره كيف شاء. فكان يغدو من «ايليا» فيقيل «باصطخر» ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل. ﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ من ذلك علمنا بأن ما نعطيه سليمان يدعوه الى الخضوع لنا فعلنا على مقتضى علمنا.

٨٢ ﴿و﴾ سخرنا ﴿من الشياطين من يغوصون له﴾ يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أي الغوص من البناء وغيره ﴿وكنا لهم حافظين﴾ من أن يفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا اذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه ان لم يشغلوا بغيره. فالجن الذين سخرهم الله للنبي ﷺ من جن نصيبين وغيرهم أفضل ممن سخر لسليمان لأن الذين سخروا للنبي ﷺ مؤمنون والذين سخروا لسليمان كفار شياطين، والمؤمنون منذرون والشياطين مشغولون بأعمال شاقة وليس لهم عقول ولا بد لهم من حفظ دائم، وقد انتهى تسخيرهم بموت سليمان، بخلاف المؤمنين فلا يحتاجون الى حفظ عملهم وأما تسخير الريح فقد قال النبي ﷺ في الصحيح: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور». فالتسخير للقتال أعجز منه للحمل فها هي اليوم مسخرة لحمل الطائرات الجوية الثقيلة. والقصة السادسة قال تعالى:

والقصة السادسة قال تعالى:

٨٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿أيوب﴾ وهو رجل من الروم ينتسب للعيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخي ابراهيم وهو ابو ذي الكفل ﴿اذ﴾ بدل من أيوب ﴿نادى ربه﴾ وقد أصابه ضر فخاف على دين اتباعه الذين كانوا معه فقال: ﴿اني﴾ بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿مسني الضر﴾ أي الشدة ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ هو دعاء لأن الشكاية لله دعاء والشكوى المنهي عنها لا تكون الا للخلق لا للخالق.

٨٤ ﴿فاستجبنا له﴾ نداءه ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله﴾ يدل هذا على أن الضر مس أولاده لزيادة الابتلاء، فكشف الله الضر عنه وردهم اليه على حال الصحة والعافية ﴿و﴾ أعطاه ﴿مثلهم معهم﴾ من زوجته، ورد اليه أيضا ماله وزاده أضعافه جزاء صبره وأوبته الى مولاه الغني بلا جزع ولا تردد ﴿رحمة﴾ مفعول له ﴿من عندنا﴾ صفة ﴿وذكرى للعابدين﴾ ليصبروا فيثابوا.

والقصة السابعة قال تعالى:

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾
وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ
وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ
أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا
وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ
كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾
وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

٤٣٠

٨٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿اسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ على طاعة الله وعن معاصيه ، أما اسماعيل فمعروف فهو ابن ابراهيم خليل الله وأبو العرب ، صبر على الانقياد للذبح . وهو أكبر من اسحق بأربع عشرة سنة ، وعاش مائة وثلاثين سنة . «وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا» وأما ادريس وهو اختوخ جد نوح وكان صديقا نبيا ورفعه مكانا عليا ولا يعرف مكانه . وأما ذو الكفل فهو ابن أيوب واسمه بشر ولقب بذي الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك .

٨٦ ﴿وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين﴾ الأنبياء ، والمقصود بذكر أسماء هؤلاء . التنبيه على رفعة هماتهم والصبر على تحمل ما كلفهم الله تعالى به ، فيتسلى بهم النبي ﷺ في مقابلة أذى قومه من التكذيب وحمل أعباء الرسالة .

وللقصة الثامنة قال تعالى :

٨٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿ذا النون﴾ صاحب الحوت وهو يونس ابن متى نسب الى أمه على ما قاله ابن الاثير وغيره ، يبدل منه ﴿اذ ذهب مغاضبا﴾ لقومه أي غاضبا عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك ، ووهم أن هجرانهم لعدم ايمانهم بالله جائز له ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك ، ﴿فنادى في الظلمات﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمه بطن الحوت : ﴿أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين﴾ في ذهابي من بين قومي بلا اذن .

٨٨ ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾ بتلك الكلمات ﴿وكذلك﴾ كما نجيناه ﴿ننجي المؤمنين﴾ من كربهم اذا استغاثوا بنا داعين . وعن النبي ﷺ أنه «لم يدع بهذا الدعاء رجل مسلم في شيء قط الا استجاب له» . رواه الحاكم باسناد صحيح فأوله تهليل وأوسطه تسبيح وآخره اقرار بالذنب . والمقصود بهذه القصة والله أعلم تحذير النبي ﷺ والمرشدين أصحاب الدعوة بعده من عدم الصبر والعمل بالظن والحدس قبل الوقوف على اليقين . ولذلك قال تعالى في سورة النون : «ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم» .

وأشار الى القصة التاسعة وقال :

٨٩ ﴿و﴾ اذكر ﴿زكريا﴾ ويبدل منه ﴿اذ نادى ربه﴾ بقوله : ﴿رب لا تذرني فردا﴾ أي بلا ولد يرثني ﴿وأنت خير الوارثين﴾ الباقي بعد فناء خلقك .

٩٠ ﴿فاستجبنا له﴾ نداءه ﴿ووهبنا له يحي﴾ ولدا ، ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ بعد عقمها . ﴿انهم﴾ زكريا وزوجه وولده يحيى ﴿كانوا يسارعون﴾ يبادرون ﴿في الخيرات﴾ الطاعات ﴿ويدعوننا رغبا﴾ في رحمتنا ﴿ورهبا﴾ من عذابنا ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ متواضعين في عبادتهم وهي الأسرة المثالية الطيبة .

وأشار الى القصة العاشرة فقال :

٩١ ﴿و﴾ اذكر مريم ﴿التي أحصنت فرجها﴾ حفظته من أن ينال ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ الانس والجن والملائكة ، حيث ولدته من غير فحل .

والمقصود بذكر هذه القصة والله أعلم من جهة الابتلاء الذي أصيبت به مريم من وجود ولد بلا فحل ، مع انها كانت من المحررين لخدمة المسجد الذين لا يتزوجون ، فقامت بالصبر على ذلك ، وهي أول امرأة اتصفت بذلك كما يدل عليه استعذار أمها عند ولادتها بعد النذر ، فقالت : «رب اني وضعتها أنثى» ثم ما أصاب ا بها النبي الرسول عيسى عليه السلام ، فطهرها الله

وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾
لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي
ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ
وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ
بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾

١٣١

عن جميع النقائص هنا بقوله تعالى: «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين». فالمسألة من أول الأمر إلى آخره من قبولها مع الأحرار وتربيتها وعبادتها وصونها فرجها وولادتها بلا فحل، وكلام ابنها في المهد وكهلا، وتكذيب اليهود فيما رموها به بواسطة يوسف النجار العابد وابن عمها، وما كتبته الأناجيل الموضوعة في شؤونها ... كل هذه الأمور ومجموعها، مما ذكر وما لم يذكر، آية وعبرة للعالمين، فمريم لم تكن نبية اذ لا نبي أنثى ولكن قصتها كلها ترجع الى النبي عيسى عليه السلام، فناسب ذكرها في سياق الأنبياء لاستمرار حياة الأمة الاسلامية بعمل ابنها من الدعوة والارشاد وحمل المشقات مع كونه محفوظا في رعاية الله تعالى، وهو موضوع السورة.

ثم عقب تعالى على جميع ما تقدم بالغرض الشامل لهذه الاستعراضات فقال:

٩٢ ﴿إن هذه﴾ الملة التي دعا اليها الأنبياء المذكورون وغيرهم ﴿أمتكم﴾ ملتكم أيها المخاطبون، أي يجب ان تتمسكوا بها بالقوة ﴿أمة واحدة﴾ حال لازمة، أي حال كونكم أمة واحدة في الأرض لرب واحد في السماء والأرض لا اله غيره ولا معبود سواه ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ أي وحدوني بالعبادة.

وبعد استعراض ادلة التوحيد لله وتوحيد ربوبيته واثبات الرسالة، وعناية الله بالرسل خلال الدعوة، وصبرهم على المحن والبلايا ودعوة الناس الى الملة الحقة الثابتة، أخبر تعالى حال الناس اليوم وحال القيامة فقال.

٩٣ ﴿وتقطعوا﴾ أي بعض المخاطبين ﴿أمرهم بينهم﴾ أي تفرقوا في أمر دينهم مختلفين بأن صار اليهود حزبا والنصارى حزبا، وفي كل حزب أحزاب، وفي الاسلام تفرق الفرق وصاروا شيعا بسوء صنيعهم ﴿كل الينا راجعون﴾ أي فنجازيه بعمله.

٩٤ ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران﴾ أي جحود ﴿لسعيه وانا له كاتبون﴾ بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه.

٩٥ ﴿وحرام على قرية أهلكناها﴾ أي أهلها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ ممتنع عدم رجوعهم الى الحياة بالبعث.

ثم أشار الى قرب الساعة التي بدأت بها السورة في قوله تعالى: «اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون» أي عن التأهب له بالايمان فقال:

٩٦ ﴿حتى﴾ غاية لغفلة الناس عن أمر القيامة ﴿اذا فتحت﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿يأجوج ومأجوج﴾ بالهمزة وقرىء بتركه، اسمان أعجميان لقبيلتين، ويقدر مضاف أي سدهما. وفتحه من العلامات الكبرى لقرب القيامة ﴿وهم من كل حدب﴾ مرتفع من الأرض ﴿ينسلون﴾ يسرعون.

٩٧ ﴿واقترب الوعد الحق﴾ أي يوم القيامة ﴿فاذا هي﴾ أي القصة ﴿شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ في ذلك اليوم لشدته يقولون: ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا ﴿قد كنا﴾ في الدنيا ﴿في غفلة من هذا﴾ اليوم ﴿بل كنا ظالمين﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل.

٩٨ ﴿انكم﴾ أيها الكفار ﴿وما تعبدون من دون الله﴾ أي غيره من الأوثان ﴿حصب جهنم﴾ وقودها ﴿أنتم لها واردون﴾ داخلون فيها.

٩٩ ﴿لو كان هؤلاء﴾ الأوثان ﴿آلهة﴾ كما زعمتم ﴿ما وردوها﴾ دخلوها ﴿وكل﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فيها خالدون﴾ باقون.

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ
أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم
بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

(٢٢) سُورَةُ الحَجِّ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ

١٠٠ ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾ شيئا لشدة غليانها. ولما كان من المعبودين عباد الله الصالحون مثل عيسى المسيح عليه السلام وعزير والملائكة ، أخرجهم تعالى ممن يدخل النار فقال :

١٠١ ﴿ان الذين سبقت لهم منا﴾ المنزلة ﴿الحسنى﴾ وهم من ذكر ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ .

١٠٢ ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ صوتها ﴿وهم في ما اشتهت أنفسهم﴾ من النعيم ﴿خالدون﴾ .

١٠٣ ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ وهو أن يؤمر بالعبد الى النار ﴿وتتلقاهم﴾ تستقبلهم ﴿الملائكة﴾ عند خروجهم من القبور يقولون لهم ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ في الدنيا .

١٠٤ ﴿يوم﴾ منصوب با «ذكر» مقدرا قبله . ﴿نطوي السماء كطي السجل﴾ اسم ملك في السماء الثالثة ﴿للكتب﴾ جمع كتاب كما هو في قراءة أي صحيفة ابن آدم عند موته ، واللام زائدة وحسنها اتصالها بمعمول المصدر تقوية لتعديه ، نحو : عرفت ضرب زيد لعمرو. والأصل ضرب زيد عمرا ، والمعنى كطي الملك الصحيفة . وقيل: الكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على ، وتقديره يوم نطوي السماء طيا مثل طي الصحيفة على مكتوبها . ﴿كما بدأنا أول خلق﴾ عن علم ﴿نعيده﴾ بعد اعدامه فالكاف متعلقة بنعيد ، وضميره عائد الى أول ، و«ما» مصدرية . ﴿وعدا علينا﴾ منصوب بوعدنا مقدرا قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله . ﴿انا كنا فاعلين﴾ ما وعدنا .

١٠٥ ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ بمعنى الكتاب اي كتب الله المنزلة ﴿من بعد الذكر﴾ أي التذكير والارشاد المكتوب فيه ﴿أن الأرض﴾ الدنيا أو أرض الجنة ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ المؤمنون العاملون بالطاعة فيملكون الدنيا والآخرة ، قال ابن عباس : أراد أرض الكفار يفتحها المسلمون ، وهذا حكم من الله باظهار الدين واعزاز المسلمين .

١٠٦ ﴿ان في هذا﴾ القرآن ﴿لبلاغا﴾ أي ابلاغ ذلك الوعد والحكم من الله لبشارة ﴿لقوم عابدين﴾ عاملين بما انزل عليهم ربهم في كل وقت وحين ، فالوعد ثابت والحكم منفذ بشرط العمل منهم .

١٠٧ ﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد ﴿الا رحمة﴾ أي للرحمة يجوز أن يكون مفعولا له أي لأجل الرحمة ، ويجوز أن ينصب على الحال مبالغة في جعله نفس الرحمة ، واما على حذف مضاف أي ذا رحمة ، أو بمعنى راحم . وفي الحديث «يا أيها الناس انما أنا رحمة مهداة» ﴿للعالمين﴾ الانس والجن والملائكة فاجرا ومؤمنا ، رفع نحو الخسف والمسخ عن الكفار وأخر عنهم عذاب الاستئصال بسببك ، أو أنه ﷺ كان رحمة عامة من حيث أنه جاء ليسعدهم ان اتبعوه ، ومن لم يتبعه فهو المقصر.

ولما ذكر تعالى أنه ما أرسل محمدا الا رحمة للعالمين أمره أن يجمع علوم السورة فيما يأتي فيكون تعقيبا لما تضمنت وتذكيرا للأذهان ، فقال تعالى له :

١٠٨ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد﴾ أي ما يوحى الي في أمر الاله الا وحدانيته ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ منقادون لما يوحى الي من وحدانية الاله ؟ والاستفهام بمعنى الأمر .

١٠٩ ﴿فان تولوا﴾ عن ذلك ﴿فقل آذنتكم﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿على سواء﴾ حال من الفاعل والمفعول أي مستوين في علمه لا أستبد به دونكم لتتأهبوا ﴿وان﴾ ما ﴿ادري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ من العذاب أو القيامة المشتملة عليه ، وانما يعلمه الله .

عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم
بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن
يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣)
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ
السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ
فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن
مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ
مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا
أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ
الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ

١١٠ ﴿إنه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر من القول﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ أنتم وغيركم من السر.

١١١ ﴿وإن﴾ ما ﴿أدري لعله﴾ أي ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته ﴿فتنة﴾ اختبار ﴿لكم﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿ومتاع﴾ تمتع ﴿إلى حين﴾ أي انقضاء آجالكم. وهذا مقابل للأول المرتجى «بلعل»، وليس الثاني محلا للترجي.

١١٢ ﴿قال﴾ بالألف بين القاف واللام صيغة الماضي والفاعل النبي ﷺ، وفي قراءة «قل» بصيغة الأمر أي يا محمد ﴿رب احكم﴾ بيني وبين مكذبي ﴿بالحق﴾ بنصر المحق على الكاذب ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ من كذبكم على الله في قولكم: «اتخذ ولدا» وعلي في قولكم: «ساحر» وعلى القرآن في قولكم: «شعر». فقد أجاب الله دعاءه فعذب الكفار «ببدر» و«الخندق» و«حنين» وغيرها من الأماكن والأيام. ويمكن أن يكون هذا قولا لكل رسول الى قومه فنصره الله عليهم، فهو كلام جمع بين الدعاء عليهم «رب احكم بالحق» والوعيد لهم «وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون» ووعد لمن آمن «وربنا الرحمن». والختام يناسب المبدأ والحمد لله رب العالمين.

﴿ سورة الحج مدنية ﴾

هي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية، وموضوعها الرئيسي توقير شعائر الدين وعدم التهاون بها مطلقا.

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿يأيها الناس﴾ المكلفون ﴿اتقوا ربكم﴾ أي عقابه بأن تطيعوه كما أمركم ﴿إن زلزلة الساعة﴾ أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شيء عظيم﴾ في ازعاج الناس الذي هو نوع من العقاب.

٢ ﴿يوم ترونها تذهل﴾ بسببها ﴿كل مرضعة﴾ بالفعل ﴿عما أرضعت﴾ أي تنساه ﴿وتضع كل ذات حمل﴾ أي حبلى ﴿حملها﴾ قبل أوانه ﴿وترى الناس سكارى﴾ من شدة الخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ من الشراب ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فيهم فيخافونه ثم قسم الناس الى أربعة أقسام وأشار الى النوع الاول فقال.

٣ ﴿ومن الناس﴾ مثل نضر بن الحرث وجماعة من قريش المتعصبين بالتقليد الأعمى ﴿من﴾ ينكرها و﴿يجادل في الله بغير علم﴾ فيقول لا بعث والقرآن أساطير الأولين ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾ أي متمرد ينكر الحق بعد ظهوره.

٤ ﴿كتب عليه﴾ قضي على الشيطان ﴿أنه من تولاه﴾ أي اتبعه ﴿فأنه يضله ويهديه﴾ يدعوه ﴿الى عذاب السعير﴾ أي النار أي الى مر جبه، والتعبير بالهداية على سبيل التهكم.

ولما ذكر تعالى ان من الناس من يجادل في الله بغير علم بل بمجرد تقليده للشيطان وكان جدالهم في الحشر والمعاد، فذكر دليلين واضحين على ذلك، أحدهما في نفس الانسان: ابتداؤه وتطوره في سبعة أطوار، والثاني في الأرض التي يشاهد تنقلها من حال الى حال. فاذا اعتبر العاقل ذلك ثبت عنده جوازه عقلا. فاذا ورد الشرع بوقوعه وجب التصديق به وأنه واقع لا محالة، قال تعالى:

مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ
يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ (٧)
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ
ٱلْحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ
بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ
فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ
عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ
ٱلْمُبِينُ (١١) يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥ أَقْرَبُ

٤٣٤

٥ ﴿يا أيها الناس﴾ المكلفون ﴿ان كنتم في ريب﴾ شك ﴿من البعث فانا خلقناكم﴾ أي اصلكم آدم ﴿من تراب ثم﴾ خلقنا ذريته ﴿من نطفة﴾ مني ﴿ثم من علقة﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثم من مضغة﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ . ﴿مخلقة﴾ مصورة تامة الخلق ﴿وغير مخلقة﴾ أي غير تامة الخلق . ﴿لنبين لكم﴾ كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على اعادته . ﴿ونقر﴾ مستأنف ﴿في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى﴾ وقت خروجه ﴿ثم نخرجكم﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طفلا﴾ بمعنى أطفالا ﴿ثم﴾ نعمركم ﴿لتبلغوا أشدكم﴾ أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين الى الأربعين سنة ﴿ومنكم من يتوفى﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿ومنكم من يرد الى ارذل العمر﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ . قال عكرمة : من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة . ﴿وترى الأرض هامدة﴾ يابسة ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت ﴿وربت﴾ ارتفعت وزادت ﴿وأنبتت من﴾ زائدة ﴿كل زوج﴾ صنف ﴿بهيج﴾ حسن .

٦ ﴿ذلك﴾ من بدء خلق الانسان الى آخر احياء الأرض ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الله هو الحق﴾ الثابت الدائم ﴿وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾ .

٧ ﴿وأن الساعة آتية لا ريب﴾ شك ﴿فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ . فاذا بعث من في القبر في بطن الأرض فغيره أسهل وأيسر ، أي ان الله يبعث كل من يموت وان دفن في بطن الأرض .

ولما انتهى الكلام على ضلال المقلد غيره - بالكسر - بلا علم ، وما يخرج العاقل من التقليد الأعمى الى نور العلم ، انتقل فيما يأتي الكلام على المقلد - بالفتح - وهو النوع الثاني وهو الشيطان الذي يضل غيره ، فقال تعالى :

﴿ومن الناس من﴾ يريد أن يضل الناس كأبي جهل ﴿يجادل في الله بغير علم﴾ ضروري ولا نظري مبني على مقدمة ضرورية أو نظرية ﴿ولا هدى﴾ معه يستدل به الى المعرفة ﴿ولا كتاب منير﴾ له نور معه ، أي وليس له حجة سمعية شرعية .

٩ ﴿ثاني عطفه﴾ حال أي لاوي عنقه تكبرا عن الايمان ، والعطف الجانب عن يمين أو شمال . ﴿ليضل﴾ بضم الياء أي غيره ، وقرىء بفتحها بنفسه . ﴿عن سبيل الله﴾ أي دينه ﴿له في الدنيا خزي﴾ عذاب لأن الله يخزيه دائما و يرى الناس بطلان عمله فيكرهه من كان يحبه ، ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أي الاحراق بالنار الكبيرة ، ويقال له :

١٠ ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ أي قدمته ، عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما . ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ أي ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب ، وانما قضى بخزي الدنيا وعذاب الحريق في الآخرة على من يضل غيره لأن مصيبته لم تقتصر على نفسه بل تعدت الى غيره بعمله .

ثم تقدم تعالى بالكلام على النوع الثالث من الناس الذي يدخل في الدين لغرض دنيوي في نفسه ، كما قال تعالى :

١١ ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي شك في عبادته ، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فان أصابه خير﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿اطمأن به وان أصابته فتنة﴾ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿انقلب على وجهه﴾ أي رجع الى الكفر ﴿خسر الدنيا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿والآخرة﴾ بالكفر بسبب الارتداد ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ البين اذ لا خسران مثله .

١٢ ﴿يدعو﴾ يعبد ﴿من دون الله﴾ من الصنم ﴿ما لا يضره﴾ ان لم يعبده ﴿وما لا ينفعه﴾ ان عبده ﴿ذلك﴾ الدعاء ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق .

مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ
أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن
يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ
وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ

١٣ ﴿يدعو لمن﴾ اللام زائدة ﴿ضره﴾ بعبادته ﴿أقرب من نفعه﴾ ان نفع بتخيله ﴿لبئس المولى﴾ هو أي الناصر ﴿ولبئس العشير﴾ الصاحب هو.

ثم عقب تعالى بعد ذكر الأنواع الثلاثة من المقلد – بالكسر – ، والمقلد – بالفتح – ، والشاك ، وجزاء كل واحد منهم عقب ، بذكر المؤمنين بالثواب وهم النوع الرابع الذين يتبعون العلم ولا يحكمون الهوى في الدين فقال :

١٤ ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الفروض والنوافل ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد﴾ من اكرام من يطيعه واهانة من يعصيه .

ثم فرع من قوله تعالى « ان الله يفعل ما يريد » قوله :

١٥ ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾ أي ينصر محمدا نبيه ﴿في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب﴾ بحبل ﴿الى السماء﴾ أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثم ليقطع﴾ أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح ، وقيل : ان المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا ﷺ ، وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذي أوتيه ﷺ ، فليمدد بسبب الى السماء أي فليطلب حيلة يصل بها الى السماء ثم ليقطع النصر ان تهيأ له ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ نصرة النبي ﴿ما يغيظ﴾ منها . المعنى : فليختنق غيظا منها فلا بد منها .

١٦ ﴿وكذلك﴾ أي مثل انزالنا الآيات السابقة ﴿أنزلناه﴾ أي القرآن الباقي ﴿آيات بينات﴾ ظاهرات ، حال ، ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ هداه ، معطوف على هاء «أنزلناه» . أي يهدي الله من يريد هدايته الى الاسلام دينه الحق

١٧ ﴿ان الذين آمنوا﴾ بمحمد واتبعوا دين الله ﴿والذين هادوا﴾ تابوا بزعمهم فصاروا هودا ﴿والصابئين﴾ طائفة منهم ﴿والنصارى والمجوس﴾ عباد النار أو الشمس ﴿والذين أشركوا﴾ من العرب بالاصنام ، ﴿ان الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ بادخال المؤمنين الجنة وادخال غيرهم النار ﴿ان الله على كل شيء﴾ من عملهم ﴿شهيد﴾ عالم به علم مشاهدة .

١٨ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ أي تخضع له بما يراد منها ﴿وكثير من الناس﴾ وهم المؤمنون بزيادة وضع الجبهة على الأرض في سجود الصلاة على الخضوع ﴿وكثير حق عليهم العذاب﴾ وهم الكافرون لأنهم أبو السجود المتوقف على الايمان ﴿ومن يهن الله﴾ يشقه ﴿فما له من مكرم﴾ مسعد ﴿ان الله يفعل ما يشاء﴾ من الاهانة والاكرام .

١٩ ﴿هذان خصمان﴾ أي المؤمنون خصم والكفار خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿اختصموا في ربهم﴾ أي في دينه ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب﴾ على قدر جثتهم لأن الثياب الجدد تقطع وتفصل على مقدار بدن من يلبسها ﴿من نار﴾ نعت ثياب ، أي يلبسونها ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة .

٢٠ ﴿يصهر﴾ يذاب ﴿به ما في بطونهم﴾ من شحوم وغيرها ﴿و﴾ تشوى به ﴿الجلود﴾ .

٢١ ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ لضرب رؤوسهم .

٢٢ ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ النار ﴿من غم﴾ يلحقهم بها ﴿أعيدوا فيها﴾ ردوا اليها بالمقامع ﴿و﴾ قيل لهم : ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ اي البالغ نهاية الاحراق .

٢٣ وقال في المؤمنين بعد أن غير الاسلوب حيث لم يقل «والذين آمنوا الخ» .. عطفا على «الذين كفروا» تعظيما لشأن المؤمنين : ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها﴾ يزينون بما يرونه زينة ﴿من أساور من ذهب ولؤلؤا﴾ بالنصب عطفا على محل «من أساور» وبالجر أي منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب . ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ هو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا .

٢٤ ﴿وهدوا﴾ في الدنيا ﴿الى الطيب من القول﴾ وهو: لا اله الا الله ﴿وهدوا الى صراط الحميد﴾ طريق الله المحمود ودينه .

ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۩
هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾
وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ
ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ
لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ

بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ
مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾
لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ
اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ
إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ
وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ

٤٣٧

٢٥ ﴿ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ طاعته ﴿و﴾ عن ﴿المسجد الحرام الذي جعلناه﴾ منسكا ومتعبدا ﴿للناس سواء العاكف﴾ المقيم ﴿فيه والباد﴾ الطارىء اختلف في معنى التسوية قيل في احترامه وقضاء النسك فيه ، وقيل في النزول به فلا يزعج أحد اذا كان قد سبق الى النزول فيه ﴿ومن يرد فيه بالحاد﴾ الباء زائدة أي عدولاً عن القصد والاعتدال ، يقال : ألحد في دين الله أي حاد عنه وعدل ﴿بظلم﴾ أي بسبب ظلم ، أي بأن ألحد فيه عمدا وهو يعرف أنه الحاد في دين الله . ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ مؤلم أي بعضه ، ومن هذا يؤخذ خبر « ان » أي نذيقهم من عذاب اليم .

ثم بين قصة بناء البيت فقال :

٢٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ بوأنا﴾ بينا ﴿لابراهيم مكان البيت﴾ لبنيه وكان رفع من زمن الطوفان ، وأمرناه ببنائه فجاء الى موضعه وبناه على اساس آدم وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذراعهم وذرعه في الأرض ثلاثين ذراعا بذراعهم ، وأدخل الحجر في البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا يلقى فيها ما يهدى للبيت . وبناه قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم الملائكة . وأمرنا ابراهيم ﴿أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي﴾ من الأوثان ﴿للطائفين والقائمين﴾ المقيمين به ﴿والركع السجود﴾ جمع راكع وساجد أي المصلين .

٢٧ ﴿وأذن﴾ ناد ﴿في الناس بالحج﴾ فنادى على جبل ابي قبيس : يا أيها الناس أن ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج اليه فأجيبوا ربكم . والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات : « لبيك اللهم لبيك » . وجواب الأمر ﴿يأتوك رجالا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿و﴾ ركبانا ﴿على كل ضامر﴾ أي بعير مهزول ، وهو يطلق على الذكر والأنثى ، ﴿يأتين﴾ أي الضوامر حملا على المعنى ﴿من كل فج عميق﴾ طريق بعيد .

٢٨ ﴿ليشهدوا﴾ اي يحضروا ﴿منافع لهم﴾ في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما أقوال ، ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر الى آخر أيام التشريق أقوال ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ الابل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا ، ﴿فكلوا منها﴾ اذا كانت مستحبة أو من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه ، الا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ أي شديد الفقر .

٢٩ ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر ﴿وليوفوا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿نذورهم﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وليطوفوا﴾ طواف الافاضة ﴿بالبيت العتيق﴾ أي الحرام . قال ابن عباس : سمي عتيقا لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى منه ، مثل أبرهة ففعل الله به ما فعل . وقال مجاهد : لأنه لم يملك قط . وقيل : بيت كريم أي ان العتيق بمعنى الكريم من قولهم عتق الخيل والطير .

٣٠ ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ هي ما يحل انتهاكها ﴿فهو﴾ أي تعظيمها ﴿خير له عند ربه﴾ في الآخرة ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ اكلاً بعد الذبح ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه في حرمت عليكم الميتة .. الآية ، فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا ، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ من للبيان : اي اجتنبوا عبادتها لانها رجس ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ اي الكلام المنحرف عن الواقع وشهادة الزور قريبة للشرك اذ هي احلال الحرام او تحريم الحلال .

أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ
شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم
مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ
فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ
وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن
يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ

٣١ ﴿حنفاء لله﴾ مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غير مشركين به﴾ تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر﴾ سقط ﴿من السماء فتخطفه الطير﴾ أي تأخذه بسرعة ﴿او تهوى به الريح﴾ أي تسقطه ﴿في مكان سحيق﴾ بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه .

٣٢ ﴿ذلك﴾ يقدر قبله «الأمر» مبتدأ ﴿ومن يعظم شعائر الله فانها﴾ اي فان تعظيمها وهي البدن التي تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن . هذا ؤان تعظيم شعائر الله داخل في كل شيء ، بل هو موضوع السورة ومنه ما تقدم الكلام عليه من ترك التقليد الأعمى وترك الابتداع في الدين وترك الدخول فيه على حرف فان أصابه خير اطمأن به والا انقلب على وجهه وارتد عن الدين . وكذلك فيما يأتي كما سنبينه ان شاء الله في مواضعه . والتعظم في كل شيء هو روحه كما قال تعالى : ﴿من تقوى القلوب﴾ منهم فان القلوب اذا انقادت لتعظيم شيء أسرع جميع الأعضاء الى عمله والقيام بواجباته ونوافله ، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ : «الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب» .

٣٣ ﴿لكم فيها﴾ الشعائر من البدن للهدي ، وسميت شعائر لاشعارها بما تعرف به أنها هدي كطعن حديدة بسنامها ﴿منافع﴾ كركوبها والحمل عليها بما لا يضرها ﴿الى أجل مسمى﴾ وقت نحرها ﴿ثم محلها﴾ أي مكان حل نحرها ﴿الى البيت العتيق﴾ أي عنده والمراد به الحرم جميعه .

لما ذكر تعالى الذبائح بين انه لم تخل منها أمة ، فالذبائح من الشرائع القديمة فقال :

٣٤ ﴿ولكل أمة﴾ جماعة مسلمة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ بفتح السين مصدر ، وقرىء بكسرها اسم مكان أي ذبحا قربانا أو مكانه ، «والمعنى : شرعنا لكل أمة مؤمنة أن ينسكوا لله تعالى ، ومن شروطها معرفة كيفيتها ووقتها ومحلها . ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم ، وقيد بالأنعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز اكله . ﴿فالهكم﴾ مع الأمم السالفة ﴿اله واحد﴾ لا شريك له ﴿فله أسلموا﴾ انقادوا لامره ﴿وبشر المخبتين﴾ المطيعين المتواضعين .

٣٥ ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت﴾ خافت ﴿قلوبهم﴾ أن تخالف امره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلايا ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أوقاتها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون .

٣٦ ﴿والبدن﴾ جمع بدنة وهي الابل ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أعلام دينه ﴿لكم فيها خير﴾ نفع في الدنيا كما تقدم واجر في العقبى ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ عند نحرها ﴿صواف﴾ قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ سقطت الى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها ﴿فكلوا منها﴾ ان شئتم ﴿وأطعموا القانع﴾ الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض ﴿والمعتر﴾ السائل أو المتعرض ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك التسخير ﴿سخرناها لكم﴾ بأن تنحر وتركب والا لم تطق ﴿لعلكم تشكرون﴾ انعامي عليكم .

كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ
بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ
أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ
وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ
وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾
الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾

٣٧ ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ أي لا يرفعان اليه ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي يرفع اليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الايمان ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه. وتكبيره تعالى هو الاسراع لامتثال أوامره بقدر الاستطاعة واجتناب نواهيه وذكر الله عندهما على أنه هو الآمر والناهي ﴿وبشر المحسنين﴾ الموحدين، ففي الحديث الصحيح: «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك».

٣٨ ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ غوائل المشركين وكل من يريد بهم كيدا ﴿ان الله لا يحب﴾ لا يهدي ولا يثيب ﴿كل خوان﴾ في أمانته. فكل من ضيع حق الله فهو خائن ﴿كفور﴾ لنعمته، وهم المشركون. والمعنى أنه يعاقبهم.

ومن اعتنائه تعالى بالمؤمنين المحسنين بعد وعده بالمدافعة عنهم أن يأذن لهم بقتال من قاتلهم حتى لا يتكلوا وتذهب قوتهم الروحية، وهو قوله تعالى:

٣٩ ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي للمؤمنين أن يقاتلوا الذين يقاتلونهم من الكفار ويخاطبوهم بما يفهمون. وهذا أول أمر بالجهاد ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿ظلموا﴾ بظلم الكافرين إياهم ﴿وان الله على نصرهم لقدير﴾ اي وعدهم بالنصر على طريق الرمز والكفاية كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم. ثم حضهم على القتال المأذون لهم بتذكيرهم بأنهم.

٤٠ هم ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ في الاخراج. ما أخرجوا ﴿الا أن يقولوا﴾ أي بقولهم ﴿ربنا الله﴾ وحده وهذا القول حق، والاخراج به اخراج بغير حق ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم﴾ بدل بعض من الناس أي الكفار ﴿ببعض﴾ اي بالمؤمنين أي لولا دفع الله أهل الشرك بالمؤمنين، بالاذن لهم في جهادهم، لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان وعطلوا مواضع عبادات المؤمنين منهم، وهو قوله تعالى: ﴿لهدمت﴾ بالتشديد للتكثير وقرىء بالتخفيف ﴿صوامع﴾ للرهبان ﴿وبيع﴾ كنائس للنصارى ﴿وصلوات﴾ كنائس لليهود أصله بالعبرانية صوثا أي المصلى ﴿ومساجد﴾ للمسلمين ﴿يذكر فيها﴾ أي في المواضع المذكورة او في المساجد خاصة ﴿اسم الله كثيرا﴾ وتنقطع العبادات بخرابها ﴿ولينصرنّ الله من ينصره﴾ أي ينصر دينه ﴿ان الله لقوي﴾ على خلقه، ﴿عزيز﴾ منيع في سلطانه وقدرته.

٤١ ﴿الذين ان مكناهم في الارض﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ جواب الشرط، وهو وجوابه صلة الموصول، ويقدر قبله اسم مبتدأ ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أي اليه مرجعها في الآخرة.

ثم أردف تعالى الكلام بما يجري مجرى التسلية للنبي ﷺ في الصبر على ما هو عليه من أذيته وأذية المؤمنين بالتكذيب وغيـ، فقال:

٤٢ ﴿وان يكذبوك﴾ قومك فاصبر ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى، ﴿وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح

٤٣ ﴿وقوم ابراهيم وقوم لوط﴾.

وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى
فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾
وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا
وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ

٤٤ ﴿وأصحاب مدين﴾ قوم شعيب ﴿وكذب موسى﴾ كذبه القبط لا قومه بنو إسرائيل ، أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم . ﴿فأمليت للكافرين﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ أي انكاري عليهم بتكذيبهم باهلاكهم . والاستفهام للتقرير ، أي هو واقع موقعه .

٤٥ ﴿فكأين﴾ أي كم ﴿من قرية اهلكناها﴾ «نا» فاعل وقرىء «أهلكتها» بتاء التكلم . ﴿وهي ظالمة﴾ أي أهلها بكفرهم ﴿فهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها ﴿و﴾ كم من ﴿بئر معطلة﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وقصر مشيد﴾ رفيع خال بموت أهله .

٤٦ ﴿أفلم يسيروا﴾ أي قومك يا محمد ﴿في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ أي أخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا . ﴿فانها﴾ أي القصة ﴿لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ تاكيد . ثم إن تاخير العذاب الموعود به لا يجعلهم

٤٧ يصدقونك فيما تحذرهم عنه بل ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ استهزاء ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ بانزال العذاب في الدنيا على من يكذب بالرسل وفي الآخرة حيث يشتد عليهم العذاب . ﴿وان يوما عند ربك﴾ من أيام الله لإتيان أمره بالعذاب ﴿كألف سنة مما تعدون﴾ بالتاء ففيه التفات وقرىء بالياء فيكون مناسبا لقوله «ويستعجلونك» أي من أيام الدنيا .

٤٨ ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها﴾ المراد أهلها ﴿والي المصير﴾ المرجع .

ثم أمر تعالى نبيه أن يجدد لهم البيان عن نفسه فقال :

٤٩ ﴿قل يأيها الناس﴾ المكلفون ﴿انما أنا لكم نذير مبين﴾ بين الانذار وأنا بشير للمؤمنين ، ولست بملك عليكم .

٥٠ ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ من الذنوب ﴿ورزق كريم﴾ هو الجنة .

أولئك أصحاب الجحيم (٥١) وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله
عليم حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين
لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق
من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد
الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤) ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم
عذاب يوم عقيم (٥٥) الملك يومئذ لله يحكم بينهم
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦)
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب

٥١ ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ القرآن بابطالها ﴿معاجزين﴾ حال ، أي مسابقين لنا يظنون أن يفوتونا بانكارهم البعث والعقاب ، وفي قراءة «معجزين» أي من اتبع النبي أي ينسبونهم الى العجز ويثبطونهم عن الايمان ، أو مقدرين عجزنا ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ النار .

ثم ذكر تعالى أن السعي في ابطال آيات الله لا يؤثر فيها بشيء وما من نبي الا سعى بآياته السعاة ولم ينجحوا في ابطالها فقال :

٥٢ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ هو نبي أمر بالتبليغ ﴿ولا نبي﴾ أي لم يؤمر بالتبليغ ﴿الا اذا تمنى﴾ رجى حصول قربة لله ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ أمله شبهة ليبطل بها آيات الله ، مثل تمني النبي ﷺ في اسلام «الوليد بن المغيرة» وصناديد قريش ، عند ما كان «ابن ام مكتوم» لا يعلم أن رسول الله مشغول بها الأمر فجاءه يقول : يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله ويكرر هذا القول حتى كره رسول الله ﷺ إلحاحه فعبس وأعرض عنه ، فوسوس الشيطان بذلك في ابن أم مكتوم فنزل فيه : «عبس وتولى ان جاءه الاعمى» ومثله ما وقع لداود عليه السلام عند قول الخصم : «ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك الخ ..» فحكم بالظلم على الخصم الآخر قبل أن يسأله عن دعوى المدعي لما دهمه من كراهة الظلم والشفقة بالمسكين الذي له نعجة واحدة ، ثم انتبه الى نفسه وظن أنه فتنة الله فخر راكعا وأناب فأذاع الشيطان ان القضية قضيته مع رجل يسمى أوريا . وساق القصة على ما لا يصلح مع رجل صالح ، بله مع نبي معصوم . فلا يبعد أن يكون أوريا رجلا مات في جيش داود فتزوج داود زوجته صونا لها ولزوجها . فيجد الشيطان مدخلا فيلقي في ذلك ما ألقى من الفساد . ﴿فينسخ الله﴾ يبطل ﴿ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾ يثبتها ﴿والله عليم﴾ بالقاء الشيطان ما ذكر ﴿حكيم﴾ في تمكينه منه .

٥٣ ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ محنة ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ اي المشركين عن قبول الحق ﴿وان الظالمين﴾ الكافرين ﴿لفي شقاق بعيد﴾ خلاف طويل مع الرسل حيث يكونون دائما في طلب ما يبطل دعوى الحق التي تقوم بها الرسل عليهم السلام .

٥٤ ﴿وليعلم الذين اوتوا العلم﴾ أهل الكتاب ﴿أنه﴾ القرآن ﴿الحق من ربك﴾ لما جرى معه من مثل ما جرى مع كتب أنبيائهم ﴿فيؤمنوا به فتخبت﴾ تطمئن ﴿له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ أي دين الحق الخالص من شوائب الشيطان كما يهدي المؤمنين من هذه الأمة الى دين الاسلام الحق .

٥٥ ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾ شك ﴿منه﴾ أي القرآن لما يلقي الشيطان عليهم مما يلبس عليهم الحق بالباطل ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي ساعة موتهم ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ لما فيه عذاب شديد بالقتل أو السبي أو بما شاء الله من عذاب في الدنيا قبل موتهم ، فصار اليوم لهم كالريح العقيم التي لا تأتي بخير . وقيل : المقصود باليوم العقيم هو يوم القيامة لا ليل فيه ، بدليل قوله تعالى :

٥٦ ﴿الملك يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿لله﴾ وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف ﴿يحكم بينهم﴾ بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾ فضلا من الله .

٥٧ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ شديد بسبب كفرهم .

وقد تقدم أن موضوع السورة تعظيم شعائر الدين ، ومن تعظيمها حمايتها عن أعدائها الذين يسعون في ابطالها ، وقد أخرج أهلها من ديارهم ، وأذن الله لهم بالقتال ووعدهم بالنصر وتخليص الدعوة من شوائب الشيطان حتى لا يلتبس لهم الحق . ثم حرضهم فيما يأتي على الهجرة ليتميزوا بأنفسهم عن الكفار ، فقال :

٥٨ ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ أي طاعته من مكة وغيرها الى المدينة ﴿ثم قتلوا أو ماتوا﴾ في حال الهجرة ﴿ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ هو رزق الجنة ﴿وان الله لهو خير الرازقين﴾ أفضل المعطين .

٥٩ ﴿ليدخلنهم مدخلا﴾ بضم الميم وقرىء بفتحها أي ادخالا أو موضعا ﴿يرضونه﴾ وهو الجنة ﴿وان الله لعليم﴾ بعملهم من الهجرة يجازيهم عليه ﴿حليم﴾ عن مؤاخذتهم بخطأ في تلك الحال .

٦٠ ﴿ذلك﴾ أي الأذن بالقتال الذي تقدم الكلام عليه ﴿ومن عاقب﴾ جازى من المؤمنين ﴿بمثل ما عوقب به﴾ ظلما من المشركين أي قاتلهم كما قاتلوه ﴿ثم بغي عليه﴾ منهم أي ظلم باخراجه من منزله ﴿لينصرنه الله ان الله لعفو﴾ عن المؤمنين فيما نالوا على المشركين زيادة على ما عاقبوهم بغير قصد في الظلم و ﴿غفور﴾ لهم في ذلك وفي غيره من ذنوبهم .

٦١ ﴿ذلك﴾ النصر لهم من الله ، حكمته ﴿بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهر في الليل﴾ يدخل كلا منهما في الآخر بأن يزيد به ، فكذلك يزيد المؤمنين من الكفار كما يزيد الكفار من المؤمنين حتى يتغا ، جانب الحق . ﴿وان الله سميع﴾ دعاء المؤمنين ﴿بصير﴾ بهم يدفع عنهم أذى الكفار .

٦٢ ﴿ذلك﴾ الحكم بينهم ﴿بأن الله هو الحق﴾ الثابت ﴿وأن ما يدعون﴾ بالياء وقرىء بالتاء ، يعبدون أي الكفار ﴿من دونه﴾ وهو الاصنام ﴿هو الباطل﴾ الزائل ﴿وأن الله هو العلي﴾ أي العالي على كل شيء بقدرته ﴿الكبير﴾ الذي يصغر كل شيء سواه عنده .

ثم ذكر تعالى دلائل قدرته على انفاذ ما تقدمَ ذكره ، فقال :

مهين ﴿٥٧﴾ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا
ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ﴿٥٨﴾
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ﴿٥٩﴾
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه
لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ﴿٦٠﴾ ذلك بأن الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله
سميع بصير ﴿٦١﴾ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون
من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴿٦٢﴾
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض
مخضرة إن الله لطيف خبير ﴿٦٣﴾ له ما في السموات
وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ﴿٦٤﴾ ألم
تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري

٦٣ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿ان الله أنزل من السماء ماء﴾ مطرا ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ بالنبات وهذا من أثر ﴿ان الله لطيف﴾ بعباده في اخراج النبات بالماء ﴿خبير﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر .

٦٤ ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ على جهة الملك ﴿وان الله لهو الغني﴾ عن عباده ﴿الحميد﴾ لأوليائه .

فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ
فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ
هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ
لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

٦٥ ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ من البهائم ﴿والفلك﴾ السفن ﴿تجري في البحر﴾ للركوب والحمل ﴿بأمره﴾ باذنه ﴿ويمسك السماء﴾ من ﴿أن﴾ او لئلا ﴿تقع على الأرض الا باذنه﴾ فتهلكوا ﴿ان الله بالناس لرؤف رحيم﴾ في التسخير والامساك .

٦٦ ﴿وهو الذي أحياكم﴾ بالانشاء ﴿ثم يميتكم﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث ﴿ان الانسان﴾ أي المشرك ﴿لكفور﴾ لنعم الله بترك توحيده .

ثم أشار تعالى فيما يأتي الى أن اختلاف الشرائع الالهية بعد الاتفاق في التوحيد لا يضر ، فالشجرة لها أصل واحد وفروع مختلفة ، فقال :

٦٧ ﴿لكل امة جعلنا منسكا﴾ بفتح السين وقرىء بكسرها ، أي شريعة . ﴿هم ناسكوه﴾ عاملون به ﴿فلا ينازعنك﴾ أي سائر أرباب الملل ﴿في الامر﴾ في أمر الدين فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء ﴿وادع الى ربك﴾ أي الى دينه ﴿انك لعلى هدى﴾ دين ﴿مستقيم﴾ .

٦٨ ﴿وان جادلوك﴾ في أمر الدين ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ فيجازيكم عليه .

٦٩ ﴿الله يحكم بينكم﴾ يا أهل الملل الأخرى ﴿يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ عن الحق بعدما ظهر وقد أمركم دينكم باتباعه .

ثم بين تعالى أن اختلاف شرائعه لأنبيائه الذين أرسلهم الى الأمم انما ذلك بالعلم ، والحكمة اقتضت ذلك ، فقال :

٧٠ ﴿ألم تعلم﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أن الله يعلم ما في السماء والأرض ان ذلك﴾ أي ما ذكر ﴿في كتاب﴾ معظم هو اللوح المحفوظ ﴿ان ذلك﴾ أي علم ما ذكر ﴿على الله يسير﴾ سهل .

٧١ ﴿ويعبدون﴾ أي المشركون ﴿من دون الله ما لم ينزل به﴾ هو الأصنام ﴿سلطانا﴾ حجة ﴿وما ليس لهم به علم﴾ أنها آلهة ، فانما كانت الشرائع واختلافها من الله وأما عبادة غير الله فانما هي اتباع أهوائهم ولم يأت شيء من ذلك من الله وليس لهم فيه حجة ولا علم يعتبر به الا العقائد التقليدية من آبائهم وهم ما استدلوا فيها على شيء من العلم ﴿وما للظالمين﴾ بالاشراك ﴿من نصير﴾ يمنع عنهم عذاب الله .

ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا
قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن
يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا
لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾
مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ
يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا
وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ۩
وَجَٰهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ

٤٤٤

٧٢ ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ ظاهرات تمنعهم عن عبادة غير الله وعن اتباع ما ليس لهم فيه علم ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي الانكار لها أي أثره من الكراهة والعبوس ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي يقعون فيهم بالبطش ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ أي بأكره اليكم من القرآن المتلو عليكم هو ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ بأن مصيرهم اليها ﴿وبئس المصير﴾ هي .

ولما بين تعالى أن عبادة غيره من الأصنام لم تكن على اساس علمي معقول فصل لك وضرب مثلا أقرب الى أفهامهم فقال :

٧٣ ﴿يا أيها الناس﴾ المشركون ﴿ضرب مثل فاستمعوا له﴾ وهو ﴿ان الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي غيره ومنهم الأصنام ﴿لن يخلقوا ذبابا﴾ اسم جنس واحدة ذبابة يقع على المذكر والمؤنث ﴿ولو اجتمعوا له﴾ لخلقه ﴿وان يسلبهم الذباب شيئا﴾ مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به . وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله» ﴿لا يستنقذوه﴾ لا يستردوه ﴿منه﴾ لعجزهم فكيف يعبدون شركاء لله تعالى ؟ فهو أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل ﴿ضعف الطالب﴾ العابد ﴿والمطلوب﴾ المعبود .

٧٤ ﴿ما قدروا الله﴾ ما عظموه ﴿حق قدره﴾ عظمته اذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿ان الله لقوى عزيز﴾ غالب ، وهو الذي يستحق أن يعبد .

ولما ذكر تعالى أنه هو المستحق بالعبادة لا غيره بين فيما يأتي أن عبادته تتم بالعلم الوارد منه الى العباد بواسطة رسله فقال تعالى :

٧٥ ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ رسلا فيرسلهم بشرائعه الى العباد ﴿ان الله سميع﴾ لمقالتهم اذا أرسلهم فلا يستطيعون أن يبدلوا كلامه ﴿بصير﴾ بهم . والرسل من الملائكة مثل جبريل وميكائيل ، ومن الناس كابراهيم ومحمد ﷺ .

٧٦ ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي الرسل من الملائكة ومن الناس ﴿وما خلفهم﴾ فهو تعالى محيط بهم لا يمكن أن تقع منهم خيانة في الوحي ولا يصل اليهم شيطان فيبدل ما أرسلوا به ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ اي امور المخلوقات .

٧٧ واذا ثبت بالحجج القاطعة أن ما جاء به محمد حق من الله ﴿يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أي صلوا ﴿واعبدوا ربكم﴾ وحدوه ﴿وافعلوا الخير﴾ وهو كل ما حسنه الاسلام كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة .

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ
وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

(٢٣) سُورَةُ المُؤْمِنُونَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

٧٨ ﴿وجاهدوا في الله﴾ لاقامة دينكم وحماية شعائر الله ﴿حق جهاده﴾ باستفراغ الطاقة فيه ، ونصب «حق» على المصدر ﴿هو اجتباكم﴾ لديه ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي ضيق بأن سهله عند الضروريات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿ملة أبيكم﴾ منصوب بنزع الخافض «الكاف» أو بفعل محذوف أي «اتبعوا» ، ﴿ابراهيم﴾ عطف بيان . ﴿هو﴾ ابراهيم ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ أي من قبل هذا الكتاب بدعائه ، اذ قال هو واسماعيل : «واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» . ﴿وفي هذا﴾ القرآن ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وتكونوا﴾ أنتم ﴿شهداء على الناس﴾ ان رسلهم بلغتهم . ﴿فأقيموا الصلوة﴾ داوموا عليها ﴿وآتوا الزكوة واعتصموا بالله﴾ ثقوا به ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فنعم المولى﴾ هو ﴿ونعم النصير﴾ أي الناصر لكم .

وختمت السورة بما بدأت به من الأمر بالتقوى واشتملت على التوحيد والارشاد بتعظيم شعائر الله كما جاءت منه تعالى .

﴿ سورة المؤمنون مكية ﴾

مكية وهي مائة وثماني أو تسع عشرة آية وموضوعها الرئيسي هو تعليم العقيدة الصحيحة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿أفلح﴾ فاز ﴿المؤمنون﴾ .

٢ ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ متواضعون بعدم الالتفات والتثاؤب والتغميض وتغطيه الفم والتشبيك وغير ذلك مما يكره فعله في الصلاة .

٣ ﴿والذين هم عن اللغو﴾ من الكلام وغيره ﴿معرضون﴾ .

٤ ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ مؤدون .

• ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ عن الحرام .

٦ ﴿الا على أزواجهم﴾ أي من زوجاتهم ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ أي السراري ﴿فانهم غير ملومين﴾ في اتيانهن .

٧ ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ من الزوجات والسراري كالاستمناء باليد فانه حرام عند الجمهور ، وأجازه أحمد بن حنبل بشروط ثلاثة : أن يخاف الزنا : ويفقد مهر حرة أو ثمن أمة ، وان يفعله بيده لا بيد غيره . فان كان الغير زوجته أو أمته جاز والا حرم . ﴿فأولئك هم العادون﴾ المتجاوزون الى ما لا يحل لهم .

٨ ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ جمعا وقرىء مفردا ﴿وعهدهم﴾ فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿راعون﴾ حافظون .

٩ ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ جمعا وقرىء مفردا ﴿يحافظون﴾ يقيمونها في أوقاتها .

١٠ ﴿أولئك هم الوارثون﴾ لا غيرهم .

١١ ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هم فيها خالدون﴾ . في ذلك اشارة الى المعاد ويناسبه ذكر المبدأ بعده ، فذكر له من الدلائل أنواعا أربعة كما سنبين ذلك ان شاء الله تعالى :

النوع الأول : قال تعالى :

١٢ ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ آدم ﴿من سلالة﴾ هي من سللت الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته ﴿من طين﴾ متعلق بسلالة .

١٣ ﴿ثم جعلناه﴾ أي الانسان نسل آدم ﴿نطفة﴾ منيا ﴿في قرار مكين﴾ هو الرحم .

١٤ ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ دما جامدا ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ لحمة قدر ما يمضغ ﴿فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما﴾ وفي قراءة «عظما» في الموضعين ، و«خلقنا» في المواضع الثلاثة ، بمعنى صيرنا . ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ المقدرين . ومميز «أحسن» محذوف للعلم به أي : «خلقا» .

١٥ ﴿ثم انكم بعد ذلك لميتون﴾ .

١٦ ﴿ثم انكم يوم القيامة تبعثون﴾ للحساب والجزاء .

ثم أشار تعالى الى النوع الثاني من أمثلة المبدأ فقال :

حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ
رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ
مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ
خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا
ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا
ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ
ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦
وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ

غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾
فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا
فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ
سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ
فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ
تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا

١٧ ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ جمع طريقة وهي الطرق الداخلة في الجسم وهي الفم والأنف والأذن والعين والثدى والفرج والدبر ﴿وما كنا عن الخلق﴾ جميع المخلوقات ﴿غافلين﴾ بل عرفنا كل شيء وأحكمنا تدبيره والنوع الثالث

١٨ ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ من كفايتهم ﴿فأسكناه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون﴾ فيموتون مع دوابهم عطشا .

١٩ ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ صيفا وشتاء .

٢٠ ﴿و﴾ انشأنا ﴿شجرة تخرج من طور سيناء﴾ جبل بفتح السين وقرىء بكسرها مع عدم الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة . ﴿تنبت﴾ من الثلاثي ، وقرىء بضم تاء المضارع وكسر الباء من الرباعي ﴿بالدهن﴾ الباء معدية على الأول ، وزائدة على الثاني . وهي شجرة الزيتون ﴿وصبغ للآكلين﴾ عطف على الدهن ، أي ادام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت .

والنوع الرابع : قوله تعالى :

٢١ ﴿وان لكم في الأنعام﴾ الابل والبقر والغنم ﴿لعبرة﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نسقيكم﴾ بضم النون وقرىء بفتحها ﴿مما في بطونها﴾ أي اللبن ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿ومنها تأكلون﴾ .

٢٢ ﴿وعليها﴾ أي الابل ﴿وعلى الفلك﴾ أي السفن ﴿تحملون﴾ مبني للمفعول أي تركبون وتحملون عليها أثقالكم .

ثم شرع تعالى يبين معنى الايمان كما علمه الرسل أممهم فقال :

٢٣ ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ أطيعوه ووحدوه ﴿ما لكم من اله غيره﴾ وهو اسم «ما» وما قبله الخبر و«من» زائدة . ﴿أفلا تتقون﴾ تخافون عقوبته . بعبادتكم غيره .

٢٤ ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ لأتباعهم : ﴿ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ بأن يكون متبوعا وأنتم أتباعه ﴿ولو شاء الله﴾ أن لا يعبد غيره ﴿لأنزل ملائكة﴾ بذلك لا بشرا ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي دعا اليه نوح من التوحيد ﴿في آبائنا الأولين﴾ الأمم الماضية .

رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ
بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا
مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ
مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي
مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ
مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ

٢٥ ﴿إن هو﴾ أي ما نوح ﴿الا رجل به جنة﴾ حالة جنون ﴿فتربصوا به﴾ انتظروه ﴿حتى حين﴾ الى زمن موته .

٢٦ ﴿قال﴾ نوح : ﴿رب انصرني﴾ عليهم ﴿بما كذبون﴾ بسبب تكذيبهم اياي بأن تهلكهم . قال تعالى مجيبا دعاءه :

٢٧ ﴿فأوحينا اليه أن اصنع الفلك﴾ السفينة ﴿بأعيننا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿ووحينا﴾ أمرنا ﴿فاذا جاء أمرنا﴾ باهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ للخباز بالماء ، وكان ذلك علامة لنوح ، ﴿فاسلك فيها﴾ أي أدخل في السفينة ﴿من كل زوجين﴾ أي ذكر وأنثى من كل أنواعها ﴿اثنين﴾ ذكرا وأنثى ، وهو مفعول . و«من» متعلقة بـ«اسلك» وفي القصة : أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما ، فجعل يضرب بيده في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة . بتنوين «كل» فـ«زوجين» مفعول «اثنين» تأكيد له . وفي قراءة باضافة «كل» لـ«زوجين» ، وهذا من غير البشر ، والا فأدخل فيها منهم ثمانين . ﴿وأهلك﴾ أي زوجك وأولادك ﴿الا من سبق عليه القول منهم﴾ بالاهلاك ، وهو زوجته وولده «كنعان» ، بخلاف «سام» و«حام» و«يافث» ، فحملهم وزوجاتهم الثلاث . وفي سورة هود «وما آمن معه الا قليل» . قيل : كانوا ستة رجال ومعهم نساءهم . وقيل : جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء . ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ كفروا بترك اهلاكهم ﴿انهم مغرقون﴾ .

٢٨ ﴿فاذا استويت﴾ اعتدلت ﴿أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ الكافرين باهلاكهم .

٢٩ ﴿وقل﴾ أيضا طلبا لتمام النعمة: ﴿رب أنزلني منزلا﴾ بضم الميم وفتح الزاي ، مصدر ، أو اسم مكان ، وقرئ بفتح الميم وكسر الزاي ، مكان النزول . ﴿مباركا﴾ ذلك الانزال أو المكان ﴿وأنت خير المنزلين﴾ فيما ذكر من الانزال أو المكان المبارك .

ثم عقب تعالى على القصة وقال :

٣٠ ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة واهلاك الكفار ﴿لآيات﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ، ﴿وان﴾ مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ﴿كنا لمبتلين﴾ مختبرين قوم نوح بارساله اليهم ووعظه ، والابتلاء مع عدم الايمان يؤدي الى الهلاك . ثم أورد تعالى قصة أخرى فقال :

٣١ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا﴾ قوما ﴿آخرين﴾ هم عاد .

٣٢ ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾ هودا فهو منهم ، ولذا عدى «أرسل» بـ«في» بدل «الى» ﴿أن﴾ اي بأن ﴿اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ عقابه فتؤمنوا ؟

فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مَا هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم
بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ
نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَاءً
فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا
ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾
ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ

٣٣ ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ اي بالمصير اليها ﴿وأترفناهم﴾ نعمناهم ﴿في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ .

٣٤ ﴿و﴾ الله ﴿لئن أطعتم بشرا مثلكم﴾ فيه قسم وشرط ، والجواب لأولهما وهو مغن عن جواب الثاني ﴿انكم اذا﴾ أي اذا أطعتموه ﴿لخاسرون﴾ أي مغبونون . والانكار في بشرية الرسول وسببه الترف فهو يعمي البصيرة ويغلظ الطبيعة ويقسي القلب ويسبب الحسد بين بني الجنس ، فأنكروا البعث بقولهم :

٣٥ ﴿أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾ هو خبر « انكم » الاولى ، و« انكم » الثانية تأكيد لها لما طال الفصل .

٣٦ ﴿هيهات هيهات﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر ، أي بعدا بعدا ﴿لما توعدون﴾ من الاخراج من القبور و« اللام » زائدة للبيان .

٣٧ ﴿ان هي﴾ أي ما الحياة ﴿الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ .

٣٨ ﴿ان هو﴾ أي ما الرسول ﴿الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين﴾ أي مصدقين بالبعث بعد الموت .

٣٩ ﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ .

٤٠ ﴿قال عما قليل﴾ من الزمان ، و« ما » زائدة ﴿ليصبحن﴾ ليصيرن ﴿نادمين﴾ على كفرهم وتكذيبهم .

٤١ ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة العذاب أو الهلاك ، كائنة ﴿بالحق﴾ فماتوا ﴿فجعلناهم غثاء﴾ أي مثل النبات إذا يبس ، وقال الزجاج : هو البالي من ورق الشجر اذا جرى السيل فخالط زبده ، وقيل : ما يلقيه السيل والقذر مما لا ينتفع به ﴿فبعداً﴾ من الرحمة ﴿للقوم الظالمين﴾ المكذبين ، دعاء عليهم أو اخبار بحالهم .

وأشار تعالى الى قصص أمم كثيرين جملة فقال :

٤٢ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا﴾ أقواما مع رسلهم ﴿آخرين﴾ كقوم لوط وشعيب ويونس وأيوب .

٤٣ ﴿ما تسبق من أمة أجلهـا﴾ بأن تموت قبله ﴿ومـا يستأخرون﴾ عنه ، ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى .

فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ

٤٤ ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا﴾ بلدون تنوين وقرىء به ، اي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل ﴿كلما جاء أمة﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا﴾ في الهلاك ﴿وجعلناهم احاديث﴾ وهي ما يتحدث به عجبا وتسليا ومسامرة ، جمع أحدوثة أو جمع حديث على غير قياس ﴿فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ «بعدا» منصوب بمحذوف أي بعدوا بعدا . وهذا دعاء عليهم لعدم ايمانهم .

ثم ذكر قصة موسى وهارون مع قومهما ، فقال :

٤٥ ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ حجة بينة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات .

٤٦ ﴿الى فرعون وملائه فاستكبروا﴾ عن الايمان بها وبالله ﴿وكانوا قوما عالين﴾ قاهرين بني اسرائيل بالظلم .

٤٧ ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ مطيعون خاضعون .

٤٨ ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ .

٤٩ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿لعلهم﴾ أي قومه بني اسرائيل ﴿يهتدون﴾ به من الضلالة ، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة في الألواح .

ثم أشار تعالى الى قصة عيسى فقال :

٥٠ ﴿وجعلنا ابن مريم﴾ عيسى ﴿وأمه آية﴾ لم يقل «آيتين» لأن الآية فيهما واحدة : ولادته من غير محل ، فاشتركا في هذا الأمر العجيب الخارق للعادة ، وذلك لأن نفس المعجزة ظهرت فيهما وعلى يديهما ، لأن الولادة فيه وفيها بخلاف الآيات التي ظهرت على يديه . ﴿وآويناهما الى ربوة﴾ مكان مرتفع ، وهو مصر حكاه البيضاوي ، وقيل : بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين ، وذلك أن ملك ذلك الزمان الرومي أراد قتله باشارة من اليهود ، فهربت به أمه الى تلك الربوة ومكثت بها ثنتي عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك . ﴿ذات قرار﴾ أي مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿ومعين﴾ ماء جار ظاهر تراه العيون .

بعد ذكر قصص بعض الأنبياء الرسل وكيف نجاهم من أعدائهم ، جمعهم في نداء وأمرهم بوظيفة واحدة ، فقال تعالى :

٥١ ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ الحلالات ﴿واعملوا صالحا﴾ من فرض ونفل ﴿إني بما تعملون عليم﴾ فأجازيكم عليه ، فهو حكاية لرسول الله ﷺ على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره . وفيه اشارة الى أن اباحة الطعام شرع قديم جرى عليه جميع الرسل . وأصله : «قلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا» وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبان وبعض متصوفة هذه الأمة من رفض الطيبات ما لا يخفى .

٥٢ ﴿و﴾ اعلموا ﴿أن هذه﴾ أي ملة الاسلام ﴿أمتكم﴾ ملتكم ودينكم أيها المخاطبون ، أي يجب أن تكونوا عليها ﴿أمة واحدة﴾ حال لازمة . وفي قراءة بتخفيف النون وفي أخرى بكسر الهمزة وتشديد النون استئنافا ﴿وانا ربكم فاتقون﴾ فاحذرون أن تفارقوها وتقطعوا وتكونوا فرقا مختلفة .

٥٣ ﴿فتقطعوا﴾ اي الأتباع ﴿أمرهم﴾ دينهم وجعلوه اديانا مختلفة ﴿بينهم زبرا﴾ حال من فاعل «تقطعوا» ، اي احزابا مختلفين كاليهود والنصارى وغيرهم ، فتمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب . فزبر جمع زبور ، اي كتاب . وقيل جمع زبرة بمعنى القطعة ، أي طائفة من الناس . فصاروا طوائف مثل ما أصبح المسلمون اليوم طوائف ﴿كل حزب بما لديهم﴾ بما عندهم من الدين والعقيدة المنحرفة ﴿فرحون﴾ مسرورون

وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ
لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ
ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم
بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم
مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ
عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا

٤٥١

لاعتقادهم انهم على الحق ، وما الدين الا ما جاء به محمد ﷺ وما الملة الا ملته .

٥٤ ﴿فذرهم﴾ أي اترك المنحرفين عن ملة رسلهم ﴿في غمرتهم﴾ ضلالتهم ﴿حتى حين﴾ الى حين موتهم فيرون عاقبة أمرهم .

٥٥ ﴿أيحسبون﴾ أي المنحرفون عن ملة الرسل ﴿أنما نمدهم به﴾ نعطيهم ﴿من مال وبنين﴾ في الدنيا .

٥٦ ﴿نسارع﴾ نعجل ﴿لهم في الخيرات﴾ نعطيهم ذلك لأنهم على حق والجواب : ، ﴿بل لا يشعرون﴾ ان ذلك استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم ، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات . روي عن سعيد بن ميسرة أنه قال : أوحى الله تعالى الى نبي من الأنبياء : «ايفرح عبدي أن أبسط له الدنيا وهو أبعد له مني ، ويحزن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني ؟ »

ولما ذكر تعالى عن ملة الرسل وكشف التابعين لأهوائهم ، ذكر الأتقياء فيما يأتي فقال :

٥٧ ﴿ان الذين هم من خشية ربهم﴾ منه ﴿مشفقون﴾ حذرون ، فيقفون عند ما حد لهم ولا يتجاوزونه .

٥٨ ﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ القرآن أو كتب أنبيائهم ﴿يؤمنون﴾ يصدقون فيعملون بمقتضاها .

٥٩ ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ معه غيره .

٦٠ ﴿والذين يؤتون﴾ يعطون ﴿ما آتوا﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة . ﴿وقلوبهم وجلة﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ، وهم بين الخوف والرجاء . ﴿أنهم﴾ يقدر قبله «لام الجر» أي لأنهم . ﴿الى ربهم راجعون﴾ .

٦١ ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها ﴿وهم لها﴾ لجزائها وهو الجنة ﴿سابقون﴾ غيرهم ممن نقص عن درجاتهم .

٦٢ ﴿ولا نكلف نفسا الا وسعها﴾ أي طاقتها ، وكل يعمل الطاعات بقدر حاله وطاقته فمن لم يستطع أن يصلي قائما فليصل جالسا ومن لم يستطع ان يصوم فليأكل وليعمل ما أمر به في آيات الصوم . ﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتاب ينطق بالحق﴾ بما عمله كل واحد على قدر حاله لا ينقص شيئا من الحسنات ولا يزاد شيئا من السيئات . ﴿وهم﴾ أي النفوس العاملة ﴿لا يظلمون﴾ وهو مثل قوله تعالى «وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا» .

بعد بيان المتقين أضرب تعالى بالكلام الى أحوال الكفار الذين يحسبون أنما يمدهم الخ .. فقال :

٦٣ ﴿بل قلوبهم﴾ الكفار ﴿في غمرة﴾ جهالة ﴿من هذا﴾ القرآن ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ المذكور للمؤمنين فأعمالهم تخالف أعمال المؤمنين ، ﴿هم لها عاملون﴾ فيعذبون عليها .

٦٤ ﴿حتى﴾ ابتدائية ﴿اذا أخذنا مترفيهم﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بالعذاب﴾ في الدنيا بالقتل ﴿اذا هم يجأرون﴾ يضجون . يقال لهم :

٦٥ ﴿لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون﴾ لا تمنعون .

٦٦ ﴿قد كانت آياتي﴾ من القرآن ﴿تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ ترجعون القهقرى .

تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ
مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ
لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم
بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ
لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ
وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ
أَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾
حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

٤٥٣

٦٧ ﴿مستكبرين﴾ أي يفتخرون ﴿به﴾ بالبيت ، على أنهم سدنته أو بالحرم على أنهم أهله دون الناس ﴿سامرا﴾ حال منهم ، ﴿تهجرون﴾ أي تقولون الهجر من القول وهو الهذيان لمرض وغيره ، في النبي بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو في القرآن بأنه كلام الجن أو كهانة أو شعر. كأنهم من بغضه لا يتفكرون فيما يقولون فيه ، وان خالف قولهم العقل من : «هجر يهجر» ، ويمكن أن يكون من «هجر» بمعنى ترك ، أي يتركون القرآن والنبي ويشتغلون بالسمر والفكاهة . وقرىء من «أهجر» الرباعي ، اي يقولون غير الحق ويطلقون الفحش من الكلام فيه وفي القرآن .

فبين تعالى الأسباب التي تحمل الكفار على ما سبق من قوله «فكنتم على اعقابكم تنكصون» فقال :

٦٨ ﴿أفلم يدبروا﴾ أصله «يتدبروا» فأدغمت «التاء» في «الدال» ﴿القول﴾ القرآن الدال على صدق النبي ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ فهم يرون بعثة الرسل أمرا غريبا لم تسمع ولم ترد عن الامم السالفة . وليس كذلك لأنهم قد عرفوا بالتواتر أن الرسل كانت ترسل الى الامم .

٦٩ ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ بالأمانة والصدق قبل ادعائه الرسالة ﴿فهم له منكرون﴾ هذه الدعوى؟ فليس كذلك فانهم قد عرفوه قبل ادعاء النبوة وأنه في نهاية الأمانة والصدق ، فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين الصادق ؟.

٧٠ ﴿أم يقولون به جنة﴾ أي يعتقدون فيه الجنون فهو الذي حمله على ادعاء الرسالة . وهذا أيضا فاسد لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس . الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بل﴾ للانتقال ﴿جاءهم بالحق﴾ أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الأسلام ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ أي لا يحبون الحق أي الصدق والحقيقة في الامور.

٧١ ﴿ولو اتبع الحق﴾ اي القرآن ﴿أهواءهم﴾ بأن جاء بما يدعونه من الشريك والولد لله تعالى عن ذلك ﴿لفسدت السموات والارض ومن فيهن﴾ خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فهم عن ذكرهم﴾ لا يذكرونه بلسانهم لكراهتهم له ﴿معرضون﴾ عن أن يذكروه بألسنتهم بغضا منهم .

٧٢ ﴿أم تسألهم خرجا﴾ أجرا على ما جئتم به من الايمان ﴿فخراج ربك﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خير﴾ وفي قراءة «خرجا» في الموضعين وفي قراءة أخرى «خراجا» فيهما ، وهو أبلغ من العوض لانه غرامة تتكرر كل سنة ﴿وهو خير الرازقين﴾ أي أفضل من أعطى أجرا.

٧٣ ﴿وانك لتدعوهم الى صراط﴾ أي طريق ﴿مستقيم﴾ اي دين الاسلام .

٧٤ ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عن الصراط﴾ اي الطريق ﴿لناكبون﴾ عادلون عنه .

٧٥ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ أي جوع أصابهم مثل الذي أصاب أهل مكة سبع سنين ﴿للجوا﴾ تمادوا ﴿في طغيانهم﴾ ضلالتهم ﴿يعمهون﴾ يترددون .

٧٦ ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ الجوع . روي أن اهل مكة جاعوا حتى أكلوا العلهز بسبب دعوة النبي ﷺ عليهم بقوله : «اللهم أشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» . فجاء أبو سفيان الى رسول الله ﷺ فقال : أنشدك الله

مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾
بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا
هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ
ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ
قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ
ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾
قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ

والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ؟ قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع . و« العلهز » بكسر العين والهاء وبينهما لام ساكنة ، كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله ابن الأثير وقيل : هو القراد الضخم . ﴿فما استكانوا﴾ تواضعوا ﴿لربهم وما يتضرعون﴾ يرغبون الى الله بالدعاء .

٧٧ ﴿حتى﴾ ابتدائية ﴿اذا فتحنا عليهم بابا ذا﴾ صاحب ﴿عذاب شديد﴾ هو الموت لأنه باب الآخرة حيث يلقون العذاب الشديد ، ولا يقبل بعده عذر ولا مفر منه ولا متاب . ﴿اذا هم فيه مبلسون﴾ آيسون من كل خير . يقال أبلس الرجل ابلاسا أي سكت ، وأبلس : أيس ، ومنه ابليس ليأسه من رحمة الله ثم ذكر تعالى دلائل قدرته من النعمة في الخلق بصيغة الخطاب للتقريع بالنسبة للكافرين وتذكير النعم بالنسبة للمؤمنين :

٧٨ ﴿وهو الذي أنشأ﴾ خلق ﴿لكم السمع﴾ بمعنى الأسماع ﴿والابصار والأفئدة﴾ القلوب ﴿قليلا ما﴾ تأكيد القلة ﴿تشكرون﴾ .

٧٩ ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ خلقكم ﴿في الأرض واليه تحشرون﴾ تبعثون .

٨٠ ﴿وهو الذي يحيي﴾ ينفخ الروح في المضغة ﴿ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أفلا تعقلون﴾ صنعه تعالى فتعتبروا .

وبعد التوبيخ والتذكير انتقل تعالى الى الغيب ، فقال :

٨١ ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ أي من قوم نوح وصالح وغيرهم .

٨٢ ﴿قالوا﴾ أي الأولون ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أي لا نبعث وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق ، وقرىء بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين .

٨٣ ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ أي البعث بعد الموت ﴿من قبل﴾ قبل محمد أي ان هذا الوعد كما وقع من محمد فقد وقع قديما من سائر الأنبياء ، ثم لم يوجد مع طول العهد فظنوا أن الاعادة تكون في الدنيا ، ثم قالوا : لما يكن ذلك ﴿ان﴾ ما ﴿هذا الا أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾ كالاضاحيك والاعاجيب جمع اسطورة بالضم .

ثم وجه تعالى اليهم أسئلة يتنبهون بها عند الزامهم الجواب عنها لو كانوا يعقلون فقال :

٨٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق ﴿ان كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها ؟

٨٥ ﴿سيقولون لله قل﴾ لهم ﴿أفلا تذكرون﴾ بادغام « التاء » الثانية » في « الذال » ، فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت .

٨٦ ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ الذي يحيط بجميع المخلوقات وفي داخله الكرسي والسموات وما احتوت عليها ، فمالك العرش مالك الكل .

٨٧ ﴿سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾ تحذرون عبادة غيره ؟

٨٨ ﴿قل من بيده ملكوت﴾ ملك « الواو » و« التاء » للمبالغة كزيادتهما في الرحموت والرهبوت من الرحمة والرهبة ﴿كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾ يحمي من أراد حمايته ولا يحمى عليه أي ولا يمنع منه أحد ولا ينصر من أراد خذلانه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أي ان اتصفتم بصفة العلم في أمره .

تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾
مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ
كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن
نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ
ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ
هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾
لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا
وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ

٤٥٤

٨٩ ﴿سيقولون لله﴾ بلام الجر في الموضعين نظرا الى أن المعنى «من له ما ذكر» وفي قراءة بدون «لام الجر» أي باسقاطها مراعاة للفظ السؤال هذا ، وأما جواب السؤال الاول فهو «باللام» باتفاق القراء السبعة لانها قد صرح بها في السؤال . واذا سقطت «لام الجر» يرفع اسم الجلالة ﴿قل فأنى تسحرون﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق الذي هو عبادة الله وحده ؟ أي كيف يخيل لكم أنه باطل ؟

٩٠ ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ بالصدق ﴿وانهم لكاذبون﴾ في نفيه وهو :

٩١ ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله﴾ بزيادة «من» في مفعول «اتخذ» واسم كان لتأكيد النفي ﴿اذا﴾ أي لو كان معه اله ﴿لذهب كل اله بما خلق﴾ أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا . ﴿سبحان الله﴾ تنزيها له ﴿عما يصفون﴾ به مما ذكر .

٩٢ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد بالجر صفة ، وقرىء بالرفع خبر لمقدر ، ﴿فتعالى﴾ تعظم ﴿عما يشركون﴾ معه .

لما أعلم الله نبيه ﷺ بأنه منزل عذابه بالكفار اما في حياته أو بعد موته ، علمه كيفية الدعاء بالتخلص من عذابهم فقال :

٩٣ ﴿قل رب اما﴾ فيه ادغام نون «ان» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تريني ما يوعدون﴾ من العذاب هو صادق بالقتل ببدر .

٩٤ ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ فأهلك باهلاكهم .

٩٥ ﴿وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ وقد أراه في مواطن كثيرة .

ثم علمه تعالى الأخلاق الكريمة التي بها يقاد الخلق فقال :

٩٦ ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ اي الخصلة من الصفح والاعراض عنهم ﴿السيئة﴾ اذاهم اياك ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ اي يصفونك به لرد الناس عنك ، فاحسانك لهم بدل الاساءة يحسرهم في مقصودهم وتنجح أنت في ما أمرك الله به .

٩٧ ﴿وقل رب أعوذ﴾ اعتصم ﴿بك من همزات الشياطين﴾ نزغاتهم بما يوسوسون به .

٩٨ ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ الشياطين في اموري كلها لأنهم انما يحضرون بسوء ، والشياطين يكونون من الجن ومن الانس .

ثم بين تعالى أن حال الشياطين لا يتغير بوعظ .

٩٩ ﴿حتى اذا جاء احدهم الموت﴾ ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قال رب ارجعون﴾ الجمع للتعظيم ، ففيه اظهار للندم حيث لا ينفع .

١٠٠ ﴿لعلي أعمل صالحا﴾ بأن أشهد أن اله الا الله وأن محمدا رسول الله يكون ﴿فيما تركت﴾ ضيعت من عمري أي في مقابلته . قال تعالى : ﴿ كلا﴾ أي لا رجوع ﴿انها﴾ أي «رب ارجعون» ﴿ كلمة هو قائلها﴾ ولا فائدة له فيها ﴿ومن ورائهم﴾ أمامهم ﴿برزخ﴾ حاجز يصدهم عن الرجوع الى الدنيا . وأفرد المتكلم وان كان جميع الكفار يفعلون ذلك لان كل واحد منهم يطلب الرجوع الى الدنيا ﴿الى يوم يبعثون﴾ هو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا ، لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وأنما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة .

ثم فرع تعالى الكلام الى كيفية البعث وما سيكون حال الناس بعده فقال :

فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ
فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا
كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا
ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾
قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم
مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ
هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

١٠١ ﴿فاذا نفخ في الصور﴾ القرن النفخة الثانية فقام الناس للبعث ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ يتفاخرون بها ﴿ولا يتساءلون﴾ عنها خلاف حالهم في الدنيا ، لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة ، وفي بعضها يفيقون . وفي آية «فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون» .

١٠٢ ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالحسنات ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون .

١٠٣ ﴿ومن خفت موازينه﴾ بالسيئات ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ فهم ﴿في جهنم خالدون﴾ .

١٠٤ ﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقهم ﴿وهم فيها كالحون﴾ شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ، ويقال لهم :

١٠٥ ﴿ألم تكن آياتي﴾ من القرآن ﴿تتلى عليكم﴾ تخوفون بها ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ .

١٠٦ ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف ، وهما مصدران بمعنى ﴿وكنا قوما ضالين﴾ عن الهداية .

١٠٧ ﴿ربنا أخرجنا منها فان عدنا﴾ الى المخالفة ﴿فانا ظالمون﴾ .

١٠٨ ﴿قال﴾ لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين : ﴿اخسؤا فيها﴾ ابعدوا في النار أذلاء يقال : أخسأت الكلب إذا زجرته . ﴿ولا تكلمون﴾ في رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم .

١٠٩ ﴿انه كان فريق من عبادي﴾ هم المؤمنون يدعون و﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ .

١١٠ ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾ بكسر السين وقرىء بضمها ، مصدر بمعنى الهزء . واستهزأتم بهم ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم ، فهم سبب الانساء فنسب اليهم ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ .

١١١ ﴿اني جزيتهم اليوم﴾ النعيم المقيم ﴿بما صبروا﴾ على استهزائكم بها واذاكم اياهم ﴿أنهم﴾ قرىء بكسر الهمزة ﴿هم الفائزون﴾ بمطلوبهم ، استئناف وقرىء بفتحها : مفعول ثان «لجزيتهم» .

١١٢ ﴿قال﴾ تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة «قل» ﴿كم لبثتم في الأرض﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عدد سنين﴾ تمييز .

١١٣ ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ شكوا في ذلك لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فاسأل العادين﴾ اي الملائكة المحصين أعمال الخلق .

١١٤ ﴿قال﴾ تعالى بلسان مالك ، وفي قراءة «قل» : ﴿ان﴾ أي ما ﴿لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة الى لبثكم في النار.

١١٥ ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ لا لحكمة ﴿وانكم الينا لا ترجعون﴾ ؟ بالبناء للمفعول وقرىء للفاعل . والجواب «لا» بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا الينا ونجازي على ذلك ، «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» .

ثم عقب تعالى على مضمون السورة فقال :

١١٦ ﴿فتعالى الله﴾ أي تنزه الله عما لا يليق به من كفر الكفرة ﴿الملك الحق﴾ الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة واثابة وعقابا ﴿لا اله الا هو رب العرش الكريم﴾ أي فكيف بما تحته وما أحاط به من الموجودات كائنا ما كان ؟ ووصف العرش بالكرم اما لأنه منه الوحي الذي منه القرآن الكريم ، أو الخير والبركة والرحمة .

١١٧ ﴿ومن يدع مع الله الها آخر﴾ ليعبده ﴿لا برهان له به﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها . ﴿فانما حسابه﴾ جزاؤه ﴿عند ربه انه لا يفلح الكافرون﴾ أي لا يسعدون .

١١٨ ﴿وقل رب اغفر﴾ الذنب ﴿وارحم﴾ المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وانت خير الراحمين﴾ أفضل راحم .

ابتدأت السورة بصفات المؤمنين وختمت باستغفار لهم وترحم بهم ، واشتملت على تعليم العقيدة الصحيحة .

﴿ سورة النور مدنية ﴾

وهي ثنتان أو أربع وستون آية . وموضوعها الرئيسي : الأحكام الاجتماعية وآدابها .

قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

(٢٤) سُورَةُ النُّورِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ هذه ﴿سورة أنزلناها﴾ أنزلها الله مرة واحدة لشرف ما فيها من أحكام العفاف والستر وغيرها من الآداب ﴿وفرضناها﴾ مخففا وقرىء مشددا لكثرة الفروض فيها ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالات ﴿لعلكم تذكرون﴾ بادغام «التاء» الثانية في

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا
أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ

٤٥٧

«الذال» ، تتعظون بتنفيذ أحكامها فيما بينكم .

ثم شرع تعالى في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات فبدأ بحكم الزنا لأنه أشد فتنة في كل مجتمع انساني فقال :

٢ ﴿الزانية والزاني﴾ اي غير المحصنين و«ال» فيما ذكر موصولة ، وهو مبتدأ ، ولشبهه بالشرط دخلت «الفاء» في خبره وهو: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ أي ضربة ، يقال جلده أي ضرب جلده ، ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام . والرقيق على النصف مما ذكر. وقدمت المرأة في الزنا لأن شهوة الوقاع فيها أقوى منها في الرجل ، وأخرت في السرقة لأن الجسارة والجراءة فيه أقوى منها فيها . ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ أي حكمه بأن تتركوا شيئا من حدهما ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي يوم البعث . في هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه ، أو دال على جوابه ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي الجلد ﴿طائفة من المؤمنين﴾ أربعة لأنهما أقل عدد لشهود الزنا ، وقيل : ثلاثة لأنها أول عدد الجمع . وقيل اثنان لأنها شهادة على انفاذ الحد .

٣ ﴿الزاني لا ينكح﴾ يتزوج ﴿الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك﴾ أي المناسب لكل منهما ما ذكر لأن الغالب أن المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح ، والزانية لا لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الألفة والتضام ، والمخالفة سبب للنفرة والافتراق ﴿وحرم ذلك﴾ أي نكاح الزواني ﴿على المؤمنين﴾ الأخيار لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد. والتحريم للتنزيه والكراهة ، بدليل قوله تعالى بعد : «وانكحوا الأيامى منكم» .

ثم ذكر فيما يأتي حكم القذف فقال تعالى :

٤ ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ العفيفات بالزنا ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ أي على زناهن برؤيتهم ﴿فاجلدوهم﴾ أي كل واحد منهم ﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ في شيء ﴿أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ لاتيانهم الكبيرة .

٥ ﴿الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا﴾ عملهم ﴿فان الله غفور﴾ لهم قذفهم ﴿رحيم﴾ بهم بالهامهم التوبة ، فبها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم ، وقيل لا تقبل رجوعا بالاستثناء الى الجملة الاخيرة .

واتفق الائمة الأربعة على عدم رجوع الاستثناء الى الأولى وهي قوله «فاجلدوهم» فالقاذف يجلد عند الجميع سواء تاب أو لم يتب .

ثم انتقل الى حكم اللعان فقال :

٦ ﴿والـذين يرمون أزواجهم﴾ بالزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ عليه ﴿الا أنفسهم﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فشهادة أحدهم﴾ مبتدأ ﴿أربع شهادات﴾ نصب على المصدر ﴿بالله انه لمن الصادقين﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا .

مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ
أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ
أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ
لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم
مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو
عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ

٧ ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ في ذلك ، وخبر المبتدأ : تدفع عنه حد القذف .

٨ ﴿ويدرأ﴾ يدفع ﴿عنها العذاب﴾ أي حد الزنا الذي ثبت بشهاداته ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ فيما رماها به من الزنا .

٩ ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ في ذلك .

١٠ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بالستر في ذلك وغيره ﴿وان الله تواب﴾ بقبوله التوبة ممن تاب عن كل ذنب ، ﴿حكيم﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره وعاجل بالعقوبة من يستحقها بالحدود المتقدم تفصيلها .

ثم انتقل الى حديث الافك ، فقال تعالى : ٦

١١ ﴿ان الذين جاؤا بالإفك﴾ أسوأ الكذب على عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بقذفها ﴿عصبة منكم﴾ جماعة من المؤمنين . قالت عائشة في تعيين عدد اهل الافك : هم حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيدالله . ﴿لا تحسبوه﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شرا لكم﴾ لما أصابكم فيه ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتهم على الله بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم ، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم ، والثناء على من ظن بكم خيرا. واصل القصة قالت عائشة رضي الله عنها كان ذلك في غزوة ، تعني «غزوة المريسيع» وتسمى أيضا «غزوة بني المصطلق» قوم جويرية بنت الحرث بن أبي ضرار أم المؤمنين . فقالت عائشة : «وذلك بعد ما أنزل الحجاب فرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة ، فمشيت وقضيت شأني وأقبلت الى الرحل فاذا عقدي انقطع – هو بكسر المهملة: القلادة – فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي – هو ما يركب فيه – على بعيري يحسبونني فيه وكانت النساء خفافا انما يأكلن العلقة – هو بضم المهملة وسكون اللام – من الطعام – اي القليل – ووجدت عقدي وجئت بعدما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون الي . فغلبتني عيناي فنمت . وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فادلج – هما اي الفعلان : بتشديد الراء والدال أي نزل من آخر الليل للاستراحة – فسار منه فأصبح في منزله في منزل الجيش – فرأى سواد انسان نائم – أي شخصه – فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني – أي قوله : انا لله وانا اليه راجعون – فخمرت وجهي بجلبابي – أي غطيته بالملاءة – والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطىء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة – أي من أوغر : واقفين في مكان وغر من شدة الحر – فهلك من هلك في ، وكان الذي تولى كبره منهم عبدالله بن أبي بن سلول اهـ قولها» رواه الشيخان . قال تعالى : ﴿لكل امرىء منهم﴾ أي عليه ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ في ذلك ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه – وهو عبدالله بن أبي ﴿له عذاب عظيم﴾ هو النار في الآخرة .

١٢ ﴿لولا﴾ هلا ﴿اذ﴾ حين ﴿سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ أي ظن بعضهم ببعض ﴿خيرا وقالوا هذا افك مبين﴾ كذب بين ، فيه التفات عن الخطاب ، اي ظننتم أيها العصبة وقلتم .

١٣ ﴿لولا﴾ هلا ﴿جاءوا﴾ أي العصبة ﴿عليه باربعة

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ
بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ
ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن
نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ
ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ
بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ

شهداء﴾ شاهدوه ﴿فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله﴾ أي في حكمه ﴿هم الكاذبون﴾ فيه .

١٤ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم﴾ أيها العصبة أي خضتم ﴿فيه عذاب عظيم﴾ في الآخرة .

١٥ ﴿اذ تلقونه بالسنتكم﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض ، وحذف من الفعل احدى التاءين ، و« اذ » منصوب « بمسكم » أو بـ« أفضتم » ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا﴾ لا اثم فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ في الاثم .

١٦ ﴿ولولا﴾ هلا ﴿اذ﴾ حين ﴿سمعتموه قلتم ما يكون﴾ ما ينبغي ﴿لنا أن نتكلم بهذا سبحانك﴾ هو للتعجيب هنا ﴿هذا بهتان﴾ كذب ﴿عظيم﴾ .

١٧ ﴿يعظكم الله﴾ ينهاكم ﴿أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين﴾ تتعظون بذلك .

١٨ ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ في الأمر والنهي ﴿والله عليم﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حكيم﴾ فيه .

١٩ ﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ باللسان ﴿في الذين آمنوا﴾ بنسبتها اليهم وهم العصبة ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ بالحد للقذف ﴿والآخرة﴾ بالنار لمن مات ولم يتب الى الله لأن الحدود جوابر للذنب المحدود به كالقذف ، وأما ذنب الاقدام اليه فلا يكفره الا التوبة أو عفو الله . ﴿والله يعلم﴾ انتفاءها عنهم ﴿وأنتم﴾ أيها العصبة ﴿لا تعلمون﴾ وجودها فيهم .

٢٠ ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ أيها العصبة ﴿ورحمته وان الله رؤف رحيم﴾ بكم لعاجلكم بالعقوبة .

٢١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات﴾ طرق ﴿الشيطان﴾ أي تزيينه ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه﴾ أي المتبع ﴿يأمر بالفحشاء﴾ أي القبيح ﴿والمنكر﴾ شرعا باتباعها ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم﴾ أيها العصبة بما قلتم من الافك ﴿من أحد أبدا﴾ أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة ﴿ولكن الله يزكي﴾ يطهر ﴿من يشاء﴾ من ذنب بقبول توبة منه ، ﴿والله سميع﴾ بما قلتم ﴿عليم﴾ بما قصدتم .

ومثل هذه القصة يمكن أن تقع في كل حين ومكان ، ويمكن ان تسبب قطع بعض المنافع بين القاذف وأهله وبين المقذوف وأهله ، مثل ما حصل في أبي بكر صاحب النبي ﷺ ووالد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما ، اذ حلف ان لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته وهو مسكين مهاجر بدري ، لما خاض في الافك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة ، أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشي من الافك ، فنبه الله تعالى أن النفس الكريمة تعفو عمن ظلمها وأجرها على الله في ذلك فقال :

٢٢ ﴿ولا يأتل﴾ يحلف ﴿اولو الفضل منكم والسعة أن﴾ لا ﴿يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ فلا يقطعوا أعمالهم الخيرية نحو من ظلمهم ، اذ لم يكونوا يعملونها الا لله ، وفي رفع كلمة الله بمساعدة أهل الله المهاجرين الفقراء ﴿وليعفوا﴾ عنهم ويتجاوزوا عن الجاني ﴿وليصفحوا﴾ عنهم في ذلك ، بان يعفوا عن ذلك ويتناسوا جرمهم ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ للمؤمنين ؟ ولما سمع أبو بكر رضي الله عنه ذلك قال : بلى أنا أحب أن يغفر الله لي وأرجع الى مسطح ما كان ينفقه عليه ، وهكذا باقي المؤمنين رجعوا عما عزموا عليه من منع الصدقات لاصحاب الافك . ليكون ذلك أسوة وقدوة لمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين .

ثم عقب تعالى على قصة الافك بتحذيرات عامة وعقوبات شاملة على من يرتكب مثل هذه الجرائم نحو الحرائر المؤمنات ، فقال :

٢٣ ﴿ان الذين يرمون﴾ بالزنا ﴿المحصنات﴾ العفائف ﴿الغافلات﴾ عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿المؤمنات﴾ بالله ورسوله ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ .

٢٤ ﴿يوم﴾ ناصبه الاستقرار الذي تعلق به «لهم» . ﴿تشهد﴾ بالفوقانية وقرىء بالتحتية ﴿عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ من قول وفعل وهو يوم القيامة .

٢٥ ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ يجازيهم جزاءهم

مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾
يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ
لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ
مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

الواجب عليهم ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ حيث حقق لهم جزاءهم الذي كانوا يشكون فيه . ومنهم عبدالله بن أبي ومن يحذو حذوه ، والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ . ولا يقال المقذوف من أزواجه ﷺ واحدة منهن . فقد جمع المحصنات والجواب أن من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله ﷺ .

ثم ذكر تعالى قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن لله تعالى ملكا يسوق الأهل الى أهلها فقال :

٢٦ ﴿الخبيثات﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿للخبيثين﴾ من الناس ﴿والخبيثون﴾ من الناس ﴿للخبيثات﴾ مما ذكر. ﴿والطيبات﴾ مما ذكر ﴿للطيبين﴾ من الناس ﴿والطيبون﴾ منهم ﴿للطيبات﴾ مما ذكر. أي اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله . ﴿أولئك﴾ الطيبون والطيبات من النساء ومنهم عائشة وهي أطيب

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ
تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ
يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ
لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ
أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ
أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ
مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ

٤٦١

الطيبات اذ اختارها الله لأطيب الطيبين محمد رسول الله ﷺ ، وبنت أطيب الناس بعد الرسل عليهم السلام وخيرة خير القرون فلا يليق بها الا أطيب الكلام وأطيب العمل ، وكذلك صفوان بن المعطل السلمي ، وكان صاحب ساقة رسول الله ﷺ لشجاعته وأمانته ، وكان اذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فما سقط منهم شيء الا حمله حتى يأتي به أصحابه ، فلا يليق به الا الطيب من الكلام والعمل ﴿مبرؤن مما يقولون﴾ أي الخبيثون والخبيثات فيهم ﴿لهم﴾ للطيبين من الرجال والطيبات من النساء ﴿مغفرة ورزق كريم﴾ في الدنيا بالتبرئة وفي الآخرة بالجنة . وقد افتخرت عائشة باشياء منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما .

لما فصل تعالى الزواجر عن الزنا ورمي العفائف شرع في تفسير الزواجر عما عساه أن يؤدي اليه من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات ، وتعليم الآداب الجميلة . فبدأ بأدب دخول البيوت فقال :

٢٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ أي تستأذنوا ﴿وتسلموا على أهلها﴾ فيقول الواحد : السلام عليكم أأدخل .. كما في الحديث ﴿ذلكم خير لكم﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لعلكم تذكرون﴾ بادغام «التاء» الثانية في «الذال» أي تذكرون خيريته فتعملون به .

٢٨ ، ﴿فان لم تجدوا فيها أحدا﴾ يأذن لكم ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم﴾ بعد الاستئذان ﴿ارجعوا فارجعوا هو﴾ أي الرجوع ﴿أزكى﴾ أي خير ﴿لكم﴾ من القعود على الباب ﴿والله بما تعملون﴾ من الدخول باذن وغير اذن ﴿عليم﴾ فيجازيكم عليه .

٢٩ ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع﴾ أي منفعة ﴿لكم﴾ باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة ﴿والله يعلم ما تبدون﴾ تظهرون ﴿وما تكتمون﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم من صلاح أو غيره ، وسيأتي أنهم اذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم .

ثم شرع تعالى بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا أوليا فقال :

٣٠ ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ذلك أزكى﴾ أي خير ﴿لهم ان الله خبير بما يصنعون﴾ بالابصار والفروج فيجازيهم عليه .

٣١ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿ويحفظن فروجهن﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿ولا يبدين﴾ يظهرن ﴿زينتهن الا ما ظهر منها﴾ وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي ان لم يخف فتنة في أحد وجهين ، والثاني : يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب . ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدر بالمقانع ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿الا لبعولتهن﴾ جمع بعل أي زوج ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن﴾ فيجوز لهم نظر ما يحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن : « الكافرات » فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن لأنهن لسن من نساء المسلمات ولأن الكافرة ربما تحكي المسلمة للكافر الا ما يبدو عند المهنة . ويجوز للمسلمة ان تكشف لمسلمة ما عدا ما بين السرة والركبة فلا يجوز نظره لغير الزوج وشمل « ما ملكت أيمانهن » العبيد ﴿أو التابعين﴾ في فضول الطعام ﴿غير﴾ بالجر صفة ، وقرىء بالنصب استثناء ﴿أولي الإربة﴾ أصحاب الحاجة الى النساء ﴿من الرجال﴾ بأن لم ينتشر ذكره كالشيخ الفاني الهرم ، والمجبوب ومن لا يستطيع غشيان النساء بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين ﴿أو الطفل﴾ بمعنى الأطفال ﴿الذين لم يظهروا﴾ يطلعوا ﴿على عورات النساء﴾ للجماع ، فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة . ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ من خلخال يتقعقع ﴿وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لعلكم تفلحون﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه ، وفي الآية تغليب الذكور على الاناث .

أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ
أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ
ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ
لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ
وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ
يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ
ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ
ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ

ثم التفت تعالى بالخطاب للاولياء والسادة فقال :

٣٢ ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا ، ومن ليس له زوج . وهذا في الأحرار والحرائر ﴿والصالحين﴾ أي المؤمنين ﴿من عبادكم وامائكم﴾ وعباد من جموع عبد والمراد بالصلاح أن لا تكون صغيرة لا تحتاج الى النكاح . وظاهر الآية يدل على ان العبد لا يتزوج بنفسه وانما يتولى تزويجه سيده . ولكن ثبت بالدليل انه اذا أمره بأن يتزوج جاز له أن يتولى تزويج نفسه . وأما الأمة فلا تتولى زواج نفسها اذ لا يجوز نكاح بلا ولي . ﴿ان يكونوا﴾ أي الأحرار ﴿فقراء يغنهم الله﴾ بالتزوج ﴿من فضله والله واسع﴾ لخلقه ﴿عليم﴾ بهم . والمعنى : لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة ، فان فضل الله يغني عن المال فإنه غاد ورائح . أو وعد من الله بالاغناء لقوله عليه الصلاة والسلام : « اطلبوا الغنى بالزواج » . لكنه مشروط بالمشيئة لقوله تعالى « وان خفتم علية فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء » .

تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ
مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾
فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُۥ يُسَبِّحُ
لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ

٣٣ ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا ويجتهدوا في طلب العفة بتحصيل أسبابها وقهر النفس عن تحمل مشاق الشهوة ﴿حتى يغنيهم الله﴾ يوسع عليهم ﴿من فضله﴾ فينكحوا . ومن التجأ الى الله فان الله يغنيه . ثم أشار تعالى الى استحباب مكاتبة العبيد ليعتقوا فقال : ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ بمعنى المكاتبة ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والإماء ﴿فكاتبوهم﴾ أي عاقدوهم الكتاب سميت «مكاتبة» لأن السيد كتب على نفسه العتق ، والعبد كتب على نفسه النجوم ﴿ان علمتم فيهم خيراً﴾ أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة . وصيغتها مثلا : كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فاذا أديتهما فأنت حر . فيقول العبد : قبلت . ﴿وآتوهم﴾ ايها السادة ﴿من مال الله الذي آتاكم﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم . والأمر للوجوب وفي معنى الايتاء حط شيء مما التزموه . ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ اي اماءكم ﴿على البغاء﴾ أي الزنا ﴿ان أردن تحصناً﴾ تعففاً عنه ، وهذه الارادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط اذ الاكراه على الزنا حرام وان لم يردن التحصن . نعم فائدته في الآية المبالغة في النهي عن الاكراه . يعني أنهن اذا اردن العفة فالسيد أحق بارادتها فلا يكرههن بتركهن على عادتهن المستمرة من وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح . فاذا منعها عن الزواج فقد أكرهها على الزنا ﴿لتبتغوا﴾ بمنعهن من الزواج وهو في معنى الاكراه ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ اي الكسب بعملهن لكم ﴿ومن يكرههن﴾ يتحمل اثمهن حتى يتوب فان تاب عن الاكراه ﴿فان الله من بعد اكراههن غفور﴾ لهن ﴿رحيم﴾ بهن .

ثم عقب تعالى عن الأحكام المتقدمة فقال :

٣٤ ﴿ولقد أنزلنا اليكم﴾ يا أمة محمد ﴿آيات مبينات﴾ بكسر الياء وقرىء بفتحها ، في هذه السورة بينة واضحة تصدقها الكتب المتقدمة أو بين فيها ما ذكر من الأحكام ﴿ومثلاً﴾ خبراً عجيباً وهو خبر عائشة ، ﴿من الذين خلوا من قبلكم﴾ اي من جنس أمثالهم أي أخبارهم العجيبة الغريبة كخبر يوسف ومريم ﴿وموعظة للمتقين﴾ في قوله «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله» وقوله : «لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ..» و«لولا اذ سمعتموه قلتم الخ .. يعظكم الله أن تعودوا .. الى آخر الآية» . وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن : «فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله» .

ثم ان الأحكام التي بينها الله في هذه السورة وغيرها هي نور الله وهداه الذي يستضيء به العالم في معاملاته . وفيما يأتي بيان ذلك النور قال تعالى :

٣٥ ﴿الله نور السموات والأرض﴾ أي منورهما بالنور الحسي من نحو الكواكب ، والمعنوي من الملائكة والأنبياء . اي الله هادي من فيهما بما يرشد البصر والبصيرة . ﴿مثل نوره﴾ أي صفته في قلب المومن ﴿كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾ هي القنديل والمصباح السراج أي الفتيلة الموقدة والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل – ﴿الزجاجة كأنها﴾ والنور فيها ﴿كوكب دري﴾ بضم الدال وتشديد الياء . منسوب الى الدر اللؤلؤ أي المضيء ، وقرىء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعها الظلام . ﴿يوقد﴾ مضارع أوقد فبنيا للمفعول بالتحتانية وقرىء توقد بالفوقانية أي الزجاجة ، وفي قراءة أخرى توقد المصباح بالماضي ﴿من﴾ زيت ﴿شجرة مباركة زيتونة﴾ قال ابن

عباس : في الزيتون منافع يسرج بزيته وهو إدام ودهان ودباغ ووقود يوقد بحطبه وثفله وليس فيه شيء الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم ، وهو أول شجرة نبتت في الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ، ونبتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة ، منهم : محمد ﷺ فانه قال مرتين : «اللهم بارك في الزيت والزيتون» ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ لصفائه ﴿نور﴾ به ﴿على نور﴾ بالنار، ونور الله أي هداه للمؤمن نور على نور الايمان . ﴿يهدي الله لنوره﴾ أي دين الاسلام ﴿من يشاء ويضرب﴾ يبين ﴿الله الأمثال للناس﴾ تقريبا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿والله بكل شيء عليم﴾ منه ضرب الأمثال بقدر فهم العقول .

ثم وصف تعالى موضع المشكاة التي يخرج منها نوره فقال :

٣٦ ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ فهي المساجد وما تفرع منها وهي المدارس . كانت المساجد لكل نوع من الطاعة : الصلاة والتعليم والتسبيح والتحميد . والقضاء فقوله تعالى : «أذن الله أن ترفع» أي أمر الله أن تعظم بالبناء والتقديس ولا يذكر فيها الفحش ولا يفعل فيها المنكر ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ بتوحيده في الذات والصفات والأفعال ﴿يسبح﴾ بكسر الموحدة وقرىء بفتحها أي يصلي ويعبد ﴿له فيها بالغدو﴾ بمعنى الغدوات ، أي البكر جمع بكرة ﴿والآصال﴾ العشايا من بعد الزوال .

٣٧ ﴿رجال﴾ فاعل «يسبح» بكسر الباء ، وعلى فتحها نائب الفاعل له تعالى ، و«رجال» فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : من يسبحه ؟ فقيل : «رجال» . ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ معاملة من العقود ﴿ولا بيع﴾ عطف خاص على عام لكثرة الاشتغال فيه وكثرة وقوعه بين الناس ﴿عن ذكر الله﴾ فيما يعملونه وأحكامه تعالى فيه ﴿و﴾ عن ﴿اقام الصلاة﴾ حذف هاء «اقامة» تخفيف ﴿وايتاء الزكاة﴾ اي العبادة البدنية والمالية ﴿يخافون يوما تتقلب﴾ تضطرب ﴿فيه القلوب والأبصار﴾ من الخوف : القلوب بين النجاة والهلاك ، والابصار بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة .

٣٨ ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا﴾ أي ثوابه . و«أحسن» بمعنى أحسن جزاء مما يستحقون بعملهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ويزيدهم على ثواب أعمالهم على غير مقابل ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ يقال : فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه . أي فأهل الله يعملون و يهتدون في أعمالهم بهدي الله ، فتستقيم لهم أحوالهم ويربحون في معاملاتهم الدنيوية وينجون من عذاب الله ويفلحون بالجنة في الآخرة .

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ
كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ
مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ
لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ
صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

٤٦٤

وبعد ذكر المؤمنين العاملين بهدى الله تعالى ، ذكر تعالى فيما يأتي الفريق الآخر وهم الكفار فقال :

٣٩ ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ جمع قاع أي فلاة وهي شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يحسبه﴾ يظنه ﴿الظمآن﴾ أي العطشان ﴿ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا﴾ مما حسبه . وكذلك أعمال الكفار ليست بشيء لأنها ما وضعت على أسس شرعية متينة ، فليس لها قرار ولا ربح لتجارتهم ولا لبيعهم اذ لم يذكروا فيها اسم الله ، وضلوا الطريق اذ لم يهتدوا بنور الله ، ولم يجدوا ثواب اعمالهم اذ لم يعملوها لأحد يمكن أن يثيبهم عنها ، فضاعت عنهم في وقت هم فيه أشد حاجة اليها في غيره ، مثل العطشان عند السراب وقد جاءه يظنه ماء فاذا هو خيال وليس بشيء ﴿ووجد الله عنده﴾ عند السراب وقد منعه الله من الذهاب اليه وامره أن يتبع طريق

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن
جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن
مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ
اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ
بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ
أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾
لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُولَٰٓئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ

٤٦٥

الماء فأبى أن يطيع ﴿فوفاه حسابه﴾ من اللوم بأن يقول له : قد دللتك على طريق الماء فأبيت الا طريق السراب فوصلت اليه وأنت عطشان ووجدته خيالا لا ماء ، ثم لا يوجد لك طريق للرجوع الى الماء فما لك الا أن تموت عطشا . ﴿والله سريع الحساب﴾ المجازاة بالعقوبة لمن عصاه ولا يؤخره لأن جزاء سيئة سيئة مثلها..

٤٠ ﴿أو﴾ الذين كفروا أعمالهم ، لعدم اهتدائهم بنور الله في انجازها ، فاسدة وباطلة . ﴿كظلمات في بحر لجي﴾ عميق ﴿يغشاه موج من فوقه﴾ أي الموج ﴿موج من فوقه﴾ أي الموج الثاني ﴿سحاب﴾ أي غيم فتراكمت ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الموج الثاني وظلمة السحاب ﴿اذا أخرج﴾ الناظر ﴿يده﴾ في هذه الظلمات ﴿لم يكد يراها﴾ أي لم يقرب من رؤيتها ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ أي من لم يهتد بنور الله ويمتثل أوامره وينتهي عن نواهيه فلا هادي له ، فلا يرى طريقا للوصول الى مقصوده .

ثم فرع تعالى عما تقدم أن من اتبع هدى الله هو المهتدي الرابح في تجارته ، ومن حاد عن نور الله هو الضال الخاسر في عمله ، بأمثال تدل على أن الأمور كلها تدور بنظام الهي ولا تخالفه فلا تضل عن طريقها فقال :

٤١ ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات ومن في الارض﴾ ومن التسبيح صلاة المؤمنين طوعا وللكفار كرها ، أو المؤمنون يسبحون الله وعنهم عبر « بمن » التي تدل على العاقل أو العقلاء ، والكفار ليسوا عقلاء فهم خارجون عن المسبحين فكأنه يقول : اذا أبى غير العقلاء من الناس أن يسبحوا الله ويهتدوا بنوره فلا يضرون الا أنفسهم فهناك من يسبح له تعالى من العقلاء في السموات والارض ولا يحصيهم الا الله ﴿والطير﴾ جمع طائر ، بين السماء والارض ﴿صافات﴾ حال ، باسطات اجنحتهن ﴿كل قد علم﴾ الله ﴿صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾ فيه تغليب العاقل .

٤٢ ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ كل ما فيهما ملكه ، ولا يخرج شيء من ملكه ﴿والى الله المصير﴾ المرجع فيجازي المطيع بالثواب والعاصي بما يستحق من العقاب .

والاشياء التي لا روح لها تسبحه تعالى بكونها تجري على النظام ، وهو قوله تعالى :

٤٣ ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا﴾ يسوقه برفق ﴿ثم يؤلف بينه﴾ يضم بعضه الى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثم يجعله ركاما﴾ بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ مخارجه ﴿وينزل من السماء من﴾ زائدة ﴿جبال فيها﴾ في السماء باعادة الجار ﴿من برد﴾ أي بعضه ﴿فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد﴾ يقرب ﴿سنا برقه﴾ لمعانه ﴿يذهب بالأبصار﴾ الناظرة له أي يخطفها .

٤٤ ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ أي يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿ان في ذلـك﴾ التقليب ﴿لعبرة﴾ دلالة ﴿لأولي الأبصار﴾ لاصحاب البصائر على قدرة الله تعالى وملكه ما في السموات والارض ، وكلها تسير على نظام وتسبحه تعالى :

٤٥ ﴿والله خلق كل دابة﴾ أي حيوان ﴿من ماء﴾ أي نطفة ، كما خلق الملائكة من النور والجن من النار وآدم من طين ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والهوام أي يزحف واستعمال « من » للتغليب ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالانسان والطير والنعام ﴿ومنهم من يمشي على اربع﴾ كالبهائم والانعام ، ومنهم من يمشي على أكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأم أربع

وأربعين وانما لم يذكر هذا القسم اما لندوره أو لأنه عند المشي يعتمد على أربع فقط ، أو لدخوله في قوله ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ مما ذكر وما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ . من ذلك ما ذكر ليبين للناس أن الأحكام التي شرعها لهم انما هي لفائدة أنفسهم ، ليجيزهم بها في الدنيا والآخرة .

ثم عقب على ذلك فقال .

٤٦ ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي بينات ، هي القرآن فيه أحكام ظاهرة واضحة لتدركها العقول السليمة للهداية . ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ﴿الى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ أي دين الاسلام المشتمل على ما فيه صلاح الدين والدنيا .

لما بين تعالى أنه يهدي من يشاء هدايته شرع يبين أن من لم يرد الله هدايته لا يهتدي وان ظهر له الحق وأقر باللسان أنه مسلم ، ولا يدخل الايمان في قلبه ويبقى منافقا ، فذكر بعض صفات النفاق فقال :

٤٧ ﴿ويقولون﴾ أي المنافقون ﴿آمنا﴾ صدقنا ﴿بالله﴾ بتوحيده ﴿وبالرسول﴾ محمد ﴿وأطعنا﴾ هما فيما حكما به ﴿ثم يتولى﴾ يعرض ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ عنه ﴿وما أولئك﴾ المعرضون عن حكم الله ﴿بالمؤمنين﴾ المعهودين لموافقة قلوبهم لألسنتهم .

٤٨ ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله﴾ المبلغ عنه ﴿ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون﴾ عن المجيء اليه ، وهذا اذا كان الحكم عليه بدليل قوله :

٤٩ ﴿وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين﴾ مسرعين طائعين .

٥٠ ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ كفر ﴿أم ارتابوا﴾ أي شكوا في نبوته ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في الحكم أي فيظلموا فيه ؟ ، لا ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ بالاعراض عنه .

٥١ ﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ فالقول اللائق بهم ﴿ان يقولوا سمعنا واطعنا﴾ بالاجابة ﴿وأولئك﴾ حينئذ ﴿هم المفلحون﴾ الناجحون .

٥٢ ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما يأمره به ﴿ويخش الله﴾ يخافه ﴿ويتقه﴾ بكسر الها وقرىء بسكونها ، بأن يطيعه فيما يحكم به له أو عليه ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ الرابحون في تجارتهم في الدنيا والناجون من النار بدخول الجنة في الآخرة .

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ
الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ
ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ
أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل
لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

ومن صفات المنافقين عدم الطاعة فعلا في الخروج الى الجهاد .

٥٣ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ غايتها ﴿لئن أمرتهم﴾ بالجهاد ﴿ليخرجن قل﴾ لهم ﴿لا تقسموا﴾ طاعتكم ﴿طاعة معروفة﴾ للنبي فهي باللسان دون العمل ﴿ان الله خبير بما يعملون﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل .

٥٤ ﴿قل أطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا﴾ عن طاعته ، بحذف احدى التاءين خطاب لهم ﴿فانما عليه ما حمل﴾ من التبليغ ﴿وعليكم ما حملتم﴾ من طاعته ﴿وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الى البلاغ المبين﴾ أي التبليغ البين .

ثم ذكر تعالى فيما يأتي جزاء المطيعين في الدنيا وجزاء من كفر فقال :

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟
ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ
ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ
طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ

٥٥ - ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ أي اطاعوا أمر الله بالامتثال ﴿ليستخلفنهم في الارض﴾ بدلا عن الكفار ﴿كما استخلف﴾ بالبناء للفاعل وقرىء للمفعول. ﴿الذين من قبلهم﴾ من بني اسرائيل بدلا عن الجبابرة ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ وهو الاسلام بأن يظهره على جميع الآديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ﴿وليبدلنهم﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿من بعد خوفهم﴾ من الكفار ﴿أمنا﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر، وجعله وعدا مستمرا لمن يأتي بعد الصحابة الى يوم القيامة. وأثنى على المطيعين أيضا بقوله: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ هو مستأنف في حكم التعليل ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ الانعام منهم به ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن الطاعة المستحقون بدل النعمة النقمة والاستخلاف بالذل. وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخوانا.

ثم أمرهم الله تعالى بما يسد الفتنة ان قامت بينهم فقال:

٥٦ - ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ أي رجاء الرحمة فتزيل عنكم الفتنة بالعمل الصالح من الصلاة والزكاة اذ به تطمئن القلوب وتذكر الله وتتعظ عما نهاها الله عنه، وبطاعة الرسول فيما اختلفوا فيه، بذلك تتلاشى المخالفات والأهواء وترجع الألفة والتسامح.

٥٧ - ﴿لا تحسبن﴾ بالفوقانية أي أيها المخاطب، وقرىء بالتحتانية والفاعل الرسول ﴿الذين كفروا معجزين﴾ لنا ﴿في الأرض﴾ بأن يفوتونا ولا نعذبهم بالذل في الحياة الدنيا بتركهم طاعتنا، بل نعذبهم ﴿ومأواهم﴾ مرجعهم ﴿النار ولبئس المصير﴾ المرجع هي.

وبعد بيان أن أحكام الله نور في الأرض والسماء واتباعها هو الهدى المنجي، وأن الأهواء ظلمات واتباعها ضلال يؤدي الى الدمار، رجع السياق الى موضوع السورة من بيان تلك الأحكام والآداب الاجتماعية فقال تعالى:

٥٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والاماء ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ من الاحرار وعرفوا أمر النساء ﴿ثلاث مرات﴾ في ثلاث أوقات ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ أي وقت الظهر ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ بالنصب ظرف أي بتقدير «أوقات» منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف اليه مقامه . وقرىء بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف ، وقام المضاف اليه مقامه أي : هي أوقات . وهي لالقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي المماليك والصبيان ﴿جناح﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بعدهن﴾ أي بعد الأوقات الثلاثة . هم ﴿طوافون عليكم﴾ للخدمة ﴿بعضكم﴾ طائف ﴿على بعض﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كذلك﴾ كما بين ما ذكر ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ أي الأحكام ﴿والله عليم﴾ بأمور خلقه ﴿حكيم﴾ بما دبره لهم . وآية الاستئذان في الخدم والمماليك والأولاد الصغار .

٥٩ ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم﴾ ايها الأحرار ﴿الحلم فليستأذنوا﴾ في جميع الاوقات ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ أي الاحرار الكبار ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ . أي ان أحكامه تعالى وضحها لكم بالعلم والحكمة التي تقتضي لكم مصلحة في مجتمعكم الاسلامي .

ثم استثنى من النساء من يخفف لهن في أمر التستر فقال تعالى :

٦٠ ﴿والقواعد من النساء﴾ قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ لذلك ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار ﴿غير متبرجات﴾ مظهرات ﴿بزينة﴾ خفية كقلادة وسوار وخلخال ﴿وأن يستعففن﴾ بأن لا يضعنها ﴿خير لهن﴾ في دينهن من وضعها اذ لكل ساقط لاقط ، وسد الذريعة أحسن ﴿والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بما في قلوبكم . فيه تهديد شديد لمن يريد ان يخالف أمر الله ولو في خلوة .

ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ
ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ
مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ
أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ
خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم

بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة
كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون (٦١)
إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا
معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه إن الذين
يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا
استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر
لهم الله إن الله غفور رحيم (٦٢) لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم
فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣) ألا إن لله ما في السموات
والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه
فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)

٤٦٩

٦١ ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ ضيق في طلب مساعدة ، من الطعام وغيره مما يحتاجون اليه ولا يستطيعون أن يحصلوه بكسبهم ، ممن عسى أن يساعدهم من أغنياء المجتمع بالمعروف ﴿ولا﴾ حرج ﴿على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي بيوت أولادكم ﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيو ت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه﴾ أي خزنتموه لغيركم ، قال ابن عباس : عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر . ﴿أو صديقكم﴾ وهو من صدقكم في مودته ، والصديق يطلق على الواحد والجمع . المعنى : يجوز الأكل من بيوت من ذكر من هؤلاء الأصناف الاحد عشر وان لم يحضروا اذا لم يعلم بعدم رضاهم . وخصوا بالذكر لأن العادة جارية بالتبسط بينهم ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا﴾ أي مجتمعين ﴿أو اشتاتا﴾ متفرقين جمع شت ، وهذا تخفيف لمن تحرج أن يأكل وحده واذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿فاذا دخلتم بيوتا﴾ لكم أو لغيركم ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أي قولوا : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فان الملائكة ترد عليكم . وان كان أهل فسلموا عليهم ، وهذا السلام هو ما يدور بين الناس في كل مجلس اجتمع فيه الناس يسلم بعضهم على بعض ﴿تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ يثاب عليها ﴿كذلك﴾ اي كما بين لكم ما تقدم ذكره من الاحكام والرخص فيها ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ أي يفصل لكم معالم دينكم ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تفهموا ذلك .

ومن آداب المجتمع احترام الرئاسة في كل أمر جماعي والطاعة لها في غير معصية الله ، وذلك من الايمان كما قال تعالى :

٦٢ ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه﴾ أي الرسول ﴿على أمر جامع﴾ كل أمر يقتضي مشاركة المجتمع فيه من عمل أو مشورة ﴿لم يذهبوا﴾ عنه لعروض عذر لهم ﴿حتى يستأذنوه﴾ الرسول أو من يقوم مقامه في رئاسة المجتمع تعظيما وتفخيما لهذا الأمر ﴿ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك﴾ أيها الرسول أو من يقوم مقامك ﴿لبعض شأنهم﴾ أمرهم في مثل هذه الأحوال ﴿فاذن لمن شئت منهم﴾ بالانصراف ﴿واستغفر لهم الله ان الله غفور﴾ لهم ولك ﴿رحيم﴾ بكم جميعا . فلذلك أرشد كلا منكم الى ما هو أصلح منه حتى يكون المجتمع على نظام طيب، متين العرى والثقة فيما بين جنسه .

ومن آداب المجتمع الاسلامي احترام شخصية الرئيس فيه . فالنبي ﷺ أول رئيس فما جرى في حقه وجوبا يجزي في كل رئيس بعده ندبا ، قال الله تعالى :

٦٣ ﴿لا تجعلوا﴾ أيها المؤمنون ﴿دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ بأن تقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت ، فلا تقولوا : يا محمد أو يا أبا القاسم مثل ما يدعو بعضكم بعضا . أو اذا دعاكم الى أمر أجيبوه ولا تتباطأوا في الاجابة كما يفعل بعضكم لبعض أو حافظوا على رضاه حتى لا يسخط فيدعو عليكم فيجاب له دعاءه وليس ذلك في مصالحكم ، فلذلك دعا الرسول ﷺ ربه فقال : «اللهم أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا أو قربة تقربه بها اليك يوم القيامة» شفقة منه ﷺ وخوفا أن يهلك أحد من أمته بدعائه عليه . ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا﴾ أي يخرجون من محل العمل الجماعي من غير استئذان خفية مستترين بشيء . وقد للتحقيق . ثم عقب تعالى تعقيبا شاملا لجميع شؤون

(٢٥) سورة الفرقان مكية
وآياتها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

الأمة الاسلامية فقال : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي الله ورسوله ﴿ان تصيبهم فتنة﴾ بلاء ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الآخرة .

٦٤ ﴿ألا﴾ للتنبيه ﴿ان لله ما في السموات والارض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا وأنتم من ضمن ذلك ﴿قد يعلم ما أنتم﴾ أيها المكلفون ﴿عليه﴾ من الايمان والنفاق والكفر والطاعة والعصيان وما حدد لكم من الأحكام والأداب وانما هي لمصلحتكم، ﴿و﴾ يعلم ﴿يوم يرجعون اليه﴾ فيه التفات عن الخطاب لفائدة الشمول أي متى يكون يوم الرجوع اليه ﴿فينبئهم﴾ فيه ﴿بما عملوا﴾ من الخير والشر ﴿والله بكل شيء﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾ ، يجري أعماله تعالى على مقتضى علمه وارادته ، فكل ما فرض في السورة لكم فانما فرضه على علم وحكمة اقتضت ذلك .

﴿ سورة الفرقان مكية ﴾

هي سبع وسبعون آية وموضوعها الرئيسي : التوحيد وأحوال العباد المؤمنين والكافرين .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿تبارك الذي نزل الفرقان﴾ أي تكاثرت الفوائد والمنافع من الذي نزل القرآن ، وسمي القرآن كذلك لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿على عبده﴾ محمد ﴿ليكون للعالمين﴾ أي الانس والجن دون الملائكة ﴿نذيرا﴾ مخوفا من عذاب الله .

٢ ﴿الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء﴾ من شأنه أن يخلق ﴿فقدره تقديرا﴾ سواه تسوية .

٣ ﴿واتخذوا﴾ أي الكفار ﴿من دونه﴾ أي الله ، أي غيره ﴿آلهة﴾ هي الأصنام وغيرها من المعبودات ﴿لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا﴾ أي دفعه ﴿ولا نفعا﴾ أي جره ﴿ولا يملكون موتا ولا حيوة﴾ أي اماتة لاحد واحياء لأحد ﴿ولا نشورا﴾ أي بعثا للاموات أي : فالله هو الاله الحق الذي يملك الموت والحياة ويدفع الضر ويجلب النفع لمن أطاعه ووحده المخصوص بالعبادة .

وشرع تعالى في بيان أحوال الكفار وحكاية أباطيلهم بالمنزل والمنزل عليه معا ، وابطالها فقال :

٤ ﴿وقال الذين كفروا ان هذا﴾ القرآن ﴿الا افك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ محمد ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ وهم من أهل الكتاب ، قال تعالى : ﴿فقد جاءوا ظلما وزورا﴾ كفرا وكذبا أي بهما بجعل المعجز افكا مختلقا ، «وقد» لتحقيق ما جاءوا به من الظلم والزور .

ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ
ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ
وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ
نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ
مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾

٥ ﴿وقالوا﴾ أيضا هو ﴿أساطير الأولين﴾ اكاذيبهم ، جمع أسطورة بالضم ﴿اكتتبها﴾ انتسخها أي أمر غيره بكتابتها ونسخها من اولئك القوم ﴿فهي تملى﴾ تقرأ ﴿عليه﴾ ليحفظها ﴿بكرة وأصيلا﴾ غدوة وعشيا ، قال تعالى ردا عليهم :

٦ ﴿قل أنزله الذي يعلم السر﴾ الغيب ﴿في السموات والأرض انه كان غفورا﴾ للمؤمنين ﴿رحيما﴾ بهم وأخر عقبوتكم ولم يعاجلكم بها لأنه كان غفورا رحيما .

٧ ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ وقعت « اللام » مفصولة عن « هذا » في المصحف خارجة عن أوضاع الخط العربي ، وخط المصحف سنة لا تغير . ﴿يأكل الطعام ويمشي في الاسواق﴾ والاشارة تصغير لشأنه وتسميته رسولا بطريق الاستهزاء به أي شيء وأي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ، ويمشي في الاسواق لابتغاء الأرزاق كما نفعل ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا﴾ يصدقه .

٨ ﴿أو يلقى اليه كنز﴾ من السماء ينفقه ولا يحتاج الى المشي في الاسواق لطلب المعاش ﴿أو تكون له جنة﴾ بستان ﴿يأكل منها﴾ أي من ثمارها فيكتفي بها ، وفي قراءة « نأكل » بالنون اي نحن ، فيكون له مزية علينا بها . ﴿وقال الظالمون﴾ أي الكافرون للمؤمنين : ﴿ان﴾ ما ﴿تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ مخدوعا مغلوبا على عقله ، قال تعالى ردا عليهم :

٩ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بالمسحور والمحتاج الى ما ينفقه والى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فضلوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ طريقا اليه .

١٠ ﴿تبارك﴾ تكاثر خير ﴿الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك﴾ الذي قالوه من الكنز أو البستان ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي في الدنيا لانه شاء أن يعطيه اياها في الآخرة ﴿ويجعل﴾ بالجزم ﴿لك قصورا﴾ أيضا ، وفي قراءة بالرفع استئنافا .

ثم انتقل السياق من جنايتهم السابقة الى حكاية جناية أخرى للتخلص الى بيان مآلهم في الآخرة من فنون العذاب ، فقال :

١١ ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ القيامة ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ نارا مسعرة مشتدة .

١٢ ﴿اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا﴾ غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب ﴿وزفيرا﴾ صوتا شديدا ، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه .

١٣ ﴿واذا ألقوا منها مكانا ضيقا﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف بأن يضيق عليهم ، و « منها » حال من « مكانا » لانه بمعنى في لا صفة له ﴿مقرنين﴾ مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم الى أعناقهم في الاغلال ، والتشديد للتكثير ﴿دعوا هنالك ثبورا﴾ هلاكا ، فيقال لهم :

لا تدعوا اليوم ثبورا وحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴿١٤﴾
قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت
لهم جزاء ومصيرا ﴿١٥﴾ لهم فيها ما يشاءون خالدين كان
على ربك وعدا مسئولا ﴿١٦﴾ ويوم يحشرهم وما يعبدون
من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم
ضلوا السبيل ﴿١٧﴾ قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن
نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وءاباءهم حتى
نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ﴿١٨﴾ فقد كذبوكم بما
تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم
نذقه عذابا كبيرا ﴿١٩﴾ وما أرسلنا قبلك من المرسلين
إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ﴿٢٠﴾

١٤ ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾ كعذابكم فينبغي أن يكون دعاؤكم على حسبه .

١٥ ﴿قل أذلك﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خير أم جنة الخلد التي وعد﴾ها ﴿المتقون كانت لهم﴾ في علمه تعالى ﴿جزاء﴾ ثوابا ﴿ومصيرا﴾ مرجعا .

١٦ ﴿لهم فيها ما يشاءون خالدين﴾ حال لازمة ﴿كان﴾ وعدهم ما ذكر ﴿على ربك وعدا مسئولا﴾ يسأله من وعد به بقوله : « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك » أو تسأله لهم الملائكة بقوله : « ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم » .

١٧ ﴿ويوم يحشرهم﴾ بالتحتانية وقرىء بالنون ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ أي غيره من الملائكة وعيسى وعزيز والجن ﴿فيقول﴾ تعالى ، بالتحتانية وقرىء بالنون للمعبودين ، اثباتا للحجة على العابدين : ﴿ءأنتم﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية ألفا وتسهيلها ، وادخال الف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أضللتم عبادي هؤلاء﴾ أوقعتموهم في الضلال بأمركم اياهم بعبادتكم ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ طريق الحق بانفسهم .

١٨ ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿ما كان ينبغي﴾ يستقيم ﴿لنا أن نتخذ من دونك﴾ أي غيرك ﴿من أولياء﴾ مفعول أول و « من » زائدة لتأكيد النفي ، وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ من قبلهم باطالة العمر وسعة الرزق ﴿حتى نسوا الذكر﴾ تركوا الموعظة والايمان بالقرآن ﴿وكانوا قوما بورا﴾ هلكى . قال تعالى :

١٩ ﴿فقد كذبوكم﴾ اي كذب المعبودون العابدين ﴿بما تقولون﴾ بالفوقانية ، أنهم آلهة ﴿فما تستطيعون﴾ بالفوقانية وقرىء بالتحتانية ، أي لا أنتم ولا هم ﴿صرفا﴾ دفعا للعذاب عنكم ﴿ولا نصرا﴾ منعا لكم منه ﴿ومن يظلم﴾ يشرك ﴿منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ في الآخرة .

وأجاب تعالى عن قولهم « مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » بقوله :

٢٠ ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق﴾ فانت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ بلية ابتلي الغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع ، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره ، وكذلك العلماء وحكام العدل كقولهم « لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » فالفتنة أن يحسد المبتلى المعافى ويحقر المعافى المبتلى ، أو يقول الأدنى في كل مالي لا أكون كالاعلى في كل ﴿أتصبرون﴾ على ما تسمعون مما ابتليتم بهم ؟ استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا ، والصبر أن يحبس كل منهما نفسه عن البطر وذلك عن الضجر. روي عن أبي الدرداء أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم ، وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك ، وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد ، وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة . ، وهو قوله تعالى : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون » . أسنده الثعلبي ﴿وكان ربك بصيرا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع . روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » . اهـ

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا
كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ
وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ
مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ
وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ
وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ
عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾
يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى
عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ
خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا

٤٧٣

٢١ ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث : ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فكانوا رسلا الينا ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبر بأن محمدا رسوله ؟ قال تعالى ﴿لقد استكبروا﴾ تكبروا ﴿في﴾ شأن ﴿أنفسهم وعتوا﴾ طغوا ﴿عتوا كبيرا﴾ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا و «عتوا» بالواو على اصله ، بخلاف «عتى» بالابدال في «مريم» .

٢٢ ﴿يوم يرون الملائكة﴾ في جملة الخلائق ، هو يوم القيمة ونصبه «باذكر» مقدرا ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ أي الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿ويقولون حجرا محجورا﴾ على عادتهم في الدنيا اذا نزلت بهم الشدة ، أي عوذا معاذا ، يستعيذون من الملائكة .

٢٣ قال تعالى ﴿وقدمنا﴾ عمدنا ﴿الى ما عملوا من عمل﴾ من الخير كالصدقة وصلة رحم وقرى ضيف واغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فجعلناه هباء منثورا﴾ هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق ، أي مثله في عدم النفع به اذ لا ثواب فيه لعدم شرطه وهو الايمان ويجازون عليه في الدنيا . ثم ذكر تعالى جزاء المؤمنين فقال :

٢٤ ﴿أصحاب الجنة يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿خير مستقرا﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿واحسن مقيلا﴾ منهم ، أي موضع قائلة فيها ، وهي الاستراحة نصف النهار في الحر ، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في الحديث .

٢٥ ﴿ويوم تشقق السماء﴾ أي كل سماء ﴿بالغمام﴾ أي معه وهو غيم أبيض ﴿ونزل الملائكة﴾ من السماء ﴿تنزيلا﴾ هو يوم القيامة ، ونصبه «باذكر» مقدرا ، وفي قراءة بتشديد «الشين» بادغام التاء الثانية في الاصل فيها . وفي أخرى «ننزل» بنونين الثانية ساكنة ، وضم اللام ، ونصب الملائكة .

٢٦ ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وكان﴾ اليوم ﴿يوما على الكافرين عسيرا﴾ بخلاف المؤمنين .

٢٧ ﴿ويوم يعض الظالم﴾ المشرك ﴿على يديه﴾ ندما وتحسرا ﴿يقول يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني اتخذت مع الرسول﴾ محمد ﴿سبيلا﴾ طريقا الى الهدى .

٢٨ ﴿يا ويلتى﴾ ألفه عوض عن «ياء» الاضافة أي «ويلتي» ومعناه هلكتي ﴿ليتني لم اتخذ فلانا﴾ هو كناية عن علم من يعقل من الرجال وهو منصرف ﴿خليلا﴾ . روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» أخرجه أبو داود والترمذي ، ولهما عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي» .

٢٩ ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ القرآن ﴿بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان﴾ الكافر ﴿خذولا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء .

ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ
ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ
لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ
يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ
لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ
وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ
ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ

٣٠ ﴿وقال الرسول﴾ محمد ﴿يا رب ان قومي﴾ قريشا ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ متروكا . قال تعالى :

٣١ ﴿وكذلك﴾ كما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك ﴿جعلنا لكل نبي﴾ قبلك ﴿عدوا من المجرمين﴾ المشركين ، فاصبر كما صبروا ﴿وكفى بربك هاديا﴾ لك ﴿ونصيرا﴾ ناصرا لك على أعدائك . وفيه ما فيه من التسلية للنبي ﷺ .

ومن أباطيلهم لشبهة تتعلق بالقرآن قوله تعالى حكاية عنهم :

٣٢ ﴿وقال الذين كفروا لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ كالتوراة والانجيل والزبور؟ قال تعالى : نزلناه ﴿كذلك﴾ أي متفرقا ﴿لنثبت به فؤادك﴾ نقوي قلبك ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ أي أتينا به شيئا بعد شيء بتمهيل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه .

٣٣ ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ في ابطال أمرك ﴿الا جئناك بالحق﴾ الدافع ﴿وأحسن تفسيرا﴾ بيانا .

٣٤ هم ﴿الذين يحشرون على وجوههم﴾ أي يساقون ﴿الى جهنم اولئك شر مكانا﴾ هو جهنم ﴿وأضل سبيلا﴾ أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم .

٣٥ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة . فالقرآن ليس بأول كتاب سماوي ليكون محل انكار ، وكذلك ما محمد بأول رسول من الله ، ﴿وجعلنا معه﴾ أي مع موسى ﴿اخاه هرون وزيرا﴾ معينا له .

٣٦ ﴿فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي القبط اي فرعون وقومه ، أي سيكذبون بها . وعبر بالماضي لعلم الله تعالى أنهم سيكذبون بها ، فذهبا اليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿فدمرناهم تدميرا﴾ أهلكناهم اهلاكا . فاقتصر تعالى على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود ، وهو الزام الحجة ببعثه الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وتذكير أمة محمد بما سيقع عليهم ان لم يؤمنوا به .

٣٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿قوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكأنه رسل ، أو لأن تكذيبه تكذيب للباقي لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿اغرقناهم﴾ جواب «لما» ﴿وجعلناهم للناس﴾ بعدهم ﴿آية﴾ عبرة ﴿وأعتدنا﴾ في الآخرة ﴿للظالمين﴾ الكافرين ﴿عذابا اليما﴾ مؤلما ، سوى ما يحل بهم في الدنيا .

٣٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿عادا﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ، بمنع الصرف على تأويله بالقبيلة ، وقرىء بالصرف على معنى الحي ﴿وأصحاب الرس﴾ اسم بئر ونبيهم قيل شعيب ، وقيل هو حنظله بن صفوان ، وقيل غير ذلك .. كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم ، ﴿وقرونا﴾ أقواما ﴿بين ذلك كثيرا﴾ أي بين عاد واصحاب الرس .

الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ
آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ
هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ
هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ
شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ

٣٩ ﴿وكلا ضربنا له الامثال﴾ في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار ﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾ أهلكنا هم اهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم .

٤٠ ﴿ولقد أتوا﴾ أي كفار مكة الذين هم قواد كفر هذه الامة ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ مصدر ساء ، أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط ، فأهلك الله اهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في سفرهم الى الشام فيعتبروا ؟ والاستفهام للتقرير ﴿بل كانوا لا يرجون﴾ يخافون ﴿نشورا﴾ بعثا فلا يؤمنون

٤١ ﴿واذا رأوك ان﴾ ما ﴿يتخذونك الا هزوا﴾ مهزوا به يقولون : ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ في دعواه ، محتقرين له عن الرسالة .

٤٢ ﴿ان﴾ مخففة واسمها محذوف ، أي : انه ﴿كاد ليضلنا﴾ يصرفنا ﴿عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها﴾ لصرفنا عنها وعن عبادتها بفرط اجتهاده والدعاء الى التوحيد ، وكثرة ما يورده بما يسبق الى الذهن أنه حجج ومعجزات ، لولا أن صبرنا عليها وثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها وان طارت عقولنا عنها بقوة حجته . قال تعالى : ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ عيانا في الآخرة ﴿من أضل سبيلا﴾ أخطأ طريقا أهم أم المؤمنون ؟

٤٣ ﴿أرأيت﴾ أخبرني ﴿من اتخذ الهه هواه﴾ أي مهويه ، قدم المفعول الثاني لأنه أهم وجملة «من اتخذ» مفعول أول لرأيت . والثاني بأن كان الهوى يخطط له الخطط التي يتبعها مع مخالفتها لشرائع الله فصار معبوده هواه ﴿أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ حافظا تحفظه عن اتباع هواه ؟ والجواب : لا .

٤٤ ﴿أم تحسب أن اكثرهم يسمعون﴾ سماع تفهم ﴿او يعقلون﴾ ما تقول لهم ﴿ان﴾ ما ﴿هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا﴾ أخطأ طريقا منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار . والانعام لا تعتقد باطلا ولا تكتسب شرا بخلاف هؤلاء فان جهالتهم تؤدي الى تهييج الفتن وصد الناس عن الحق ، وهي غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم عليها وهم مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على عملهم .

ما تقدم بيانه انما هو في الادلة العقلية ، ثم شرع تعالى في أدلة محسوسة على توحيده وذكر خمس ادلة منها : الأول قوله :

٤٥ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿الى﴾ فعل ﴿ربك كيف مد الظل﴾ من وقت الاسفار الى وقت طلوع الشمس ﴿ولو شاء﴾ سكونه ﴿لجعله ساكنا﴾ مقيما لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثم جعلنا الشمس عليه﴾ أي الظل ﴿دليلا﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل .

٤٦ ﴿ثم قبضناه﴾ أي الظل الممدود ﴿الينا قبضا يسيرا﴾ بطلوع الشمس فالظل ظلمة تزول وتنتسخ بطلوع نور وظهوره عليها ، وكذلك القرآن نور يزول الكفر به وينوب مكانه الايمان .

والدليل الثاني : قوله تعالى :

٤٧ ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسا﴾ ساترا كاللباس ﴿والنوم سباتا﴾ راحة للابدان بقطع الاعمال ﴿وجعل النهار نشورا﴾ منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره .

والدليل الثالث : قوله تعالى :

ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ

٤٧٦

٤٨ ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾ وفي قراءة «الريح» ﴿بشرا بين يدي رحمته﴾ أي مبشرات بنزول المطر، بضم الموحدة وسكون الشين، جمع بشير. وقرىء «نشرا» جمع نشور كرسول، وقرىء بضم النون والشين أي متفرقة قدام المطر. وفي قراءة بسكون الشين تخفيفا وفي أخرى باسكانها وفتح النون مصدرا ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾ مطهرا يطهر غيره من الادناس الظاهرة والباطنة من الحدثين الاصغر والاكبر.

٤٩ ﴿لنحيي به بلدة ميتا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكره لاعتبار المكان، فطهارة الظاهر تسبب طهارة الباطن ﴿ونسقيه﴾ أي الماء ﴿مما خلقنا أنعاما﴾ ابلا وبقرا وغنما ﴿وأناسي كثيرا﴾ جمع انسان واصله «أناسين» فابدلت النون ياء وادغمت فيها الياء، او جمع انس.

ثم عقب تعالى على الامثلة المتقدمة فقال:

٥٠ ﴿ولقد صرفناه﴾ أي المثال فيما يتعلق بالقرآن لنقربه الى أفهامهم ﴿بينهم﴾ أي بما يقع أو بالأشياء التي تقع بينهم دائما، ﴿ليذكروا﴾ أصله «يتذكروا» أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة «ليذكروا» بسكون الذال وضم الكاف، أي نعمة الله به ﴿فأبى أكثر الناس الا كفورا﴾ جحودا وتوليا عن القرآن والعمل به.

٥١ ﴿ولو شئنا﴾ ارسال رسل متعددين في زمانك ﴿لبعثنا في كل قرية نذيرا﴾ يخوف أهلها ولكن بعثناك الى أهل القرى كلها ليعظم أجرك ولتكون آية أخرى للناس، حيث تحارب جميع الناس أنت وحدك لارشادهم ولا تتردد فيما تواجهه من أذاهم.

٥٢ ﴿فلا تطع الكافرين﴾ في هواهم ﴿وجاهدهم به﴾ القرآن ﴿جهادا كبيرا﴾ لأن مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف.

والدليل الرابع: قوله تعالى:

٥٣ ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وحجرا محجورا﴾ أي سترا ممنوعا به اختلاطهما. فشبه البحرين هنا بطائفتين متعاديتين تريد كل منهما البغي على الأخرى، لكنهما امتنعا من ذلك لمانع قوي. فكذلك الكفار يريدون أن يبغوا على الرسول ﷺ وأتباعه، فحجزهم الله عنهم كما حجزهم عن الايمان الذي يريد النبي ﷺ أن يدخله فيهم بالبراهين القاطعة والحجج الواضحة، وكل ذلك لا ينفع الا بفتح من الله عز وجل.

والدليل الخامس: قوله تعالى:

٥٤ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا﴾ من المني انسانا ﴿فجعله نسبا﴾ ذا نسب من ذكور تنسب اليه ﴿وصهرا﴾ ذا صهر بأن يتزوج ذكرا أو أنثى طلبا للتناسل. قال ابن السكيت: «كل من كان من قبل الزوج من أبيه وأخيه أو عمه فهم الأحماء، ومن كان من قبل المرأة فهم الأختان، ويجمع الصنفين الأصهار». وصاهرت اليهم ولهم وفيهم: صرت لهم صهرا. فالنسب والصهر معنيان يعمان كل قربى تكون بين آدميين. ﴿وكان ربك قديرا﴾ قادرا على ما يشاء.

ثم عقب على جميع هذه الادلة الحسية الخمسة، التي تحمل العاقل على عبادة خالقها ومبديها بقوله:

أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى
لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ
خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ
خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ
فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾
وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

٤٧٧

٥٥ ﴿ويعبدون من دون الله﴾ غيره ﴿مالا ينفعهم﴾ بعبادته ﴿ولا يضرهم﴾ بتركها ، وهو سائر المعبودات غير الله . ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ معينا للشيطان بطاعته له وترك طاعة الله تعالى .

ثم سلى تعالى نبيه عما يلاقيه من أذى قومه ، فقال :

٥٦ ﴿وما أرسلناك الا مبشرا﴾ بالجنة ﴿ونذيرا﴾ محوفا من النار .

٥٧ ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ أي على تبليغ ما أرسلت به ﴿من أجر الا﴾ لكن ﴿من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا﴾ طريقا بانفاق ماله في مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك .

٥٨ ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح﴾ متلبسا ﴿بحمده﴾ أي قل : سبحان الله والحمدلله ، أو نزهه عما لا يليق به حال كونك متلبسا بشكره وثنائه على ما أنعم به عليك . ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيرا﴾ تعلق « به » بذنوب ، أي : يكفيك تعالى بحمايتك عن أذى العباد لك وهو عالم بما يحملهم من ذلك على ارتكاب الذنوب ، فمن كان الله كافيه فلا يضره شيء .

٥٩ ﴿هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ، ولو شاء لخلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به تعالى ، ﴿الرحمن﴾ بدل من ضمير « استوى » ، فائدة البدل ليدل تعالى انه استوى على العرش للرحمة لخلقه لا للنقمة لهم . ﴿فسأل﴾ ايها النبي ﴿به﴾ بالرحمن ﴿خبيرا﴾ اي فاسأل عنه تعالى رجلا عارفا يخبرك به وبرحمته .

٦٠ ﴿واذا قيل لهم﴾ للكفار : ﴿اسجدوا للرحمن﴾ أي تواضعوا لمن استوى على العرش الذي احتوى على ملك السموات والأرض وأنتم من جملة عبيده ليرحمكم وهو رحمان الدنيا والآخرة ﴿قالوا﴾ على وجه الاستهزاء : ﴿وما الرحمن﴾ أي شيء هو وما تصوره أهو من ذهب أو من فضة ؟ لأنهم لا يصورون المسجود له الا في صورة أصنامهم . ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ بالفوقانية وقرىء بالتحتانية ، والآمر محمد . أى ولا نعرفه ، أي لا نسجد . والاستفهام انكاري ﴿وزادهم﴾ هذا القول لهم ﴿نفورا﴾ عن الايمان . هنا موضع سجود التلاوة .

٦١ ﴿تبارك﴾ تعاظم عن عبادة المتكبرين ﴿الذي جعل في السماء بروجا﴾ اثني عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت .

وهي منازل الكواكب السبعة السيارة : المريخ وله الحمل والعقرب : والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الاسد ، والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو . ﴿وجعل فيها﴾ أيضا ﴿سراجا﴾ هو الشمس ﴿وقمرا منيرا﴾ في قراءة « سرجا » بالجمع أي نيرات . وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلته . وفي آية الرحمن « الشمس والقمر بحسبان » .

٦٢ ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ أي يخلف كل منهما الآخر ﴿لمن اراد أن يذكر﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف كما تقدم . ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ، ثم ان الليل والنهار دائما في طاعة ربهما ويتواضعان له على حسب ما أجراهما بلا مخالفة ﴿أو أراد شكورا﴾ شكرا لنعمة ربه عليه فيهما .

٦٣ ﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ ، وما بعده صفات له الى آخر

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ
لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا
عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

«أولئك يجزون» غير المعترض فيه ﴿الذين يمشون على الأرض هونا﴾ أي بسكينة وتواضع ﴿واذا خاطبهم الجاهلون﴾ بما يكرهون ﴿قالوا سلاما﴾ أي قولا يسلمون فيه من الاثم .

٦٤ ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا﴾ جمع ساجد ﴿وقياما﴾ بمعنى قائمين ، أي يصلون بالليل .

٦٥ ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما﴾ أي لازما .

٦٦ ﴿انها ساءت﴾ بئست ﴿مستقرا ومقاما﴾ هي أي موضع استقرار واقامة .

٦٧ ﴿والذين اذا انفقوا﴾ على عيالهم ﴿لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ بفتح أوله وقرىء بضمه ، أي يضيقوا ﴿وكان﴾ انفاقهم ﴿بين ذلك﴾ الاسراف والاقتار ﴿قواما﴾ وسطا هذه حالهم في الطاعات . ثم شرع تعالى في بيان حالهم في اجتناب المعاصي فقال :

٦٨ ﴿والذين لا يدعون مع الله الها آخر﴾ أي يشركون في العبادة مع الله أحدا ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ قتلها ﴿الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك﴾ أي واحدا من الثلاثة ﴿يلق أثاما﴾ أي عقوبة .

٦٩ ﴿يضاعف﴾ وفي قراءة «يضعف» بالتشديد ﴿له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه﴾ بجزم الفعلين بدلا ، وقرىء برفعهما استئنافا ، وبعد هاء «فيه» وصلا ، وقرىء بغيره على القاعدة ﴿مهانا﴾ حال ، أي ذليلا محتقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني . ثم ان سبب تضعيف العذاب هو الشرك مع ارتكاب المعاصي فتضاعف له العقوبة على شركه وعلى معاصيه .

٧٠ ﴿الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحا﴾ منهم ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم﴾ المذكورة ﴿حسنات﴾ بأن يغفرها ويثيبه ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ أي لم يزل متصفا بذلك .

٧١ ﴿ومن تاب﴾ من ذنوبه مما ذكر وغيره ﴿وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا﴾ أي يرجع الى الله رجوعا فيجازيه خيرا . قال النبي ﷺ لمعاذ : «وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» .

٧٢ ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أي الكذب والباطل أي لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه ﴿واذا مروا باللغو﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مروا كراما﴾ معرضين عنه .

٧٣ ﴿والذين اذا ذكروا﴾ وعظوا ﴿بآيات ربهم﴾ أي القرآن ﴿لم يخروا﴾ يسقطوا ﴿عليها صما وعميانا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين .

٧٤ ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا﴾ بالجمع وقرىء بالافراد ﴿قرة أعين﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿واجعلنا للمتقين اماما﴾ في الخير بحيث يقتدون بنا في اقامة شعائر الدين ، بافاضة العلم علينا والتوفيق للعمل الصالح .

أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً
وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)
قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)

(٢٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سَبْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ
بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ

٧٥ ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بما صبروا﴾ على طاعة الله ﴿ويلقون﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف مع فتح الياء ﴿فيها﴾ الغرفة ﴿تحية وسلاما﴾ من الملائكة .

٧٦ ﴿خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما﴾ موضع اقامة لهم . و«أولئك» وما بعده خبر «عباد الرحمن» المبتدأ .

ثم عقب تعالى بما أتم به السورة واشتمل على محتوياتها من التوحيد وأحوال العباد فقال :

٧٧ ﴿قل﴾ يا محمد للكفار ﴿ما﴾ نافية ﴿يعبأ﴾ يكترث ﴿بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ اياه في الشدائد فيكشفها ﴿فقد﴾ أي كيف يعبأ بكم وقد ﴿كذبتم﴾ الرسول والقرآن ﴿فسوف يكون﴾ العذاب ﴿لزاما﴾ ملازما لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا . روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود قال : «خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر» . أي خمس علامات دالة على قيام الساعة قد مضين «يوم تأتي السماء بدخان مبين» أي الجوع ، وقوله تعالى : «اقتربت الساعة وانشق القمر» وقوله تعالى : «الم غلبت الروم » ، وقوله تعالى : «يوم نبطش البطشة الكبرى» وهي القتل يوم بدر ، وقوله : «فسوف يكون لزاما» في اللزام خلاف ، قيل : الأسر يوم بدر ، والله أعلم .

﴿ سورة الشعراء مكية ﴾

هي مائتان وسبع وعشرون آية وموضوعها الرئيسي ثقة الرسل بالله ربهم ، فخوف الفتنة لا يمنع الرسل من التبليغ واظهار الدعوة الى الله تعالى . روي أن «طه» و«الطواسين» من ألواح موسى عليه السلام .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿طسم﴾ ومصحف عبد الله بن مسعود «ط س م» مقطوعة من بعضها . قيل وهي قراءة أبي جعفر ، يعنون أنه يقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف . والله أعلم بمراده بذلك .

٢ ﴿تلك﴾ أي هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ، الاضافة بمعنى من ﴿المبين﴾ المظهر الحق من الباطل .

٣ ﴿لعلك﴾ يا محمد ﴿باخع نفسك﴾ قاتلها شفقة فتنقص شيئا من الرسالة أو مما أمرت بتبليغه من أجل ﴿ألا يكونوا﴾ أي قومك ﴿مؤمنين﴾ و«لعل» هنا للاشفاق أي : لا تهلك نفسك بكتمان شيء من خوف أن ينفروا منك أو يثيروا فتنة . وهذا مثل قوله تعالى : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين»

٤ ﴿ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية﴾ مخوفة كرفع الجبل فوق رؤوسهم ﴿فظلت﴾ بمعنى المضارع أي تظل تدوم ﴿أعناقهم لها خاضعين﴾ فيؤمنوا . ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء .

مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾
وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾
قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا
فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ
مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ
فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ

٥ ﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ حكم ﴿من الرحمن﴾ دلالة على أن الحكم انما يأتي للشفقة والرحمة لهم لأنه يأتي من الرحمن ﴿محدث﴾ متجدد انزاله ، صفة كاشفة ﴿الا كانوا عنه معرضين﴾ .

٦ ﴿فقد كذبوا﴾ به ﴿فسيأتيهم أنباء﴾ عواقب ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ .

٧ ﴿أو لم يروا﴾ ينظروا ﴿الى الأرض كم أنبتنا فيها﴾ أي كثيرا ﴿من كل زوج كريم﴾ نوع حسن كثير النفع ، اذ ما من نبت الا وله نفع فيستدلون به الى حسن ما أنزل اليهم ونفعه لهم .

٨ ﴿ان في ذلك لآية﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى : ﴿وما كان اكثرهم مؤمنين﴾ في علم الله . وقال سيبويه : «كان» زائدة . أي ما اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه،فلذلك لا تنفعهم أمثال هذه الآيات العظام وان كانت ستنفع قوما منهم ومن غيرهم ممن أراد الله بهم الفلاح .

٩ ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿الرحيم﴾ يرحم المؤمنين .

ثم ذكر تعالى سبع قصص لاثبات ثقة الرسل بالله فما كان يصدهم عن تبليغ الرسالة بخوف فتنة من قومهم ، أو أن لا يؤمنوا بما أنزل اليهم . فبدأ بقصة موسى لأهميتها بالموضع لا يتقدمها في التاريخ ، فقال :

١٠ ﴿و﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿اذ نادى ربك موسى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أن﴾ أي بأن ﴿ائت القوم الظالمين﴾ رسولا .

١١ ﴿قوم فرعون﴾ معه ظلموا انفسهم بالكفر بالله وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم ﴿ألا﴾ الهمزة للاستفهام الانكاري ﴿يتقون﴾ الله بطاعته فيوحدوه ؟

١٢ ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إني أخاف أن يكذبون﴾ .

١٣ ﴿ويضيق صدري﴾ من تكذيبهم لي ﴿ولا ينطلق لساني﴾ بأداء الرسالة عند ضيق الصدر ، لأنه يمنع من انطلاق اللسان بالكلام المحتاج اليه في التبليغ . اعتذر موسى بثلاثة أعذار كل منها مرتب على ما قبله ، وليس مراده الامتناع من الرسالة بل مراده اظهار العجز عن هذا الحمل الثقيل وطلب المعونة عليه من الله ثم قال : ﴿فارسل الى﴾ أخي ﴿هرون﴾ معي يصاحبني في دعوة فرعون وقومه . وكان هرون اذ ذاك بمصر وموسى في الطور .

١٤ ﴿ولهم علي ذنب﴾ بقتلي القبطي منهم ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به .

١٥ ﴿قال﴾ تعالى ﴿كلا﴾ أي لا يقتلونك ﴿فاذهبا﴾ أي أنت وأخوك ، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بآياتنا انا معكم مستمعون﴾ ما تقولون وما يقال لكم . أجريا مجرى الجماعة تعظيما لهما .

١٦ ﴿فأتيا فرعون فقولا انا﴾ أي كلا منا ﴿رسول رب العلمين﴾ اليك .

١٧ ﴿أن﴾ اي بأن ﴿أرسل معنا بني اسرائيل﴾ أي حررهم من العبودية وخل سبيلهم ليعيشوا مع الناس عيشة الأحرار ، هذا هو المطلوب من فرعون لأول مرة .

ثم ذهب موسى وأخوه هرون الى فرعون فبلغاه ما أرسلهما ربهما به .

وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى
حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ
ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ
وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ
ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ

٤٨١

١٨ و ﴿قال﴾ فرعون لموسى ﴿ألم نربك فينا﴾ في منازلنا ﴿وليدا﴾ صغيرا قريبا من الولادة لأنه حمل في التابوت بقرب ولادته الى قصر فرعون ، ورجوعه الى أمه كان بحكم الارضاع فقط ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه ، وكان يسمى ابنه

١٩ ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ هي قتله القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد .

٢٠ ﴿قال﴾ موسى ﴿فعلتها اذا﴾ أي حينئذ ﴿وأنا من الضالين﴾ عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة .

٢١ ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين﴾ . رد بذلك على ما وبخه به فرعون قدحا في نبوته وهو القتل بغير حق ، ووجه الرد ان موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة التي حصلت عن غير قصد .

٢٢ ﴿وتلك نعمة تمنها علي﴾ أصله تمن بها ﴿أن عبدت بني اسرائيل﴾ بيان «لتلك» أي اتخذتهم عبيدا ولم تستعبدني، ولا نعمة لك علي بذلك لظلمك باستعبادهم . وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار.

ولما سمع فرعون حجج موسى في الرد عن قصده لابطال دعوة موسى أي الرسالة رجع ذلك .

٢٣ و ﴿قال فرعون﴾ لموسى ﴿وما رب العالمين﴾ الذي قلت انك رسوله أي : أي شيء هو؟ أهو من ذهب أو من فضة ؟ ولما لم يكن سبيل للخلق الى معرفته تعالى وانما يعرفونه بصفاته ، أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها :

٢٤ ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما﴾ أي خالق ذلك ﴿ان كنتم موقنين﴾ بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده .

٢٥ ﴿قال﴾ فرعون ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه ﴿ألا تستمعون﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال .

٢٦ ﴿قال﴾ موسى : ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ وهذا وان كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك .

٢٧ ﴿قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون﴾ لأني أساله عن شيء ويجيبني عن آخر.

٢٨ ﴿قال﴾ موسى ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون﴾ أي ليس ملكه بلدا واحدا كملك فرعون ، بل يملك مطلع الشمس ومغربها وما بينهما ، فانظروا وتفكروا فيه ان كان لكم عقل تعقلون الأشياء به . وهو رد لما رماه فرعون به من الجنون ، وتخصيص رسالته لهم دونه ، ان كان لكم عقل فانظروا فيما أقوله لكم ، فهل هو مشابه لكلام المجانين الذي ليس له مغزى ؟ وهنا فقد فرعون حجته فعمد الى المحاربة والوعيد .

٢٩ ﴿قال﴾ فرعون : ﴿لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الارض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا .

٣٠ ﴿قال﴾ له موسى : ﴿أولو﴾ أي : أتفعل ذلك ولو ﴿جئتك بشيء مبين﴾ أي برهان بين على رسالتي ؟

٣١ ﴿قال﴾ فرعون له ﴿فأت به ان كنت من الصادقين﴾ فيه .

مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾
قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ
أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا
نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ
أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ
بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ

٣٢ ﴿فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين﴾ حية عظيمة .

٣٣ ﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه ﴿فاذا هي بيضاء﴾ ذات شعاع ﴿للناظرين﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة .

٣٤ فانعزل فرعون ﴿قال﴾ مستثيرا للملأ حوله ﴿ان هذا لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر .

٣٥ ﴿يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ .

٣٦ ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أخر أمرهما ﴿وابعث في المدائن حاشرين﴾ جامعين .

٣٧ ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ يفضل موسى في علم السحر . ثم أرسلوا الرسل الى المدائن .

٣٨ ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة .

٣٩ ﴿وقيل للناس هل انتم مجتمعون﴾ .

٤٠ ﴿لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ الاستفهام للحث على الاجتماع ، والترجي على تقرير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى . وليس الرجاء لاتباع السحرة لأنه مقطوع به عندهم ، وقيل للناس أي أعلن لهم بهذا القول .

٤١ ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين . ﴿لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين﴾

٤٢ ﴿قال نعم وانكم اذا﴾ أي حينئذ ﴿لمن المقربين﴾ مني ، وقربكم الي هو أجركم ، فتصيرون في وزرائي الذين لا يقطع أمر بدونهم .

فجاء الميقات وحضر موسى وفرعون وملاؤه والسحرة والجماهير المحتشدون في محصر واحد للمقارنة بين المعجزة وبين السحر ، وبين الحق والباطل .

٤٣ ﴿قال لهم موسى﴾ بعد ما قالوا له : «اما أن تلقي واما أن تكون نحن الملقين» : ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ . فالامر فيه للاذن بتقديم إلقائهم ، وتوسلا به الى اظهار الحق .

٤٤ ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون﴾ .

٤٥ ﴿فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف﴾ بحذف احدى التاءين من الأصل ، تبتلع ﴿ما يأفكون﴾ يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى .

سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩)
قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ
أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١)
* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢)
فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧)
وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ

٤٦ ﴿فألقي السحرة ساجدين﴾ .

٤٧ ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ .

٤٨ ﴿رب موسى وهرون﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

٤٩ ﴿قال﴾ فرعون : ﴿أمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية ألفا ﴿له﴾ لموسى ﴿قبل أن آذن﴾ أنا ﴿لكم أنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر ، فهو يريد بهذا صرف عقول الناس عن اتباع السحرة في الايمان بموسى وأنه ساحر وأعلم منهم بالسحر ، فما جاء به فليس بمعجزة من الله . ثم خوف الناس بقوله للسحرة : ﴿فلسوف تعلمون﴾ ما ينالكم مني هددهم مجملا ثم فصل بقوله :

٥٠ ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ .

٥١ ﴿قالوا لا ضير﴾ لا ضرر علينا ﴿انا الى ربنا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿منقلبون﴾ راجعون في الآخرة .

٥٢ ﴿انا نطمع﴾ نرجو ﴿أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن﴾ أي بأن ﴿كنا أول المؤمنين﴾ في نيل الشهادة ان سلطك الله على قتلنا كما زعمت .

قلت : ولم يذكر لفظ القرآن أن فرعون تسلط على السحرة وفعل بهم ما هددهم به ، والسياق بين انه لا يستطيع أن يفعل بهم ذلك ما داموا على ايمانهم .

ولما جاء الميعاد لاهلاك فرعون قال الله تعالى :

٥٣ ﴿وأوحينا الى موسى﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله الى الحق فلم يزيدوا الا عتوا ﴿أن أسر بعبادي﴾ بني اسرائيل ، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسر، من «سرى» لغة في «أسرى» أي : سر بهم ليلا الى البحر لا الى جهة الشام في البر . وروي أن قوم موسى قالوا لقوم فرعون : ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ، ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل الى جانب البحر، فلما سمع فرعون بذلك جمع قومه وتبعهم ﴿انكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم .

٥٤ ﴿فأرسل فرعون﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿في المدائن﴾ قيل : كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿حاشرين﴾ جامعين الجيش قائلا :

٥٥ ﴿ان هؤلاء لشرذمة﴾ طائفة ﴿قليلون﴾ قيل : كانوا ستمائة ألف وسبعون ألفا ، ومقدمة جيشه سبعمائة ألف ، فقللهم بالنظر الى كثرة جيشه .

٥٦ ﴿وانهم لنا لغائظون﴾ فاعلون ما يغيظنا .

٥٧ ﴿وانا لجميع حاذرون﴾ متيقظون ، وفي قراءة حذرون بدون الف بعد الحاء أي : مستعدون للخروج لهم فانهم خرجوا من بلادنا بغير اذننا ، وذهبوا بأموالنا التي استعاروها . قال تعالى :

٥٨ ﴿فأخرجناهم﴾ أي فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿من جنات﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وعيون﴾ أنهار جارية في الدور من النيل .

٥٩ ﴿وكنوز﴾ اموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوز لأنه لم يعط حق الله تعالى منها ﴿ومقام كريم﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه اتباعهم .

٦٠ ﴿كذلك﴾ أي اخراجنا كما وصفنا ﴿وأورثناها بني اسرائيل﴾ بعد اغراق فرعون وقومه . فذكر كيفية ذلك فقال :

٦١ ﴿فأتبعوهم﴾ لحقوهم ﴿مشرقين﴾ وقت شروق الشمس .

قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ
رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ
ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ
أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا
عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ

٦٢ ﴿فلما تراءى الجمعان﴾ أي رأى كل منهما الآخر ﴿قال أصحاب موسى انا لمدركون﴾ يدركنا جمع فرعون ولاطاقة لنا به .

٦٣ ﴿قال﴾ موسى: ﴿كلا﴾ أي لن يدركونا ﴿ان معي ربي﴾ بنصره ﴿سيهدين﴾ طريق النجاه .

٦٤ قال تعالى: ﴿فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ فضربه ﴿فانفلق﴾ فانشق اثني عشر فرقا بعدد أسباط بني اسرائيل فسار كل سبط مسلك سلوكه ﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها ، لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده .

٦٥ ﴿وأزلفنا﴾ قربنا ﴿ثم﴾ هناك ﴿الآخرين﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم .

٦٦ ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ باخراجهم من البحر على هيئته المذكورة .

٦٧ ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخروج بني اسرائيل منه .

ثم عقب تعالى على القصة فقال :

٦٨ ﴿ان في ذلك﴾ أي اغراق فرعون وقومه ﴿لآية﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ بالله ، لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ، ومريم بنت ناموسي التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام الذي دفن فيه وكان من مرمر .

٦٩ ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ فانتقم من الكافرين باغراقهم ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من عذاب الكفار وفتنتهم على دينهم .

ثم عطف تعالى على قصة فرعون قصة ابراهيم فقال :

٧٠ ﴿واتل عليهم﴾ أي الناس ليتقوى المؤمن على التقوى وينذر الكافر ليرتدعوا عن الفسق والمعاصي ﴿نبأ﴾ خبر ﴿ابراهيم﴾ وبيدل منه .

٧١ ﴿اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ ؟

٧٢ ﴿قالوا نعبد أصناما﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه وليروه أنهم يفعلون ما يعتقدون أنه صواب ، فهم مبتهجون بعبادتها ومفتخرون فاشتمل جوابهم على جواب سؤال ابراهيم لهم وما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ﴿فنظل﴾ ندوم ﴿لها عاكفين﴾ لازمين على عبادتها .

٧٣ ﴿قال هل يسمعونكم اذ﴾ حين ﴿تدعون أو ينفعونكم﴾ ان عبدتموهم ﴿أو يضرون﴾ ان لم تعبدوهم .

٧٤ ﴿قالوا بل﴾ لا نفع في عبادتها ولا ضرر في تركها ولكن نعبدها لأننا ﴿وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ أي مثل ما فعلنا . فعند اعترافهم بالسفاهة نشط ابراهيم الى جلب عقولهم لما ينفع بعبادته ويضر بتركها .

٧٥ ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون﴾ .

٧٦ ﴿أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ ففيه تسفيه لهم واستهزاء بذكر آبائهم الأقدمين .

ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ
يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)
وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى
خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى
بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (٨٤)
وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٨٥) وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧)
يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ
ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢)
مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا۟
فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)

٤٨٥

٧٧ ﴿فانهم﴾ المعبودات ﴿عدو لي﴾ لا أعبدهم ﴿الا﴾ لكن ﴿رب العالمين﴾ فاني أعبده .

٧٨ ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ الى الدين وما يصلح أموري .

٧٩ ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ .

٨٠ ﴿واذا مرضت فهو يشفين﴾ أضاف المرض الى نفسه وان كان المرض والشفاء من الله تعالى استعمالا لحسن الأدب كما قال الخضر : «فأردت أن أعيبها»

وقال : «فأراد ربك أن يبلغا اشدهما» .

٨١ ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ وعطف هنا «بثم» خلاف ما قبله لاتساع الامر بين الاماتة والاحياء لان المراد بها الاحياء في الآخرة .

٨٢ ـ ﴿والذي أطمع﴾ أرجو ﴿ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ أي الجزاء .

٨٣ ﴿رب هب لي حكما﴾ حمله ما تقدم من الألطاف الفائضة عليه من حضرة الحق على مناجاته تعالى بالدعاء فقال رب هب لي حكما أي كمالا في العلم والعمل فانه استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق ﴿وألحقني بالصالحين﴾ ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره .

٨٤ ﴿واجعل لي لسان صدق﴾ ثناء حسنا ﴿في الآخرين﴾ الذين يأتون بعدي الى يوم القيامة .

٨٥ ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي ممن يعطاها .

٨٦ ﴿واغفر لأبي انه كان من الضالين﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له ، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في سورة براءة .

٨٧ ﴿ولا تخزني﴾ تفضحني ﴿يوم يبعثون﴾ أي الناس قال تعالى فيه :

٨٨ ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ أحدا .

٨٩ ﴿الا﴾ لكن ﴿من أتى الله بقلب سليم﴾ من الشرك والنفاق ، وهو قلب المؤمن فانه ينفعه في الخير وولده الصالح بدعائه كما جاء في الخبر : «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» . وقال سعيد ابن المسيب : «القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض» قال الله تعالى «في قلوبهم مرض» . ثم عطف على لا ينفع ، فقال :

٩٠ ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي قربت الجنة بصيغة الماضي لتحقق وقوعه ﴿للمتقين﴾ في طاعتهم فيرونها .

٩١ ﴿وبرزت الجحيم﴾ أظهرت ﴿للغاوين﴾ الكافرين .

٩٢ ﴿وقيل لهم أينما كنتم تعبدون﴾ .

٩٣ ﴿من دون الله﴾ أي غيره من الأصنام ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أو ينتصرون﴾ بدفعه عن أنفسهم ، والجواب : لا .

٩٤ ﴿فكبكبوا﴾ أي ألقوا ﴿فيها هم والغاوون﴾ .

٩٥ ﴿وجنود ابليس﴾ أتباعه ومن أطاعه من الجن والانس ﴿أجمعون﴾ .

قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ
حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾
وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ
لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

٩٦ ﴿قالوا﴾ أي الغاوون ﴿وهم فيها يختصمون﴾ مع معبوديهم .

٩٧ ﴿تالله ان﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ، أي انه ﴿كنا لفي ضلال مبين﴾ بين .

٩٨ ﴿اذ﴾ حيث ﴿نسويكم برب العالمين﴾ في العبادة .

٩٩ ﴿وما أضلنا﴾ عن الهدى ﴿الا المجرمون﴾ أي الشياطين ، أو أولونا الذين اقتدينا بهم .

١٠٠ ﴿فما لنا من شافعين﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين .

١٠١ ﴿ولا صديق حميم﴾ أي يهمه أمرنا .

١٠٢ ﴿فلو أن لنا كرة﴾ رجعة الى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ «لو» هنا للتمني و«نكون» جوابه .

ثم عقب تعالى على القصة فقال :

١٠٣ ﴿ان في ذلك﴾ المذكور من قصة ابراهيم وقومه ﴿لآية﴾ أي لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه، لما فيها من الاشارة الى أصول العلوم الدينية ، والتنبيه على دلالتها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته لهم وكمال اشفاقه عليهم ، واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا بهم وايقاظا لهم ، ليكون أدعى الى الاستماع والقبول . وأيضا تصريح للم ما ذمته الشريعة وتبليغ الوحي على كماله بلا خوف وهو موضوع السورة ﴿وما كان اكثرهم مؤمنين﴾ .

١٠٤ ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ في ضمن عزته تعالى رحمته الواسعة .

ثم ذكر تعالى قصة نوح مع قومه فقال :

١٠٥ ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل ، وتأنيث «قوم» باعتبار معناه وتذكيره باعتبار لفظه .

١٠٦ ﴿اذ قال لهم أخوهم﴾ نسبا ﴿نوح ألا تتقون﴾ الله .

١٠٧ ﴿اني لكم رسول أمين﴾ على تبليغ ما أرسلت به .

١٠٨ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته .

١٠٩ ﴿وما أسألكم عليه﴾ على تبليغه ﴿من أجر ان﴾ ما ﴿أجري﴾ أي ثوابي ﴿الا على رب العالمين﴾ .

١١٠ ﴿فاتقوا الله واطيعون﴾ كرره تأكيدا وحسنه كون الأول : مرتبا على الرسالة والأمانة ، والثاني : مرتبا على عدم سؤاله أجرا منهم والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا ؟

١١١ ﴿قالوا أنؤمن﴾ نصدق ﴿لك﴾ لقولك ﴿واتبعك﴾ وفي قراءة «وأتباعك» جمع تابع ، مبتدأ ﴿الأرذلون﴾ السفلة كالحاكة والأساكفة انما كانوا أتباع الأنبياء قبل الاغنياء لاستيلاء الأغنياء على الرئاسة ، ورفضهم الانفكاك منها والأنفة من الانقياد للغير ، وهذا غالب أحوال الدنيا .

١١٢ ﴿قال وما علمي﴾ أي علم لي ﴿بما كانوا يعملون﴾ أي لم أكلف العلم بأعمالهم انما كلفت أن أدعوهم الى الايمان والاعتبار بالايمان ، لا بالحرف والصنائع

١١٣ ﴿ان﴾ ما ﴿حسابهم الا على ربي﴾ فيجازيهم ﴿لو تشعرون﴾ تعلمون ذلك ما عيرتموهم .

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ١١٤ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ١١٥
قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ١١٦
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا
وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١١٨ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ١٢٠
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٢١
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٢٢ كَذَّبَتْ عَادٌ
الْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ١٢٧ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُمْ

١١٤ ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ رد لما أشعر به كلامهم من طلبهم منه أن يطرد الضعفاء المؤمنين . وعلل على عدم طردهم فقال :

١١٥ ﴿ان﴾ ما ﴿أنا الا نذير مبين﴾ بين الانذار للمكلفين ، وزجرهم عن الكفر والمعاصي ، سواء كانوا من الأعزاء أو من الأراذل ، فالمطلوب منهم الايمان ، فمن جاء فهو مني ومن لم يأت به فلا علاقة بيني وبينه ولا أطلب منه غير ذلك ، فلا يناسبني أن أطرد من اتبعني في مقصود لمن يعارضني لهواه . فهنا فقدوا الحجة ولجأوا الى قوة مادية .

١١٦ ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تقوله لنا من التسوية بيننا وبين الاراذل ، وترك تقاليدنا وعبادة آلهتنا مما يرفع درجاتنا على أتباعنا ﴿لتكونن من المرجومين﴾ بالحجارة أو بالشتم .

فيشس منهم .

١١٧ ﴿قال﴾ نوح ﴿رب ان قومي كذبون﴾ .

١١٨ ﴿فافتح بيني وبينهم فتحا﴾ أي احكم ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ مما أراد الكفار بنا .

١١٩ قال الله تعالى ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير .

١٢٠ ﴿ثم أغرقنا بعد﴾ بعد انجائهم ﴿الباقين﴾ من قومه .

ثم عقب تعالى بمثل ما تقدم من القصص المتقدمة لاتحاد المغزى ، فقال :

١٢١ ﴿ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ .

١٢٢ ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أفهم أنه لو كان نصفهم مؤمنين لما أخذوا ، لتأخير الرحمة عن العزة في السياق .

ثم ذكر تعالى قصة «هود» مع قومه لبيان غرض السورة فقال .

١٢٣ ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ «عاد» اسم قبيلة «هود» سميت باسم أبيهم الأعلى وكان من سام بن نوح . ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل .

١٢٤ ﴿اذ قال لهم أخوهم هود﴾ وكان تاجرا جميل الصورة يشبه آدم ، وعاش من العمر أربعمائة وأربعا وستين سنة ﴿الا تتقون﴾ ؟ حثهم على تقوى الله .

١٢٥ ﴿اني لكم رسول أمين﴾ .

١٢٦ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ .

١٢٧ ﴿وما أسألكم عليه من أجر ان﴾ ما ﴿أجري الا على رب العالمين﴾ هكذا الرسل تترادف كلماتهم في الدعوة الى التوحيد ومعرفة الحق والطاعة ، فيما يقرب المدعو الى ثوابه تعالى ويبعده عن عقابه . وكان الأنبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع ، مبرئين عن المطامع الدنيئة والأغراض الدنيوية .

١٢٨ ﴿أتبنون بكل ريع﴾ مكان مرتفع ﴿آية﴾ بناء علما للمارة أي مباني كالعلم في الارتفاع ﴿تعبثون﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم ؟ والجملة حال من ضمير «تبنون»

١٢٩ ﴿وتتخذون مصانع﴾ أي جمع مصنعة وهو الحوض ، أي : حيضانا وبركا تجمعون فيها الماء . فهي من قبيل الصهاريج ، والمصنعة لها عرف اليوم مواضع الانتاجات ، مثل مصنع الثلج ومصنع النسج . ويمكن ان تكون هي المراد في ذلك الوقت هدمت بهلاك أهلها ﴿لعلكم﴾ كأنكم ﴿تخلدون﴾ فيها ولا تموتون .

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ
الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا
آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ

٤٨٨

١٣٠ ﴿وإذا بطشتم﴾ بضرب أو قتل ﴿بطشتم جبارين﴾ من غير رأفة.

١٣١ ﴿فاتقوا الله﴾ في ذلك ﴿وأطيعون﴾ فيما أمرتكم به.

١٣٢ ﴿واتقوا الذي أمدكم﴾ أنعم عليكم ﴿بما تعلمون﴾.

١٣٣ ﴿أمدكم بأنعام وبنين﴾.

١٣٤ ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ أنهار. أي أمدكم بما تعلمون من أنواع النعم الحاصلة لكم، ثم فصل هذا الاجمال بقوله: «أمدكم بانعام» الخ. فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير بعد الابهام ادخل في النفس.

١٣٥ ﴿اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ في الدنيا والآخرة ان عصيتموني.

١٣٦ ﴿قالوا سواء علينا﴾ مستو عندنا ﴿أوعظت ام لم تكن من الواعظين﴾ أصلا، أي لا نرعوي لوعظك.

١٣٧ ﴿ان﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي خوفتنا به ﴿الا خلق الأولين﴾ بضم الخاء واللام، أي ما هذا الذي نحن عليه الا خلق الأولين أي طبيعتهم، وفي قراءة بفتح الخاء وسكون اللام أي: اختلاقهم.

١٣٨ ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما نحن عليه من الأعمال.

١٣٩ ﴿فكذبوه﴾ في العذاب ﴿فأهلكناهم﴾ في الدنيا بالريح الصرصر، وهي ريح باردة شديدة الصوت لا ماء فيها. وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها من صبح يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء.

ثم عقب تعالى على القصة بما كان يعقب به على قصص هذه السورة فقال: ﴿ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين﴾.

١٤٠ ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي متصف بالعزة والرحمة.

ثم ذكر تعالى قصة «ثمود» في تكذيبهم ما بلغهم رسول الله صالح فقال:

١٤١ ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾.

١٤٢ ﴿اذ قال لهم أخوهم صالح الا تتقون﴾.

١٤٣ ﴿اني لكم رسول أمين﴾.

١٤٤ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾.

١٤٥ ﴿وما أسألكم عليه من أجر ان﴾ ما ﴿أجرى الا على رب العالمين﴾. لم يخالف لفظه ما تقدم من كلام الرسل كأنه كلام رجل واحد. ثم قال صالح:

١٤٦ ﴿أتتركون فيما ههنا آمنين﴾ استفهام انكاري توبيخي. والهاء للتنبيه، و«هنا» اسم اشارة للمكان القريب والمراد به الدنيا، أي: لا تعتقدوا أنكم تتركون في الدنيا متقلبين في النعم التي أنتم فيها آمنين من العذاب. وذكر النعم التي يتنعمون بها في الدنيا على التفصيل فقال:

١٤٧ ﴿في جنات وعيون﴾.

طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾
الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا
أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ
بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا
شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا
نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾
كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا

١٤٨ ﴿وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ لطيف لين .

١٤٩ ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ حاذقين وماهرين في العمل ، وفي قراءة فرهين بدون ألف أي بطرين .

١٥٠ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما أمرتكم به .

١٥١ ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ .

١٥٢ ﴿الذين يفسدون في الارض﴾ بالمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ بالطاعة لله .

١٥٣ ﴿قالوا﴾ له عندما عدموا حجة عليه ﴿انما أنت من المسحرين﴾ الذين أصيبت عقولهم بالسحر حتى لا يعرفون شيئا مما يقولون ، أي : أنت من المغلوبين على عقولهم .

١٥٤ ﴿ما أنت﴾ أيضا ﴿الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين﴾ في رسالتك .

١٥٥ ﴿قال هذه ناقة﴾ أشار اليها بعدما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها . ثم وصاهم بأمرين الأول : ﴿لها شرب﴾ نصيب من الماء ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ .

١٥٦ والثاني : ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ بعظم العذاب .

١٥٧ ﴿فعقروها﴾ أي عقرها بعضهم برضاهم يوم الثلاثاء فأخذهم العذاب يوم السبت بعدما جعل لهم عليه علامة ، وهو أنهم في اليوم الأول من ثلاثة الميعاد وهو يوم الاربعاء قد اصفرت وجوههم ، ثم احمرت في الخميس ثم اسودت في الجمعة ﴿فأصبحوا نادمين﴾ على عقرها خوفا من أن يحل بهم العذاب لا توبة ، وبجرد الندم ليس توبة .

١٥٨ ﴿فأخذهم العذاب﴾ الموعود به فهلكوا ﴿ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ .

١٥٩ ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ فلو آمن أكثرهم لما أخذوا بالعذاب .

ثم ذكر تعالى قصة « لوط » مع قومه فقال :

١٦٠ ﴿كذبت قوم لوط المرسلين﴾ .

١٦١ ﴿اذ قال لهم أخوهم﴾ بالمجاورة لهم او مصاهرتهم في قريتهم ﴿لوط الا تتقون﴾ .

١٦٢ ﴿اني لكم رسول أمين﴾ .

١٦٣ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ .

١٦٤ ﴿وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين﴾ هذا مثل ما تقدم من الرسل لفظا بلفظ ، ثم قال :

١٦٥ ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ أي من الناس ، جمع «ذكر» ويجمع على ذكور وذكارة كحجارة ، ضد الأنثى .

١٦٦ ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم﴾ أي أصلح كما قرىء به ﴿من أزواجكم﴾ أي أقبالهن ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ متجاوزون الحلال الى الحرام .

١٦٧ ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط﴾ عن انكارك علينا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ من بلدتنا ، اشارة الى أنه ليس من أهل البلد وان لم يوافقهم في رغباتهم سيخرجونه من قريتهم كما أخرجوا غيره ممن يخالفهم .

١٦٨ ﴿قال﴾ لوط ﴿اني لعملكم من القالين﴾ المبغضين .

١٦٩ ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ أي من عذابه .

١٧٠ ﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ .

١٧١ ﴿الا عجوزا﴾ امرأته ، وكانت من جنسهم تميل الى أهلها غيرة تعصبية ولم تؤمن بلوط ﴿في الغابرين﴾ الباقين أهلكناها .

١٧٢ ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكناهم .

١٧٣ ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ حجارة من جملة الاهلاك على من كان منهم ذلك الوقت خارج القرى لسفر أو غيره . ﴿فساء مطر المنذرين﴾ اسم مفعول ، مطرهم .

١٧٤ ﴿ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ .

١٧٥ ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ فعذابهم أشد عذابا من عذاب غيرهم من الأمم السالفة .

ثم ذكر تعالى قصة شعيب وقومه فقال :

١٧٦ ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ وفي قراءة بحذف الهمزة وفتح «اللام» و«الهاء» ، هي غيضة شجر قرب مدين ، وكان شجرهم الدوم ، فكل مكان كذلك يقال له «غيضة» بفتح الغين المعجمة وبالضاد المعجمة . ﴿المرسلين﴾ .

عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ
نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾
إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾

٤٩٠

١٧٧ ﴿اذ قال لهم شعيب﴾ لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم ، وكان من أهل قرية مدين : ﴿ألا تتقون﴾ ؟

١٧٨ ﴿اني لكم رسول أمين﴾ .

١٧٩ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به من الله .

١٨٠ ﴿وما أسألكم عليه من أجر ان﴾ ما ﴿أجري الا على رب العالمين﴾ لم تخالف ألفاظه ألفاظ من قبله ، ثم قال :

۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١)
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ
لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨)
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١) وَإِنَّهُ
لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣)
عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

٤٩١

١٨١ ﴿أوفوا الكيل﴾ أتموه ، وهذا يدل على أنهم متمدنون لوجود التجارة فيهم والخيانة فيها ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ الناقصين لحقوق الناس .

١٨٢ ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ الميزان السوي .

١٨٣ ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ بالقتل وغيره ، من «عثي» بكسر المثلثة : افسد . و«مفسدين» حال مؤكدة لمعنى عاملها . وهذا يدل على أنهم : فيهم اللصوص والمحاربون .

١٨٤ ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة﴾ الخليقة ﴿الأولين﴾ أي الأمم الاولين الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كأنها الجبال صلابة . فمن خلق شيئا فاعدام ذلك الشيء أهون عليه ، وأشار الى ضعفهم وقوة من كان قبلهم في كلمات سهلة سلسة وسياق لطيف ، ولذلك يسمى خطيب الأنبياء عليهم السلام .

١٨٥ ﴿قالوا﴾ أصحاب الأيكة لشعيب : ﴿انما أنت من المسحرين﴾ .

١٨٦ ﴿وما أنت الا بشر مثلنا﴾ أتوا «بالواو» للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه ، والوصفان هما كونه من المسحرين وكونه بشرا . يرون أن كلا منهما كاف في منع الرسالة ، فكيف اذا اجتمعا ؟ ﴿وان﴾ مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف أي أنه ﴿نظنك لمن الكاذبين﴾ لم يقطعوا بأنه كاذب لمعرفتهم بصدقه قبل دعوى النبوة والرسالة ، ولو قطعوا بوصفه بالكذب لكذبهم أتباعهم في الحال فيذهب ما أرادوا من اغوائهم .

١٨٧ ﴿فأسقط علينا كسفا﴾ بفتح السين وقرىء بسكونها ، أي قطعة ﴿من السماء ان كنت من الصادقين﴾ في رسالتك .

١٨٨ ﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ فيجازيكم به .

١٨٩ ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم ، فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا ﴿انه كان عذاب يوم عظيم﴾ .

١٩٠ ﴿ان في ذلك لآية﴾ مانعة للعاقل من تكذيب الرسل ، ومن طلب آية العذاب مثل طلب أصحاب الأيكة من اسقاط كسف من السماء عليهم فلقد أرسل عليهم الريح سبعة أيام ، فشق عليهم شدة حرها ، فكانوا يدخلون تحت الأرض فيزدادون حرا ، فخرجوا الى الصحراء فجاءتهم السحابة بالريح اللينة الباردة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وصاروا رمادا ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ .

١٩١ ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي جمع العزة والرحمة وهنا انتهت القصص السبعة ، فكلها اتفقت على الدعوة الى الله ، واثبات الرسالة وأمانة الرسل واتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة ، والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة . وانفراد كل بنوع من التشريع . وهي على الاختصار تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين وتعليم للمؤمنين .

١٩٢ ﴿وانه﴾ أي القرآن ﴿لتنزيل رب العالمين﴾ فليس بشعر ولا أساطير الأولين ولا غير ذلك مما قالوا .

١٩٣ ﴿نزل به الروح الأمين﴾ جبريل .

(الجزء التاسع عشر)

مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ
ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ
عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾
أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ
سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا
مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾
إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ

٤٩٢

١٩٤ ﴿على قلبك لتكون من المنذرين﴾ خص القلب بالذكر ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه تغييره ، ولأن القلب هو موضع التمييز والاختيار ، واما سائر الأعضاء مسخرة له . ويدل على ذلك القرآن والحديث والعقل . اما القرآن فقد قال الله تعالى : «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ألقى السمع وهو شهيد» وأما الحديث فقوله ﷺ : «الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» . واما العقل : فان القلب اذا غشي عليه وقطعت سائر الأعضاء لم يحصل للمقطوع له شعور واذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات . والمنذرين أي بكسر الذال المخوفين لقومهم ، أي الرسل مثل من تقدم ذكرهم في القصص المذكورة في هذه السورة .

١٩٥ ﴿بلسان عربي مبين﴾ بين وفي قراءة بتشديد «نزل» ونصب «الروح» ، والفاعل : «الله» . وباللغة العربية .

١٩٦ ﴿وانه﴾ أي ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿لفي زبر﴾ كتب ﴿الأولين﴾ كالتوراة والانجيل ، أي : ذكر فيها انزاله على النبي المبعوث في آخر الزمان ، وأن اصول معانيه مثبتة في كتبهم ، معنى ذلك أنه أخبر في كتبهم عن القرآن وانزاله آخر الزمان ، وأنه تعالى بين أصول معانيه في كتبهم .

١٩٧ ﴿أو لم يكن لهم﴾ أي الكفار من هذه الأمة ﴿آية﴾ على ذلك ﴿أن يعلمه علماء بني اسرائيل﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين ممن آمنوا فانهم يخبرون بذلك . و«يكن» بالتحتانية ، والأسم «القرآن» المحذوف ونصب «آية» خبر «يكن» ، وقرىء بالفوقانية ورفع «آية» . المراد بذكر نعمته والتحديث والاخبار عنه بأنه ينزل على محمد وبأنه من عند الله وأنه صدق وحق .

١٩٨ ﴿ولو نزلناه﴾ أي القرآن ﴿على بعض الأعجمين﴾ جمع أعجم ، وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب .

١٩٩ ﴿فقرأه عليهم﴾ الكفار من العرب ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ أنفة من اتباعه أو بقولهم لم نزل علينا ما لا نعمله؟

٢٠٠ ﴿كذلك﴾ أي مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الأعجم ﴿سلكناه﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿في قلوب المجرمين﴾ بقراءة النبي كقولهم : «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» ومثل هذا يصدهم عن الايمان به مهما كانت الظروف والأحوال . هل يؤمنون به أي .

٢٠١ ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ .

٢٠٢ ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ فيرونه .

٢٠٣ ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ لنؤمن ؟ فيقال لهم : لا ،

٢٠٤ ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ سؤال توبيخ ، وما أجهل من يستعجل عذاب الله .

٢٠٥ ﴿أفرأيت﴾ أيها المخاطب جهلهم في استعجال العذاب بظنهم أن المدة طويلة حتى ظنوا أنه لا يأتيهم البتة ، قال تعالى : ﴿ان متعناهم سنين﴾ .

٢٠٦ ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب .

٢٠٧ ﴿ما﴾ نافية او استفهامية ﴿أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ من تأخير المدة ، لان كل ما هو آت قريب وواقع .

٢٠٨ ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ أي أهلها ﴿الا لها منذرون﴾

إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ
ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ
ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ
ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟
وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

٤٩٣

رسل تنذر أهلها فاذا لم يؤمنوا نهلكها بالحجة .

٢٠٩ ﴿ذكرى﴾ لهم ﴿وما كنا ظالمين﴾ في اهلاكهم بعد انذارهم .

ولما ذكر تعالى أن القرآن تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الامين ، نفى فيما يأتي أي التباس به مع الشياطين فقال :

٢١٠ ﴿وما تنزلت به﴾ القرآن ﴿الشياطين﴾ .

٢١١ ﴿وما ينبغي﴾ يصلح ﴿لهم﴾ أن ينزلوا به ﴿وما يستطيعون﴾ ذلك .

٢١٢ ﴿انهم عن السمع﴾ لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ لمبعدون فتطردهم الحفظة بالشهب .

٢١٣ ﴿فلا تدع مع الله الها﴾ معبودا ﴿آخر فتكون من المعذبين﴾ ان فعلت ذلك تقديرا ، والمقصود بالنهي أتباعه ﷺ ، اذ هو مقطوع بعدم دعواه غير الله تعالى معه .

٢١٤ ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد انذرهم جهارا . روي انذاره لهم جهارا ، فقال في انذاره : «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا» . رواه البخاري ومسلم .

٢١٥ ﴿واخفض جناحك﴾ ألن جانبك ﴿لمن اتبعك من المؤمنين﴾ الموحدين سواء كانوا من عشيرتك اولا ، فالابتداء بهم بالانذار لقربهم وأسبقيتهم . وكذلك أهل العلم أولى بالتعليم ، أولا لقربهم وأسبقيتهم اليه ، ثم الاسبق فالاسبق . وأما لين الجانب والتواضع واللطف فيشترك فيها المؤمنون كل بقدره ومحله .

٢١٦ ﴿فان عصوك﴾ أي عشيرتك ﴿فقل﴾ لهم ﴿اني بريء مما تعملون﴾ من عبادة غير الله .

٢١٧ ﴿وتوكل﴾ «بالواو» وفي قراءة «بالفاء» أي ثق بالله ولتكن ثقتك بالله وحده كما كان الانبياء يثقون به من قبل ، أي لا تخف من البراءة من العشيرة أو غيرهم ممن عصى أمرك ، فلا تضرك البراءة منهم بشيء وتوكل ﴿على العزيز الرحيم﴾ أي الله الذي أمرك بذلك . وهو كافيك عن كل شيء وهو متصف بالعزة فلا يغلبه شيء وبالرحمة فلا تصيبك في جانبه شدة . وقد كان كذلك لجميع الأنبياء كما تقدم في تعقيبه آخر كل قصة من قصصهم مع قومهم . أي فوض اليه جميع أمورك .

٢١٨ ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ الى الصلاة وحدك أو الى غيرها من الطاعات ، اذ كل تحركاته ﷺ طاعات لله العزيز الرحيم .

٢١٩ ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي يراك مصليا في الجماعة المصلين بالركعات والسجدات .

٢٢٠ ﴿انه هو السميع العليم﴾ أي لا سامع مثله ولا عالم مثله ولا يخفى عليه شيء . وبالاضافة الى كونه العزيز الرحيم فتركك غيره وتوكلك عليه لا يزيدك الا غناء ودرجة ورفعة . وكان موضوع السورة الامر بتبليغ الرسالة والاعتماد عليه تعالى ، فانه ينجي المؤمنين وينتقم من الكافرين .

بعد أن نزه تعالى القرآن عن أي التباس مع الشياطين وأمر نبيه بالانذار به : بين فيما يأتي الكهانة وصفات من يتعامل مع الشياطين ، فقال :

٢٢١ ﴿هل أنبئكم﴾ أي ايها الكفار ﴿على من تنزل

الشياطين﴾ بحذف أحدى التاءين من الاصل .

٢٢٢ ﴿تنزل على كل أفاك﴾ كذاب ﴿أثيم﴾ فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة .

٢٢٣ ﴿يلقون﴾ الكهنة ﴿السمع﴾ أي ما سمعوه من الشياطين الى عوام الخلق ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ في أقوالهم ، والأكثر بمعنى الكل لأن الشياطين منعوا ألبتة من استراق السمع بعد النبي ﷺ . ويمكن أن يكون على بابه بما قبل البعثة ففي ذلك يضمون الى المسموع كذبا كثيرا ، وأما بعد أن حجبت الشياطين عن السماء فكلهم كاذبون في اقوالهم .

٢٢٤ ﴿والشعراء﴾ أي شعراء السوء الذين يفسدون بشعرهم ﴿يتبعهم الغاوون﴾ فيقولون ما قالوا ويروونه عنهم على سبيل الافساد في الأرض لذلك فهم مذمومون باتباعهم .

٢٢٥ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أنهم في كل واد﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يهيمون﴾ يمضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء .

٢٢٦ ﴿وأنهم يقولون﴾ فعلنا ﴿ما لا يفعلون﴾ يكذبون .

٢٢٧ ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الشعراء ﴿وذكروا الله كثيرا﴾ أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وانتصروا﴾ بهجوهم الكفار ﴿من بعدما ظلموا﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين . قال الله تعالى : ولا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ،وقال تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أي منقلب﴾ مرجع ﴿ينقلبون﴾ يرجعون بعد الموت . وأما الذين كانت ثقتهم بالله فهم مطمئنون في كل حال .

﴿ سورة النمل مكية ﴾

هي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية . موضوعها الرئيسي : توجيه القلوب الى الله وحده ، وأن الغيب لا يعرفه الا هو ، يطلع عليه من يشاء من عباده ولا يتبع الا الشرع .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿طس﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ أي هذه الآيات ﴿آيات القرآن﴾ آيات منه ﴿وكتاب مبين﴾ مظهر للحق من الباطل ، عطف بزيادة صفة .

٢ هو ﴿هدى﴾ أي هاد من الضلالة ﴿وبشرى للمؤمنين﴾ المصدقين به بالجنة .

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بأن يأتوا بها على وجهها ﴿ويؤتون﴾ يعطون ﴿الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمونها بالاستدلال وأعيد «هم» لما فصل بينه وبين الخبر .

(٢٧) سورة النمل مكية
وآياتها ثلاث وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ

٤ ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة بآرائهم الباطلة ﴿فهم يعمهون﴾ يتحيرون فيها لقبحها عندنا .

٥ . ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أشد أنواعه وهو القتل والأسر في الدنيا ﴿وهم في الآخرة هم الاخسرون﴾ لان مصيرهم الى النار خالدين فيها ابدا .

٦ ﴿وانك﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لتلقى القرآن﴾ أي يلقى عليك بشدة ، فتتلقاه وتعلمه وتأخذه ﴿من لدن﴾ من عند ﴿حكيم عليم﴾ في ذلك وتستعمله -كما نزل وفيه وجوب تعلم الدين في كل شيء بالنقل كما جاء من عند الله ويبينه النبي ﷺ للناس .

ثم ذكر تعالى خمس قصص لبيان موضوع السورة فقال :

تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَا مُوسَىٰ
إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا
رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ
لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ
ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ
آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ
وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ

٧ اذكر : ﴿اذ قال موسى لأهله﴾ زوجته عند مسيره من مدين الى مصر ﴿اني آنست﴾ أبصرت من بعيد ﴿نارا سآتيكم منها بخبر﴾ عن حال الطريق . وكان قد ضلها فالانسان بنفسه يضل حتى عن الطريق أمامه . ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ بدون اضافة وتنوين شهاب ، وبالاضافة للبيان ، أي : شعلة نار في رأس فتيلة أو عود . ﴿لعلكم تصطلون﴾ «والطاء» بدل من «تاء» الافتعال من صلى بالنار ، بكسر اللام وفتحها . تستدفئون من البرد .

٨ ﴿فلما جاءها نودي أن﴾ أي بأن ﴿بورك﴾ أي بارك الله ﴿من في النار﴾ أي موسى ﴿ومن حولها﴾ أي الملائكة أو العكس . «وبارك» يتعدى بنفسه وبالحرف . ويقدر بعد «في» : مكان ، أي : بورك من في مكان النار ومن حولها . ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ من جملة ما نودي ، ومعناه : تنزيه الله عن السوء .

٩ ﴿يا موسى انه﴾ أي الشأن ﴿أنا الله العزيز الحكيم﴾ الجامع بين صفتي العزة والحكمة . ثم بين له الحكمة بقوله تعالى :

١٠ ﴿وألق عصاك﴾ معطوف على مقدر دل عليه ما قبله : آمن بي وألق عصاك ، لترى العزة والحكمة ، فألقاها ﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك ﴿كأنها جان﴾ حية خفيفة سريعة الحركة مع كبر جثتها ﴿ولى مدبرا ولم يعقب﴾ يرجع على عقبه ، ولم ينتظر ولم يتكلم . قال تعالى : ﴿يا موسى لا تخف﴾ منها ﴿اني لا يخاف لدي﴾ عندي ﴿المرسلون﴾ من حية وغيرها .

١١ ﴿الا﴾ لكن ﴿من ظلم﴾ نفسه بكفره وعصيانه ﴿ثم بدل حسنا بعد سوء﴾ بأن آمن وتاب ﴿فاني غفور رحيم﴾ أغفر وأرحم .

١٢ ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ طوق القميص ﴿تخرج﴾ خلاف لونها من الأدمة ﴿بيضاء من غير سوء﴾ برص لها شعاع يغشي البصر ، آية ﴿في تسع آيات﴾ مرسلاً بها ﴿الى فرعون وقومه. انهم كانوا قوما فاسقين﴾ بالظلم على بني اسرائيل بالتعبيد والقتل .

١٣ ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ أي مضيئة واضحة ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ بين ظاهر .

١٤ ﴿وجحدوا بها﴾ أي لم يقروا ﴿و﴾ قد ﴿استيقنتها أنفسهم﴾ أي تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظلما وعلوا﴾ تكبرا عن الايمان بما جاء به موسى ، راجع الى الجحد ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ التي علمتها من اهلاكهم ، لانهم خالفوا ما أرسل الله به اليهم . وكل من خالف أمر الله فآخرته الدمار والهلاك .

ثم أشار تعالى الى القصة الثانية ، فقال :

مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ
يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ
جُنُودُهُۥ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا النَّمْلُ
ادْخُلُوا مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

١٥ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان﴾ ابنه ﴿علما﴾ بالقضاء بين الناس وعلما منطق الطير وغير ذلك ﴿وقالا﴾ شكرا لله ﴿الحمد لله الذي فضلنا﴾ بالنبوة والعلم وتسخير الجن والانس والشياطين ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ .

١٦ ﴿وورث سليمان داود﴾ النبوة والعلم والملك دون باقي أولاده . وكان لداود تسعة عشر ولدا سليمان واحد منهم . وعاش داود مائة سنة ، وبينه وبين موسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة . وعاش سليمان نيفا وخمسين سنة ، وبينه وبين محمد الف وسبعماية سنة . ﴿وقال﴾ سليمان على جهة الشكر زيادة على ما ورثه من العلم والنبوة والخلافة ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ أي فهم أصواته ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ تؤتاه الانبياء والملوك ﴿ان هذا﴾ المؤتى ﴿لهو الفضل المبين﴾ البين الظاهر .

١٧ ﴿وحشر﴾ جمع ﴿لسليمان جنوده من الجن والأنس والطير﴾ في مسير له ﴿فهم يوزعون﴾ يجمعون ثم يساقون .

١٨ ﴿حتى اذا أتوا على واد النمل﴾ هو بالطائف أو بالشام ﴿قالت نملة﴾ هي ملكة النمل لما رأت جند سليمان ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم﴾ يكسرنكم فيقضي عليكم ﴿سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب .

١٩ ﴿فتبسم﴾ سليمان ابتداء ﴿ضاحكا﴾ انتهاء ﴿من قولها﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته اليه الريح ، فحبس جنوده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم . وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير . ﴿وقال رب أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت﴾ بها ﴿علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ الانبياء والاولياء .

٢٠ وكان يتفقد جيشه ﴿وتفقد الطير﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها ، فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان اليه للصلاة ، فلم يره ﴿فقال مالي لا أرى الهدهد﴾ أي أعرض لي ما منعني من رؤيته ؟ ﴿أم كان من الغائبين﴾ فلم أره لغيبته ؟ فلما تحققها قال :

٢١ ﴿لأعذبنه عذابا﴾ تعذيبا ﴿شديدا﴾ بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام ، أدبا عسكريا ﴿أو لأذبحنه﴾ بقطع حلقومه . ﴿أو ليأتيني﴾ بنون مشدودة مكسورة بعدها «ياء» التكلم ، وقرىء مكسورة أو مفتوحة يليها «نون» مكسورة وبعدها «ياء» المتكلم ﴿بسلطان مبين﴾ ببرهان ظاهر على عذره .

أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)
إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ
ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٢٦) ۩
۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٢٧)
ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ
إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣١)

٤٩٧

٢٢ ﴿فمكث﴾ بفتح «الكاف» وقرىء بضمها ﴿غير بعيد﴾ أي يسيرا من الزمن وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وارخاء ذنبه وجناحيه، فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته: ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه، وعلمت ما لم تعلم أنت ولا جنودك. وهذا الكلام تنبيه لسليمان على أن أدنى جنده قد أحاط علما بما لم يحط به هو، ليكون لطفا به في ترك الاعجاب. ﴿وجئتك من سبأ﴾ بالصرف وقرىء بتركه، قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتبار صرفه ﴿بنبأ﴾ خبر ﴿يقين﴾ ثابت.

٢٣ ﴿اني وجدت امرأة تملكهم﴾ أي هي ملكة لهم، اسمها بلقيس، بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان. وكان أبوها ملكا عظيم الشأن فورثت ملكه ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ يحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة ﴿ولها عرش﴾ سرير ﴿عظيم﴾ طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا، مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد. وقوائمه كذلك عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق.

٢٤ ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾ طريق الحق ﴿فهم لا يهتدون﴾.

٢٥ ﴿ألا يسجدوا لله﴾ زين لهم الشيطان أعمالهم أي عدم السجود، فهو بدل من «أعمالهم» وقرأ الكسائي بتخفيف «ألا» على أنه حرف تنبيه واستفتاح ويا بعدها حرف نداء أو تنبيه أيضا واسجدوا فعل أمر. ﴿الذي يخرج الخبء﴾ مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات ﴿في السموات والارض ويعلم ما تخفون﴾ في قلوبكم ﴿وما تعلنون﴾ بألسنتكم، وفي قراءة بالياء في «يخفون» و «يعلنون» بدون التفات.

٢٦ ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم. وهنا موضع السجود.

٢٧ ﴿قال﴾ سليمان للهدهد ﴿سننظر أصدقت﴾ فيما اخبرتنا به ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ أي من هذا النوع فهو أبلغ من «أم كذبت فيه». ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضأوا وصلوا. ثم كتب سليمان كتابا صورته: «من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ. بسم الله الرحمن الرحيم. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين» ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد:

٢٨ ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه﴾ بسكون الهاء، وفي قراءة بكسرها مع الاختلاس، وفي اخرى مع الصلة، ﴿اليهم﴾ أي بلقيس وقومها ﴿ثم تول﴾ انصرف ﴿عنهم﴾ وقف قريبا منهم ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ يردون من الجواب فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه في حجرها. فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفا، ثم وقفت على ما فيه.

٢٩ ثم ﴿قالت﴾ لاشراف قومها ﴿يا أيها الملأ اني﴾ بتحقيق الهمزتين، وقرىء تسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة ﴿ألقي الي كتاب كريم﴾ معظم مختوم. عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «كرامة الكتاب ختمه» قيل: لكرم مضمونه أو مرسله أو لغرابة شأنه.

٣٠ ﴿انه من سليمان وانه﴾ أي مضمونه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾

٣١ ﴿الا تعلوا علي وأتوني مسلمين﴾ «أن» مفسرة ، و«لا» ناهية . أي : لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك .

٣٢ ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية بقلبها واوا ، أي : أشيروا علي . ﴿في أمري ما كنت قاطعة أمرا﴾ قاضيته ﴿حتى تشهدون﴾ تحضرون .

٣٣ ﴿قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد﴾ أي أصحاب شدة في الحرب ﴿والامر اليك فانظري ماذا تأمرين﴾ نطعك .

٣٤ ﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ بالتخريب ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ أي مرسلوا الكتاب .

٣٥ ﴿واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ من قبول الهدية أو ردها ، أن كان ملكا قبلها أو نبيا لم يقبلها . فأرسلت خدماً ذكورا واناثا ألفا بالسوية ، وخمسمائة لبنة من الذهب ، وتاجا مكللا بالجواهر ، ومسكا وعنبرا وغير ذلك ، مع رسول بكتاب . فأسرع الهدهد الى سليمان يخبره الخبر فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه الى تسعة فراسخ ميدانا ، وأن يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة ، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع الخدم عن يمين الميدان وشماله .

٣٦ ﴿فلما جاء﴾ الرسول بالهدية ومعه أتباعه ﴿سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله﴾ من النبوة والملك ﴿خير مما آتاكم﴾ من الدنيا ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ لفخركم بزخارف الدنيا .

٣٧ ﴿ارجع اليهم﴾ بما أتيت به من الهدية ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل﴾ طاقة ﴿لهم بها ولنخرجنهم منها﴾ من بلادهم سبأ ، سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ أي ان لم يأتوني مسلمين فلما رجع الرسول بالهدية وأخبرها بقول سليمان تجهزت للسير اليه لتنظر ما يأمرها به . الى أن قربت منه على فرسخ شعر بها .

٣٨ ﴿قال يا ايها الملأ أيكم﴾ في الهمزتين ما تقدم ﴿يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ منقادين طائعين ، أراد أن يؤتى به قبل ذلك ليكون سببا لأسلامهم .

٣٩ ﴿قال عفريت من الجن﴾ هو القوي الشديد ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ الذي تجلس فيه للقضاء ، وهو من الغداة الى نصف النهار . ﴿واني عليه لقوي﴾ أي على حمله ﴿أمين﴾ أي على ما فيه من الجواهر وغيرها . قال سليمان : أريد أسرع من ذلك .

٤٠ ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ المنزل وهو آصف بن برخيا ، كان صديقا يعلم اسم الله الاعظم ، الذي إذا دعي به أجاب : قيل كان الدعاء الذي دعا به : «يا ذا الجلال والاكرام» ، وقيل : «يا حي يا قيوم» . وروي ذلك عن عائشة ، وروى عن زهري قال : دعاء الذي عنده علم من الكتاب : «يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها» . وقيل الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل ، وقيل ملك آخر ، وقيل سليمان نفسه . والمراد على كل حال من الآية أن ذلك الدعاء أو الاسم بيان وجود سر من أسرار الله لا يعلم الا بوحي من الله . ولذلك قال : «قال الذي عنده علم من الكتاب» اذ موضوع السورة في بيان أن الغيب لله لا يعلمه الا هو ، تعالى : ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك﴾ اذا نظرت به الى شيء ما . قال له : أنظر الى السماء فنظر اليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه ، ففي نظره الى السماء دعا آصف بالاسم الاعظم أن يأتي الله به فحصل كأنه جرى تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان عليه السلام .

قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَٰبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ
أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾
قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ
كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ
كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن
قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ

﴿فلما رآه مستقرا﴾ أي ساكنا ﴿عنده قال هذا﴾ الاتيان به ﴿من فضل ربي ليبلوني﴾ ليختبرني ﴿أأشكر﴾ بتحقيق الهمزتين ، وقرىء بابدال الثانية ألفا وبتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه ﴿أم أكفر﴾ النعمة ﴿ومن شكر فانما يشكر لنفسه﴾ أي لاجلها لان ثواب شكره له ﴿ومن كفر﴾ النعمة ﴿فان ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ أي كامل ومنزه عن النقص ، فالذي كفر عن شكره هو الذي ظلم نفسه .

٤١ ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ أي غيروه الى حال تنكره اذا رأته ﴿ننظر أتهتدي﴾ الى معرفته ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ الى معرفة ما يغير عليهم . قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له ان فيه نقصا . فغيروه بزيادة أو نقص أو تقليب .

٤٢ ﴿فلما جاءت قيل﴾ لها ﴿أهكذا عرشك﴾ أي مثل هذا عرشك ؟ ﴿قالت كأنه هو﴾ أي فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها ، اذ لم يقل «أهذا عرشك» فلو قيل هذا لقالت : «نعم» . قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلما ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ . أي فقد أصابت في الجواب وعقلت وعرفت ، ونحن نشكر الله اذ أوتينا العلم بالله والاسلام والهداية قبلها وكنا منقادين لامر الله . قال هذا الكلام لاجل الثناء على الله والتحدث بنعمته .

٤٣ ﴿وصدها﴾ عن عبادة الله ﴿ما كانت تعبد من دون الله﴾ أي غيره ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ أي راسخين في الكفر . فلم تكن قادرة أن تعلن اسلامها بسرعة بعدما ظهر لها من الآيات الدالة على صدق رسالة سليمان .

٤٤ ﴿قيل لها﴾ أيضا ﴿ادخلي الصرح﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان ليختبر كبرها ، اذ المتكبر لا يقبل أن يطيع الامر في مثل هذا، فأطاعت . ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ من الماء ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ لتخوضه ، فرأى سليمان تواضعها وانقيادها لامره . ﴿قال﴾ لها : ﴿انه صرح ممرد﴾ مملس ﴿من قوارير﴾ أي زجاج . فدعاها الى الاسلام فأجابته وأسلمت . ولما شعرت بلذة الاسلام والتوحيد ﴿قالت رب اني ظلمت نفسي﴾ بعبادة غيرك ﴿وأسلمت﴾ كائنة ﴿مع سليمان لله رب العالمين﴾ أي مصاحبة له في الدين ، وهو الاسلام . يروى أنه تزوجها بعد ذلك حتى ولدت له ، «قلت: ومما يعلم من هذا ان قوة الايمان اذا باشرت القلب أقوى من حب الدنيا وعزة الملك ، وأن التكبر والانفة عن الانقياد للحق لا يكون الا مع الكفر وطمس البصيرة . وزمام ذلك كله في رد الامور الى الله واتباع أمره وترك الهوى . روي انه تولى سليمان الملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . الا أنه ينقضه ما روى من أنه لم يرسل نبي قبل أربعين سنة الا ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام ، والله أعلم . وقد اشتملت قصة داود وسليمان على قصة النمل وقصة بلقيس ، وكلها من عجائب الغيب مما خصص الله تعالى بعض خلقه بالعلم .

ويتلو ذلك قصة صالح مع قومه ، قال تعالى :

صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا
تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن
مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾
وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾
وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟
يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ

٥٠٠

٤٥ ﴿ولقد ارسلنا الى ثمود أخاهم﴾ من القبيلة ﴿صالحا أن﴾ أي بأن ﴿اعبدوا الله﴾ وحدوه ﴿فاذا هم فريقان يختصمون﴾ في الدين : فريق مؤمنون من حين ارساله اليهم ، وفريق كافرون مكذبون .

٤٦ ﴿قال﴾ للمكذبين ﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة ، حيث قلتم : ان كان ما آتيتنا به حقاً فأتنا بالعذاب . ﴿لولا﴾ هلا ﴿تستغفرون الله﴾ من الشرك ﴿لعلكم ترحمون﴾ فلا تعذبون :

٤٧ ﴿قالوا اطيرنا﴾ أصله «تطيرنا» أدغمت التاء في الطاء ، واجتلبت همزة الوصل ، أي تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ أي المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا . ﴿قال طائركم﴾ شومكم ﴿عند الله﴾ أتاكم به ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر.

٤٨ ﴿وكان في المدينة﴾ مدينة ثمود وهي «الحجر» هو واد بين المدينة والشام ، وهو ديار ثمود ﴿تسعة رهط﴾ أي رجال . ﴿يفسدون في الارض﴾ بالمعاصي منها قرضهم الدنانير والدراهم ﴿ولا يصلحون﴾ بالطاعة

٤٩ ﴿قالوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا﴾ أي حلفوا ﴿بالله لنبيتنه﴾ بالنون ، وقرىء بالتاء وضم التاء الثانية . ﴿واهله﴾ أي من آمن به ، أي نقتلهم ليلا ﴿ثم لنقولن﴾ بالنون وقرىء بالتاء وضم اللام الثانية . ﴿لوليه﴾ أي ولي دمه ﴿ما شهدنا﴾ حضرنا ﴿مهلك أهله﴾ بفتح الميم وقرىء بضمها أي هلاكهم أو اهلاكهم فلا ندري من قتله ﴿وانا لصادقون﴾ أي نقول ما نقول والحال انا لصادقون فيما ذكرنا ، لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا.

٥٠ ﴿ومكروا﴾ في ذلك ﴿مكرا ومكرنا مكرا﴾ أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنا نرد اليهم مكرهم قبل أن ينفذوه على صالح . فأهلكناهم وانجيناه من مكرهم . فمكرهم ليس بسر عند الله ، ومكر الله سر من اسراره .

ثم شرع في بيان ما ترتب على مكرهم ، فقال :

٥١ ﴿فانظر﴾ يا محمد أو ايها المخاطب ﴿كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم﴾ أهلكناهم ﴿وقومهم أجمعين﴾ بصيحة جبريل أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم .

٥٢ ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ أي خالية ، ونصبه على الحال ، والعامل فيها معنى الاشارة التي تصور بيوتهم كأنها ظاهرة أمام المخاطب . ﴿بما ظلموا﴾ بظلمهم أي بكفرهم ﴿ان في ذلك لآية﴾ لعبرة ﴿لقوم يعلمون﴾ قدرتنا فيتعظون .

٥٣ ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ بصالح وهم نحو أربعة آلاف ﴿وكانوا يتقون﴾ الشرك والمعاصي ، وخرج صالح بمن معه الى «حضر الموت» فلما دخلها مات صالح فسميت «حضرموت» ثم بنى أتباعه مدينة يقال لها «حاضوراء» .

ثم ذكر تعالى لوط مع قومه ، وقال عطفا على «أخاهم» من قوله : «ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم» .

تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ
أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ
قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ
مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ
الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ
أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

٥٤ ﴿ولوطا اذ﴾ حين ﴿قال لقومه اتاتون الفاحشة﴾ أي اللواط ﴿وأنتم تبصرون﴾ أي يبصر بعضكم بعضا انهماكا في المعصية .

٥٥ ﴿أئنكم﴾ بتحقيق الهمزتين ، وقرىء بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين . قوم ﴿لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ عاقبة فعلكم ، أو أنتم سفهاء .

٥٦ ﴿فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط﴾ أهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة معه ﴿من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ من أدبار الرجال .

٥٧ ﴿فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها﴾ قد جعلناه بتقديرنا ﴿من الغابرين﴾ الباقين في العذاب .

٥٨ ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ هو حجارة السجيل ، فأهلكتهم ﴿فساء﴾ بئس ﴿مطر المنذرين﴾ بالعذاب مطرهم . أمطروا مطر العذاب لانهم ما عملوا على مقتضى الانذار الذي انذروا به ، وجروا على جهلهم واتباع هواهم الشهواني الفاحش . ومطر العذاب سر من أسراره تعالى .

وبعد عرض القصص ، وما ينتج منها من أنه تعالى عنده أسرار لا يطلع عليها الا من اختاره بالفلاح والنجاة ، أتبع ذلك بذكر مشاهد الكون وأغوار النفس وأطواء الغيب والساعة وأهوال القيامة . فقال :

٥٩ ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿الحمد لله﴾ على ما أنعم علينا به من العلم والهداية لتوحيده تعالى ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ أي اختارهم ، وهم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين . ﴿آلله﴾ بابدال الهمزة الثانية الفا وقرىء بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية ، وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه ، ﴿خير﴾ لمن يعبده ﴿أما يشركون﴾ بالتاء وقرىء بالياء ، الكفار به الآلهة خير لعابديها .

٦٠ ﴿أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا﴾ فيه التفات عن الغيبة الى التكلم ﴿به حدائق﴾ جمع حديقة وهو البستان المحوط ﴿ذات بهجة﴾ حسن ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أإله﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين ، في مواضعه ﴿مع الله﴾ أعانه على ذلك أي ليس معه اله ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ عن الحق ويشركون بالله غيره .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا
مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ
تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ
وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ
فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ
وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ

٦١ ﴿أمن جعل الارض قرارا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وجعل خلالها﴾ فيما بينها ﴿أنهارا وجعل لها رواسي﴾ جبالا أثبت بها الارض ﴿وجعل بين البحرين حاجزا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر. ﴿أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ توحيده.

٦٢ ﴿أمن يجيب المضطر﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿اذا دعاه ويكشف السوء﴾ عنه وعن غيره ﴿ويجعلكم خلفاء الارض﴾ الاضافة بمعنى «في»، أي: يخلف كل قرن الذي قبله ﴿أإله مع الله قليلا ما تذكرون﴾ تتعظون بالفوقانية وقرىء بالتحتانية، وفيه ادغام «التاء» في «الذال»، و«ما» زائدة لتقليل القليل.

٦٣ ﴿أمن يهديكم﴾ يرشدكم الى مقاصدكم ﴿في ظلمات البر والبحر﴾ بالنجوم ليلا وبعلامات الارض نهارا. ﴿ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته﴾ أي قدام المطر ﴿أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ به غيره.

٦٤ ﴿أمن يبدأ الخلق﴾ في الارحام من نطفة ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت وان لم تعترفوا بالاعادة لقيام البراهين عليها. ﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والارض﴾ بالنبات ﴿أإله مع الله﴾ أي لا يفعل شيئا مما ذكر الا الله، ولا إله معه ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿هاتوا برهانكم﴾ حجتكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ ان مع الله الها فعل شيئا مما ذكر. وعلى تقدير أن يسألوك يا محمد عن الساعة أو غيرها مما هو سر من أسرار الله ولم يطلعك عليه.

٦٥ ﴿قل لا يعلم من في السموات والارض﴾ من الملائكة والناس ﴿الغيب﴾ أي ما غاب عنهم، ومن جملته وقت قيام الساعة ﴿الا﴾ لكن ﴿الله﴾ يعلمه ﴿وما يشعرون﴾ أي المخلوقات في السموات والارض ﴿أيان﴾ متى ﴿يبعثون﴾. لا يعلمون ما يتعلق بمصيرهم فكيف يعلمون غيبا ليس لهم به تعلق بشيء وليس لهم دليل عليه.

٦٦ ﴿بل﴾ بمعنى هل ﴿ادارك﴾ بوزن «تفاعل» في الاصل وأبدلت «التاء» دالا وأدغمت في «الدال» واجتلبت همزة الوصل، فتدارك صار «ادارك» بتشديد الدال. وفي قراءة على وزن «أكرم» أي بلغ ولحق، أو تتابع وتلاحق ﴿علمهم في الاخرة﴾ فيسألون عن وقت مجيئها، أي ما وصل علمهم في أمور الآخرة حتى يسألوا عن وقت مجيئها ﴿بل﴾ أبدل وصول علمهم بما فيها ﴿هم في شك منها﴾ أي من وقوعها ﴿بل﴾ أي بدل شكهم في وقوعها ﴿هم منها عمون﴾ أي جاهلون بها البتة، من عمى القلب، وهو أبلغ مما قبله. والاصل «عميون» استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الميم بعد حذف كسرتها، أي فهم لا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم.

٦٧ ﴿وقال الذين كفروا﴾ في انكار البعث لعماهم من الساعة ﴿أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾ من القبور؟ هذا بيان لجهلهم بالآخرة وما فيها من البعث وغيره.

الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن
فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ
لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾
وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

٦٨ ﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان﴾ ما ﴿هذا الا أساطير الاولين﴾ جمع اسطورة بالضم ، أي : ما سطر من الكذب .

٦٩ ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ بانكاره وهي هلاكهم بالعذاب واستئصالهم ، ولم يجعلوا خلائف مثلكم . واذا أنكرتموه أنتم تصيرون مستأصلين مثلهم . ثم سلى تعالى نبيه وصبره على انكارهم ، فقال :

٧٠ ﴿ولا تحزن عليهم﴾ على عدم ايمانهم ﴿ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾ أي لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصروك عليهم .

٧١ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيه ؟ .

٧٢ ﴿قل عسى أن يكون ردف﴾ قرب ﴿لكم بعض الذي تستعجلون﴾ فحصل لقريش القتل ببدر ، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت .

ثم عقب على ما تقدم ، فقال :

٧٣ ﴿وان ربك لذو فضل على الناس﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لانكارهم وقوعه .

٧٤ ﴿وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ تخفيه ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم .

٧٥ ﴿وما من غائبة في السماء والارض﴾ الهاء للمبالغة أي في شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿الا في كتاب مبين﴾ بيّن ، هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ، ومنه تعذيب الكفار .

٧٦ ﴿ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل﴾ الموجودين في زمان نبينا ﷺ ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ أي بيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا . واذا كان يزيد العلماء علما حتى يرتفع خلافهم فالجهال من العرب من باب أولى لو تمسكوا به .

٧٧ ﴿وانه﴾ أي القرآن ﴿لهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ من العذاب .

٧٨ ﴿ان ربك يقضي بينهم﴾ بين المؤمنين والكفار يوم القيامة ﴿بحكمه﴾ أي عدله ﴿وهو العزيز﴾ الغالب ﴿العليم﴾ بما يحكم فيه ، فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءهم .

٧٩ ﴿فتوكل على الله﴾ ثق به ﴿انك على الحق المبين﴾ أي الدين البين ، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ، ثم ضرب تعالى أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمي ، فقال :

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ
إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾
۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ
ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾
وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا
فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى
وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ
ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ

٨٠ ﴿انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ولوا مدبرين﴾ .

٨١ ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان﴾ ما ﴿تسمع﴾ اسماع افهام وقبول ﴿الا من يؤمن بآياتنا﴾ القرآن ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون بتوحيد الله ، أو منقادون لامره ومنتهون عن نهيه تعالى .

ثم أشار تعالى الى علامات الساعة التي ينكرونها ، والتي يقع فيها العذاب الذي يستعجلون به ، وأشير اليه بقوله تعالى : «عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون» فقال :

٨٢ ﴿واذا وقع القول عليهم﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم﴾ أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية ، تقول لهم من جملة كلامها تحكي عنا : ﴿ان الناس﴾ بكسر «ان» وقرىء فتحها ، وقدر على قراءة الفتح «الباء» بعد «تكلمهم» : ﴿كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ أي لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب ، وبخروجها ينقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر . كما أوحى الله الى نوح «أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن» .

٨٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشر من كل أمة فوجا﴾ جماعة ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ وهم رؤساؤهم المتبوعون ﴿فهم يوزعون﴾ أي يجمعون ، برد آخرهم الى أولهم ثم يساقون .

٨٤ ﴿حتى اذا جاءوا﴾ مكان الحساب ﴿قال﴾ تعالى لهم : ﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بها علما أما﴾ فيه ادغام ميم «أم» في «ما» الاستفهامية ﴿ذا﴾ موصول ، أي ما الذي ﴿كنتم تعملون﴾ مما أمرتم به .

٨٥ ﴿ووقع القول﴾ حق العذاب ﴿عليهم بما ظلموا﴾ أي أشركوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ اذ لا حجة لهم .

ثم أكد تعالى وقوع الحشر مع تقريع الكافرين بسؤال ملؤه التوبيخ ، فقال :

٨٦ ﴿ألم يروا أنا جعلنا﴾ خلقنا ﴿الليل ليسكنوا فيه﴾ كغيرهم ﴿والنهار مبصرا﴾ بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه ﴿ان في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الايمان ، بخلاف الكافرين الذين لا يعملون عقولهم ليشاهدوا في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة ، ويعاينوا في أنفسهم تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالتيقظ الذي هو مثل الحياة ، ويعرفوا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .

وبعد ذكر علامات الساعة ذكر تعالى مبادئها ، فقال :

إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى
ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ
ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)
مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
ءَامِنُونَ (٨٩) وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ
فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)
إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا
وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٩١)
وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ
وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

٨٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ القرن النفخة الاولى من اسرافيل ﴿ففزع من في السموات ومن في الارض﴾ أي خافوا الخوف المفضي الى الموت ، كما في آية أخرى «فصعق» والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه . ﴿الا من شاء الله﴾ أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . وعن عباس : هم الشهداء اذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ، أي فلا يموتون موتاً آخر بعد الاستشهاد . وأما الملائكة الأربعة فلا يموتون عند النفخة الأولى كما يموت باقي الملائكة عندها ، بل يموتون بين النفختين ويحيون قبل الثانية . ﴿وكل﴾ تنوينه عوض عن المضاف اليه . أي وكلهم بعد احيائهم يوم القيامة ﴿أتوه﴾ بصيغة الفعل واسم الفاعل ﴿داخرين﴾ صاغرين . والتعبير في الاتيان بالماضي لتحقق وقوعه .

٨٨ ﴿وترى الجبال﴾ تبصرها وقت النفخة الثانية ، كما في قوله تعالى «ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي» وأما اندكاكها وتصدعها فعند النفخة الاولى . ﴿تحسبها﴾ تظنها ﴿جامدة﴾ هادئة ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ اذا ضربته الريح ، أي : تسير سيره حتى تقع على الارض فتستوي بها مبثوثة ، ثم تصير كالعهن ، ثم تصير هباء منثورا ﴿صنع الله﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ، أضيف الى فاعله بعد حذف عامله . أي : صنع الله ذلك صنعا ﴿الذي أتقن﴾ أحكم ﴿كل شيء﴾ صنعه . ﴿انه خبير بما تفعلون﴾ بالتاء الفوقانية وقرىء بالياء التحتانية ، أي أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة .

٨٩ ﴿من جاء بالحسنة﴾ وهي كل ما يمدح شرعا قولا أو فعلا يوم القيامة ﴿فله خير﴾ ثواب أكثر مما يستحق ﴿منها﴾ وفي آية اخرى «عشر أمثالها» . هذا في غير العمل في سبيل الله فيه على الاقل سبعمائة ضعف ، كما تقدم في البقرة . ﴿وهم﴾ أي الجاءون بها ﴿من فزع يومئذ﴾ بتنوين «فزع» وفتح ميم «يومئذ» ، وقرىء بالاضافة وكسر «الميم» وفتحها ﴿آمنون﴾ .

٩٠ ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي الشرك ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ بأن وليتها . وذكرت الوجوه لانها موضع الشرف من الحواس ، فغيرها من باب أولى . حال كونهم يقال لهم تبكيتا ﴿هل﴾ أي ما ﴿تجزون الا﴾ جزاء ﴿ما كنتم تعملون﴾ من الشرك والمعاصي ، أي : كما تنكبتم بوجوهكم وأعرضتم بها عن آيات ربكم هكذا يفعل بكم اليوم .

وفي النهاية تجيء الايقاعات الاخيرة ، حيث يلخص الرسول ﷺ دعوته ونهجه في الدعوة ، ويكلهم الى مصيرهم الذي يرتضونه لانفسهم بعدما سبق من البيان ، فقال الله له : قل لهم :

٩١ ﴿انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة﴾ أي مكة ﴿الذي حرمها﴾ جعلها حرما آمنا : لا يسفك فيها دم انسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ، وذلك من أسرار الله التي اختص بها في ذلك ، ومن النعم على قريش وأهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع البلاد . ﴿وله﴾ تعالى ﴿كل شيء﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ المنقادين لامر الله بتوحيده .

٩٢ ﴿وأن أتلو القرآن﴾ عليكم تلاوة الدعوة الى الايمان ﴿فمن اهتدى﴾ له ﴿فانما يهتدي لنفسه﴾ أي لاجلها ، فان ثواب اهتدائه عائد له ﴿ومن ضل﴾ عن الايمان وأخطأ طريق الهدى فقد أمرني ربي بقوله : ﴿فقل﴾ له أي الضال ﴿انما أنا من المنذرين﴾ المخوفين فليس علي الا التبليغ ، وهدايتكم على الله

(٢٨) سُورَةُ القَصَصِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا۟
عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣)
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥)
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ

٥٠٦

وكذلك حسابكم عليه تعالى . وأمرني أيضا ، فقال :

٩٣ ﴿وقل الحمد لله﴾ على ما أفاض علي من نعمائه ، التي أجلها النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ، ووفقني لتحمل أعبائها وتبليغ أحكامها الى كافة الورى . ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ أنها حق حين يحل بكم عذابه في الدنيا أو في الآخرة . ثم قال لي ربي في الختام ﴿وما ربك﴾ يا محمد ﴿بغافل عما تعملون﴾ بالتاء الفوقانية وقرىء بالتحتانية ، أي انما يمهلكم لوقتكم . فهو وعد للطائعين ووعيد للعاصين فيجازي كل واحد بما عمل .

﴿ سورة القصص مكية ﴾

وهي سبع أو ثمان وثمانون آية . وموضوعها الرئيسي بعد التوحيد بيان أن الرسل يخرجهم قومهم من بلادهم ثم يردهم الله إليها أعزة وأن الله يختارهم من بين الناس لا لغناهم .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿طسم﴾ الله أعلم بمراده بذلك .

٢ ﴿تلك﴾ أي هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ الاضافة بمعنى «من» ﴿المبين﴾ المظهر الحق من الباطل .

٣ ﴿نتلو﴾ نقص ﴿عليك من نبأ﴾ خبر ﴿موسى وفرعون بالحق﴾ حال كوننا متلبسين بالصدق ﴿لقوم يؤمنون﴾ لاجلهم لانهم المنتفعون به .

٤ ﴿ان فرعون علا﴾ تعظم ﴿في الارض﴾ أرض مصر ﴿وجعل أهلها شيعا﴾ فرقا في خدمته وأغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم . ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ وهم بنو اسرائيل ﴿يذبح أبناءهم﴾ المولودين ﴿ويستحي نساءهم﴾ يستبقين أحياء ، لقول بعض الكهنة له : ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب زوال ملكك . ﴿انه كان من المفسدين﴾ بالقتل وغيره .

٥ ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية ياء ، ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ ملك فرعون .

٦ ﴿ونمكن لهم في الارض﴾ أرض مصر والشام ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما﴾ . وفي قراءة «ويرى» بفتح التحتانية والراء ورفع الاسماء الثلاثة . ﴿منهم ما كانوا يحذرون﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه .

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا
تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ
فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا
أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ
مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ
قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾
۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ

٧ ﴿وأوحينا﴾ وحي الهام أو منام ، وقيل : وحي اعلام . أرسل الملك اليها على نحو تكلم الملك للاقرع والابرص والاعمى في الحديث المشهور الذي أخرجه البخاري ومسلم . وغير ذلك مما روي من تكلم الملائكة الناس من غير نبوة وقد سلمت الملائكة على عمران بن حصين ولم يكن نبيا . ﴿الى أم موسى﴾ وهو المولود المذكور ، ولم يشعر بولادته غير أخته . فاسم أمه «يوحانذ» بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة . وقيل : اسمها لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب . ﴿أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم﴾ أي النيل . ﴿ولا تخافي﴾ غرقه ﴿ولا تحزني﴾ لفراقه ﴿انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾ . فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي ، وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه ، وأغلقته وألقته في بحر النيل .

٨ ﴿فالتقطه﴾ التابوت صبيحة الليل ﴿آل﴾ أعوان ﴿فرعون﴾ فوضعوه بين يديه ، وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص من ابهامه لبنا ﴿ليكون لهم﴾ في عاقبة الامر ﴿عدوا﴾ يقتل رجالهم ﴿وحزنا﴾ يستعبد نساءهم . وفي قراءة بضم «الحاء» وسكون «الزاي» لغتان في المصدر ، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه . ﴿ان فرعون وهامان﴾ وزيره ﴿وجنودهما كانوا خاطئين﴾ من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على يديه .

٩ ﴿وقالت امرأت فرعون﴾ اسمها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء وأما للمساكين ، قالت لفرعون وقد هم مع أعوانه بقتله : هو ﴿قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا﴾ لما رأت فيه من العلامات الغريبة فتخيلت فيه النجابة والبركة ﴿أو نتخذه ولدا﴾ أي نتبناه فانه حقيق بذلك . ﴿وهم لا يشعرون﴾ بعاقبة أمرهم معه . وسمته «موشا» لانه وجد في الماء والشجر ، لان «مو» هو الماء «وشا» هو الشجر ، فركب ، فأصل «موسى» بالمهملة «موشى» بالمعجمة .

وذلك شان موسى ووصوله الى بيت فرعون .

١٠ ﴿وأصبح فؤاد أم موسى﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فارغا﴾ مما سواه ، أي من التفكر في شيء سواه ، وانحصرت فكرتها فيه لتراكم الهم عليها لما وقع في يد العدو . ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف . أي : أنها ﴿كادت لتبدي به﴾ أي بأنه ابنها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر أي سكناه ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدقين بوعد الله . وجواب «لولا» دل عليه ما قبلها .

١١ ﴿وقالت لأخته﴾ كلثوم وقيل «كاثمة» هي شقيقته ، وأمهما «يوحانذ» وأبوهما «عمران» . بينه وبين «عمران» أبي مريم أم عيسى ألف سنة وثمانمائة سنة . ﴿قصيه﴾ أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره . ﴿فبصرت به﴾ أبصرته ﴿عن جنب﴾ من مكان بعيد اختلاسا ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها ترقبه .

١٢ ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ أي قبل رده الى أمه ، أي : منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه ، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة . ﴿فقالت﴾ أخته ﴿هل أدلكم على أهل بيت﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يكفلونه لكم﴾ بالارضاع وغيره ﴿وهم له ناصحون﴾ وفسرت ضمير «له» بالملك جوابا لهم ، فاجيبت ، فجاءت بأمه فقبل ثديها ، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن ، فاذن لها في ارضاعه في بيتها . فرجعت به كما قال تعالى :

وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ
عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ
عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ
نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾
قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾
فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾
فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ

١٣ ﴿فرددناه الى أمه كي تقر عينها﴾ أي تفرح بلقائه ﴿ولا تحزن﴾ حينئذ ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ برده اليها ﴿حق ولكن اكثرهم﴾ أي الناس ﴿لا يعلمون﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه اخته وهذه أمه، فمكث عندها الى أن فطمته، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم ديناراً، وأخذتها لانها مال حربي، فأتت به فرعون فتربى عنده، كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء: «ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين».

١٤ ﴿ولما بلغ أشده﴾ وهو ثلاثون سنة ﴿واستوى﴾ أي في خلقته وصار كهلا ﴿آتيناه حكما﴾ حكمة ﴿وعلما﴾ فقها في الامور والدين قبل أن يبعث نبيا ﴿وكذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجري المحسنين﴾ لله، والاحسان هو فعل أو ترك لله وحده. وفي الحديث هو: «أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك».

ثم ذكر تعالى سبب خروج موسى من مصر الى مدين، فقال:

١٥ ﴿ودخل﴾ موسى ﴿المدينة﴾ مدينة فرعون وهي «منف». اذ هو كان في قصر فرعون بحيث لا يختلط مع العامة ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ وقت القيلولة، وقيل: في الليل ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ أي جماعته اسرائيلي ﴿وهذا من عدوه﴾ أي قبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل حطبا الى مطبخ فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ فقال له موسى: خل سبيله. فقيل انه قال لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك ﴿فوكزه موسى﴾ أي ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش ﴿فقضى عليه﴾ أي قتله، ولم يقصد قتله بل هو على سبيل الخطأ لانه وكزه وكزة يريد دفع ظلمه. فالوكزة لا تقتل غالبا وانما وافقت أجله فدفنه في الرمل. ﴿وقال هذا﴾ أي قتله ﴿من عمل الشيطان﴾ المهيج غضبي ولم أتمكن من تأخير فعلي الى وقت آخر ﴿انه عدو﴾ لابن آدم ﴿مضل﴾ له ﴿مبين﴾ بين الاضلال.

١٦ ﴿قال﴾ نادما وتائبا ﴿رب اني ظلمت نفسي﴾ بقتله ﴿فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي المتصف بهما أزلا وأبدا وقتل العدو ليس بذنب، وكذلك الوكز لدفع الصائل ليس بذنب، ومع ذلك تاب موسى منه لربه لانه في ذلك الوقت لم يؤمر بقتال، وظاهر عمله لمن لم يحضر الواقعة يدل على العنف، فاستغفر ربه بذلك.

١٧ و﴿قال رب بما أنعمت﴾ بحق انعامك ﴿علي﴾ بالتوبة والرجوع اليك اعصمني ﴿فلن أكون ظهيرا﴾ عونا ﴿للمجرمين﴾ الظالمين بعد هذه المرة التي وقعت مني. والمراد بالمجرم هو كل من يهيج غضب غيره لمثل هذا العمل، كما قال انه من عمل الشيطان، أي: لا أكون معينا لمن ان عصمتني.

١٨ ﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قال له موسى انك لغوي مبين﴾ بين الغواية لما فعلته أمس واليوم.

أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ
الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ
قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ
مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾
وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا
قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾
فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ
إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى

٥٠٩

١٩ ﴿فلما أن﴾ مديده و﴿أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ لموسى والمستغيث به ﴿قال﴾ المستغيث ظانا أنه يبطش به لما قال له ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان﴾ ما ﴿تريد الا أن يكون جبارا في الارض وما تريده أن تكون من المصلحين﴾ في الكلام اشعار بأن موسى اشتهر بحب الاصلاح الا أن عمله هذا من رد صائل يعاكس ظن الناس به ، وفيه تحقير لبني اسرائيل ، فمن يريد أن يرد عنهم الظلم يعد جبارا . فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى ، فانطلق الى فرعون فأخبره بذلك ، فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا في الطريق اليه .

٢٠ ﴿وجاء رجل﴾ هو مؤمن آل فرعون وهو ابن عم فرعون واسمه «حزقيل» ، وقيل «شمعون» وقيل : «سمعان» ، وهو الذي ذكر في قوله تعالى : «وقال رجل مؤمن من آل فرعون» ﴿من أقصى المدينة﴾ آخرها ﴿يسعى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قال يا موسى ان الملأ﴾ من قوم فرعون ﴿يأتمرون بك﴾ يتشاورون فيك ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من المدينة ﴿اني لك من الناصحين﴾ في الامر بالخروج . فيه دلالة على أن فرعون انتبه لامر موسى مما كان يحذر من زوال الملك بمولود يولد في بني اسرائيل ، لان تشاور الملأ وأعيان البلد فيه يشير الى شيء فوق العادة وقع أو يتوقع عليهم .

٢١ ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ لحوقهم طالبا غوث الله ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ قوم فرعون .

٢٢ ﴿ولما توجه﴾ قصد بوجهه ﴿تلقاء مدين﴾ جهتها ، وهي قرية شعيب ، مسيرة ثمانية أيام من مصر . سميت بمدين بن ابراهيم ولم يكن يعرف طريقها . ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي قصد الطريق ، أي طريق الوسط اليها . فأرسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق به اليها

٢٣ ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ بئرا فيها ، أي وصل اليها ﴿وجد عليه أمة﴾ جمـاعة ﴿من الناس يسقون﴾ مواشيهم . ﴿ووجد من دونهم﴾ أي سواهم ﴿امرأتين تذودان﴾ تمنعـان أغنامهما عن الماء ﴿قال﴾ موسى لهما : ﴿ما خطبكمـا﴾ أي مـا شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قالتـا لا نسقي حتى يصدر الرعـاء﴾ جمع راع ، أي : يصرفوا مواشيهم عن الماء ، خوف الزحام فنسقي . والفعل من الرباعي «أصدر» ، وفي قراءة من الثلاثي «صدر» أي : يرجعوا من سقيهم ونحن امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ، وما لنا رجل يقوم بذلك ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يقدر أن يسقي فيرسلنا اضطرارا .

٢٤ ﴿فسقى لهما﴾ من بئر أخرى بقربها ، رفع حجرا عنها لا يرفعه الا عشرة أنفس ﴿ثم تولى﴾ انصرف ﴿الى الظل﴾ لتستره من شدة حر الشمس وهو جائع . ﴿فقال رب اني لما أنزلت إلي من خير﴾ طعام ﴿فقير﴾ محتاج ، أي : محتاج لكل شيء من الطعام لأعيش عليه ، اذ بات ثمان ليال طاويا . «وأنزلت» بمعنى المضارع ، و «فقير» خبر «ان» وعدي باللام لانه معنى سائل وطالب .

فعل موسى ما فعل من مساعدة بنتي الشيخ الكبير ، ودعا ربه فأجاب دعاءه بفعله . فلما رجعتا الى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه ، فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما . فقال لاحداهما : ادعيه لي .

اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ
نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ
اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ
تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾
۞ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ
جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ

٢٥ ﴿فجاءته احداهما تمشي على استحياء﴾ أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه ﴿قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ فأجابها متكرا في نفسه أخذ الاجرة كأنها قصدت المكافأة ان كان ممن يريدها . فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها ، فقال لها : امشي خلفي دليني على الطريق . ففعلت الى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام ، وعنده طعام ، فقال له : اجلس فكل فقال : أخاف أن يكون عوضا عما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا . فقال شعيب : لا وعادتي وعادة آبائي أن نقري الضيف ونطعم الطعام . فأكل وأخبره بحاله ، قال تعالى : ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ مصدر بمعنى «المقصوص» من قتله القبطي وقصدهم قتله ، وخوفه من فرعون . ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ اذ لا سلطان لفرعون على مدين .

ثم انفرد شعيب يتناجى مع بنتيه في شأن موسى عليه السلام .

٢٦ ﴿قالت احداهما﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى ﴿يا ابت استأجره﴾ اتخذه أجيرا يرعى غنمنا ، ﴿ان خير من استأجرت القوي الامين﴾ أي استأجره لقوته وأمانته فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشي خلفي وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه . فرغب شعيب عليه السلام في انكاحه .

٢٧ ﴿قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿على أن تأجرني﴾ أي تكون أجيرا لي في في رعي غنمي ﴿ثماني حجج﴾ أي سنين ﴿فان أتممت عشرا﴾ أي رعي عشر سنين ﴿فمن عندك﴾ التمام ، ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ باشتراط العشر و ﴿ستجدني ان شاء الله﴾ للتبرك ﴿من الصالحين﴾ الوافين بالعهد.

٢٨ ﴿قال﴾ موسى : ﴿ذلك﴾ الذي قلته ﴿بيني وبينك أيما الاجلين﴾ الثمان أو العشر ، و «ما» زائدة أي رعيه ﴿قضيت﴾ به أي فرغت منه ﴿فلا عدوان علي﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿والله على ما نقول﴾ أنا وأنت ﴿وكيل﴾ حفيظ أو شهيد . فتم العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصى يدفع بها السباع عن غنمه : وكانت عصي الانبياء عنده فوقع في يده عصا آدم من آس الجنة ، فأخذها موسى بعلم شعيب .

٢٩ ﴿فلما قضى موسى الاجل﴾ أي رعيه ، وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به ﴿وسار بأهله﴾ زوجته باذن أبيها نحو مصر ﴿آنس﴾ أبصر من بعيد ﴿من جانب الطور﴾ اسم جبل ﴿نارا قال لأهله امكثوا﴾ هنا بالجمع تعظيما لها ، أو هي وابنها الطفل والخادم ﴿إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر﴾ عن الطريق ، وكان قد أخطأها . ﴿أو جذوة﴾ بتثليث الجيم . قطعة وشعلة ﴿من النار لعلكم تصطلون﴾ تستدفئون . و «الطاء»

تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ
فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ
إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ
فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى
لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا
سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا

بدل من تاء الافتعال من «صلى» بالنار، بكسر اللام وفتحها.

فترك موسى زوجه وذهب الى النار.

٣٠ ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء﴾ جانب ﴿الواد الايمن﴾ لموسى ﴿في البقعة المباركة﴾ لموسى لسماعه كلام الله فيها، وايتائه النبوة والرسالة فيها؛ ﴿من الشجرة﴾ بدل من شاطىء باعادة الجار لنباتها فيه وهي شجرة عناب أو علبق أو عوسج ﴿أن﴾ مفسرة لا مخففة ﴿يا موسى اني أنا الله رب العالمين﴾. وفي «طه»: «نودي يا موسى إني أنا ربك» وفي «النمل»: «نودي أن بورك من في النار ومن حولها» لمناسبة ما في كل سورة.

٣١ ﴿وأن ألق عصاك﴾ فألقاها ﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك ﴿كأنها جان﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿ولى مدبرا﴾ هاربا منها ﴿ولم يعقب﴾ أي يرجع، فنودي: ﴿يا موسى أقبل ولا تخف انك من الامنين﴾.

٣٢ ﴿اسلك﴾ أدخل ﴿يدك﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿في جيبك﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿تخرج﴾ خلاف ما كانت عليه من الادمة ﴿بيضاء من غير سوء﴾ أي برص فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر. ﴿واضمم اليك جناحك من الرهب﴾ بفتح الراء وسكون الهاء، وقرىء بفتحها وبضم الثاني، أي، الخوف. أي: من أجل الخوف الحاصل من اضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود الى حالتها الاولى. وعبر عنها بالجناح لانها للانسان كالجناح للطائر. ﴿فذانك﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد، أي: العصا واليد، وهما مؤنثان. وانما المشار به اليهما المبتدأ لتذكير خبره ﴿برهانان﴾ مرسلان ﴿من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين﴾.

٣٣ ﴿قال رب اني قتلت منهم نفسا﴾ هو القبطي السابق ﴿فأخاف ان يقتلون﴾ به.

٣٤ ﴿وأخي هرون هو أفصح مني لسانا﴾ أبين ﴿فأرسله معي ردءا﴾ معينا، وفي قراءة بفتح الدال بلا همز ﴿يصدقني﴾ بالرفع، وجملته صفة «ردءا» وفي قراءة بالجزم جواب الدعاء. ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾.

ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ
مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى
صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ
وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ

٣٥ ﴿قال سنشد عضدك﴾ نقويك ﴿بأخيك ونجعل لكما سلطانا﴾ غلبة ﴿فلا يصلون اليكما﴾ بسوء . اذهبا ﴿بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ لهم .

٣٦ ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ واضحات ، حال ﴿قالوا ما هذا الا سحر مفترى﴾ مختلق ﴿وما سمعنا بهذا﴾ كائنا ﴿في﴾ أيام ﴿آبائنا الاولين﴾ .

٣٧ ﴿وقال﴾ بواو ، وقرىء بدونها ﴿موسى ربي أعلم﴾ أي عالم ﴿بمن جاء بالهدى من عنده﴾ الضمير للرب . ﴿ومن﴾ عطف على «من» ﴿تكون﴾ بالفوقانية وقرىء بالتحتانيه ﴿له عاقبة الدار﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ، أي : وهو أنا في الشقين فأنا محق فيما جئت به ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ الكافرون .

٣٨ ﴿وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ نفى علمه باله غيره دون وجوده ، اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعلمه ، ولذلك قال : ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ فاطبخ الآجر ﴿فاجعل لي صرحا﴾ قصرا عاليا ﴿لعلي أطلع الى إله موسى﴾ أنظر اليه وأقف عليه ﴿واني لاظنه من الكاذبين﴾ في ادعائه الها آخر وانه رسوله .

٣٩ ﴿واستكبر هو وجنوده في الارض﴾ أرض مصر ﴿بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون﴾ بالبناء للمفعول ، وقرىء للفاعل .

٤٠ ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم ﴿في اليم﴾ البحر الملح فغرقوا ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ حين صاروا الى الهلاك . المخاطب هو النبي ﷺ .

٤١ ﴿وجعلناهم﴾ في الدنيا ﴿أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية ياء ، رؤساء في الشرك ﴿يدعون الى النار﴾ بدعائهم الى الشرك ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم .

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا
كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن
نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم
مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ

٥١٣

٤٢ ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ خزيا ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المطرودين من قبحه الله أي طرده ، وقيل : من الموسومين بعلامة منكرة ، كزرقة العيون وسواد الوجوه . والقبيح أيضا : عظم الساعد مما يلي النصف منه الى المرفق .

هذا شأن موسى عندما أخرجه فرعون من بلده فرجع مكرما معظما فأهلك الله عدوه . وقريش أخرجت النبي ﷺ فاقتدوا بفرعون في عمله ذلك ، وهلك كثيرون من عظمائهم ببدر ، مثلما هلك فرعون وجنوده .

واشار تعالى الى سبب انزال التوراة ، فقال :

٤٣ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿من بعدما أهلكنا القرون الاولى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ، فاندرست معالم الشرائع وانطمست آثارها وأحكامها ، فأدى الامر الى اختلال نظام العالم مما استدعى التشريع الحديد ، بتقرير الاصول الباقية على ممر الدهور ، أي : ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة اليها ﴿بصائر للناس﴾ حال من الكتاب ، جمع بصيرة وهي نور القلب ، أي أنوارا للقلوب . ﴿وهدى﴾ من الضلال لمن عمل به ﴿ورحمة﴾ لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ . فانزال التوراة تمهيد لانزال القرآن على رسول الله لاستمرار مسيس الحاجة اليه وقت انزاله كذلك .

ثم عقب تعالى على قصة موسى بتعقيبات تدل على صدق دعوى محمد ﷺ الرسالة ، فقال :

٤٤ ﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿الغربي﴾ من موسى حين المناجاة ﴿اذ قضينا﴾ أوحينا ﴿الى موسى الامر﴾ بالرسالة الى فرعون وقومه ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به .

٤٥ ﴿ولكنا أنشأنا قرونا﴾ أمما بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي ، فجئنا بك رسولا وأوحينا اليك خبر موسى وغيره ﴿وما كنت ثاويا﴾ مقيما ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ خبر ثان ، فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ لك واليك بأخبار المتقدمين .

٤٦ ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ الجبل ﴿اذ﴾ حين ﴿نادينا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿ولكن﴾ أرسلناك ﴿رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهم أهل مكة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون .

٤٧ ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر وغيره ﴿فيقولوا ربنا لولا﴾ هلا ﴿أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك﴾ المرسل بها ﴿ونكون من المؤمنين﴾ وجواب «لولا» محذوف ، وما بعده مبتدأ . والمعنى: لولا الاصابة المسبب عنها قولهم ، أو لولا قولهم المسبب عنها لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك اليهم رسولا .

مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ
قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ
فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن
كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا
يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾
۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ
إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم
مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ

٤٨ ﴿فلما جاءهم الحق﴾ محمد رسولا ﴿من عندنا قالوا لولا﴾ هلا ﴿أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما ، أو الكتاب جملة واحدة . قال تعالى ﴿أو لم يكفروا﴾ الناس ﴿بما أوتي موسى من قبل﴾ حيث ﴿قالوا﴾ فيه وفي محمد ﴿سحران﴾ وفي قراءة ساحران ، القرآن والتوراة ﴿تظاهرا﴾ تعاونا بتصديق كل منهما الآخر ﴿وقالوا انا بكل﴾ من النبيين والكتابين ﴿كافرون﴾ بهما ولا تؤمن بواحد منهما .

٤٩ ﴿قل﴾ لهم: ﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ من الكتابين ﴿أتبعه ان كنتم صادقين﴾ في قولكم .

٥٠ ﴿فان لم يستجيبوا لك﴾ دعاءك بالاتيان بكتاب ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ في كفرهم ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ أي لا أضل منه ﴿ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الكافرين .

٥١ ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ القرآن ، أي تابعنا بعضه ببعض في الانزال ليتصل التذكير ، أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر . ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون فيؤمنوا.

٥٢ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ «الذين» مبتدأ أول ، وهم اليهود والنصارى ﴿من قبله﴾ القرآن ﴿هم﴾ مبتدأ ثان ﴿به يؤمنون﴾ خبر الثاني ، والجملة خبر الاول ، أي : ان أهل الكتب الاولى يؤمنون بالقرآن ، لما عرفوا في كتبهم من نعته ومجيئه وموافقته لما في أيديهم في الامهات . وايمان البعض ، كعبد الله ابن سلام وغيره من اليهود والذين جاءوا من الحبشة ومن الشام من النصارى ، كايمان الكل . لان البعض مع حجة قوية حجة على الكل بدونها .

٥٣ ﴿واذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾ موحدين .

٥٤ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ بايمانهم بالكتابين ﴿بما صبروا﴾ أي بصبرهم على العمل بهما ﴿ويدرءون﴾ يدفعون ﴿بالحسنة السيئة﴾ منهم ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون .

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
الْجَاهِلِينَ (٥٥) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) وَقَالُوا إِن
نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا
وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) وَمَا أُوتِيتُم
مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا

٥٥ ﴿واذا سمعوا اللغو﴾ الشتم والاذى من الكفار ﴿أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم﴾ سلام متاركة ومفارقة ، أي سلمتم منا من الشتم وغيره فلا نقابلكم بمثل ما فعلتم بنا ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ لا نصحبهم .

ولما ظهر أمر الاسلام بالبراهين القاطعة ، حتى ان أهل الاديان الاولى يدخلون في الاسلام طوعا ، فربما يشق على النبي ﷺ أن لا يرى قومه يدخلونه وخصوصا عمه أبا طالب ، قال تعالى :

٥٦ ﴿انك لا تهدي من أحببت﴾ هدايته ﴿ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم﴾ أي عالم ﴿بالمهتدين﴾ بمن قدر له في الازل هدايته . ثم حكى تعالى للنبي ﷺ بعض حجج قومه على عدم دخولهم في الاسلام ، فقال :

٥٧ ﴿وقالوا﴾ أي قومك يا محمد ﴿ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ أي ننزع منها بسرعة . قال تعالى : ﴿أو لم نمكن لهم حرما آمنا﴾ يأمنون فيه من الاغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿يجبى﴾ بالتحتانية وقرىء بالفوقانية ﴿اليه ثمرات كل شيء﴾ من كل أوب أي المحل والطريق والجهة ﴿رزقا﴾ لهم ﴿من لدنا﴾ أي عندنا ﴿ولكن اكثرهم﴾ أهل مكة ﴿لا يعلمون﴾ أن ما نقوله حق وأننا سخرنا لهم ما ذكر ليوحدوا الله وتتم لهم النعمة .

ثم خوف أهل مكة بما يأتي من قوله تعالى :

٥٨ ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ أي عيشتها . وأريد بالقرية أهلها ، أي طغت وتمردت في زمن معيشتها ، أي في حياتها وأبت شكرها لنعمها فأهلكوا . ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا﴾ للمارة يوما أو بعضه ، لكونها قد خربت بما ظلموا ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ منهم .

٥٩ ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ بظلم منها ﴿حتى يبعث في أمها﴾ أي أعظمها ﴿رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون﴾ بتكذيب الرسل وأخراجهم من أرضهم .

٦٠ ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وما عند الله﴾ أي الثواب ﴿خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ بالتاء وقرىء بالياء ، أن الباقي خير من الفاني .

فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟
شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ
أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

٦١ ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه﴾ مصيبه ، وهو الجنة ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ النار ، الاول المؤمن والثاني الكافر . أي : لا تساوي بينهما .

ولما ذكر تعالى يوم القيامة ذكر شيئا من أحوالها فقال :

٦٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم﴾ الله ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم شركائي .

٦٣ ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾هم مبتدأ وصفة ﴿أغويناهم﴾ خبره ، فغووا ﴿كما غوينا﴾ لم نكرههم على الغي ﴿تبرأنا اليك﴾ منهم ﴿ما كانوا ايانا يعبدون﴾ «ما» نافية ، وقدم المفعول للفاصلة .

٦٤ ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أي الاصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لله ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ دعاءهم ﴿ورأوا﴾ هم ﴿العذاب﴾ أبصروه ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة .

٦٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ اليكم .

٦٦ ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ الاخبار المنجية في الجواب ﴿يومئذ﴾ أي لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة ﴿فهم لا يتساءلون﴾ عنه فيسكتون .

٦٧ . ﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وعمل صالحا﴾ أدى الفرائض ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ الناجحين بوعد الله .

٦٨ ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ ما يشاء . ﴿ما كان لهم﴾ للمشركين ﴿الخيرة﴾ الاختيار في شيء من يجعله الله رسولا اليهم ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ عن اشراكهم ، أو أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار أحد . أي ان الله ربك ينفرد بالخلق وينفرد بالاختيار في خلقه لما يشاء وكيف يشاء ومن ذلك ارسال الرسل ، فيرسل من شاء ، الى من شاء بما شاء ..

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ
فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾
وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا
أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ
قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ

٦٩ ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من ذلك.

٧٠ ﴿وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى﴾ الدنيا ﴿والآخرة﴾ في الجنة. فهو المولي للنعم كلها عاجلها أو اجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم: «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن». «والحمد لله الذي صدقنا وعده». ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده. ﴿وله الحكم﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿واليه ترجعون﴾ بالنشور.

لفت تعالى بالسياق نظر أهل مكة الذين يريدون اخراج الرسول منهم، بعدما جاءهم بما يرفع ذكرهم ويدخلهم في نعم جديدة بالتمسك به، الى عجائب خلقه وفضائل نعمه التي أنعم بها عليهم لعلهم يتذكرون، فقال:

٧١ ﴿قل﴾ لاهل مكة ﴿أرأيتم﴾ أخبروني ﴿ان جعل الله عليكم الليل سرمدا﴾ دائما ﴿الى يوم القيامة من اله غير الله﴾ بزعمكم ﴿يأتيكم بضياء﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أفلا تسمعون﴾ ذلك سماع تفهم فترجعوا عن الاشراك.

٧٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله﴾ بزعمكم ﴿يأتيكم بليل تسكنون﴾ تستريحون ﴿فيه﴾ من التعب ﴿أفلا تبصرون﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الاشراك فترجعوا عنه وقيل الفعل مزيد الثلاثي ليتعدى لمفعولين أي أفلا ترشدون غيركم لنباء من لا ينظر إلى آيات الله الظاهرة فيتعظ بها إذا لم تتعظوا أنتم

٧٣ ﴿ومن رحمته﴾ تعالى ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ في النهار بالكسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ النعمة فيها.

ولفت تعالى أيضا نظرهم الى عاقبة اخراج الرسول من بلده، فقال:

٧٤ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم﴾ الناس ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ ذكره ثانيا ليبني عليه.

٧٥ ﴿ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿من كل أمة شهيدا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا من تكذيبه وما فعلوا به من اخراجه من بلده. ﴿فقلنا﴾ لهم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على ما قلتم من الاشراك وما فعلتم بالرسول ﴿فعلموا أن الحق﴾ في الالهية ﴿لله﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من أن معه شريكا تعالى عن ذلك.

ومن أسباب اخراجهم من بلادهم أنهم ليسوا أصحاب أموال كثيرة ويستخف بهم فيستطيع بذلك الرؤساء أن يتسببوا في اخراجهم من بلادهم. وكانت قريش ترى أن الأحق بالرسالة هو من كان ذا غنى «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» حسدا، فسببوا اخراجه من مكة فأخبر الله فيما يأتي ان المال ليس بعز عنده وانما المدار على التقوى واختياره تعالى، فقال:

مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾
وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ
مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ
جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا
يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا الصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ

٧٦ ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي، وموسى ابن عمران بن قاهث بن لاوي، وقارون ابن خالة موسى أيضا وآمن به ، وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة ، فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته وهرون على امامته ، فرأى نفسه أحق منهما بمنصبيهما بسبب كثرة ماله ﴿فبغى عليهم﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحة لتنوء﴾ تثقل ﴿بالعصبة﴾ الجماعة ﴿أولى﴾ أصحاب ﴿القوة﴾ أي تثقلهم . فالباء للتعدية : وعدتهم قيل : «سبعون» وقيل : «أربعون» وقيل : «عشرة» وقيل غير ذلك . اذكر ﴿اذ قال له قومه﴾ المؤمنون من بني اسرائيل : ﴿لا تفرح﴾ بكثرة المال فرح بطر ﴿ان الله لا يحب الفرحين﴾ بذلك .

٧٧ ﴿وابتغ﴾ اطلب ﴿فيما آتاك الله﴾ من المال ﴿الدار الآخرة﴾ بأن تخرج الزكاة وتنفقه في طاعة الله . وقيل : ان أصل عدواته لموسى منع الزكاة وبخله ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ أي أن تعمل فيها للآخرة ، ففي الحديث : «اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك» وهو حديث مرسل ،وقيل ، معناه : خذ ما تحتاجه من الدنيا وأخرج الباقي . قال الحسن أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه . ﴿وأحسن﴾ للناس بالصدقة ﴿كما أحسن الله اليك ولا تبغ﴾ تطلب ﴿الفساد في الارض﴾ بعمل المعاصي ﴿ان الله لا يحب المفسدين﴾ بمعنى أنه يعاقبهم .

٧٨ ﴿قال انما أوتيته﴾ أي المال ﴿على علم عندي﴾ أي مقابلته ، وكان أعلم بني اسرائيل بالكيمياء وحسن التصرف في في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب . قال تعالى : ﴿أو لم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون﴾ الامم ﴿من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا﴾ للمال ، أي : هو عالم بذلك اذ أنه اكتسب علمه من علم من تقدمه ، وعلم في التاريخ أنه مضى من هو أكثر منه جمعا للمال ولم يمنعه المال من الهلاك فهلك ، وكذلك هو يهلكه الله ﴿ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون﴾ لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب ، ويسألون سؤال توبيخ وتقريع .

٧٩ ﴿فخرج﴾ قارون ﴿على قومه في زينته﴾ معطوف على «قال انما أوتيته على علم» ، وما بينهما اعتراض . فخرج في زينته بأتباعه الكثيرين ركبانا ، متحلين بملابس الذهب والحرير ، على خيول وبغال متحلية . ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا﴾ للتنبيه ﴿ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ في الدنيا ﴿انه لذو حظ﴾ نصيب ﴿عظيم﴾ واف فيها .

٨٠ ﴿وقال﴾ لهم ﴿الذين أوتوا العلم﴾ بما وعد الله في الآخرة : ﴿ويلكم﴾ كلمة زجر ﴿ثواب الله﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خير لمن آمن وعمل صالحا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿ولا يلقاها﴾ أي الجنة المثاب بها ﴿الا الصابرون﴾ على الطاعة وعن المعصية .

وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ
تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ
ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ
فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟
ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ
عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ
بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟
أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ

٨١ ﴿فخسفنا به﴾ بقارون ﴿وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله﴾ أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وما كان من المنتصرين﴾ منه.

٨٢ ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس﴾ أي من قريب ﴿يقولون ويكأن الله يبسط﴾ يوسع ﴿الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ يضيق على من يشاء و«وي» اسم فعل بمعنى «أعجب» أي أنا، و«الكاف» بمعنى اللام ﴿لولا أن من الله علينا لخسف بنا﴾ بالبناء للفاعل، وقرىء للمفعول ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ لنعمة الله بفناء الدنيا، اذ لم يؤمنوا وأنفقوا أموالهم في وجوه البر. أو لا يستحقون المنصب العالي في الآخرة لان المال غالبا ينسيهم ربهم الله، فيتبعون الهوى فيهلكون مثل قارون.

ثم عقب تعالى على قصة قارون، فقال:

٨٣ ﴿تلك الدار الآخرة﴾ أي الجنة ﴿نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض﴾ بالبغي ﴿ولا فسادا﴾ بالمعاصي ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾ عقاب الله بعمل الطاعات بأنفسهم وبأموالهم.

٨٤ ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ ثواب بسببها وهو عشر أمثالها ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا﴾ جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ أي مثله.

ثم عقب تعالى على موضوع السورة أن الانبياء يلاقون أذى قومهم دائما، ويخرجهم قومهم من بلادهم كما أخرج موسى من مصر وكما أخرجت قريش النبي ﷺ، بوعد منه تعالى أنه يرجعه مكرما، فقال:

٨٥ ﴿ان الذي فرض عليك القرآن﴾ أنزله اليك وأوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿لرادك الى معاد﴾ بلدك وهو مكة. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «فمعاد الرجل بلده، لانه ينصرف منه فيعود اليه. فانه ﷺ لما خرج من الغار ونزل «بالجحفة» بين مكة والمدينة، وعرف الطريق اشتاق اليها وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل عليه جبريل وقال له: أتشتاق الى بلدك ومولدك؟ فقال عليه السلام: نعم. فقال جبريل: ان الله تعالى يقول: «ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد» يعني الى مكة ظاهرا عليهم. ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ وهذا رد لقول كفار مكة انك في ضلال. أي: فهو الجائي بالهدى وهم في الضلال. و«أعلم» بمعنى «عالم».

ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(٢٩) سُورَةُ العَنكبُوتِ مَكيّة وآياتها تسع وستون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾

٨٦ ﴿وما كنت﴾ قبل مجيء الرسالة اليك ﴿ترجو﴾ تؤمل ﴿أن يلقى اليك الكتاب﴾ القرآن ﴿الا﴾ لكن القي اليك ليس عن ميعاد ولا عن تطلب سابق منك بل ﴿رحمة﴾ لاجل رحمة ﴿من ربك﴾ لتشكره على ما أنعم به من ذلك عليك . ثم أمره تعالى بخمسة أشياء ، فقال : ﴿فلا تكونن ظهيرا﴾ معينا ﴿للكافرين﴾ على دينهم الذي دعوك اليه ، بأن تصالح فيه بشيء يحبونه منك .

٨٧ ﴿ولا يصدنك﴾ أصله «يصدوننك» حذفت «نون» الرفع للجازم ، و«الواو» للفاعل لالتقائها مع النون الساكنة . ﴿عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك﴾ أي : لا ترجع اليهم في ذلك ﴿وادع﴾ الناس ﴿الى ربك﴾ بتوحيده وعبادته ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ باشراك معهم فيما تدعو اليه ، والخطاب له ﷺ . والمراد : أفراد أمته . ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه .

٨٨ ﴿ولا تدع﴾ تعبد ﴿مع الله إلها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه﴾ إلا إياه تعالى ﴿له الحكم﴾ القضاء النافذ ﴿واليه ترجعون﴾ أنت ومن معك بالنشور من قبوركم . ومن تيقن أنه يموت وينشر الى ربه ، فانه لا يخالفه في شيء أمر به أو نهاه عنه ، ولا يخاف أحدا غيره .

﴿ سورة العنكبوت مكية ﴾

وهي تسع وستون آية . وموضوعها الرئيسي أن الايمان ليس كلمة تقال فقط حتى يصحبها العمل والصبر على الابتلاء والرضا بحكم الله تعالى . وذلك التكليف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك .

٢ ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا﴾ أي بقولهم ﴿آمنا وهم لا يفتنون﴾ لا يختبرون بما تبين به حقيقة ايمانهم من مشاق التكليف ، كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف التكاليف وأنواع المصائب في الانفس والاموال ، ليتميز المخلص من المنافق ، والثابت في الدين من المضطرب فيه ، ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات . فان مجرد الايمان ان كان عن اخلاص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب .

٣ ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ من الامم السالفة بأنواع التكاليف والمشاق فصبروا عليها ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في ايمانهم علم مشاهدة ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ فيه .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ
لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ
لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ
عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ
فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن
جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ

٤ ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ الشرك والمعاصي ﴿أن يسبقونا﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿ساء﴾ بئس ﴿ما﴾ الذي ﴿يحكمون﴾ حكمهم هذا .

٥ ﴿من كان يرجو﴾ يخاف ﴿لقاء الله فان أجل الله لآت﴾ فليستعد له ﴿وهو السميع﴾ لاقوال العباد ﴿العليم﴾ بافعالهم .

٦ ﴿ومن جاهد﴾ جهاد حرب أو نفس والمقصود هنا : جهاد النفس ، لان السورة «مكية» ولانه أكبر من الحرب بالسيف . ﴿فانما يجاهد لنفسه﴾ فان منفعة جهاده له لا لله . ﴿ان الله لغني عن العالمين﴾ الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم .

٧ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ بعمل الصالحات ﴿ولنجزينهم أحسن﴾ ونصبه بنزع الخافض ، يجزيهم بجزاء أحسن مما يستحقونه لعملهم ، وهو مضاف والمضاف اليه ﴿الذي كانوا يعملون﴾ وهو الصالحات .

٨ ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا﴾ أي ايصاء ذا حسن بأن يبرهما ويحسن اليهما بكل ما يمكنه من وجوه الاحسان من اعطائهما المال والخدمة ولين القول ، وعدم المخالفة لهما وغير ذلك . ولكن بشرط الوقوف في حدود الشريعة ، بدليل قوله تعالى : ﴿وان جاهداك﴾ حملاك بشدة حرصهما ﴿لتشرك بي ما ليس لك به﴾ باشراكه ﴿علم﴾ موافقة للواقع ، ﴿فلا تطعهما﴾ في الاشراك ، لان حقي فوق حقوق المخلوقات . ﴿الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأجازيكم به .

٩ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ولم يجاوزوا حق الله ﴿لندخلنهم في الصالحين﴾ الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم .

لما بين المؤمنين المخلصين والكافرين ، بين حال المنافقين ، فقال :

١٠ ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس﴾ أي أذاهم له ﴿كعذاب الله﴾ في الخوف منه فيطيعهم فينافق . ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿جاء نصر﴾ للمؤمنين ﴿من ربك﴾ فغنموا ﴿ليقولن﴾ حذف منه «نون» الرفع لتوالي النونات ، و«الواو» ضمير الجمع لالتقاء الساكنين دلت عليه الضمة على «اللام» ﴿انا كنا معكم﴾ في الايمان فأشركونا في الغنيمة . قال الله تعالى : ﴿أوليس الله بأعلم﴾ أي بعالم ﴿بما في صدور العالمين﴾ قلوبهم ، من الايمان والنفاق ؟ بلى .

اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ
مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ
أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا
كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ
فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً
لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ

١١ ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ بقلوبهم ﴿وليعلمن المنافقين﴾ فيجازي الفريقين. و«اللام» في الفعلين : لام قسم .

١٢ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ ديننا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ في اتباعنا ان كانت . والامر بمعنى الخبر. قال تعالى : ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون﴾ في ذلك .

١٣ ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أوزارهم ﴿وأثقالا مع أثقالهم﴾ بقولهم للمؤمنين « اتبعوا سبيلنا » ، واضلالهم مقلديهم . ﴿وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ يكذبون على الله ، سؤال توبيخ ، و«اللام» في الفعلين لام قسم ، وحذف فاعلهما «الواو» ونون الرفع . أي : يسألن عن الاباطيل التي أضلوا بها الناس ، ومن جملتها هذا الوعيد .

ولما بين تعالى التكليف وذكر أقسام المكلفين ، ووعد المؤمن الصادق الثواب العظيم ، وأوعد المنافق والكافر العذاب الاليم ، ذكر أن هذا التكليف ليس مختصا بالنبي وأصحابه وأمته حتى يصعب عليهم ذلك ، بل من قبله كان كذلك ، كنوح وابراهيم وغيرهما ، فقال :

١٤ ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما﴾ يدعوهم الى توحيد الله ، فكذبوه ﴿فأخذهم الطوفان﴾ أي الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿وهم ظالمون﴾ مشركون .

١٥ ﴿فأنجيناه﴾ أي نوحا ﴿وأصحاب السفينة﴾ أي الذين كانوا معه فيها ﴿وجعلناها آية﴾ عبرة ﴿للعالمين﴾ لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسولهم وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس . ودلت هذه القصة القصيرة على تحمل نوح تكليف الدعوة وصبره على أذى قومه طول هذه المدة ، ولم يهن عزمه يوما الى أن أراحه الله باهلاكهم .

١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ خافوا عقابه ﴿ذلكم خير لكم﴾ مما أنتم عليه من عبادة الاصنام ﴿ان كنتم تعلمون﴾ الخير من غيره .

ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ
ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ
وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

٥٢٣

١٧ ﴿انما تعبدون من دون الله﴾ أي غيره ﴿أوثانا وتخلقون افكا﴾ تقولون كذبا : ان الاوثان شركاء لله ﴿ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ اطلبوه منه ﴿واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون﴾ .

١٨ ﴿وان تكذبوا﴾ أي تكذبوني فلا يضرني تكذيبكم ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ مثل قوم نوح وعاد وثمود ، كذبوا رسلهم ولم يضر الرسل تكذيبهم . ﴿وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ فقد بلغت اليكم رسالة ربي وأنتم مكلفون باتباع أمره .

١٩ ﴿أولم يروا﴾ بالياء التفاتا ليعم جميع الناس ومن يأتي بعدهم ، وقرىء بالتاء على مقتضى الظاهر ﴿كيف يبدىء الله الخلق﴾ هو بضم أوله وقرىء بفتحه من «بدأ» و«أبدأ» بمعنى ، أي : يخلقهم ابتداء ﴿ثم﴾ هو ﴿يعيده﴾ أي الخلق كما بدأهم ﴿ان ذلك﴾ المذكور من الخلق الاول والثاني ﴿على الله يسير﴾ اذا سهل لهم فهم الاول فكيف ينكرون الثاني الذي هو أظهر وأبين منه .

٢٠ ﴿قل﴾ يا ابراهيم لقومك ﴿سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾ بالقصر في «النشأة» مثل «رأفة» ، وقرىء بالمد «النشاءة» مثل «الرآفة» . أظهر المسند اليه عند النشأة ثانيا فقال : «ثم الله ينشىء النشأة» ليقع في ذهن السامع كمال قدرته تعالى وعلمه وارادته . ولم يقل «يعيده» بل قال «ينشىء» للتنبيه على أن البدء يسمى نشأة كالاعادة ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ ومنه البدء والاعادة » .

٢١ ﴿يعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿ويرحم من يشاء﴾ رحمته ﴿واليه تقلبون﴾ تردون .

٢٢ ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ ربكم عن ادراككم ﴿في الارض ولا في السماء﴾ لو كنتم فيها ، أي لا تفوتونه ﴿وما لكم من دون الله﴾ أي غيره ﴿من ولي﴾ يمنعكم منه ﴿ولا نصير﴾ ينصركم من عذابه .

٢٣ ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ أي صحف ابراهيم والبعث ﴿اولئك يئسوا من رحمتي﴾ أي جنتي ﴿واولئك لهم عذاب أليم﴾ مؤلم . فيه التفات الى التكلم وآخر كلام ابراهيم في دعوة قومه الى الله . قال تعالى :

٢٤ ﴿فما كان جواب قومه﴾ أي ابراهيم بعد أن ظهرت الحجة عليهم ﴿الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ أي لا تجيبوا عن براهينه بالحجة بل اقتلوه بالسيف أو حرقوه بالنار. فهو حكاية عن اختلافهم فيما يفعلون به ؛ فغلب الذين قالوا حرقوه ، بدليل قوله تعالى : ﴿فأنجاه الله من النار﴾ التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه بردا وسلاما ﴿ان في ذلك﴾ أي انجائه منها ﴿لآيات﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها واخمادها وانشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها .

وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ

٢٥ ﴿وقال﴾ ابراهيم بعد إنجائه من النار : ﴿انما اتخذتم من دون الله أوثانا﴾ تعبدونها ، و«ما» موصول . ﴿مودة بينكم﴾ بنصب «مودة» واضافته لـ«بين» مفعول لأجله ، وقيل : «ما» كافة لـ«ان» ، فركبت معها فصارت أداة حصر ، المعنى توادتم على عبادتها . وقيل : «ما» مصدرية و«مودة» خبر «إن» على قراءة الرفع لغير حفص . ﴿في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ يتبرأ القادة من الاتباع ﴿ويلعن بعضهم بعضا﴾ يلعن الاتباع القادة ﴿ومأواكم﴾ مصيركم جميعا ﴿النار وما لكم من ناصرين﴾ مانعين منها . فإلقاء إبراهيم في النار ما زاده الا شجاعة للاقدام على تحذيرهم عن عبادة غير الله ، وتخويفهم سوء العاقبة اذا لم ينزجروا عن حالهم .

٢٦ ﴿فآمن له﴾ صدق بابراهيم ﴿لوط﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وقال﴾ ابراهيم : ﴿اني مهاجر﴾ من قومي ﴿الى ربي﴾ أي الى حيث أمرني ربي . وهجر قومه وهاجر من سواد العراق الى الشام . ﴿انه هو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

٢٧ ﴿ووهبنا له﴾ لابراهيم ﴿اسحاق ويعقوب﴾ أي : لما هاجر من بلده وترك أهله فيها ، أعطيناه بدلهم اسحاق ويعقوب ابن اسحاق ليأنس بهما . ولم يذكر اسماعيل مع انه أكبر أولاده بينه وبين اسحاق أربعة عشر سنة ، لان اسماعيل حمل الى مكة وهو وليد ولم يستأنس به أبوه . ولذلك أيضا ذكر يعقوب بن ابنه لانه عاش في حجر جده وتأنس به . ﴿وجعلنا في ذريته النبوة﴾ فكل الانبياء بعد ابراهيم من ذريته ﴿والكتاب﴾ بمعنى الكتب أي التوراة والانجيل والزبور والفرقان ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ وهو اعطاؤه الولد في غير أوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل اليه والثناء الحسن في كل الاديان ﴿وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم الدرجات الكاملين في الصلاح .

٢٨ ثم ذكر تعالى قصة لوط بعدما ألمح اليه في قصة ابراهيم بأنه آمن له ، فقال : ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أئنكم﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية وبادخال الالف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لتأتون الفاحشة﴾ أي أدبار الرجال ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ الانس والجن . بيضاوى : «وهذه الآية دالة على وجوب الحد في اللواطة ، لانها اشتركت مع الزنا في كونها فاحشة ، وقد قال الله تعالى : «ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة» وهذا وان كان قياسا الا أن الجامع مستفاد من الآية اهـ .

٢٩ ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل﴾ أي تتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال ﴿وتأتون في ناديكم﴾ أي متحدثكم ﴿المنكر﴾ كالضراط وحل الازار ، ويأتون بكل فساد جهارا ولا يخجل بعضهم من بعض . وهي درجة أبعد في الفحش وفساد الفطرة ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين﴾ في استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه .

الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ
قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ۖ
لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾
وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا
مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ
وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ

٣٠ ﴿قال رب انصرني﴾ بتحقيق قولي في انزال العذاب ﴿على القوم المفسدين﴾ العاصين باتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه .

٣١ ﴿ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى﴾ باسحق ويعقوب بعده ﴿قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ أي قرية لوط وهي «سدوم» ﴿ان أهلها كانوا ظالمين﴾ كافرين .

٣٢ ﴿قال﴾ ابراهيم : ﴿ان فيها لوطا قالوا﴾ أي الرسل : ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ منك يا ابراهيم ﴿لننجينه﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿وأهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب .

٣٣ ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم﴾ حزن بسببهم ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ صدرا ، لانهم حسان الوجوه في صورة أضياف ، فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين﴾ ونصب «أهلك» عطف على محل «الكاف» .

٣٤ ﴿انا منزلون﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿على أهل هذه القرية رجزا﴾ عذابا ﴿من السماء بما﴾ بالفعل الذي ﴿كانوا يفسقون﴾ به أي بسبب فسقهم .

٣٥ ﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ ظاهرة هي آثار خربها وقيل هيَ ظهور الماء الاسود على وجه الارض ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون .

وذكر تعالى قصة مدين وقال :

٣٦ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿الى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ اخشوه هو يوم القيامة ﴿ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها من «عثى» بكسر المثلثة أفسد .

٣٧ ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين .

ثم أشار تعالى الى قصتي «عاد» و «ثمود» فقال :

وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾
وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا
أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ
أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ
أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ
كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ
ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

٥٢٦

٣٨ ﴿و﴾ أهلكنا ﴿عادا وثمود﴾ بلا صرف وقرىء بالصرف ، بمعنى الحي والقبيلة . ﴿وقد تبين لكم﴾ اهلاكهم ﴿من مساكنهم﴾ بالحجر واليمن ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فصدهم عن السبيل﴾ سبيل الحق ﴿وكانوا مستبصرين﴾ ذوي بصائر بواسطة الرسل ، يعني : لم يكن لهم بذلك عذر لان الرسل أوضحوا السبيل لهم ، وفهموا المقصود وأبوا اتباعه .

وكذلك أشار تعالى الى قصة قارون وفرعون مع موسى ، فقال :

٣٩ ﴿و﴾ أهلكنا ﴿قارون﴾ مصيبته بالمال والحسد ، وهو ابن عم موسى عليه السلام ﴿وفرعون وهامان﴾ مصيبتهما بالملك وتكبره . ﴿ولقد جاءهم﴾ من قبل أهلاكهم ﴿موسى بالبينات﴾ الحجج الظاهرات ﴿فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين﴾ فائتين عذابنا .

٤٠ ﴿فكلا﴾ من المذكورين ﴿أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا﴾ ريحا عاصفة فيها كقوم هود ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الارض﴾ كقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كفرعون وقومه ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بارتكاب الذنوب .

ثم ضرب الله تعالى مثالا لمن يعبد غيره ويرجو به الشفاعة والنجاة ، فقال :

٤١ ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ لمعبودات يرجون نفعها ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتا﴾ لنفسها تأوي اليه لا يغني عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى ﴿وان أوهن البيوت﴾ أضعفها ﴿لبيت العنكبوت﴾ لا يدفع عنها حرا ولا بردا . وكذلك المعبودات غير الله لا تنفع عابديها ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ذلك ما عبدوها .

٤٢ ﴿ان الله يعلم ما﴾ بمعنى الذي ﴿يدعون﴾ يعبدون بالياء وقرىء بالتاء ﴿من دونه﴾ غيره ﴿من شيء وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

٤٣ ﴿وتلك الامثال﴾ في القرآن ﴿نضربها﴾ نبينها ونجعلها ﴿للناس وما يعقلها﴾ أي يفهمها ﴿الا العالمون﴾ المتدبرون.

ثم شرع تعالى في تسلية المؤمنين بعد أن أمر الخلق جميعا بالايمان ، ثم يأت الكفار مما أمرهم به من الايمان وحصل اليأس منه ، أي : فان لم يؤمنوا فلا يضر ذلك في يقينكم وايمانكم ، فقال :

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَأَقِمِ
الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا أَهْلَ
الْكِتَٰبِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوٓا ءَامَنَّا بِالَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا
وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ
بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا
الْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا
تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ
بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ

٥٢٧

٤٤ ﴿خلق الله السموات والارض بالحق﴾ بما يملكه غير قاصد به باطلا ، فان المقصود من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار بقوله : ﴿ان في ذلك لآية﴾ دلالة على قدرته تعالى ﴿للمؤمنين﴾ خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها في الايمان بخلاف الكافرين .

٤٥ ﴿أتل﴾ يا محمد ﴿ما أوحي اليك من الكتاب﴾ القرآن تقرباً الى الله تعالى بقراءته ، وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني ، وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق ﴿واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ شرعا ، اي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها . وبيان ذلك أن الصلاة تشغل جميع بدن المصلي فاذا دخل المصلي في محرابه خشع وأخبت لربه ، وتذكر أنه واقف بين يدي مولاه وأنه مطلع عليه وأنه يراه ، فصلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى ، وظهرت على جوارحه هيئتها ولو بعد خروجه منها ، ولم يكد يفتر عن ذلك حتى تظله صلاة اخرى يرجع بها الى أفضل حال . ومن صلاته قاصرة عن الاجزاء ، أي اسقاط الطلب عن المكلف ، ولا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل ، فتلك تنزل صاحبها من منزلته حيث كان ، فان كان مرتكبا للمعاصي فقد بعد من الله بسببها ، فتلك الصلاة تتركه يتمادى على بعده . وعلى هذا يتخرج الحديث المروي عن ابن مسعود : «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا» ؛ وليس أن نفس صلاة مرتكب المعاصي تبعده من الله حتى كأنها معصية ؛ بل معناه انها لا تؤثر في تقريبه من الله بل تتركه في حاله ومعاصيه ﴿ولذكر الله أكبر﴾ تأثيرا من غيره من الطاعات ، وهي نفس الصلاة لاشتمالها عليه قولا وفعلا ، ولقوله تعالى : «فاسعوا الى ذكر الله» للايذان بأن ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات ، وغيرها من سائر انواع الذكر من تحميد وتهليل وتسبيح وغير ذلك تابع لها . وقيل : ذكر الله هو أحكامه في كل شيء من العبادات والمعاملات والآداب لقوله تعالى : «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» وقوله تعالى : «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين» . فالاحكام تعم الصلاة وغيرها فهي أعم من غيرها ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ فيجازيكم به .

ثم شرع تعالى في بيان ارشاد أهل الكتاب بعد ارشاد أهل الشرك ، فقال :

٤٦ ﴿ولا تجادلوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿الا بالتي﴾ المجادلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه ، رجاء اجابتهم الى الايمان لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة ﴿الا الذين ظلموا منهم﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية فجادلهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وقولوا﴾ لمن قبل الاقرار بالجزية اذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم مما يوافق الحق ﴿آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم﴾ وصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ مطيعون .

٤٧ ﴿وكذلك أنزلنا اليك الكتاب﴾ القرآن كما أنزلنا اليهم التوراة وغيرها ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يؤمنون به﴾ بالقرآن ﴿ومن هؤلاء﴾ أي قومك ﴿من يؤمن به وما يجحد بآياتنا﴾ بعد ظهورها ﴿الا الكافرون﴾ أي من قومك ومن اليهود ، وظهر لهم أن القرآن حق والجائي به محق وجحدوا ذلك

ثم شرع تعالى في بيان نصب الدليل على كون القرآن معجزة ، فقال :

٤٨ ﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ أي القرآن ﴿من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ دل هذا على أن الخط يزاول باليمين لانه عبادة ﴿اذا﴾ أي لو كنت قارئا كاتبا ﴿لارتاب﴾ شك ﴿المبطلون﴾ اليهود فيك ، وقالوا : الذي في التوراة انه أمي لا يقرأ ولا يكتب .

٤٩ ﴿بل﴾ اضراب عن ارتيابهم ، أي ليس القرآن مما يرتاب فيه ﴿هو﴾ القرآن الذي جئت به ﴿آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ أي المؤمنين يحفظونه ﴿وما يجحد بآياتنا الا الظالمون﴾ أي اليهود وجحودها بعد ظهورها لهم ظلم .

ثم رجع السياق لبطلان دعاوى مشركي مكة ولشبهاتهم ضد دعوة الحق ، فقال :

٥٠ ﴿وقالوا﴾ أي كفار مكة ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه﴾ أي محمد ﴿آيات من ربه﴾ بالجمع ، وفي قراءة «آية» بالافراد كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى . ﴿قل﴾ لهم : ﴿انما الآيات عند الله﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وانما أنا نذير مبين﴾ مظهر انذاري بالنار أهل المعصية .

٥١ ﴿أو لم يكفهم﴾ فيما طلبوا ﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿يتلى عليهم﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات . ﴿ان في ذلك﴾ الكتاب ﴿لرحمة وذكرى﴾ عظة ﴿لقوم يؤمنون﴾ .

٥٢ ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا﴾ بصدقي ﴿يعلم ما في السموات والارض﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وكفروا بالله﴾ منكم ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ في صفقتهم ، حيث اشتروا الكفر بالايمان .

٥٣ ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى﴾ له ﴿لجاءهم العذاب﴾ في الدنيا عاجلا ﴿وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ بوقت اتيانه .

٥٤ ﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ في الدنيا ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ .

٥٥ ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول﴾ بالياء أي الموكل بالعذاب ، وقرىء بالنون ، أي نقول

إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ

٥٢٨

فيه أو نأمر بالقول ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي جزاءه فلا تفوتوننا .

٥٦ ﴿يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا اليها من أرض لم تيسر فيها . كان المسلمون في مكة ضعفاء ، وكانوا في ضيق من اظهار الاسلام بها ، فأمروا بالهجرة فهاجروا الهجرة الاولى الى اليمن والى الحبشة والهجرة إلى محل رضى الله من التكليف

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا
وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)
وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ

٥٧ ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون﴾ بالتاء وقرىء بالياء أي لا تخافوا الموت بالهجرة المطلوبة منكم في دار الغربة ، فان كل نفس ذائقة الموت حيثما كانت ، فالاولى : أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه ، فلا تخافوا من بعد الوطن . ثم ذكر تعالى ثواب الهجرة ، فقال :

٥٨ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم﴾ تنزلنهم وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من « الثواء » أي الاقامة ، وتعديته الى « غرفا » بحذف « في » ﴿من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين﴾ مقدرين الخلود ﴿فيها نعم أجر العاملين﴾ هذا الاجر .

٥٩ هم ﴿الذين صبروا﴾ أي على أذى المشركين ، والهجرة لاظهار الدين ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون .

٦٠ ﴿وكأين﴾ كم ﴿من دابة لا تحمل رزقها﴾ لضعفها ﴿الله يرزقها واياكم﴾ أيها المسلمون أي لا تخافوا في الهجرة عدم الرزق ، فهو أمر في يد الله ربكم ، الذي أمركم بالهجرة ، ويضمن الرزق لكم كما يضمنه لدواب ضعيفة ، وهي لا تحمله معها ، ومع ذلك تجده منه تعالى ، وتعيش ، فانتم من باب أولى ﴿وهو السميع﴾ لاقوالكم ﴿العليم﴾ بضمائركم .

ولما كان الامر بالهجرة في ذلك الحين واجبا ، ولا يتم الاسلام الا به ، كان الخطاب لمن ترك الهجرة مثل الخطاب لمن لم يدخل الاسلام بالكلية ، وذلك قوله تعالى :

٦١ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم﴾ يا محمد لتاركي الهجرة ﴿من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ أي خلقهن وسخرهما ﴿فأنى يؤفكون﴾ يصرفون عن أمره بالهجرة ، وقد عرفوا من يسخر لهم ما لا يملكون ولا يقدرون أن يصلوا اليه بايديهم .

٦٢ ﴿الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء من عباده﴾ امتحانا سواء هاجر أو لم يهاجر ، مسلما كان أو كافرا ﴿ويقدر﴾ يضيق ﴿له﴾ بعد البسط أي لمن يشاء ابتلاء كذلك ﴿ان الله بكل شيء عليم﴾ ومنه محل البسط ، والتضييق ، وذلك لا يتعلق بالهجرة أو عدمها .

٦٣ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله﴾ نزله وأحياه فكيف يترددون في اتباع أمره بالهجرة من خوف الرزق . ﴿قل﴾ لهم ﴿الحمد لله﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ تناقضهم في ذلك .

٦٤ ﴿وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب﴾ وأما القرب ومنها الهجرة ، فمن أمور الآخرة ، لظهور ثمرتها فيها ﴿وان الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ بمعنى الحياة ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها ، بترك الهجرة .

٦٥ ﴿فاذا ركبوا في الفلك﴾ أي الناس من طبيعتهم اذا دخلوا مخاطر ومخاوف ﴿دعوا الله﴾ استعانوا بدعوة الله وحده ﴿مخلصين له الدين﴾ أي الدعاء لان دعاء الاستغاثة عبادة ، أي لا يدعون معه غيره ، لانهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون﴾ به استقلالا ، كدعوة المشركين لاصنامهم ، أو بالاضافة كدعوة جهال المسلمين للصالحين ، ويستغيثون بهم .

٦٦ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ من النعمة ﴿وليتمتعوا﴾ بعملهم هذا بكسر اللام ، وفي قراءة بسكونها أمر تهديد ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة ذلك .

٦٧ ﴿أو لم يروا﴾ يعلموا أي الذين امتنعوا من الهجرة ﴿أنا جعلنا﴾ بلدهم بمكة ﴿حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ قتلا وسبيا دون أهله ، فالذي جعله حرما ، يجعلهم حرما في أمن حيثما ذهبوا . بأمره بالهجرة الى محل رضاه ﴿أفبالباطل﴾ تفكرهم في ما يصيبهم ان هاجروا من خوف الموت وفقد الرزق ﴿يؤمنون وبنعمة الله﴾ بهدايتهم ﴿يكفرون﴾ باتباع هواهم في ترك ما أمرهم به ، أي لا ينبغي لهم ذلك ولا يليق بهم .

ثم عقب تعالى عن السورة بجمع معلوماتها في قوله :

٦٨ ﴿ومن﴾ أي لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بأن يحسب ان يترك أن يقول آمنت ولا يفتن ﴿أو كذب بالحق﴾ النبي أو الكتاب ولم يؤمن به ﴿لما جاءه أليس في جهنم مثوى﴾ مأوى ﴿للكافرين﴾ والمنافق كافر. أي فيها ذلك ، وهو منهم .

٦٩ ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ في حقنا جهاد النفس ، أو بالسيف ، أو باللسان ، على حسب الطاقة والظروف ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ أي طرق السير الينا . قال النبي ﷺ : «من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم» ، وقال عمر بن عبد العزيز : انما قصر بنا عن علم ما جهلنا ، تقصيرنا في العمل بما علمنا ، ولو عملنا ببعض ما علمنا ، لأورثنا علما لا تقوم به أبداننا . قال الله تعالى : «واتقوا الله ويعلمكم الله» . ﴿وان الله لمع المحسنين﴾ المؤمنين المخلصين ، بالنصر والعون . فيه اقامة الظاهر مقام المضمر ، اظهارا لشرفهم بوصف الاحسان ، وفيه أربع توكيدات : أن واللام والاظهار واسمية الجملة ، فمن كان في معية الله هكذا يطمئن قلبه دنيا واخرى .

﴿ سورة الروم مكية ﴾

وهي ستون أو تسع وخمسون آية وموضوعها الرئيسي هو

دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ
مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ

الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس وأحداث الحياة .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك .

٢ ﴿غلبت الروم﴾ وهم أهل كتاب أصحاب الانجيل أقرب الى المسلمين أصحاب القرآن ، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل هم مجوس يعبدون النار ، هم أقرب الى عبدة الاوثان ، ففرح كفار مكة بذلك ، وقالوا للمسلمين : نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم .

٣ ﴿في أدنى الارض﴾ أي أقرب أرض الروم الى فارس بالجزيرة ، التي التقى فيها الجيشان ، والبادىء بالغزو الفرس . ﴿وهم﴾ أي الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ أضيف المصدر الى المفعول

مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ
اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ
لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ
يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا
أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ

أي غلبة فارس اياهم . ﴿سيغلبون﴾ فارس .

٤ ﴿في بضع سنين﴾ هو ما بين الثلاث الى التسع أو العشر ، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الاول ، وغلبت الروم فارس . ﴿لله الامر من قبل ومن بعد﴾ أي من قبل غلب الروم ومن بعده ، المعنى أن غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله ، أي ارادته ﴿ويومئذ﴾ أي يوم تغلب الروم . ﴿يفرح المومنون﴾ .

٥ ﴿بنصر الله﴾ إياهم ، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه ، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه . ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين .

٦ ﴿وعد الله﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله والاصل وعدهم الله النصر . ﴿لا يخلف الله وعده﴾ به ﴿ولكن اكثر الناس﴾ أي الكفار ﴿لا يعلمون﴾ وعده تعالى بنصرهم .

٧ ﴿يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا﴾ أي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك . ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ اعادة «هم» تأكيد أي ارتباط بين عدم العلم وهو الجهل ووجوده ومراده ، لا فرق بين الجهل والعلم الذي لا يتجاوز الدنيا ، وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا ، يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا ، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها ، وباطنها وحقيقتها أنها مجاز الى الآخرة يتزود منها العاقل العالم بالطاعة والاعمال الصالحة .

ثم تقدم السياق في جلب عقول علماء الدنيا والآخرة الى النظر الى مخلوقاته تعالى ، فقال :

٨ ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ ليرجعوا عن غفلتهم . ﴿ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق﴾ بسبب ثابت وغاية لا بد منها ﴿وأجل مسمى﴾ لذلك تفنى عند انتهائه وبعده البعث ﴿وان كثيرا من الناس﴾ المكلفين ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾ أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت .

٩ ﴿أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الامم وهي اهلاكهم باقتصار علمهم على الحياة الدنيا الذي أداهم الى تكذيب الرسل الدالين الى الآخرة . ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ كعاد وثمود ﴿وأثاروا الارض﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس . ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ حاليا ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالحجج الظاهرة ، التي تؤديهم الى فهم الآخرة ، فأبوا لما يرون من فوائد الدنيا التي تفوتهم بالايمان ، حتى أهلكهم الله . ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ باهلاكهم بغير جرم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ . بتكذيبهم رسلهم .

الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ السُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَكَانُواْ
بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ
كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ
الْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ
اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ

١٠ ﴿ثم﴾ بعد الاهلاك ﴿كان عاقبة الذين أساءوا السوأى﴾ تأنيث الاسوأ أي الاقبح اسم كان على نصب عاقبة وقرىء عاقبة بالرفع اسم كان والسوأى خبرها والمراد بها جهنم ، واساءتهم ﴿أن﴾ أي بأن ﴿كذبوا بآيات الله﴾ القرآن ﴿وكانوا بها يستهزئون﴾ أي أساءتهم هي تكذيبهم بآيات الله واستهزاؤهم بها .

١١ ﴿الله يبدؤا الخلق﴾ أي ينشيء خلق الناس ﴿ثم يعيده﴾ أي خلقهم بعد موتهم . ﴿ثم اليه ترجعون﴾ بالتاء وقرىء بالياء .

١٢ ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ يسكت المشركون لانقطاع حجتهم .

١٣ ﴿ولم يكن﴾ أي لا يكون ﴿لهم من شركائهم﴾ ممن أشركوهم بالله وهم الاصنام ليشفعوا لهم ﴿شفعاء وكانوا﴾ أي يكونون ﴿بشركائهم كافرين﴾ أي متبرئين منهم .

١٤ ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ﴾ تأكيد ﴿يتفرقون﴾ أي المؤمنون والكافرون .

١٥ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة﴾ جنة ﴿يحبرون﴾ يسرون والحبر والحبور السرور ، وقيل من التحبير وهو التحسين .

١٦ ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿ولقاء الآخرة﴾ البعث وغيره ﴿فاولئك في العذاب محضرون﴾ أي لا ينفكون عنها .

لما بين الله تعالى عظمته في الابتداء بقوله وما خلق الله السموات والارض وما بينهما . الا بالحق » ، وعظمته في الانتهاء ، بقوله « ويوم تقوم الساعة » وأن الناس يتفرقون فريقين ، « فريق في الجنة ، وفريق في السعير » أمر بتسبيحه وحمده فقال :

١٧ ﴿فسبحان الله﴾ أي سبحوا الله بمعني صلوا ﴿حين تمسون﴾ أي تدخلون في المساء وفيه صلاتا المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح .

١٨ ﴿وله الحمد في السموات والارض﴾ اعتراض ومعناه يحمده أهلهما ﴿وعشيا﴾ عطف على حين ، وفيه صلاة العصر . ﴿وحين تظهرون﴾ تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر . وقيل المقصود بالتسبيح والتحميد ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » وعنه أنه قال « من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » وقيل المراد به التنزيه أي نزهوا الله عن صفات النقص ، وصفوه بصفات الكمال ، وهذا أولى لانه يتضمن الصلاة لان التنزيه المأمور به يتناول التنزيه بالقلب الذي هو الاعتقاد الجازم ، ويتناول التنزيه باللسان وهو الذكر الحسن ويتناول التنزيه بالاركان وهو العمل الصالح . والثاني ثمرة الاول والثالث ثمرة الثاني فاللسان ترجمان الجنان والاركان ترجمان اللسان لكن الصلاة أفضل أعمال الاركان فهي مشتملة على الذكر باللسان والتصديق بالجنان فهو نوع من انواع التنزيه والامر المطلق لا يختص بنوع دون نوع ، فيجب حمله على كل ما هو تنزيه والذي من جملته الصلاة .

١٩ ﴿يخرج الحي من الميت﴾ كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿ويخرج الميت﴾ النطفة والبيضة ﴿من الحي ويحيي الارض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ أي يبسها ﴿وكذلك﴾ الاخراج ﴿تخرجون﴾ من القبور ، بالبناء للمفعول وقرىء للفاعل . ووجه مناسبة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي للتسبيح

أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ
أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً
مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

٥٣٣

والتحميد صباحا ومساء أن الانسان عند الصباح يخرج من شبه الموت ، وهو النوم ، إلى شبه الحياة وهو اليقظة ، وفي المساء بالعكس ، فأمر بهما في هذين الوقتين لانهما الوسيلتان للنجاة من العذاب . فحصل الارتباط في الزمان بين الصباح والمساء ، وفي المكان بين السماء والارض ، وفي الحياة والممات وفي المخلوقات ، وبين العبد وربه .

ولما ذكر تعالى ارتباط المخلوقات بصفاته مجملا . ذكر بعض التفصيل ليربط ذلك بالعقول فقال :

٢٠ ﴿ومن آياته﴾ تعالى الدالة على قدرته ﴿أن خلقكم من تراب﴾ أي أصل آدم ﴿ثم اذا أنتم بشر﴾ من دم ولحم ﴿تنتشرون﴾ في الارض .

٢١ ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ قرناء في الأخلاق والخلق وفي النسب والصناعات والسلوك . ﴿لتسكنوا اليها﴾ أي الازواج وتألفوها ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ أي المحبة والشفقة وعطف قلوب بعضهم على بعض ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ في صنع الله تعالى .

٢٢ ﴿ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم﴾ لغاتكم بأن علم كل صنف لغة عربية أو أعجمية أو غيرها أو ألهمه وضعها وأقدره عليها ، أو أجناس نطقكم وأشكاله فانك لا تكاد تسمع متكلمين متساويين في الكيفية من كل وجه ﴿وألوانكم﴾ بياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينها أو تخطيطات الاعضاء وهيئاتها وألوانها ، وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ، وان كانا في غاية التشابه . وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقكم . ﴿ان في ذلك لآيات﴾ على قدرته وعمله ﴿للعالمين﴾ بكسر اللام أولي العلم وذوي العقول . وتقرىء بالفتح : جمع عالم لجميع الخلق الانس والجن .

٢٣ ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ بارادته راحة لكم ﴿وابتغاؤكم﴾ بالنهار ﴿من فضله﴾ أي تصرفكم في طلب المعيشة بأنواع المكاسب بارادته ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر واعتبار .

٢٤ ﴿ومن آياته يريكم﴾ أي رؤيتكم ﴿البرق خوفا﴾ للمسافرين من الصواعق ﴿وطمعا﴾ للمطر ﴿وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها﴾ أي ييبسها بأن تنبت ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون .

٢٥ ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره﴾ بارادته من غير عمد ﴿ثم اذا دعاكم دعوة من الارض﴾ بأن ينفخ اسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿اذا أنتم تخرجون﴾ منها أحياء فخروجكم بدعوة من آياته تعالى .

وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ
فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾
۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا

٢٦ ﴿وله من في السموات والارض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا واذا ملك العاقل في كل منهما فغير العاقل تابع له ﴿كل له قانتون﴾ مطيعون في الحياة والممات .

٢٧ ﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ الناس ﴿ثم يعيده﴾ بعد هلاكه ﴿وهو﴾ الاعادة ﴿أهون عليه﴾ من البدء بالنظر الى ما عند المخاطبين من أن اعادة الشيء أسهل من ابتدائه ، والا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة .

ثم عقب تعالى على ما تقدم من الآيات ووصله بما يأتي بقوله : ﴿وله المثل الاعلى في السموات والارض﴾ أي الصفة العليا وهي أنه لا اله الا الله ، أي له صفة الوحدانية فيهما ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه أي لا يصعب عليه شيء ولا يفعل شيئا الا لحكمة تدل على كماله تعالى . ثم تقدم السياق ، لجلب عقول الغافلين ، علماء الظاهر من الحياة الدنيا وجهال الآخرة الذين جعلوا لله بعض عبيده شركاء متساوين معه تعالى في ملكه وهم لا يقبلون الشركة والتساوي مع عبيدهم في أموالهم فقال :

٢٨ ﴿ضرب لكم﴾ أيها المشركون ﴿مثلا﴾ كائنا ﴿من أنفسكم﴾ لتعتبروا وهو ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ أي من عبيدكم ﴿من شركاء﴾ لكم ﴿فيما رزقناكم﴾ من الاموال وغيرها ﴿فأنتم﴾ وهم ﴿فيه سواء تخافونهم كخفيفتكم أنفسكم﴾ أي أمثالكم من الاحرار والاستفهام بمعنى النفي ، فالمراد نفي الثلاثة أعني الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم اياهم . أي اذا كان أمركم مع عبيدكم في أموال الله التي أعطاكموها كذلك ، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له متساوين معه تعالى في ملكه وتقدرون أنه تعالى يخافهم أن يخالف أمرهم ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون .

٢٩ ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ بالاشراك ﴿أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله﴾ أي لا هادي له ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذابه .

وبعد توجيه الغافلين بما تقدم ، وجه تعالى الخطاب الى الرسول ﷺ ، وأمره بالثبات على الحق الذي هو العلم الذي يوصل الى الآخرة وهو لا يتم الا بالعمل به فتستقيم به القدوة لغيره فقال :

٣٠ ﴿فأقم﴾ يا محمد ﴿وجهك للدين حنيفا﴾ مائلا اليه أي أخلص دينك لله أنت ومن اتبعك ، ﴿فطرت الله﴾ ترسم بالتاء المجرورة ، وليس في القرآن غيرها والفطرة هي قابلية الدين الحق والتهيؤ له . وقيل دين الاسلام اذ لا اعتبار بالايمان الفطرى لانه موجود حتى في الكفار ، وانما الاعتبار بالايمان الشرعي المكتسب بالارادة والعلم بعد البلوغ ﴿التي فطر الناس عليها﴾ وهي دينه أي الزموها ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ لدينه أي لا تبدلوه بأن تشركوا ، اخبار بمعنى الامر ﴿ذلك الدين القيم﴾ المستقيم أي ذلك توحيد الله الدين القيم ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي الكفار ﴿لا يعلمون﴾ ذلك ، والا لما أشركوا به شيئا .

٣١ ﴿منيبين﴾ حال لفاعل «أقم» راجعين ﴿اليه﴾ تعالى فيما أمر به ونهى عنه ثم شرع في بيانه بقوله : ﴿واتقوه﴾ خافوه ﴿وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ .

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ
دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا
فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ
فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا
فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

٣٢ ﴿من الذين﴾ بدل باعادة الجار، ﴿فرقوا دينهم﴾ باختلافهم فيما يعبدونه أو في الكيفية ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا في ذلك ﴿كل حزب﴾ منهم ﴿بما لديهم﴾ عندهم ﴿فرحون﴾ أي مسروررون وفي قراءة «فارقوا» أي تركوا دينهم الذي أمروا به .

٣٣ ﴿واذا مس الناس﴾ أي الكفار ﴿ضر﴾ شدة ﴿دعوا ربهم منيبين اليه﴾ دون غيره ﴿ثم اذا اذاقهم منه رحمة﴾ بالمطر ﴿اذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ .

٣٤ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أريد به التهديد ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ عاقبة تمتعكم . فيه التفات عن الغيبة .

٣٥ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الانكار ﴿أنزلنا عليهم سلطانا﴾ حجة وكتابا ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي يأمرهم بالاشراك ، والجواب لا .

٣٦ ﴿واذا أذقنا الناس﴾ الكفار ﴿رحمة﴾ نعمة ﴿فرحوا بها﴾ فرحوا فرح بطر ﴿وان تصبهم سيئة﴾ شدة ﴿بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون﴾ ييأسون من الرحمة ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة .

٣٧ ﴿أولم يروا﴾ يعلموا ﴿أن الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ امتحانا ﴿ويقدر﴾ ويضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ بها . واذا عرفت ذلك .

٣٨ ﴿فآت ذا القربى﴾ القرابة ﴿حقه﴾ من البر والصلة ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ المسافر من الصدقة وحق الضيافة ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ أي رضاه وثوابه بما يعملون من التقوى والاستقامة في الدين القيم ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون . ومن اقامة الوجه للدين القيم عدم الربا ، فلمنع ذلك قال تعالى :

فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ
رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ
مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾
ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ
لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ
يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم

٣٩ ﴿وما آتيتم من ربا﴾ زيادة على ما في الذمة سواء كان ربا الفضل من سلف جر منفعة، أو ربا النسية في صرف النقد الجنس بالجنس أو بغير جنسه بتأخير أحد النقدين أو جميعهما ﴿ليربوا في أموال الناس﴾ أي يزيد ﴿فلا يربو﴾ يزكو ﴿عند الله﴾ أي لا ثواب له عند الله أو لا يبارك الله في ماله ولو كثر فانه خبيث . ﴿وما آتيتم من زكوة﴾ بدل الربا ، فان اخراج الزكاة من الاموال وان كان في الظاهر تنقيصا لها ولكن في الحقيقة زيادة لها ، فيباركها الله لاصحابها كما قال تعالى في الذين أخرجوا الزكاة من أموالهم ﴿تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ المكثرون لاموالهم حقيقة في الدنيا فيبارك الله لهم فيها ، وفي الآخرة حيث يجدون ثواب عملهم لاتباعهم أمر الله بالتقوى ، واقامة وجوههم للدين القيم . في الكلام التفات لفائدة شمول المخاطب وغيره .

ولما بين تعالى ما اشتمل عليه الدين القيم ، الذي أمر رسوله أن يقيم وجهه له ، ليكون قدوة لاتباعه المؤمنين شرع يحثهم على المحافظة على ذلك فقال :

٤٠ ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم﴾ حال حياتكم في الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ بانقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ بالبعث ﴿هل من شركائكم﴾ ممن أشركتم بالله ﴿من يفعل من ذلكم من شيء﴾ واذا كان الجواب لا . فاعلموا أنه هو الذي يستحق منكم العبادة لا غيره ، ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ به .

٤١ ﴿ظهر الفساد﴾ الاضطرابات وعدم الاطمئنان ﴿في البر والبحر﴾ أي جميع بقاع الارض ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ من الربا وظلم بعضهم بعضا وعدم أدائهم حقوق الله من أموالهم ومن أنفسهم فنمنعهم الله الاطمئنان ﴿ليذيقهم﴾ بالياء ، وقرىء بالنون التفاتاً ، ﴿بعض الذي عملوا﴾ أي عقوبته ولو اذاقهم عقوبة جميعه لهلكوا جميعا لكن رحمهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ يتوبون . ثم بين تعالى رحمته بهم في عدم اهلاكهم جميعا وقد أهلك قوما بأمثال جرائمهم . فقال :

٤٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ أي قبلكم من الامم السالفة الذين خوت مساكنهم ومنازلهم ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ فأصابهم من ذلك الهلاك فانتم لستم أقل منهم جرما . ولكن الله رحمكم فأبقاكم وابتلاكم ببعض ماكسبت أيديكم ، لترجعوا اليه وتقيموا وجوهكم لدينه القيم .

٤٣ ﴿فاقم وجهك﴾ يا محمد ﴿للدين القيم﴾ دين الاسلام كرره تأكيداً أو ليبني عليه قوله : ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ هو يوم القيامة ﴿يومئذ يصدعون﴾ فيه ادغام التاء في الاصل في الصاد أي يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار .

٤٤ ﴿من كفر فعليه كفره﴾ وبال كفره وهو النار ﴿ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾ يوطئون منازلهم في الجنة .

٤٥ ﴿ليجزي﴾ متعلق بيصدعون ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ يثيبهم ﴿انه لا يحب الكافرين﴾ أي لا يثيبهم بل يعاقبهم . ثم ربط تعالى رحيميته في الآخرة برحمانيته في الدنيا بقوله :

مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ
قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ
وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ
وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ
أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحًا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ
يَكۡفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ

٤٦ ﴿ومن آياته﴾ تعالى ، الرحمانية في الدنيا التي تدل على رحيميته في الآخرة ﴿أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بمعنى لتبشركم بالمطر ﴿وليذيقكم﴾ بها ﴿من رحمته﴾ المطر والخصب ﴿ولتجري الفلك﴾ بها ﴿بأمره﴾ بارادته ﴿ولتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ الرزق بالتجارة في الانهار والبحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم ، وتقيمون وجوهكم للدين القيم .

ثم بين تعالى أن تفرق الناس بعد الانذار فآمن بعض وكفر آخرون ليس مقتصرا لهذه الامة بل هو من طبيعة الناس فقال :

٤٧ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم اليهم فكذبوهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ أهلكنا الذين كذبوهم . ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ على الكافرين باهلاكهم وانجاء المؤمنين . ثم ربط تعالى هذا التفريق بين الناس بالايمان والكفر بغيره من أعماله تعالى ، ليبين أنه هو الذي يجري الامور كما يشاء فقال :

٤٨ ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا﴾ تزعجه ﴿فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾ من قلة وكثرة ﴿ويجعله كسفا﴾ بفتح السين وقرىء باسكانها أي قطعا متفرقة ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي وسطه فيصيب بعض البلاد ويخطىء بعضها بارادة الله ﴿فاذا أصاب به﴾ بالودق ﴿من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون﴾ يفرحون بالمطر .

٤٩ ﴿وان﴾ وقد ﴿كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله﴾ ﴿لمبلسين﴾ آيسين من انزاله ، أو ساكتين لا يستطيعون أظهار سرور لما هم فيه من يأس منه .

ثم ربط تعالى المطر واحياء الارض به بالبعث فقال :

٥٠ ﴿فانظر﴾ ايها الناظر ﴿الى آثار رحمة الله﴾ بجمع آثار وقرىء « أثر » بالافراد أي نعمته بالمطر ﴿كيف يحيي الارض بعد موتها﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿ان ذلك﴾ المحيي الارض ﴿لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك البعث وغيره .

٥١ ﴿ولئن أرسلنا ريحا﴾ مضرة على النبات تعذيبا لهم ليؤمنوا ﴿فرأوه﴾ أي ما نبت المفهوم من آثار رحمة الله ﴿مصفرا﴾ يابسا ﴿لظلوا﴾ صاروا جواب القسم ، ﴿من بعده﴾ أي بعد اصفراره ﴿يكفرون﴾ بدل أن يتواضعوا ليؤمنوا طلبا للرحمة فهو مثل قوله تعالى : « فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن
ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾
۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ
ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ
ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ

٥٢ ﴿فانك﴾ يا محمد ﴿لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا﴾ بتحقيق الهمزتين وقريء بتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ولوا مدبرين﴾ .

٥٣ ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان﴾ ما ﴿تسمع﴾ سماع افهام وقبول ﴿الا من يؤمن بآياتنا﴾ القرآن ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون بتوحيد الله .

٥٤ ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ ماء مهين ، ﴿ثم جعل من بعد ضعف﴾ آخر وهو ضعف الطفولة ﴿قوة﴾ أي قوة الشباب ﴿ثم جعل من بعد قوة﴾ أخرى أي قوة الذاكرة والعقل والفهم ﴿ضعفا﴾ من الرأي والعقل ﴿وشيبة﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم . والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه فهو خلاف القوة والصحة قرأ بهما حفص أي فخلقكم على أحوال تدل على قدرته تعالى وارادته ولو شاء لجعلكم على حالة واحدة ﴿يخلق ما يشاء﴾ من الضعف بأنواعه ، والقوة بأنواعها ، والشباب والشيبة ، والايمان والكفر ، فيربط بعض خلقه ببعض ﴿وهو العليم﴾ بتدبير خلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء .

ثم ربط تعالى اختلاف أحوال الناس في الدنيا بأحوالهم يوم القيامة فقال :

٥٥ ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم﴾ يحلف ﴿المجرمون﴾ الكافرون ﴿ما لبثوا﴾ في القبور ﴿غير ساعة﴾ قال تعالى : ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ يصرفون عن الحق أي الدين في الدنيا كما صرفوا عن الحق أي الصدق في مدة اللبث في القبور

٥٦ ﴿وقال الذين اوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿الى يوم البعث فهذا يوم البعث﴾ الذي أنكرتموه ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ وقوعه أي لا تعترفون ولا تقرون بوقوعه .

٥٧ ﴿فيومئذ لا ينفع﴾ بالياء وقريء بالتاء ﴿الذين ظلموا معذرتهم﴾ في انكارهم له وحمل تقليلهم لمدة اللبث في القبر اعتذارا ، فقال : ان ذلك لا ينفعهم ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لا يطلب منهم العتبى ، أي الرجوع الى ما يرضي الله .

ثم عقب تعالى على معلومات السورة فيما تشتمل عليه الثلاث آيات فقال :

٥٨ ﴿ولقد ضربنا﴾ جعلنا بالبيان ﴿للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ تنبيها لهم ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿جئتهم﴾ يا محمد ﴿بآية﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ منهم ﴿ان﴾ ما ﴿أنتم﴾ أي محمد وأصحابك ﴿الا مبطلون﴾ أصحاب الاباطيل أو ما جئتم الا لتبطلوا عاداتنا وتقاليدنا التي ورثناها من آبائنا .

قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ
وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

(٣١) سُورَةُ لُقْمَانَ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى
وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

٥٩ ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ الا ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون كما طبع على قلوب هؤلاء .

٦٠ ﴿فاصبر﴾ على تحمل أذاهم ﴿ان وعد الله﴾ بنصرك عليهم ﴿حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ بالبعث أي لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر أي لا تتركه .

بدأت السورة بوعد الله المؤمنين في نصر الروم في بضع سنين ، وختمت بالصبر حتى يأتي وعد الله به واشتملت على ربط الاحوال بالحياة الانسانية الدنيوية والاخروية .

﴿ سورة لقمان مكية ﴾

وهي أربع وثلاثون آية وموضوعها الرئيسي تربية الاولاد على الاخلاق الحميدة بأساليب حكيمة لا تبعد عن مداركهم وتربية الكبار بما يناسبهم .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده به .

٢ ﴿تلك﴾ أي هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ﴿الحكيم﴾ ذي الحكمة والاضافة بمعنى من .

٣ ﴿هدى ورحمة﴾ بالنصب حالا من الآيات العامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وفي قراءة بالرفع ويقدر قبله هو مبتدأ ﴿للمحسنين﴾ الاحسان هو أن تعبد ربك كأنك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك . وهو داخل في جميع الافعال والاقوال ولذلك وصفهم بقوله تعالى :

٤ ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي الذين جمعوا جميع أعمال العبادة العملية والمالية والاعتقادية . . هم، الثاني تأكيد .

٥ ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون .

لما ذكر تعالى أن هذا الكتاب هدى ورحمة للمحسنين وبين صفاتهم بالعبادة الكاملة فكأنه أمر تعالى بالاقتداء بهم واجتناب من عداهم الموصوف بقوله :

٦ ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ أي ما يلهي منه عما يعني ﴿ليضل﴾ بضم الياء غيره وقرىء بفتحها ﴿عن سبيل الله﴾ طريق الاسلام ﴿بغير علم﴾ بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ﴿ويتخذها﴾ بالنصب ﴿هزوا﴾ أي مهزوا بها ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ
فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ
وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ

٧ ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا﴾ أي القرآن ﴿ولى مستكبرا﴾ متكبرا ﴿كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا﴾ صمما وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولّى أو الثانية بيان للاولى ﴿فبشره﴾ أعلمه ﴿بعذاب أليم﴾ مؤلم ، وذكر البشارة تهكم به روي أنه كان النضر ابن الحرث يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الاعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول ان محمدا يحدثكم أحاديث عاد وثمود ، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن . فالحكم في الآية شامل له ولكل من يتبع طريقه في ذلك ليصرف الناس عن دينهم ، وما أكثر أمثاله اليوم ! !

ولما بين تعالى مآل من يضل الناس عن الهدى ذكر مرجع من من يهديهم الصراط المستقيم فقال :

٨ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ومنها هداية الناس الى الله بما أنزل على رسوله ﴿لهم جنات النعيم﴾ .

٩ ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة أي مقدراً خلودهم فيها اذا دخلوها ﴿وعد الله حقا﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقه حقا ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من انجاز وعده ووعيده ﴿الحكيم﴾ الذي لا يضع شيئا الا في محله .

١٠ ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾ أي العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلا ، وقوله ترونها تنبيه المخاطب وحث له على أن يجدد النظر كقوله : « فارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » ﴿وألقى في الارض رواسي﴾ جبالا مرتفعة ﴿أن﴾ لا ﴿تميد﴾ تتحرك ﴿بكم﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال هي الجبال الشامخات من أوتاد الارض ، وهي سبعة عشر جبلا منها قاف وأبو قبيس والجودي ولبنان وطور سينين أو سيناء أخرجه ابن حيدر في المبهمات للسيوطي ﴿وبث فيها من كل دابة وانزلنا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج﴾ صنف ﴿كريم﴾ حسن .

١١ ﴿هذا خلق الله﴾ أي مخلوقاته فجعل الصورة التي رسمها من وصف السماء وما ذكر معها كأنها محسوس أمام المخاطب المرئي يمكن الاشارة اليها ثم أكد ذلك بقوله ﴿فأروني﴾ أيها الناس ﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾ غيره أي ألهتكم حتى أشركتموها به تعالى ، و« ما » استفهام انكار مبتدأ و« ذا » بمعنى الذي بصلته خبره . و« أروني » معلق عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين ﴿بل﴾ للانتقال ﴿الظالمون في ضلال مبين﴾ بين باشراكهم وأنتم منهم .

ثم ذكر تعالى قصة لقمان عليه السلام لما اشتملت عليه من لطائف الحكمة فقال :

١٢ ﴿ولقد آتينا لقمان﴾ في نسبه خلاف ، والمشهور أنه أعجمي حبشي وفي نبوته أيضا خلاف فالجمهور قالوا : ليس بنبي لسواده والنبي يجب أن يكون في أعلى الصفات البشرية والسواد نقص ، وأنا اتبع عكرمة والشعبي القائلين بنبوته لان السواد لون يكون حسنا ويكون قبيحا ، كما أن البياض يكون حسنا وقبيحا ، ويختلف باختلاف المناطق ﴿الحكمة﴾ النبوة فالالف واللام لتعريف الجنس الاكمل عند الاطلاق والولي تابع لنبي وكان يفتي بالهام قبل بعثة داود وأدرك بعثه وأخذ عنه العلم وترك الفتيا ، وقال : في ذلك ألا أكتفي اذا كفيت . وقيل له : أي الناس شر قال الذي لا يبالي ان رآه الناس مسيئا ، وقيل : العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما . وقيل العلم والديانة والاصابة في القول . قلت : لا يجوز العمل بالعقل دون النقل الا الفلاسفة ﴿وأن﴾

حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى
وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ
بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا
مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾
وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ

٥٤١

أي وقلنا له أن ﴿اشكر لله﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿ومن يشكر فانما يشكر لنفسه﴾ لان ثواب شكره له ﴿ومن كفر﴾ النعمة ﴿فان الله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ محمود في صنعه .

ثم شرع تعالى في بيان تكميل لقمان لغيره بعد بيان كماله في نفسه فان اللائق أن يكمل أولا في نفسه ثم يعتني بتكميل غيره فقال :

١٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال لقمان لابنه﴾ اسمه مشكم وقيل أنعم فان تربية الابناء واجبة على الاباء وتربية غير أهل الانسان فرض كفاية الا اذا لم يكن هناك مرب غيره فيتعين عليه بعد تقديم اهله الاسبق فالاسبق مثل قوله تعالى : «وأنذر عشيرتك الاقربين» ﴿وهو يعظه يا بني﴾ تصغير اشفاق ﴿لا تشرك بالله ان الشرك﴾

بالله ﴿لظلم عظيم﴾ لان التسوية بين من يستحق العبادة ، ومن لا يستحقها ، وضع لما في غير موضعها ، فهو ظلم عظيم ، فاول التربية نهي عن ان يقع المربي –بالفتح– في الاشراك بالله ، وذلك اساس بناء التربية .

وقوله تعالى :

١٤ ﴿ووصينا الانسان بوالديه﴾ اعتراض في أثناء وصية لقمان ، لبيان ان حق الوالدين يتبع حق الله في الرتبة ، فيجب المحافظة عليه بعد حفظ حق الله تعالى . أي أمرناه أن يبرهما ﴿حملته أمه﴾ فوهنت ﴿وهنا على وهن﴾ أي ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة ﴿وفصاله﴾ أي فطامه ﴿في عامين﴾ وقلنا له ﴿أن اشكر لي ولوالديك الي المصير﴾ أي المرجع .

١٥ ﴿وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ موافقة للواقع . ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ أي بالمعروف البر والصلة . ﴿واتبع سبيل﴾ طريق ﴿من أناب﴾ رجع ﴿الي﴾ بالطاعة ﴿ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأجازيكم عليه اما بثواب ان كان خيرا أو بعقاب ان كان شرا .

ثم رجع السياق إلى كلام لقمان لابنه فقال :

١٦ ﴿يا بني إنها﴾ الخصلة السيئة ﴿إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض﴾ أي في أخفى مكان من ذلك ﴿يأت بها الله﴾ فيحاسب عليها وكذلك الخصلة الحسنة فيثيب عليها ﴿ان الله لطيف﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها ومقدارها .

١٧ ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف﴾ شرعا . ﴿وانه عن المنكر﴾ شرعا . ﴿واصبر على ما أصابك﴾ بسبب الامر والنهي . ﴿ان ذلك﴾ المذكور . ﴿من عزم الامور﴾ أي معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها . وفهم من هذا أن من لم يقدم نفسه بالعمل لا يعظ غيره ، وأن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية في كيان الامة ، ولا بد لمن قام به من التحمل والصبر على أذى الناس .

ثم لا بد من تصفية الباطن وهو قوله :

١٨ ﴿ولا تصعر﴾ وفي قراءة تصاعر . ﴿خدك للناس﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبرا ﴿ولا تمش في الارض مرحا﴾ أي خيلاء . ﴿ان الله لا يحب كل مختال﴾ متبختر في مشيه ﴿فخور﴾ على الناس بنفسه يظن أن اسباغ النعم الدنيوية من محبة الله تعالى له وذلك من جهله . فان الله أسبغ نعمه الدنيوية على الكافر الجاحد فينبغي للمؤمن أن لا يتكبر على عباده .

الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَٰنُ
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ
إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى
اللَّهِ عَٰقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ
غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

١٩ ﴿واقصد في مشيتك﴾ أي توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعليك السكينة والوقار. ﴿واغضض﴾ اخفض. ﴿من صوتك ان أنكر الاصوات﴾ أقبحها ﴿لصوت الحمير﴾ أوله زفير وآخره شهيق ، فهي تؤذي أذن الجليس وتبين خفة العقل. والمعنى كن متوسطا في مشيك وفي كلامك فلا تؤذ أحدا ولا تتسم بصفة عار. هنا اخر كلام لقمان لابنه . وقد اشتمل على العقيدة الصحيحة وحفظ حقوق الناس وحسن الآداب .

ثم ان التربية الاسلامية تكون برعاية احكامه ، لا بالتمسك بتقاليد الآباء .

٢٠ ﴿ألم تروا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أن الله سخر لكم ما في السموات﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وما في الارض﴾ من الثمار والانهار والدواب . ﴿واسبغ﴾ أوسع وأتم ﴿عليكم نعمه ظاهرة﴾ وهي حسن الصورة وتسوية الاعضاء وغير ذلك ﴿وباطنة﴾ هي المعرفة وغيرها . فتستدلون بهذه النعم على منعمها بتوحيده بالطاعة ﴿ومن الناس﴾ من لا يعتبر بهذه النعم فيستمر على التمسك بالاخلاق الرذيلة . ﴿من يجادل في الله بغير علم ولا هدى﴾ من رسول . ﴿ولا كتاب منير﴾ أنزله الله بل بالتقليد .

٢١ ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ قال تعالى ﴿أ﴾ يتبعونه ﴿ولو كان الشيطان يدعوهم﴾ أي في حال دعاء الشيطان اياهم ﴿الى عذاب السعير﴾ أي موجباته ، اي لا ينبغي لهم اتباع الآباء في شيء يدعوهم به الشيطان الى العذاب الشديد .

٢٢ ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾ أي يقبل على طاعته ويترك التقليد بالآباء ﴿وهو محسن﴾ موحد ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ بالطرف الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿والى الله عاقبة الامور﴾ مرجعها .

٢٣ ﴿ومن كفر فلا يحزنك﴾ يا محمد ﴿كفره﴾ لا تهتم بكفره ﴿الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور﴾ أي بما فيها كغيره فمجاز عليه .

٢٤ ﴿نمتعهم﴾ في الدنيا ﴿قليلا﴾ أيام حياتهم ﴿ثم نضطرهم﴾ في الآخرة ﴿الى عذاب غليظ﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصا .

٢٥ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم﴾ المتمسكين بتقاليد الآباء ﴿من خلق السموات والارض ليقولن الله﴾ خلقهن حذف منه نون الرفع لتوالي الامثال ، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قل الحمد لله﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أنهم مخطئون في ترك التوحيد .

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَالْبَحْرُ
يَمُدُّهُ مِنۢ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ
وَٰحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَٰطِلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ
دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم

٢٦ ﴿لله ما في السموات والارض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا فلا طاعة لمن خالف أمره فيهما على أحد . ﴿ان الله هو الغني﴾ عن خلقه وهم مفتقرون اليه ﴿الحميد﴾ المحمود في صنعه .

لما ذكر تعالى أنه سخر لنا ما في السموات وما في الارض وأنه أسبغ النعم علينا نبهنا على كثرة تلك العجائب من صنعه تعالى ، الدالة على قدرته ووحدانيته ، واستحقاقه لطاعة الخلق له فقال :

٢٧ ﴿ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر﴾ المحيط الواسع وفي قراءة بالنصب عطف على اسم ان ﴿يمده من بعده سبعة أبحر﴾ مدادا ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد ولو بأكثر من ذلك ، لان معلوماته تعالى غير متناهية . فكأنه تعالى يقول والله أعلم ، اعلموا ما علمكم الله ، واعملوا به فهو ينفعكم ، ولا تتجاوزوا بالعمل ما حدده لكم ، فان معلوماته كثيرة لا حصر لها ﴿ان الله عزيز﴾ في ملكه لا يحاط بشيء منه ﴿حكيم﴾ فيما دبره لكم .

٢٨ ﴿ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة﴾ خلقا وبعثا بكلمة كن تكونون ﴿ان الله سميع﴾ يسمع كل موجود ﴿بصير﴾ يبصر كل موجود لا يشغله شيء عن شيء .

٢٩ ﴿ألم تر﴾ أيها المخاطب رؤية عبرة . ﴿أن الله يولج﴾ يدخل ﴿الليل في النهار ويولج النهار﴾ يدخله ﴿في الليل﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في مجراه ﴿الى أجل مسمى﴾ هو يوم القيامة ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾ عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية .

ثم بين تعالى سبب ذكره لهذه الادلة فقال :

٣٠ ﴿ذلك﴾ المذكور من الادلة في الايات الكريمة لتعلموا ﴿بأن الله هو الحق﴾ الثابت الذي يستحق أن يعبد وحده ﴿وأن ما يدعون﴾ بالياء وقرىء بالتاء الفوقانية يعبدون ﴿من دونه الباطل﴾ الزائل ﴿وان الله هو العلي﴾ على خلقه بالقهر فمن عصاه لا يخرج عن ملكه ﴿الكبير﴾ العظيم .

ومن نعمه على الناس المزدوجة بالنقمة لمن أراد تعذيبه الدالة على انفراده بالتصرف قوله :

٣١ ﴿ألم تر أن الفلك﴾ السفن ﴿تجري في البحر بنعمت الله﴾ عليكم ﴿ليريكم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿من آياته إن في ذلك لآيات﴾ عبرا ﴿لكل صبار﴾ عن معاصي الله ﴿شكور﴾ لنعمه .

مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا
تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ (٣٤)

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ

٣٢ ﴿واذا غشيهم﴾ أي علا الكفار ﴿موج كالظلل﴾ كالجبال التي تظل من تحتها ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي الدعاء لا يدعون معه غيره لما رأوا من العذاب في ذلك وعرفوا أن لا يزيلها عنهم الا هو وحده ﴿فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد﴾ متوسط بين الكفر والايمان لانزجاره بعض الانزجار، أو اقتصاره على الكفر ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿الا كل ختار﴾ غدار كثير الختر بنقض عهد الله الذي عاهده عند الخوف لطلب النجاة وباضلال الناس أتباعه ليعيش على جهلهم ﴿كفور﴾ لنعم الله تعالى .

ثم نادى تعالى الخلق نداء الشفقة تنبيها لهم لما يهديهم الى ما ينجيهم وليجمع دروس السورة في ختامها فقال :

٣٣ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده﴾ فيه شيئا ﴿ولا مولود هو جاز عن والده شيئا﴾ فيه ﴿ان وعد الله حق﴾ بالبعث ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن الاسلام ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ في حكمه وامهاله ﴿الغرور﴾ الشيطان . اي لا يخدعنكم إبليس بوعوده .

٣٤ ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾ متى تقوم ﴿وينزل﴾ بالتشديد وقرى بالتخفيف ﴿الغيث﴾ المطر بوقت يعلمه ﴿ويعلم ما في الارحام﴾ أذكرا أم انثى وأبيض أو أسود وطويل أو قصير وغير ذلك من الصفات الذاتية والمعنوية ولا يعلم واحدا من هذه الثلاثة غير الله تعالى ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾ من خير أو شر ويعلمه الله ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ خص الارض أي المكان مع أنها لا تدري الزمان أيضاً لأن الانسان يتوهم احياناً انه سيموت في مكان اقامته وبلد مولده . بخلاف الزمان . ثم ان الخمسة كلها سواء في اختصاص الله بعلمها . قال تعالى ﴿ان الله عليم﴾ بكل شيء ﴿خبير﴾ بباطنه كظاهره للاشارة الى أن علم الله غير مختص بهذه الخمسة بل هو علم مطلقا بكل شيء روى البخاري عن ابن عمر حديث «مفاتح الغيب خمسة ان الله عند علم الساعة» الى آخر السورة .

﴿ سورة السجدة مكية ﴾

وهي ثلاثون آية وموضوعها الرئيسي طلب التصديق بالقرآن وأنه من الله والعمل بما فيه . كان النبي ﷺ يقرأ صبح يوم الجمعة بها « وبهل أتى على الانسان حين من الدهر » .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الم﴾ لله أعلم بمراده به .

٢ ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن مبتدأ ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ خبر أول ﴿من رب العالمين﴾ خبر ثان .

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ
وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ
سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ
خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ
مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم

٣ ﴿أم﴾ بل ﴿يقولون افتراه﴾ محمد ﴿بل﴾ ليس كما قالوا بل ﴿هو الحق من ربك لتنذر﴾ به ﴿قوما ما﴾ نافية ﴿أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ بانذارك ، وهم قريش أو العرب أو أهل الفترة أقوال : الذي نزل عليك القرآن هو.

٤ ﴿الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام﴾ أولها الاحد وآخرها الجمعة قال ابن عباس ان اليوم من الايام الستة التي خلق الله ، مقداره ألف سنة من سني الدنيا ﴿ثم استوى على العرش﴾ وهو في اللغة سرير الملك استواء يليق به فلا يخفى عليه شيء من أمر الكتاب المنزل وهو القرآن وغيره ﴿مالكم﴾ أيها الناس ﴿من دونه﴾ غيره ﴿من ولي﴾ اسم «ما» بزيادة من اي ناصر ﴿ولا شفيع﴾ يدفع عذابه عنكم اذا لم تؤمنوا بكتابه الذي أنزله اليكم ﴿أفلا تتذكرون﴾ هذا فتؤمنوا

٥ ﴿يدبر الامر من السماء الى الارض﴾ مدة الدنيا ﴿ثم يعرج﴾ يرجع الامر والتدبير ﴿اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ في الدنيا وفي سورة سأل : «خمسين ألف سنة» وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة الى الكفار وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث .

٦ ﴿ذلك﴾ الخالق المدبر الذي هو منه التنزيل ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿العزيز﴾ المنيع في ملكه ﴿الرحيم﴾ بأهل طاعته .

٧ ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ بفتح اللام فعلا ماضيا صفة ، وقرىء بسكونها بدل اشتمال اي خلق كل شيء خلقاً حسناً لا نقص فيه ولا خلل ﴿وبدأ خلق الانسان﴾ آدم ﴿من طين﴾

٨ ﴿ثم جعل نسله﴾ ذريته ﴿من سلالة﴾ علقة ﴿من ماء مهين﴾ ضعيف هي النطفة .

٩ ﴿ثم سواه﴾ أي خلق آدم ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ أي جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا ﴿وجعل لكم السمع﴾ يا ذرية آدم والسمع بمعنى الاسماع ﴿والابصار والافئدة﴾ القلوب ﴿قليلا ما تشكرون﴾ ما زائدة مؤكدة للقلة ، والمعنى الذي جاء التنزيل منه هو الذي فعل لكم هذه النعم كلها ومع ذلك فشكركم له قليل ولا تلتفتون اليها لتتفكروا فيها حتى تعرفوا أن ما أنزله اليكم من كتاب انما هو خير لكم ، زيادة على ما تقدم لكم من نعم خلقكم على ما بينه تعالى لكم .

ولما بين تعالى لهم ما تقدم من صفاته الرحمانية لانزال القرآن لهم فبدل أن يقبلوه ويؤمنوا به كفروا به .

بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ
ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ
ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا
كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟
سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ۩ تَتَجَافَىٰ
جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن
قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا

١٠ ﴿وقالوا﴾ لادخال الشبهة فيما جاء به القرآن ﴿أإذا ضللنا في الارض﴾ غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ استفهام انكار بتحقيق الهمزتين ، وفي قراءة بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين قال تعالى ﴿بل هم بلقاء ربهم﴾ بالبعث ﴿كافرون﴾ أي لا شبهة يريدون أدخالها في الكتاب المنزل بذلك وانما أرادوا انكار البعث حقيقة ولقاء ربهم به بعد الموت .

ثم بين تعالى لهم كيفية الموت الذي بنوا عليه عدم البعث لكي يتسنى لهم فهم الاحياء بعده فقال :

١١ ﴿قل﴾ لهم ﴿يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ أي يقبض أرواحكم أي لا تموتون بأنفسكم أو بالاسباب الظاهرة كما تظنون حتى يقبض أرواحكم ملك من الملائكة وهو عزرائيل ، وقد وكله الله على تلك الارواح ليقبضها عند انقضاء آجالها ﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ أحياء . سلمتم أنكم لا تعرفون كيف تموتون فسلموا لمن أماتكم اذا قال انه يحييكم مرة ثانية فترجعون اليه ليحاربكم بأعمالكم التي طالبكم بها في الكتاب الذي أنزله اليكم

ثم ذكر تعالى ندامة من لم يسلم بالعمل بما في الكتاب فقال :

١٢ ﴿ولو ترى اذ﴾ أيها المخاطب ﴿المجرمون﴾ الكافرون ﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ مطأطئوها حياء وندامة يقولون ﴿ربنا أبصرنا﴾ ما أنكرنا من البعث وقيل أبصر مزيد الثلاثي بالهمزة ليتعدى إلى مفعولين أى جعلنا غيرنا يرى ما أصابنا من الندم ﴿وسمعنا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فارجعنا﴾ الى الدنيا ﴿نعمل صالحا﴾ مما أمرتنا في الكتاب فيها ﴿انا موقنون﴾ الان . فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو رأيت أمرا فظيعا . قال تعالى : لتسلية الرسول .

١٣ ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ فتهتدي بالايمان والطاعة باختيار منها ﴿ولكن حق القول مني﴾ وهو ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ الجن ﴿والناس أجمعين﴾ وتقول لهم الخزنة اذا دخلوها .

١٤ ﴿فذوقوا﴾ العذاب ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي بترككم الايمان به ﴿انا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ الدائم ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والتكذيب بالكتاب أو بالرسول .

لما بين تعالى حال المنكرين الذين لا يؤمنون بالقرآن لعدم ايمانهم بالبعث وما سيلقونه من جزائهم . ذكر فيما يأتي النوع الذي يؤمن به من الناس وما أعده لهم بسبب ايمانهم به فقال :

١٥ ﴿انما يؤمن بآياتنا﴾ القرآن ﴿الذين اذا ذكروا﴾ وعظوا ﴿بها خروا سجدا وسبحوا﴾ ملتبسين ﴿بحمد ربهم﴾ أي قالوا : سبحان الله وبحمده ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن الايمان بها والطاعة لما فيها من الاحكام . هنا موضع سجود التلاوة . فيه تعريض للمشركين .

١٦ ﴿تتجافى جنوبهم﴾ ترتفع ﴿عن المضاجع﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم تهجدا ، وقيل من صلى العشاءين والصبح مع الجماعة فقد ارتفع جنبه من المضجع ﴿يدعون ربهم خوفا﴾ من عقابه ﴿وطمعا﴾ في رحمته فالايمان الصحيح نتيجة الخوف من العقاب ، والطمع في الرحمة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي يؤدون حقوق الله المالية مثلما يؤدون البدنية .

١٧ ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي﴾ بفتح الياء خبيء ﴿لهم من قرة أعين﴾ ما تقر به أعينهم وفي قراءة بسكون الياء مضارع أخفي ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ من الايمان بالكتاب والعمل بما فيه .

ثم قسم تعالى الناس قسمين فقال :

كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟
مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ
ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن
فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ

١٨ ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ بالكتاب والعمل به ﴿كمن كان فاسقاً﴾ خارجاً عن الطاعة والعمل بما أنزل اليه من العمل بما أنزل اليه من الكتاب ﴿لا يستوون﴾ عند الله في الدرجة .

١٩ ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا﴾ هو ما يعد للضيف من القرى بكسر القاف ﴿بما كانوا يعملون﴾ .

٢٠ ﴿وأما الذين فسقوا﴾ بالكفر والتكذيب بالكتاب ﴿فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي﴾ صفة لعذاب ﴿كنتم به تكذبون﴾ .

٢١ ﴿ولنذيقنهم من العذاب الادنى﴾ عذاب الدنيا بالقتل والاسر والجدب سنين والامراض والفتن ﴿دون﴾ قبل ﴿العذاب الاكبر﴾ أي عذاب الآخرة ﴿لعلهم﴾ أي من بقي منهم ﴿يرجعون﴾ الى الايمان .

٢٢ ﴿ومن﴾ أي لا أحد ﴿أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ القرآن ﴿ثم اعرض عنها﴾ لم يعمل باحكامها ﴿انا من المجرمين﴾ المكذبين به والرسول لأنه لا جرم أشد من ذلك ﴿منتقمون﴾ معذبون لهم لاستحقاقهم للعذاب والانتقام .

ثم بين تعالى أن القرآن ليس أول كتاب منزل من الله وقد أنزلت كتب جاءت بها الرسل من قبله فقال :

٢٣ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة خصها بالذكر لاتفاق اليهود والنصارى على الايمان بها وبالرسول الذي أنزلت اليه وهو موسى عليه السلام ﴿فلا تكن في مرية﴾ شك ﴿من لقائه﴾ كتاب موسى وقيل موسى وقد التقيا ليلة الاسراء ﴿وجعلناه﴾ أي موسى أو الكتاب ﴿هدى﴾ هاديا ﴿لبني اسرائيل﴾ كما أعطيناك هذا القرآن وجعلناك أو جعلناه هدى لامتك المؤمنين .

٢٤ ﴿وجعلنا منهم﴾ بني اسرائيل ﴿أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية ياء أي قادة ﴿يهدون﴾ الناس ﴿بأمرنا لما صبروا﴾ على اتباع كتابهم وعلى دينهم وعلى البلاء من عدوهم بفتح لام «لما» وتشديد الميم أي حين صبروا على ذلك وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم أي لسبب ما المصدرية أي لصبرهم . ﴿وكانوا بآياتنا﴾ التوراة ﴿يوقنون﴾ أي يؤمنون ويعملون بما فيها .

لما بين تعالى أن القرآن ليس ببدع ، وكذلك الرسول ﷺ ليس بأول رسول من الله ، فلقد جاء موسى بكتاب مثل كتابه سلاه وهدد أعداءه فقال :

٢٥ ﴿ان ربك﴾ يا محمد ﴿هو يفصل﴾ يحكم ﴿بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من الايمان بالكتاب وعدم الايمان به .

٢٦ ﴿أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم﴾ أي يتبين للكفار اهلاكنا كثيرا ﴿من القرون﴾ الامم بكفرهم ﴿يمشون﴾ حال من ضمير لهم ﴿في مساكنهم﴾ في أسفارهم الى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿ان في ذلك لآيات﴾ دلالات على صدق الرسل وما جاؤا به ﴿أفلا يسمعون﴾ سماع تدبر واتعاظ .

٢٧ ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ أى أفلا يلفتون. نظر غيرهم إلى هذا فيعلموا أنا نقدر على إعادتهم بالبعث فيؤمنوا بالكتاب ويعملوا به للقاء البعث وحسابه إن كانوا هم صدهم الحسد عن الإيمان به والفعل مزيد الثلاثى المتعدى لمفعولين

٢٨ ﴿ويقولون﴾ للمؤمنين ﴿متى هذا الفتح﴾ الحكم والفصل بيننا وبينكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ .

٢٩ ﴿قل يوم الفتح﴾ الفصل والحساب اذا جاء تؤمنون به عندما ترونه. ولكن ﴿لا ينفع الذين كفروا ايمانهم﴾ فيه ﴿ولا هم ينظرون﴾ ولا يمهلون بالاعادة الى الدنيا لتوبة أو معذرة .

٣٠ ﴿فأعرض عنهم﴾ يا محمد كما أعرضوا عن القرآن ﴿وانتظر﴾ انزال العذاب بهم ﴿انهم منتظرون﴾ بك حادث قتل أو موت فيستريحون منك وهذا قبل الامر بقتالهم وهو محكم في كل مجتمع اسلامي قبل أن يتقوى لمواجهة عدوه . والله أعلم .

﴿ سورة الاحزاب مدنية ﴾

هي ثلاث وسبعون آية ، وموضوعها الرئيسي ، قمع عادات الجاهلية وازالتها عن المجتمع الاسلامي ، وكانت فيها آية الرجم «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» . ذكره أبو بكر بن الانباري عن أبي بن كعب فنسخت تلاوتها وبقي حكمها .

أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ
هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ
لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

(٣٣) سُورَةُ ٱلْأَحْزَابِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ
فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ
أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم
بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾
ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا
آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا ايها النبي اتق الله﴾ دم على تقـواه ، ولا تخف شيئا غير الله . مهما كلفتك الظروف ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿ان الله كان عليما﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حكيما﴾ فيما يخلقه .

٢ ﴿واتبع ما يوحى اليك من ربك﴾ أي القرآن ﴿ان الله كان بما تعملون خبيرا﴾ وفي قراءة بالتحتانية .

٣ ﴿وتوكل على الله﴾ في أمرك ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ حافظا لك . وأمته تبع له في ذلك كله مبدأ السورة يشعر بثقل ما فيها كما سيأتي بيانه .

ثم بدأ تعالى بذكر العادات الجاهلية ومنعها . من تلك العادات زعم بعض الناس أن له قلبين يعقل بكل منهما ، فقال :

٤ ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ ردا على من قال ذلك : أن له قلبين يعقل بكل منهما لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني ومنبع القوى بأسرها فيمتنع تعدده لانه يؤدي الى التناقض . وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لها .

ومن تلك العادات الظهار بأن يقول واحد منهم لزوجته أنت علي كظهر أمي فتحرم عليه ولم ينفسخ نكاحه بها فتبقى معه معلقة فرد الله ذلك وقال ﴿وما جعل أزواجكم اللائي﴾ بهمزة وياء وقرىء بلا ياء ﴿تظاهرون﴾ بألف قبل الهاء من ظاهر الرباعي وقرىء بدونها من تتظهر والتاء الثانية في الاصل مدغمة في الظاء ﴿منهن﴾ بقول الواحد مثلا لزوجته أنت علي كظهر أمي ﴿أمهاتكم﴾ أي كالامهات في تحريمها بذلك المعد في الجاهلية تحريماً فأوجب الله به الكفارة بشرطه كما سيأتي في سورة المجادلة .

ومنها أيضا التبني بأن يدعي ابن غيره لنفسه حقيقة فرد الله ذلك بقوله ﴿وما جعل أدعياءكم﴾ جمع دعي وهو من يدعى لغير أبيه ﴿أبناءكم﴾ حقيقة ﴿ذلكم قولكم بافواهكم﴾ ثم عقب عن هذه العادات التي منعها فقال ﴿والله يقول الحق﴾ في ذلك ﴿وهو يهدي السبيل﴾ سبيل الحق .

ثم شرح تعـالى أحكـام هذه العادات فبدأ بالدعيين لغير آبائهم فقال

٥ ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط﴾ أعدل ﴿عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم﴾ بنو عمكم بأن تقولوا أخونا فلان أو ابن عمي فلان ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ في ذلك ﴿ولكن﴾ الجناح في ﴿ما تعمدت قلوبكم﴾ فيه وهو بعد النهي ﴿وكان الله غفورا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي أو وقع بخطأ بعده ﴿رحيما﴾ بكم في ذلك .

ومنها أيضاً التوارث بالايمان وقد حصل ذلك في صدر الاسلام فتوارثوا بالهجرة أو بالتآخي فمنع الله ذلك وقال .

تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ
مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ
وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا
مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ
وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ
ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت

٦ ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فيما دعاهم اليه ودعتهم أنفسهم الى خلافه ففي الحديث «لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» . ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ في حرمة نكاحهن عليهم تحريما مؤبدا الا في غير ذلك ، من النظر اليهن ، والخلوة بهن ، فانه حرام كما هو في سائر الاجنبيات ، ولا يقال لبناته أخوات للمؤمنين . وهذا من النظام وتعظيم من عظم الله ﴿وأولوا الارحام﴾ ذوو القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في الارث ﴿في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾ أي الارث بالايمان والهجرة الذي كان أول الاسلام فنسخ ، وهذه الآية تأكيد لآية الانفال المتقدمة نزولا وهو قوله «وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» . ثم استثنى المعروف فقال : ﴿الا﴾ لكن ﴿أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا﴾ بوصية بما تحبون من ثلث أموالكم فجائز ﴿كان ذلك﴾ أي نسخ الارث بالايمان والهجرة بارث ذوي الأرحام ﴿في الكتاب مسطورا﴾ مكتوبا وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ .

ثم بين تعالى أن وضع الاحكام أمر بيد الله في جميع الشرائع السماوية ومثّل هنا بالخمسة لشرفهم فقال :

٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل ﴿ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام وتقديم نوح للتاريخ ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ شديدا بالوفاء بما حملوه وهو الايمان بالله تعالى . ثم أخذنا الميثاق .

٨ ﴿ليسأل﴾ الله ﴿الصادقين عن صدقهم﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتا للكافرين بهم ﴿وأعد﴾ تعالى ﴿للكافرين﴾ بهم ﴿عذابا أليما﴾ مؤلما هو عطف على أخذنا .

ولما بين تعالى أن وضع الاحكام انما هو بيده حث المؤمنين على اتباعها والطاعة لرسوله بتذكيرهم بما أنعم به عليهم من الحفظ لما أراد الكفار استئصالهم في المدينة فقال :

٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالحفظ عند ضعفكم وقلتكم مع قوة الكفار وكثرتهم ﴿اذ جاءتكم جنود﴾ من الكفار متحزبون وكانوا اثني عشر ألفا من قريش ومن غطفان ومن يهود قريظة والنضير وكان المسلمون في هذه الواقعة ثلاثة الآف ، أيام حفر الخندق ﴿فأرسلنا عليهم ريحا﴾ وهي ريح الصبا التي تهب من الشرق وكانت باردة شديدة جدا حتى قلعت خيامهم ورمتهم بالحجارة والحصى وسفت التراب في وجوههم ومع هذا لم تتجاوزهم ﴿وجنودا لم تروها﴾ معطوف على «ريحا» والجنود من الملائكة وكانوا ألفا ولم يقاتلوا وانما القوا الرعب في قلوب الاحزاب ﴿وكان الله بما تعملون﴾ بالتاء من حفر الخندق و بالياء من تحزب المشركين ﴿بصيرا﴾ .

١٠ ﴿اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ من أعلى الوادي واسفله من المشرق والمغرب ﴿واذ زاغت الابصار﴾ مالت عن كل شيء الى عدوها من كل جانب ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدة الخوف ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ باثبات الف الاطلاق وقفا لا وصلا ، وفي قراءة باثباتها وصلا ووقفا ، وفي أخرى بحذفها فيهما ، وكذلك في قوله «أطعنا الرسولا» وقوله «فأضلونا السبيلا» أي تظنون بالله الظنون المختلفة بالنصر واليأس .

١١ ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وزلزلوا﴾ حركوا ﴿زلزالا شديدا﴾ من شدة الفزع .

طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا
هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم
مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا
يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ
الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ
الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ
مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ

ولما اشتد الخوف تميز المنافقون الى حالهم قال تعالى :

١٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ بالنصر ﴿الا غرورا﴾ باطلا يروى أن معتبا بن بشير قال : يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا وخوفا ما هذا الا وعد غرور

١٣ ﴿واذ قالت طائفة منهم﴾ أي المنافقين ﴿يا أهل يثرب﴾ هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل . سميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها في قديم الزمان ، وقيل يثرب اسم لنفس المدينة ، وقد نهى النبي ﷺ أن تسمى بهذا الاسم لما فيه من التثريب وهو التقريع والتوبيخ ، فذكروها بهذا الاسم مخالفة للنبي ﷺ وعدلوا عنه الى الاسم الذي كانت تدعى به قديما مع نهيه عنه واحتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذي هو اللوم والتعنيف ﴿لا مقام لكم﴾ بضم الميم وقرىء بفتحها أي لا اقامة ولا مكانة ﴿فارجعوا﴾ الى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ الى سلع جبل خارج المدينة للقتال ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ في الرجوع ﴿يقولون ان بيوتنا عورة﴾ غير حصينة يخشى عليها قال تعالى ﴿وما هي بعورة ان﴾ ما ﴿يريدون الا فرارا﴾ من القتال .

١٤ ﴿ولو دخلت﴾ أي المدينة ﴿عليهم من أقطارها﴾ نواحيها ﴿ثم سئلوا﴾ أي سألهم الداخلون ﴿الفتنة﴾ أي الردة ومقاتلة المسلمين ﴿لأتوها﴾ بالقصر وقرىء بالمد ، أي اعطوها وفعلوها ﴿وما تلبثوا بها﴾ أي باجتنابها أي لأسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم ﴿الا يسيرا﴾ أي زمنا قليلا ، ثم ان من اتى الفتنة وادخل نفسه فيها تهلكه ، ولا ينتظرون الا قليلا .

١٥ ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ أي حلفوا من قبل غزوة الخندق ﴿لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا﴾ عن الوفاء به .

١٦ ﴿قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا﴾ ان فررتم ﴿لا تمتعون﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿الا قليلا﴾ بقية آجالكم .

١٧ ﴿قل من ذا الذي يعصمكم﴾ يجيركم ﴿من الله ان أراد﴾ الله ﴿بكم سوءا﴾ هلاكا وهزيمة ﴿أو﴾ يصيبكم بسوء ان ﴿أراد﴾ الله ﴿بكم رحمة﴾ خيرا ﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ أي غيره ﴿وليا﴾ ينفعهم ﴿ولا نصيرا﴾ يدفع الضر عنهم .

١٨ ﴿قد يعلم الله المعوقين﴾ المثبطين ﴿منكم والقائلين لاخوانهم هلم﴾ تعالوا ﴿الينا ولا يأتون البأس﴾ القتال ﴿الا قليلا﴾ رياء وسمعة .

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً
عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ
يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا
وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

١٩ ﴿أشحة عليكم﴾ بالمعاونة جمع شحيح وهو البخيل منصوب على الذم او حالا وقرأ ابن أبي عبلة أشحة بالرفع على أنه خبر لمبتدأ مضمر، أي هم أشحة عليكم بالمعونة ﴿فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي﴾ كنظر أو كدوران الذي ﴿يغشى عليه من الموت﴾ أي سكراته ﴿فاذا ذهب الخوف﴾ وحيزت الغنائم ﴿سلقوكم﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿بألسنة حداد أشحة على الخير﴾ أي الغنيمة يطلبونها ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ حقيقة ﴿فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك﴾ الاحباط ﴿على الله يسيرا﴾ بارادته.

٢٠ ﴿يحسبون الاحزاب﴾ من الكفار ﴿لم يذهبوا﴾ الى مكة لشدة جبنهم وخوفهم منهم ﴿وان يأت الاحزاب﴾ كرة اخرى ﴿يودوا﴾ يتمنوا ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي كائنون في البادية ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ أخباركم مع الكفار ﴿ولو كانوا فيكم﴾ هذه الكرة ﴿ما قاتلوا الا قليلا﴾ رياء وخوفا من التعيير.

هذه حال المنافقين في غزوة الخندق ثم عقب تعالى بالارشادات القيمة للمؤمنين والثناء لهم بما قاموا به في هذه الغزوة فقال :

٢١ ﴿لقد كان لكم﴾ أيها المؤمنون ﴿في رسول الله أسوة﴾ بضم الهمزة وقرىء بكسرها ﴿حسنة﴾ اقتداء به في القتال والثبات في موطنه كما بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه الى الخندق وايضاً يوم أحد فقد شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يكن الا صابرا محتسبا وشاكرا راضيا ﴿لمن﴾ بدل من لكم ﴿كان يرجو الله﴾ ثوابه ﴿و﴾ يخاف ﴿اليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ بخلاف من ليس كذلك.

٢٢ ﴿ولما رأى المؤمنون الاحزاب﴾ من الكفار ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وصدق الله ورسوله﴾ في الوعد ﴿وما زادهم﴾ ذلك ﴿الا ايمانا﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿وتسليما﴾ لامره.

تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ
وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾
وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ
تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ
قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ
تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ
مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ

٢٣ ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ مات وقتل في سبيل الله ﴿ومنهم من ينتظر﴾ ذلك ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ في العهد وهم بخلاف حال المنافقين .

ثم تقدم السياق فقال : وقع جميع ذلك .

٢٤ ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا﴾ لمن تاب ﴿رحيما﴾ به .

٢٥ ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ الاحزاب ﴿بغيظهم لم ينالوا خيرا﴾ مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة ﴿وكان الله قويا﴾ على ايجاد ما يريد ﴿عزيزا﴾ غالبا على أمره .

٢٦ ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ الاحزاب ﴿من أهل الكتاب﴾ أي اليهود من بني قريظة ﴿من صياصيهم﴾ حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف ﴿فريقا تقتلون﴾ منهم وهم المقاتلة ﴿وتأسرون فريقا﴾ منهم أي الذراري . وذلك أن بني قريظة نقضوا العهد مع الرسول الله ﷺ وكانوا مع قريش في الاحزاب فلما انهزم الاحزاب انصرف النبي والمؤمنون الى المدينة ووضعوا السلاح في صباح تلك الليلة فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من استبرق راكبا على بغلة بيضاء عليها قطيفة من ديباج ، ورسول الله عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه الايمن فقال : يا رسول الله قد وضعت السلاح ؟ قال : نعم ، قال جبريل : عفا الله عنك وما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الان الا من طلب القوم وقال ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة إذهب اليهم فاني قد قطعت أوتارهم ودققت أبوابهم وتركتهم في زلزال وألقيت الرعب في قلوبهم .

فأمر رسول الله ﷺ مناديا ينادي أن من كان مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فقال رسول الله ﷺ : أتنزلون على حكمي ؟ فأبوا فقال : أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس ؟ فرضوا به فحكمه فيهم فقال : سعد اني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء . فقال رسول الله ﷺ :«لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سموات» فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج الى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث اليهم فأتي بهم اليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير وكعب بن أسد رأس القوم أي بني قريظة وكانوا ستمائة او سبعمائة فأمر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الاحزاب وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر اهـ . ملخصا من الخازن قال الله تعالى :

٢٧ ﴿وأورثكم﴾ أيها المؤمنون ﴿أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها﴾ بعد وهي خيبر أخذت بعد قريظة وتتابعت الفتوح فأعطاهم الله فارس والروم وغيرها من الاراضي التي ظهر أو يظهر عليها المسلمون الى يوم القيامة . والماضي لتحقق وقوعه ولا ينقطع الوعد الا بانقطاع المسلمين عن التمسك بالاسلام كما كانت اوائلهم عليه ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ ومنه تغليب المسلمين على من عداهم ، اذا لم يبدلوا دينهم تبديلا .

ثم رجعنا الى موضوع السورة من ازالة العادات الجاهلية وتبديلها بأخلاق الاسلام الحميدة فبيت النبي ﷺ أول بيوت الاسلام

بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

وغيره تابع له فمن هذا جاء التخيير لنسائه عليه الصلاة والسلام بالطلاق والذهاب أو البقاء واتباع احكام الله في كل شيء. قال الله تعالى :

٢٨ ﴿يا أيها النبي قل لازواجك﴾ وهن تسع ﴿ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ على نحو العادات الجاهلية ﴿فتعالين أمتعكن﴾ أي متعة الطلاق ﴿وأسرحكن سراحا جميلا﴾ أطلقكن من غير ضرار.

٢٩ ﴿وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾ أي الجنة ﴿فان الله أعد للمحسنات منكن﴾ بارادة الآخرة ﴿أجرا عظيما﴾ فاخترن الله ورسوله أي أحكامه على العادات الجاهلية والاخرة على الدنيا.

ثم بين لهن معنى اختيار الله ورسوله والدار الآخرة فيما يأتي فقال :

٣٠ ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ بكسر الياء وفتحها أي هي بينة أو بينت ﴿يضاعف﴾ بالالف والضاد على وزن يفاعل وفي قراءة يضعف بالتشديد وفي أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب ﴿لها العذاب ضعفين﴾ ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾.

٣١ ﴿ومن يقنت﴾ يطع ﴿منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين﴾ أي مثلي ثواب غيرهن من النساء وفي قراءة بالتحتانية في «تعمل» و «نؤتها» ﴿وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ في الجنة زيادة.

٣٢ ﴿يا نساء النبي لستن كأحد﴾ كجماعة ﴿من النساء ان اتقيتن﴾ الله فانكن أعظم من غيركن ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ للرجال ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ نفاق أو فجور ﴿وقلن قولا معروفا﴾ أي حسنا بعيدا عن الريبة ومعنى معروفا أي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه من غير خضوع فيه فان المرأة يطلب منها الغلظة في المقال وتخشين الصوت اذا خاطبت الاجانب لقطع الطمع فيها.

٣٣ ﴿وقرن﴾ بفتح القاف وكسرها ﴿في بيوتكن﴾ من القرار وأصله أقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء الى القاف وحذفت مع همزة الوصل ﴿ولا تبرجن﴾ بترك أحدى التاءين من أصله ﴿تبرج الجاهلية الاولى﴾ أي ما قبل الاسلام من اظهار النساء محاسنهن للرجال قال ابن عطية : والذي يظهر أنه أشار للجاهلية التي أدركنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفار لانهم كانوا لا غيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجبة

وجعلها أولى بالنسبة الى ما كن عليه. وليس المعنى أن ثمة جاهلية أخرى وقد وقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام، ا – هـ. جمل. قلت هذا أحسن عندي وأوفق لموضوع السورة الذي هو ازالة العادات الجاهلية أي الاولى وأما الجاهلية الاخرى فهي ما يفعله فسقة النساء في الاسلام وقد بين حكمها في قوله تعالى: «ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها» يعني الكفين والوجه بالنسبة للاجانب أو في الصلاة وقد تقدم في سورة النور. ثم أمرهن باقامة الدين فقال : ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله﴾ فيما يأمر به وينهى عنه ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ الاثم والعادات الجاهلية فيقتدي بكم الناس وترتفع بذلك درجاتكم يا ﴿أهل البيت﴾ الشريف بيت رسول الله وزوجات خير الخلق ومرشدهم ﴿ويطهركم﴾ من كل ما ينجس المروءة الانسانية ﴿تطهيرا﴾.

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ

٣٤ ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ الاحكام. فأنتن أحق بالتمسك بها قبل سائر الناس بحكم السابقية التي فزتن بها ﴿ان الله كان لطيفا﴾ بأوليائه ﴿خبيرا﴾ بجميع خلقه.

ثم بين تعالى أن هذه الاحكام التي ندب أهل بيت النبي ﷺ اليها ليست قاصرة في حقهن فقط بل حكمها عام على جميع الناس الذكور والاناث في كل مكان وزمان فقال :

٣٥ ﴿ان المسلمين والمسلمات﴾ فالمسلم هو من انقاد ظاهره لامر الله ﴿والمومنين والمؤمنات﴾ والمؤمن من انقاد باطنه لامر الله وصدق بكل ما جاء به الرسول ﷺ ﴿والقانتين والقانتات﴾ أي المطيعات القنوت التواضع والادب مع الله. ﴿والصادقين والصادقات﴾ الصدق في الدين هو عدم الغلو فيه واتباع المأمورات واتباه عن المنهيات بقدر الطاقة ﴿والصابرين والصابرات﴾ على الطاعات ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ المتواضعين الذين يحافظون على الصغير والكبير من أمر الله. ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ باموالهم يخرجون حقوق الله منها الواجبة والمندوبة بقدر الحال ﴿والصائمين والصائمات﴾ الصوم داخل في الاسلام كغيره من الصفات المذكورة ولكن ذكرها لاهميتها وخفاء الخيانة فيها عن المخلوقات وكذلك قوله ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ عن الحرام ذكره لصعوبة ذلك على النفس والشهوة من حظوظها ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ في جميع معاملاتهم الدنيوية والاخروية ، فلا يعملون عملا الا بعدما علموا حكم الله فيه . قال معاذ بن جبل : ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله . وقال عمر : أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه . وذكر الله ثلاثة أنواع ذكر بالقلب ومرجعه التعظيم والاجلال، وذكر بالجوارح ومرجعه الامتثال للامر والنهي . وذكر باللسان فالاول أعلى وعنه ينشأ الاخران ، والثاني يليه لانه قيام بحق المعبود والقيام بحق العبودية هو المقصود . والثالث مقدمة لهما ونتيجة عنهما . قاله الشيخ الزروق شارح الرسالة ﴿أعد الله لهم مغفرة﴾ للمعاصي ﴿وأجرا عظيما﴾ على الطاعات .

لما بين تعالى أحكام تطهير الامة الاسلامية من رجس الجاهلية وأن الحكم يبتدىء ببيت النبي ﷺ ليسهل اقتداء الناس بذلك ذكر أن حكم الله وقضاءه عزم لا تجوز مخالفته فقال :

٣٦ ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون﴾ بالياء وقرىء بالتاء الفوقانية ﴿لهم الخيرة﴾ أي الاختيار ﴿من أمرهم﴾ خلاف أمر الله ورسوله لانه اخلال بحق العبودية ، وفي الحديث «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ بينا لانه ترك طريق الهدى ورجع الى الاخلاق الجاهلية .

كما كان بيت النبي ﷺ موضع التجربة وذاته الشريفة من باب أولى فهو أول المسلمين تقدم في أول هذه السورة أن الله تعالى منع التبني بقوله «وما جعل أدعياءكم» فهو أمر مقبول في كل مجتمع فلا يكفي في منعه الكلام الا اذا انضم اليه فعل . فالدرس العملي أشد تأثيرا من الشفهي اتفق أن النبي ﷺ تبنى زيدا بن حارثة في الجاهلية وخطب له بنت عمته زينب بنت جحش بنت أميمة بنت عبد المطلب فكرهته هي وأخوها عبدالله ابن جحش ولكنهما رضيا بالزواج بحكم الاسلام وارضاء النبي ﷺ كما اقتضت الآية المتقدمة «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهما الخيرة من أمرهم» الخ . فلما ابطل الله التبني اخبر النبي ﷺ بأن زيدا سيطلق زينب فاذا

اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ
اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾
مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾
تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

طلقها زيد فانه يزوجها للنبيِّ ليبين بذلك شريعته المحكمة كما حكى تعالى ذلك بقوله :

٣٧ ﴿واذ﴾ منصوب باذكر ﴿تقول للذي أنعم الله عليه﴾ بالاسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ بالاعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ في أمر طلاقها ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ مظهره وهو أمرك بتزوجها اذا طلقها زيد ليبطل به العادات الجاهلية ﴿وتخشى الناس﴾ أن يقولوا تزوج زوجة ابنه ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ في كل شيء . وتزوجها انما هو من وظيفة التبليغ للناس ما أمرك الله بابلاغه . فطلقها زيد وانقضت عدتها فزوجه الله اياها كما حكى في قوله تعالى ﴿فلما قضى زيد منها وطرا﴾ حاجة ﴿زوجناكها﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير تجديد عقد ولا تقرير صداق ولا شيء مما يكون شرطا في حقوقنا ومشروعا لنا وهذا من خصوصياته ﷺ . وكان تزوجه ﷺ بزينب سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث . وهي أول من مات بعده من زوجاته الشريفات ماتت بعده بعشر سنين عن ثلاث وخمسين سنة فتزوجها وهي بنت ثلاث وأربعين سنة وله ست أو تسع وخمسون سنة . أولم عليها بشاة وأطعم المسلمين خبزاولحماً حتى تركوه رواه الشيخان عن أنس . أمرك الله بهذا الزواج ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا﴾ لزوال حكم الجاهلية في التبني وبقاء حكم الله وكنت تكره ذلك ﴿وكان أمر الله﴾ مقضيه ﴿مفعولا﴾ أي موجودا في الخارج لا محالة .

٣٨ ﴿ما كان على النبي من حرج﴾ ضيق ﴿فيما فرض﴾ أوجب ﴿الله له﴾ عليه من زواج زينب ليبطل به العادات الجاهلية ﴿سنة الله﴾ كسنة الله فنصب بنزع الخافض ﴿في الذين خلوا من قبل﴾ من الانبياء في ايجاب أشياء عليهم ليكونوا قدوة وأسوة لاممهم ﴿وكان أمر الله﴾ فعله ﴿قدرا مقدورا﴾ مقضيا فلا مخرج عنه .

٣٩ ﴿الذين﴾ نعت للذين قبله ﴿يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما يتعلق بالتبليغ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ حافظا لهم فلا يصل اليهم الناس بالضرر والاذى ولا تؤثر فيهم .

٤٠ ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ فليس أبا زيد أي والده من النسب وقد أبطل الله التبني ﴿ولكن﴾ كان ﴿رسول الله وخاتم النبيين﴾ فلا يكون له ابن رجل بعده نبيا . خاتم بفتح التاء أي كآلة الختم أي به ختموا وقرىء بالكسر أي آخرهم اذ لو عاش له ابن لجعله نبيا فيكرمه به كما أكرم ابراهيم باسماعيل واسحاق ويعقوب والنبيين من بعده والنبي ﷺ أكرم على الله من ابراهيم عليه السلام ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ منه بأن لا نبي بعده فهذه آخر رسالة فلا بد أن يكون بناؤه على أصلح أسس باقية ببقاء الزمان وفي كل مكان واذا نزل السيد المسيح فانه يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ . وما يحكم به عيسى مما يخالف شريعتنا اليوم من وضع الجزية وعدم قبوله غير الاسلام ونحوه مما جاء في الأحاديث إن صحت فهو شرع نبينا عند نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام .

ثم ان ترك العادات القديمة صعب على النفوس يكاد يكون غير ممكن الا بالايمان القوي ورد الامور الى الله وتوجيه شعور القلوب اليه تعالى لذلك خاطب تعالى المؤمنين بقوله :

٤١ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ قال ابن عباس : لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده الا جعل لها حدا

بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ
ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ
ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا
لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن
دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

٥٥٧

معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الاحوال فقال: «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم» وقال: «اذكروا الله ذكرا كثيرا» أي بالليل والنهار وفي البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية.

٤٢ ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أول النهار وآخره.

٤٣ ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ يرحمكم ويعتني بما فيه صلاحكم ﴿وملائكته﴾ يستغفرون لكم ويدعون لكم ﴿ليخرجكم﴾ بما يفرضه من الاحكام عليكم ﴿من الظلمات﴾ أي العادات الجاهلية الذميمة ﴿الى النور﴾ النظام الاسلامي المستقيم اللائق بالانسان ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ في الدنيا والآخرة.

٤٤ ﴿تحيتهم﴾ منه تعالى ﴿يوم يلقونه سلام﴾ بلسان الملائكة ﴿وأعد لهم أجرا كريما﴾ هو الجنة باتباعهم أوامره واجتنابهم نواهيه.

ثم قوى تعالى نبيه على تبليغ الرسالة وحمله تبليغها الى الناس فقال:

٤٥ ﴿يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا﴾ على من أرسلت اليهم ﴿ومبشرا﴾ من صدقك بالجنة ﴿ونذيرا﴾ منذرا من كذبك بالنار.

٤٦ ﴿وداعيا الى الله﴾ الى طاعته ﴿باذنه﴾ بأمره ﴿وسراجا منيرا﴾ أي مثله في الاهتداء به.

٤٧ ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ من الجنة.

٤٨ ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿ودع﴾ اترك ﴿أذاهم﴾ لا تجازهم عليه ولا يؤثر عليك في عملك الذى هو لتبليغ ﴿وتوكل على الله﴾ فهو كافيك ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ مفوضا اليه.

ثم رجع السياق الى موضوع السورة من ازالة العادات الجاهلية وتبديلها بالاخلاق الاسلامية الحميدة قال تعالى:

٤٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات﴾ أو الكتابيات وذكر المؤمنات للغالب ولشرفهن والحض على اختيارهن للزواج ﴿ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ تحصونها بالاقراء وغيرها لان سبب العدة استبراء الرحم وحفظ النسب ونفي الشك المؤدي الى الخصومة والتنازع وذلك غير موجود هنا ﴿فمتعوهن﴾ أعطوهن ما يستمتعن به أي إذا لم يسم لهن صداق والا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه مالك والشافعي ﴿وسرحوهن سراحا جميلا﴾ أي خلوا سبيلهن من غير اضرار ولا منع حق كما كانت الجاهلية تفعل بنسائها.

ثم ذكر تعالى أنواع النساء اللاتي يجوز تزوجهن للمؤمنين وما يختص به النبي ﷺ من الاحكام لان المصلحة تقتضي ذلك فقال:

٥٠ ﴿يا أيها النبي أنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ مهورهن ﴿وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك﴾ من الكفار بالسبي كصفية وجويرية فان صفية أم المؤمنين بنت حيي بن أخطب من نسل هرون أخي موسى وهي من سبي خيبر وأبوها سيد بني النضير وبني قريظة أخذها النبي خوف أن تقع الفتنة بين المسلمين ثم خيرها فاختارته بعد اسلامها وقالت كنت أتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت انها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها فرات قمرا وقع في حجرها فلما إستيقظ أخبرته

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي
إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ
بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ
بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ
غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ
يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ
الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ

فلطمها وقال : تتمنين ملك يثرب ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع . وأما جورية فكانت بنت الحارث الخزاعية وكانت في سبي بني مصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسأل النبي ﷺ وعرفته بنفسها فقال : هل لك الى ما هو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت : نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما في ايديهم من قومها وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ . قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت اعظم في قومها بركة منها . أعتق بسببها مائة من أهل بيت بني المصطلق خرجه أبو داود توفيت سنة خمسين ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾ بخلاف من لم يهاجرن وفي تزوجهن تسلية لصدور أهله ﷺ ، وصلة للرحم ، وتأليف للقلوب المتنافرة ﴿وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي أن يستنكحها﴾ أي يطلب نكاحها بغير صداق فله ذلك ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ أي النكاح بلفظ الهبة على غير صداق ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي المؤمنين ﴿في أزواجهم﴾ من الاحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر لا بلفظ هبة ﴿و﴾ في ﴿ما ملكت أيمانهم﴾ من الاماء وغيره بأن تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لكيلا﴾ متعلق بمقدر أي بينا لك ولهم هذه الاحكام بالوضوح وميزنا ما هو خاص لك وما هو عام للامة ﴿يكون عليك حرج﴾ وضيق خوف أن يظنوا منك مخالفة الشرع الذي جئت به ﴿وكان الله غفورا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رحيما﴾ بكم ببيان هذه الاحكام لكم .

ولما كان النبي ﷺ ، رسول الله والواسطة بين الله وبين عباده في بيان الاحكام الالهية ، وأباح له الله ما تقدم من أحكام الزواج الخاصة له لحكم اقتضت ذلك فلا بد له أيضا من نظام المعاشرة في البيت بين نسائه حتى لا يمنعه شيء من غيرتهن عن القيام بواجبات الامة العامة فلذلك قال تعالى :

٥١ ﴿ترجي﴾ بالياء وقرىء بالهمزة بدلها أي تؤخر ﴿من تشاء منهن﴾ أي أزواجك عن نوبتها ﴿وتؤوي﴾ تضم ﴿اليك من تشاء﴾ منهن فتأتيها ﴿ومن ابتغيت﴾ طلبت ﴿ممن عزلت﴾ من القسمة ﴿فلا جناح عليك﴾ في طلبها وضمها اليك أي فأنت مخير فيهن تعمل ما تراه مصلحة لك ولهن جميعا ﴿ذلك﴾ التخيير ﴿أدنى﴾ أقرب الى ﴿أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن﴾ ولم يذكر المخير فيه لانه بحكم الله ﴿كلهن﴾ تأكيد للفاعل في يرضين ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ من أمر النساء والميل الى بعضهن أو غيرتهن حتى على غير دليل . روي عن عائشة رضي الله عنها قالت :

كنت أغار على النبي ﷺ من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله وأقول أو تهب المرأة نفسها لرجل فلما أنزل الله عز وجل «ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت» قالت والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه فيفرض عليهم الاحكام بقدر مصالحهم ﴿حليما﴾ عن عقابهم فينبغي أن تتقى محارمه لان انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم .

لما خير النبي في أمر نسائه وان كان النبي لا يظلمهن لما خلق عليه من حب اقامة العدل حتى على نفسه ﷺ ، وخيرهن الله في الطلاق والبقاء معه فاخترن البقاء ، سلاهن تعالى بقوله :

٥٢ ﴿لا يحل﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿لك النساء من بعد﴾ التسع اللاتي اخترنك ﴿ولا أن تبدل﴾ بترك احدى التاءين في الاصل ﴿بهن من أزواج﴾ بأن تطلقهن وتنكح بدل من طلقت

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي
آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ
وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ۗ
وَاتَّقِينَ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا
فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل

﴿ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك﴾ من الاماء فتحل لك وقد ملك ﷺ بعدهن مارية القبطية وولدت له ابراهيم عليه السلام في ذي الحجة سنة ثمان ومات وله سبعون يوما وقيل ستة وعشرة أشهر، وفي رواية أنه ﷺ لم يصل عليه بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه. ﴿وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ أي حفيظا ومنه اعطاء كل ذي حق حقه بقدر المصلحة على وفق مقتضى ارادته تعالى.

ثم شرع تعالى في بيان ما تجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبي اثر بيان ما تجب مراعاته عليه من حقوقهن فقال :

٥٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم﴾ في الدخول أو ﴿الى طعام غير ناظرين﴾ منتظرين ﴿إناه﴾ نضجه مصدر أنى أي لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين نضج الطعام ﴿ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا﴾ تمكثوا ﴿مستأنسين لحديث﴾ من بعضكم لبعض ﴿ان ذلكم﴾ التأنس بالحديث بعد الاكل - وكانت هذه الثلاثة كلها من العادات الجاهلية ﴿كان يؤذي النبي فيستحي منكم﴾ أن يخرجكم ﴿والله لا يستحي من الحق﴾ أي أن يخرجكم أي لا يترك بيانه وقرىء يستحي بياء واحدة ﴿واذا سألتموهن﴾ أي أزواج النبي ﷺ ﴿متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾ ستر ﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الخواطر المريبة ﴿وما كان لكم﴾ أي ما صح وما استقام لكم ﴿أن تؤذوا رسول الله﴾ بشيء ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله﴾ ذنبا ﴿عظيما﴾.

٥٤ ﴿ان تبدوا شيئا أو تخفوه﴾ من نكاحهن بعده ﴿فان الله كان بكل شيء عليما﴾ فيجازيكم عليه.

٥٥ ﴿لا جناح﴾ في عدم الحجاب ﴿عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن﴾ أي المؤمنات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ من الاماء والعبيد بأن يروهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿واتقين الله﴾ فيما أمرتن به في أن يراكن غير هؤلاء ﴿ان الله كان على كل شيء شهيدا﴾ حاضرا ولا يخفى عليه شيء.

ثم بين تعالى ما يجب مراعاته من حق النبي ﷺ على الامة الاسلامية فقال :

٥٦ ﴿ان الله وملائكته﴾ بالنصب على اسم ان وقرىء بالرفع مبتدأ لتغاير معنى الخبر ﴿يصلون على النبي﴾ محمد ﷺ شرف الله بهذا رسوله ﷺ في حياته، وموته وأظهر منزلته عنده تعالى، والصلاة من الله عليه ﷺ رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الامة الدعاء والتعظيم لامره. ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ أي قولوا اللهم صل على محمد وسلم، أو افعلوا ما يكون تعظيما له وتشريفا وما يسلمه عن كل نقص وأذى لان الآية جاءت عقيب ذكر ما يؤذيه ﷺ، وبعدها ذكر حكم من يؤذيه وأما حكم الصلاة عليه فواجب في العمر مرة، وسنة في التشهد الاخير لكل صلاة، واستحبابه في كل وقت، وروي عن الشافعي في أنها واجبة في التشهد الاخير لكل صلاة، وقيل تجب خارج الصلاة وقيل في كل مجلس مرة، وقيل كلما ذكر، وقيل في كل صلاة بدون تعيين لمحلها. فاعلم أن النبي في غنى بصلاة الله عن صلاة الملائكة والناس، وانما القصد تعظيمه ﷺ وعود فائدتها علينا بالثواب والقرب منه ﷺ، والصلاة عليه أمر توقيفي بقوله تعالى : «واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله». ويكره الصلاة والتسليم على غير الرسل والملائكة الا تبعا. لانه في العرف شعار لذكر الرسول ﷺ. ولا يقال محمد عز وجل وان

كان عزيزا وجليلا .

ثم ذكر تعالى من يؤذي الله تعالى والنبي ﷺ والمؤمنين فقال :

٥٧ ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله﴾ وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشرك ، ويكذبون رسوله أو ينسبون اليه ما لا يليق بمنصبه الشريف أو انتقاصه فلامة ظفر ﴿لعنهم الله في الدنيا﴾ بأن يحكم عليهم بالقتل اذا قالوا شيئا غير ما عرف أنهم كفروا به الا أن يسلموا ، ويقتل المسلم اذا سب الله الا أن يتوب ، أو سب النبي ولو تاب ، فما له لورثته إذا تاب والا فلبيت المال ﴿و﴾ لعنهم أيضا في ﴿الآخرة﴾ أبعدهم من رحمته ﴿وأعد لهم عذابا مهينا﴾ ذا اهانة وهو النار .

٥٨ ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فقد احتملوا بهتانا﴾ تحملوا كذبا ﴿وإثما مبينا﴾ بينا .

ومن الاذاية للنساء تعرض الرجال الفسقة لهن اذا خرجن لحوائجهن الضرورية فلمنع ذلك قال الله :

٥٩ ﴿يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل المرأة بها أي يرخين بعضها على الوجوه اذا خرجن لحاجتهن الاعينا واحدة ﴿ذلك أدنى﴾ أقرب الى ﴿أن يعرفن﴾ بأنهن حرائر ﴿فلا يؤذين﴾ بالتعرض لهن بخلاف الاماء فلا يغطين وجوههن لاشتغالهن بالعمل ويكره للاماء استعمال الاخفة ولو في الصلاة وتستحب لام الولد . والتستر واجب على الحرة في الصلاة ﴿وكان الله غفورا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر أو لما عسر عليهن وانكشف بدون قصد ﴿رحيما﴾ بهن اذا سترن .

ومن الاذاية للمؤمنين الارجاف وهي الأخبار الكاذبة والسعي بالاشاعات بين الناس وهي من شأن المنافقين لذلك قال الله تعالى :

٦٠ ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿لم ينته المنافقون﴾ عن نفاقهم ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ على مقرب من النفاق ﴿والمرجفون في المدينة﴾ بقولهم : قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا ﴿لنغرينك بهم﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثم لا يجاورونك﴾ يساكنونك ﴿فيها الا قليلا﴾ ثم يخرجون .

٦١ ﴿ملعونين﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أينما ثقفوا﴾ وجدوا ﴿أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الامر به .

٦٢ ﴿سنة الله﴾ أي من الله ذلك ﴿في الذين خلوا من قبل﴾ من الامم الماضية في منافقيهم المرجفين للمؤمنين ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ منه .

لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا

٥٦٠

ومن الاذاية للنبي ﷺ سؤال التعنت قال تعالى :

٦٣ ﴿يسألك الناس﴾ الكفار ﴿عن الساعة﴾ متى تكون ﴿قل انما علمها عند الله وما يدريك﴾ يعلمك بها أي أنت لا تعلمها ﴿لعل الساعة تكون﴾ توجد ﴿قريبا﴾ .

٦٤ ﴿ان الله لعن الكافرين﴾ أبعدهم ﴿وأعد لهم سعيرا﴾ نارا شديدة يدخلونها .

٦٥ ﴿خالدين﴾ مقدرا خلودهم ﴿فيها أبدا لا يجدون وليا﴾ يحفظهم عنها ﴿ولا نصيرا﴾ يدفعها عنهم .

٦٦ ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا﴾ للتنبيه ﴿ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ بالالف وصلا وقرىء به وقفا ووصلا وبدونه .

سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ
مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
وَحَمَلَهَا الْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾
لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

٥٦١

٦٧ ﴿وقالوا﴾ أي الاتباع منهم ﴿ربنا انا أطعنا سادتنا﴾ وفي قراءة «ساداتنا» جمع الجمع ﴿وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ طريق الهدى في الالف ما تقدم في الرسولا .

٦٨ ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ أي مثلي عذابنا ﴿والعنهم﴾ عذبهم ﴿لعنا كبيرا﴾ عظيما وفي قراءة بالمثلثة أي عدده .

ثم حذر تعالى أن يتشبهوا باليهود في ايذاء نبيهم وسلى أيضا بذلك النبي ﷺ فقال :

٦٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا﴾ مع نبيكم ﴿كالذين آذوا موسى﴾ بقولهم مثلا ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر به حتى وقف به بين ملأ من بني اسرائيل فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه ولا أدرة فيه وهي نفخة في الخصية ولم يكن كشف العورة محرماً في شريعة موسى بل كان يحتجب ترفعاً وحياء ﴿وكان عند الله وجيها﴾ ذا جاه ومما أوذي به نبينا ﷺ أنه قسم قسما فقال رجل إن : هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال : «رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» رواه البخاري ومسلم .

ثم عقب تعالى عن معلومات السورة بالنصيحة المجملة الشاملة للخير فقال :

٧٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ بالاعمال الصالحة ﴿وقولوا قولا سديدا﴾ صوابا تقبله الشريعة .

٧١ ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ ان أخطأتم فيها ويتقبلها منكم ﴿ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ نال غاية مطلوبه . فمن دخل الاسلام بصيغته وقال : لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ فقد حمل الامانة من الله ورسوله أن يعمل عمله ويقول قوله كما أمره الله بواسطة رسوله محمد ﷺ ، قال تعالى :

٧٢ ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ هو ما تضمنته كلمتا الشهادة والصلوات وغيرها مما في فعلها ثواب وتركها عقاب وكذلك ترك المحرمات وهو التكليف الشرعي ﴿على السموات والارض والجبال﴾ بان خلق الله فيها فهماً ونطقا ﴿فأبين أن يحملنها﴾ أي امانة التكليف وليست إبايتها مثل اباية ابليس فالسجود هناك كان فرضا والامانة هنا كانت عرضاً . ﴿واشفقن منها﴾ من حملها ﴿وحملها الانسان﴾ بعد عرضها عليه ليظهر الايمان من بعضه والكفر من البعض الآخر ﴿انه كان ظلوماً﴾ لنفسه بما حمله من الامانة فجاوز حدها أي الشريعة ﴿جهولاً﴾ بالغاية فانقسم افراده فآمن فريق منهم وكفر آخرون .

٧٣ ﴿ليعذب الله﴾ متعلق بحملها ﴿المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ المضيعين الأمانة ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ المؤدين الأمانة ﴿وكان الله غفوراً﴾ للمؤمنين بترك العادات الجاهلية ﴿رحيما﴾ بهم حيث اثابهم بالعفو والمغفرة . والله أعلم .

﴿ سورة سبأ مكية أو مدنية ﴾

هي أربع أو خمس وخمسون آية وموضوعها الرئيسي بيان أن الايمان والعمل الصالح لا الاموال ولا الاولاد هما قوام الحكم والجزاء عند الله .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الحمد لله﴾ حمد تعالى نفسه بذلك ، المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله تعالى ﴿الذي له ما في السموات وما في الارض﴾ ملكا وخلقاً وعبيداً ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ كالدنيا يحمده أولياؤه اذا دخلوا الجنة ﴿وهو الحكيم﴾ في فعله ﴿الخبير﴾ بخلقه .

٢ ﴿يعلم ما يلج﴾ يدخل ﴿في الارض﴾ كالماء وغيره ﴿وما يخرج منها﴾ كنبات وغيره ﴿وما ينزل من السماء﴾ من الرزق وغيره ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ من العمل وغيره ﴿وهو الرحيم﴾ بأوليائه ﴿الغفور﴾ لهم .

٣ ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ القيامة ﴿قل﴾ لهم ﴿بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ بالجر صفة وقرىء بالرفع خبر مبتدأ ﴿لا يعزب﴾ يغيب ﴿عنه مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ أصغر نملة ﴿في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين﴾ بين هو اللوح المحفوظ .

٤ ﴿ليجزي﴾ فيها ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ حسن في الجنة .

(٣٤) سورة سبأ مكية
وآياتها أربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ
وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ
مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ
الغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي الأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ
مُّبِينٍ (٣) لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ

أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْ
فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾
أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ
نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا
دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ

٥ ﴿والذين سعو في﴾ ابطال ﴿آياتنا﴾ القرآن ﴿معاجزين﴾ أي مسابقين لنا فيفوتوننا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ سيء العذاب ﴿أليم﴾ مؤلم بالجر وقرىء بالرفع صفة لرجز وعذاب .

٦ ﴿ويرى﴾ يعلم ﴿الذين أوتوا العلم﴾ مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿الذي أنزل اليك من ربك﴾ أي القرآن ﴿هو﴾ فصل ﴿الحق ويهدي الى صراط﴾ طريق ﴿العزيز الحميد﴾ أي الله ذي العزة المحمودة .

٧ ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي قال بعضهم على جهة التعجب لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ هو محمد ﴿ينبئكم﴾ يخبركم أنكم ﴿اذا مزقتم﴾ قطعتم ﴿كل ممزق﴾ بمعنى تمزيق ﴿انكم لفي خلق جديد﴾ .

٨ . ﴿أفترى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل ﴿على الله كذبا﴾ في ذلك ﴿أم به جنة﴾ جنون تخيل به ذلك قال تعالى ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿في العذاب﴾ في الدنيا لوقوعهم بذلك في الفتن الدائمة ﴿والضلال البعيد﴾ من الحق فلا يرجعون اليه .

٩ ﴿أفلم يروا﴾ ينظروا ﴿الى ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿من السماء والارض إن نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا﴾ بسكون السين وقرىء بفتحها قطعة ﴿من السماء﴾ وفي قراءة في الافعال الثلاثة بالياء ﴿ان في ذلك﴾ المرئي ﴿لآية لكل عبد منيب﴾ راجع الى ربه فدل على قدرة الله على البعث وما يشاءه،والرجوع الى الله انما هو بالايمان والاعمال الصالحة وبها يستقيم التفكير ويكون العقل سليما .

ثم ذكر قصة داود موضوع السورة وهو أن قوام النظام انما هو بالايمان والعمل الصالح فقال :

الْحَدِيدَ ⑩ أَنِ اعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ⑪ وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ⑫ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ⑬ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ⑭ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ

٥٦٤

١٠ ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ نبوة وكتابا وقلنا ﴿يا جبال أوبي﴾ بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع ، أي ارجعي وقيل التسبيح بلغة الحبشة وقرىء بضم الهمزة وسكون الواو. أمر من آب يئوب أي ارجعي معه بالتسبيح ﴿معه والطير﴾ بالنصب عطفا على محل الجبال . أي ودعوناها تسبح معه ﴿وألنا له الحديد﴾ فكان في يده كالعجين . وقلنا .

١١ ﴿أن اعمل﴾ منه ﴿سابغات﴾ دروعا كوامل يجرها لابسها على الارض ﴿وقدر في السرد﴾ أي نسج الدروع ، قيل لصانعها سراد ، أي اجعله بحيث تتناسب حلقه ﴿واعملوا﴾ أي آل داود معه ﴿صالحا اني بما تعملون بصير﴾ فاجازيكم به . فيه اشارة الى وجوب الكسب بقدر الحاجة ، وجعل باقي الايام والليالي للعبادة . أي قدر في ذلك العمل ولا تشتغل جميع أوقاتك بالكسب ، بل حصل فيه القوت فحسب . واشتغل بالعبادة .

١٢ ﴿و﴾ سخرنا ﴿لسليمان الريح﴾ بالنصب وقرىء بالرفع تقدير تسخير ﴿غدوها﴾ سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال ﴿شهر ورواحها﴾ سيرها من الزوال الى الغروب ﴿شهر﴾ أي مسيرته ﴿وأسلنا﴾ أذبنا ﴿له عين القطر﴾ أي النحاس فأجريت من معدنه بنبع كجري الماء . وعمل الناس الى اليوم مما أعطي سليمان أي من الكرامة التي أعطيها سليمان ولولاها ما لان النحاس أصلا لانه قبله لم يكن يلين أصلا لا بنار ولا بغيرها . ﴿و﴾ سخرنا له ﴿من الجن من يعمل بين يديه باذن﴾ بأمر ﴿ربه ومن يزغ﴾ يعدل ﴿منهم عن أمرنا﴾ له بطاعته ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ النار في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه .

١٣ ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ مساجد وقيل أبنية مرتفعة يصعد اليها بدرج ﴿وتماثيل﴾ جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء أي صور من نحاس وزجاج ورخام ، ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته ﴿وجفان﴾ جمع جفنة ﴿كالجواب﴾ جمع جابية وهي حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد اليها بالسلالم وقلنا ﴿اعملوا﴾ يا ﴿آل داود﴾ بطاعة الله ﴿شكرا﴾ له على ما آتاكم ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ العامل بطاعتي شكرا لنعمتي .

١٤ ﴿فلما قضينا عليه﴾ على سليمان ﴿الموت﴾ أي مات ومكث قائما على عصاه والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته حتى أكلت الارضة عصاه فخر ميتا ﴿ما دلهم على موته الا دابة الارض﴾ مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول . أكلتها الارضة ﴿تأكل منسأته﴾ بالهمز وقرىء بتركه بألف أي عصاه لانها ينسأ أي يطرد ويزجر بها ﴿فلما خر﴾ ميتا ﴿تبينت الجن﴾ انكشف لهم ﴿أن﴾ مخففة أي أنهم ﴿لو كانوا يعلمون الغيب﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ العمل الشاق لهم لظنهم أن حياته خلاف ظنهم وذلك علم الغيب وهنا يعرف أن الجن لا يعلمون الغيب الذي هو اقرب اليهم وتمس حاجتهم به ، فمن باب أولى غيره البعيد عنهم ، وذلك أيضا قبل أن يمنعوا من استراق السمع في السماء ويعلمه من باب أولى .

ثم ذكر تعالى قصة سبأ مع ما أنعم به عليهم من النعم فذهبت لعدم الايمان والعمل الصالح . فقال تعالى :

١٥ ﴿لقد كان لسبأ﴾ بالصرف وقرىء بعدمه قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿في مسكنهم﴾ باليمن ﴿آية﴾ دالة أن النعم لا تثبت الا بالايمان والعمل الصالح ﴿جنتان﴾ بدل ﴿عن

طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ
وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا
وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ
كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ

بين وشمال﴾ عن يمين واديهم وشماله وقيل لهم ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ بأن تؤمنوا وتعملوا عملا صالحا بالطاعة لاوامره تعالى ﴿بلدة طيبة﴾ ليس فيها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت من هوائها ﴿ورب غفور﴾ لكم والقائل لهم هذا نبي لهم ولم يذكر.

١٦ ﴿فأعرضوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فارسلنا عليهم سيل العرم﴾ جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته أي السد . قال قتادة العرم اسم وادي سبأ ، كان يجتمع اليه مسايل من الاودية فردموا ردما بين جبلين وجعلوا لذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجتهم فاخصبوا وكثرت أموالهم . فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفارة فنقبت الردم . أي أرسل الله سيل واديهم الممسوك بما ذكر فقطع العرم بواسطة الفأر الذي يسمى الخلد فتهدم ، ودخل السيل عليهم . واضافة السيل الى العرم من حيث كان ممسوكا به ومن حيث أنه قطعه وغلبه ودخل عليهم ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي﴾ تثنيه ذوات مفرد على الاصل ﴿أكل خمط﴾ مر بشع بتنوين أكل بمعنى مأكول وقرىء بالاضافة الى خمط ويعطف عليه ﴿وأثل﴾ يشبه الطرفاء الا أنه أعظم منه طولا ومنه اتخذ منبر رسول الله ﷺ وورقه كورق الطرفاء ﴿وشيء من سدر قليل﴾ وصف بالقلة لان ثمره وهو النبق يطيب أكله ولذا يغرس في البساتين ، والضال صنف منه ولكن ثمره غضة لا تؤكل أصلا ، ولا ينتفع بورقه في غسل الايدي ويمكن أن يكون هو المقصود هنا .

١٧ ﴿ذلك﴾ التبديل ﴿جزيناهم بما كفروا﴾ بكفرهم ﴿وهل نجاري الا الكفور﴾ بالنون مع كسر الزاي ونصب الكفور وقرىء بالياء مع فتح الزاي ورفع الكفور نائب الفاعل . أي لا يناقش الا هو.

١٨ ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين سبأ وهم باليمن ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر وهي قرى الشام التي يسيرون اليها للتجارة ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة من اليمن الى الشام يرى بعضها من بعض لتقاربها ، فهي ظاهرة لأعين أهلها أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسائر فيه غير بعيدة عن مسالكهم . ﴿وقدرنا فيها السير﴾ بحيث يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى الى انتهاء سفرهم ، ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء . أي وقلنا ﴿سيروا فيها ليالي وأياما آمنين﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار ، فالسبل والمنازل آمنة .

١٩ ﴿فقالوا ربنا باعد﴾ وفي قراءة «بعد» بشد العين بلا ألف بعد الباء ﴿بين أسفارنا﴾ الى الشام ، اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالكفر ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ، أي تفريقا لا يتوقع بعده عود اتصال . قال الشعبي : فلحقت الانصار أي الاوس والخزرج بيثرب ، وغسان بالشام ، والازد بعمان ، وخزاعة بتهامة ، وكانت العرب تضرب بهم المثل فيقال تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ ، أي مذاهب سبأ وطرقها . ثم عقب عن ذلك تعالى وقال : ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ عبرا ﴿لكل صبار﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات ﴿شكور﴾ على النعم أي المؤمن الذي يصبر على العمل الصالح من الطاعات وترك المعاصي .

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
وَلَا تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ
شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ
إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

مستمر على ذلك ، فيثبت قوام دينه ودنياه .

٢٠ ﴿ولقد صدق﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿عليهم﴾ أي الكفار ومنهم سبأ ﴿إبليس ظنه﴾ أنهم باغوائه يتبعونه ﴿فاتبعوه﴾ فصدق بالتشديد ظنه أي وجده صادقا ، وصدق بالتخفيف في ظنه بهم ذلك ، ﴿الا﴾ بمعنى لكن ﴿فريقا من المؤمنين﴾ للبيان أي هم المؤمنون لم يتبعوه .

٢١ ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ تسلط واستيلاء ﴿الا لنعلم﴾ علم ظهور ﴿من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ فنجازي كلا منهما ، أي من اتبع أمرنا بالبرهان ، ومن اتبع الشيطان باغوائه على هواه بلا برهان ﴿وربك﴾ يا محمد ﴿على كل شيء حفيظ﴾ رقيب وقادر على منع ابليس عنهم ومع ذلك سلطه عليهم ليتبين ما ذكره تعالى .

ثم رجع السياق بالخطاب للنبي ﷺ ليدعو أمته الى التوحيد الخالص ، وليبين لهم أنه لا ينفعهم شيء الا هو فقال تعالى :

٢٢ ﴿قل﴾ يا محمد للكافرين ﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿من دون الله﴾ أي غيره لينفعوكم بزعمكم . قال تعالى : فيهم ﴿لا يملكون مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ من خير أو شر ﴿في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك﴾ شركة ﴿وما له﴾ تعالى ﴿منهم﴾ من الآلهة ﴿من ظهير﴾ معين .

٢٣ ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ تعالى ردا لقولهم ان آلهتهم تشفع عنده ﴿الا لمن أذن﴾ بفتح الهمزة أي الله وقرىء بضمها مبني للمفعول . ﴿له﴾ فيها أي الا لشافع أذن له في الشفاعة . فالشافع والمشفوع له لا يزالان يتربصان ويتوقعان مليا ، فزعين وجلين ﴿حتى اذا فزع﴾ بالبناء للمفعول وقرىء للفاعل ﴿عن قلوبهم﴾ كشف عنها الفزع بالأذان فيها أي بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الإذن ﴿قالوا﴾ أي قال : بعضهم لبعض إستبشارا ﴿ماذا قال ربكم﴾ فيها ﴿قالوا﴾ القول ﴿الحق﴾ أي قد أذن فيها ﴿وهو العلي﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الكبير﴾ العظيم .

٢٤ ﴿قل من يرزقكم من السموات﴾ بالمطر ﴿والارض﴾ بالنبات ﴿قل الله﴾ ان لم يقولوه اذ لا جواب غيره ﴿وانا أو اياكم﴾ اي أحد الفريقين ﴿لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ بين ثم خالف بين الحرفين لان المهتدي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها أو ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا . وفي الابهام تلطف بهم داع الى الايمان اذا وافقوا له .

٢٥ ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا﴾ أذنبنا ﴿ولا نسئل عما تعملون﴾ لانا بريئون منكم وفيه انصاف حيث أسند الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين .

٢٦ ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ يوم القيامة ﴿ثم يفتح﴾ يحكم ﴿بيننا بالحق﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وهو الفتاح﴾ الحاكم ﴿العليم﴾ بما يحكم به .

٢٧ ﴿قل أروني﴾ أعلموني ﴿الذين ألحقتم به﴾ في استحقاق العبادة ﴿شركاء﴾ مفعول ثالث لأروني والأول ياء المتكلم والثاني الموصول تعبدونهم معه ﴿كلا﴾ ردع لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بل هو الله العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في تدبيره فلا يكون له شريك في ملكه . ففيه التحدي عن الشركاء المزعومين والردع العنيف والتأنيب لهم والتبكيت عن الكلام والجواب اثبات

صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ
بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ
مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟
أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟
بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ
وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن

لألوهيته تعالى والمدح له بالعزة والحكمة . وما أبلغ كلام الله رب العالمين .

ثم بين تعالى منصب النبي ﷺ وموقف الذين كفروا بما جاءهم به وجزاءهم يوم القيامة فقال :

٢٨ ﴿وما أرسلناك الا كافة﴾ حال من الناس قدم للاهتمام به ﴿للناس بشيرا﴾ مبشرا للمؤمنين بالجنة ﴿ونذيرا﴾ منذرا للكافرين بالعذاب ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي المكلفين ﴿لا يعلمون﴾ منصبك العالي ولو عرف المنكرون ذلك لاسرعوا الى الايمان والطاعة لما تأمرهم به .

٢٩ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيه .

٣٠ ﴿قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ عليه وهو يوم القيامه .

٣١ ﴿وقال الذين كفروا﴾ من أهل مكة ﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ أي تقدمه كالتوراة والانجيل الدالين على البعث لانكارهم له ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿اذ الظالمون﴾ الكافرون ﴿موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا﴾ الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ الرؤساء ﴿لولا أنتم﴾ صددتمونا عن الايمان ﴿لكنا مؤمنين﴾ بالنبي .

٣٢ ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم﴾ استفهام انكار أي لا ﴿بل كنتم مجرمين﴾ في أنفسكم .

٣٣ ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ أي مكر فيهما منكم بنا ﴿اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا﴾ شركاء ﴿وأسروا﴾ أي الفريقان ﴿الندامة﴾ على ترك الايمان به ﴿لما رأوا العذاب﴾ أي أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير ﴿وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا﴾ فيه وضع الظاهر مكان المضمر لافادة العموم فيساقون الى النار ﴿هل يجزون الا﴾ جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ في الدنيا .

ثم ذكر تعالى موقف المترفين في كل أمة مع الرسالة فقال :

نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ
أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ
فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ
رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ
وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ
كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم

٣٤ ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ .

٣٥ ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا﴾ ممن آمن فنحن أكرم منهم ﴿وما نحن بمعذبين﴾

٣٦ ﴿قل﴾ الخطاب لكل نبي لكل أمة ﴿ان ربي يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ امتحانا ﴿ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿ولكن أكثر الناس﴾ المكلفين ﴿لا يعلمون﴾ ذلك فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار التضييق هو الهوان والذل ولا يدرون أن الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات .

٣٧ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ قربى أي تقريبا ﴿الا﴾ لكن ﴿من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ أي جزاء العمل الحسنة مثلا بعشر فأكثر ﴿وهم في الغرفات﴾ من الجنة ﴿آمنون﴾ من الموت وغيره وفي قراءة الغرفة بمعنى الجمع هذا اذا حملنا الامن في الآخرة والا فمن آمن وعمل صالحا فلهم جزاء الضعف مخبوء لهم ثم انهم في أمن دائما وفي حفظ الله المعبر عنه بالغرف .

٣٨ ﴿والذين يسعون في آياتنا﴾ القرآن بالابطال ﴿معاجزين﴾ لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا ﴿أولئك في العذاب محضرون﴾ لا يفارقونه دنيا واخرى .

٣٩ ﴿قل ان ربي يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء من عباده﴾ امتحانا ﴿ويقدر﴾ يضيقه ﴿له﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وما أنفقتم من شيء﴾ في الخير ﴿فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ يقال يرزق عائله أي من رزق الله فالرزاق في الحقيقة واحد وهو الله وغيره سبب ولا يقال لغيره تعالى رزاق .

ولما ذكر عباد الاصنام بالشرك يمكن أن يظن عباد الملائكة والصالحين أنهم غير مشركين لانهم يدعون أصفياء الله ليشفعوا لهم عند الله فقال تعالى :

٤٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يحشرهم جميعا﴾ أي المشركين عبدة الاصنام وعبدة الصالحين والملائكة ﴿ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم﴾ بتحقيق المهمزتين وقريء بابدال الاولى الفا واسقاطها وتسهيل الاولى مع تحقيق الثانية وعكسه وابدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الاولى ﴿كانوا يعبدون﴾ .

بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا
مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾
وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا
مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا
لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ

٤١ ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيها لك عن الشريك ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بل﴾ للانتقال ﴿كانوا يعبدون الجن﴾ الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم ايانا ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ مصدقون فيما يقولون لهم على ما ظهر لنا لان العامل غالبا يستعمل جوارحه تبعا لايمان قلبه . قال تعالى :

٤٢ ﴿فاليوم لا يملك بعضهم لبعض﴾ أي بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نفعا﴾ شفاعة ﴿ولا ضرا﴾ تعذيبا ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ كفروا من كل أمة ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ .

٤٣ ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ الكتب المنزلة لهم ﴿بينات﴾ واضحات بلسان أنبيائهم ﴿قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿وقالوا ما هذا﴾ الكتاب ﴿الا افك﴾ كذب ﴿مفترى﴾ على الله ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ القرآن من هذه الامة تبعا للامم السالفة اذ الكفر سوى بين أفكارهم ﴿لما جاءهم ان﴾ ما ﴿هذا الا سحر مبين﴾ بين قال الله تعالى :

٤٤ ﴿وما آتيناهم﴾ المكذبين للقرآن ﴿من كتب يدرسونها﴾ قبل القرآن ﴿وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير﴾ فمن أين كذبوك فلا يصح الحكم الا اذا استند لكتاب سماوي أو رسول من الله تعالى ، واذا لم يوجد واحد منهما فهو حكم صدر عن هوى وهو باطل .

٤٥ ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ قبل قومك ﴿وما بلغوا﴾ قومك ﴿معشار ما آتيناهم﴾ أي عشر وقال الماوردي المعشار هنا هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من ألف وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل أي ليس لهؤلاء الكفار عشر عشر ما آتينا الكفار قبلهم من حسن القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فكذبوا رسلي﴾ اليهم فأهلكناهم ولم تنفعهم قوتهم وطول اعمارهم ، وكثرة أموالهم شيئا في دفع الاهلاك عنهم حين كذبوا رسلهم . فهؤلاء أولى بأن يحل بهم العذاب لتكذيبهم رسولهم . ﴿فكيف كان نكير﴾ انكاري عليهم بالعقوبة والأهلاك أي هو واقع موقعه .

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ
الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا
مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ
التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ
وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ
كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

٤٦ ﴿قل انما أعظكم بواحدة﴾ هي ﴿أن تقوموا لله﴾ أي لاجله ﴿مثنى﴾ اثنين اثنين ﴿وفرادى﴾ واحدا واحدا لا أكثر لان كثرة الناس تبلبل الرأي ولا تأتي بنتيجة مثل ما يأتي بها واحد واثنان ﴿ثم تتفكروا﴾ فتعلموا ﴿ما بصاحبكم﴾ محمد ﴿من جنة﴾ جنون ﴿ان﴾ ما ﴿هو الا نذير لكم بين يدي﴾ قبل ﴿عذاب شديد﴾ في الآخرة ان عصيتموه .

٤٧ ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿ما سألتكم﴾ أي الذي سألتكم اياه على الانذار والتبليغ ﴿من أجر﴾ في مثل قوله «قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا» . وقوله «لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى» ﴿فهو لكم﴾ أي يرجع نفعه اليكم لان اتخاذ السبيل يرجع نفعه اليهم ، وكذلك قربى رسول الله قرباهم . ﴿ان أجري﴾ ما ثوابي ﴿الا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ مطلع يعلم صدقي .

٤٨ ﴿قل ان ربي يقذف بالحق﴾ يلقيه الى أنبيائه ﴿علام الغيوب﴾ ما غاب من خلقه في السموات والارض .

٤٩ ﴿قل جاء الحق﴾ الاسلام ﴿وما يبدىء الباطل﴾ الكفر ﴿وما يعيد﴾ أي لم يبق له أثر أي زهق الشرك لم يبق له ابداء واعادة .

٥٠ ﴿قل ان ضللت﴾ عن الحق مثل ما تتوهمون بي لاني لم أتبع دينكم ودين آبائكم ﴿فانما أضل على نفسي﴾ أي اثم ضلالي ان وجد فرضا عليها ﴿وان اهتديت فبما يوحي الي ربي﴾ من القرآن والحكمة ﴿انه سميع﴾ للدعاء ﴿قريب﴾ لمن دعاه فيجيبه .

ثم ختم تعالى السورة بتصوير آخر حياة الكفار الذين اشتغلوا بالاموال والاولاد عن الايمان والعمل الصالح فقال :

٥١ ﴿ولو ترى﴾ يا محمد أو أيها المخاطب ﴿اذ فزعوا﴾ عند قرب الموت لما انتبهوا وفهموا أنهم على باطل وأرادوا الفرار بأن يؤمنوا ويعملوا عملا صالحا ﴿فلا فوت﴾ لهم منا أي لا يفوتوننا أي لا ينجون من عذابنا اذ لم يستعدوا للنجاة في وقته ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ أي مكان الفرار من العذاب .

٥٢ ﴿وقالوا آمنا به﴾ الحق الذي جاء وزهق به الباطل وهو القرآن أو محمد أو الاسلام ﴿وأنى لهم التناوش﴾ بواو وقرىء بالهمزة بدلها أي تناول الايمان ﴿من مكان بعيد﴾ . عن محله اذ هم في حال الموت ، ومحله قبل الغرغرة وقد جاوزوه ولا يمكن الرجوع اليه .

٥٣ ﴿وقد كفروا به من قبل﴾ أي قبل وقت حلول الاجل الموت ﴿ويقذفون﴾ يرمون ﴿بالغيب من مكان بعيد﴾ أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث كانوا يطعنون في الذين بدل الايمان والعمل به فقالوا: في النبي ساحر شاعر كاهن ، وفي القرآن سحر ، شعر ، كهانة ..

٥٤ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من الايمان أي قبوله . وعبر عنه بيشتهون لما هم فيه في ذلك الوقت من الرغبة في اعتناقه ليحفظوا به نفوسهم عما رأوا أمامهم من العذاب وليس لهم ما يمنعهم عنه ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ أشباههم في الكفر ﴿من قبل﴾ أي قبلهم فماتوا على الكفر ودخلوا العذاب المهين وهم يموتون كذلك فلا ينفعهم الندم بعد فوت أوانه ﴿انهم كانوا في شك مريب﴾ موقع في الريبة لهم طول حياتهم فيما آمنوا به الان ولم يهتدوا بدلائله فيعرفوا أنه الحق فيأخذوا به حتى فاتهم .

(٣٥) سورة فاطر مكية
وآياتها خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا أُولِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ
مَا يَشَآءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ
اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ

﴿ سورة فاطر مكية ﴾

هي خمس أو ست وأربعون آية ، وموضوعها الرئيسي بيان التوحيد في الالوهية وفي أن الربوبية له تعالى ولا تصرف لاحد غيره تعالى في الاشياء .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الحمد لله﴾ حمد تعالى نفسه بذلك كما بينا في سبأ ﴿فاطر السموات والارض﴾ خالقها على غير مثال سبق ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ الى الانبياء ﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق﴾ في الملائكة وغيرها ﴿ما يشاء﴾ من قوة في البطش ، ومتانة في العقل ، وجزالة في الرأي ، وجراءة في القلب ، وسماحة في النفس ، وذلاقة في اللسان ، ولباقة في التكلم ، وحسن تأن في مزاولة الامور ، وما أشبه ذلك . ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ من ذلك خلق الملائكة وغيرهم بالاجنحة وزيادة ما يشاء من الاوصاف في الخلق .

٢ ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ كرزق ومطر ﴿فلا ممسك لها وما يمسك﴾ من رزق ومطر ﴿فلا مرسل له من بعده﴾ أي بعد امساكه ﴿وهو العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في فعله

بعد ذكر ما هو مفتاح للسورة من أدلة قدرته تعالى ، وكمال ارادته وحكمته بدأ يجلب عقول الناس لما يرشدهم لطاعته فقال :

٣ ﴿يا ايها الناس﴾ أي المكلفون ﴿اذكروا نعمت الله عليكم﴾ باسكانكم الحرم ومنع الغارات عن أهل مكة والعقل والتدبير في أموركم وغير ذلك ﴿هل من خالق﴾ من زائدة وخالق مبتدأ ﴿غير الله﴾ بالرفع باعتبار الموضع ، وقرىء بالجر نعت لخالق لفظا ومحلا وخبر المبتدأ ﴿يرزقكم من السماء﴾ المطر ﴿و﴾ من ﴿الارض﴾ النبات وغيره والاستفهام للتقرير أي لا خالق رازق غيره ﴿لا اله الا هو فأنى تؤفكون﴾ من أين تصرفون عن توحيده بالعبادة مع اقراركم بأنه الخالق الرازق وحده .

ثم شرع تعالى في تسلية الرسول ﷺ فقال :

٤ ﴿وان يكذبوك﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿فقد كذبت رسل من قبلك﴾ في ذلك فاصبر كما صبروا ﴿والى الله ترجع الامور﴾ فيجازي المكذبين بالخذلان ، وينصر المسلمين .

ثم رجع بالسياق الى ارشاد الناس فقال :

٥ ﴿يا ايها الناس ان وعد الله﴾ بالبعث وغيره ﴿حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا﴾ عن الايمان بذلك ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ في حلمه وأمهاله ﴿الغرور﴾ الشيطان .

٦ ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿انما يدعوا حزبه﴾ أتباعه في الكفر ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ النار الشديدة .

٧ ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ هذا بيان لما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه .

٨ ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ أي زينه الشيطان بالتمويه ﴿فرآه حسنا﴾ من مبتدأ خبره كمن هداه الله ؟ لا يستويان . دل عليه ﴿فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم﴾ على المزين لهم ﴿حسرات﴾ مفعول لاجله . اي باغتمامك على أن لا يؤمنوا أي لا تهلك بالغم لعدم ايمانهم ﴿ان الله عليم بما يصنعون﴾ فيجازيهم عليه وهو الذي أيضا لم يرد لهم الايمان فلا تتأسف في طلب ما لم يرد الله ايجاده من ايمانهم فالتصرف بيده تعالى وحده . فبرهن على هذا فقال :

٩ ﴿والله الذي أرسل الرياح﴾ وفي قراءة الريح ﴿فتثير سحابا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزعجه ﴿فسقناه﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿الى بلد ميت﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف لا نبات بها ﴿فأحيينا به الارض﴾ من البلد ﴿بعد موتها﴾ يبسها أي أنبتنا الزرع والكلأ ﴿كذلك النشور﴾ أي البعث والاحياء وكذلك الايمان بعد الوحي يحيي به الله من أراد هدايته .

تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾
إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ
لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾
وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ
فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾
مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ

ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن
مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ
فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟

١٠ ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾ أي في الدنيا والآخرة فلا تنال من أحد غيره تعالى ولا تنال أيضا منه الا بطاعته ، فمن أرادها فليطعه ويطلبها منه . ثم بين تعالى كيفية طلب العزة فقال ﴿اليه﴾ تعالى ﴿يصعد الكلم الطيب﴾ وهو الثناء والتقديس والتسبيحات والدعاء بما يجوز شرعا ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ يرفع الكلم الطيب للقبول ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ من الأعمال لطلب العزة من الله أو من غيره ﴿لهم عذاب شديد ومكر أولئك﴾ أي مكرهم . فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿هو يبور﴾ يهلك ولا يأتيهم بمقصودهم من نيل العزة .

ثم بين تعالى ضعف المخلوقين من أصل خلقتهم ليبين لهم أن ليس لهم عزة الا اذا طلبوها منه فقال :

١١ ﴿والله خلقكم من تراب﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثم من نطفة﴾ أي مني بخلق دريته منها ﴿ثم جعلكم أزواجا﴾ ذكورا واناثا ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه﴾ حال أي معلومه له ﴿وما يعمر من معمر﴾ أي لا يزاد في عمر طويل العمر ﴿ولا ينقص من عمره﴾ أي ذلك العمر أو معمر آخر ﴿الا في كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ في معنى هذا أقول . وأحسنها أن يرد علمه الى الله ﴿ان ذلك على الله يسير﴾ هين فاذا كان خلق الانسان على هذا الشكل الضعيف من خالق قادر على أن يصوره في هذه الاطوار وطوى عنه أسرار زيادة عمره ونقصه فلا يسعه أن يمكر مكرا في طلب عزة من غير خالقه جل وعز .

ثم بين تعالى أن المخلوقات وان اشتركت في بعض المنافع والصفات فانها لا تستوي في الخاصية العظمى فقال :

١٢ ﴿وما يستوي البحران﴾ وان اشتركا في كونهما ماء ﴿هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة ﴿سائغ شرابه﴾ يسهل الحرارة ويزيل العطش لعذوبته ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة لا يمكن شربه ولا يسهل الحرارة ولا يزيل العطش هكذا المؤمن مطيع سهل القياد لاوامر ربه والكافر منكر متكبر عن التواضع لربه وان كان يشترك مع المؤمن في بعض الصفات اشتراك البحرين في قوله تعالى ﴿ومن كل﴾ منهما ﴿تأكلون لحما طريا﴾ هو السمك ﴿وتستخرجون﴾ من الملح وقيل منهما ﴿حلية تلبسونها﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وترى﴾ تبصر ﴿الفلك﴾ السفن ﴿فيه﴾ في كل منهما ﴿مواخر﴾ تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة مدبرة بريح واحدة ﴿لتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ تعالى بالتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على نعمه المزدوجة المتراكمة في كل ما سخر لكم من مخلوقاته .

١٣ ﴿يولج﴾ يدخل الله ﴿الليل في النهار﴾ فيزيد ﴿ويولج النهار﴾ يدخله ﴿في الليل﴾ فيزيد ﴿وسخر الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فلكه ﴿لأجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دونه﴾ أي غيره وهي المعبودات ﴿ما يملكون من قطمير﴾ لفافة النواة .

لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ (١٤) * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلَا تَزِرُ
وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ
مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى
لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ
وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ
فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

١٤ ﴿ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا﴾ فرضا كالملائكة والصالحين. ﴿ما استجابوا لكم﴾ ما أجابوكم ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ باشراككم اياهم مع الله أي يتبرأون منكم ومن عبادتكم اياهم ﴿ولا ينبئك﴾ بأحوال الدارين ﴿مثل خبير﴾ عالم وهو الله تعالى.

ومرة اخرى يرجع السياق الى الهتاف أن ينظروا في علاقاتهم بالله فقال:

١٥ ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله﴾ بكل حال ﴿والله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المحمود في صنعه بهم.

١٦ ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ بدلكم.

١٧ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ بشديد لغناه عنكم.

١٨ ﴿ولا تزر﴾ نفس ﴿وازرة﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وزر﴾ نفس ﴿أخرى وان تدع﴾ نفس ﴿مثقلة﴾ بالوزر ﴿الى حملها﴾ منه أحدا ليحمل بعضه ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان﴾ المدعو ﴿ذا قربى﴾ قرابة كالاب والابن وعدم الحمل في الشقين حكم من الله.

ثم سلى تعالى النبي ﷺ بقوله ﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخافونه وما رأوه لانهم المنتفعون بالانذار ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أداموها ﴿ومن تزكى﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فانما يتزكى لنفسه﴾ فصلاحه مختص به ﴿والى الله المصير﴾ المرجع فيجزي بالعمل في الآخرة.

١٩ ﴿وما يستوي الاعمى والبصير﴾ الكافر والمؤمن في جزاء عمليهما لان الاعمى متخبط في عمله والبصير على هدى فيه فلا يستويان في الجزاء.

٢٠ ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ أي الكفر والايمان.

٢١ ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ الجنة والنار.

٢٢ ﴿وما يستوي الاحياء ولا الاموات﴾ المؤمنون والكفار وهذا المثل أبلغ في نفي التساوي لكمال تنافي الاحياء والاموات أولا بين ذاتيهما، وثانيا بين وصفيهما، وثالثا بين مستقريهما وداريهما في الآخرة. وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد لنفي الاستواء ﴿ان الله يسمع من يشاء﴾ هدايته فيجيبك بالايمان يا محمد ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ أي الكفار شبههم بالموتى المدفونين زيادة في بعدهم عن سماع ندائه فيجيبون.

٢٣ ﴿ان﴾ ما ﴿أنت الا نذير﴾ منذر لهم.

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ

٢٤ ﴿انا أرسلناك بالحق﴾ الهدى ﴿بشيرا﴾ من أجاب اليه بالجنة ﴿ونذيرا﴾ من لم يجب اليه بالنار ﴿وان﴾ ما ﴿من أمة خلا﴾ سلف ﴿فيها نذير﴾ نبي ينذرها .

٢٥ ﴿وان يكذبوك﴾ أي قومك ﴿فقد كذب الذين من قبلهم﴾ من الامم ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات ﴿وبالزبر﴾ كصحف ابراهيم ﴿وبالكتاب المنير﴾ هو التوراة والانجيل فاصبر كما صبروا .

٢٦ ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ بتكذيبهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أي انكاري عليهم بالعقوبة والاهلاك أي هو واقع موقعه .

وبعد بيان الفرق بين المؤمن والكافر بالنسبة لما يدعوهم رسوله اليه ، بين تعالى أن المخلوقات من النبات والجماد والحيوان متنوعة فقال :

٢٧ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿به ثمرات مختلفا ألوانها﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿ومن الجبال جدد﴾ جمع جدة بضم الجيم وفتح الدال جمع وهي الطريقة من قولك جددت الشيء أي قطعته أي طرق في الجبال وغيره ﴿بيض وحمر﴾ وصفر ﴿مختلف ألوانها﴾ بالشدة والضعف ﴿وغرابيب سود﴾ عطف على جدد أي صخور شديدة السواد يقال كثيرا : أسود غربيب وقليلا : غربيب أسود .

٢٨ ﴿ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ العالمون به ، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «اني أخشاكم لله وأتقاكم له» فالجهال بالله لا يخافونه لذلك فالعلم رأس المعاملة ﴿ان الله عزيز﴾ في ملكه ﴿غفور﴾ لذنوب عباده المؤمنين . وهذا اتمام لقوله «انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب» بتعيين من يخشاه من الناس بعد بيان طبقاتهم وتبيان مراتبهم . وفي قراءة انما يخشى الله بالرفع من عباده العلماء بالنصب وهي قراءة عمر ابن عبد العزيز فالخشية مستعارة للتعظيم والمعنى يجلهم ويعظمهم وقوله «ان الله عزيز غفور» تعليل لوجوب الخشية الدالة على عقوبته للعصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم .

ثم بعد بيان دروس كتب الكون ومدح العلماء لكونهم يخشون الله بين تعالى نوع العلماء الذين يخشونه فقال :

٢٩ ﴿ان الذين يتلون﴾ يقرؤن ﴿كتاب الله وأقاموا الصلاة﴾ أداموها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية﴾ زكاة وغيرها ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ تهلك .

شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ هُوَ
الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ
بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾
جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِيٓ
أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا
يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ

٣٠ ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿ويزيدهم من فضله انه غفور﴾ لذنوبهم ﴿شكور﴾ لطاعتهم .

٣١ ﴿والذي أوحينا اليك من الكتاب﴾ القرآن ﴿هو الحق﴾ الثابت المأمور بقراءته وفوز قارئه ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ تقدمه من الكتب ﴿ان الله بعباده لخبير بصير﴾ عالم بالبواطن والظواهر .

٣٢ ﴿ثم أورثنا﴾ أعطينا ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ من أمتك ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ بالتقصير بالعمل به ﴿ومنهم مقتصد﴾ يعمل به أغلب الاوقات ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ يضم الى التعليم والارشاد والعمل ﴿باذن الله﴾ بارادته ﴿ذلك﴾ أي ايراثهم الكتاب ﴿هو الفضل الكبير﴾ .

٣٣ ﴿جنات عدن﴾ اقامة ﴿يدخلونها﴾ بالبناء للفاعل وقرىء للمفعول خبر جنات المبتدأ ﴿يحلون فيها من﴾ بعض ﴿أساور من ذهب ولؤلؤا﴾ مرصعا في الذهب ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ .

٣٤ ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ جميعه ﴿ان ربنا لغفور﴾ للذنوب ﴿شكور﴾ للطاعة .

٣٥ ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ أي الاقامة ﴿من فضله لا يمسنا فيها نصب﴾ تعب ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ أعياء من التعب لعدم التكليف فيها . وذكر الثاني التابع للاول للتصريح بنفيه . وهذا بيان لفضل حملة القرآن من بين الامة الاسلامية وبيان أن تلاوة القرآن أفضل ذكر .

ثم ذكر تعالى جزاء من كفر بالقرآن فقال :

٣٦ ﴿والذين كفروا﴾ بالقرآن ولم يؤمنوا به فلا يتلونه ولا يعملون به ﴿لهم نار جهنم لا يقضى عليهم﴾ بالموت ﴿فيموتوا﴾ يستريحوا ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفة عين ﴿كذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي كل كفور﴾ كافر بالنون وقرىء بالياء بضمها وفتح الزاي .

أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم
مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ
وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟
مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم
بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

٣٧ ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿ربنا أخرجنا﴾ منها ﴿نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل﴾ فيقال لهم: ﴿أولم نعمركم ما﴾ وقتا ﴿يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ الرسول فما أجبتم. وذلك الوقت هو عمر كل منهم فهو مختلف باختلافهم. روى البخاري «من عمره الله ستين سنة فقد أعذر الله اليه» أي اسقط عذره حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر ﴿فذوقوا فما للظالمين﴾ الكافرين ﴿من نصير﴾ يدفع العذاب عنهم الفاء لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها. من التعبير ومجيء النذير، وفي قوله فما للظالمين للتعليل. ثم رجع السياق لتركيز العقيدة الصحيحة في القلوب فقال:

٣٨ ﴿ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب فعلمه بغيره أولى بالنظر الى حال الناس.

٣٩ ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الارض﴾ جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضا ﴿فمن كفر﴾ منكم ﴿فعليه كفره﴾ أي وبال كفره ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا﴾ غضبا ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا﴾ للاخرة.

٤٠ ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي غيره وهم المعبودات العاقلة من الملائكة والصالحين والجن وغير العاقلة كالأوثان الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعالى ﴿أروني﴾ أخبروني ﴿ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك﴾ شركة مع الله ﴿في﴾ خلق ﴿السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة﴾ حجة ﴿منه﴾ بأن لهم معي شركة. أي لا شيء من ذلك ﴿بل ان﴾ ما ﴿يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا﴾ باطلا بقولهم الاصنام تشفع لهم.

مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ
أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى
ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ
فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ
تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ
وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾
وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن
دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾

٤١ ﴿إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا﴾ يمنعهما من الزوال ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿زالتا ان﴾ ما ﴿أمسكهما﴾ يمسكهما ﴿منْ أحد من بعده﴾ أي سواه ﴿انه كان حليما غفورا﴾ في تأخير عقاب الكفار .

٤٢ ﴿وأقسموا﴾ أي الكفار العرب ﴿بالله جهد أيمانهم﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لئن جاءهم نذير﴾ رسول ﴿ليكونن أهدى من احدى الامم﴾ اليهود والنصارى وغيرهم أي واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا اذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴿فلما جاءهم﴾ كفار العرب ﴿نذير﴾ محمد ﷺ ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿الا نفورا﴾ تباعدا عن الهدى .

٤٣ ﴿استكبارا في الارض﴾ عن الايمان مفعول له ﴿ومكر السيء﴾ عمل السوء من الشرك وغيره ﴿ولا يحيق﴾ يحيط ﴿المكر السيء الا بأهله﴾ وهو الماكر ووصف المكر بالسيء جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة واضافة «المكر» الى «السيء» قبله جاء على خلاف الأصل حيث اضيفت فيه الصفة الى الموصوف فيقدر مضاف اليه بعد «مكر» أي «ومكر العمل السيء» ﴿فهل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿الا سنت الاولين﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾ أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول الى غير مستحقه .

٤٤ ﴿أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء﴾ يسبقه ويفوته ﴿في السموات ولا في الارض انه كان عليما﴾ أي بالاشياء كلها ﴿قديرا﴾ عليها .

٤٥ ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ من المعاصي ﴿ما ترك على ظهرها﴾ أي الارض ﴿من دابة﴾ نسمة تدب عليها ﴿ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى﴾ أي يوم القيامة ﴿فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾ فيجازيهم على أعمالهم باثابة المؤمنين وعقاب الكافرين .

(٣٦) سُورَةُ يس مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ
غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾
وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

﴿ سورة يس مكية أومدنية ﴾

هي اثنتان وثمانون آية وموضوعها الرئيسي اثبات الرسالة من المرسل بالكسر والمرسل إليهم والمرسل به وأسلوب الدعوة الى الله تعالى. في قراءتها رضا الله وهي قلب القرآن وتعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه كل سوء.

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني.

٣ ﴿انك﴾ يا محمد ﴿لمن المرسلين﴾ الذين أرسلوا.

٤ ﴿على صراط مستقيم﴾ والمعنى انك لمن المرسلين انك على صراط مستقيم أي طريق الانبياء قبلك من التوحيد والهدى. والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له لست مرسلا.

٥ ﴿تنزيل العزيز﴾ في ملكه ﴿الرحيم﴾ بخلقه مبتدأ مقدر. أي القرآن وفيه إثبات المرسل بالكسر

٦ ﴿لتنذر﴾ به ﴿قوما﴾ متعلق بتنزيل ﴿ما أنذر آباؤهم﴾ أي لم ينذروا في زمن الفترة ﴿فهم﴾ أي القوم ﴿غافلون﴾ عن الايمان والرشد وفيه إثبات المرسل إليهم ثم نبه على أخلاقهم فقال:

٧ ﴿لقد حق القول﴾ وجب ﴿على أكثرهم﴾ بالعذاب ﴿فهم لا يؤمنون﴾ أي الاكثر.

٨ ﴿انا جعلنا في أعناقهم أغلالا﴾ بأن تضم اليها الايدي فتجمع اليد الى العنق ﴿فهي﴾ الايدي مجموعة ﴿الى الاذقان﴾ جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين ﴿فهم مقمحون﴾. رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للايمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

٩ ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدآ﴾ بفتح السين وقرىء بضمها في الموضعين ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ تمثيل أيضا لسد طرق الايمان عليهم.

١٠ ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم﴾ بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.

١١ ﴿انما تنذر﴾ ينفع انذارك ﴿من اتبع الذكر﴾ القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ عبده بالاخلاص وخافه ولم يكفر به ﴿فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ هو الجنة .

ثم بين تعالى ما ينطوي عليه الانذار والتبشير ، وما تضمنت عليه الرسالة أنطواه اجماليا وتجري تفاصيله في جميع السورة فقال :

١٢ ﴿انا نحن نحيي الموتى﴾ للبعث ﴿ونكتب﴾ في صحف الملائكة ﴿ما قدموا﴾ في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه ﴿وآثارهم﴾ ما استن له بعدهم من أثر حسن كعلم علموه ، أو كتاب صنفوه ، أو حبس أي وقف حبسوه ، أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك ، أو سيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين ، وسكة أحدثها فيها تخسيرهم ، وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه ونحو ذلك للخبر المشهور ومن سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من وزرهم شيء ، قدم الاحياء على الكتابة لان الاحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لامره . ﴿وكل شيء﴾ نصبه بفعل يفسره ﴿أحصيناه﴾ ضبطناه ﴿في امام مبين﴾ كتاب هو اللوح المحفوظ قبل الخلق وقبل الاحياء ، انما المقصود بكتابة الاثار المذكورة من أعمال العباد قطع الاعذار ، واثبات العدل في الحساب .

وبعد بيان اثبات الرسالة واثبات كون محمد ﷺ من الرسل على طريق الحق المستقيم ، والاشارة الى موضوع الدعوة وهو وجود الله المرسل بالكسر المدلول اليه بآثار خلقه ، والاشارة الى تدوين عمل أتباعه ﷺ من حسن وسيء .

بين أن عمل اتباع الرسل الذين يكونون على مرتبة الرسل الأصليين بحكم التبعة لا بالاصالة . فقال :

١٣ ﴿واضرب لهم مثلا﴾ مفعول أول ﴿أصحاب﴾ مفعول ثان ﴿القرية﴾ أنطاكية قاعدة العواصم من بلاد الروم ﴿اذ جاءها﴾ الى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية . ﴿المرسلون﴾ أي رسل عيسى وقصتهم تدل على إرسال عيسى لغير بني إسرائيل تمهيدا لرسالة محمد ﷺ التى تعم كافة الناس

١٤ ﴿اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما﴾ الى آخره بدل من اذ الاول أي أرسل عيسى عليه السلام رجلين من الحواريين الى أنطاكية فلما وصلا لباب الحصن وجدا شيخا يرعى غنما وهو حبيب النجار فسلما عليه ودعواه الى الدين

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ
فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ
وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ
جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾
وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾
قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿١٩﴾
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا

٥٨٠

فأجابهما بعد أن أرياه آية في اشفاء ابنه الذي كان مريضا منذ سنين ، فدعيا له فشفي ، ثم دخلا على الملك انطيخا من ملوك الروم وكان يعبد صنما فدعواه الى الدين فأبى وسجنهما وضرب بهما بالجلد ، فأرسل عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما ليبصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا حتى اتصل بالملك فأكرمه لانه كان يخفي ايمانه ، ثم لاطف الملك في شأن الرسولين الاولين فغضب الملك وأراد قتلهم جميعا فبلغ الخبر حبيبا النجار فجاء يستعطف قومه في احياء الرسل كما حكى الله تعالى فقال : ﴿فعززنا﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف الاثنين ﴿بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون﴾ .

١٥ ﴿قالوا﴾ أهل القرية ﴿ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان﴾ ما ﴿أنتم الا تكذبون﴾ .

١٦ ﴿قالوا﴾ الرسل ﴿ربنا يعلم﴾ جار مجرى القسم وزيد

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم
مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ
بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾
إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ
فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾
۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ
إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا

٥٨١

التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الانكار في ﴿انا اليكم لمرسلون﴾ .

١٧ ﴿وما علينا الا البلاغ المبين﴾ التبليغ الظاهر بالادلة الواضحة وهي ابراء الاكمه والابرص والمريض واحياء الميت من جنس معجزات عيسى عليه السلام والتابع في حكم المتبوع .

١٨ ﴿قالوا انا تطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بكم﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿لم تنتهوا لنرجمنكم﴾ بالحجارة ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ مؤلم .

١٩ ﴿قالوا﴾ الرسل ﴿طائركم﴾ شؤمكم ﴿معكم﴾ بكفركم ﴿أئن﴾ همزة استفهام دخلت على ان الشرطية وفي همزتها التحقيق وقرىء بالتسهيل وادخال ألف بينها بوجهيها وبين الاخرى ﴿ذكرتم﴾ وعظتم وخوفتم ، وجواب الشرط محذوف أي تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام المراد به التوبيخ ﴿بل انتم قوم مسرفون﴾ متجاوزون الحد بشرككم .

٢٠ ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل﴾ هو حبيب النجار المتقدم ذكره كان صاحب الغنم وقد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد ﴿يسعى﴾ يشتد عدوا لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ .

٢١ ﴿اتبعوا﴾ تأكيد للاول ﴿من لا يسئلكم أجرا﴾ على رسالته ﴿وهم مهتدون﴾ فقيل له أنت على دينهم . فقال :

٢٢ ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ خلقني أي لا مانع لي من عبادته . الموجود مقتضيها وأنتم كذلك ﴿واليه ترجعون﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم .

٢٣ ﴿أأتخذ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في «أأنذرتهم» وهو استفهام بمعنى النفي ﴿من دونه﴾ أي غيره ﴿آلهة﴾ أصناما ﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم﴾ التي زعمتموها ﴿شيئا ولا ينقذون﴾ صفة آلهة .

٢٤ ﴿اني اذا﴾ أي ان عبدت غير الله ﴿لفي ضلال مبين﴾ بين .

٢٥ ﴿اني آمنت بربكم﴾ الله الذي هو ربي ورب كل الخلق ﴿فاسمعون﴾ أي اسمعوا قولي سماع قبول . فرجموه فمات .

٢٦ ﴿قيل﴾ له عند موته ﴿ادخل الجنة﴾ أي بشر بدخولها وأنه من أهلها فكأنه قيل كان لقاؤه لربه بعد ذلك التصلب في دينه فقيل له ادخل الجنة ﴿قال يا﴾ حرف تنبيه ﴿ليت قومي يعلمون﴾ .

٢٧ ﴿بما غفر لي ربي﴾ بغفرانه ﴿وجعلني من المكرمين﴾ بالمجاهرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم .

ثم أخبر الله تعالى عن كيفية اهلاك أهل الرجل أي حبيب النجار بعدما قتلوه . فقال :

٢٨ ﴿وما﴾ نافية ﴿أنزلنا على قومه﴾ أي حبيب ﴿من بعده﴾ بعد موته ﴿من جند من السماء﴾ أي ملائكة لاهلاكهم ﴿وما كنا منزلين﴾ ملائكة لاهلاك أحد قبله لحقارة الامر وسهولته

٢٩ ﴿ان﴾ ما ﴿كانت﴾ عقوبتهم ﴿الا صيحة واحدة﴾ صاح بهم جبريل ﴿فاذا هم خامدون﴾ ساكتون ميتون . فنزول الملائكة بعد بعثة النبي ﷺ في بدر وفي غيره من المواطن لتكريمه ﷺ ولا تزال الملائكة تنزل لمساعدة اتباعه الدعاة الصالحين كما تقدم في آل عمران عند قوله تعالى « بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » .

جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ

ثم عقب تعالى عن القصة بما هو عام فقال :

٣٠ ﴿يا حسرة على العباد﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل أو الصالحين فأهلكوا وهي شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري ﴿ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون﴾ مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدي الى اهلاكهم المسبب عنه الحسرة .

٣١ ﴿ألم يروا﴾ أي العباد الموجودون المكذبون للنبي ﷺ والاستفهام للتقرير أي يعلموا ﴿كم﴾ خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة ما قبلها عن العمل . والمعنى أنا ﴿أهلكنا قبلهم﴾ كثيرا ﴿من القرون﴾ الامم ﴿أنهم﴾ أي المهلكين ﴿اليهم﴾ أي الموجودين ﴿لا يرجعون﴾ . أفلا يعتبرون بهم وانهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور .

٣٢ ﴿وان﴾ نافية أو مخففة ﴿كل﴾ أي كل الخلائق الاولين ﴿لما﴾ بالتشديد بمعنى الا وقرىء بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة ﴿جميع﴾ خبر المبتدأ أي مجموعون ﴿لدينا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿محضرون﴾ للحساب في مكان واحد وان كانوا في الدنيا مختلفين بحسب الازمان والاماكن والاجناس .

٣٣ ﴿وآية لهم﴾ على البعث خبر مقدم ﴿الارض الميتة﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿أحييناها﴾ بالماء مبتدأ ﴿وأخرجنا منها حبا﴾ كالحنطة ﴿فمنه يأكلون﴾ .

٣٤ ﴿وجعلنا فيها جنات﴾ بساتين ﴿من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ أي بعضها .

٣٥ ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ بفتحتين وقرىء بضمتين أي ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وما عملته أيديهم﴾ أي لم تعمل أيديهم الثمر وانما نحن عملناه ﴿أفلا يشكرون﴾ أنعمه تعالى عليهم .

لما ذكر تعالى تكذيب الامم لرسلهم وشركهم في عبادة ربهم نزه نفسه تعالى عن كل ما لا يليق به مما فعلوه . فقال :

٣٦ ﴿سبحان الذي خلق الازواج﴾ الاصناف ﴿كلها مما تنبت الارض﴾ من الحبوب وغيرها ﴿ومن أنفسهم﴾ من الذكور والاناث ﴿ومما لا يعلمون﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة .

٣٧ ﴿وآية لهم﴾ على القدرة العظيمة ﴿الليل نسلخ﴾ نفصل ﴿منه النهار فاذا هم مظلمون﴾ داخلون في الظلام .

٣٨ ﴿والشمس تجري﴾ الى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك ﴿لمستقر لها﴾ أي اليه لا تتجاوزه ﴿ذلك﴾ أي جريها ﴿تقدير العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه .

٣٩ ﴿والقمر﴾ بالنصب بفعل يفسره ما بعده وقرىء بالرفع للابتداء ﴿قدرناه﴾ من حيث سيره ﴿منازل﴾ ثمانية وعشرين منزلا في ثمان وعشرين ليلة ان كان تسعة وعشرين يوما أو تسعة وعشرين منزلاً إن كان ثلاثين يوما ﴿حتى عاد﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كالعرجون القديم﴾ أي كعود الشماريخ اذا قدم فانه يرق ويتقوس ويصفر .

٤٠ ﴿لا الشمس ينبغي لها﴾ أي لا يسهل ولا يصح لها ﴿ان تدرك القمر﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وكل﴾ تنوينه عوض عن المضاف اليه من الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلك﴾ مستدير ﴿يسبحون﴾ يسيرون نزلوا منزلة العقلاء . استدلوا بهذه الآية على أن السموات كروية مستديرة . قلت ويستدل بها أيضا على أن الشمس والقمر في فلك واحد يدوران .

مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا
هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا
كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ
مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾
مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا

٤١ ﴿وآية لهم﴾ على قدرتنا ﴿أنا حملنا ذريتهم﴾ بالافراد وفي قراءة «ذرياتهم» أي آباءهم الاصول ﴿في الفلك﴾ أي سفينة نوح ﴿المشحون﴾ المملوء .

٤٢ ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ أي مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى ﴿ما يركبون﴾ فيه .

٤٣ ﴿وإن نشأ﴾ اغراقهم ﴿نغرقهم﴾ مع ركوبهم لها ، اذ لا يحي الا بفضل الله تعالى ﴿فلا صريخ﴾ مغيث ﴿لهم ولا هم ينقذون﴾ ينجون .

٤٤ ﴿الا رحمة منا ومتاعا الى حين﴾ أي لا ينجيهم الا رحمتنا لهم وتمتيعنا اياهم بلذاتهم الى انقضاء آجالهم .

٤٥ ﴿واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم﴾ من عذاب الدنيا كغيركم ﴿وما خلفكم﴾ من عذاب الآخرة ﴿لعلكم ترحمون﴾ أعرضوا

٤٦ ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾

٤٧ ﴿واذا قيل﴾ قال المصلحون الناصحون ﴿لهم أنفقوا﴾ في سبيل الله ﴿مما رزقكم الله﴾ أي من ماله الذي جعله في أيديكم وأنتم وكلاء عليه ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ الناصحين على وجه الاستهزاء فيما أمروهم به من الانفاق ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ في معتقدكم هذا ﴿ان﴾ ما ﴿أنتم﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿الا في ضلال مبين﴾ بين . وفي التصريح بكفرهم موقع عظيم لبيان أن من يستهزيء بالدين فهو كافر ، ولو كان يفعل ما دعي اليه ، وفيه أيضا أشارة الى نوع من الكفار الزنادقة الذين لا يؤمنون بوجود الله الصانع المختار ويستهزيء بمن يدعوه اليه كأكثر مدعي الثقافة العصرية مع أنهم أشد الناس ضلالا وغباوة . واذا وعدوا بالبعث والجزاء أعرضوا عنهما .

٤٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالبعث ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيه أيها المدعون النصيحة لنا . قال تعالى :

٤٩ ﴿ما ينظرون﴾ أي ينتظرون ﴿الا صيحة واحدة﴾ وهي نفخة اسرافيل الأولى ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ بكسر الخاء وتشديد الصاد أصله يختصمون أدغمت التاء في الصاد وكسر الخاء للالتقاء الساكنين والصاد المشدودة وقرىء باختلاس فتحة الخاء وبفتحها على نقل حركة التاء المدغمة في الصاد اليها وبسكون الخاء وتخفيف الصاد . أي وهم في غفلة عنها يتخاصمون بتخاصم وتبايع وشرب وغير ذلك . وفي قراءة يخصمون كيضربون أي يخصم بعضهم بعضا .

٥٠ ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ أي أن يوصوا على أولادهم وأموالهم ﴿ولا الى أهلهم يرجعون﴾ من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها ، وكذلك موت الكفار وأغلب الفساق حتى لا يقص المرض من ذنوبهم شيئا ليناقشوا عليه عند الحساب . وأما المؤمن فيمرض ليستعد للموت ويوصي ويغسل به خطاياه فيلاقي الله وهو مغفور له .

٥١ ﴿ونفخ في الصور﴾ هو القرن النفخة الثانية للبعث . وبين النفختين أربعون سنة ﴿فاذا هم﴾ الخلائق ﴿من الاجداث﴾ القبور ﴿الى ربهم ينسلون﴾ يخرجون بسرعة .

مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ
فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ
مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾
سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ
أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ
ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ

٥٢ ﴿قالوا﴾ أي الكفار منهم ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ لانهم كانوا بين النفختين نائمين لأنهم يستريحون من العذاب قبيل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم فيجيبهم المؤمنون أو الملائكة ﴿هذا﴾ أي البعث مبتدأ يجب الوقف على ما قبله لئلا تحمل نعتا أو بدلا لمرقدنا ﴿ما﴾ أي الذي خبر ﴿وعد﴾ به ﴿الرحمن وصدق﴾ فيه ﴿المرسلون﴾ أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل هو من كلامهم أجابوا أنفسهم .

٥٣ ﴿ان﴾ ما ﴿كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا﴾ عندنا ﴿محضرون﴾ .

٥٤ ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون الا﴾ جزاء ﴿ما كنتم تعملون﴾ .

٥٥ ﴿ان أصحاب الجنة اليوم في شغل﴾ بضم الغين وقرىء بسكونها عما فيه أهل النار مما يلتذون به كالتزاور أو ضيافة الله أو النظر اليه أو التمتع مع أهليهم ، لا شغل يتعبون فيه لان الجنة لا نصب فيها ﴿فاكهون﴾ ناعمون خبر ثان لان والاول «في شغل» .

٥٦ ﴿هم﴾ مبتدأ ﴿وأزواجهم في ظلال﴾ جمع ظلة أو ظل و«في ظلال» خبر ، أي لا تصيبهم الشمس ﴿على الارائك﴾ جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها ﴿متكئون﴾ خبر ثان متعلق على .

٥٧ ﴿لهم فيها فاكهة ولهم﴾ فيها ﴿ما يدعون﴾ يتمنون .

٥٨ ﴿سلام﴾ مبتدأ ﴿قولا﴾ منصوب بنزع الخافض أي بالقول خبره ﴿من رب رحيم﴾ بهم أي يقول لهم سلام عليكم .

٥٩ ﴿و﴾ يقول للكفار ﴿امتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ أي انفردوا عن المؤمنين وليس المراد أنهم مختلطون معهم لان المؤمنين أدخلوا أولا في الجنة وقيل سلام قولا من رب العالمين ثم أمر الكفار بالانعزال أمر احتقار ثم يقرعون بقوله تعالى :

٦٠ ﴿ألم أعهد اليكم﴾ آمركم ﴿يابني آدم﴾ على لسان رسلي ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾ لا تطيعوه ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة .

٦١ ﴿وأن أعبدوني﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿هذا صراط مستقيم﴾ .

٦٢ ﴿ولقد أضل﴾ الشيطان ﴿منكم جبلا﴾ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل وفي قراءة بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام وفي قراءة بضم الباء أي طائفة من الخلق أقلها عشرة آلاف ولا يحصيه الا الله تعالى جمع جبيل كقديم ﴿كثيرا أفلم تكونوا تعقلون﴾ عداوته واضلاله لهم أو تعقلون ما حل بهم من العذاب فتؤمنوا .

٦٣ ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ بها .

تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا
أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ
يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا
اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ
فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا
يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ
مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا
يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ

٥٨٥

٦٤ ﴿اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون﴾ أي بكفركم في الدنيا . هنا آخر التقريع والتوبيخ لهم بعد الامر بالامتياز من قوله وامتازوا اليوم الخ .

ثم التفت السياق عن خطابهم وأخبر بما يحصل لهم عند الحساب فقال :

٦٥ ﴿اليوم﴾ يوم الحساب ﴿نختم على أفواههم﴾ أي الكفار لان أفواههم تعودت الكذب في الدنيا ولا تكاد تقول الحق في الآخرة كقولهم قبل ان يختم عليها «والله ربنا ما كنا مشركين» ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ على كلام أيديهم ﴿بما كانوا يكسبون﴾ يفعلون من المعاصي فتأخذهم باقرار أيديهم وشهادة أرجلهم عليهم . وكذلك كل عضو ينطق بما صدر منه ويشهد عليه عضو آخر بذلك .

ثم استطرد من ختم افواههم في الآخرة الى طمس اعينهم في الدنيا فقال تعالى :

٦٦ ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ لاعميناها طمسا ﴿فاستبقوا﴾ ابتدروا ﴿الصراط﴾ الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فانى﴾ كيف ﴿يبصرون﴾ حينئذ أي لا يبصرون .

٦٧ ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ قردة وخنازير أو حجارة ﴿على مكانتهم﴾ بالافراد وفي قراءة مكاناتهم جمع مكانة بمعنى مكان أي منازلهم ﴿فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون﴾ أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء .

٦٨ ﴿ومن نعمره﴾ باطالة أجله ﴿ننكسه﴾ بالتشديد مع الكسر في الكاف وضم النون الاولى وفتح الثانية من نكسه مبالغة وفي قراءة بفتح النون الاولى وسكون الثانية وضم الكاف خفيفة من التنكيس وهو نوع مسخ ﴿في الخلق﴾ أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفا وهرما ﴿أفلا يعقلون﴾ بالياء أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على مسخهم ان لم يؤمنوا .

ولما كان من موضوع السورة اثبات رسالة محمد ﷺ وأن ما جاء به تنزيل من رب العالمين عقب عنه تعالى بقوله :

٦٩ ﴿وما علمناه﴾ أي النبي ﴿الشعر﴾ رداً لقولهم ان ما أتى به من القرآن شعر ﴿وما ينبغي له﴾ لا يسهل له الشعر لان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع على الوزن والقافية مبني على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصل الى سعادة الدنيا والآخرة ﴿ان هو﴾ ليس الذي أتى به النبي ﴿الا ذكر﴾ عظة ﴿وقرآن مبين﴾ مظهر للاحكام وغيرها .

٧٠ ﴿لينذر﴾ بالياء وقرىء بالتاء الفوقانية أي به ﴿من كان حيا﴾ يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون ﴿ويحق القول﴾ بالعذاب ﴿على الكافرين﴾ وهم كالميتين ولا يخاطبون به .

ولما نزه تعالى القرآن عن الشعر لبعد الجائي به عن الشعر . وانه ذكر للعالمين ليؤمنوا . بين كيفية الاستدلال لمعرفة ذلك الرب المرسل بالكسر فقال :

٧١ ﴿أولم يروا﴾ يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أنا خلقنا لهم﴾ في جملة الناس ﴿مما عملت أيدينا﴾ أي عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أنعاما﴾ هي الابل والبقر والغنم ﴿فهم لها مالكون﴾ ضابطون

٧٢ ﴿وذللناها﴾ سخرناها ﴿لهم فمنها ركوبهم﴾ مركوبهم ﴿ومنها يأكلون﴾ .

٧٣ ﴿ولهم فيها منافع﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها

﴿ومشارب﴾ من لبنها جمع مشرب أو موضعه ﴿أفلا يشكرون﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنون أي ما فعلوا ذلك .

٧٤ ﴿واتخذوا من دون الله﴾ أي غيره ﴿آلهة﴾ أصناما وسائر المعبودات يعبدونها ﴿لعلهم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم .

٧٥ ﴿لا يستطيعون﴾ أي آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء ﴿نصرهم وهم﴾ أي آلهتهم من الاصنام ﴿لهم جند﴾ بزعمهم ﴿محضرون﴾ في النار معهم على معنى قوله «وقودها الناس والحجارة» وأتم هذا الدرس بقوله للنبي يسليه فقال :

٧٦ ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ لك لست مرسلا وقولهم ان الملائكة تشفع لهم بقوله﴿انا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ من ذلك وغيره فنجازيهم

وبعد ذكر المرسل بالدلائل وتوصل الناظر اليه ذكر تعالى المرسل اليهم فقال :

٧٧ ﴿أو لم ير الانسان﴾ يعلم الانسان ، والمقصود الجنس ﴿أنا خلقناه من نطفة﴾ مني الى أن صيرناه شديدا قويا ﴿فاذا هو خصيم﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مبين﴾ بينها في نفي الرسالة المثبتة للبعث .

٧٨ ﴿وضرب لنا مثلا﴾ في ذلك ﴿ونسي خلقه﴾ من المني وهو اغرب من مثله ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ أي بالية ولم يقل بالهاء أي رميمة لانه اسم لا صفة وروي ان واحدا منهم وهو عاصي بن وائل أخذ عظما رميما ففتته وقال للنبي ﷺ أترى يحيي الله هذا بعد ما بلي ورم فقال ﷺ « نعم ويدخلك النار »

٧٩ ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق﴾ مخلوق ﴿عليم﴾ مجملا ومفصلا قبل خلقه وبعد خلقه .

٨٠ ﴿الذي جعل لكم﴾ في جملة الناس ﴿من الشجر الاخضر﴾ المرخ والعفار أو كل شجر الا العناب ﴿نارا فاذا أنتم منه توقدون﴾ تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفيء النار ولا النار تحرق الخشب .

ثم ختم السورة بما يكون جوابا عن الشبهات ويثبت الالوهية والرسالة والبعث فقال :

٨١ ﴿أو ليس الذي خلق السموات والارض﴾ مع عظمهما ﴿بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ أي الاناس في الصغر ﴿بلى﴾ أي هو قادر على ذلك أجاب نفسه ﴿وهو الخلاق﴾ الكثير الخلق ﴿العليم﴾ بكل شيء .

يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ
مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن
نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا
أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ
كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٨٢ ﴿انما أمره﴾ شأنه ﴿اذا أراد شيئا﴾ أي خلق شيء ﴿أن يقول له كن فيكون﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على يقول :

٨٣ ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ ملك زيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على شيء ﴿واليه ترجعون﴾ تردون في الآخرة بعد البعث .

روى الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لكل شيء قلب وقلب القرآن يس» قال الغزالي لان الايمان صحته الاعتراف بالحشر والنشر وهذا المعنى مقرر فيها بأبلغ وجه يعني فشابهت القلب الذي به يصح البدن اهـ . ليس فيها الا تقرير الاصول الثلاثة الوحدانية والرسالة والحشر وهو القدر الذي يتعلق بالقلب، والجنان وأما الذي باللسان وبالاركان ففي غير هذه السورة فلما كان فيها

(٣٧) سورة الصافات مكية
وآياتها اثنتان وثمانون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّٰلِيَٰتِ
ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ
الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ
مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن
كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ
خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) فَاسْتَفْتِهِمْ
أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ

أعمال القلب لا عبر سماها قلبا ، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر لانه في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة ، والاعضاء ساقطة ، لكن القلب قد أقبل على الله ورجع عما سواه ، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة في قلبه ويشتد يقينه بالاصول الثلاثة . قاله الامام النسفي .

﴿ سورة الصافات مكية ﴾

هي مائة واثنتان وثمانون آية وموضوعها الرئيسي بيان أن عباد الله في الارض كالكواكب في السماء في الزينة ودرء الفساد ، وظهور جلالة قدرهم وأصالة أمورهم .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا﴾ أقسم الله تعالى بالمصلين يجعلون أنفسهم في الصفوف والصف جعل الشيء على خط مستقيم الصافات جمع الجمع يقال جماعة صافة ثم يجمع على الصافات .

٢ ﴿فالزاجرات زجرا﴾ فالعلماء الذين يزجرون العصاة ويدفعونهم عن المعاصي من الزجر وهو الدفع بقوة وهو فوق الصوت وزجرت الابل والغنم أذا فزعتها بصوتك .

٣ ﴿فالتاليات﴾ أي قراء القرآن يتلونه من الله ﴿ذكرا﴾ مصدر من معنى التاليات .

٤ ﴿ان الهكم﴾ أيها الناس الذي يرسل اليكم بالعلم المشبه بالنور ﴿لواحد﴾ .

٥ ﴿رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق﴾ أي المغارب للشمس التي تستمد منها النجوم والكواكب ضوءها مثل ما يستمد العلماء علمهم من الانبياء المشبهين بالشمس لها كل يوم من أيام السنة مشرق ومغرب .

لما أقسم بالمصلين والعلماء الزاجرين في الارض والرسل شبههم بالشمس والعلماء بالنجوم في السماء للزينة وطرد الشياطين فقال :

٦ ﴿انا زينا السماء الدنيا﴾ القربى من أهل الارض ﴿بزينة الكواكب﴾ أي بضوئها أو بها بتنوين زينة وما بعده بدل أي المزينة بالكواكب وقرىء بالاضافة للبيان .

٧ ﴿وحفظا﴾ منصوب بفعل مقدر أي حفظناها بالشهب ﴿من كل شيطان مارد﴾ عات خارج عن الطاعة .

٨ ﴿لا يسمعون﴾ أي الشياطين مستأنف وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه ﴿الى الملأ الاعلى﴾ أي الملائكة في السماء وعدي التسمع بالى لتضمنه معنى الاصغاء وأصله من تسمع ويتسمعون أدغمت التاء في السين وفي قراءة يسمعون بتخفيف السين والميم والمصدر السماع ﴿ويقذفون﴾ أي الشياطين بالشهب ﴿من كل جانب﴾ من آفاق السماء .

٩ ﴿دحورا﴾ مصدر دحره أي طرده وأبعده وهو مفعول له ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب واصب﴾ دائم .

١٠ ﴿الا من خطف الخطفة﴾ مصدر أي المرة والاستثناء . من ضمير يسمعون أي لا يسمع الا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فأتبعه شهاب﴾ كوكب مضيء ﴿ثاقب﴾ يثقبه أو يحرقه أو يخبله وكذلك في الارض علماء الخير والسنة بمنزلة الكواكب في زينة الارض ، وطرد البدع السيئة التي يدسها فيه علماء السوء المشبهين بالشياطين ، المطرودين بكلمة الحق ، وتزهق أباطيلهم وضلالاتهم .

بعد اثبات وصف علماء الخير المستمدين من علوم النبوة

المشبهة بالشمس، وهم بالكواكب وتزيينهم الارض وتنزيهها من شبهات الشياطين أمر تعالى نبيه أن يبدأ بارشاد قومه وأمته فقال :

١١ ﴿فاستفتهم﴾ استخبر قومك تقريرا للارشاد ﴿أهم أشد خلقا أم من خلقنا﴾ من الملائكة والسموات والارضين وما بينهما ، وفي الاتيان بمن تغليب العقلاء ﴿انا خلقناهم﴾ أي أصلهم آدم ﴿من طين لازب﴾ يلصق باليد ، المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بانكار النبي والقرآن المؤدي الى هلاكهم اليسير .

١٢ ﴿بل﴾ للانتقال من عرض الى آخر وهو الاخبار بحاله وحالهم ﴿عجبت﴾ بفتح التاء خطابا للنبي ﷺ أي من تكذيبهم اياك ﴿و﴾ هم ﴿يسخرون﴾ من كلامك لارشادهم الى الحق .

١٣ ﴿واذا ذكروا﴾ وعظوا بالقرآن ﴿لا يذكرون﴾ لا يتعظون.

١٤ ﴿واذا راوا آية﴾ تبين صدق دعوة رسالتك كانشقاق القمر ﴿يستسخرون﴾ يستهزئون بها .

١٥ ﴿وقالوا﴾ فيها ﴿إن﴾ ما ﴿هذا الا سحر مبين﴾ بين . وقالوا منكرين للبعث :

١٦ ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيق ، وقرىء بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين .

١٧ ﴿أو آباؤنا الاولون﴾ بفتح الواو والهمزة للاستفهام والعطف بالواو والمعطوف عليه محل ان واسمها أو الضمير في لمبعوثون ، والفاصل همزة الاستفهام . وفي قراءة بسكون الواو فاو حرف عطف للشك ، أي أنحن مبعوثون أو آباؤنا الاولون .

١٨ ﴿قل نعم﴾ تبعثون ﴿وأنتم داخرون﴾ صاغرون .

١٩ ﴿فانما هي﴾ ضمير مبهم يفسره ﴿زجرة﴾ أي صيحة ﴿واحدة فاذا هم﴾ أي الخلائق أحياء ﴿ينظرون﴾ ما يفعل بهم .

٢٠ ﴿وقالوا﴾ أي الكفار ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه . وتقول لهم الملائكة ﴿هذا يوم الدين﴾ أي الحساب والجزاء .

٢١ ﴿هذا يوم الفصل﴾ بين الخلائق ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ . ويقال للملائكة :

٢٢ ﴿أحشروا الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وأزواجهم﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿وما كانوا يعبدون﴾ .

٢٣ ﴿من دون الله﴾ أي غيره من الاوثان ﴿فاهدوهم﴾ دلوهم وسوقوهم ﴿الى صراط الجحيم﴾ طريق النار .

لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا
لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا
إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ
وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ
يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا
يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * احْشُرُوا
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ
مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ
مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾
قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ

٢٤ ﴿وقفوهم﴾ احبسوهم عند الصراط ﴿انهم مسؤولون﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويقال لهم توبيخا .

٢٥ ﴿مالكم لا تناصرون﴾ لا ينصر بعضكم بعضا كحالكم في الدنيا ويقال لهم :

٢٦ ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ منقادون أذلاء .

٢٧ ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يتلاومون ويتخاصمون .

٢٨ ﴿قالوا﴾ الاتباع منهم للمتبوعين ﴿انكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم عنها لحلفكم أنكم على حق فصدقناكم . المعنى أنكم أضللتمونا .

تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا
لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ
بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ
مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾
إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ
مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ

٢٩ ﴿قالوا﴾ المتبوعون لهم وأجابوهم بأجوبة خمسة فقالوا للجواب الاول ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ وانما يصدق الاضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الايمان الينا . والجواب الثاني :

٣٠ ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ قوة وقدرة نقهركم على متابعتنا . والجواب الثالث ﴿بل كنتم قوما طاغين﴾ ضالين مثلنا والرابع :

٣١ ﴿فحق علينا﴾ وجب علينا جميعا ﴿قول ربنا﴾ بالعذاب أي قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿انا﴾ جميعا ﴿لذائقون﴾ العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم للجواب الخامس .

٣٢ ﴿فأغويناكم﴾ المعلل بقولهم ﴿انا كنا غاوين﴾ أي فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة ، فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين ، فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك الدعوة لتكونوا أمثالنا في الغواية ، فلا ينافي قولهم أولا «وما كان لنا عليكم من سلطان» لان ذلك انفي السلطان للداعي وهذا لاثبات الاختيار للمدعو . ثم لم يكن للتابعين جواب آخر . فعقب تعالى على قصتهم فقال :

٣٣ ﴿فانهم يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿في العذاب مشتركون﴾ أي لاشتراكهم في الغواية .

٣٤ ﴿انا كذلك﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نفعل بالمجرمين﴾ غير هؤلاء أي نعذبهم ، التابع منهم والمتبوع .

٣٥ ﴿انهم﴾ أي هؤلاء بقرينة ما بعده ﴿كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون﴾ .

٣٦ ﴿ويقولون أئنا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون﴾ أي لاجل قول محمد وهو متصف في رأينا بكونه شاعرا مجنونا ، أي لا نتركها لكلامه . قال تعالى :

٣٧ ﴿بل﴾ أي ليس بشاعر ولا مجنون ولكن ﴿جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ الجائين بما جاء به وهو أن لا اله الا الله .

٣٨ ﴿انكم﴾ فيه التفات من الغيبة الى الخطاب لاظهار كمال الغضب عليهم ﴿لذائقو العذاب الاليم﴾ .

٣٩ ﴿وما تجزون الا﴾ جزاء ﴿ما كنتم تعملون﴾ .

٤٠ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي المؤمنين استثناء منقطع أي ذكره ليرتب عليه ذكر جزائهم بقوله :

٤١ ﴿أولئك﴾ الى آخره ﴿لهم﴾ في الجنة ﴿رزق معلوم﴾ بكرة وعشيا .

٤٢ ﴿فواكه﴾ بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذا لا لحفظ صحة ، لان أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للابد ﴿وهم مكرمون﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى .

٤٣ ﴿في جنات النعيم﴾

٤٤ ﴿على سرر متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض .

٤٥ ﴿يطاف عليهم﴾ على كل منهم ﴿بكأس﴾ هو الاناء بشرابه ﴿من معين﴾ من خمر يجري على وجه الارض كأنهار الماء

٤٦ ﴿بيضاء﴾ أشد بياضا من اللبن ﴿لذة﴾ لذيذة ﴿للشاربين﴾ بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب .

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ
عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى
قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم
مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ
خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً
لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾

٤٧ ﴿لا فيها غول﴾ ما يغتال عقولهم ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ بفتح الزاي مبني للمفعول وقرىء بكسرها للفاعل من نزف الشارب وانزف أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا .

٤٨ ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ حابسات الاعين على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عين﴾ ضخام الاعين حسانها .

٤٩ ﴿كأنهن﴾ في اللون ﴿بيض﴾ للنعام ﴿مكنون﴾ مستور بريشة لا يصل اليه غبار ، ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء .

٥٠ ﴿فاقبل بعضهم﴾ بعض أهل الجنة ﴿على بعض يتساءلون﴾ عما مر بهم في الدنيا .

٥١ ﴿قال قائل منهم اني كان لي قرين﴾ صاحب ينكر البعث ..

٥٢ ﴿يقول﴾ لي تبكيتا ﴿أئنك لمن المصدقين﴾ بالبعث .

٥٣ ﴿أاذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم ﴿لمدينون﴾ مجزيون ومحاسبون أنكر ذلك أيضا .

٥٤ ﴿قال﴾ ذلك القائل لاخوانه ﴿هل أنتم مطلعون﴾ معي الى النار لننظر حاله ، فيقولون لا .

٥٥ ﴿فاطلع﴾ ذلك القائل من بعض كوى الجنة ﴿فرآه﴾ أي رأى قرينه ﴿في سواء الجحيم﴾ أي وسط النار .

٥٦ ﴿قال﴾ له تشميتا ﴿تا لله ان﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كدت﴾ قاربت ﴿لتردين﴾ لتهلكني باغوائك .

٥٧ ﴿ولولا نعمة ربي﴾ علي بالايمان ﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في النار ويقول أهل الجنة :

٥٨ ﴿أفما نحن بميتين﴾ .

٥٩ ﴿الا موتتنا الاولى﴾ أي التي في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب .

٦٠ ﴿ان هذا﴾ الذي ذكر لاهل الجنة ﴿لهو الفوز العظيم﴾ لا فوز أعظم منه قال الله تعالى :

٦١ ﴿لمثل هذا﴾ الفوز ﴿فليعمل العاملون﴾ في طلبه والعمل في طلبه انما يكون بموافقة السنة عملا وتركا . ومن عمل للحظوظ الدنيوية لم يفز الا بالآلام والتمتع القليل السريع الانصرام .

وبعد ذكر نعم الجنة للعاملين المؤمنين ذكر تعالى العذاب المعد للكافرين فقدم الكلام بصيغة المقارنة في السؤال فقال :

٦٢ ﴿أذلك﴾ المذكور لهم ﴿خير نزلا﴾ وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره ﴿أم شجرة الزقوم﴾ المعدة لاهل النار وهي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي .

٦٣ ﴿انا جعلناها﴾ بذلك ﴿فتنة للظالمين﴾ أي الكافرين من أهل مكة ، اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته .

٦٤ ﴿انها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ أي قعر جهنم ، وأغصانها ترتفع الى دركاتها وليس بعجيب فاليوم يخرج الثلج

طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ
حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ
أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ
يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ
نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ
ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

٥٩١

من الكهرباء كما يخرج الماء الحار منه .

٦٥ ﴿طلعها﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ في تناهي القبح والهول وهو تشبيه كالمتخيل كتشبيه العاشق في الحسن بالملك .

٦٦ ﴿فانهم﴾ أي الكفار ﴿لآكلون منها﴾ مع قبحها لقهرهم على الاكل منها ﴿فمالئون منها البطون﴾ .

٦٧ ﴿ثم ان هم عليها لشوبا من حميم﴾ أي ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبا له .

٦٨ ﴿ثم ان مرجعهم لالى الجحيم﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها

ثم بين سبب تغفيهم بما ذكر فقال :

٦٩ ﴿إنهم ألفوا﴾ وجدوا ﴿آباءهم ضالين﴾ .

٧٠ ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يزعجون الى اتباعهم فيسرعون اليه .

٧١ ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين﴾ من الامم الماضية .

٧٢ ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ من الرسل مخوفين .

٧٣ ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ الكافرين أي عاقبتهم العذاب .

٧٤ ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ بفتح اللام أي المؤمنين فانهم نجوا من العذاب لان الله أخلصهم للعبادة وقرىء بكسرها أي لاخلاصهم في العبادة ، هذا الاستثناء أيضا منقطع مثل الذي قبله ، الا أن الاول يدل على نجاة المؤمنين المخلصين العمل من عذاب الآخرة ، والثاني على نجاتهم من عذاب الدنيا .

ثم مثل تعالى انجاءه للمخلصين من عذاب الدنيا ، واهلاك الكافرين وليذكر بمن تنورت الدنيا ودرىء بهم عنها الفساد الذي ينتشر من شياطينها . ولتفصيل قوله تعالى قبل «ولقد أرسلنا فيهم منذرين» فقال :

٧٥ ﴿ولقد نادانا نوح﴾ بقوله «رب اني مغلوب فانتصر» ﴿فلنعم المجيبون﴾ له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق .

٧٦ ﴿ونجيناه وأهله﴾ زوجه وأولاده الثلاث مع زوجاتهم الثلاث ، وقيل الذين آمنوا به وهم ثمانون شخصا في السفينة . ﴿من الكرب العظيم﴾ أي الغرق .

٧٧ ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام ، وكان له ثلاثة أولاد . سام وهو أبو العرب وفارس والروم ، وحام وهو أبو السودان ، ويافث وهو ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك .

٧٨ ﴿وتركنا﴾ أبقينا ﴿عليه﴾ ثناء حسنا ﴿في الآخرين﴾ من الانبياء والامم الى يوم القيامة .

٧٩ ﴿سلام﴾ منا ﴿على نوح في العالمين﴾ .

٨٠ ﴿انا كذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي المحسنين﴾ .

٨١ ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ الذين أشرقت الدنيا بهم ، ودرئت بهم عنها المفاسد التي تنشرها الشياطين .

٨٢ ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ كفار قومه .

۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾
أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى
سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ
عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ
أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ
كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ
رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾
فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ

٨٣ ﴿وان من شيعته﴾ أي ممن تابعه في أصل الدين ﴿لابراهيم﴾ وان طال الزمان بينهما وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة ، وكان بينهما هود وصالح .

٨٤ ﴿اذ جاء ربه﴾ أي تابعه وقت مجيئه ﴿بقلب سليم﴾ من الشك وغيره من آفات القلوب ومن العلائق .

٨٥ ﴿اذ قال﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لأبيه وقومه﴾ موبخاً ﴿ماذا﴾ ما الذي ﴿تعبدون﴾ .

٨٦ ﴿أئفكا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿آلهة دون الله تريدون﴾ وافكا مفعول له . وآلهة مفعول به لتريدون ، والافك أسوأ الكذب ، أي تعبدون غير الله

٨٧ ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ ان عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب ، والجواب لا . وكانوا نجامين ، وبلدهم بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز ، فخرجوا الى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم ، زعموا التبرك عليه ، فاذا رجعوا اكلوه وقالوا للسيد ابراهيم اخرج معنا .

٨٨ ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ ايهاما لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه لان النظر في النجوم عندهم كان مستعملا منظورا فيه .

٨٩ ﴿فقال اني سقيم﴾ عليل أي سأسقم .

٩٠ ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ .

٩١ ﴿فراغ﴾ مال في خفية ﴿الى آلهتهم﴾ وهي الاصنام وعندها الطعام . ﴿فقال﴾ استهزاء ﴿الا تأكلون﴾ فلم ينطقوا فقال :

٩٢ ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ فلم يجب .

٩٣ ﴿فراغ عليهم ضربا باليمين﴾ بالقوة فكسرها فبلغ قومه ممن رآه .

٩٤ ﴿فأقبلوا اليه يزفون﴾ أي يسرعون المشي فقالوا له نحن نعبدها وأنت تكسرها

٩٥ ﴿قال﴾ لهم موبخا ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ من الحجارة وغيرها أصناما .

٩٦ ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده ، وما مصدرية ، وقيل موصولة ، وقيل موصوفة .

٩٧ ﴿قالوا﴾ بينهم ﴿ابنوا له بنيانا﴾ فاملأوه حطبا ، واضرموه بالنار ، فاذا التهب ﴿فألقوه في الجحيم﴾ النار الشديدة .

٩٨ ﴿فأرادوا به كيدا﴾ بالقائه في النار لتهلكه ﴿فجعلناهم الاسفلين﴾ المقهورين ، فخرج من النار سالما .

٩٩ ﴿وقال اني ذاهب الى ربي﴾ مهاجرا اليه من دار الكفر ﴿سيهدين﴾ الى حيث أمرني ربي بالمصير اليه وهو الشام . قال مقاتل هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة زوجته الى الارض المقدسة ، فلما وصل اليها قال :

١٠٠ ﴿رب هب لي﴾ ولدا ﴿من الصالحين﴾ للدعوة اليك والطاعة لامرك ويؤنسني في الغربة .

١٠١ ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ على لسان الملائكة غير الذين جاؤه أضيافا فبشروه بولد ذي حلم كثير وهو اسماعيل لانه أول أولاده بعد المحنة ، فزيد به محنة أخرى ، فأمر أن يحمله مع أمه هاجر من الشام الى محل البيت بمكة ليقيموا الصلاة ، وكان يزورهم هناك .

يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ
قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيۡنَٰهُ
أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦)
وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ (١٠٧) وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (١٠٨)
سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١١٠)
إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٢) وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ (١١٣) وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ (١١٤) وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ (١١٥)
وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ (١١٦) وَءَاتَيۡنَٰهُمَا

١٠٢ ﴿فلما بلغ﴾ الغلام ﴿معه﴾ مع ابراهيم ﴿السعي﴾ العمل معه ويعينه في أمر الدعوة الى الله والعبادة : قيل سبع سنين ، وقيل اثنا عشر عاماً ، أمر بذبحه والسبب أن الله اختاره خليلا . فلا ينبغي لخليل الله أن يشرك حب الله بحب الولد في قلبه ﴿قال يا بني اني أرى﴾ أي رأيت ﴿في المنام أني أذبحك﴾ ورؤيا الانبياء حق وأفعالهم بأمر الله ، وكان الوحي هنا بالرؤيا زيادة في الابتلاء ، هل يحمله حب الولد على تأويل الرؤيا بشيء آخر ﴿فانظر ماذا ترى﴾ من الرأي ، شاوره ليأنس بالذبح وينقاد لامر ربه . ﴿قال يا أبت﴾ التاء عوض عن ياء الاضافة ﴿افعل ما تؤمر﴾ به ﴿ستجدني ان شاء الله من الصابرين﴾ على ذلك . ففي كلام الغلام ما يدل على كمال عقله ، وتعظيمه للاب ، وايمانه برسالته وبربه الذي أرسل أباه ، والطاعة له والصبر على تحمل المحنة ، ورد الامر الى الله ، وقوة النفس ومعرفة أن لله عبادا صابرين على ما كلفهم الله به مهما كان الامر ، فينبغي أن لا يخرج هو منهم ، وأن الحياة الدنيا في جانب أمر الله ليست بشيء ، وفيه قضاء حاجة الاب الذي دعا ربه أن يهبه ولدا من الصالحين ، وتشريفه بأنه ممن يستجاب لهم دعواتهم عند ربهم . وغير ذلك .

١٠٣ ﴿فلما أسلما﴾ خضعا وانقادا لامر الله تعالى ﴿وتله للجبين﴾ صرعه عليه ولكل انسان جبينان بينهما الجبهة ، وكان ذلك في منى ، وأمر السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الالهية .

١٠٤ ﴿وناديناه أن يا ابراهيم﴾ .

١٠٥ ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي يكفيك ذلك ، وجملة «ناديناه» جواب «لما» بزيادة الواو ﴿انا كذلك﴾ كما جزيناك ﴿نجزي المحسنين﴾ لانفسهم بامتثال الامر بافراج الشدة عنهم .

١٠٦ ﴿ان هذا﴾ الذبح المأمور به ﴿لهو البلاء المبين﴾ أي الاختبار الظاهر .

١٠٧ ﴿وفديناه﴾ أي المأمور بذبحه وهو اسماعيل كما تقدم ﴿بذبح عظيم﴾ بكبش من الجنة وهو الذي قربه هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد ابراهيم مكبرا ووصفه بالعظمة لانه أصل الاضاحي والهدايا ، وأنه ربط بين الطاعتين ، طاعة هابيل ، وطاعة ابراهيم مع ابنه الصابر ، فقبل مرتين .

١٠٨ ﴿وتركنا﴾ أبقينا ﴿عليه في الآخرين﴾ ثناء حسنا .

١٠٩ ﴿سلام﴾ منا ﴿على ابراهيم﴾ .

١١٠ ﴿كذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾ لانفسهم .

١١١ ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ .

١١٢ ﴿وبشرناه باسحاق﴾ استدل بذلك على أن الذبيح غيره والمبشرون هنا الملائكة الذين جاءوه على صفة الضيوف في طريقهم الى قرى قوم لوط ﴿نبيا﴾ حال مقدرة ، أي يوجد مقدرا نبوته لانه وقت البشارة لم يكن اسحاق نبيا الا بعد بلوغه الوقت ﴿من الصالحين﴾ .

١١٣ ﴿وباركنا عليه﴾ بتكثير ذريته والضمير لابراهيم ﴿وعلى اسحق﴾ ولده بجعلنا أكثر الانبياء من نسله ﴿ومن ذريتهما محسن﴾ لنفسه بالطاعة ﴿وظالم لنفسه﴾ كافر ﴿مبين﴾ بين ظلمه لنفسه ففيه تنبيه على أن النسب لا تأثير له في الهداية والضلال . وان الظلم في أعقاب الصالح لا يعود عليه بالنقيصة وأما الصالحية من الآباء أو الابناء فانها تزيد الجانبين اذا كانت فيهما وزادت في جانب واحد على الآخر منهما . كما قال تعالى «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم» الخ .

الكتب المستبين ﴿١١٧﴾ وهديناهما الصرط
المستقيم ﴿١١٨﴾ وتركنا عليهما في الآخرين ﴿١١٩﴾ سلم على
موسى وهرون ﴿١٢٠﴾ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴿١٢١﴾
إنهما من عبادنا المؤمنين ﴿١٢٢﴾ وإن إلياس لمن
المرسلين ﴿١٢٣﴾ إذ قال لقومه ألا تتقون ﴿١٢٤﴾ أتدعون
بعلا وتذرون أحسن الخلقين ﴿١٢٥﴾ الله ربكم ورب
ءابائكم الأولين ﴿١٢٦﴾ فكذبوه فإنهم لمحضرون ﴿١٢٧﴾
إلا عباد الله المخلصين ﴿١٢٨﴾ وتركنا عليه في الآخرين ﴿١٢٩﴾
سلم على إل ياسين ﴿١٣٠﴾ إنا كذلك نجزي
المحسنين ﴿١٣١﴾ إنه من عبادنا المؤمنين ﴿١٣٢﴾ وإن
لوطا لمن المرسلين ﴿١٣٣﴾ إذ نجينه وأهله أجمعين ﴿١٣٤﴾
إلا عجوزا في الغبرين ﴿١٣٥﴾ ثم دمرنا الآخرين ﴿١٣٦﴾

ثم ذكر تعالى موسى وهارون فقال :

١١٤ ﴿ولقد مننا﴾ أي أنعمنا ﴿على موسى وهرون﴾ بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية .

١١٥ ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ بني اسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ أي استعباد فرعون اياهم .

١١٦ ﴿ونصرناهم﴾ على القبط ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ .

١١٧ ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والاحكام وغيرها ، وهو التوراة .

١١٨ ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ أي الشريعة التي أعطيناهما ليتبعها بنو اسرائيل .

١١٩ ﴿وتركنا﴾ أبقينا ﴿عليهما في الآخرين﴾ ثناء حسنا

١٢٠ ﴿سلام﴾ منا ﴿على موسى وهرون﴾ .

١٢١ ﴿انا كذلك﴾ كما جزيناهما ﴿نجزي المحسنين﴾ .

١٢٢ ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ الذين استنارت بهم الارض ، ودرءوا عنها الفساد ، واستفاد بهم غيرهم .

ثم ذكر تعالى الياس فقال :

١٢٣ ﴿وان إلياس﴾ بالهمز أوله ، أي جعلها همزة قطع ، وفي قراءة بجعلها همزة وصل . قيل هو ابن أخي هارون أخي موسى ، وقيل من سبط هارون لانه ابن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران وقيل غير ذلك والله أعلم . أرسل الى قرية بعلبك ونواحيها . قيل انه حي عمر كما عمر الخضر وأنه يبقى الى آخر الدنيا ، قيل يلتقي مع الخضر في كل سنة يصومان رمضان ببيت المقدس يحضران موسم الحج وذكر ابن ابي الدنيا انهما يقولان عند فراقهما عن الموسم ما شاء الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء الله ما شاء الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل . وقيل كان له صفة موسى في الغضب والقوة . نشأ نشأة حسنة يعبد الله وجعله نبيا رسولا ، وآتاه الله آيات ، وسخر له الجبال والاسود وغيرها ، . وأعطاه قوة سبعين نبيا ، ذكره الثعلبي ﴿لمن المرسلين﴾ الذين استنارت بهم الارض ودرءوا عنها الفساد .

١٢٤ ﴿اذ﴾ منصوب باذكر مقدرا ﴿قال لقومه الا تتقون﴾ الله

١٢٥ ﴿أتدعون بعلا﴾ اسم صنم لهم من ذهب ، وبه سمي البلد أيضا مضافا الى بك وركب تركيب مزج ، واسم البلد أولا بك ثم أضيف الى بعل اضافة العجمة أي أتعبدونه ﴿وتذرون﴾ تتركون ﴿أحسن الخالقين﴾ فلا تعبدونه .

١٢٦ ﴿الله ربكم ورب ابائكم الاولين﴾ بنصب الثلاثة على البدل من «أحسن» وقرىء برفعها على اضمار هو .

١٢٧ ﴿فكذبوه فانهم لمحضرون﴾ في النار

١٢٨ ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ أي المؤمنين منهم ، الذين أخلصهم الله لعبادته ، فانهم نجوا منها .

١٢٩ ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ ثناء حسنا

١٣٠ ﴿سلام﴾ منا ﴿على ال ياسين﴾ جمع الياس جمع سلامة لغة فيه ، وقيل هو وقومه كان كل واحد منهم سمي الياس ، وفي قراءة بفتح الهمزة ومدها أي آل مضاف الى سين على أنه ابن سين وآله . والمقصود هو الياس المتقدم ذكره . وقيل هو ومن آمن معه

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى
الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ
الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ

فجمعوا معه تغليبا كقولهم للمهاب وقومه المهابون .

١٣١ ﴿انا كذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾ .

١٣٢ ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ الذين استنارت بهم الارض وتزينت ودرىء بهم الفساد عنها .

ثم ذكر تعالى لوطا عليه السلام فقال :

١٣٣ ﴿وان لوطا لمن المرسلين﴾ الذين أناروا الارض ودرءوا عنها الفساد ،اذكر :

١٣٤ ﴿اذ نجيناه وأهله أجمعين﴾

١٣٥ ﴿الا عجوزا في العابرين﴾ أي الباقين في العذاب .

١٣٦ ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ كفار قومه فأهلكناهم .

١٣٧ ﴿وانكم﴾ معشر قريش ﴿لتمرون عليهم﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مصبحين﴾ أي وقت الصباح يعني بالنهار .

١٣٨ ﴿وبالليل أفلا تعقلون﴾ يا قوم ما حل بهم فتعتبروا به وتؤمنوا بمحمد رسولكم من الله .

ثم ذكر تعالى قصة يونس فقال :

١٣٩ ﴿وان يونس﴾ هو ذو النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز التي نزل عليها الياس فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر ويونس صبي يرضع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها ، ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ، ثم تركها الياس ولحق بالجبال وكان قد دعا لابنها يونس فنبيء ﴿لمن المرسلين﴾ الذين استنارت الارض بهم ودفع بهم عنها الفساد . واذكر :

١٤٠ ﴿اذ أبق﴾ هرب ﴿الى الفلك المشحون﴾ السفينة المملوءة حين غاضب قومه ، حين أبوا عن الايمان به وبما جاء به من الله ، فتركهم وركب السفينة ، فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة .

١٤١ ﴿فساهم﴾ قارع أهل السفينة ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر

١٤٢ ﴿فالتقمه الحوت﴾ ابتلعه ﴿وهو مليم﴾ أي آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر ، وركوبه السفينة بلا اذن من ربه ظنا منه أنه لا حاجة الى انتظار اذن في مفارقة من أبى الايمان بالله بعد طول الانذار .

١٤٣ ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ الذاكرين الله بقوله كثيراً في بطن الحوت «لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين» .

١٤٤ ﴿للبث في بطنه الى يوم يبعثون﴾ لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة ..

١٤٥ ﴿فنبذناه﴾ القيناه من بطن الحوت ﴿بالعراء﴾ بوجه الارض أي بالساحل من يومه ، أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام ، أو عشرين أو أربعين يوما ﴿وهو سقيم﴾ عليل ممعط بضم الميم الاولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء كذلك أي المنتوف شعره .

١٤٦ ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له ودواء فان الذباب لا يقربه ، وكانت تأتيه وعلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوي .

١٤٧ ﴿وأرسلناه﴾ بعد ذلك كقبله الى قوم نينوى من أرض الموصل ﴿الى مائة ألف أو﴾ بل ﴿يزيدون﴾ عشرين أو ثلاثين

سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾
وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ
ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ
عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا
مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾
وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾
لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾
وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ
ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ
عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾

٥٩٦

و سبعين ألفا .

١٤٨ ﴿فآمنوا﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فمتعناهم﴾ أبقيناهم ممتعين بما لهم ﴿الى حين﴾ تنقضي آجالهم فيه ، فان التوبة من الذنوب تنفع صاحبها قبل نزول العذاب به ، وقبل الاحتضار والغرغرة .

ثم عقب تعالى عن دروس السورة بتعقيبات قيمة للارشادات فقال :

١٤٩ ﴿فاستفتهم﴾ استخبر الكفار توبيخا لهم ﴿ألربك البنات﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿ولهم البنون﴾ فيختصون بالاسنى .

١٥٠ ﴿أم خلقنا الملائكة أناثا وهم شاهدون﴾ خلقنا فيقولون ذلك .

١٥١ ﴿ألا انهم من افكهم﴾ كذبهم ﴿ليقولون﴾

١٥٢ ﴿ولد الله﴾ بقولهم الملائكة بنات الله ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيه

١٥٣ ﴿أصطفى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام ، واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت أي اختار ﴿البنات على البنين﴾ .

١٥٤ ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد .

١٥٥ ﴿أفلا تذكرون﴾ بادغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد .

١٥٦ ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ حجة واضحة أن لله ولدا .

١٥٧ ﴿فأتوا بكتابكم﴾ ان كان لكم كتاب على ما حكمتم به من هذا ﴿ان كنتم صادقين﴾ في قولكم ذلك . هذا رد على من كان يعبد الملائكة من العرب .

ثم قال تعالى للرد على من يعبد الجن من العرب وغيرهم فقال :

١٥٨ ﴿وجعلوا﴾ أي المشركون ﴿بينه﴾ تعالى ﴿وبين الجنة نسبا﴾ وهم أولاد إبليس قال مجاهد : قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضي الله عنه فمن أمهاتهن ؟ قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ؛ فالنسب الذي جعلوه بينه تعالى وبين الجن المصاهرة فيعبدونهم بذلك ليشفعوا لهم عند الله قال الله تعالى ردا لزعمهم الباطل ﴿ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون﴾ مع قائلي ذلك القول في الحساب ، أو في النار يعذبون معهم ، أي يدخلون النار مع الذين ينسبونهم الى الله ويعبدونهم بذلك وهم راضون به ، كقوله تعالى «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» قال الله تعالى :

١٥٩ ﴿سبحان الله﴾ تنزيها له ﴿عما يصفون﴾ بأن لله ولدا أو زوجا .

١٦٠ ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ من الجن فانهم لا يدخلون النار ، لانه تعالى أخلصهم لعبادته ، فلا يعذبهم ، ولم يستثن من الملائكة بقوله الا عباد الله المخلصين ؛ كما كان يستثني بعد ذكر الامم الهالكة من جنس الناس والجن ، لان الملائكة كلهم معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ثم التفت تعالى بالخطاب الى الكفار الموجودين من هذه الامة فقال :

١٦١ ﴿فانكم وما تعبدون﴾ من الاصنام أو الجن .

١٦٢ ﴿ما أنتم عليه﴾ أي على ضلالكم ﴿بفاتنين﴾ أي أحدا .

١٦٣ ﴿الا من هو صال الجحيم﴾ في علم الله تعالى ، أي لا تضلون بأقوالكم الزائفة أحدا الا من أراد الله اهلاكه ودخوله

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ
صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾
وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(٣٨) سورة ص مكية
وآياتها ثمان وثمانون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ
وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟
وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ

النار فيفتتن بأباطيلكم ويتبعكم في عبادتكم الملائكة أو الجن أو الاصنام . وأما الملائكة فانهم يعرفون مقامهم عند الله فلا يعصونه ، ويقولون :

١٦٤ ﴿وما منا﴾ معشر الملائكة أحد ﴿الا له مقام معلوم﴾ في السموات يعبد الله فيه ولا يتجاوزه .

١٦٥ ﴿وانا لنحن الصافون﴾ أقدامنا في الصلاة .

١٦٦ ﴿وانا لنحن المسبحون﴾ المنزهون الله عما لا يليق به فلا يمكننا أن نشرك بالله أحدا أو نقبل أن يعبدنا غيرنا مع الله ، لان في ذلك مجاوزة لمقامنا وحدونا .

وأما الكفار .

١٦٧ ﴿وان﴾ مخففة من الثقيلة ، أي انهم ﴿كانوا ليقولون﴾ قبل انزال القرآن

١٦٨ ﴿لو أن عندنا ذكرا﴾ كتابا ﴿من الاولين﴾ أي من كتب الامم الماضية .

١٦٩ ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ للعبادة له تعالى وقرىء بكسر اللام ، أي لأخلصنا له العبادة ، وتركنا عبادة غيره . ولما جاءهم الكتاب من نوع كتب الاولين أي القرآن تولوا عنه .

١٧٠ ﴿فكفروا به﴾ وأبوا أن يعملوا بما فيه مع أنهم كانوا يتمنون وجوده ليرشدهم على التوحيد والهدى ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم .

١٧١ ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ بالنصر ﴿لعبادنا المرسلين﴾ وهي «لاغلبن أنا ورسلي» ثم أكدها هنا وقال :

١٧٢ ﴿انهم لهم المنصورون﴾ على اعدائهم .

١٧٣ ﴿وان جندنا﴾ أي المؤمنين ﴿لهم الغالبون﴾ الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا بشرط القيام على حدود الله التي حددها لهم ، ولا يضرهم بعض الهزائم عندما تقوم المعارك لان المقصود العاقبة والهزيمة قد تحصل لبعض الخطيئات منهم ، أو للابتلاء .

١٧٤ ﴿فتول عنهم حتى حين﴾ أي أعرض عن الكفار ، لا يلهك ما يقولون فيك من الطعن .

ولما كان موضوع السورة هو تشبيه الأنبياء بالشمس فى الاضاءة وأتباعهم العلماء بالنجوم فى اقتباس النور منهم وارساله للعامة عقب بقوله

١٧٥ ﴿وأبصرهم﴾ الناس بالأدلة الواضحة أى اجعلهم يبصرون من أبصر المتعدى بزيادة الهمزة ﴿فسوف يبصرون﴾ أى فسيبصرون غيرهم بعدك ففيه تسلية للنبى ﷺ بأن قومه سيؤمنون به ويعلمون غيرهم الدين الحق وكان الكفار قالوا استهزاء ! متى نزول هذا العذاب ؟ فأجابهم الله تهديداً لهم بقوله

١٧٦ ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ .

١٧٧ ﴿فاذا نزل بساحتهم﴾ بفنائهم قال الفراء العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿فساء﴾ بئس صباحا ﴿صباح المنذرين﴾ فيه اقامة الظاهر مقام المضمر أي صباحهم ، لان فاعل ساء لا بد أن يكون فيه أل أو المضمر أي صباحهم ، اذا كان ضميراً مميزاً أو ما . ومن جهة المعنى فيه فائدة الشمول لتخويف كل من أنذرو لم يتعظ .

١٧٨ ﴿وتول عنهم حتى حين﴾ .

١٧٩ ﴿وأبصر فسوف يبصرون﴾ كرر تأكيدا لتشجيع النبى على الدعوة وتسلية له أن الدعوة ستجد من يستمر بها بعده من علماء أمته

ثم ختم تعالى السورة بما اشتمل على دروسها كلها فقال :

١٨٠ ﴿سبحان ربك رب العزة﴾ الغلبة ﴿عما يصفون﴾ بأن له ولدا

١٨١ ﴿وسلام على المرسلين﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع .

 ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين .

والغرض من هذا تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا أن يكونوا ممن يغفلوا عنه لما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، قال : « من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن أول كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في اخر صلاته أو حين ينصرف سبحان ربك الخ .

وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ
إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ
يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ
مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ
لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ
إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا

﴿ سورة ص مدنية ﴾

هي ست أو ثمان وثمانون آية ، وموضوع السورة الرئيسي بيان نظام السلطة والادارة الاسلامية وسياسة الامة .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ص﴾ الله أعلم بمراده به ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ أي البيان أو الشرف ، أو ذكر ما يحتاج اليه في الدين والشرائع والمواعيد ، وجواب هذا القسم محذوف . أي ما الامر الحامل للكفار على الانكار ، الدليل .

٢ ﴿بل الذين كفروا في عزة﴾ حمية وتكبر عن الايمان ﴿وشقاق﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ .

٣ ﴿كم﴾ أي كثيرا ﴿أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أي أمة من الامم الماضية ﴿فنادوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿ولات حين مناص﴾ أي ليس الحين حين فرار ، والتاء زائدة ، والجملة حال من فاعل نادوا ، أي استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم الكفار .

٤ ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم بالنار بعد البعث وهو النبي ﷺ ، عدوا ذلك أمرا خارجا عن احتمال الوقوع ، فكيف يعقل أنه يختص من بيننا بهذا المنصب العالي ﴿وقال الكافرون﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿هذا ساحر كذاب﴾ .

٥ ﴿أجعل الآلهة الها واحدا﴾ حيث قال لهم قولوا لا اله الا الله ، أي كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ﴿ان هذا لشيء عجاب﴾ أي عجيب ، بليغ في العجب ، فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لا يفي عمله وقدرته بالاشياء الكثيرة .

٦ ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ الشرفاء من الكفار بعد استماع ما يدعون اليه من توحيد الله وعبادته ، والاقرار بكلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ ، مما يحملهم على اتحاد كلمتهم ، واجتماع شملهم ، وعزة قوتهم ، يملكون بها العرب وتدين لهم العجم فقالوا ﴿أن امشوا﴾ أي يقول بعضهم لبعض امشوا ﴿واصبروا على آلهتكم﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿ان هذا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لشيء يراد﴾ ، أي يراد منا امضاؤه وتنفيذه لا محالة ، أي يريده محمد من غير صارف يلويه ، ولا عاطف يثنيه ، لا قول يقال من طرف اللسان ، فهو شيء من نوائب الدهر يراد منا ، أي بنا ولا انفكاك لنا عنه

٧ ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ أي ملة عيسى ، وانما سمعنا فيها من أهلها وهم النصارى التثليث ﴿ان﴾ ما ﴿هذا﴾ التوحيد ﴿الا اختلاق﴾ كذب منه .

٨ ﴿أأنزل﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الجهين وتركه ﴿عليه﴾ أي على محمد ﴿الذكر﴾ القرآن ﴿من بيننا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا ، أي لم ينزل عليه .

صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا
قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ
عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً
كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ
تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ
قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم
بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ

قال تعالى ﴿بل هم في شك من ذكرى﴾ وحيي أي القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿بل لما﴾ لم ﴿يذوقوا عذاب﴾ بحذف الياء وصلا ووقفا ، أي ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ، ولا ينفعهم التصديق حينئذ .

ثم سأل تعالى سؤال تعجب في عدم اجابتهم لما يرفعهم عن اشياء لعلها هي التي تصدهم دون قبول الحق فقال :

٩ ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز﴾ الغالب ﴿الوهاب﴾ رحمته لمن يشاء من النبوة وغيرها فيعطوها من شاءوا ولا يريدون أن تعطى لمحمد ، ولذلك أبوا قبول الحق منه .

١٠ ﴿أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما﴾ ان زعموا ذلك ﴿فليرتقوا في الاسباب﴾ الموصلة الى السماء ، فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا . وأم في الوضعين بمعنى همزة الانكار.

١١ ﴿جند ما﴾ أي هم جند حقير ﴿هنالك﴾ في تكذيبهم لك ﴿مهزوم﴾ صفة جند ﴿من الاحزاب﴾ أي لا قوة لجند اجتمعت أعضاؤه من ان تقع اختلافات في عقائدهم ومقاصدهم وأهوائهم ، فلا بد لقوة جند من أن تكون أعضاؤه على عقيدة واحدة ، ومقصد واحد ، واتجاه واحد ، والا فهو مفكك العرى ، وضعيف العزم ، وعديم الحزم ، ومهزوم لاثبات له ، كالاجناد من جنس الاحزاب المتحزبين على الانبياء قبلك ، وأولئك قد قهروا وأهلكوا . فكذلك يهلك هؤلاء فينتظم للامة الاسلامية جند مكون من أعضاء ملتئمة العقيدة والمقاصد والاتجاهات .

ثم ذكر تعالى أمثالا لجنود من الاحزاب المتحزبة على الانبياء فهزمت فقال :

١٢ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿وعاد وفرعون ذو الاوتاد﴾ كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد اليها يديه ورجليه ويعذبه .

١٣ ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة﴾ أي الغيضة ، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أولئك الاحزاب﴾ أي الطوائف .

١٤ ﴿ان﴾ ما ﴿كل﴾ من الاحزاب المذكورة ﴿الا كذب الرسل﴾ لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم ، لان دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد للمعبود ، في العبادة ، وتوحيد الشمل ، وتوحيد النظام ، وتوحيد السياسة العامة . فلما كذبوهم تمككوا ولم يستقر لهم مقام فهزموا ﴿فحق﴾ وجب ﴿عقاب﴾ .

١٥ ﴿وما ينظر﴾ ينتظر ﴿هؤلاء﴾ قومك الكفار ﴿الا صيحة﴾ وقعة ﴿واحدة﴾ تهزمهم وتذهب بكل قوتهم وفخرهم ، وتضمحل بكل ما جمعوا من المكائد ﴿ما لها من فواق﴾ بفتح الفاء وقرىء بضمها ، أي رجوع ، أي تأتي عليهم لا محالة ، وهي اشارة لما سيصيبهم في بدر ، وهو من الاخبار بالغيب لأن السورة مكية .

١٦ ﴿وقالوا﴾ استهزاء بوقوع العذاب ، وانكارا للبعث الذي هو محور الرسالة والدعوة ﴿ربنا عجل لنا قطنا﴾ نصيبنا من العذاب الان ﴿قبل يوم الحساب﴾ الذي يدعي مجيئه محمد . قال الله تعالى :

١٧ ﴿اصبر﴾ يا محمد ﴿على ما يقولون﴾ من الطعن والاستهزاء ليصدوك عما كلفك به من تبليغ الرسالة ، وتوحيد العقيدة والمعبود ، وجمع كلمة الناس على نظام واحد ، وسياسة رشيدة عادلة تعطي الحقوق لاصحابها ، وترحم الضعفاء ، وتدر على المؤمنين خيرات الدنيا والآخرة .

ثم ذكر تعالى أمثالا من النظام الالهي الذي تأتي به العقيدة

الصحيحة من التوحيد فقال ﴿واذكر عبدنا داود ذا الايد﴾ أي القوة في العبادة . كان يصوم يوما ويفطر يوما ، ويقوم نصف الليل ، وينام ثلثه ، ويقوم سدسه ﴿انه أواب﴾ رجاع الى مرضاة الله ، أي واذكره ليقتدي به قومك المؤمنون منهم ، فانه امام هذا الفن وهو الملك ، وسياسة العامة على النظام السديد من الاله الواحد القهار .

١٨ ﴿انا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ بتسبيحه ﴿بالعشي﴾ وقت صلاة العشاء ﴿والاشراق﴾ وقت صلاة الضحى ، وهو أن تشرق الشمس يتناهى ضوئها .

١٩ ﴿و﴾ سخرنا ﴿الطير محشورة﴾ مجموعة اليه تسبح معه ﴿كل﴾ من الجبال والطير ﴿له أواب﴾ لاجل تسبيحه ، أواب أي مسبح ، وقيل كل من داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى ، ولا يخالفون نظامه لاهوائهم .

٢٠ ﴿وشددنا ملكه﴾ قويناه بتقواه فخضع له كل شيء لتواضعه مع الله ﴿وآتيناه الحكمة﴾ النبوة والاصابة في الامور ﴿وفصل الخطاب﴾ البيان الشافي في كل قصد لانه لا يتكلم الا بأمر الله ، ولا ينهى الا عما نهى الله عنه . قال قتادة يعني الفصل في القضاء . وقال علي بن أبي طالب هو البينة على المدعي واليمين على من أنكر . وهو الاصوب واليه أميل .

ثم ذكر تعالى مسألة من قضايا داود مما حصل فيه خطأ اصلاح ليعرف كيفية مداواة الكلوم اذا حصلت فقال :

٢١ ﴿وهل أتاك﴾ يا محمد ﴿نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب﴾ محراب داود ، أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة ، أي خبرهم وقصتهم .

٢٢ ﴿اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف﴾ نحن ﴿خصمان﴾ قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل إثنان والضمير بمعناهما والخصم يطلق على الواحد وأكثر ﴿بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ تجر ﴿واهدنا﴾ أرشدنا ﴿الى سواء الصراط﴾ وسط الطريق ، أي الصواب وهذا يدل على تحمل داود لأذى الناس ، وعدم الانتقام لنفسه ، حيث دخلوا من غير إذن ، وواصوه وحذروه قبل الكلام وقبل بيان دعوا هما له .

ثم بدأ المدعي فقال :

٢٣ ﴿إن هذا أخي﴾ أي على ديني ﴿له تسع وتسعون نعجة﴾ شاة من الغنم ﴿و﴾ الحال ﴿لي﴾ بفتح الياء ﴿نعجة واحدة فقال أكفلنيها﴾ أي اجعلني كافلها ، أي ملكيها ﴿وعزني﴾ غلبني ﴿في الخطاب﴾ أي الجدال . ولما سمع داود الدعوى فقيها الرجل

لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

٦٠٠

القوي الغني يتسيطر على الضعيف ، غضب في الله ونسي بالنفس البشرية أن يسأل المدعى عليه عن صدق الدعوى فحكم عليه بقوله :

٢٤ ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ ليضمها ﴿الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء﴾ الشركاء ﴿ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ ما لتأكيد القلة ، فتنبه داود أنه لم يطلب جواب المدعى عليه حتى يطلب عليه البينة ان أنكر الدعوى أو يقر ثم يحكم عليه ، لما دهمه من الرأفة والرحمة بالمسكين وحب العدل والانتقام لله ، ثم أصاب اليه فهمه . قال تعالى ﴿وظن﴾ أي أيقن ﴿داود أنما فتناه﴾ أوقعناه في فتنة أي بلية بحكمه ، قبل كمال الاجراءات اللازمة في القضية ﴿فاستغفر ربه وخر راكعا﴾ أي ساجدا ﴿وأناب﴾ رجع الى الله وتاب عما ظهر مما شابه الخطأ . هنا موضع سجود التلاوة على المشهور وقيل بعد قوله :

أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ
إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ
رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا
بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى
كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾
وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ

٦٠١

٢٥ ﴿فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أي مرجع في الآخرة والزلفى زيادة القرب وعلو الدرجات في الدنيا والآخرة. وهذا يدل على أن خطأه انما هو في الله ولله لانه غضب له تعالى فتقرب الى الله به، ثم فهم الخطأ فتاب الى الله فزاد زلفى وقربى الى الله. ولذلك أكد الكلام بالمؤكدات اللفظية من واو الحال واسمية الجملة، ودخول ان ولام التأكيد فيها، والمعنوية من كونه لم يزل في حين الخطأ في الزلفى الموصوفة بالعندية المضافة الى ضمير المتكلم الدال على اسم الجلالة وحسن المرجع الى رضا الله التي لم يزل قط عنها.

فهذا دليل على أن المخطئ يثاب اذا فهم خطأه وأصلحه بالادراك أو بالتوبة اذا فات، ويثاب مرة ثانية ويترق بذلك على ما كان عليه فضلا منه تعالى ورحمة. هذا ما يجب اعتقاده ويترك ما سواه من الاسرائيليات.

ومما يدل على أن خطأ داود عليه السلام انما هو كما ذكرناه قوله تعالى تعقيبا لما حصل في هذه القضية:

٢٦ ﴿يا داود انا جعلناك خليفة في الارض﴾ تدبر أمر الناس ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الالهية انتظمت مصالح العالم، واتسعت أبواب الخيرات، واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس، أفضى الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق، وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم. وهو قوله تعالى ﴿ولا تتبع الهوى﴾ أي هوى النفس وهو الغضب في غير محل الغضب والرضا في غير محله ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ أي شريعته ﴿ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ بسببها أي بتركهم الشريعة مما انزل الله.

٢٧ ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا﴾ أي عبثا وبدون نظام ولا مغزى. ﴿ذلك﴾ أي خلق ما ذكر بلا نظام ﴿ظن الذين كفروا﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾.

٢٨ ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ اتبعوا شريعة الله وأقاموا العدل ﴿كالمفسدين في الارض﴾ أم منقطعة بمعنى بل، أي لا نسوي بين الفريقين في الجزاء في الدنيا للاولين: الاطمئنان والغنى وراحة الانفس. والآخرين: الهرج والدمار ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ بل لا نسوي جزاء المطيعين مثل جزاء الكافرين في الآخرة، فجزاء الاولين الجنة وجزاء الآخرين النار، أم بمعنى همزة الانكار

٢٩ وهذا ﴿كتاب﴾ التنكير للتعظيم أي القرآن ﴿انزلناه اليك مبارك ليدبروا﴾ أصله ليتدبروا أدغمت التاء في الدال ﴿آياته﴾ ينظروا في معانيها فيؤمنوا بها وينفذوا أحكامها ﴿وليتذكر﴾ يتعظ ﴿أولو الالباب﴾ أصحاب العقول، فيوحدوا الهم بالعبادة، ويجمعوا شملهم، وتتحد كلمتهم، ويكونوا جند الله على أعدائه، ويقيموا العدل في الارض ويحكموا بشرائع الله ولا يحكموا بهوى في قضاياهم.

ثم تقدم السياق بعد بيان تحمل داود أذى الخصماء وذبه عن الفقراء، وغيرته على أن تنتهك حرمات الله، ورجوعه اليه في كل ما عسى أن يكون ظاهره خلاف باطنه الى بيان السياسة العامة فقال:

٣٠ ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد﴾ أي سليمان ﴿انه أواب﴾ رجاع في التسبيح والذكر في جميع الاوقات.

٣١ ﴿اذ عرض عليه بالعشي﴾ هو بعد الزوال ﴿الصافنات﴾ الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث واقامة على طرف الحافر

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ
رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ
ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ
ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ أُولِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم
بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ
ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ
وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾
مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا

وهو من صفن يصفن صفونا ﴿الجياد﴾ جمع جواد وهو السابق المعنى اذا استوقفت سكنت وان ركضت على حدود سبقت ، وكانت ألف فرس أصابها من أهل دمشق ونصيبين لما غزاهم ، وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه . فعرضت عليه بعد أن صلى الظهر لارادته جهاد العدو عليها فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم .

٣٢ ﴿فقال اني أحببت﴾ أي أردت ﴿حب الخير﴾ الخيل بمعنى المال ، أو بمعاقبة بين الراء واللام كما يقال اهملت العين وانهرت وختلت وخترت . قال الفراء الخير في كلام العرب والخيل واحد ﴿عن ذكر ربي﴾ أي صلاة العصر ﴿حتى توارت﴾ الشمس ﴿بالحجاب﴾ أي استترت أي بما يحجبها عن الابصار

٣٣ ﴿ردوها علي﴾ أي الخيل المعروضة فردوها ﴿فطفق مسحا﴾ بالسيف ﴿بالسوق﴾ جمع ساق ﴿والاعناق﴾ أي ذبحها وقطع أرجلها تقربا الى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة ، وتصدق بلحمها فعوضه الله تعالى خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء .

والمقصود بذكر هذه القصة هنا فيما أرى اظهار عدم الاعتماد على العدة والآلة ، وانما الاعتماد على الله ، والعدة سبب من الاسباب ، فاذا أدى استعدادها الى ترك ركن من أركان الدين تترك لان الاركان هي المقصودة ، والعدة وصلة اليها . والله أعلم .

ثم أشار الى قصة أخرى مع سيدنا سليمان النبي الملك لم يكن فيها اثم ولا خطأ ، لا في الظاهر ولا في الباطن ولكن لكف نفس العبد عن تصور شيء ، وان كان الشيء في سبيل الله فلا يتم الا برد التصرف فيه الى الله تعالى فعلا كان أو تركا . فقال تعالى :

٣٤ ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي ابتليناه بخاطره . وذلك كما ثبت في الحديث الصحيح رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وأخرجه البخاري في صحيحه مرفوعا ونصه : «قال سليمان . لأطوفن الليلة على سبعين امرأة . فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون» فالفتنة في نسيانه عليه السلام أن يقول ان شاء الله لما دهمه من شدة حرصه على ذلك ، وطمعه في وجود فرسان يثق بهم في جهاده في سبيل الله ، فكانت النتيجة غير ناجحة . كما قال الله تعالى ﴿وألقينا على كرسيه جسدا﴾ سمي جسدا لان الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه . فانقذ الله نبيه عليه السلام بوجود الجسد الواحد بلا روح لعدم مصاحبة الروح للنية برد الامر الى المشيئة الالهية التي هي الروح في كل شيء ، فصارت المسألة درسا لكل عابد لله تعالى ﴿ثم أناب﴾ رجع سليمان الى ربه واستغفره عن غفلته .

٣٥ ﴿قال رب اغفر لي﴾ على ما تركت بقصوري من رد الامر باللسان الى مشيئتك وتفريطي في طاعتك ﴿وهب لي ملكا لا ينبغي﴾ لا يكون ﴿لأحد من بعدي﴾ أي سواي نحو فمن يهديه من بعد الله أي سوى الله ، فلا يتكبر أحد بعدي بالملك عن طاعتك ﴿انك أنت الوهاب﴾ تعليل للدعاء بالمغفرة وبالهبة . قال الله تعالى :

٣٦ ﴿فسخرنا له﴾ بدل الخيل التي ذبحها في ابتغاء مرضاتنا ﴿الريح تجري بأمره رخاء﴾ لينة ﴿حيث أصاب﴾ أراد .

٣٧ ﴿والشياطين كل بناء﴾ يبني الابنية العجيبة ﴿وغواص﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ .

٣٨ ﴿وآخرين﴾ منهم ﴿مقرنين﴾ مشدودين ﴿في الاصفاد﴾ القيود بجمع أيديهم الى أعناقهم لاظهار أبهة الملك وهيبته فلا يتعاظم تابه أحد من الجن والانس اذا أمره بأمر من الله ، وهذا بدل

أَتُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن
نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ
يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ
وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ
مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا
ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم
مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ
الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾

٦٠٣

الاولاد المطيعين الذين نوى أن ينجبهم ليساعدوه في طاعة الله. وقلنا له :

٣٩ ﴿هذا عطاؤنا فامنن﴾ أعط منه من شئت ﴿أو أمسك﴾ عن الاعطاء ﴿بغير حساب﴾ لا حساب عليك في ذلك .

٤٠ ﴿وان له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ تقدم مثله تعقيبا لقصة داود عليه السلام . فهكذا فان سياسة أمر الناس باتباع أمر الله ورد الامور اليه أمر سهل لتسخير الله الامور وامكان ما لا يتصور وقوعه في الخاطر ، واما بالحيلة أو بالقوة المادية ، فما أصعبه وأبعده عن الامكان والحصول

ثم أشار تعالى الى بعض الانبياء الذين قاموا بسياسة أمور الناس على شرائع الله متحملين فقال .

٤١ ﴿واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني﴾ أي بأني ﴿مسني الشيطان بنصب﴾ ضر ﴿وعذاب﴾ ألم ونسب ذلك الى الشيطان وان كانت الاشياء كلها من الله تأدبا معه تعالى ولم يذكر القرآن نوع النصب ونوع العذاب ، والمقصود تعلم الناس كيف رد الامور الى الله فسهل له الدواء وازالة ما نابه . فقيل له :

٤٢ ﴿اركض﴾ اضرب ﴿برجلك﴾ الارض فنبعت عين ماء فقيل ﴿هذا مغتسل﴾ ماء تغتسل به ﴿بارد وشراب﴾ تشرب منه فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره .

٤٣ ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ أي أحيا الله له من مات من أولاده ووهبه مثلهم ﴿رحمة﴾ نعمة ﴿منا وذكرى﴾ عظة ﴿لأولي الالباب﴾ لاصحاب العقول لانهم هم ينتفعون بالعبر ويقتدون بها .

٤٤ ﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ هو حزمة من حشيش أو قضبان ﴿فاضرب به﴾ زوجتك وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لابطائها عليه يوما ﴿ولا تحنث﴾ بترك ضربها فأخذ مائة عود من الاذخر فضربها به ضربة واحدة ، وسبب حلفه على ضربها أن الشيطان تمثل في طريقها في صورة حكيم يداوي المرضى ، فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه ، فقالت له ان عندي مريض ، فقال لها قولي له يذبح سخلة على اسمي ، وقيل قال لها قولي له يشرب الخمر ، فذهبت لأيوب وأخبرته الخبر وقد استبطأها على عادتها لتساعده ليصلي فعلم أنه من الشيطان فاغتم وحلف ليضربنها مائة ضربة ، فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثا فيضربها به ، فأخذ شماريخ قدر مائة عود من الاذخر أو غيره فضربها بها ضربة واحدة . قال الله تعالى ﴿انا وجدناه صابرا نعم العبد﴾ أيوب ﴿إنه أواب﴾ رجاع الى الله تعالى .

٤٥ ﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿والابصار﴾ البصائر في الدنيا ، وفي قراءة عبدنا ، وابراهيم بيان له ، وما بعده عطف على عبدنا .

٤٦ ﴿انا أخلصناهم بخالصة﴾ هي ﴿ذكرى الدار﴾ الآخرة أي ذكرها والعمل لها على حسب ما كلفناهم من الشرائع ، وفي قراءة بالاضافة ، وهي للبيان .

٤٧ ﴿وانهم عندنا لمن المصطفين﴾ المختارين ﴿الاخيار﴾ جمع خير بالتشديد :

٤٨ ﴿واذكر إسماعيل﴾ بن ابراهيم جدك ﴿واليسع﴾ هو نبي وهو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبىء ﴿وذا الكفل﴾ اختلف في نبوته روى الحاكم عن وهب أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشرا وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة ، وقيل هو ابن عم اليسع ، وقيل كفل مائة نبي فروا اليه من القتل ﴿وكل﴾ أي كلهم ﴿من

قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ
لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ
إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰئِكَةِ
إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَـٰئِكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾
قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾
قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ
يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ

٦٠٤

الاخيار﴾ الذين اختارهم الله لاقامة دينه بهم . فقاموا به خير قيام ، وفائدة ذكرهم ليعلم أحوالهم ، ويقتدي بها في سياسة الناس على النظم الالهية .

ثم عقب تعالى عن القصص المذكورة وقال :

٤٩ ﴿هذا ذكر﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وان للمتقين﴾ العاملين ﴿لحسن مآب﴾ مرجع في الآخرة .

٥٠ ﴿جنات عدن﴾ بدل أو عطف بيان لحسن مآب ﴿مفتحة لهم الابواب﴾ منها .

٥١ ﴿متكئين فيها﴾ على الارائك ﴿يدعون فيها﴾ حال ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ .

٥٢ ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ حابسات العين على أزواجهن ﴿أتراب﴾ أسنانهن واحدة ، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب ويقال لهم :

٥٣ ﴿هذا﴾ المذكور ﴿ما توعدون﴾ بالخطاب وقرىء بالغيبة ﴿ليوم الحساب﴾ أي لاجله .

٥٤ ﴿ان هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ انقطاع ، والجملة حال من رزقنا أو خبر ثان لان ، أي دائما أو دائم .

لما ذكر تعالى جزاء المتقين الذين يتبعون شرائع الله أتبعه بذكر جزاء الطغاة الذين يتبعون الباطل مما تشرعه لهم أهواؤهم ، أو يتبعون فيها شياطينهم ، مفصلا بين الكلامين باسم الاشارة ليصور الاحوال كأنها يراها الرائي . فقال :

٥٥ ﴿هذا﴾ المذكور جزاء المتقين ﴿وان للطاغين لشر مآب﴾ .

٥٦ ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المهاد﴾ الفراش .

٥٧ ﴿هذا﴾ أي العذاب المفهوم مما بعده ﴿فليذوقوه حميم﴾ أي ماء حار محرق ﴿وغساق﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ما يسيل من صديد أهل النار .

٥٨ ﴿وآخر﴾ بالافراد وقرىء بالجمع ﴿من شكله﴾ أي مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أزواج﴾ أصناف ، أي عذابهم عن أنواع مختلفة ؛ ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم :

٥٩ ﴿هذا فوج﴾ جمع ﴿مقتحم﴾ داخل ﴿معكم﴾ النار بشدة فيقول المتبوعون ﴿لا مرحبا بهم﴾ أي لا سعة عليهم ﴿انهم صالو النار﴾ .

٦٠ ﴿قالوا﴾ أي الاتباع ﴿بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا﴾ أي أوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائفة ، والاعمال السيئة ، وتزيينها في أعيننا ، واغرائنا عليها ، لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا ﴿فبئس القرار﴾ لنا ولكم النار .

٦١ ﴿قالوا﴾ أيضا ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا﴾ أي مثل عذابه على كفره ﴿في النار﴾

٦٢ ﴿وقالوا﴾ أي الكفار وهم في النار ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم﴾ في الدنيا ﴿من الاشرار﴾ .

٦٣ ﴿أتخذناهم سخريا﴾ بكسر السين وقرىء بضمها . أي كنا نسخر بهم في الدنيا والياء للنسب . أي أمفقودون هم ﴿أم زاغت﴾ مالت ﴿عنهم الابصار﴾ فلم نرهم وهم فقراء المسلمين في كل وقت ومكان .

ثم عقب تعالى عن ذلك وقال :

٦٤ ﴿ان ذلك لحق﴾ واجب وقوعه وهو ﴿تخاصم أهل النار﴾ كما تقدم .

ثم أمر تعالى النبي أن يؤكد للكفار الانذار بالتوحيد فقال

ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ
مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ
هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّة وآياتها خمس وسبعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾
أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ

٦٥ ﴿قل﴾ يا محمد لقومك ﴿انما أنا منذر﴾ مخوف بالنار ﴿وما من اله الا الله الواحد القهار﴾ لخلقه .

٦٦ ﴿رب السموات والارض وما بينهما العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ لأوليائه .

٦٧ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿هو﴾ أي الاخبار بتخاصم أهل النار الذي اخبرتكم به ﴿نبأ عظيم﴾ خبر عظيم من مكنون علم الغيب الذي لا يعرف الا بالوحي من الله .

٦٨ ﴿أنتم عنه معرضون﴾ أي لا تؤمنون به ولا تصدقونني فيه وهو مثل الاخبار بتخاصم الملائكة في خلافة آدم للارض الذي أخبرتكم به في أول الامر .

٦٩ ﴿ما كان لي من علم بالملأ الاعلى﴾ الملائكة ﴿اذ يختصمون﴾ في شأن آدم حين قال الله تعالى : اني جاعل في الارض خليفة الخ .

٧٠ ﴿ان﴾ ما ﴿يوحى الي إلا انما أنا﴾ أي أني ﴿نذير مبين﴾ بين الانذار.

ولما أشار تعالى الى تخاصم الملائكة في جعل آدم خليفة في الارض وانزل له هذا النظام الالهي اذ علمه الاسماء كلها ، شرع يبين كيف نتجت من ذلك عداوة بين آدم وبين ابليس الشيطان الذي لا يزال يحارب بني آدم عن النظام الالهي الذي شرف الله به أباهم آدم فقال واذكر :

٧١ ﴿اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين﴾ هو آدم .

٧٢ ﴿فاذا سويته﴾ أتممته ﴿ونفخت﴾ أجريت ﴿فيه من روحي﴾ فصار حيا اضافة الروح اليه تشريف لآدم ، والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه ﴿فقعوا له ساجدين﴾ سجود تحية بالانحناء وتقدم أنه سجود بأمر الله فلا منع فيه لانه حكم من احكامه تعالى بما يشاء ، وينهى عما يشاء والممنوع ارتكاب عمل بالهوى لا بالهدى وفيه حكمة ان الله أمرنا بني آدم أن نعبده بما قد أمر به وجعل الملائكة يفعلون به التعظم لابينا تذكيرا لنعمة الله علينا .

٧٣ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ فيه تأكيدان لبيان شدة طاعة الملائكة لله ، ومخاصمتهم قبل ذلك هي في طلب الحكمة في جعل آدم خليفة لا للحسد له .

٧٤ ﴿الا ابليس﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿استكبر وكان من الكافرين﴾ في علم الله تعالى .

٧٥ ﴿قال﴾ تعالى ﴿يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ أي توليت خلقه وهذا تشريف أيضا لآدم فان كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿أستكبرت﴾ الان عن السجود استفهام توبيخ ﴿أم كنت من العالين﴾ المتكبرين الذين لا ينقادون لامر الله الا ما خططت لهم أنفسهم ، فتكبرت عن السجود لكونك منهم .

٧٦ ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ .

٧٧ ﴿قال﴾ تعالى له ﴿فاخرج منها﴾ أي من الجنة وقيل من السموات ﴿فانك رجيم﴾ مطرود .

٧٨ ﴿وان عليك لعنتي الى يوم الدين﴾ الجزاء .

٧٩ ﴿قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون﴾ أي الناس ، أي طلب أن لا يموت أبدا لانه لا يموت بعد البعث .

٨٠ ﴿قال فانك من المنظرين﴾ .

٨١ ﴿الى يوم الوقت المعلوم﴾ وقت النفخة الاولى فلما رأى ابليس المدة التي أعطيها لعمره ظنها بعيدة فأمن من مكر الله .

٨٢ ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ .

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ
الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا
مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ

٨٣ ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ بفتح اللام . أي الذين أخلصتم لعبادتك وقرىء بالكسر . أي المؤمنين المتقين الذين يتبعون أوامرك وينتهون عن نواهيك فلا أستطيع أن أغويهم .

وعند ذكر ابليس هذا الكلام الذي دل على أنه عنيد بعصي الله عن علم منه .

٨٤ ﴿قال﴾ تعالى ﴿فالحق والحق أقول﴾ برفع الاول ونصب الثاني . وقرىء بنصبهما معا . فنصب الثاني بالفعل بعده ، ونصب الاول قيل بالفعل المذكور ، وقيل على المصدر ، أي احق الحق وقيل على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر . أي فالحق مني ، وقيل فالحق قسمي ، وجواب القسم .

٨٥ ﴿لأملأن جهنم منك﴾ بذريتك ﴿وممن تبعك﴾ في عدم الطاعة لامري ﴿منهم﴾ بني آدم الناس ﴿أجمعين﴾ توكيد للضمير في منك وما عطف عليه في وقوله ومن تبعك ، وقيل توكيد لضمير منهم ، فقدر لأملأن جهنم من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس .

ثم ختم تعالى السورة بما اشتمل على جميع دروسها فقال :

٨٦ ﴿قل﴾ لقومك يا محمد ﴿ما أسألكم عليه﴾ ارشادي لكم بما ينفعكم من التوحيد وجمع شملكم على نظام واحد ﴿من أجر﴾ جعل ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ المتقولين للقرآن من تلقاء نفسي لأتسيطر عليكم بملك .

٨٧ ﴿ان هو﴾ أي ما القرآن المشتمل على ما ذكر ﴿الا ذكر﴾ عظة ﴿للعالمين﴾ للانس والجن العقلاء دون الملائكة وليس لقريش أو للعرب فقط .

٨٨ ﴿ولتعلمن﴾ يا كفار مكة ﴿نبأه﴾ خبر صدقه ﴿بعد حين﴾ . عندما أغلبكم أنا وأتباعي عليه أو عندما يغلب أتباعي عليه جميع العالم بالقهر والقوة ويتحكمون على الناس بقوته . وعلم بمعنى عرف ، واللام قبلها لام قسم مقدر أي والله .

﴿ سورة الزمر مكية ﴾

هي خمس وسبعون آية وموضوعها الرئيسي بيان توحيد الله تعالى للنجاة من العذاب . يستحب قراءتها قبل النوم في كل ليلة .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

٢ ﴿انا أنزلنا اليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب بالحق﴾ متعلق بأنزل ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ من الشرك أي موحدا له .

٣ ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ لا يستحقه غيره ، والدين الخالص هو ما قصد العبد بعمله ونيته رضا الله وكان موافقا للسنة ، واما اتباع غير الله فليس دينا خالصا لذلك المتبوع في نفسه ، بل هو كما قال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ غير الله ﴿أولياء﴾ وهم الكفار يقولون في عبادتهم للاصنام ﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ قربى مصدر بمعنى تقريبا ، فالعبادة في الحقيقة ليست لهم ﴿ان الله يحكم بينهم﴾ أي بين العابدين والمعبودين ، أو بين العابدين غير الله ﴿في ما هم فيه يختلفون﴾ لانهم انما يتبعون أهواءهم بغير هدى من الله ، وكل من يتبع الهوى فلا بد من أن يختلف مع غيره لاختلاف مقاصدهم ﴿ان الله لا يهدي من هو كاذب﴾ في نسبة ما لا يليق بالله اليه تعالى ﴿كفار﴾ بما هو حقيقة منه تعالى

٤ ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا﴾ كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴿لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ واتخذه ولدا غير من قالوا من الملائكة بنات الله وعزيز ابن الله والمسيح ابن الله ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عن اتخاذ الولد حتى يعبد ذلك الولد طلبا لمرضاة ابيه ﴿هو

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا
رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو
إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾
أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا

٦٠٧

الله الواحد القهار﴾ لخلقه فالوحدانية تنافي المماثلة فضلا عن التوالد ، والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد والا لجاز أن يكون مقهورا ، تعالى الله عن ذلك .

٥ ﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ متعلق بخلق بملكه الثابت وكل من فيهما ملكه وعبد له تعالى ﴿يكور﴾ يدخل ﴿الليل على النهار﴾ فيزيد ﴿ويكور النهار﴾ يدخله ﴿على الليل﴾ فيزيد ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري﴾ في فلكه ﴿لأجل مسمى﴾ ليوم القيامة ﴿ألا هو العزيز﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الغفار﴾ لاوليائه .

وبعد بيان اظهار قهره تعالى على الاجسام الكبار في السموات ، شرع يبين قهره أيضا على بني آدم بصيغة الخطاب فقال هو الذي :

٦ ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ أي آدم ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ حواء ثم خلقكم منهما بالتناسل والتوالد بقهره والا لبقي آدم وحده ﴿وأنزل لكم من الانعام﴾ الابل والبقر والغنم الضأن والمعز وعبر عن الخلق بالانزال لانها تكونت بالنبات والنبات بالماء المنزل وهذا يسمى تدريجا ومنه قوله تعالى «قد أنزلنا عليكم لباسا» الآية .﴿ثمانية أزواج﴾ من كل زوجين ذكراً وأنثى كما بين في سورة الانعام لحكمته وقهره ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق﴾ أي نطفا ثم علقا ثم مضغا ﴿في ظلمات ثلاث﴾ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. ﴿ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون﴾ عن عبادته الى عبادة غيره ؟!

٧ ﴿ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر﴾ وان أراده من بعضهم فالرضا تخالف الارادة ، فالرضا هو الاذن في الشيء ، ويقر الفاعل عليه ، ويثيبه ويمدحه . وعدم الرضا هو عدم الاذن والاثابة فيه ، بل يفعل فعل الساخط ، بأن ينهى عنه ، ويذم عليه ، ويعاقب مرتكبه . وان كان بارادته اذ لا يخرج عنها شيء ﴿وان تشكروا﴾ الله على انعامه عليكم فتؤمنوا به وتعبدوه حق عبادته ﴿يرضه﴾ بضم الهاء بدون اشباع وقرىء به وبسكونها أي الشكر ﴿لكم﴾ ويثيبكم به ﴿ولا تزر﴾ نفس ﴿وازرة وزر﴾ نفس ﴿أخرى﴾ أي لا تحمله لعدم سراية كفر الكافر لغيره أصلا ﴿ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور﴾ أي بمضمرات القلوب ، فكيف بالاعمال الظاهرة . وهذا تعليل التنبئة بالاعمال .

ثم بين تعالى أن كفر الكافر ليس دائما عن جهل وانما لبطر النعمة فقال :

٨ ﴿واذا مس الانسان﴾ أي الكافر ﴿ضر دعا ربه﴾ تضرع لربه الحقيقي ﴿منيبا﴾ راجعا ﴿اليه ثم اذا خوله نعمة﴾ أعطاه انعاما ﴿منه نسي﴾ ترك ﴿ما كان يدعو﴾ يتضرع ﴿اليه من قبل﴾ فما موصولة بمعنى الذي مرادا بها الضر ، أي نسي الضر الذي كان يدعو الى كشفه ﴿وجعل لله أندادا﴾ شركاء ﴿ليضل﴾ غيره بضم الياء وقرىء بفتحها ، أي ليضل هو ﴿عن سبيله﴾ دين الاسلام ﴿قل﴾ لهذا الضال المضل ﴿تمتع بكفرك قليلا﴾ بقية أجلك ﴿انك من أصحاب النار﴾ أي ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام . أمر تهديد فيه اشعار بأن الكفر نوع تشه[1] لا سند له ، واقناط للكافرين من التمتع في الاخرة ، ولذلك علله بقوله «انك من أصحاب النار» .

ثم قارن تعالى بين العبد المطيع والعاصي فقال :

٩ ﴿أمن﴾ بتشديد الميم بادغام ميم أم المعادلة في من ، تقديره الكافر خير أم الذي ﴿هو قانت﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿آناء

(١) من الشهوة مصدر اشتهى وحذف الياء للتنوين .

الليل﴾ ساعاته ﴿ساجدا وقائما﴾ في الصلاة ﴿يحذر الآخرة﴾ أي يخاف عذابها ﴿ويرجو رحمة﴾ جنة ﴿ربه﴾ وقيل أم بمعنى بل والهمزة وفي قراءة بتخفيف ميم أمن فمعناه الذي هو القانت الخ كمن هو عاص بالكفر أو غيره ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أي لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿انما يتذكر﴾ يتعظ ﴿أولو الالباب﴾ أصحاب العقول.

١٠ ﴿قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ أي اعبدوه كما علمكم عبادته وأطيعوا أوامره ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ بالطاعة ﴿حسنة﴾ هي الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ فمن تعسرت التقوى والاحسان في وطنه، فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك، كما هو سنة الانبياء والصالحين، فانه لا عذر له في التفريط أصلا الا بتعذر الهجرة أو لحوق مشقة فادحة ﴿انما يوفى الصابرون﴾ على الطاعة وما يبتلون به ﴿أجرهم بغير حساب﴾ أي بكثرة لا يهتدي بها اليه حساب الحسّاب، وبغير مكيال ولا ميزان ثم بين تعالى أن النبي أحد هذه الامة ومأمور بأشد مما أمر غيره به من أفراد الامة فقال:

١١ ﴿قل اني أمرت أن أعبد الله﴾ أي أمر الله رسوله ﷺ بأن يخبرهم بأنه مأمور بالعبادة أولا ﴿مخلصا له الدين﴾ أي وثانيا بالاخلاص في العبادة.

١٢ ﴿وأمرت لان أكون أول المسلمين﴾ أي ثالثا أن يكون أول من أطاع وانقاد وأسلم.

١٣ ﴿قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ ورابعا بأنه يخاف من العذاب على تقدير العصيان.

١٤ ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ خامسا بأنه امتثل الامر وانقاد وعبد الله تعالى وأخلص له الدين على أبلغ وجه وأوكده، اظهارا لتصلبه في الدين.

١٥ ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ أي وسادسا ان يخبرهم بما يكون حسما لاطماعهم الفارغة، ويهددهم في استمرارهم على النبي فقال فاعبدوا ما شئتم. وسابعا أن عبادتهم بالشرك ليست بعبادة له أي أنهم لا يعبدونه تعالى. وثامنا أن خسارتهم بعبادة غيره هي الخسارة بقوله ﴿قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ بتخليد الانفس في النار وبعدم وصولهم الى الحور المعدة في الجنة لو آمنوا. ثم نبه تعالى بقوله ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ بين.

١٦ ﴿لهم من فوقهم ظلل﴾ طباق ﴿من النار ومن تحتهم ظلل﴾ من النار ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ أي المؤمنين ليتقوه بما سمعوا من حال الكفار في الآخرة يدل عليه قوله ﴿يا عباد

لَهُ الدِّينَ ⑪ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ⑫
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ⑬
قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ⑭ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ⑮ لَهُمْ
مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ
اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ⑯ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ
عِبَادِ ⑰ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ⑱
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ⑲
لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ

٦٠٨

فاتقون﴾.

١٧ ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ الشيطان أو الكاهن ﴿أن يعبدوها وأنابوا﴾ أقبلوا ﴿الى الله لهم البشرى﴾ بالجنة ﴿فبشر عباد﴾.

١٨ ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وهو ما فيه صلاحكم. قال ابن عباس رضي الله عنه: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح فلا يتحدث به. وقيل يسمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون أحسنه أي محكمة فيعملون به، وقيل يسمعون عزما وترخيصا فيأخذون بالعزم دون الرخص ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب﴾ أصحاب العقول ثم ذكر تعالى بيانا لاحوال أضداد المذكورين على طريق الاجمال، وتسجيلا عليهم بحرمان الهداية، وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتهم فقال:

١٩ ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ وهي قوله تعالى

مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ
ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ
يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ
يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ
لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ
فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ
ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ
ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا
لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

لإبليس «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» وقوله تعالى : «لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين» ﴿أفأنت تنقذ﴾ تخرج ﴿من في النار﴾ جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للانكار. والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار.

٢٠ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ بأن أطاعوه ﴿لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿وعد الله﴾ منصوب بفعله المقدر. ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾ وعده ثم ضرب تعالى مثلاً لإمكان اجراء الأنهار من تحت غرف الجنة، وعدم نفع عبدة الطاغوت واضمحلالها بسرعة فقال :

٢١ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع﴾ أدخله أمكنة نبع ﴿في الارض﴾ بحيث يطول مكثه لينتفع به ويجري الى مواضع الزرع والسقي والشرب، فهو مثل جنان عبدة الله. وامكان جريان أنهار الجنة تحت الغرف، فينتفع بها أصحابها بغير انتهاء ﴿ثم يخرج به﴾ بصيغة المضارع لاستحضار الصورة ليمثل اسمع الثاني ﴿زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج﴾ ييبس ﴿فتراه﴾ بعد الخضرة مثلا ﴿مصفرا ثم يجعله حطاما﴾ يجعله الله فتاتا مضمحلا، وكذلك عبادة الطاغوت ليست لها نتيجة حميدة لأهلها ﴿ان في ذلك﴾ المثل ﴿لذكرى﴾ تذكيرا ﴿لاولي الالباب﴾ يتفكرون بها في ما يرشدهم الى الخير فيطلبونه. وما يضرهم من الضلال فيجتنبونه

٢٢ ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام﴾ فاهتدى ﴿فهو على نور من ربه﴾ كمن طبع على قلبه دل على هذا ﴿فويل﴾ كلمة عذاب ﴿للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ أي عن قبول القرآن ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ بين.

٢٣ ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا﴾ بدل من أحسن أي قرآنا ﴿متشابها﴾ أي يشبه بعضه بعضا في النظم وغيره ﴿مثاني﴾ ثني فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿تقشعر منه﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جلود الذين يخشون﴾ يخافون ﴿ربهم ثم تلين﴾ تطمئن ﴿جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾ أي عند ذكر وعده ﴿ذلك﴾ الكتاب ﴿هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾.

٢٤ ﴿أفمن يتقي﴾ يلقى ﴿بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ أي أشده، بأن يلقى في النار مغلولة يداه الى عنقه كمن هو آمن منه بدخول الجنة ﴿وقيل للظالمين﴾ أي الكفار ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أي جزاءه.

كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾
۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ
جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

٢٥ ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ رسلهم في اتيان العذاب ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من جهة لا يخطر ببالهم .

٢٦ ﴿فأذاقهم الله الخزي﴾ الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا﴾ أي المكذبون ﴿يعلمون﴾ عذابها ما كذبوا .

٢٧ ﴿ولقد ضربنا﴾ جعلنا ﴿للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون .

٢٨ ﴿قرآنا عربيا﴾ حال مؤكدة ﴿غير ذي عوج﴾ أي لبس واختلاف ﴿لعلهم يتقون﴾ الكفر. ومن تلك الامثال :

٢٩ ﴿ضرب الله﴾ للمشرك والموحد ﴿مثلا رجلا﴾ بدل من مثلا ﴿فيه شركاء﴾ مملوك قد اشترك فيه شركاء ﴿متشاكسون﴾ متنازعون فيه ، سيئة أخلاقهم فكل واحد منهم يدعيه ، وهم يتجاذبونه في مهماتهم المختلفة ، فاذا عرضت له هو حاجة لا يعاونونه عليها فهو متحير في أمره ، لا يدري على أيهم يعتمد في حاجته ، وأيهم يرضي بخدمته ﴿ورجلا﴾ أخر ﴿سلما لرجل﴾ بفتح السين واللام مع القصر وفي قراءة بمد الالف بين السين واللام أي سالما وبكسر السين وسكون اللام أي خالصا أي قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص ، وذلك السيد يعاونه في حاجته ﴿هل يستويان مثلا﴾ تمييز. أي لا يستويان ، العبد لجماعة ؛ والعبد لواحد ، فان الاول اذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد فمن يخدم منهم . وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحد المؤمن ﴿الحمد لله﴾ وحده ﴿بل أكثرهم﴾ أي الكفار ﴿لا يعلمون﴾ ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون .

ثم وجه تعالى الخطاب للنبي ﷺ فقال :

٣٠ ﴿انك﴾ يا محمد ﴿ميت وانهم ميتون﴾ ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت . وكانوا استبطأوا موته ﷺ .

٣١ ﴿ثم انكم﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ .

٣٢ ﴿فمن﴾ لا أحد ﴿أظلم ممن كذب على الله﴾ بنسبة الشريك والولد اليه تعالى ﴿وكذب بالصدق﴾ بالقرآن ﴿اذ جاءه أليس في جهنم مثوى﴾ مأوى ﴿للكافرين﴾ بلى .

٣٣ ﴿والذي جاء بالصدق﴾ أي جاء بالقرآن ﴿وصدق به﴾ أي آمن به وعمل بما فيه وهو النبي ﷺ ومن تبعه من العمل بما في القرآن ﴿أولئك هم المتقون﴾ المطيعون لله الاله الواحد .

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ
حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٦١١

٣٤ ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ لانفسهم بايمانهم .

٣٥ ﴿ليفكر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ قيل أسوأ وأحسن بمعنى السيء والحسن كيلا يفهم أنه تعالى يكفر عنهم أقبح السيئات فقط ويجزيهم على أفضل الحسنات فقط . قلت وليس الامر كذلك ، والتفضيل في أسوأ وأحسن على بابه فاذا كان الله تبارك وتعالى يكفر لهم أسوأ أعمالهم فغيره تابع في التكفير من باب أولى وأما جزاءه تعالى دائما بأحسن مما يستحق العامل من عمله . من جاء بحسنة فله خير منها والواحدة بعشرة امثالها على الاقل .

٣٦ ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ أي النبي ﷺ . بلى ﴿ويخوفونك﴾ الخطاب له ﷺ ﴿بالذين من دونه﴾ أي الطواغيت المعبودة أن تقتله أو تخبله ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ .

٣٧ ﴿ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز﴾ غالب على أمره ﴿ذي انتقام﴾ من أعدائه لاوليائه ، بلى . واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة .

ثم بين تعالى أن مجرد القول بان الله موجود وأنه الخالق القادر الحكيم بفطرة العقل لا يكفي الا باتباع أمره تعالى فقال :

٣٨ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . قل أفرأيتم ما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي الطواغيت المعبودة ﴿ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره﴾ والجواب لا ، اذ لا جواب غيره ﴿أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ والجواب لا ، بالاضافة فيهما ؛ وفي قراءة تنوين كاشفات وممسكات ونصب ما بعدهما ﴿قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ يثق الواثقون ففي الحديث عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه . ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل» .

٣٩ ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم ﴿اني عامل﴾ على حالتي ﴿فسوف تعلمون﴾ .

٤٠ ﴿من﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يأتيه عذاب يخزيه ويحل﴾ ينزل ﴿عليه عذاب مقيم﴾ دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر وكذلك يخزي كل المتكبرين عن آيات الله .

ثم بين تعالى عموم رسالته ﷺ لجميع الناس فقال :

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟

٦١٢

٤١ ﴿انا أنزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿للنــاس﴾ أي لأجلهم ، فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم ، فهــو للناس كافة ، لان رسالتك كذلك ﴿بالحق﴾ متعلق بانزل ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ اهتداؤه ﴿ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل﴾ فتجبرهم على الهدى ، وانما ذلك لله تعالى وحده تختص بالتصرف ، في المركب والبسيط من خلقه ولا يشاركه تعالى في ذلك أحد . فبين تعالى اختصاصه بالتصرف في خلقه فقال :

٤٢ ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾ للتصرف المركب ظاهرا وباطنا ﴿و﴾ يتوفى ﴿التي لم تمت في منامها﴾ يتوفاها وقت النوم بالتصرف البسيط ظاهرا فقط . ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى﴾ أي وقت موتها ، والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس قال علي رضي الله عنه : فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل ارسالها الى جسدها فهي الرؤيا الصادقة ، وما رأته بعد ارسالها وقبل استقرارها في جسدها فهي الرؤيا الكاذبة لانها من إلقاء الشيطان . وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه اللهم ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين . وليس لابن آدم الا شيء واحد أي النفس هو الجوهر المشرق النوراني يكون لابن آدم بحسبه ثلاثة أحوال ، حال يقظة ، وحال نوم ، وحال موت . فانه باعتبار تعلقه بظاهر الانسان وباطنه تعلقا كاملا تثبت له حال اليقظة ، وباعتبار تعلقه بظاهره فقط تثبت له حال النوم ، وباعتبار انقطاع تعلقه عن الظاهر والباطن تثبت له حالة الموت . والصحيح أن النفس جسم لطيف مشابك للاجسام المحسوسة يجذب ويخرج وفي اكفانه يلف ويدرج وبه الى السماء يعرج لا يموت ولا يفنى ولكنه ممكن البقاء لا واجب ، وهو مما له أول وليس له آخر وهو بعينين وبدين ، وأنه ذو ريح طيب وخبيث كما في حديث أبي هريرة هذه صفات الاجسام لا صفات الاعراض . وروي مرفوعا من حديث جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة قال لا النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها . أخرجه الدار قطني ﴿ان في ذلك لآيات﴾ دلالات ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيعلمون أن التصرف المطلق يختص بالله تعالى وحده واذا لم يكن النبي ﷺ على الناس بوكيل ، فليس لهم وكيل الا الله تبارك وتعالى . فيجب رد الامور اليه وعبادته كما شرع هو على لسان نبيه ﷺ .

ثم بين تعالى فساد عملهم وفساد رأي من يعبد غير الله لطلب شفاعته عند الله فقال :

٤٣ ﴿أم﴾ بل ﴿اتخذوا من دون الله﴾ أي معبودات غير الله ﴿شفعاء﴾ عند الله بزعمهم ﴿قل﴾ لهم ﴿أ﴾ يشفعون ﴿ولو كانوا لا يملكون شيئا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿ولا يعقلون﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك ، والجواب لا ينبغي لكم ذلك .

٤٤ ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ أي هو يختص بها فلا يشفع أحد الا باذنه ﴿له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون﴾ .

٤٥ ﴿واذا ذكر الله وحده﴾ أي دون آلهتهم ﴿اشمأزت﴾ نفرت وانقبضت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه﴾ من المعبودات ﴿اذا هم يستبشرون﴾ لفرط افتتانهم بهم ونسيانهم حق الله ، وقد بالغ في امرين حتى بلغ الغاية فيهما . فان الاستبشار أن يمتلىء قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ، والاشمئزاز أن يمتلىء غضبا وغما حتى ينقبض أديم وجهه .

ثم اخبر تعالى نبيه أن يلتجيء اليه بالدعاء اذا تحير في أمر مثل

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا
خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ
فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

٦١٣

هؤلاء ، وعجز في عنادهم وشدة شكيمتهم ، فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال فقال :

٤٦ ﴿قل اللهم﴾ بمعنى يا الله ﴿فاطر السموات والارض﴾ مبدعهما ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من الحق .

ثم أخبر تعالى عن جزاء عبدة غير الله لطلب شفاعتهم عنده تعالى فقال :

٤٧ ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا﴾ ظهر ﴿لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يظنون .

٤٨ ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي جزاء استهزائهم باسم الله اذا ذكر وحده ، واستبشارهم اذا ذكرت معبوداتهم استقلالا أو مع الله ، لانه استهزاء بالله الذي خلق كل شيء ومالكه ، وتعالى الله عما يشركون .

ثم ذكر تعالى نوعا آخر من الشرك وهو أنه اذا وجد شيئا من النعمة ينسبه الى عمله أو حيلته واذا أصابه ضر فهنا يرجع الى الله ليكشفه عنه فقال :

٤٩ ﴿فاذا مس الانسان﴾ الجنس ﴿ضر دعانا ثم اذا خولناه﴾ أعطيناه ﴿نعمة﴾ انعاما ﴿منا قال انما أوتيته على علم﴾ مني بوجوه كسبه ، أي بجدي واجتهادي ، وان كان صحة قال انما حصل ذلك بالعلاج الفلاني ، وهذا تناقض . لانه لما كان عاجزا محتاجا أضاف الكل الى الله تعالى ، وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى واسنده الى كسب نفسه ، وهذا تناقض قبيح ولذلك قال الله تعالى ﴿بل هي﴾ أي القولة ﴿فتنة﴾ بلية يبتلى بها العبد ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن التخويل استدراج وامتحان .

٥٠ ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ من الامم كقارون وقومه الراضين بها ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ذلك القول لطلب عزة من الناس أو جاه .

٥١ ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ أي جزاؤها ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ كفار هذه الامة الذين يقولون مثل قولهم ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ بفائتين عذابنا .

٥٢ ﴿أو لم يعلموا﴾ الذين ينسبون حصول الغنى والصحة الى علم وكسب ﴿أن الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ امتحانا وان كان لا حيلة له ولا قوة ﴿ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء وان كان قويا شديد الحيلة فلا باسط ولا قابض الا الله تعالى ويدل على ذلك أنا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه ، فلا بد لذلك من حكمة وسبب ، وذلك ليس هو عقل الرجل وجهله . فانا نرى العاقل القادر في أشد الضيق ، ونرى الجاهل الضعيف في اعظم السعة . فلو علم القائلون أن الرزق بعلم لما قالوا ذلك وردوا الامور الى الله تعالى ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ به .

بعد ذكر بيان أنواع الشرك في الآيات السابقة بين فيما يأتي أن ارتكاب شيء منها لا يمنع قبول توبة التائب منه فقال :

أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ
وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ
نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ
لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي
كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ

٥٣ ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بالجناية عليها بالاسراف في المعاصي ﴿لا تقنطوا﴾ بفتح النون وقرىء بكسرها وبضمها تيأسوا ﴿من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿انه هو الغفور الرحيم﴾ .

٥٤ ﴿وانيبوا﴾ ارجعوا ﴿الى ربكم وأسلموا﴾ أخلصوا العمل ﴿له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ بمنعه ان لم تتوبوا .

٥٥ ﴿واتبعوا أحسن﴾ أحكم ﴿ما أنزل اليكم من ربكم﴾ هو القرآن والسنة ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ قبل اتيانه بوقته . فبادروا قبل .

٥٦ ﴿أن تقول نفس يا حسرتى﴾ أصله يا حسرتي بكسر التاء أي ندامتي ﴿على ما فرطت في جنب الله﴾ أي طاعته ﴿وان﴾ مخففة من الثقيلة ، أي واني ﴿كنت لمن الساخرين﴾ أي مستهزئين بدينه وكتابه .

٥٧ ﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾ بالطاعة أي فاهتديت ﴿لكنت من المتقين﴾ عذابه .

٥٨ ﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة﴾ رجعة الى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ المؤمنين فيقال له من قبل الله :

٥٩ ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ القرآن وهو سبب الهداية ﴿فكذبت بها واستكبرت﴾ تكبرت عن الايمان بها ﴿وكنت من الكافرين﴾ .

٦٠ ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ بنسبة الشرك والولد إليه ﴿وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى﴾ مأوى ﴿للمتكبرين﴾ عن الايمان .

اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ
خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ أُولَٰٓئِكَ
هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
الْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾
بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِۦ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ
وَمَن فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

٦١ بلى ﴿ويُنجي الله﴾ من جهنم ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك ﴿بمفازتهم﴾ أي بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه ﴿لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾ تفسير لمفازتهم .

٦٢ ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ متصرف فيه كيف يشاء ، ومن طلب شيئاً من غيره فقد طلبه من غير صاحبه مع وجود صاحبه المتصرف فيه .

٦٣ ﴿له مقاليد السموات والارض﴾ أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما جمع مقلاد أو مقليد ، ويقال اقليد وأقاليد وهي المفاتيح ، والكلمة فارسية معربة وهو نحو قولك بيد فلان مفتاح هذا الامر ، وليس ثم مفتاح وانما هو عبارة عن شدة تمكنه من ذلك الشيء . وعن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن المقاليد فقال تفسيرها «لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» . والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها أصابه . ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ القرآن ولم يعملوا بمقتضاها ، واتبعوا أهواءهم أو طواغيت في طلب شيء من السموات أو من الارض ، فقد أرادوا الدخول من غير الباب أو من باب مغلق ولا مفتاح معهم ، فصد دونهم الباب عن رغبتهم ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ لا خسارة مثل خسارتهم ، لانهم فقدوا أنفسهم .

ثم أمر تعالى نبيه ﷺ أن يغلظ في آذانهم الدعوة الى عبادة الله وحده على ما يثير عواطفهم اذ لم تنفع بهم الملاطفة فقال :

٦٤ ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنونين بادغام وقرىء بفك وبنون واحدة .

٦٥ ﴿و﴾ الحال ﴿لقد أوحي اليك والى﴾ الانبياء ﴿الذين من قبلك﴾ والله ﴿لئن أشركت﴾ يا محمد فرضا والمقصود بالخطاب أمته ﴿ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ .

٦٦ ﴿بل الله﴾ وحده ﴿فاعبد وكن من الشاكرين﴾ أنعامه عليك بالنبوة والهداية وقيادة الناس الى الله ، ليعظم أجرك .

٦٧ ﴿و﴾ هم ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ما عرفوه حق معرفته ، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره . اما تقدير حق الله بمعنى العظمة فقد قرب تعالى ذلك للقول بقوله ﴿والارض جميعا﴾ حال ﴿قبضته﴾ أي مقبوضة له ، أي في ملكه وتصرفه ﴿يوم القيامة والسموات مطويات﴾ مجموعات ﴿بيمينه﴾ بقدرته وبمعنى المعرفة قال تعالى ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ معه . والمقصود بالتقديرين والله أعلم ، اعطاء العقل شيئا يعتمد عليه اجمالا لا تفصيلا ، ويجب التوقيف فيطلق اللفظ على ما جاء ولا يكيف بصورة . ثم ذكر شيئا من آثار قدرته لزيادة بيان لامر عظيم فوق التصوير فقال :

٦٨ ﴿ونفخ في الصور﴾ النفخة الاولى ﴿فصعق﴾ مات ﴿من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله﴾ من الحور والولدان وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون وانما يموتون بين النفختين ﴿ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم﴾ أي جميع الخلائق الموتى ﴿قيام ينظرون﴾ ينتظرون ما يفعل بهم .

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ
بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ
مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ
حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ
أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ

٦٩ ﴿وأشرقت الارض﴾ أضاءت ﴿بنور ربها﴾ حين يتجلى لفصل القضاء ﴿ووضع الكتاب﴾ كتاب الاعمال للحساب ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ أي محمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ العدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئا .

٧٠ ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ أي جزاءه ﴿وهو أعلم﴾ أي عالم ﴿بما يفعلون﴾ فلا يحتاج الى شاهد ولا كاتب لانه عالم بكل شيء ولا يفوته شيء .

٧١ ﴿و﴾ بعد الحساب ﴿سيق الذين كفروا﴾ بعنف ﴿الى جهنم زمرا﴾ جماعات متفرقة ﴿حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ جواب اذا ﴿وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ القرآن وما اشتمل عليه من الاحكام ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ لقاء ما فيه من الجزاء وهو دليل على أن لا تكليف قبل بعث الرسل ﴿قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب﴾ أي لأملأن جهنم الآية ﴿على الكافرين﴾ .

٧٢ ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ مقدرين الخلود ﴿فبئس مثوى﴾ مأوى ﴿المتكبرين﴾ جهنم .

٧٣ ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم﴾ بلطف ﴿الى الجنة زمرا﴾ أهل صلاة وأهل صوم وهكذا ﴿حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾ الواو فيه للحال بتقدير قد ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم﴾ حالا ﴿فادخلوها خالدين﴾ مقدرين الخلود فيها ، وجواب اذا مقدر أي دخلوها ، وسوقهم وفتح الابواب قبل مجيئهم تكرمة لهم ، وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها اليهم اهانة لهم .

نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ
مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ (٧٥)

(٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَـٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢)
غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ
لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ
اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَـٰدِ (٤)
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ

٦١٧

٧٤ ﴿وقالوا﴾ عطف على «دخلوها» المقدر ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ بالجنة ﴿وأورثنا الارض﴾ أرض الدنيا في حال حياتها ﴿نتبوأ﴾ ننزل اليوم ﴿من الجنة حيث نشاء﴾ لانها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فنعم أجر العاملين﴾ بما أمرهم ربهم وأجرهم الجنة.

٧٥ ﴿وترى الملائكة حافين﴾ حال ﴿من حول العرش﴾ من كل جانب منه ﴿يسبحون﴾ حـال من ضمير حافين ﴿بحمد ربهم﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون سبحان الله وبحمده تلذذا به لا تعبدا ﴿وقضي بينهم﴾ بين الخلائق ﴿بالحق﴾ أي العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة.

﴿سورة المؤمن مكية﴾

وتسمى أيضا سورة الطول والغافر والحواميم تسمى عرائس القرآن وديباجه، وثمرة القرآن ورياض القرآن، ولباب القرآن. قراءتها حرز من أبواب النار السبعة وتسمى آل حم وذوات حم والحواميم.

هي خمس وثمانون آية وموضوعها الرئيسي منع الجدال لادحاض الحق والترغيب في اظهار الحق، وبيان أن الجدال بالباطل تخبط، وبالحق برهان.

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ﴿تنزيـل الكتاب﴾ القرآن مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه.

٣ ﴿غافر الذنب﴾ للمؤمنين ﴿وقابل التوب﴾ لهم مصدر ﴿شديد العقاب﴾ للكافرين أي مشدده ﴿ذي الطول﴾ أي الانعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات. فاضافة المشتق منها للتعريف كالاخيرة ﴿لا اله الا هو اليه المصير﴾ المرجع.

٤ ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ القرآن ﴿الا الذين كفروا﴾ والمقصود الجدال بالطعن، واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق، كقوله تعالى «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق»، وأما الجدال فيها بحل مشكلاتها، وكشف معضلاتها فمن أعظم الطاعات، فهو حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام. قـال تعالى لنبيه محمد ﷺ «وجادلهم بالتي هي أحسن»، وحكى عن قوم نوح قولهم، «يا نوح قد جادلتنا» ﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ للمعاش سالمين فان عاقبتهم النار.

٥ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ يقتلوه ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم﴾ بالعقاب ﴿فكيف كان عقاب﴾ لهم أي هو واقع موقعه.

٦ ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ «لأملأن جهنم» ﴿على الذين كفروا﴾ الذين يجادلونك لابطال ما جئت به من الحق ﴿أنهم أصحاب النار﴾ بدل من كلمة

ذكر تعالى فيما يأتي استغفار الملائكة لمن يرى الحق ويعمل به، ومعاملتهم لمن يجادل في ابطاله، فقال:

٧ ﴿الذين يحملون العرش﴾ مبتدأ ﴿ومن حوله﴾ عطف وهم أعلى طبقات الملائكة، وأولهم وجودا، ومن حوله هم الكروبيون بالتخفيف سادات الملائكة، قائمون حول العرش في صفوف مقبلون ومدبرون ﴿يسبحون﴾ خبره ﴿بحمد ربهم﴾ ملابسين للحمد أي يقولون سبحان الله وبحمده ﴿ويؤمنون به﴾ تعالى ببصائرهم، أي يصدقون بوحدانيته ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ يقولون ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ أي وسعت رحمتك كل شيء، وعلمك كل شيء ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ دين الاسلام ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ النار.

٨ ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن﴾ اقامة ﴿التي وعدتهم ومن صلح﴾ عطف على هم في وأدخلهم أو في وعدتهم ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم﴾ في صنعه!

٩ ﴿وقهم السيئات﴾ أي عذابها ﴿ومن تق السيئات يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ هذا استغفار للمؤمنين، وأما للكفار فقال تعالى:

كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا
بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ
النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا
وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا
وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ

إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا
اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ
مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ
وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ
ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ
مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾
الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ

٦١٩

١٠ ﴿ان الذين كفروا﴾ بالجدال لابطال الحق ﴿ينادون﴾ أي يسمعون صوت نداء من بعيد ولا يعرفون من يدعونهم لانه لا يطلب معهم ألفة ولا تأنيس فيقال لهم ﴿لمقت الله﴾ اياكم ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ لان من يكره الحق انما يكره نفسه . لان وبال كراهته للحق يرجع عليه ، والمقت الكراهة الشديدة ﴿اذ تدعون﴾ في الدنيا ﴿الى الايمان فتكفرون﴾ .

١١ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين﴾ اماتتين ﴿وأحييتنا اثنتين﴾ أي احياءتين لانهم نطفا أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ انكارنا وسعينا ضد الحق ﴿فهل الى خروج﴾ من النار والرجوع الى الدنيا لنبدل عملنا من السعي ضد الحق فنساعد كلام الرسل ونعمل بمقتضاه ﴿من سبيل﴾ طريق ، وجوابهم لا .

١٢ ﴿ذلكم﴾ أي العذاب الذي أنتم فيه ﴿بأنه﴾ أي بسبب أنه في الدنيا ﴿اذا دعي الله وحده كفرتم﴾ بتوحيده ﴿وان يشرك به﴾ يجعل له شريك ﴿تؤمنوا﴾ تصدقوا بالاشراك ﴿فالحكم﴾ في تعذيبكم ﴿لله العلي﴾ على خلقه ﴿الكبير﴾ العظيم .

١٣ ﴿هو الذي يريكم﴾ أيها الناس ﴿آياته﴾ دلائل توحيده ﴿وينزل لكم من السماء رزقا﴾ بالمطر ﴿وما يتذكر﴾ يتعظ ﴿الا من ينيب﴾ يرجع عن الشرك .

١٤ ﴿فادعوا الله﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿ولو كره الكافرون﴾ اخلاصكم منه .

١٥ ﴿رفيع الدرجات﴾ أي الله عظيم الصفات ، أو رافع درجات المؤمنين في الدنيا والآخرة ﴿ذو العرش﴾ خالقه ﴿يلقي الروح﴾ الوحي للانبياء أو التبصر بالاحكام لاهل الاصلاح بعد انقضاء النبوة ﴿من أمره﴾ أي قوله المنزل ﴿على من يشاء من عباده لينذر﴾ يخوف الملقى عليه الناس ﴿يوم التلاق﴾ بحذف الياء وقرىء باثباتها أي يوم القيامة لتلاقي أهل السماء والارض ، والعابد والمعبود ، والظالم والمظلوم فيه .

١٦ ﴿يوم هم بارزون﴾ خارجون من قبورهم ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ كل شيء ظاهر ومكشوف عنده ، ويقول تعالى يوم القيامة عند خروج الناس من القبور له ﴿لمن الملك اليوم﴾ فيجيب العباد المؤمن والكافر ﴿لله الواحد القهار﴾ فلا يستطيع منكر في ذلك اليوم أن يجادل لانطباق الحق الذي عليهم روى ابو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر المنادي لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنوهم وكافروهم «لله الواحد القهار» فيقول المؤمنون هذا الجواب سرورا وتلذذا ، و يقوله الكافرون غما وانقيادا وخضوعا . ثم يقال لهم :

١٧ ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف النهار من أيام الدنيا جاء الحديث بذلك .

ثم أمر تعالى نبيه أن يجدد تهديد أصحاب الضلال الذين يجادلون ليدحضوا به الحق فقال .

الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا
فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ
مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم
بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

٦٢٠

١٨ ﴿وانذرهم يوم الآزفة﴾ يوم القيامة من أزف الرحيل أي قرب ﴿اذ القلوب﴾ ترتفع خوفا ﴿لدى﴾ عند ﴿الحناجر كاظمين﴾ ممتلئين غما حال من القلوب . عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿ما للظالمين من حميم﴾ محب ﴿ولا شفيع يطاع﴾ لا مفهوم للوصف اذ لا شفيع لهم أصلا فما لهم من شافعين أو له مفهوم بناء على زعمهم شفعاء أي لو شفعوا فرضا لم يقبلوا .

١٩ ﴿يعلم﴾ أي الله ﴿خائنة الأعين﴾ بمسارقتها ﴿وما تخفي الصدور﴾ القلوب .

٢٠ ﴿والله يقضي بالحق والذين يدعون﴾ يعبدون أي الكفار وقرىء بالتاء التفاتا للمخاطبين ﴿من دونه﴾ المعبودات غير الله ﴿لا يقضون بشيء﴾ فكيف يكونون شركاء لله ﴿ان الله هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿البصير﴾ بأفعالهم .

ثم بعد التهديد بالكلمات خصهم تعالى بالاعتبار بآثار الامم السالفة الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، كيف أهلكوا فقال :

٢١ ﴿أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا﴾ يجادلون بالباطل لافساد الحق ﴿من قبلهم﴾ قومك الكفار ﴿كانوا هم﴾ كفار الامم السالفة ﴿أشد منهم﴾ وفي قراءة منكم ﴿قوة وآثارا في الارض﴾ من مصانع وقصور ﴿فأخذهم الله﴾ أهلكهم ﴿بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ عذابه .

٢٢ ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فكفروا﴾ وعارضوها بالتكذيب والسعي في ابطالها ﴿فأخذهم الله﴾ ولم تنفعهم حصونهم وقلاعهم الحصينة ولا قوتهم ﴿انه﴾ تعالى ﴿قوي شديد العقاب﴾ لا يقاوم عذابه شيء اذا نزل وكما فعل الله بهم يفعل بمن يسعى في ابطال دعوة نبيه محمد ﷺ من هذه الامة .

ثم مثل تعالى بذكر قصة فرعون كيف سعى في ابطال دعوة موسى بالجدال بالباطل المفكك وكيف عارض رجل مؤمن من أهله بالحجج الدامغة والبراهين الواضحة فقال :

٢٣ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ برهان بين ظاهر .

٢٤ ﴿الى فرعون وهامان وقارون فقالوا﴾ هو ﴿ساحر كذاب﴾ .

وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ
وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ
اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ

٦٢١

٢٥ ﴿فلما جاءهم بالحق﴾ بالصدق ﴿من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا﴾ استبقوا ﴿نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ هلاك .

٢٦ ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ لانهم كانوا يكفونه عن قتله بقولهم له ليس الذي تخافه ، وأنه أقل من ذلك وأضعف ، وما هو الا بعض السحرة اذا أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة . هذا والظاهر من حال اللعين أنه قد استيقن أنه نبي ، وأن ما جاء به حق ، ولكن كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك . وانما قال ذروني الخ تمويها وايهاما أنهم هم المانعون له من قتله ، ولولاهم لقتله ، مع أنه ما منعه الا ما في نفسه من الفزع الهائل . وقوله ﴿وليدع ربه﴾ ليمنعه مني قاله تجلدا وأظهارا لعدم المبالاة ولكنه هو أخوف الناس منه وايهاما للاغبياء أن موسى ليس على شيء ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ من عبادتكم اياي فتتبعوه ﴿أو أن يظهر في الارض الفساد﴾ من قتل وغيره فتبديل الدين عنده فساد ، لان الناس اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذي كانوا عليه . فلما جاء موسى ساعيا في فساده اعتقدوا أنه ساع في فساد الدين الحق ، ويدخل في ذلك فساد الدنيا بأن يجتمع عليه أقوام ، ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن . وبدأ فرعون بذكر الدين أولا لان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم .

٢٧ ﴿وقال موسى﴾ لقومه وقد سمع مقالة فرعون يطلب قتله ﴿إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراءة على الله تعالى ، والاستعاذة من شر الجبابرة مطلوب وفيه الاعتماد على الله .

ولما استعاذ موسى بالله من شر فرعون اللعين ، قيض الله له من تصدى لمنع هذا اللعين ومخاصمته .

٢٨ ﴿وقال رجل مؤمن﴾ والاصح أن اسمه شمعان على وزن سلمان ، وكان صاحب سره ومشورته ، وهو الذي جاء من اقصى المدينة يسعى في القصص . وروي عن النبي ﷺ أنه قال «الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلان يقول ربي الله واسمه حزقيل والثالث أبو بكر الصديق» وهو أفضلهم رضي الله عنه . ﴿من آل فرعون﴾ هو ابن عمه ﴿يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن﴾ أي لان ﴿يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه﴾ أي ضرر كذبه ﴿وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلا ﴿ان الله لا يهدي من هو مسرف﴾ مشرك ﴿كذاب﴾ مفتر .

٢٩ ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ غالبين حال ﴿في الارض﴾ أرض مصر خاصة ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ عذابه ان قتلتم أولياءه ﴿ان جاءنا﴾ أي لا ناصر لنا ونظم نفسه في سلكهم فيما يهمهم من مجيء بأس الله تطييبا لقلوبهم ، وايذانا بأنه مناصح ساع في تحصيل ما يجديهم ، ودفع ما يرديهم ليتأثروا بنصحه ﴿قال فرعون ما أريكم الا ما أرى﴾ أي ما أشير عليكم الا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى ﴿وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾ طريق الصواب .

٣٠ ﴿وقال الذي آمن﴾ يذكره بصفة الايمان لانها هي التي تحمله على قول ما يقوله ﴿يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب﴾ أي يوم حزب بعد حزب .

٣١ ﴿مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ مثل بدل من مثل قبله . أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾ .

٣٢ ﴿ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد﴾ بحذف الياء وقرىء باثباتها أي يوم القيامة يكثر نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس ، والنداء بالسعادة لأهلها . وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك .

٣٣ ﴿يوم تولون مدبرين﴾ عن موقف الحساب الى النار ﴿ما لكم من الله﴾ أي من عذابه ﴿من عاصم﴾ مانع ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ .

٣٤ ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أي قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب بينه وبين موسى أربعمائة سنة قاله السيوطي في تحبيره وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب ﴿بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات. ﴿فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم﴾ من غير برهان ﴿لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كذلك﴾ أي مثل اضلالكم ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ مشرك ﴿مرتاب﴾ شاك فيما شهدت به البينات .

٣٥ ﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ معجزاته مبتدأة ﴿بغير سلطان﴾ برهان ﴿أتاهم كبر﴾ جدالهم خبر المبتدأ ﴿مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك﴾ أي مثل اضلالهم ﴿يطبع﴾ يختم ﴿الله﴾ بالضلال ﴿على كل قلب متكبر جبار﴾ بدون تنوين قلب وقرىء به ، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس ، وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب

٣٦ ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا﴾ بناء عاليا ﴿لعلي أبلغ الاسباب﴾ .

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ
نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا
لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾
يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن
يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ
مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ
إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ
يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ
جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ
ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ
وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ
ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ
صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ
أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي
لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ
إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ
لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ
وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ

٣٧ ﴿أسباب السموات﴾ طرقها الموصلة اليها ﴿فأطلع﴾ بالنصب جوابا لابن ، وقرىء بالرفع عطفا على أبلغ ﴿الى اله موسى واني لأظنه﴾ أي موسى ﴿كاذبا﴾ في أن له إلهاً غيري ، قال فرعون ذلك تمويها ﴿وكدلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل﴾ طريق الهدى بضم الصاد وفتحها ﴿وما كَيد فرعون إلا في تباب﴾

٣٨ ﴿وقال الذي آمن يقوم اتبعون﴾ بإثبات الياء وقرىء بحذفها ﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾ تقدم .

٣٩ ﴿يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع﴾ تمتع يزول ﴿وان الآخرة هي دار القرار﴾ .

٤٠ ﴿من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة﴾ بفتح وضم الخاء وقرىء بالعكس ﴿يرزقون فيها بغير خساب﴾ رزقا واسعا بلا تبعة

٤١ ﴿ويا قوم مالي أدعوكم الى النحاة وتدعونني الى النار﴾ .

٤٢ ﴿تدعونني لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ لمن تاب .

٤٣ ﴿لا جرم﴾ حقا ﴿أنما تدعونني اليه﴾ لأعبده ﴿ليس له دعوة﴾ أي استجابة دعوة ﴿في الدنيا ولا في الاخرة وأن مردنا﴾ مرجعنا ﴿الى الله وأن المسرفين﴾ الكافرين ﴿هم أصحاب النار﴾ أي يدخلونها ولا يفارقونها أبدا .

لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴿٤٤﴾
فوقه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء
العذاب ﴿٤٥﴾ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم
تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴿٤٦﴾
وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴿٤٧﴾
قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين
العباد ﴿٤٨﴾ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ﴿٤٩﴾ قالوا أولم تك
تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما
دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴿٥٠﴾ إنا لننصر رسلنا
والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴿٥١﴾

٦٢٤

٤٤ ﴿فستذكرون﴾ اذا عاينتم العذاب ﴿ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم فأرادوا قتله ففر هاربا من بينهم ، فأرسل فرعون خلفه طائفة ليقتلوه فأكلت السباع بعضهم ، ورجع بعضهم هاربا ، فقتل فرعون من رجع عقوبة على عدم قتله لذلك الرجل المؤمن .

٤٥ ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ به من القتل ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بآل فرعون﴾ قومه معه ﴿سوء العذاب﴾ الغرق ثم :

٤٦ ﴿النار يعرضون عليها﴾ يحرقون بها ﴿غدوا وعشيا﴾ ومساء ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقال للملائكة ﴿أدخلوا آل فرعون﴾ بفتح الهمزة وكسر الخاء . أمر للملائكة ، وفي قراءة بهمزة وصل وضم الخاء . ويقدر ياء النداء قبل آل فرعون ، فكأنهم أمروا أن يدخلوا النار بانفسهم ﴿أشد العذاب﴾ عذاب جهنم .

ففي القصة مجادلة عنيفة بين فرعون والرجل من آله المؤمن ، وكان يكتم ايمانه ، ولكن لا يخفي ما في القلب حتى ظهر لهم أنه مؤمن ، فأرادوا قتله ، فحفظه ربه لما فوض الامر اليه ، واهلك أعداءه ، وعذبهم دنيا واخرى ، ثم عقب تعالى عن القصة فقال مخاطبا للنبي محمد ﷺ .

٤٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ يتحاجون﴾ يتخاصم الكفار من آل فرعون وغيرهم من الكفار ﴿في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا﴾ للرؤساء ﴿انا كنا لكم تبعا﴾ جمع تابع ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون ﴿عنا نصيبا﴾ جزءا ﴿من النار﴾ .

٤٨ ﴿قال الذين استكبروا﴾ للضعفاء أتباعهم ﴿انا كل فيها﴾ أي فكيف نغني عنكم ، ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا ﴿ان الله قد حكم بين العباد﴾ أي فلا يغني أحد عن أحد شيئا ، فعند ذلك يحصل اليأس .

٤٩ ﴿وقال الذين في النار﴾ الرؤساء والاتباع ﴿لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما﴾ أي قدر يوم ﴿من العذاب﴾ .

٥٠ ﴿قالوا﴾ أي الخزنة تهكما ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ بالمعجزات الطاهرات ﴿قالوا بلى﴾ أي أتونا فكذبناهم ولم نعمل بما جاءونا به ﴿قالوا فادعوا﴾ أنتم فانا لا نشفع للكافرين .

قال تعالى ﴿وما دعاء الكافرين الا في ضلال﴾ انعدام .

٥١ ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد﴾ جمع شاهد ، وهم الملائكة الكرام الكاتبون ، يشهدون بما شهدوا ، والانبياء فانهم يحضرون يوم القيامة على الامم بالتصديق والتكذيب ، كما قال تعالى :

«فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» . والمؤمنون يشهدون على الناس أيضا يوم القيامة قال تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» .

يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا
ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ
فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ

٦٢٥

٥٢ ﴿يوم لا ينفع﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿الظالمين معذرتهم﴾ عذرهم لو اعتذروا ﴿ولهم اللعنة﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾ الآخرة أي شدة عذابها .

وبعد التعقيب على جانب الكفار المجادلين فرعون وقومه ، وما يصيبهم في النار من التخاصم وعاقبة السوء ، عقب تعالى أيضا على الجانب الآخر أصحاب الحق موسى واتباعه وفلاحهم فيما صنعوا فقال :

٥٣ ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وأورثنا بني اسرائيل﴾ من بعد موسى ﴿الكتاب﴾ التوراة .

٥٤ ﴿هدى﴾ أي هاديا ﴿وذكرى لاولي الالباب﴾ تذكرة لاصحاب العقول ، أي هكذا أنت يا محمد ، أعطيناك القرآن وسنورثه لامتك بعدك ليعملوا به ، فهو لهم هدى وذكرى لاولي الالباب ، ثم سلاه تعالى فقال :

٥٥ ﴿فاصبر﴾ يا محمد – كما صبر موسى – على أذى قومك وجدالهم بالباطل ضلك ﴿ان وعد الله﴾ بنصر أوليائه ﴿حق﴾ أنت ومن تبعك منهم ﴿واستغفر لذنبك﴾ ليستن بك ﴿وسبح﴾ صل متلبسا ﴿بحمد ربك بالعشي﴾ وهو بعد الزوال ﴿والابكار﴾ الصلوات الخمس . قال فيها أو في التسبيح والتحميد تسلية لك ولاتباعك المؤمنين ، حتى يأتي وعد الله بالنصر على الاعداء في الدنيا ، أو بالموت على الايمان فتدخلوا الجنة في الآخرة .

٥٦ ﴿ان الذين يجادلون في آيات الله﴾ القرآن ﴿بغير سلطان﴾ برهان ﴿أتاهم ان﴾ ما ﴿في صدورهم إلا كبر﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿ما هم ببالغيه﴾ أي ببالغي مقتضى تكبرهم ، وهو التعاظم والرياسة والتقدم عليك ﴿فاستعذ﴾ من شرهم ﴿بالله انه هو السميع﴾ لاقوالهم ﴿البصير﴾ بالاحوال .

٥٧ ﴿لخلق السموات والارض﴾ ابتداء ﴿أكبر من خلق الناس﴾ فمن شاهد عظمتهما ، وعرف أن الناس جنس من المخلوقات فيهما ، فلا يجادل في آيات الله ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني الكفار ﴿لا يعلمون﴾ أن السموات والارض من خلق الله حتى يقارنوا خلقهما بخلق الناس ، ويعرفوا عظمة الخالق وقدرته وحكمته ، فيتركوا الجدال في آياته ، فهم كالاعمى ، ومن يعلم كالبصير .

٥٨ ﴿وما يستوي الاعمى والبصير و﴾ لا ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهو المحسن ﴿ولا المسيء﴾ فيه زيادة لا أي للتأكيد ﴿قليلا ما تذكرون﴾ تتعظون ، بالتاء المثناة الفوقانية . وقرىء بالتحتانية أي تذكركم بالالتفات توبيخا ، أو تذكرهم قليلا .

٥٩ ﴿ان الساعة لآتية لا ريب فيها﴾ ففيها تظهر الحقائق فلا يمكن انكارها ، ولا يجادل فيها المجادل . ﴿ولكن اكثر الناس لا يؤمنون﴾ بها فأنكروها وجادلوا في آياتنا .

٦٠ ﴿وقال ربكم﴾ أيها الناس ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ بدل دعائكم من لا يستجيب لكم ودعاؤكم اياي مع اجابتي أياكم يقنعكم عني ويمنعكم عن المجادلة في آياتي فأبيتم وستكبرتم عن الدعاء ﴿ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون﴾ بفتح الياء وضم الخاء . وفي قراءة بالعكس ﴿جهنم داخرين﴾ صاغرين . فجزاء التكبر الاهانة .

قلت هذا يدل على عظم الدعاء عند الله ، حيث طلب دعاء الناس له ليكرمهم بالاستجابة لهم ، وجعل تعالى من لا يسأله من المتكبرين ، وعاكسهم بالذل والصغار جزاء لما فعلوا من عدم التواضع له . قال أنس قال النبي ﷺ «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى في شسع نعله اذا انقطع» ثم ان الدعاء له شروط حتى تصلح للاستجابة . منها الاخلاص في الدعاء ، وان لا يدعو

وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء ، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان ، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم ، وأن يفتح بالثناء على الله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ ويختم كذلك . فاذا كان الدعاء بهذه الشروط ، كان حقيقا بالاجابة ، فاما أن يعجلها له ، واما أن يؤخرها له ، يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له في الدنيا واما أن يؤخر له في الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ، ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا : يا رسول الله وكيف يستعجل قال : يقول دعوت فما استجاب لي» . أخرجه الترمذي وقال حديث غريب . وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال .

ثم شرع تعالى يبين آيات الكون المحسوسة لعل المجادلين في الآيات المعقولة يكفون عن جدالهم بالاستدلال بالاولى على الثانية . فقال :

٦١ ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ اسناد الابصار اليه مجازي ، لانه يبصر فيه ﴿ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله فلا يؤمنون .

٦٢ ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان .

٦٣ ﴿كذلك يؤفك﴾ أي مثل إفك هؤلاء إفك ﴿الذين كانوا بآيات الله﴾ معجزاته ﴿يجحدون﴾ .

٦٤ ﴿الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء﴾ سقفا ﴿وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ .

٦٥ ـ ﴿هو الحي لا اله الا هو فادعوه﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ . وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولعله لشكر النعمة على الهداية .

ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ
رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾
۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ
لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟
أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ
يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟
ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ
يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ

٦٦ ﴿قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله لما جاءني البينات﴾ دلائل التوحيد ﴿من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ أي أسلم أمري اليه تعالى ، وذلك انما يكون بالرضا والانقياد لحكمه ، فاني لا أدعوكم الا الى ما أدعو نفسي اليه من اخلاص العبادة له ، وعلم السعي في ابطال آياته تعالى . ثم نبهكم تعالى بخلق أنفسكم فقال :

٦٧ ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثم من نطفة﴾ مني ﴿ثم من علقة﴾ دم عبيط ﴿ثم يخرجكم طفلا﴾ بمعنى أطفالا ﴿ثم﴾ يبقيكم ﴿لتبلغوا أشدكم﴾ تكامل قوتكم من الثلاثين سنة الى الاربعين ﴿ثم لتكونوا شيوخا﴾ بضم الشين وقرىء بكسرها ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أي قبل الاشد والشيخوخة . فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿ولتبلغوا أجلا مسمى﴾ وقتا محدوداً ﴿ولعلكم تعقلون﴾ دلائل التوحيد فتومنوا وتتركوا الجدال في آياته .

٦٨ ﴿هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا﴾ أراد ايجاد شيء ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ بضم النون وقرىء بفتحها بتقدير أن . أي يوجد عقب الارادة التي هي معنى القول المذكور .

ثم بين تعالى جزاء الذين يجادلون في آيات الله بالباطل يوم القيامة ، وبدأ بتعجيب المخاطب في شأنهم فقال :

٦٩ ﴿ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله﴾ القرآن ﴿أنى﴾ كيف ﴿يصرفون﴾ عن الايمان .

٧٠ ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ القرآن ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من التوحيد والبعث وهم كفار هذه الامة ﴿فسوف يعلمون﴾ عقوبة تكذيبهم .

٧١ ﴿اذ الاغلال في أعناقهم﴾ اذ بمعنى اذا ﴿والسلاسل﴾ عطف على الاغلال فتكون في الاعناق ، أو مبتدأ خبره محذوف . أي في أرجلهم أو خبره ﴿يسحبون﴾ أي يجرون بها .

٧٢ ﴿في الحميم﴾ أي جهنم ﴿ثم في النار يسجرون﴾ يوقدون .

٧٣ ﴿ثم قيل لهم﴾ تبكيتا ﴿أينما كنتم تشركون﴾ .

٧٤ ﴿من دون الله﴾ معه من معبوداتكم ﴿قالوا ضلوا﴾ غابوا ﴿عنا﴾ فلا نراهم ﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا﴾ أنكروا عبادتهم اياها ، أو قالوا بل تبين لنا أنا لم نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئا يعتد به ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الضلال الفظيع ﴿يضل الله الكافرين﴾ ويقال لهم أيضا :

٧٥ ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق﴾ من الجدال في آيات الله . ﴿وبما كنتم تمرحون﴾ تتوسعون في الفرح .

٧٦ ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى﴾ مأوى ﴿المتكبرين﴾ الذين ينقادون لحكم الله ويجادلون في آياته .

ثم سلى تعالى نبيه فقال :

٧٧ ﴿فاصبر ان وعد الله﴾ بعذابهم ﴿حق فاما نرينك﴾ فيه ان الشرطية مدعمة ، وما زائدة توكد معنى الشرط أول الفعل والنون توكيد آخره ﴿بعض الذي نعدهم﴾ أي به من العذاب في حياتك ، وجواب الشرط محذوف أي فذاك .﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فالينا يرجعون﴾ فنعذبهم أشد العذاب . فالجواب المذكور للمعطوف فقط .

٧٨ ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية الآف نبي أربعة الآف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ولكن الصحيح ان عدد الرسل حصراً غير ثابت فلا حرم بعدد معين ﴿وما كان لرسول﴾ منهم ﴿أن يأتي بآية الا باذن الله﴾ لانهم عبيد مربوبون ﴿فاذا جاء أمر الله﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قضي﴾ بين الرسل ومكذبيهم ﴿بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ أي المجادلون في الحق يريدون ابطاله ، أي ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك .

ثم جمع تعالى دروس السورة مجملة في هذه الفقرة تلخيصا بديعا لاثبات معانيها في الذهن مرة ثانية فقال :

(الجزء الرابع والعشرون)

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ
أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن
قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً
فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

٦٢٨

٧٩ ﴿الله الذي جعل لكم الانعام﴾ هي الابل والبقر والغنم ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ .

٨٠ ﴿ولكم فيها منافع﴾ من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ هي حمل الانتقال الى البلاد ﴿وعليها﴾ في البر ﴿وعلى الفلك﴾ السفن في البحر ﴿تحملون﴾ .

٨١ ﴿ويريكم آياته﴾ في كل شيء تدلكم على الحق لتتركوا المجادلة فيها ﴿فأي آيات الله﴾ الدالة على وحدانيته ﴿تنكرون﴾ استفهام وتوبيخ وتذكير أي أشهر من تأنيثه بأن يقال أية .

كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم
مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ
يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ
خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

(٤١) سُورَةُ فُصِّلَتْ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ

٨٢ ﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض﴾ من مصانع وقصور ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ .

٨٣ ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فرحوا﴾ أي الكفار ﴿بما عندهم﴾ الرسل ﴿من العلم﴾ فرح استهزاء وضحك منكرين له ، اذ لم يأخذوه بالقبول ويمتثلوا أوامر الله ونواهيه ، وجادلوا فيه لابطاله ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي العذاب .

٨٤ ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ أي شدة عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ .

٨٥ ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه رسمت «سنت» مجرورة ﴿التي قد خلت في عباده﴾ في الامم ، أي لا ينفعهم الايمان وقت نزول العذاب ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ تبين خسرانهم لكل أحد ، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك .

﴿ سورة فصلت مكية ﴾

وتسمى حم السجدة وسورة المصابيح وهي ثلاث وخمسون آية ، وموضوعها الرئيسي بيان أن القرآن دواء للعالم – بالفتح – المريض ، وغذاء للصحيح .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به .

٢ ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ مبتدأ .

فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا
وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ
فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ
أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ

٦٣٠

٣ ﴿كتاب﴾ خبره ﴿فصلت آياته﴾ بينت به الاحكام والقصص والمواعظ ﴿قرآنا عربيا﴾ حال من كتاب بصفته ، ﴿لقوم﴾ متعلق بفصلت ﴿يعلمون﴾ أي لفائدة قوم اتصفوا بالعلم ، وتنكير قوم يفيد أن المقصود غير العرب ، بل هم كل من اتصف بالعلم ، فانه ينتفع به ، ويداوي له كلومه .

٤ ﴿بشيرا﴾ صفة قرآنا ﴿ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ سماع قبول .

٥ ﴿وقالوا﴾ للنبي ﷺ ﴿قلوبنا في أكنة﴾ أغطية ﴿مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر﴾ ثقل ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ خلاف في الدين ، وسماه حجابا مبالغة في التباين المفرط ، فلذلك جيء بمن أي سدت آذانهم بوقر ، وحجبوا عن رؤيته فلا يسمعونه ولا يرونه ﴿فاعمل﴾ على دينك ﴿انا عاملون﴾ على ديننا .

٦ ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه﴾ بالايمان والطاعة ﴿واستغفروه وويل﴾ كلمة عذاب ﴿للمشركين﴾ .

٧ ﴿الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾ .

٨ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ مقطوع .

٩ ﴿قل أئنكم﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وقرىء بتسهيلها وادخال ألف بينها بوجهيها وبين الاولى ﴿لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين﴾ نوبتين كل نوبة أسرع مما يكون في يوم فسمى اليومين بالاحد والاثنين ﴿وتجعلون له أندادا﴾ شركاء ﴿ذلك رب﴾ مالك ﴿العالمين﴾ جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء .

١٠ ﴿وجعل﴾ مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الاجنبي ﴿فيها رواسي﴾ جبالا ثوابت ﴿من فوقها وبارك فيها﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وقدر﴾ قسم ﴿فيها أقواتها﴾ للناس والبهائم ﴿في﴾ تمام ﴿أربعة أيام﴾ نوبات . أي الجعل وما ذكر معه في يومي الثلاثاء والاربعاء ﴿سواء﴾ منصوب على المصدر ، أي استوت الاربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿للسائلين﴾ عن خلق الارض بما فيها .

إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا
أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ
سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا
ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً
مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ
بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ
شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ
أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ
أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ

٦٣١

١١ ﴿ثم استوى﴾ قصد ﴿الى السماء وهي دخان﴾ بخار مرتفع ، أي وخلقها في يومين فجعل تعالى مدة خلق الارض بما فيها ضعف مدة خلق السموات ، مع كون السماء أكبر من الارض وأكثر مخلوقات وعجائب ، للتنبيه على أن الارض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين ومن كثرة المنافع فزادت مدة خلقها ليكون ذلك أدخل في المنة على ساكنيها ، والاعتناء بشأنهم وشأنها ، وأيضا زادت مدتها لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمجادلات والمعالجات ، ولتعليم أبنائها الانس والجن معنى التأني والتؤدة في الامور المهمة ، ولاظهار أن الاهمية ليست في الكبر ولا في الكثرة ، وانما هي في الفوائد والمصالح ﴿فقال﴾ تعالى ﴿لها﴾ السماء ﴿وللارض ائتيا﴾ الى مرادي منكما ﴿طوعا أو كرها﴾ في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين ﴿قالتا أتينا﴾ بمن فينا ﴿طائعين﴾ فيه تغليب المذكر العاقل ، أو نزلتا لخطابهما منزلته .

١٢ ﴿فقضاهن﴾ الضمير يرجع الى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة اليه ، أي صيرها ﴿سبع سموات في يومين﴾ الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ، ووافق ما هنا آيات خلق السموات والارض في ستة أيام ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ بنجوم ﴿وحفظا﴾ منصوب بفعله مقدر ، أي حفظناها حفظا من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه .

ثم التفت السياق فقال تعالى للنبي ﷺ :

١٣ ﴿فان أعرضوا﴾ أي الكفار عن الايمان بعد هذا البيان ﴿فقل أنذرتكم﴾ خوفتكم ﴿صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ أي عذابا يهلككم مثل الذي أهلكهم .

١٤ ﴿اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي ، والاهلاك الذي أنذر به النبي ﷺ قومه انما هو في زمنه فقط لا بعد وفاته ﷺ ﴿أن﴾ أي بأن ﴿لا تعبدوا الا الله قالوا﴾ أي عاد وثمود المخاطبون من قبل هود وصالح ﴿لو شاء ربنا لأنزل﴾ علينا ﴿ملائكة فانا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم ﴿كافرون﴾ .

١٥ ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا﴾ لما خوفوا بالعذاب ﴿من أشد منا قوة﴾ أي لا أحد ، وكان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء ﴿أو لم يروا﴾ يعلموا ﴿أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا﴾ المعجزات ﴿يجحدون﴾ .

١٦ ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصرا﴾ باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿في أيام نحسات﴾ بكسر الحاء وسكونها مشؤومات عليهم ﴿لنذيقهم عذاب الخزي﴾ الذل ﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى﴾ أشد ﴿وهم لا ينصرون﴾ بمنعه عنهم .

١٧ ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ بينا لهم طريق الهدى ﴿فاستحبوا العمى﴾ اختاروا الكفر ﴿على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ المهين ﴿بما كانوا يكسبون﴾ .

١٨ ﴿ونجينا﴾ منها ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الله أي يعلمون بمقتضى ايمانهم بالله .

بعد أن ذكر تعالى عناد عاد وثمود ، وتكبرهم عن قبول كلمة لا اله الا الله فأهلكوا بالصاعقة والريح ، وكان عناد كفار هذه الأمة مثل عنادهم في استحقاق العذاب لولا أن الله رفع عن هذه الأمة هذه الأنواع من العذاب في الدنيا كما ثبت في قوله تعالى «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» . وقد جاء في الحديث الصحيح أن الله رفع عن هذه الأمة الأنواع المذكورة من العذاب . لكن هذا في الدنيا ولذلك يبين لهم بما يأتي أحوال القيامة فقال :

١٩ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يحشر﴾ بالياء المضمومة مع فتح الشين ورفع أعداء وقرىء بفتح الياء وضم الشين ونصب أعداء ﴿أعداء الله الى النار فهم يوزعون﴾ يساقون .

٢٠ ﴿حتى اذا ما﴾ زائدة ﴿جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ .

٢١ ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ ان أراد نطقه ﴿وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون﴾ قيل هو من كلام الجلود ، وقيل من كلام الله تعالى كالذي بعده ، وموقعه قريب مما قبله بأنه قادر على انشائكم ابتداء ، واعادتكم بعد الموت أحياء ، قادر على انطاق جلودكم وأعضائكم .

٢٢ ﴿وما كنتم تستترون﴾ عند ارتكابكم الفواحش من ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿ولكن ظننتم﴾ عند استتاركم ﴿أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾ .

ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ
وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟
ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟
يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟
لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ
كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ

فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ
مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾
۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً
بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا
تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ

٢٣ ﴿وذلكم﴾ مبتدأ ﴿ظنكم﴾ بدل منه ﴿الذي ظننتم بربكم﴾ نعت والخبر ﴿أرداكم﴾ أي أهلككم ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ لأنه صار ما منحوه به من الأعضاء سببا لشقاوتهم في الدارين من حيث أنها كانت مفضية بهم الى الجهل المركب بالله سبحانه وتعالى ، واتباع الشهوات وارتكاب المعاصي .

٢٤ ﴿فإن يصبروا﴾ أهل النار الخاسرون على العذاب ﴿فالنار مثوى﴾ مأوى ﴿لهم وان يستعتبوا﴾ يطلبوا العتبى أي الرضا أو الرجوع ﴿فما هم من المعتبين﴾ المرضيين المحابين اليها .

٢٥ ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ بعثنا لهم قرناء أي الشياطين يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض . والقيض قشر البيض ، وقيل أصل القيض البدل ، ومنه المقايضة للمعاوضة ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات والقبائح حتى آثروها ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب ﴿وحق عليهم القول﴾ بالعذاب وهو لأملأن جهنم الآية ﴿في﴾ جملة ﴿أمم قد خلت﴾ هلكت ﴿من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين﴾ .

٢٦ ﴿وقال الذين كفروا﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته ﴿لعلكم تغلبون﴾ فيسكت عن القراءة . قال الله تعالى فيهم :

٢٧ ﴿فلنذيقن الذين كفروا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على الشمول ﴿عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ أي أقبح جزاء عملهم ، وذلك النار فهي أسوأ عذاب لأسوأ عمل وهو الكفر .

٢٨ ﴿ذلك﴾ العذاب الشديد ، وأسوأ الجزاء ﴿جزاء أعداء الله﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وقرىء بابدالها واوا ﴿النار﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ أي الاقامة لا انتقال منها ﴿جزاء﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بما كانوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿يجحدون﴾ .

٢٩ ﴿وقال الذين كفروا﴾ في النار ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس﴾ أي ابليس وقابيل سنا الكفر والقتل ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ في النار ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ أي أشد عذابا منه .

بعد بيان أحوال الكفار لما أعرضوا عن الحق ، وقيض لهم قرناء ، وما ترتب عليهم في ذلك . شرع تعالى يبين حال المؤمنين وقت النزع والاحتضار فقال :

قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا
مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا
إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا
ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ

٦٣٤

٣٠ ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على التوحيد وغيره من جميع المأمورات ما استطاعوا ، وترك المنهيات ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت ﴿أن﴾ بأن ﴿لا تخافوا﴾ من الموت وما بعده ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه ﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ .

٣١ ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ أي نحفظكم فيها ﴿وفي الآخرة﴾ أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾ تطلبون .

٣٢ ﴿نزلا﴾ رزقا مهيئا ، منصوب بجعل مقدرا ﴿من غفور رحيم﴾ أي الله

ثم شرع في بيان صفات الواعظ وذكر آداب الوعظ والارشاد فقال مخاطبا النبي ﷺ اذ هو سيد الدعاة

٣٣ ﴿ومن أحسن قولا﴾ أي لا أحد أحسن قولا ﴿ممن دعا الى الله﴾ بالتوحيد ﴿وعمل صالحا وقال انني من المسلمين﴾ أي قال ذلك ابتهاجا بالاسلام وفرحا به ، واتخاذا له دينا . والآية عامة لمن استجمعت له تلك الصفات . وللدعوة الى الله مراتب . الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات ، وبالحجج ، والبراهين ، وبالسيف ، وهذه المرتبة لم تتفق لغير الأنبياء . والمرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط . والمرتبة الثالثة دعوة المجاهدين في سبيل الله بالسيف ، فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوهم في دين الله وطاعته . والمرتبة الرابعة دعوة المؤمنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله تعالى أي الى طاعته .

ولما ذكر صفات الواعظ الداعي الى الله ، ذكر آداب الوعظ والارشاد فقال :

٣٤ ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ في جزئياتهما لأن بعضها فوق بعض ﴿ادفع﴾ السيئة ﴿بالتي﴾ أي بالخصلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالغضب بالصبر ، والجهل بالحلم ، والاساءة بالعفو ﴿فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته الذي لم تسبق منه عداوة ، اذا فعلت ذلك ، فالذي مبتدأ ، وكأنه الخبر ، واذا ظرف لمعنى التشبيه .

٣٥ ﴿وما يلقاها﴾ أي يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم﴾ من الخلق الحسن وكمال النفس .

٣٦ ﴿واما﴾ فيه ادغام نون «ان» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ أي يصرفك عن الخصلة وغيرها صارف ﴿فاستعذ بالله﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي يدفعه عنك ﴿انه هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالأحوال ومنه استعاذتك .

ثم ذكر كيفية الوعظ والارشاد ، وانما يكون بالآيات الظاهرة بقدر فهم المخاطبين فقال :

وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ ۩
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي
الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم
مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ
لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

٦٣٥

٣٧ ﴿ومن آياته﴾ أي الله المعبود الحق الذي أدعوكم اليه ﴿الليل والنهار والشمس والقمر﴾ أي الأعراض والأجرام الكبار والصغار من دلائل قدرته ووحدانيته واستحقاقه للعبادة وحده ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ لأنهما من الأجرام المخلوقة له تعالى وليس لهما تأثير في شيء ، والسجود لهما أو لأسداهما أو لشيء من الأجرام مثلهما سفاهة وضلال . ﴿و﴾ لكن ﴿اسجدوا لله الذي خلقهن﴾ الآيات الأربع ﴿ان كنتم اياه تعبدون﴾ أي اذا ما أردتم الخالق بعبادتكم لتجلبوا نفعا لأنفسكم أو تدفعوا بها ضرا عنها فخصوه بالسجود له .

٣٨ ﴿فان استكبروا﴾ عن السجود لله وحده ، فلا تحزن أيها الرسول الداعي الى الله ﴿فالذين عند ربك﴾ أي الملائكة ﴿يسبحون﴾ يصلون ﴿له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ لا يملون – هنا موضع السجود للتلاوة

ثم تقدم السياق في ذكر الآيات الطاهرة للارشاد فقال :

٣٩ ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت ﴿وربت﴾ انتفخت وعلت ﴿ان الذي أحياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك الاحياء والاماته والنفع والضر.

٤٠ ﴿ان الذين يلحدون﴾ بضم الياء وكسر الحاء من ألحد ، وقرىء بفتح الياء والحاء من لحد ﴿في آياتنا﴾ أي القرآن ، أي يحيدون عنه ويكذبونه ﴿لا يخفون علينا﴾ فنجازيهم ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة﴾ أي أم من يدخل الجنة وعبر عنه بمن يأتي آمنا للتصريح بأمنهم وانتفاء الخوف عنهم والاستفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه ، على أن الملحدين في الآيات يلقون في النار ، وأن المؤمنين بالآيات يأتون آمنين يوم القيامة حين يجمع الله تعالى عباده للعرض عليه ، للحكم بينهم بالعدل . وترسم «أم» مفصولة عن «من» اتباعا للمصحف الامام ﴿اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير﴾ تهديد لهم .

٤١ ﴿ان الذين كفروا بالذكر﴾ القرآن ﴿لما جاءهم﴾ ﴿و﴾ الحال ﴿انه لكتاب عزيز﴾ منيع محفوظ .

٤٢ ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أي ليس قبله كتاب يكذبه وليس بعده ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ أي الله المحمود في أمره .

٤٣ ﴿ما يقال لك﴾ من التكذيب ﴿الا﴾ مثل ﴿ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ فاصبر كما صبروا وأتس بهم ﴿ان ربك لذو مغفرة﴾ للمؤمنين ﴿وذو عقاب أليم﴾ للكافرين

٤٤ ﴿ولو جعلناه﴾ أي الذكر ﴿قرآناً أعجميا لقالوا لولا﴾ هلا ﴿فصلت﴾ بينت ﴿آياته﴾ حتى نفهمها ﴿أ﴾ قرآن ﴿اعجمي و﴾ نبي ﴿عربي﴾ استفهام انكار منهم ، بتسهيل الهمزة الثانية . وفي قراءة بتحقيقها وبادخال ألف بينها وبين الأولى ﴿قل هو للذين آمنوا هدى﴾ من الضلالة ﴿وشفاء﴾ من الجهل ﴿والذين لا يومنون في آذانهم وقر﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وهو عليهم عمى﴾ فلا يفهمونه ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ، فتراكمت عليهم أسباب سلب الفهم من الوقر والثقل الذي يمنع السمع والعمى الذي هو ضد البصر ، وبعد المسافة عن المنادي فلا تنفع اشارة ولا صوت ولا عمل يدركونه بحسهم ، فلا يمكن ارشادهم بالقرآن مع أنه ليس بأول كتاب سماوي حتى ينكر .

٤٥ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ بالتصديق والتكذيب فالاختلاف إذن من طبيعة الناس ، فلا يتفقون على شيء مهما كان ذلك الشيء ظاهر الدلالة ، والا لما اختلفوا في التوراة ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وانهم﴾ أي المكذبين به ﴿لفي شك منه مريب﴾ موقع في الريبة .

٤٦ ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ عمل ﴿ومن أساء فعليها﴾ أي فضرر اساءته على نفسه ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ أي بذي ظلم لقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة .

٤٧ ﴿اليه يرد علم الساعة﴾ متى تكون لا يعلمها غيره ﴿وما تخرج من ثمرات﴾ وفي قراءة ثمر ﴿من أكمامها﴾ أوعيتها جمع كم بكسر الكاف الا بعلمه ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذنك﴾ أعلمناك الآن ﴿ما منا من شهيد﴾ أي شاهد بأن لك شريكا .

وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا
لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَاعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ
وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ
مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ
فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ
ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى
قَالُوٓا ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ

٤٨ ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يدعون﴾ يعبدون ﴿من قبل﴾ في الدنيا من معبوداتهم ﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿ما لهم من محيص﴾ مهرب من العذاب ، والنفي في الموضعين معلق عن العمل ، وجملة النفي سدت مسد المفعولين .

ثم بين تعالى صفة الانسان الطبيعية وهي مرض لا يزول عنه الابعلاج ، وذلك هو تعليمات القرآن لمن آمن به . فقال :

ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ
إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ
أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ
ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ
أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

٦٣٧

٤٩ ﴿لا يسأم الانسان من دعاء الخير﴾ أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وان مسه الشر﴾ الفقر والشدة ﴿فيؤس قنوط﴾ من رحمة الله .

٥٠ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿أذقناه﴾ آتيناه ﴿رحمة﴾ غنى وصحة ﴿منا من بعد ضراء﴾ شدة وبلاء ﴿مسته ليقولن هذا لي﴾ أي بعملي ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ تقوم ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿رجعت الى ربي﴾ أي كما تقول الرسل بفرض صدقهم ، وجواب القسم قوله ﴿ان لي عنده للحسنى﴾ الجنة وقد تضمن الكلام مبالغات حيث أكد بالقسم وان وتقديم الظرفين ، والعدول الى صيغة التفضيل اذ الحسنى تأنيث الأحسن ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ شديد واللام في الفعلين لام قسم .

٥١ ﴿واذا أنعمنا على الانسان﴾ الجنس ﴿أعرض﴾ عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾ انحرف عن الشكر ، أو ذهب بنفسه وتباعد عنه ، وفي قراءة بتقديم الألف على الهمزة ناء على وزن جاء ، أي ثنى عطفه متبخترا ﴿واذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ كثير والعرب تطلق الطول والعرض في كثرة . يقال أطال فلان في الكلام ، وأعرض في الدعاء اذا أكثر ، فانه وقت الشر يكثر الدعاء مع اظهار أثر اليأس والقنوط ، كما تقدم أنه اذا مسه الشر فيؤس قنوط ، فهو مرض لا يداويه الا الايمان بالله على أنه يبسط الرزق لمن يشاء ابتلاء ويقدر كذلك ، فيتساوى عنده الغني والفقر .

ثم عقب تعالى عن حالهم بالاستمرار على الكفر بعد طول الانذار وتكراره في مسامعهم ، ولم يقبلوه بقوله :

٥٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني عن حالتكم العجيبة ﴿ان كان﴾ أي القرآن ﴿من عند الله﴾ كما قلت لكم ﴿ثم كفرتم به﴾ فماذا أنتم صانعون أو ما هو عذركم فيه ثم قرعهم لوما بقوله ﴿من﴾ أي لا أحد ﴿أضل ممن هو في شقاق﴾ خلاف ﴿بعيد﴾ عن الحق أوقع «هو» موقع «منكم» بيانا لحالهم .

٥٣ ﴿سنريهم آياتنا﴾ رأي العين اذا لم يصدقوا ما أخبرناهم به ﴿في الآفاق﴾ من فتوح البلاد والقرى ، ومن اظهار المسلمين على الجبابرة والأكاسرة ، واجراء أمور خارجة عن المعهود خارقة للعادات ﴿وفي أنفسهم﴾ من فتح مكة وغلبة المسلمين عليهم في الوقائع حتى يدخلوا في الاسلام قهرا ، ولا يبقى بيت كفر في جزيرة العرب ﴿حتى يتبين لهم أنه﴾ القرآن أو الاسلام ﴿الحق﴾ الثابت ولا بد من ظهوره على الدين كله وهو الدواء لأمراض القلوب ، فلا نجاة لها بدون استعماله ، وتعالج النفوس بما فيه من الاخلاق الحميدة ﴿أو لم يكف بربك﴾ فاعل يكف ﴿أنه على كل شيء شهيد﴾ بدل منه . أي لم يكفهم في صدقك أن ربك يشهد على صدقك ، أو لم تكفهم شهادة ربك على صدقك أي يكفي .

ثم ختم السورة بما اشتمل على مضمونها فقال :

٥٤ ﴿الا انهم في مرية﴾ شك ﴿من لقاء ربهم﴾ لانكارهم البعث ﴿ألا إنه﴾ تعالى ﴿بكل شيء محيط﴾ علما وقدرة فيجازيهم على قدر أعمالهم .

﴿ سورة الشورى مكية ﴾

هي ثلاث وخمسون آية وموضوعها الرئيسي بيان جمع كلمة المسلمين ، ومنع الاختلاف بينهم وأن ارسال الرسل لطف من الله بعباده

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ - ٢ ﴿حم . عسق﴾ الله أعلم بمراده به .

٣ ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك السر في حم عسق ﴿يوحي اليك و﴾ أوحى ﴿الى الذين من قبلك الله﴾ فاعل يوحي بكسر الحاء وقرىء بفتحها . الجار والمجرور مبني للمفعول ، فنائب الفاعل الجار والمجرور وهو اليك ، والله فاعل لفعل محذوف كأنه قيل من يوحيه فقيل الله ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

٤ ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وهو العلي﴾ على خلقه ﴿العظيم﴾ الكبير .

٥ ﴿تكاد﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿السموات يتفطرن﴾ بالتاء والتشديد ، وفي قراءة بالنون وكسر الطاء المخففة ﴿من فوقهن﴾ أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي ملابسين للحمد ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين ﴿الا ان الله هو الغفور﴾ لأوليائه ﴿الرحيم﴾ بهم .

٦ ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ معبودات غيره ﴿أولياء الله حفيظ عليهم﴾ محص أعمالهم وضابطها لا يغيب عنه منها شيء ليجازيهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي بموكل بهم أو بموكول اليك أمرهم ، انما عليك الا البلاغ ، وأما الاتباع والطاعة لما أبلغت اليهم فهو داخل في ذلك السر الذي به تخضع السموات والأرض ، وتخاف الملائكة ، فتسبح الله ، وتستغفر لأهل الأرض المخلوق لأجلهم الجنة والنار.

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَىٰ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ
عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا

وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق
في السعير ﴿٧﴾ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن
يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي
ولا نصير ﴿٨﴾ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو
الولي وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴿٩﴾
وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله
ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴿١٠﴾ فاطر السموات
والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام
أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير ﴿١١﴾ له مقاليد السموات والأرض يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ﴿١٢﴾
• شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا

٧ ﴿وكذلك﴾ مثل ذلك الايحاء ﴿أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر﴾ تخوف ﴿أم القرى ومن حولها﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أي يوم القيامة تجمع فيه الخلائق ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه فريق﴾ منهم ﴿في الجنة وفريق في السعير﴾ النار.

٨ ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ أي على دين واحد وهو الاسلام بأن يطلعهم على ذلك السر فيه فيدخلونه منقادين لأمر الله ولكن أخفاه عن كثير منهم فتفرقوا ذلك التفرق ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون﴾ الكافرون ﴿ما لهم من ولي ولا نصير﴾ يدفع عنهم العذاب.

٩ ﴿أم اتخذوا من دونه﴾ أي معبودات ﴿أولياء﴾ غيره «أم» منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة للانكار أي ليس المتخذون أولياء ﴿فالله هو الولي﴾ أي الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف ﴿وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾.

١٠ ﴿وما اختلفتم﴾ مع الكفار ﴿فيه من شيء﴾ من الاحكام ﴿فحكمه﴾ مردود ﴿إلى الله﴾ يفصل بينكم.

ثم ذكر من صفات الحاكم المردود اليه الخلاف بين المسلمين والكفار يعني الله ليفصل بينهم فقال قل لهم ﴿ذلكم الله﴾ مبتدأ وخبر أي ذلكم الحاكم العظيم الشأن الله وهو خبر أول وبعده اثنا عشر خبرا وكل واحد منها صفة له تعالى تظهر قدرته على ما وعد به ﴿ربي﴾ خبر ثان ﴿عليه توكلت واليه أنيب﴾ أرجع خبر ثالث ورابع.

١١ ﴿فاطر السموات والأرض﴾ مبدعهما خبر خامس ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿ومن الأنعام أزواجا﴾ ذكورا واناثا ﴿يذرؤكم﴾ بالمعجمة يخلقكم ﴿فيه﴾ في الجعل المذكور أي يكثركم بسببه بالتوالد والضمير عائد للأناسي والأنعام بالتغليب خبر سادس ﴿ليس كمثله شيء﴾ الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له سابع ﴿وهو السميع﴾ لما يقال ثامن ﴿البصير﴾ لما يفعل تاسع.

١٢ ﴿له مقاليد السموات والارض﴾ أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما خبر عاشر ﴿يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء ويقدر﴾ امتحانا خبر حادي عشر ﴿انه بكل شيء عليم﴾ منها الأحكام التي ترد اليه يفصل الناس فيها يوم القيامة خبر ثاني عشر.

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟
الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن
يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا۟ الْكِتَٰبَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ
كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ
أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ
يُحَآجُّونَ فِى اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ

٦٤٠

١٣ ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ هو أول أنبياء الشريعة ﴿والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾ خص هؤلاء الخمسة بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع والأتباع الكثيرة وأولو العزم وهو الخبر الثالث عشر ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الأعلام من رسله بقوله تعالى ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ هذا هو المشروع الموصى به والموحى الى محمد ﷺ أي لا تحكموا أهواءكم وتتفرقوا في الدين فتضعف شوكتكم وان كانت شرائع الأنبياء تختلف في الأمور الدنيوية ولكن لا تتفرق بالناس لأن كل نبي يوصي أمته باتباع من هو بعده ممن جاء يصدق ما عندهم من أصل العقيدة وهو توحيد الله بالألوهية والربوبية. ﴿كبر﴾ عظم ﴿على المشركين ما تدعوهم اليه﴾ من التوحيد وعدم تفريق الأمة ﴿الله يجتبي اليه﴾ التوحيد ﴿من يشاء ويهدي اليه من ينيب﴾ الأمر اليه تعالى ويهدي اليه من يقبل الى طاعته ويفهم السر واللطف في اتفاق الأمة على دين واحد.

ثم بين تعالى أن التفرق في الدين كان من أخلاق الناس سابقا ولاحقا بعد الانذار من الرسل عليهم الصلاة والسلام فقال :

١٤ ﴿وما تفرقوا﴾ أي أهل الأديان في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض ﴿الا من بعد ما جاءهم العلم﴾ من الله بواسطة الرسل بالتوحيد ﴿بغيا﴾ من الكافرين ﴿بينهم﴾ فمن عرف الحق وأبى اتباعه ليفرق الناس فهو ظالم لنفسه وظالم لغيره وباغ على مولاه فيستحق الباغي أن يحارب حتى يرجع عن بغيه أو يقتل ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الجزاء ﴿الى أجل مسمى﴾ هو موعد العذاب ﴿لقضي بينهم﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا والكلمة بتأخير العذاب الى الآخرة انما هو لهذه الأمة وأما الأمم السالفة فكلمة تأخير العذاب انما هو في الدنيا للوقت المحدد لتعذيبهم عند الله كما قال تعالى «ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» ﴿وان الذين أورثوا الكتاب﴾ هم اليهود والنصارى ﴿من بعدهم﴾ الأمم السالفة قبلهم ﴿لفي شك منه﴾ من علم اتباع محمد لما يعرفون من صدقه فانهم يخافون مخالفته ويشكون في تنفيذ مكايدهم ﴿مريب﴾ موقع في الريبة خوفا من وقوع العذاب بغتة.

١٥ ﴿فلذلك﴾ الرعب في قلوبهم فلا تخف منهم فتنة ﴿فادع﴾ يا محمد الناس الى الاتفاق على طاعة الله وتوحيده في الملة الحنيفية ﴿واستقم﴾ أنت عليه لأن من شروط الداعي الى شيء أن لا يخالف عمله دعواه بأن يقول شيئا ويفعل هو شيئا آخر ﴿كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾ في تركه وهذا دليل على منع كل بدعة أدخلت في الدين فاتخاذها هوى والعمل بها ضلال. وتفريق للأمة الاسلامية ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب المنزلة في أصول الدين وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم ﴿وأمرت لأعدل﴾ أي بأن أعدل ﴿بينكم﴾ في الحكم ﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ فكل يجازى بعمله ﴿لا حجة﴾ خصومة ﴿بيننا وبينكم﴾ لظهور الحق لنا وكونكم على الباطل بانكاركم اياه ﴿الله يجمع بيننا﴾ في المعاد لفصل القضاء. ﴿واليه المصير﴾ المرجع.

عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ
ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى
حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ
فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم
مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

٦٤١

١٦ ﴿والذين يحاجون في﴾ دين ﴿الله﴾ نبيه ﴿من بعد ما استجيب له﴾ بالايمان لظهور معجزته سواء اليهود وغيرهم ﴿حجتهم داحضة﴾ باطلة ﴿عند ربهم وعليهم غضب﴾ لعنة من الله وبعد عن رحمته ﴿ولهم عذاب شديد﴾ في الدنيا بالمقت وفي الآخرة بالنار.

١٧ ﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ الثابت لا يقبل التغير متعلق بأنزل ﴿والميزان﴾ العدل في الحكم بين الناس يوم القيامة ﴿وما يدريك لعل الساعة﴾ أي اتيانها ﴿قريب﴾ ولعل معلق للفعل عن العمل وما بعده سدّ مسد المفعولين.

١٨ ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ يقولون متى تأتي ظنا منهم أنها غير آتية ﴿والذين آمنوا مشفقون﴾ خائفون ﴿منها ويعلمون أنها الحق الا ان الذين يمارون﴾ يجادلون ﴿في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ أي عن الحق فان البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء الى ما وراءه.

ولما كان الكفار يستعجلون العذاب والساعة والمؤمنون مشفقين منها واخماؤها من أعظم لطف الله ليكون المؤمنون مستعدين لها في كل حين قال تعالى:

١٩ ﴿الله لطيف بعباده﴾ برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم ﴿يرزق من يشاء﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وهو القوي﴾ على مراده ﴿العزيز﴾ الغالب على أمره.

٢٠ ﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿حرث الآخرة﴾ أي كسبها وهو الثواب ﴿نزد له في حرثه﴾ بالتضعيف فيه. الحسنة الى العشرة وأكثر ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾ بلا تضعيف ما قسم له ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾.

٢١ ﴿أم لهم﴾ بكفار ﴿شركاء﴾ هم شياطينهم ﴿شرعوا﴾ الشركاء ﴿لهم﴾ للكفار ﴿من الدين﴾ الفاسد ﴿ما لم يأذن به الله﴾ كالشركاء وانكار البعث ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ وبين المؤمنين بالتكذيب لهم في الدنيا ﴿وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ مؤلم.

ثم استطرد السياق الى ذكر أحوال القيامة فقال:

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ
عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ الَّذِي
يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل
لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن
يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن
يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ
الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ
الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ

٢٢ ﴿ترى الظالمين﴾ يوم القيامة ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها ﴿وهو﴾ الجزاء عليها ﴿واقع بهم﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات﴾ أنزهها بالنسبة الى من دونهم ﴿لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ .

٢٣ ﴿ذلك الذي يبشر﴾ من البشارة مثقلا وقرىء مخففا به ﴿الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم عليه﴾ أي تبليغ الرسالة ﴿أجرا الا المودة في القربى﴾ استثناء منقطع أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضا فان له في كل بطن من قريش قرابة وقيل متصل أي لا أسألكم عليه أجرا الا هذا وهو ان تودوا أهل قرابتي وليس هذا في الحقيقة أجرا بل هو لطف من الله لأمته لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم . فحبه ﷺ وحب قرابته واجب على كل مسلم فقرابته بنو هاشم على الأخص وجميع قريش والأنصار لأنهم أخواله والعرب عامة لأنه عربي على شرط الاسلام وكما يجب على كل مسلم أن يحب أخاه المسلم ويواليه على الحق وينصره سرا وجهرا ففي الحديث الصحيح «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ﴿ومن يقترف﴾ يكسب ﴿حسنة﴾ طاعة شاملة للمودة لآل محمد ﷺ ﴿نزد له فيها حسنا﴾ بتضعيفها ﴿ان الله غفور﴾ للذنوب ﴿شكور﴾ للقليل فيضاعفه .

٢٤ ﴿أم﴾ بل ﴿يقولون افترى على الله كذبا﴾ بنسبة القرآن الى الله تعالى ﴿فان يشأ الله يختم﴾ يطبع ﴿على قلبك﴾ فينسيك القرآن ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ فعدم الطبع على قلبك واستمرار القرآن ينزل عليك بلا خلاف ولا تغيير في أسلوبه ولا في معانيه دليل على أنه يأتي من الله نظام القرآن يخالف كلام النبي في الأسلوب والمتانة والبلاغة ولا يخالفه في المعاني اذ الثاني بيان للأول فلو كان القرآن كلام الرسول من عنده فلا يختلف أسلوبهما ولا بلاغتهما . والضمير في كلماته للنبي ﷺ أي من كلامه يعرف أن القرآن حق لما ذكرنا ﴿انه﴾ تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب فلا يمكن أن ينسب اليه كذب ظاهر فيترك الناسب يستمر على حالته ولا ينتقم منه . مع أنه تعالى قال «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين» الآيات .

ثم أخبر تعالى أنه من لطفه بعباده لا يسد باب التوبة فقال :

٢٥ ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ منهم ﴿ويعفو عن السيئات﴾ المتاب عنها ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ بالتاء وقرىء بالياء قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم على أن لا يعود اليه أبدا فان حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة الى الأحوال المحمودة ومنها الدعاء لطلب التوبة . روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وروى مسلم عن الأغر بن يسار المزني قال قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب الى الله في اليوم مائة مرة» .

٢٦ ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يجيبهم الى ما يسألون ﴿ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ أي لا يجيبهم وانما يزيدهم عذابا اذ دعاؤهم له مع كفرهم استهزاء والمستهزىء يجزى على وفق سوء عمله واذا وجد شيئا في الدنيا مما سأله من الله فهو استدراج .

لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا
مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا
أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن
كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم
مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن
كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم

ومن لطفه تعالى اعطاء الرزق للمخلوقين بقدر مقتضى الحال الصالحة لهم .

٢٧ ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ جميعهم ﴿لبغوا﴾ جميعهم أي طغوا ﴿في الأرض ولكن ينزل﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف من الأرزاق ﴿بقدر﴾ بالتنوين أي بتقدير ﴿ما يشاء﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي كما هو مشاهد في مجتمع من الناس ﴿انه بعباده خبير بصير﴾ .

٢٨ ﴿وهو الذي﴾ من لطفه ﴿ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ يئسوا من نزوله ﴿وينشر رحمته﴾ مطره والخيرات التي تنشأ منه ﴿وهو الولي﴾ للمؤمنين ﴿الحميد﴾ المحمود عندهم .

٢٩ ﴿ومن آياته﴾ تعالى لاظهار لطفه لعباده ﴿خلق السموات والأرض و﴾ خلق ﴿ما بث﴾ فرق ونشر ﴿فيهما من دابة﴾ ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وهو على جمعهم﴾ للحشر ﴿اذا يشاء قدير﴾ في الضمير فيه تغليب العاقل على غيره .

ويمكن سؤال اذا كان الله لطيفا بعباده في جميع الحالات فلماذا يصيبهم ما يصيبهم من المصائب ، أجاب تعالى فقال :

٣٠ ﴿وما أصابكم﴾ خطاب للمؤمنين ﴿من مصيبة﴾ بلية وشدة ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ أي كسبتم من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿ويعفوا عن كثير﴾ منها بلطفه فلا يجازي عليه وهو تعالى أكرم من يثني الجزاء في الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا فهو لرفع درجاتهم في الآخرة .

٣١ ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ الله هربا ﴿في الأرض﴾ فتفوتوه ﴿وما لكم من دون الله﴾ أي غيره ﴿من ولي ولا نصير﴾ يدفع عذابه عنكم لو أراد أن يأخذكم بجميع ما كسبتم من الذنوب . فهو بيان لعفوه عن كثير .

٣٢ ﴿ومن آياته﴾ الدالة على لطفه بعباده ﴿الجوار﴾ السفن ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال في العظم .

٣٣ ﴿ان يشأ يسكن الريح فيظللن﴾ يصرن ﴿رواكد﴾ ثوابت لا تجري ﴿على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء لمعرفته أن كل ذلك من لطف ربه به .

٣٤ ﴿أو يوبقهن﴾ عطف على يسكن أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن ﴿ بما كسبوا﴾ أي أهلهن من الذنوب ﴿ويعف عن كثير﴾ منها فلا يغرق أهله بلطفه تعالى بهم .

مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ
وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ
يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ
انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

٣٥ ﴿ويعلم﴾ بالنصب معطوف على تعليل مقدر أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم وقرىء بالرفع مستأنف ﴿الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص﴾ مهرب من العذاب وجملة النفي سد مسد مفعولي يعلم والنفي معلق عن العمل .

٣٦ ﴿فما أوتيتم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿من شيء﴾ من أثاث الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ ويعطف عليهم .

ثم قسم المؤمنين ثلاثة أصناف في معاملاتهم بينهم وبين ربهم أو مع غيرهم من العافي لمن ظلمه والمنتقم بقدر الجرم والظالم فبدأ بالأول وقال :

٣٧ ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش﴾ موجبات الحدود من عطف البعض على الكل ﴿واذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ يتجاوزون طلبا للطف الله بهم .

٣٨ ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أجابوه الى ما دعاهم اليه من التوحيد والعبادة ﴿وأقاموا الصلوة﴾ أداموها ﴿وأمرهم﴾ الذي يبدو لهم ﴿شورى بينهم﴾ يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله . ومن ذكر من المؤمنين هو الصنف الأول وهو الذي اذا غضب يغفر ثم ذكر الصنف الثاني الذي ينتقم اذا غضب فقال :

٣٩ ﴿والذين اذا اصابهم البغي﴾ الظلم ﴿هم ينتصرون﴾ أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى :

٤٠ ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة وهذا ظاهر فيما يقتص من الجراحات قال بعضهم واذا قال له أخزاك الله فيجيبه أخزاك الله من غير أن يتعدى ﴿فمن عفا﴾ عن ظالمه ﴿وأصلح﴾ الود بينه وبين المعفو عنه ﴿فأجره على الله﴾ أي أن الله يأجره لا محالة ﴿انه﴾ تعالى ﴿لا يحب الظالمين﴾ أي البادئين بالظلم فيرتب عليهم عقابه .

٤١ ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أي ظلم الظالم اياه ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ مؤاخذة ولكن الصنف العافي أفضل منه

٤٢ ﴿انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون﴾ يعملون البغي ليفرقوا الناس بادخال الاختلاف بينهم ﴿في الأرض بغير الحق﴾ أي بالمعاصي قيده به لأن البغي قد يكون مصحوبا بحق كالانتصار المقترن بالتعدي فيه ﴿أولئك﴾ هذا الصنف الثالث من الناس أي العصاة ﴿لهم عذاب أليم﴾ مؤلم .

٤٣ ﴿ولمن صبر﴾ فلم ينتصر ﴿وغفر﴾ تجاوز وهو الصنف الأول ﴿ان ذلك﴾ الصبر والتجاوز ﴿لمن عزم الأمور﴾ أي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا .

ثم ذكر تعالى الكافرين وجزاءهم فقال :

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن
سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ
ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ
ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم
مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم
مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

٤٤ ﴿ومن يضلل الله﴾ عن سبيله فكفر بآياته ﴿فما له من ولي من بعده﴾ أي أحد يتولى هدايته بعد اضلال الله اياه فيدخل في ارتكاب الظلم الأكبر ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ يوم القيامة بأن ماتوا على الظلم ثم ظهر لهم جزاؤه ﴿يقولون هل الى مرد﴾ الى الدنيا ﴿من سبيل﴾ طريق ..

٤٥ ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي النار ﴿خاشعين﴾ خائفين متواضعين ﴿من الذل ينظرون﴾ اليها ﴿من طرف خفي﴾ ضعيف النظر مسارقة ومن ابتدائيه أو بمعنى الباء ﴿وقال الذين آمنوا﴾ لما رأوا ما دهم الكفار من العذاب والخسارة ﴿ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم الى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا والموصول خبر «إن» ﴿ألا﴾ للتنبيه ﴿ان الظالمين﴾ الظلم الأكبر وهو الكفر أي الكافرين ﴿في عذاب مقيم﴾ دائم هو من مقول الله تعالى تعقيبا على ما ذكر من حال الكفار يوم القيامة .

٤٦ ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ أي غيره يدفع عذابه عنهم ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ طريق الى الحق في الدنيا والى الجنة في الآخرة .

ثم قال الله تعالى من لطفه بعباده مخاطبا لهم جميعا :

٤٧ ﴿استجيبوا لربكم﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ هو يوم القيامة ﴿لا مرد له من الله﴾ أي أنه اذا أتى به لا يرده ﴿ما لكم من ملجأ﴾ تلجأون اليه ﴿يومئذ وما لكم من نكير﴾ انكار لذنوبكم ثم ألفت تعالى الخطاب للنبي ﷺ فقال :

أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا
وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ
حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ
عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ
أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَٰبُ وَلَا الْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن
جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ
لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ اللَّهِ الَّذِي
لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ
الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

٤٨ ﴿فان أعرضوا﴾ عن الاجابة ﴿فما ارسلناك﴾ يا محمد ﴿عليهم حفيظا﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿ان﴾ ما ﴿عليك الا البلاغ﴾ وهذا غاية الملاطفة بهم وبالنبي ﷺ ﴿وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة﴾ نعمة كالغنى والصحة ﴿فرح بها وان تصبهم﴾ الضمير للانسان باعتبار الجنس ﴿سيئة﴾ بلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي قدموه وعبر بالأيدي لأن اكثر الأعمال تزاول بها ﴿فان الانسان كفور﴾ للنعمة ولطفه به .

٤٩ ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء﴾ من الأولاد ﴿اناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ .

٥٠ ﴿أو يزوجهم﴾ أي يجمعهم ﴿ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿انه عليم﴾ بما يخلق ﴿قدير﴾ على ما يشاء . ومن لطفه يفعل ذلك ليجلب عقولهم الى آثار قدرته وارادته لعلكم تجيبون دعوته الى ما ينفعكم .

٥١ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله﴾ معاينة ﴿الا﴾ أن يوحي اليه ﴿وحيا﴾ في المنام أو بالالهام ﴿أو﴾ إلا ﴿من وراء حجاب﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أو﴾ الا أن ﴿يرسل رسولا﴾ ملكا كجبريل ﴿فيوحي﴾ الرسول الى المرسل اليه أي يكلمه ﴿باذنه﴾ أي الله ﴿ما يشاء﴾ الله ﴿إنه علي﴾ عن صفات المحدثين ﴿حكيم﴾ في صنعه .

٥٢ ﴿وكذلك﴾ أي مثل ايحائنا الى غيرك من الرسل ﴿أوحينا اليك﴾ يا محمد ﴿روحا﴾ هو القرآن به تحيي القلوب ﴿من أمرنا﴾ الذي نوحيه اليك ﴿ما كنت تدري﴾ تعرف قبل الوحي اليك ﴿ما الكتاب﴾ القرآن ﴿ولا الايمان﴾ أي شرائعه ومعالمه والنفي معلق للفعل عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين ﴿ولكن جعلناه﴾ أي الروح أو الكتاب ﴿نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي﴾ تدعو بالوحي اليك ﴿الى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ دين الاسلام .

٥٣ ﴿صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿ألا الى الله تصير الأمور﴾ ترجع كما جاءت منه بلطفه تعالى بعباده .

(٤٣) سورة الزخرف مكية وآياتها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ
قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾
وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا
أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

﴿ سورة الزخرف مكية ﴾

هي تسع وثمانون آية وموضوعها الرئيسي بيان كراهة الناس لازالة عاداتهم المعهودة وعدم تسامح رؤسائهم في ذلك حفظا لحظوظهم الدنيوية .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به .

٢ ﴿والكتاب﴾ القرآن ﴿المبين﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج اليه من الشريعة .

٣ ﴿انا جعلناه﴾ القرآن ﴿قرآنا عربيا﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم﴾ أيها المكلفون ﴿تعقلون﴾ تفهمون معانيه

٤ ﴿وانه﴾ مثبت ﴿في أم الكتاب﴾ أصل الكتب أي اللوح المحفوظ ﴿لدينا﴾ بدل عند ﴿لعلي﴾ على الكتب قبله ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة .

٥ ﴿أفنضرب﴾ نمسك ﴿عنكم الذكر﴾ القرآن ﴿صفحا﴾ امساكا فلا تؤمرون لأجل ﴿ان كنتم قوما مسرفين﴾ مشركين .

٦ ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ .

٧ ﴿وما﴾ كان ﴿يأتيهم﴾ أتاهم ﴿من نبي الا كانوا به يستهزئون﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ .

٨ ﴿فأهلكنا أشد منهم﴾ قومك ﴿بطشا﴾ قوة ﴿ومضى﴾ سبق في آيات ﴿مثل الأولين﴾ صفتهم في الاهلاك فعاقبة قومك كذلك .

٩ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خلقهن العزيز العليم﴾ آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم زاد تعالى :

١٠ ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا﴾ فرشا كالمهد للصبي ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ طرقا ﴿لعلكم تهتدون﴾ الى مقاصدكم في أسفاركم ويدل لكم هذا على خير ما جاءكم به نبيكم فانه مثل السبيل يأخذكم اذا اتبعتموه الى السعادة الأبدية ويوصلكم الى المقر الاسمى .

١١ ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ أي بقدر حاجتكم اليه ولم ينزله طوفانا ﴿فأنشرنا﴾ أحيينا ﴿به بلدة ميتا كذلك﴾ المثل هذا الأحياء ﴿تخرجون﴾ من قبوركم أحياء .

١٢ ﴿والذي خلق الأزواج﴾ الأصناف ﴿كلها وجعل لكم من الفلك﴾ السفن ﴿والأنعام﴾ كالابل ﴿ما تركبون﴾ حذف العائد اختصارا وهو مجرور في الأول أي فيه منصوب في الثاني .

١٣ ﴿لتستووا﴾ لتستقروا ﴿على ظهوره﴾ ذكر الضمير وجمع الظهر نظرا للفظ ما ومعناها ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ مطيقين .

١٤ ﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ لمنصرفون وتقولون بألسنتكم ذلك جمعا بين القلب واللسان فهذا خاص بالدابة أما السفينة فيقول فيها بسم الله مجراها ومرساها ويؤيده وما كنا له مقرنين فان الامتناع والتعاصي والتوحش لولا تسخير الله واذلاله انما يتأتى في الدواب وأما السفن فهي من عمل ابن آدم فليس الامتناع بقوتها كامتناع الدواب قلت ويلحق بالسفن السيارات والقطارات والطائرات وسائر المركبات الحديدية لجامع بينها وبين السفن وقال ابن العربي ما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا وليس بواجب ذكره باللسان وانما الواجب اعتقاده بالقلب أما أنه يستحب له ذكره باللسان فيقول متى ركب وخصوصاً في السفر اذا تذكر «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم أنت الصاحب في السفر. والخليفة في الأهل والمال . اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الأهل والمال» يعني بالحور بعد الكور تشتت أمر الرجل بعد اجتماعه .

لما سئلوا عن من خلق السموات والأرض فاعترفوا بأن الله هو الذي خلقها ثم نقضوا اعترافهم .

١٥ ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله لأن الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى اي استمروا بعد الاعتراف بخالقية الله على العقيدة الباطلة ﴿ان الانسان﴾ القائل ما تقدم ﴿لكفور مبين﴾ بين ظاهر الكفر .

(الجزء الخامس والعشرون)

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ
تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ
رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ
وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)
أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا

٦٤٨

١٦ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الانكار والقول مقدر أي أتقولون ﴿اتخذ مما يخلق بنات﴾ لنفسه ﴿وأصفاكم﴾ أخلصكم ﴿بالبنين﴾ اللازم من قولكم السابق فهو جملة المنكر.

١٧ ﴿واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ جعل له شبها بنسبة البنات اليه لأن الولد يشبه الوالد المعنى اذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له ﴿ظل﴾ صار ﴿وجهه مسودا﴾ متغيرا تغير مغتم ﴿وهو كظيم﴾ ممتلىء غما فكيف ينسب البنات اليه تعالى عن ذلك .

١٨ ﴿أو﴾ همزة الانكار وواو العطف بجملة أي يجعلون لله ﴿من ينشأ في الحلية﴾ الزينة ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾ مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة .

خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ
شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ
مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ
وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ
قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى
فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ

١٩ ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا﴾ حضروا ﴿خلقهم﴾ حتى عرفوا أنهم اناث أو شهدوا بالحدس والتخمين أو بتقليد آبائهم في دلك ﴿ستكتب شهادتهم﴾ بأنهم اناث ﴿ويسألون﴾ عنها في الآخرة فيترتب عليها العقاب فهؤلاء كفروا من ثلاثة أوجه الوجه الأول جعلوا لله ولدا والثاني جعل الملائكة الذين هم من خيار خلق الله اناثا والثالث في قوله تعالى :

٢٠ ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ أي الملائكة فعبادتنا اياهم بمشيئته فهو راض بها قال تعالى ﴿ما لهم بذلك﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿من علم ان﴾ ما ﴿هم الا يخرصون﴾ أي يقدرونه بالظن ويقولونه كذبا أي يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به .

٢١ ﴿أم آتيناهم كتابا من قبله﴾ أي القرآن بعبادة غير الله ﴿فهم به مستمسكون﴾ أي لم يقع ذلك .

٢٢ ﴿بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملة ﴿وانا﴾ ماشون ﴿على آثارهم مهتدون﴾ بهم اعتقدوا ان آباءهم كانوا مهتدين وأنهم مهتدون كآبائهم فلا يتركون طريقهم في عبادة غير الله .

٢٣ ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها﴾ متنعموها وهم رؤساؤهم لأنهم هم المتفعون بتلك العقائد اذ بها يتسيطرون على الضعفاء فيأخذون أموالهم ويتمتعون بها ﴿انا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملة ﴿وانا على آثارهم مقتدون﴾ متبعون وان كانوا على باطل فنحن نتبعهم كدلك ولا نغير طريقنا أي هذا مثل قول قومك :

٢٤ ﴿قال﴾ لهم ﴿أ﴾ يتبعون ذلك المأمور النذير وحكي عنه أخيرا ليشمل عمل قريش في عملهم مع النبي ﷺ ﴿ولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به﴾ أي النذر ﴿كافرون﴾ فكل أمة قالت لنذيرها هذا الكلام فجمعوا فكأنهم أمة واحدة من الكفار في مكان واحد وزمان واحد يواجهون جماعة المنذرين برد واحد في ألفاظ واحدة .

٢٥ ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي من المكذبين للمنذرين ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ للرسل أو المنذرين فلا تكترث بتكذيب قومك لك .

٢٦ ﴿و﴾ اذكر قصة ابراهيم مع قومه لتتسلى بها عما تلاقيه من قومك ﴿اذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء﴾ أي بريء ﴿مما تعبدون﴾ .

٢٧ ﴿الا الذي فطرني﴾ خلقني ﴿فانه سيهدين﴾ يرشدني لدينه .

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ
جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ
قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ
هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ
فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ
لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا
لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ
عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا
يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ

٢٨ ﴿وجعلها﴾ أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله اني ذاهب الى ربي سيهدين ﴿كلمة باقية في عقبه﴾ ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لعلهم﴾ قومك ﴿يرجعون﴾ عما هم عليه من التعصب على باطل الى دين جدهم الأعلى ابراهيم وهو أعظم آبائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم حين خالف أباه وقومه وتبرأ منهم وقال انني براء مما تعبدون فتبرأ مما هم عليه وتمسك بالبرهان فهو اذا أولى بأن يسلكوا مسلكه في الاستدلال .

٢٩ ﴿بل متعت هؤلاء﴾ المشركين ﴿وآباءهم﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حتى جاءهم الحق﴾ القرآن ﴿ورسول مبين﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد ﷺ .

٣٠ ﴿ولما جاءهم الحق﴾ القرآن فبدل الايمان به والتمسك به أخذوا بالطعن فيه ليصدوا الناس عنه ﴿قالوا هذا سحر وانا به كافرون﴾ .

٣١ ﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ من احدى القريتين مكة والطائف ﴿عظيم﴾ أي كالوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف . قال الله تعالى :

٣٢ ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ بالنبوة ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيرا ﴿ورفعنا بعضهم﴾ بالغنى والعلم والعقل ﴿فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم﴾ الغني وغيره ﴿بعضا﴾ الفقير والضعيف ﴿سخريا﴾ مسخرا في العمل له بالأجرة والياء للنسب وقرىء بكسر السين يعني أنا لو سوينا بينهم في كل الأحوال لم يخدم أحدهم أحدا ولم يصر أحد منهم لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فسخرنا الأغنياء بأموالهم والأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض هذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم ﴿ورحمة ربك﴾ أي الجنة ﴿خير مما يجمعون﴾ في الدنيا .

٣٣ ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ على الكفر ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾ بدل من «لمن» ﴿سقفا﴾ بضم السين والقاف جمعا وقرىء بفتح السين وسكون القاف مفردا كرهن ﴿من فضة ومعارج﴾ كالدرج من فضة ﴿عليها يظهرون﴾ يعلون الى السطح .

٣٤ ﴿ولبيوتهم أبوابا﴾ من فضة ﴿و﴾ جعلنا ﴿سررا﴾ من فضة جمع سرير ﴿عليها يتكئون﴾ .

٣٥ ﴿وزخرفا﴾ ذهبا المعنى لولا خوف الكفر على المؤمنين من اعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلة خطر الدنيا عندنا وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وان﴾ نافية أو مخففة من الثقيلة ﴿كل ذلك لما﴾ بالتشديد بمعنى الا فان نافية وقرىء بالتخفيف فما زائدة ﴿متاع الحيوة الدنيا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿والآخرة﴾ الجنة ﴿عند ربك للمتقين﴾ أي وبهذا يتبين أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا وفي صحيح الامام الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وعن سهل بن سعد قال رسول الله ﷺ «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» ولا يبعد أن يكون ما صار اليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الأبنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادىء الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لأن من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث أنه لا عداد له في جانب الكفرة .

ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ
لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ
فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ
أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ
أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا
نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي
أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ
لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً
يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

٣٦ ﴿ومن يعش﴾ يعرض ﴿عن ذكر الرحمن﴾ أحكامه في القرآن وغيره ﴿نقيض﴾ نسبب ﴿له شيطانا﴾ يضع له أحكاما يتبعها في أموره ﴿فهو له قرين﴾ لا يفارقه .

٣٧ ﴿وانهم﴾ أي الشياطين ﴿ليصدونهم﴾ أي العاشين ﴿عن السبيل﴾ أي طريق الهدى ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ في الجمع رعاية معنى من .

٣٨ ﴿حتى اذا جاءنا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قال﴾ له ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فبئس القرين﴾ أنت لي قال تعالى :

٣٩ ﴿ولن ينفعكم﴾ أي العاشين تمنيتكم وندمكم ﴿اليوم اذ ظلمتم﴾ أي تبين لكم ظلمكم بالاشراك في الدنيا ﴿انكم﴾ مع قرنائكم ﴿في العذاب مشتركون﴾ علة بتقدير اللام لعدم النفع واذ بدل من اليوم .

ثم نصح تعالى نبيه أن لا يجهد نفسه في دعوتهم وهم لايسمعونه فقال :

٤٠ ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ بين أي فهم لا يؤمنون .

٤١ ﴿فاما﴾ فيه ادغام نون الشرطية في ما الزائدة ﴿نذهبن بك﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فانا منهم منتقمون﴾ في الآخرة .

٤٢ ﴿أو نرينك﴾ في حياتك ﴿الذي وعدناهم﴾ به من العذاب ﴿فانا عليهم﴾ على عذابهم ﴿مقتدرون﴾ قادرون .

٤٣ ﴿فاستمسك بالذي أوحي اليك﴾ أي القرآن ﴿انك على صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ .

٤٤ ﴿وانه لذكر﴾ لشرف ﴿لك ولقومك﴾ لتنزيله عليك بلغتهم ﴿وسوف تسألون﴾ عن القيام بحقه

ثم ذكر تعالى فيما يأتي أن الرسل كلهم كانوا يدعون أممهم الى التوحيد في عبادته وترك تقاليد الآباء التي تنحرف عن التوحيد فقال :

٤٥ ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن﴾ أي غيره ﴿آلهة يعبدون﴾ قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الاسراء وقيل المراد أمم من أهل الكتابين ولم يسأل عن واحد من القولين لان المراد بالسؤال التقرير لمشركي قريش أو لكل من يشابههم أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله .

ثم ذكر قصة موسى مع فرعون لبيان تعصب المترفين في المحافظة على تقاليدهم ومحاربتهم الحق حرصا على حرس فوائدهم النفسية فقال :

وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم
مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ
فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ
تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا
ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ
أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾
فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾

٦٥٢

٤٦ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه﴾ أي القبط ﴿فقال اني رسول رب العالمين﴾ .

٤٧ ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ الدالة على رسالته ﴿اذا هم منها يضحكون﴾ .

٤٨ ﴿وما نريهم من آية﴾ من العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد ﴿إلا هي أكبر من أختها﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون﴾ عن الكفر .

٤٩ ﴿وقالوا﴾ لموسى لما رأوا العذاب ﴿يا أيه الساحر﴾ أي العالم الكامل لان السحر عندهم علم عظيم فنداؤهم له باسم الساحر على سبيل التعظيم ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ من كشف العذاب عنا ان آمنا ﴿ اننا لمهتدون﴾ أي مؤمنون .

٥٠ ﴿فلما كشفنا﴾ بدعاء موسى ﴿عنهم العذاب اذا هم ينكثون﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم وتقاليدهم الذميمة .

٥١ ﴿ونادى فرعون﴾ افتخارا ﴿في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي﴾ أي تحت قصوري ﴿أفلا تبصرون﴾ عظمتي فتعلموا أنه لا ينبغي لاحد أن ينازعني .

٥٢ ﴿أم﴾ تبصرون حينئذ ﴿أنا خير من هذا﴾ أي موسى ﴿الذي هو مهين﴾ ضعيف حقير ﴿ولا يكاد يبين﴾ يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره .

٥٣ ﴿فلولا﴾ هلا ﴿ألقي عليه﴾ ان كان صديقا ﴿أسورة من ذهب﴾ أسورة جمع سوار كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقونه طوق ذهب ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ متتابعين يشهدون بصدقه .

٥٤ ﴿فاستخف﴾ أي استفز فرعون ﴿قومه فأطاعوه﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ .

٥٥ ﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ أهلكوا بما تعززوا به وهو الماء في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي ففيه اشارة الى أن من تعزز بشيء دون الله أهلكه الله به وقد استضعف فرعون اللعين موسى وعابه بالتمتمة والضعف فسلطه الله عليه اشارة الى أنه ما استضعف أحد شيئا الا غلبه أفاده القشيري .

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ
ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا
أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ
مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً
فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ
بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ
الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ
الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ

٥٦ ﴿فجعلناهم سلفا﴾ جمع سالف كخادم أي سابقين عبرة ﴿ومثلا للآخرين﴾ بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم .

ومن التعصب في الباطل استعمال الحجج الصحيحة لاثبات الباطل .

٥٧ ﴿ولما ضرب﴾ جعل ﴿ابن مريم مثلا﴾ حين نزل قوله تعالى «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» فقال المشركون رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لانه عبد من دون الله ﴿اذا قومك﴾ أي المشركون ﴿منه﴾ من المثل ظنوا أنك أفحمت ﴿يصدون﴾ يضحكون فرحا بما سمعوا بكسر الصاد وقرىء بضمها .

٥٨ ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ أي عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿ما ضربوه﴾ أي مثل ﴿لك الا جدلا﴾ خصومة بالباطل لعلمهم أن «ما» التي في قوله تعالى «انكم وما تعبدون» لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بل هم قوم خصمون﴾ شديدو الخصومة .

٥٩ ﴿ان﴾ ما ﴿هو﴾ عيسى ﴿الا عبد أنعمنا عليه﴾ بالنبوة ﴿وجعلناه﴾ بوجوده من غير أب ﴿مثلا لبني اسرائيل﴾ أي كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء لانه أرسل اليهم وأمه منهم .

٦٠ ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ بدلكم ﴿ملائكة في الارض يخلفون﴾ أي لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى دون ذكر ذكره الزمخشري وقيل لحولنا بعضكم ملائكة وقيل لجعلناهم بدلا منكم قاله أبو البقاء وعليه الجلال المحلي .

٦١ ﴿وانه﴾ أي عيسى أو القرآن ﴿لعلم للساعة﴾ تعلم بنزوله وفي قراءة لعلم بفتح العين واللام أي هو علامة على قربها وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا قاله أبو هريرة وابن عباس وأبو العالية وأبو مالك وعكرمة قال رسول الله ﷺ «والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حاكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها». وقيل ان عيسى لعلم للساعة أي ما بعث به عيسى من احياء الموتى وابراء الاكمة والابرص وغير ذلك من الاسقام علامة للبعث وقيل إن القرآن يستمر العمل به لقيام الساعة ﴿فلا تمترن بها﴾ تشكن فيها حذف فيها نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿و﴾ قل لهم ﴿اتبعون﴾ على التوحيد ﴿هذا﴾ الذي آمركم به ﴿صراط مستقيم﴾

٦٢ ﴿ولا يصدنكم﴾ يصرفنكم عن دين والله ﴿الشيطان انه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة .

٦٣ ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قال قد جئتكم بالحكمة﴾ بالنبوة وشرائع الانجيل ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ .

٦٤ ﴿ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ أشارة الى مجموع الأمر أي اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع وهو تتمة كلام عيسى عليه السلام .

٦٥ ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾ في عيسى أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة فيعقوبية تقول هو الله ومرقوسيه تقـول ابن الله والملكانية تقول هو ثالث ثلاثة أو ليس بنبي ولا رسول كما قالت اليهود فيه حيث قالوا انه ابن زنا زنت فيه أمه وبقيت فرقة أخرى مؤمنة يقولون انه عبد الله ورسوله ﴿فويل﴾ كلمة عذاب ﴿للذين ظلموا﴾ كفروا بما قالوا في عيسى ﴿من عذاب يوم أليم﴾ مؤلم ثم هددهم عن هذه العقيدة الفاسدة التي لا مستند لها مع انها رسخت في نفوسهم فلا يتركونها ليرجعوا الى الحق كما قال تعالى :

٦٦ ﴿هل ينظرون﴾ الاحزاب ما ينتظرون ﴿الا الساعة أن تأتيهم﴾ بدل من الساعة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئها قبله لان من تغلغل في عقيدة تقليدية لا يتيسر له تركها وان ظهر له الحق ولو كانت تلك الفاسدة مبنية في أولها على أساس صحيح لان النفوس اذا انحرفت يصعب تقويمها .

ثم استطرد من وقوع الساعة بغتة الى ذكر بعض أحوالها فقال تعالى :

٦٧ ﴿الاخلاء﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة متعلق بقوله ﴿بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين﴾ المتحابين في الله على طاعته فانهم اصدقاء ويقال لهم :

٦٨ ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ .

٦٩ ﴿الذين آمنوا﴾ نعت لعبادي ﴿بآياتنا﴾ القرآن ﴿وكانوا مسلمين﴾

٧٠ ﴿ادخلوا الجنة أنتم﴾ مبتدأ ﴿وأزواجكم﴾ زوجاتكم ﴿تحبرون﴾ تسرون وتكرمون خبر المبتدأ .

٧١ ﴿يطاف عليهم بصحاف﴾ بقطاع ﴿من ذهب وأكواب﴾ جمع كوب وهو اناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وفيها ما تشتهيه الانفس﴾ تلذذا ﴿وتلذ الاعين﴾ نظر ﴿وأنتم فيها خالدون﴾ .

٧٢ ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ .

٧٣ ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها﴾ أي بعضها ﴿تأكلون﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله .

عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾

٧٤ ﴿ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾ .

٧٥ ﴿لا يفتر﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿عنهم وهم فيه مبلسون﴾ ساكتون سكوت يأس .

٧٦ ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ .

٧٧ ﴿ونادوا مالك﴾ هو خازن النار ﴿ليقض علينا ربك﴾ ليمتنا ﴿قال﴾ بعد ألف سنة ﴿انكم ماكثون﴾ مقيمون في العذاب دائما . قال تعالى :

لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾
أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ
سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ
إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ
رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾
فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾

٧٨ ﴿لقد جئناكم﴾ يا أهل النار عندما كنتم في الدنيا ﴿بالحق﴾ على لسان الرسل لو اتبعتموه لما دخلتم هذا المدخل الفظيع ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ فاتبعوا الضلال فوصل بهم الى النار.

من شأن الناس نحو الدعاة الى الله أن يكيدوا بهم أمرا لقتلهم بعد الفشل في ابطال الدعوة باللسان فقال تعالى:

٧٩ ﴿أم﴾ بمعنى بل ﴿أبرموا﴾ الكفار أحكموا ﴿أمرا﴾ أي في كيد محمد النبي ﴿فانا مبرمون﴾ محكمون كيدنا في اهلاكهم.

٨٠ ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ ما يسرون الى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بلى﴾ نسمع ذلك ﴿ورسلنا﴾ الحفظة ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ ذلك.

٨١ ﴿قل ان كان للرحمن ولد﴾ فرضا ﴿فانا أول العابدين﴾ للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى فانتفت عبادته. وقيل أول الأنثين والجاحدين من عبد بكسر الياء يعبد بفتحها.

٨٢ ﴿سبحان رب السموات والارض رب العرش﴾ المحيط بالكرسي الذي فيه السموات والارض ﴿عما يصفون﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد اليه.

٨٣ ﴿فذرهم يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ فيه العذاب وهو يوم القيامة.

٨٤ ﴿وهو الذي في السماء اله﴾ بتحقيق المهمزتين وقرىء باسقاط الاولى وتسهيلها وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وابدالها ياء ﴿وفي الارض اله﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعله ﴿وهو الحكيم﴾ في تدبير خلقه ﴿العليم﴾ بمصالحهم.

٨٥ ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة﴾ متى تقوم ﴿واليه ترجعون﴾ بالتاء الفوقانية وقرىء بالتحتانية.

٨٦ ﴿ولا يملك الذين يدعون﴾ يعبدون أي الكفار ﴿من دونه﴾ أي الله ﴿الشفاعة﴾ لاحد ﴿الا من شهد بالحق﴾ أي قال لا اله الا الله محمد رسول الله في هذه الامة ﴿وهم يعلمون﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم يعلمون أن الله خلق عيسى والعزير والملائكة وغيرهم المعبودين وهم عباده تعالى فهم يشفعون للمؤمنين باذن الله.

ثم اختصر تعالى مضمون دروس السورة في الآيتين الاخيرتين فختم بهما السورة على أكمل وجه فقال:

٨٧ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير أي يعرفون أن خالقهم الله ولا يشكون في ذلك ﴿فانى يؤفكون﴾ يصرفون عن توحيده تعالى بالعبادة بعد ان عرفوه انه الخالق لهم.

٨٨ ﴿وقيله﴾ أي قول محمد النبي وجره بواو القسم أي وأقسم بقيله ﴿يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ وجواب القسم دل عليه مقول قوله أي «ان هؤلاء قوم لا يؤمنون» لا يتركون تقاليدهم الباطلة مهما جئناهم بحجج واضحة لان كفرهم ما نشأ عن جهل بربهم وانما نشأ عن عناد وتكبر وحرص على المحافظة على عاداتهم الموروثة في ذلك وقرىء قيله بالنصب على المصدر بفعله المقدر أي وقال يا رب الخ قال تعالى :

٨٩ ﴿فاصفح﴾ أعرض ﴿عنهم﴾ عن أذاهم ولا تضرك بشيء ﴿وقل سلام﴾ أي امري سلام أي ذوسلامة منكم فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار كما قال بعضهم لان ما بعده تهديد لهم وهو ﴿فسوف يعلمون﴾ أيها الكفار اذا أبيتم اتباع ما أمركم الله واستمررتم على تقاليدكم الباطلة وتعصبكم عليها فسوف تعرفون عاقبة ذلك عندما يحل عليكم عذابه تعالى .

﴿ سورة الدخان مكية ﴾

هي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية وموضوعها الرئيسي الانذار بوقوع المصائب بسبب العصيان من الناس . يندب قراءتها ليلة الجمعة للحديث في ذلك .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿حم﴾ الله اعلم بمراده به .

٢ ﴿والكتاب﴾ القرآن ﴿المبين﴾ المظهر الحلال من الحرام .

٣ ﴿انا انزلناه في ليلة مباركة﴾ هي ليلة القدر أي الشرف عن قتادة أنه قال نزلت صحف أبراهيم في أول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لاثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة الى السماء الدنيا ومعنى انزاله من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا أن جبريل أملاه منه على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه في صحف وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة ينزل بها على النبي ﷺ بحسب الوقائع والحوادث ﴿انا كنا منذرين﴾ مخوفين به .

٤ ﴿فيها﴾ أي ليلة القدر ﴿يفرق﴾ يفصل ﴿كل أمر حكيم﴾ محكم من الارزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة الى مثل تلك الليلة .

وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(٤٤) سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

٥ ﴿أمرا﴾ فرقا ﴿من عندنا انا كنا مرسلين﴾ الرسل محمداً او من قبله .

٦ ﴿رحمة﴾ رأفة بالرسل اليهم ﴿من ربك انه هو السميع﴾ لاقوالهم ﴿العليم﴾ بالاحوال .

٧ ﴿رب السموات والارض وما بينهما﴾ بجر رب بدل من ربك وقرىء برفع رب ﴿ان كنتم﴾ أيها الكفار ﴿موقنين﴾ بأنه تعالى رب السموات والارض فأيقنوا بأن محمدا رسوله .

٨ ﴿لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين﴾ .

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي
السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ (١١) رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)
أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا
عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا
مُنتَقِمُونَ (١٦) ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ (١٨) وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠)
وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ
قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣)

٦٥٧

٩ ﴿بل هم في شك﴾ من البعث ﴿يلعبون﴾ استهزاء بك يا محمد.

١٠ ﴿فارتقب﴾ أي انتظر لهم ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ أي قحط تجدب الارض ويشتد بهم الجوع الى ان يرى الناس السماء كهيئة الدخان بين السماء والارض.

١١ ﴿يغشى الناس﴾ فيقولون ﴿هذا عذاب اليم﴾.

١٢ ﴿ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون﴾ مصدقون نبيك. هذا من الاخبار بالغيب وقد حصل فكان النبي ﷺ يدعو ربه ويقول «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأمسك الله المطر عن مكة سبع سنين وأصاب قريشا جهد اشتد بهم فجاء أبو سفيان الى النبي ﷺ فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله تعالى أن يكشف منهم فدعا لهم بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام حتى تضرروا من كثرته فجاءه أبو سفيان أيضا وطلب منه أن يدعو برفعه فدعا فارتفع. قال الله تعالى:

١٣ ﴿أنى لهم الذكرى﴾ عند وقوع العذاب أي لا ينفعهم الايمان عنده ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ بين الرسالة.

١٤ ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم﴾ بفتح اللام أي يعلمه غيره القرآن وهو المفعول من علم على وزن قدم ﴿مجنون﴾ ففي كلامهم تناقض اذ ان من يقبل التعليم لا يكون مجنونا لأن قبول التعليم لا يصلح مع الجنون.

١٥ ﴿انا كاشفو العذاب﴾ أي الجوع عنكم زمنا ﴿قليلا﴾ فكشف عنهم ﴿انكم عائدون﴾ الى كفركم فعادوا اليه كعادة الكفار اذا نزل عليهم عذاب ثم أزيل عنهم بدعاء نبيهم يعودون اليه حتى يهلكوا فقال:

١٦ ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ أي يوم تأتي بأشد عذاب ﴿انا منتقمون﴾ منهم والبطش هو الاخذ بقوة وقد أخذهم تعالى ببدر عندما قتل أكثر طغاتهم.

ثم ذكر تعالى ما وقع للامم السالفة مثالا لوقوع المصائب بسبب العصيان فقال:

١٧ ﴿ولقد فتنا﴾ بلونا ﴿قبلهم قوم فرعون﴾ معه ﴿وجاءهم رسول﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كريم﴾ على الله تعالى.

١٨ ﴿أن﴾ أي بأن ﴿أدوا الي﴾ ما أدعوكم اليه من الايمان أي أظهروا ايمانكم بالطاعة يا ﴿عباد الله اني لكم رسول أمين﴾ على ما أرسلت به.

١٩ ﴿وأن لا تعلوا﴾ تتجبروا ﴿على الله﴾ بترك طاعته ﴿اني آتيكم بسلطان﴾ برهان ﴿مبين﴾ بين على رسالتي فتوعدوه بالرجم فقال:

٢٠ ﴿واني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾ بالحجارة.

٢١ ﴿وان لم تؤمنوا لي﴾ تصدقوني ﴿فاعتزلون﴾ فاتركوا أذاي فلم يتركوه.

٢٢ ﴿فدعا ربه أن﴾ بأن ﴿هؤلاء قوم مجرمون﴾ مشركون فقال تعالى:

٢٣ ﴿فأسر﴾ بقطع الهمزة وقرىء بوصلها ﴿بعبادي﴾ بني اسرائيل ﴿ليلا انكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا
مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾
وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ
وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ
ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾
وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا

٢٤ ﴿واترك البحر﴾ اذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رهوا﴾ ساكنا منفرجا حتى يدخله القبط ﴿إنهم جند مغرقون﴾ فاطمأنوا فاغرقوا كما أخبر تعالى بذلك .

٢٥ ﴿كم تركوا من جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ تجري .

٢٦ ﴿وزروع ومقام كريم﴾ مجلس حسن .

٢٧ ﴿ونعمة﴾ متعة ﴿كانوا فيها فاكهين﴾ ناعمين .

٢٨ ﴿كذلك﴾ خبر مبتدأ أي الامر ﴿وأورثناها﴾ أي أموالهم ﴿قوما آخرين﴾ غير جنسهم قيل هم بنو اسرائيل رجعوا الى مصر بعد قتل فرعون وقيل غيرهم على ان بني اسرائيل سافروا الى الشام بعد ذلك والله أعلم .

٢٩ ﴿فما بكت عليهم السماء والارض﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسف لمهلكهم الشمس بخلاف المؤمنين يبكى عليهم بموتهم مصلاهم من الارض ومصعد عملهم من السماء كما روي في الاخبار ﴿وما كانوا منظرين﴾ مؤخرين التوبة .

ثم ذكر تعالى ما فعل ببني اسرائيل بعد مهلك فرعون تسلية لمؤمني هذه الامة فقال :

٣٠ ﴿ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين﴾ قتل الابناء واستخدام النساء .

٣١ ﴿من فرعون﴾ قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أي من عذابه وقيل حال من العذاب ﴿انه كان عاليا من المسرفين﴾ .

٣٢ ﴿ولقد اخترناهم﴾ أي بني اسرائيل ﴿على علم﴾ منا بحالهم ﴿على العالمين﴾ أي عالمي زمانهم أي العقلاء فأمة محمد بعد افضل بالقطع منهم .

٣٣ ﴿وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها واشارة الى ما يصيب مؤمني هذه الامة من الكتاب والنعم وقد حصل ولا يزال يحصل لهم ما تمسكوا بالكتاب ومن رحمة الله بهؤلاء ان جعل فيهم أمة قائمة على الحق دائما .

ثم رجع تعالى بالسياق الى بيان حال كفار هذه الامة فقال :

٣٤ ﴿ان هؤلاء﴾ أي الكفار ﴿ليقولون﴾ .

٣٥ ﴿ان هي﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿الا موتتنا الاولى﴾ أي وهم نطف ﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية .

٣٦ ﴿فأتوا بآبائنا﴾ أحياء ﴿ان كنتم صادقين﴾ أنا نبعث بعد موتنا أي نحيا قال تعالى :

٣٧ ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾ هو نبي أو رجل صالح وكان قومه كافرين ولذلك ذمهم الله دونه وقال عليه الصلاة والسلام «ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي» وأسلم وآمن بالنبي ﷺ قبل ولادته بتسمائة سنة لما أخبرته اليهود بخبره على حسب ما هو في كتابهم حميري من أهل اليمن وهو تبع الاكبر أبو كرب واسمه أسعد واليه تنسب الانصار ولحفظهم وصيته عن ابائهم بادروا الى الاسلام وهو أول من كسا البيت ﴿والذين من قبلهم﴾ من الامم ﴿أهلكناهم﴾ بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿انهم كانوا مجرمين﴾ .

بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾
يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ
شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى
فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ
سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ
هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ
أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾

٦٥٩

٣٨ ﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين﴾ علق ذلك حال أي بدون قصد الى مغزى .

٣٩ ﴿ما خلقناهما﴾ وما بينهما ﴿الا بالحق﴾ أي محقين في ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿ولكن أكثرهم﴾ أي الناس وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ .

٤٠ ﴿ان يوم الفصل﴾ يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد ﴿ميقاتهم أجمعين﴾ للعذاب الدائم .

٤١ ﴿يوم لا يغنى مولى عن مولى﴾ بقرابة أو صداقة أي لا يدفع عنه ﴿شيئا﴾ من العذاب ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون منه ويوم بدل من يوم الفصل .

٤٢ ﴿الا من رحم الله﴾ وهم المؤمنون فانه يشفع بعضهم لبعض باذن الله ﴿انه هو العزيز﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين .

٤٣ ﴿ان شجرة الزقوم﴾ هي من أخبث الشجر المر ينبتها الله تعالى في الجحيم .

٤٤ ﴿طعام الاثيم﴾ كثير الاثم مثل أبي جهل وأصحابه .

٤٥ ﴿كالمهل﴾ أي كدردي الزيت الاسود خبر ثان ﴿يغلي في البطون﴾ بالتحتانية حال من المهل وقرىء بالفوقانية خبر ثالث .

٤٦ ﴿كغلي الحميم﴾ الماء الشديد الحرارة .

٤٧ ﴿خذوه﴾ يقال للزبانية خذوا الاثيم ﴿فاعتلوه﴾ بكسر التاء وقرىء بضمها جروه بغلظة وشدة ﴿الى سواء الجحيم﴾ وسط النار .

٤٨ ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما في آية «يصب من فوق رؤوسهم الحميم» ويقال له :

٤٩ ﴿ذق﴾ أي العذاب ﴿انك أنت العزيز الكريم﴾ بزعمك وكان أبو جهل يقول ما بين جبليها أعز وأكرم مني ويقال لهم :

٥٠ ﴿ان هذا﴾ العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ فيه تشكون .

وبعد ذكر أحوال الكفار في العذاب ذكر تعالى جزاء المؤمنين فقال .

٥١ ﴿ان المتقين في مقام﴾ مجلس ﴿أمين﴾ يؤمن فيه الخوف .

٥٢ ﴿في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ .

٥٣ ﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾ أي ما رق من الديباج وما غلظ منه ﴿متقابلين﴾ حال أي لا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة بهم .

٥٤ ﴿كذلك﴾ يقدر قبله الامر ﴿وزوجناهم﴾ من التزويج أوقرناهم ﴿بحور عين﴾ بنساء بيض واسعات الاعين حسانها .

٥٥ ﴿يدعون﴾ يطلبون الخدم ﴿فيها﴾ أي الجنة أن يأتوا ﴿بكل فاكهة﴾ منها ﴿آمنين﴾ من انقطاعها ومضرتها من كل مخوف حال .

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(٤٥) سورة الجاثية مكية وآياتها سبع وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ

٥٦ ﴿لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى﴾ أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم الا بمعنى بعد ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾.

٥٧ ﴿فضلا﴾ مصدر بمعنى تفضلا منصوب بتفضل مقدرا ﴿من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾ أي لانه خلاص عن المكاره وظفر بالمطالب.

ثم ختم تعالى السورة بما اشتمل على دروس السورة من العذاب الذي لا يأتي الا بعد الانذار لمن لم يؤمن واذا جاء فلا ينفع الايمان بعده فقال:

٥٨ ﴿فانما يسرناه﴾ سهلنا القرآن اي الانذار به ﴿بلسانك﴾ بلغتك لتفهمه العرب ويكون الناس تبعا لهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون.

٥٩ ﴿فارتقب﴾ انتظر هلاكهم ﴿انهم مرتقبون﴾ هلاكك والآية محكمة مستمرة الحكم بين الدعاة الى الخير وعبادة الله وبين الكفار والفسقة فهم دائما يرتقبون للمؤمنين أو للدعاة الشر الا بحفظ من الله العلي الكريم.

﴿ سورة الجاثية مكية ﴾

تسمى سورة الشريعة وآياتها ست أو سبع وثلاثون وموضوعها الرئيسي بيان ان الحكم بشريعة الله واجب واتباع ما عداها ضلال واتباع لغير الله.

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

٣ ﴿ان في السموات والأرض﴾ أي في خلقهما ﴿لآيات﴾ دالة على حكمته تعالى في ملكه ﴿للمؤمنين﴾.

٤ ﴿وفي خلقكم﴾ أي في خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة الى أن صار انسانا ﴿و﴾ خلق ﴿ما يبث﴾ يفرق في الأرض ﴿من دابة﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿آيات﴾ من كونها تمشي بنظام واجتماع كل جنس لنفسه ﴿لقوم يوقنون﴾ بأحكام الله وحكمتها.

رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ
آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى
عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا
أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا
يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
• اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ

• ﴿و﴾ في ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق﴾ مطر لأنه سبب الرزق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح﴾ تقليبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ الدليل فيؤمنون .

٦ ﴿تلك﴾ الآيات المذكورات ﴿آيات الله﴾ حججه الدالة على حكمته تعالى في أحكامه ﴿نتلوها﴾ نقصها ﴿عليك بالحق﴾ متعلق بنتلو ﴿فبأي حديث بعد الله﴾ ألوهيته ﴿وآياته﴾ حديثه وهو القرآن ﴿يؤمنون﴾ أي الكفار أي لا يؤمنون وفي قراءة بالتاء الفوقانية .

٧ ﴿ويل﴾ كلمة عذاب ﴿لكل أفاك﴾ كذاب ﴿أثيم﴾ كثير الاثم .

٨ ﴿يسمع آيات الله﴾ القرآن ﴿تتلى عليه ثم يصر﴾ على الكفر ﴿مستكبرا﴾ متكبرا عن الانقياد لها ﴿كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ مؤلم .

٩ ﴿وإذا علم من آياتنا﴾ الاحكام ﴿شيئا اتخذها هزوا﴾ أي مهزوا بها ﴿أولئك﴾ أي الأفاكون ﴿لهم عذاب مهين﴾ ذو اهانة لأن جزاء التكبر الاهانة في الدنيا .

١٠ ﴿من ورائهم﴾ أي أمامهم لأنهم في الدنيا ﴿جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من المال والأفعال ﴿شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله﴾ من المعبودات ﴿أولياء ولهم عذاب عظيم﴾ في الدنيا من الهوان وفي الآخرة من دخول النار .

ثم أشار الى أهمية القرآن والشريعة التي اشتمل القرآن عليها فقال :

١١ ﴿هذا هدى﴾ أي هو هادي ومن شدة اتصافه بالهادية كأنه صار هو الهدى من الضلال ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب﴾ حظ منه ﴿من رجز﴾ أشد العذاب ﴿أليم﴾ موجع ثم وصف تعالى نفسه ليعرف الناس قدر من أنزل القرآن وما فيه من الأحكام فقال :

١٢ ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك﴾ السفن ﴿فيه بأمره﴾ باذنه ﴿ولتبتغوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿من فضله ولعلكم تشكرون﴾ .

لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا
يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ
فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ
الطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم
بَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ
الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ

٦٦٢

١٣ ﴿وسخر لكم ما في السموات﴾ من الشمس والقمر والنجوم والماء وغيره ﴿وما في الأرض﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها أي خلق ذلك لمنافعكم ﴿جميعا﴾ تأكيد ﴿منه﴾ حال أي سخرها كائنة منه تعالى ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فيها فيؤمنون .

ولما وصف تعالى نفسه بالآيات التي تدل على حكمته في أحكامه أمر بالصفح عن كافر لا يرجو قتالا فقال :

١٤ ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون﴾ لايتوقعون ﴿ايام الله﴾ .وقائعه اي اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم وهذا قبل الامر بجهادهم أو هي للمصالح فغير منسوخة فيتركون على عاداتهم تحت سيطرة الاسلام ﴿ليجزي﴾ أي الله وفي قراءة بالنون ﴿قوما بما كانوا يكسبون﴾ أي ليجزي كل قوم بعملهم .

١٥ ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ عمل ﴿ومن اساء فعليها﴾ أساء ﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء .

ثم بين تعالى أن نظام الشريعة ليس مختصا بهذه الامة فقال :

١٦ ﴿ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب﴾ التوراة ﴿والحكم﴾ به بين الناس ﴿والنبوة﴾ لموسى وهرون منهم أي أعطيناهم الكتاب مثل ما أعطينا هذه الأمة الكتاب والحكم به بين الناس كما لهذه الأمة وكلا الكتابين من الله بواسطة النبوة ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي بني اسرائيل بأن بينا لهم الحلال ليأكلوه وبينا لهم الحرام ليجتنبوه ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ بذلك النظام الشرعي اذ لم يكن مثل ذلك النظام لأحد قبلهم ففاقوا غيرهم به في وقتهم .

١٧ ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أي شأن دنياهم وآخرتهم ومنه بيان مجيء الأنبياء لتبديل بعض الأحكام غير الأصولية عندما تقتضي الأحوال ذلك ومن ضمن تلك الأنبياء الذين يأتون للاصلاح واتمام الأمر محمد ﷺ . وكل هذا في كتابهم اي التوراة ﴿فما اختلفوا﴾ في الأمر كابعثة محمد ﷺ ﴿الا من بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ أي لبغي حدث بينهم حسدا له وغيروا النظام وأهملوا الشريعة واتبعوا أهواءهم فتفرقوا فيما بينهم ﴿ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه﴾ أي الأمر ﴿يختلفون﴾ فيعذبهم في ترك ما أسسه لهم من أصل الألفة والاتفاق واتحاد الكلمة وقوة الشوكة الذي به فضلوا على العالمين أيام ما كانوا عليه فذلوا وهلكوا .

أهلكت بنو اسرائيل لما تركوا النظام الذي وضعناهم عليه .

١٨ ﴿ثم جعلناك﴾ يا محمد ﴿على شريعة﴾ طريقة ﴿من الأمر﴾ الذي تركه اليهود وهو الدين ونظام الشريعة ﴿فاتبعها﴾ أي الشريعة ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ أن المصالح الدنيوية والأخروية في اتباعها .

أوليآء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس
وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) أم حسب الذين
اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا
الصالحات سوآء محياهم ومماتهم سآء ما يحكمون (٢١)
وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل
نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢) أفرءيت من اتخذ
إلهه هوىه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشوة فمن يهديه من بعد الله أفلا
تذكرون (٢٣) وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم
إلا يظنون (٢٤) وإذا تتلى عليهم ءايتنا بينت ما كان
حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بءابآئنا إن كنتم صدقين (٢٥)

٦٦٣

١٩ ﴿انهم لن يغنوا﴾ يدفعوا ﴿عنك من الله﴾ من عذابه ﴿شيئا﴾ ان خالفت الأمر ولم تتبع الشريعة واتبعت أهواءهم ﴿وان الظالمين﴾ الكافرين ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي يساعد بعضهم بعضا في الضلالة ويخرج بعضهم بعضا من النور الى الظلمات ﴿والله ولي المتقين﴾ المؤمنين العاملين بالشريعة التي أنزلها اليهم فيساعدهم على تنفيذها ، ويخرجهم بها من الظلمات الى النور ، ويجمع كلمتهم على من سواهم .

٢٠ ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر للناس﴾ معالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ بالبعث .

٢١ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الانكار ﴿حسب الذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿السيئات﴾ الكفر والمعاصي وترك اتباع الشريعة ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء﴾ خبر ﴿محياهم ومماتهم﴾ مبتدأ ومعطوف ، والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار . والمعنى أحسبوا ان نجعلهم متساوين معهم في الاطمئنان والهدوء في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة ، والحال أنهم لم يتبعوا الشريعة التي كلفوا بها والتي تضمن للناس سعادة الدارين كلا لن نجعلهم كالمؤمنين سواء . قال تعالى على وفق انكاره بالهمزة ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي ليس الأمر كذلك فهم في الدنيا في الهرج والفتن ، وفي الآخرة في العذاب الشديد . وأما المؤمنون ففي الدنيا هدوء واطمئنان وطاعة ربهم بجميع اعمالهم وفي الآخرة في ثواب ذلك وزيادة فضل من ربهم . وما مصدرية أي بئس حكما حكمهم هذا .

٢٢ ﴿وخلق الله السموات و﴾ خلق ﴿الأرض بالحق﴾ بملكه الثابت ليس لأحد فيه شراكة بشيء ليدل على سعة ما عنده ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ من المعاصي والطاعات فلا يساوى الكافر بالمؤمن ﴿وهم لا يظلمون﴾ بزيادة سيئة على ما عملوا من المنكر أو بنقص حسنة عما فعلوا من المعروف .

وبعدما بين تعالى أحوال التابعين للشريعة وأحوال الكافرين بها سأل سؤال تعجيب عن سفه من يترك أوامر الله أي الشريعة ويرجع لما تخطط له نفسه من أهواء فقال :

٢٣ ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ أي ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى لان العبادة هي اتباع أوامر المعبود واجتناب نواهيه. فيعبد بذلك هواه من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وأضله الله على علم﴾ منه أي أضله وهو عالم بالحق ، فهو مثل قوله تعالى «فما اختلفوا الا من بعدما جاءهم العلم» ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ فلم يسمع الهدى ولم يعقله ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ ظلمة فلم يبصر الهدى ، ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت أيهتدي ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ أي بعد اضلاله اياه ، أي لا يهتدي ﴿أفلا تذكرون﴾ تتعظون ، فيه ادغام احدى التاءين في الذال .

٢٤ ﴿وقالوا﴾ الذين يتخذون آلهتهم أهواءهم وهم ينكرون البعث ، لأن في انكاره انكارا لكل الشريعة التي كلفوا بها ﴿ما هي﴾ أي الحياة ﴿الا حياتنا﴾ التي في ﴿الدنيا نموت ونحيا﴾ أي يموت بعض ويحيا بعض ، بأن يولدوا ﴿وما يهلكنا الا الدهر﴾ أي مرور الزمان . قال تعالى ﴿وما لهم بذلك﴾ القول ﴿من علم ان﴾ ما ﴿هم الا يظنون﴾ .

٢٥ ﴿واذا تتلى عليهم آيا تنا﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿بينات﴾ واضحات حال ﴿ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا﴾ أحياء ﴿ان كنتم صادقين﴾ أنا نبعث

٢٦ ﴿قل الله يحييكم﴾ حين كنتم نطفا ﴿ثم يميتكم ثم يجمعكم﴾ أحياء ﴿الى يوم القيامة لا ريب﴾ شك ﴿فيه ولكن أكثر الناس﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لا يعلمون﴾ .

٢٧ ﴿ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة﴾ يبدل منه ﴿يومئذ يخسر المبطلون﴾ الكافرون أي يظهر خسرانهم بأن يصيروا الى النار .

٢٨ ﴿وترى كل أمة﴾ أي أهل دين ﴿جاثية﴾ على الركب أو مجتمعة ﴿كل أمة تدعى الى كتابها﴾ كتاب أعمالها ويقال لهم ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي جزاءه .

٢٩ ﴿هذا كتابنا﴾ ديوان الحفظة ﴿ينطق عليكم بالحق﴾ أي باثبات ما فعلتم في الدنيا ﴿انا كنا نستنسخ﴾ نثبت ونحفظ ﴿ما كنتم تعملون﴾ .

٣٠ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ جنته ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ البين الظاهر .

٣١ ﴿وأما الذين كفروا﴾ فيقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي﴾ القرآن ﴿تتلى عليكم فاستكبرتم﴾ تكبرتم ﴿وكنتم قوما مجرمين﴾ كافرين بفعلكم المعاصي وتستكبرون أن تخضعوا لشريعة ربكم فيجيبون بلى ، لو كنا نسمع أو نعمل ما كنا في أصحاب السعير ، كما هو في سورة الملك .

٣٢ ﴿واذا قيل﴾ لكم أيها الكفار ﴿ان وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق والساعة﴾ بالرفع وقرىء بالنصب ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان﴾ ما ﴿نظن الا ظنا﴾ قال المبرد أصله ان نحن الا نظن ظنا ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ انها آتية .

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ
يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ
إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا
يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ
فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ
فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم

مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا
نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ
رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(٤٦) سُورَةُ الأَحْقَافِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾

٦٦٥

٣٣ ﴿وبدا﴾ ظهر ﴿لهم﴾ في الآخرة ﴿سيئات ما عملوا﴾ في الدنيا اي جزاؤها ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي العذاب .

٣٤ ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ تترككم في النار ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي تركتم العمل للقائه ﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ مانعين منها .

٣٥ ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله﴾ القرآن ﴿هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا﴾ حتى قلتم لا بعث ولا حساب وسهل لكم ترك شريعة الله واتباع اهوائكم . قال الله تعالى لبيان عاقبتكم ﴿فاليوم لا يخرجون﴾ أهل الأهواء بالبناء للمفعول وقرىء للفاعل ﴿منها﴾ من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفعهم يومئذ .

ثم ختم تعالى السورة بقوله :

٣٦ ﴿فلله الحمد﴾ أي الوصف بالجميل على انفاذ وعيده في المكذبين وتاركي شريعته التي كلف بها عباده ووفاء وعده في المؤمنين المطيعين ﴿رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ خالق ما ذكر والعالم بفتح اللام ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه ورب بدل .

٣٧ ﴿وله الكبرياء﴾ العظمة ﴿في السموات والأرض﴾ حال أي كائنة فيهما ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء في مواضعها ولا يضع شيئا الا كذلك ، كما أحكم أمره ونهيه وجميع شرعه ، وأحكم نظم هذا القرآن جملا وآيات وفواصل وغايات بعد أن حرر معانيه وتنزيله ، فصار معجزا في نظمه ومعناه .

﴿ سورة الأحقاف مكية ﴾

هي خمس وثلاثون آية وموضوعها الرئيسي بيان أن النذر كانوا من الانس ومن الجن وأنهم لا يختلفون في أسلوب دعواهم ولا في أصولها وهو التوحيد وأن الأنبياء أخص من المنذرين .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به .

٢ ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز الحكيم﴾ في صنعه .

مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ
ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن
قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ
أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ
ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ
إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ

٣ ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا﴾ خلقا ﴿بالحق﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وأجل مسمى﴾ الى فنائهما يوم القيامة ﴿والذين كفروا عما أنذروا﴾ خوفوا به من العذاب ﴿معرضون﴾ .

٤ ﴿قل أرايتم﴾ أخبروني ﴿ما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي الأصنام وسائر المعبودات مفعول أول ﴿أروني﴾ أخبروني تأكيد ﴿ماذا خلقوا﴾ مفعول ثان ﴿من الأرض﴾ بيان ما ﴿أم لهم شرك﴾ مشاركة ﴿في﴾ خلق ﴿السموات﴾ مع الله وأم بمعنى همزة الانكار ﴿ائتوني بكتاب﴾ منزل ﴿من قبل هذا﴾ القرآن ﴿او أثارة﴾ بقية ﴿من علم﴾ يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تشفع لكم وتقربكم الى الله زلفى ﴿ان كنتم صادقين﴾ في دعواكم .

٥ ﴿ومن﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد ﴿أضل ممن يدعو﴾ يعبد ﴿من دون الله﴾ أي غيره ﴿من لا يستجيب له الى يوم القيامة﴾ وهم الأصنام لا يجيبون عابديهم الى شيء يسألونه ابدا ﴿وهم عن دعائهم﴾ عبادتهم ﴿غافلون﴾ لأنهم جماد لا يعقلون .

٦ ﴿واذا حشر الناس كانوا﴾ المعبودون ﴿لهم﴾ لعابديهم ﴿أعداء وكانوا بعبادتهم﴾ أي بعبادة عابديهم ﴿كافرين﴾ جاحدين .

٧ ﴿واذا تتلى عليهم﴾ أي الكفار ﴿آياتنا﴾ القرآن ﴿بينات﴾ ظاهرات حال ﴿قال الذين كفروا﴾ منهم ﴿للحق﴾ القرآن ﴿لما جاءهم هذا سحر مبين﴾ بين ظاهر .

٨ ﴿أم﴾ بمعنى بل وهمزة الانكار ﴿يقولون افتراه﴾ أي القرآن ﴿قل ان افتريته﴾ فرضا ﴿فلا تملكون لي من الله﴾ أي من عذابه ﴿شيئا﴾ أي لا تقدرون على دفعه عني اذا عذبني الله ﴿هو اعلم بما تفيضون فيه﴾ تقولون في القرآن ﴿كفى به شهيدا بيني

ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى
مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ
وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ
فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ
إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾
وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ
مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ
لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٦٦٧

وبينكم وهو﴾ الله ﴿الغفور﴾ لمن تاب ﴿الرحيم﴾ به حث لتوبتهم عن قولهم ذلك لكي يغفر لهم الله ويرحمهم ولا يعاجلهم بالعقاب .

٩ ﴿قل ما كنت بدعا﴾ بديعاً ﴿من الرسل﴾ أي أول الرسل قد سبق قبلي كثير منهم فكيف تكذبونني ﴿وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم﴾ في الدنيا أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي أو ترجمون بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم ﴿ان﴾ ما ﴿أتبع الا ما يوحى الي﴾ أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيئا ﴿وما أنا الا نذير مبين﴾ بين الانذار .

١٠ ﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ماذا حالكم ﴿ان كان﴾ أي القرآن ﴿من عند الله وكفرتم به﴾ جملة حالية ﴿وشهد شاهد من بني اسرائيل﴾ هو موسى وشهادته هي كونه نبيا ورسولا مثل محمد وله كتاب منزل أي التوراة مثل القرآن وفي التوراة وصف محمد ﷺ بما يعرفه أحدهم كما يعرف ابنه أو أشد تميزا من ابنه ﴿على مثله﴾ أي عليه أنه من عند الله فموسى مثل محمد في النبوة والرسالة والبشرية والتوراة مثل القران فكل واحد منهما له كتاب سماوي فيه هدى وتذكير وأحكام وما في القران أتم واعجز ﴿فآمن﴾ الشاهد قبل مجيء المشهود له أو آمن بعض أتباعه كعبد الله بن سلام الذي قام مقام موسى في العمل بالتوراة ﴿واستكبرتم﴾ تكبرتم عن الايمان وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين دل عليه ﴿ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ .

١١ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ أي في حقهم ﴿لو كان﴾ ما جاء به محمد ﴿خيرا ما سبقونا اليه﴾ الى الايمان به ﴿واذ لم يهتدوا﴾ القائلون ﴿به﴾ أي القرآن ﴿فسيقولون هذا﴾ أي القرآن ﴿افك قديم﴾ أي من خرافات الأقدمين أي أساطيرهم القديمة .

١٢ ﴿ومن قبله﴾ أي القرآن ﴿كتاب موسى﴾ أي التوراة ﴿اماما ورحمة﴾ للمؤمنين به حالان ﴿وهذا﴾ أي القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ للكتب قبله ﴿لسانا عربيا﴾ حال من الضمير في مصدق ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ باشراكهم أحدا في عبادة الله ﴿و﴾ هو ﴿بشرى للمحسنين﴾ المؤمنين .

١٣ ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على الطاعة ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

١٤ ﴿أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها﴾ حال ﴿جزاء﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر أي يجزون ﴿بما كانوا يعملون﴾ بعملهم الحسن .

ولما ذكر تعالى الايمان بالله وحده والاستقامة في الطاعة ذكر من حقوق الانسان على الانسان منها بر الوالدين فقال :

ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها
ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا
بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر
نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا
ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني
من المسلمين ﴿١٥﴾ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد
الصدق الذي كانوا يوعدون ﴿١٦﴾ والذي قال لوالديه
أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من
قبلي وهما يستغيثان الله ويلك ءامن إن وعد الله حق
فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين ﴿١٧﴾ أولئك الذين
حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من

١٥ ﴿ووصينا الانسان بوالديه احسانا﴾ وفي قراءة حسناً أي أمرناه أن يحسن اليهما فنصب احسان على المصدر بفعله المقدر ومثله حسنا وعلل الوصية بقوله: ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾ بضم الكاف وقرىء بفتحها أي على مشقة ﴿وحمله وفصاله﴾ من الرضاع ﴿ثلاثون شهرا﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل ان حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حتى﴾ غاية لجملة مقدرة أي وعاش حتى ﴿اذا بلغ أشده﴾ هو كمال قوته ورأيه أقله ثلاث وثلاثون ﴿وبلغ اربعين سنة﴾ أي تمامها وهو أكثر الأشد ﴿قال رب أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت﴾ بها ﴿علي وعلى والدي﴾ وهي التوحيد ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت اليك واني من المسلمين﴾ أي المخلصين مثل هذا وقع لأبي بكر الصديق فانه لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ وقد آمن أبوه أبو قحافة وأمه أم الخير ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله وكان يتواضع ويطلب من الله المزيد قال الله تعالى:

١٦ ﴿أولئك﴾ أي القائلون هذا القول أبو بكر وغيره ﴿الذين نتقبل عنهم أحسن﴾ بالنون المفتوحة مبنيا للفاعل ونصب أحسن على المفعول به وكذلك نتجاوز وفي قراءة بياء مضمومة مبنيا للمفعول ورفع أحسن وبفتح الياء ونصب أحسن والفاعل الله وأحسن بمعنى حسن ﴿ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ حال أي كائنين في جملتهم ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ في قوله تعالى «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات» وقيل الوعد هو قوله نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عنهم الخ وهو ايضا من المتلزين الذين نصحوا لله ولرسوله

١٧ ﴿والذي قال لوالديه﴾ وفي قراءة بالادغام أريد به الجنس ﴿أف﴾ بكسر الفاء والتنوين وقرىء بفتحها بمعنى مصدر أي نتنا وقبحا ﴿لكما﴾ أي أتضجر منكما ﴿أتعدانني﴾ وفي قراءة بالادغام ﴿أن أخرج﴾ من القبر ﴿وقد خلت القرون﴾ الأمم ﴿من قبلي﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يسألانه الغوث برجوعه ويقولان ان لم ترجع ﴿ويلك﴾ أي هلاكك بمعنى هلكت ﴿آمن﴾ بالبعث ولا تكذب المنذرين ﴿ان وعد الله حق فيقول ما هذا﴾ أي القول بالبعث ﴿الا أساطير الأولين﴾ اكاذيبهم ;

الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ
مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ
فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ
قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ
عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا

١٨ ﴿أولئك الذين حق﴾ وجب ﴿عليهم القول﴾ بالعذاب ﴿في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين﴾ فالأبوان الصالحان اذا أنذرا ابنهما فهما من المنذرين الذين نصحوا لله ولرسوله كما ان الابن الصالح اذا أنذر أبويه وباقي عشيرته فهو من المنذرين الذين نصحوا لله ولرسوله . وفي الآية اشارة الى المنذرين الصالحين يكونون من الأنس ومن الجن وكما أن الفسق والفجور والعقوق تكون منهما معاً .

ثم ذكر تعالى تعقيبا عن الجنسين المؤمنين والكافرين فقال :

١٩ ﴿ولكل﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿درجات﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مما عملوا﴾ اي المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي ﴿وليوفيهم﴾ أي الله وفي قراءة بالنون ﴿أعمالهم﴾ أي جزاءها ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئا ينقص من المؤمنين أو يزاد على الكافرين .

٢٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ بأن تكشف لهم يقال لهم ﴿أذهبتم﴾ بهمزة وقرىء بهمزتين وبهمزة ومدة وبهما وتسهيل الثانية ﴿طيباتكم﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿في حياتكم الدنيا واستمتعتم﴾ تمتعتم ﴿بها فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ أي الهوان ﴿بما كنتم تستكبرون﴾ تتكبرون ﴿في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ به وتعذبون بالنار.

ثم ذكر تعالى قصة هود مع قومه مثالا للنذر الأولين من الرسل عليهم السلام فقال :

٢١ ﴿واذكر أخا عاد﴾ هو هود عليه السلام ﴿اذ﴾ الخ بدل اشتمال ﴿أنذر قومه﴾ خوفهم ﴿بالأحقاف﴾ اسم واد باليمن به منازلهم ﴿وقد خلت النذر﴾ مضت الرسل المنذرون ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ أي قبل هود ومن بعده الى أقوامهم ﴿ألا﴾ أي بأن قال لا ﴿تعبدوا إلا الله﴾ وجملة «وقد خلت» معترضة ﴿اني أخاف عليكم﴾ ان عبدتم غير الله ﴿عذاب يوم عظيم﴾ .

٢٢ ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب على عبادتها ﴿ان كنت من الصادقين﴾ في أنه يأتينا .

٢٣ ﴿قال﴾ هود ﴿انما العلم عند الله﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾ اليكم ﴿ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ في طلبكم باستعجال العذاب عليكم .

هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا
لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾
وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا
وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا
أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم
مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾
فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾
وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ
فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم

٢٤ ﴿فلما رأوه﴾ أي رأوا العذاب ﴿عارضا﴾ سحابا عرض في أفق السماء ﴿مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ أي ممطر ايانا. قال تعالى ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ من العذاب ﴿ريح﴾ بدل من ما ﴿فيها عذاب أليم﴾ مؤلم.

٢٥ ﴿تدمر﴾ تهلك ﴿كل شيء﴾ مرت عليه ﴿بأمر ربها﴾ بارادته أي كل شيء أراد ربها هلاكه بها. فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السموات والأرض ومزقته وبقي هود ومن آمن معه وكانوا نحو أربعة آلاف ان هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة. وهذه معجزة عظيمة لهود عليه الصلاة والسلام ﴿فأصبحوا لا يرى﴾ بالتحتانية بالضم وقرىء بالفوقانية بالفتح ﴿الا مساكنهم﴾ بعد الاهلاك وبالتاء بمعنى المخاطب أي صاروا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم ومساكنهم مرفوع نائب الفاعل ليرى وأما على قراءة التاء مساكنهم منصوب كما تقدم. ثم عقب تعالى فقال ﴿كذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي القوم المجرمين﴾ غيرهم ممن عمل عملهم.

٢٦ ﴿ولقد مكناهم فيما﴾ في الذي ﴿ان﴾ نافية أو زائدة ﴿مكناكم فيه﴾ أي ولقد مكنا عادا في أمور عظيمة لم نمكنكم فيها ﴿وجعلنا لهم سمعا﴾ بمعنى أسماعا ﴿وأبصارا وأفئدة﴾ قلوبا ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء﴾ أي شيئا من الاغناء ومن زائدة ﴿اذ﴾ معمولة لأغنى وأشربت معنى التعليل ﴿كانوا يجحدون بآيات الله﴾ حججه البينة ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي العذاب.

٢٧ ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ غير عاد كثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة بعدما أرسلنا اليهم المنذرين فأبوا أن يتعظوا ﴿وصرفنا الآيات﴾ كررت الحجج البينات للانذار ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن ضلالهم فما اتعظوا فأهلكناهم.

٢٨ ﴿فلولا﴾ هلا ﴿نصرهم﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الذين اتخذوا من دون الله﴾ أي غيره ﴿قربانا﴾ متقربا بهم الى الله ويعبدونهم توسلا بهم اليه تعالى ﴿آلهة﴾ معه وهم الأصنام ومفعول «اتخذوا» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أي هم و«قربانا» الثاني «وآلهة» بدل منه ﴿بل ضلوا﴾ غابوا ﴿عنهم﴾ عند نزول العذاب ﴿وذلك﴾ أي اتخاذهم الأصنام آلهة قربانا ﴿افكهم﴾ كذبهم ﴿وما كانوا يفترون﴾ يكذبون وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي فيه.

ثم ذكر تعالى خبر جن نصيبين باليمن أو جن نينوى احبارا بأن منهم المنذرين الصالحين فقال :

٢٩ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ صرفنا﴾ أملنا ﴿اليك نفرا من الجن﴾ وكانوا سبعة وكان ﷺ ببطن نخل يصلي باصحابه الفجر رواه الشيخان ﴿يستمعون القرآن﴾ صفة أيضا لنفرا، أو حال لتخصصه بالصفة ان قلنا ان «من الجن» له وراعى معنى النفر فأعاد عليه الضمير جمعا. ففيه تنبيه على أن المنذر لا بد أن يستمع أولا الى القرآن فيعرف منه ما ينذر به نفسه ثم غيره، لأنه لا نبي بعد سيدنا

مُنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن
بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى
طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا
بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)
وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ
لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢)
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى
النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو
الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

٦٧١

محمد ﷺ فكل نذير بعده عليه ان يتعلم القرآن أولا ثم يعمل به ثانيا ، ومن شرط العمل بالقرآن أن يكون على مذهب السلف الصالح فيما يرجع للعقائد والعبادات وهذا قوله تعالى ﴿فلما حضروه قالوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿أنصتوا﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فلما قضي﴾ فرغ من قراءته مبني للمفعول وفي قراءة مبني للفاعل والفاعل رسول الله ﷺ . وفهموه ﴿ولوا﴾ رجعوا ﴿الى قومهم منذرين﴾ مخوفين قومهم العذاب ان لم يؤمنوا وكانوا يهودا في الدين وقد أسلموا .

٣٠ و ﴿قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا﴾ هو القرآن ﴿أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه﴾ أي تقدمه كالتوراة ﴿يهدي الى الحق﴾ الدين الثابت وهو الاسلام ﴿والى طريق مستقيم﴾ أي طريقه .

٣١ ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾ محمدا ﷺ الى الايمان ﴿وآمنوا به يغفر﴾ الله ﴿لكم من ذنوبكم﴾ أي بعضها لأن منها المظالم ولا تغفر الا برضا أصحابها ان كانوا مسلمين أو ذميين موجودين ، فلا بد من رد مظالمهم أو استحلالها منهم أو تصدق بمالهم والاستغفار لهم من الله فيما عسر رده ، وأما مظالم الحربيين فهي كحقوق الله تغفر بمجرد الاسلام من الظالم ولا تتوقف على الاستحلال من المظلوم الحربي ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ مؤلم .

٣٢ ﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿وليس له﴾ لمن لا يجب ﴿من دونه﴾ أي الله ﴿أولياء﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أولئك﴾ الذين لم يجيبوا ﴿في ضلال مبين﴾ بين ظاهر . وهذا آخر كلام الجن الذين استمعوا القرآن وصاروا به من المنذرين لاخوانهم .

ثم عقب تعالى على القصة بتعقيب عام يذكر كل من لم يجب داعي الله أو يستمع الى نصيحة المنذرين لعله يعقل فيؤمن فقال :

٣٣ ﴿أو لم يروا﴾ يعلموا أي منكرو البعث لأن انكاره انكار لما قبله من كلام المنذرين ﴿أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ لم يعجز عنه ﴿بقادر﴾ خبر «أن» وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة أليس الله بقادر ﴿على أن يحيي الموتى بلى﴾ هو قادر على احياء الموتى ﴿انه على كل شيء قدير﴾ .

٣٤ ﴿ويوم﴾ منصوب باذكر للتخويف لهم ﴿يعرض الذين كفروا﴾ ولم يؤمنوا بقول المنذرين لهم ﴿على النار﴾ بأن يعذبوا بها يقال لهم ﴿أليس هذا﴾ التعذيب ﴿بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أي بكفركم في استعمال الذوق تهكم لهم .

ثم ختم تعالى السورة بما اشتمل على جميع دروسها فقال :

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ

٣٥ ﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذى من تنذره ﴿كما صبر أولوا العزم﴾ ذوو الثبات والصبر على الشدائد في الانذار ﴿من الرسل﴾ قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلهم ذوو عزم وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى «ولم نجد له عزما» ولا يونس لقوله تعالى «ولا تكن كصاحب الحوت» ﴿ولا تستعجل لهم﴾ لقومك نزول العذاب بهم وهو اثبات لما كان عليه من الصبر لأنه ﷺ لا يحب نزول العذاب بها بل هو يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون عندما عرض ملك الجبال ان يطبق عليهم الأخشبين ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿الا ساعة من نهار﴾ وهذا القرآن ﴿بلاغ﴾ تبليغ من الله اليكم ﴿فهل﴾ أي لا ﴿يهلك﴾ عند رؤية العذاب ﴿الا القوم الفاسقون﴾ أي الكافرون الذين لا يتأثرون بالانذار. فائدة : قال ابن عباس رضي الله عنه اذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتان الآيتان والكلمتان في صحيفة ثم تغسل وتسقى منها وهي . بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها . كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ الآية . صدق الله العظيم . والله أعلم .

﴿ سورة محمد مدنية ﴾

وتسمى سورة القتال وسورة الذين كفروا هي ثمان أو تسع وثلاثون آية وموضوعها الرئيسي القتال والحث عليه لحفظ كرامة المسلمين وحرمة الدين .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الذين كفروا وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ الايمان والاسلام ﴿أضل﴾ أي أحبط الله ﴿أعمالهم﴾ كاطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا .

٢ ﴿والذين آمنوا﴾ أي الأنصار وغيرهم ﴿وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد﴾ أي القرآن ﴿وهو الحق من ربهم كفر عنهم﴾ غفر لهم ﴿سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ أي حالهم فلا يعصونه .

٣ ﴿ذلك﴾ أي اضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ الشيطان ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق﴾ القرآن ﴿من ربهم كذلك﴾ أي مثل ذلك البيان ﴿يضرب الله للناس أمثالهم﴾ يبين أحوالهم أي أن الكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر له .

ولما بين تعالى أن الذين كفروا أضلوا أعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج اعدامه خير من وجوده قال تعالى مخاطبا المسلمين :

ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا
بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ
يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ
وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾
سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا
لَهُمۡ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ
وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ

٤ ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم . وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حتى اذا أثخنتموهم﴾ أي أكثرتم فيهم القتل وأوهنتموهم بالجراحات وأضعفتموهم ﴿فشدوا الوثاق﴾ أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا ما يوثق به الأسرى ﴿فاما منا بعد﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله أي تمنون عليهم باطلاقهم من غير شيء ﴿واما فداء﴾ أي تفادونهم بمال أو بأسرى مسلمين أو يسترقوا وقد سبا النبي ﷺ ذراري بني النضير ثم قريظة واستمر العمل به بعده قلت بهذه الآية اغلقت أبواب الاسترقاق إلا بولادة أمة من غير سيدها. وهو أيضاً يغلق بالزمان فيتحرز الناس كلهم من الاسترقاق. وأما سبي بني النضير فإنه كان قبل نزول هذه الآية. والله أعلم ﴿حتى تضع الحرب﴾ أي أهلها ﴿أوزارها﴾ اثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد وهذه غاية القتل والأسر ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ مقدر أي الأمر فيهم ما ذكر ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ بغير قتال ﴿ولكن﴾ أمركم به ﴿ليبلوا بعضكم ببعض﴾ منهم في القتال فيصير من قتل منكم الى الجنة ومنهم الى النار ﴿والذين قتلوا﴾ وفي قراءة «قاتلوا» ﴿في سبيل الله فلن يضل﴾ يحبط ﴿أعمالهم﴾ .

٥ ﴿سيهديهم﴾ في الدنيا والآخرة الى ما ينفعهم ﴿ويصلح بالهم﴾ حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا فيمن قتلوا تغليبا .

٦ ﴿ويدخلهم الجنة عرفها﴾ بينها ﴿لهم﴾ فيهتدون الى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال . وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا» .

ثم بين تعالى أن المطلوب من المؤمنين الايمان واتباع الأوامر أما النصر فبيده تعالى فقال :

٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله﴾ باتباع أوامره واجتناب نواهيه ﴿ينصركم﴾ على اعدائكم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ يثبتكم في المعترك .

٨ ﴿والذين كفروا﴾ مبتدأ وخبره بعد الفاء في قوله ﴿فتعسا لهم﴾ فتعسوا تعسا ودخلت الفاء تشبيها للمبتدأ وهي دعاء بالشر يقال تعسا لفلان أي ألزمه الله هلاكا أي ألزمهم الله هلاكا وخيبة منه ﴿وأضل أعمالهم﴾ عطف على تعسوا .

٩ ﴿ذلك﴾ أي التعس والاضلال ﴿بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فأحبط أعمالهم﴾

١٠ ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم﴾ أهلكهم هم وأولادهم وأموالهم ﴿وللكافرين﴾ في كل وقت ﴿أمثالها﴾ أي أمثال عاقبة من قبل من كفار هذه الامة .

١١ ﴿ذلك﴾ أي نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿بأن الله مولى﴾ ولي وناصر ﴿الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَٰرُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
الْأَنْعَٰمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ
أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا
نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ
لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَاتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن
لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ
مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن
رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا
مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَٰٓئِكَ

١٢ ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون﴾ في الدنيا ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ أي ليس لهم هم الا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون الى الآخرة ﴿والنار مثوى لهم﴾ أي منزل ومقام ومصير لهم .

١٣ ﴿وكأين﴾ وكم ﴿من قرية﴾ أريد بها أهلها ﴿هي أشد قوة من قريتك﴾ مكة أي أهلها ﴿التي أخرجتك﴾ روعي لفظ قرية ﴿أهلكناهم﴾ روعي معنى قرية الأولى ﴿فلا ناصر لهم﴾ من أهلاكنا .

١٤ ﴿أفمن كان على بينة﴾ حجة وبرهان ﴿من ربه﴾ وهم المؤمنون ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ فرآه وهو الكافر ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في عبادة الأوثان أي لا مماثلة بينهما .

ثم وصف تعالى الجنة تنشيطا للمجاهدين فقال :

١٥ ﴿مثل﴾ أي صفة ﴿الجنة التي وعد المتقون﴾ المجاهدون المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ بالمد كضارب وقرىء بالقصر كحذر أي غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿وأنهار من خمر لـذة﴾ لذيذة ﴿للشاربين﴾ بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ بخلاف عسل الدنيا فانه بخرجه من بطون النحل ويخالطه الشمع وغيره ﴿ولهم فيها﴾ أصناف ﴿من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ فهو راض عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فانه قد يكون مع احسانه اليهم ساخطا عليهم ﴿كمن هو خالد في النار﴾ خبر مبتدأ مقدر أي أمن هو في هذا النعيم كمن هو خالد في النار ﴿وسقوا ماء حميما﴾ أي شديد الحرارة ﴿فقطع أمعاءهم﴾ أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان .

ومن الكفار : المنافقون فما انعزلوا عن المؤمنين فيقاتلونهم وانما هم معهم يظهرون لهم الايمان ويخفون عنهم كفرهم ونفاقهم يتحينون لذلك الفرص فينبغي الاحتراز منهم فبين تعالى علاماتهم التي يعرفون بها .

١٦ ﴿ومنهم﴾ الكفار ﴿من يستمع اليك﴾ في خطبة الجمعة وهم المنافقون ﴿حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾

ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ
أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ
لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا
ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ
نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ
وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ

٦٧٥

لعلماء الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية ﴿ماذا قال آنفا﴾ بالمد وقرىء بالقصر أي الساعة أي لا يرجعون اليه﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ بالكفر ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في النفاق .

١٧ ﴿والذين اهتدوا﴾ وهم المؤمنون ﴿زادهم﴾ الله ﴿هدى وآتاهم تقواهم﴾ أي أسباب تقواهم وهي أحكام الشريعة بالعمل بها يتنزهون عما يشغل سرهم عن الحق ويتبتلون اليه وهو التقى الحقيقي فيبقون متنبهين . وأما الكفار .

١٨ ﴿فهل ينظرون﴾ أي ما ينتظرون ﴿الا الساعة أن تأتيهم﴾ بدل اشتمال من الساعة أي ليس الامر الا أن تأتيهم ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿فقد جاء أشراطها﴾ علاماتها منها بعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان ﴿فأنى لهم اذا جاءتهم﴾ الساعة ﴿ذكراهم﴾ أي تذكرهم لا ينفعهم .

ثم اخبر الله تعالى نبيه دواء الغفلة وكيفية عمله فيعمل ﷺ به فيقتدي به المؤمنون فقال :

١٩ ﴿فاعلم أنه لا اله الا الله﴾ أي دم يا محمد على علمك بذلك لتمتنع عن الغفلة عن ربك دائما ﴿واستغفر لذنبك﴾ وان لم يكن لك ذنب لعصمتك ولكن ليستن بك . روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة . وفي رواية أكثر من سبعين مرة» وفي رواية لغير البخاري قال ﷺ «اني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ متصرفكم لأشغالكم بالنهار ﴿ومثواكم﴾ مأواكم الى مضاجعكم بالليل أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم .

ثم شرع تعالى في بيان مشروعية القتال واخراج المنافقين بأقوالهم واعمالهم تميزهم عن المخلصين اذ لا يمكن القتال الا باتحاد الكلمة ولا تتحد الكلمة الا باتحاد القلوب في الاخلاص فقال :

٢٠ ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ طلبا للجهاد ﴿لولا﴾ هلا ﴿نزلت سورة﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فاذا أنزلت سورة محكمة﴾ أي لم ينسخ منها شيء ﴿وذكر فيها القتال﴾ أي طلبه ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك وهم المنافقون ﴿ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ خوفا منه وكراهية له أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فأولى لهم﴾ .

٢١ ﴿طاعة وقول معروف﴾ مبتدأ أي أحسن لهم ﴿فاذا عزم الأمر﴾ أي فرض القتال ﴿فلو صدقوا الله﴾ في الايمان والطاعة ﴿لكان خيرا لهم﴾ والجملة جواب اذا .

٢٢ ﴿فهل عسيتم﴾ بفتح السين وقرىء بكسرها وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب أي لعلكم ﴿ان توليتم﴾ أعرضتم عن الايمان ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أي تعودوا الى أمر الجاهلية من البغي والقتال .

ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟
رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ
ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ

٢٣ ﴿أولئك﴾ المفسدون ﴿الذين لعنهم الله فأصمهم﴾ عن استماع الحق ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عن طريق الهدى .

٢٤ ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فيعرفون الحق منه ﴿أم﴾ بل ﴿على قلوب﴾ لهم ﴿اقفالها﴾ فلا يفهمونه .

٢٥ ﴿ان الذين ارتدوا﴾ بالنفاق ﴿على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم﴾ زين لهم اقتراف الكبائر ﴿وأملى لهم﴾ أي مد لهم في الآمال والأماني بفتح أوله واللام وقرىء بضم أوله وكسر ثالثه وفتح الياء مبنيا للمفعول، ونائب الفاعل الجار والمجرور أي «لهم» أي وأمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة .

٢٦ ﴿ذلك﴾ أي اضلالهم ﴿بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ أي لليهود بني قريظة والنضير الكارهين لنزول القرآن على رسول الله ﷺ مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي المعاونة على عداوة محمدوتثبيط الناس عن الجهاد معه وقد حكاه الله تعالى عنهم بقوله : «ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم» وكانوا يقولون ذلك سرا فأظهره الله تعالى ﴿والله يعلم اسرارهم﴾ بكسر الهمزة مصدر وفي قراءة بفتحها جمع سر .

٢٧ ﴿فكيف﴾ حالهم ﴿اذا توفتهم الملائكة يضربون﴾ حال من الملائكة ﴿وجوههم وأدبارهم﴾ ظهورهم بمقامع من حديد .

٢٨ ﴿ذلك﴾ أي التوفي على الحالة المذكورة ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ أي بما يرضيه ﴿فأحبط أعمالهم﴾ .

٢٩ ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين .

٣٠ ﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾ أي لكشفنا عنك الحجاب حتى تراهم رأي العين حين يجتمعون عند نجواهم للمكيدة بك وبالمؤمنين . وكررت اللام في ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ بعلامتهم الظاهرة وتعرفهم عيانا . جاء في مسند الامام أحمد بن حنبل عن ابن مسعود قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان منكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين . والالتفات في نشاء الى نون العظمة لابراز العناية بالارادة ﴿ولتعرفنهم﴾ الواو لقسم محذوف وبعدها جوابه ﴿في لحن القول﴾ أي في معناه اذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين قال أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه : ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه . وفي الحديث «ما أسر أحد سريرة الا كساه الله تعالى جلبابها ان خيرا فخير وان شرا فشر». ابن كثير. ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فيجازيكم بحسب قصدكم .

٣١ ﴿ولنبلونكم﴾ أيها المسلمون قبل أن نفرض عليكم الجهاد ﴿حتى نعلم﴾ علم ظهور ﴿المجاهدين منكم والصابرين﴾ في في الجهاد وغيره من الطاعات ﴿ونبلو﴾ نظهر ﴿أخباركم﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالنون في الأفعال الثلاثة .

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ
بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن
يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ
ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ
أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا
فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ
هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ
وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ

٣٢ ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ طريق الحق ﴿وشاقوا الرسول﴾ خالفوه ﴿من بعدما تبين لهم الهدى﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم﴾ من المكائد لابطال الحق وصد الناس عنه فلا ينجحون في صدهم عن سبيل الله .

ولما بين صفات المنافقين التي يعرفون بها وتميز بذلك المؤمنون المخلصون قال لهم الله تعالى :

٣٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي اخلصوا في ايمانهم ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ بالمعاصي مثلا .

٣٤ ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ عن طريقه وهو الهدى ﴿ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ .

٣٥ ﴿فلا تهنوا﴾ تضعفوا ﴿وتدعوا الى السلم﴾ بفتح السين وقرىء بكسرها أي الصلح مع الكفار اذا لقيتموهم ﴿وأنتم الأعلون﴾ حذف منه واو لام الفعل أي أنتم الأغلبون القاهرون والجملة حال دائمة ﴿والله معكم﴾ بالعون والنصر ﴿ولن يتركم﴾ ينقصكم ﴿أعمالكم﴾ أي ثوابها . ولا تخافوا الموت عن الجهاد .

٣٦ ﴿انما الحيوة الدنيا﴾ أي الاشتغال بها ﴿لعب ولهو﴾ أي باطل وغرور ﴿وان تؤمنوا﴾ بالله على أنه هو الذي يملك الموت والحياة وحده ﴿وتتقوا﴾ تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه ﴿يؤتكم أجوركم﴾ لطاعتكم وثوابها وهي جواب الشرط ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ زيادة على الزكاة المفروضة الداخلة في قوله وتتقوا .

٣٧ ﴿ان يسألكموها فيحفكم﴾ يبالغ في طلبها عطف على الشرط وجواب الشرط ﴿تبخلوا ويخرج﴾ بالبخل ﴿أضغانكم﴾ أي أحقادكم وبغضكم لدين الاسلام أي من حيث محبة الأموال بالجبلة والطبيعة ومن نوزع في حبيبه ظهرت طويته التي كان يسرها . ثم نبههم تعالى على عجزهم ليجبروا ما انكسر منهم فقال :

ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

(٤٨) سُورَةُ الفَتْحِ مَدَنِيَّة وآياتها تسع وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ

٣٨ ﴿ها أنتم﴾ يا ﴿هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾ نفقة الغزو التي هي كنفقة التجارة تدفعها لتربح في العوض الذي يرجع اليكم ﴿فمنكم من يبخل﴾ خوفا من الخسارة لنقص في ايمانه برجوع الفاقة أي منكم من يبخل ومن يجود ﴿ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه﴾ يقال بخل عليه وعنه لأن وبال عدم النفقة في الجهاد اذا دارت دائرة تستأصله وماله ﴿والله الغني﴾ عنكم وعن أموالكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ اليه دائما ﴿وان تتولوا﴾ عن طاعته ﴿يستبدل قوما غيركم﴾ بأن يهلككم ويأتي بقوم آخرين ويجعلهم بدلكم خلفاء في الأرض ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ في التولي عن طاعته بل يكونون مطيعين له عز وجل روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : تلا النبي ﷺ هذه الآية «وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» قالوا ومن يستبدل بنا وكان سلمان بالمحضر فقال «هذا وأصحابه والذي نفسي بيده لوكان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس» قال الحسين هم العجم وحكي عن أبي موسى الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ وقال هي أحب الي من الدنيا والله أعلم وأحكم .

﴿سورة الفتح مدنية﴾

هي تسع وعشرون آية وموضوعها الرئيسي هو بيان أن العاقبة الحسنة هي في طاعات الله ورسوله فعلا أو تركا وان النبي ﷺ أصبح ربانيا ملكا نزلت بكراع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة تطييبا لقلوب المؤمنين بعدما دهمهم من صلح الحديبية .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿انا فتحنا لك﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة بجهادك ﴿فتحا مبينا﴾ بينا ظاهرا .

٢ ﴿ليغفر لك الله﴾ بجهادك وغلبتك على الكفار ودخولهم في الاسلام ﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ منه في نظرهم أنك جئتهم بما جئتهم به من دين جديد وذممت آلهتهم ودعوتهم الى تركها وترك العادات الجاهلية الذميمة الى عبادة الله تعالى والتمسك بالأخلاق الحميدة . ففتح مكة يفتح عقولهم ليفهموا الخيرات التي جئتهم بها ويبدلوا ما كانوا يفعلونه بك فيما مضى من حياتهم فيبدلوا الذم بالمدح والكراهة بالرضا والمودة ويقدروا قيمتك عند الله تعالى وعندهم حق قدرها ﴿ويتم﴾ الله بالفتح المذكور ﴿نعمته﴾ انعامه ﴿عليك﴾ بأن قواك حتى أديت ما أوجبه عليك ﴿ويهديك﴾ به ﴿صراطا﴾ طريقا ﴿مستقيما﴾ يثبتك عليه وهو دين الاسلام وما اشتمل عليه من الشرائع والآداب الحميدة والأخلاق الرشيدة .

٣ ﴿وينصرك الله﴾ به ﴿نصرا عزيزا﴾ ذا عز لا ذل معه .

ثم ذكر تعالى أسباب النصر فقال :

٤ ﴿هو﴾ الله ﴿الذي أنزل السكينة﴾ الطمأنينة ﴿في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم﴾ بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها ومنها قبولهم لصلح الحديبية بعد أن دهمهم فيها ما من شأنه أن يزعج النفوس ويزيح القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ المرام من دخول مكة واداء العمرة ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه ﴿حكيما﴾ في صنعه أي لم يزل متصفا بذلك يبتليكم بالجهاد وغيره .

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ
ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾
لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ
ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾
سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا

٥ ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما﴾ لا فوز أعظم منه وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع أن الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الأعلى.

٦ ﴿و﴾ كتب الله الجهاد على المؤمنين ونصرهم لـ ﴿يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء﴾ بفتح السين وقرىء بضمها في المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمدا ﷺ والمؤمنين ﴿عليهم دائرة السوء﴾ بالذل والعذاب هو اما اخبار عن وقوع السوء بهم أو دعاء عليهم والدائرة مصدر بزنة اسم الفاعل من دار يدور سمي بـه عاقبة الزمـان أي حادثته وأكثر استعمالها في المكروه أي أكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولم يظفروا بالنصر أبداً. ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ أبعدهم ﴿وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا﴾ أي مرجعا هي.

٧ ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ أي هم في قبضته وسلطانه ﴿وكان الله عزيزا﴾ في ملكه ﴿حكيما﴾ أي لم يزل متصفا بذلك ينتقم من الكفار ولا يفوته أحد منهم.

ثم لما ذكر تعالى قهره على من في السموات والأرض وانتقامه ممن عصاه ذكر امتنانه على النبي ﷺ من تعميم رسالته لجميع الخلق وما أوجب عليهم نحوه فقال:

٨ ﴿انا أرسلناك﴾ بعثناك الى الكافة ﴿شاهدا﴾ على أمتك في القيامة ﴿ومبشرا﴾ لمن آمن منهم في الدنيا بالجنة ﴿ونذيرا﴾ منذرا مخوفا فيها من عمل سوءا بالنار.

٩ ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ بالتاء الفوقانية وقرىء بالتحتانية فيه وفي الثلاثة بعده متعلق بأرسلناك ﴿وتعزروه﴾ تنصروه وقرىء بزايين مع الفوقانية ﴿وتوقروه﴾ تعظموه وضميرهما لله أو لرسوله ﴿وتسبحوه﴾ أي الله ﴿بكرة وأصيلا﴾ بالغداة والعشي.

١٠ ﴿ان الذين يبايعونك﴾ أي المؤمن بدخول الاسلام يبايع النبي ﷺ أي يبادله المتابعة في جميع المأمورات والمنهيات بالثواب الموعود به عليها وعلى الثبات في الحرب بحديبية وغيرها داخلة في معناها ﴿انما يبايعون الله﴾ أي مبايعتهم مع الله فانك سفيره اليهم وهو قوله من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ التي بايعوا بها النبي ﷺ أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها ﴿فمن نكث﴾ نقض البيعة ﴿فانما ينكث﴾ يرجع وبال نقضه ﴿على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه﴾ بضم الهاء وقرىء بكسرها ﴿الله فسيؤتيه﴾ بالياء وقرىء النون ﴿أجرا عظيما﴾ هو الجنة.

ولما ذكر تعالى المبايعة العامة نبه بذكر من خالف في مبايعة الحديبية التي تسمى بيعة الرضوان على أن المخالفة في البعض مخالفة في الكل فقال:

١١ ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ حول المدينة أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك الى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية اذا رجعت منها وهذا يدل على أن السورة نزلت هناك قبل الرجوع الى المدينة وأنه من الاخبار بغيب يقع معجزة له ﷺ ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ عن الخروج معك ﴿فاستغفر لنا﴾ الله من ترك الخروج معك. قال تعالى مكذبا لهم ﴿يقولون بألسنتهم﴾ أي من طلب الاستغفار وما قبله ﴿ما ليس في قلوبهم﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قل فمن﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد ﴿يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا﴾ بفتح الضاد وقرىء بضمها ﴿أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ أي لم يزل متصفا بذلك.

١٢ ﴿بل﴾ في الموضعين للانتقال من غرض الى آخر ﴿ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم﴾ أي أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون ﴿وظننتم ظن السوء﴾ هذا وغيره ﴿وكنتم قوما بورا﴾ جمع بائر أي هالكين عند الله بهذا الظن.

١٣ ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا﴾ نارا شديدة وهذا يدل على أن المبايعة العامة هي دخول الاسلام منهم فلما خالفوا الأمر بالخروج الذي طلب منهم صاروا من الناقضين مع أنهم لم يحضروا المبايعة على أن لا يفروا بالحديبية فصاروا كفارا مع الكفار الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله واستحقوا السعير. ثم حذرهم تعالى بقوله:

١٤ ﴿ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ ليحسم أطماعهم الفارغة في استغفار النبي ﷺ ﴿وكان الله غفورا﴾ لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته من المؤمنين دون من عداهم من الكافرين فهم بمعزل عن ذلك قطعا ﴿رحيما﴾ بمن شاء كذلك.

ثم بين تعالى أن من ظهر عصيانه في أمر الله لسوء ظنه بالله فيه ثم أراد أن يشترك فيما يظن فيه خيرا يمنع حتى يتوب وتظهر توبته فقال:

١٥ ﴿سيقول المخلفون﴾ المذكورون ﴿اذا انطلقتم الى مغانم﴾ محل يظنون أنكم ستجلون منه مغانم جمع مغنم أي غنيمة من أموال المحاربين وسباياهم ﴿لتأخذوها ذرونا﴾ اتركونا ﴿نتبعكم﴾ لنقاتل معكم يوارون بذلك ظنهم أخذ الغنيمة مع

وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ
قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ
أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ
ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ
أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ
قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ
لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ
قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ
بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ

٦٨٠

المؤمنين ﴿يريدون﴾ بذلك القول ﴿أن يبدلوا كلام الله﴾ أي قوله تعالى في التوبة «فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين» ﴿قل﴾ لهم ﴿لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾ أي قبل عودنا أو في محل من القرآن قبل هذا المحل ﴿فسيقولون﴾ ما قال الله شيئا في منعنا من الخروج معكم ﴿بل تحسدوننا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ﴿بل﴾ للانتقال من مجادلتهم ﴿كانوا لا يفقهون﴾ ما تقول لهم لأن الشقاء غلبهم ﴿الا قليلا﴾ منهم ممن أراد الله به التوبة فيتوب ويفقه دينه وما ترشدهم اليه من الوفاء بالعهد مع الله تعالى. ثم ذكر لهم ما تتبين به توبتهم فقال:

لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ
أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ
ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً
يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا

٦٨١

١٦ ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ المذكورين اختبارا ﴿ستدعون الى قوم أولي﴾ أصحاب ﴿بأس شديد﴾ قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة وقيل غيرهم لأن المقام للتبهيم ﴿تقاتلونهم﴾ حال مقدرة هي المدعو اليها في المعنى ﴿أو﴾ هم ﴿يسلمون﴾ فلا تقاتلون ﴿فان تطيعوا﴾ الى قتالهم ﴿يؤتكم الله أجرا حسنا﴾ من الثواب والغنيمة ﴿وان تتولوا كما توليتم من قبل﴾ حين دعيتم للخروج الى الحديبية ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ مؤلما .

١٧ ﴿ليس على الأعمى﴾ منكم أو من غيركم ﴿حرج﴾ في عدم الخروج ﴿ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ في عدم الخروج ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما أمره به وكلفه وقام به كما ينبغي بقدر استطاعته ، اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ﴿يدخله﴾ بالياء وقرىء بالنون ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه﴾ بالياء وقرىء بالنون ﴿عذابا أليما﴾ فصل تعالى الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لكون الغفران والرحمة من دأبه بخلاف التعذيب . وكرر الوعيد لأن المقام أدعى للترهيب .

ثم أثنى تعالى على أصحاب بيعة الرضوان لأن بها تم قوام الدولة الاسلامية فقال :

١٨ ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ هي سمرة وهم ألف وثلاثمائة وأكثر ثم بايعهم على أن يناجز قريشا وأن لا يفروا من الموت . وذلك أن النبي ﷺ دعا خراش ابن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمله ﷺ ليبلغ أشرافهم أنه ﷺ جاء معتمرا ولم يجيء محاربا . فعقروا جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعهم الأحابيش فخلوا سبيله فأتى رسول الله ﷺ . فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني أخاف على نفسي قريشا وليس في مكة من بني عدي بن كعب أحد ، وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني توجد عشيرته فيها وهو عثمان بن عفان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته وكتب له كتاباً بعثه معه وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا وأن الله سيظهر دينه . فخرج عثمان وتوجه الى مكة فوجد قريشا قد اتفقوا على منعه ﷺ من دخول مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن فرسه وحمله بين يديه ثم رفعه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ وقرأ عليهم الكتاب واحدا واحدا فصمموا على أنه لن يدخلها هذا العام وقالوا لعثمان ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ وقد كان المسلمون قالوا هنيئا لعثمان خلص الى البيت وطاف به دوننا فقال رسول الله ﷺ ان ظني به أن لا يطوف حتى نطوف معا . وبشر عثمان المستضعفين واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ووضع النبي ﷺ شماله في يمينه وقال هذه عن عثمان . وفي البخاري فقال ﷺ هذه بيعة عثمان فضرب بيده اليمنى على يده اليسرى الحديث . وهذا يشعر بأنه ﷺ علم بنور النبوة أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه فيكون هذا من معجزاته ﷺ . ويؤيده ما جاء أنه لما بايع الناس قال اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولك ، وضرب بأحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم . ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة باذنه ﷺ ﴿فعلم﴾ الله ﴿ما في قلوبهم﴾ من الصدق والوفاء ﴿فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ هو فتح خيبر بعد

مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾
سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن
تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ
فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ

انصرافهم من الحديبية .

١٩ ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ من خيبر ﴿وكان الله عزيزا حكيما﴾ أي لم يزل متصفا بذلك .

٢٠ ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ من الفتوحات ﴿فعجل لكم هذه﴾ غنيمة خيبر . فيه التفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان ﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ في عيالكم لما خرجتم الى الحديبية وهمت بهم اليهود . فقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿ولتكون﴾ أي المعجلة عطف على مقدر أي لتشكروه ﴿آية للمؤمنين﴾ في نصرهم أي امارة يعرفون بها صدق الرسول ﷺ وعده اياهم عند الرجوع من الحديبية ما ذكر من الغنائم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام ﴿ويهديكم صراطا مستقيما﴾ أي طريق التوكل عليه وتفويض الأمر اليه تعالى .

٢١ ﴿وأخرى﴾ صفة مغانم مقدرا مبتدأ ﴿لم تقدروا عليها﴾ هي من فارس والروم ﴿قد أحاط الله بها﴾ أي علم انها ستكون لكم ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ أي لم يزل متصفا بذلك .

٢٢ ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ بالحديبية كما أرادوا ذلك ﴿لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا﴾ يحرسهم ﴿ولا نصيرا﴾ .

٢٣ ﴿سنة الله﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين أي سن الله ذلك سنة ﴿التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ منه تعالى أي ان الله لا يبدل سنته وطريقته في نصر أوليائه على أعدائه .

٢٤ ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ بالحديبية والمراد بمكة الحرم والحديبية منه أو ملاصقة له ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ فان ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتي بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح ﴿وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ بالتاء الفوقانية وقرىء بالتحتانية أي لم يزل متصفا بذلك .

٢٥ ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ أي عن الوصول اليه ﴿والهدي﴾ معطوف على «كم» ﴿معكوفا﴾ محبوسا حال ﴿أن يبلغ محله﴾ أي مكانه الذي ينحر فيه وهو الحرم بدل اشتمال ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لم تعلموهم﴾ بصفة الايمان ﴿أن تطؤهم﴾ أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من «هم» ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ أي اثم ﴿بغير علم﴾ منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور. وجواب لولا محذوف أي لأذن لكم في الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لو تزيلوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم﴾ من أهل مكة حينئذ بأن تأذن لكم في فتحها ﴿عذابا أليما﴾ مؤلما .

ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ
رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى
ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ
رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ
وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

٢٦ ﴿اذ جعل﴾ متعلق بعذبنا ﴿الذين كفروا﴾ فاعل ﴿في قلوبهم الحمية﴾ الأنفة من الشيء ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من الحمية هي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ويلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم ﴿وألزمهم﴾ أي المؤمنين ﴿كلمة التقوى﴾ أي مضمونها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله . وأضيفت الى التقوى لأنها سببها أي النطق بها عهد باتباع ما اشتملت عليه من الطاعة لله ولرسوله ﴿وكانوا أحق بها﴾ في علم الله من الكفار لأن الله تعالى اختارهم لدينه ﴿وأهلها﴾ عطف تفسير ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ أي لم يزل متصفا بذلك ومن معلومه تعالى أنهم أهلها .

٢٧ ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ بالأمر الثابت وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو واصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين وكادت القلوب تزعزع فأنزل الله سكينته عليها كما تقدم من أول السورة . وقوله بالحق متعلق بصدق أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسيرها ﴿لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله﴾ للتبرك ﴿آمنين محلقين رؤوسكم﴾ أي جميع شعورها ﴿ومقصرين﴾ بعض شعورها وهما حالان مقدرتان ﴿لا تخافون﴾ أبدا ﴿فعلم﴾ في الصلح ﴿ما لم تعلموا﴾ من الصلاح ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي الدخول ﴿فتحا قريبا﴾ هو فتح خيبر . وتحققت الرؤيا في العام المقبل .

٢٨ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره﴾ أي دين الحق ﴿على الدين كله﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى .

فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ
بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

(٤٩) سُورَةُ الحُجُرَاتِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ
بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ

٢٩ - ﴿محمد﴾ مبتدأ ﴿رسول الله﴾ خبره ﴿والذين معه﴾ أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره ﴿أشداء﴾ غلاظ ﴿على الكفار﴾ لا يرحمونهم ﴿رحماء بينهم﴾ خبر ثان أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد ﴿تراهم﴾ أيها المخاطب تبصرهم ﴿ركعا سجدا﴾ حالان ﴿يبتغون﴾ مستأنف يطلبون ﴿فضلا من الله ورضوانا سيماهم﴾ علامتهم مبتدأ ﴿في وجوههم﴾ خبره وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿من أثر السجود﴾ متعلق بما تعلق به الخبر أي كائنة وأعرب حالا من ضميره المنتقل الى الخبر قال البقاعي ولا يظن أن من السيما ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة سجود في جبهته فان ذلك من سيما الخوارج . ﴿ذلك﴾ الوصف المذكور ﴿مثلهم في التوراة﴾ صفتهم في التوراة الكتاب الذي أنزل على موسى ﴿ومثلهم﴾ صفتهم ﴿في الانجيل﴾ مبتدأ وخبره ﴿كزرع أخرج شطأه﴾ بسكون الطاء وقرىء بفتحها فراخه قال قتادة أصحاب محمد ﷺ في الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ﴿فآزره﴾ بالمد وقرىء بالقصر قواه وأعانه ﴿فاستغلظ﴾ غلظ ﴿فاستوى﴾ قوي واستقام ﴿على سوقه﴾ أصوله جمع ساق ﴿يعجب الزراع﴾ أي زراعه لحسنه مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك لأنهم بدأوا في قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أي شبهوا بذلك ﴿وعد الله الذين آمنوا وعلموا الصالحات منهم﴾ أي الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مغفرة وأجرا عظيما﴾ الجنة وفيها بيان فضل أصحاب الرسول ﷺ ومكانتهم العالية وكرامتهم عند الله عز وجل

وهذا آخر القسم الأول من القرآن وسو المطول وقد ختم بسورتين هما في الحقيقة للنبي ﷺ وحاصلهماالفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني وهو المفصل بسورتين هما نصرة له بالحال على من قصده بالشر باطنا

﴿ سورة الحجرات مدنية ﴾

هي ثماني عشرة آية وموضوعها الارشاد للمؤمنين بأمر أو نهي بما فيه صلاح الأمة الاسلامية وصلاح كيانها ، إتحدت شعورهم أو اختلفت فأخوة الاسلام تجمعها .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا﴾ من قدم بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال بمعنى تقدم أي لا تتقدموا بقول ولا فعل ﴿بين يدي الله ورسوله﴾ المبلغ عنه أي بغير اذنهما في قتال ولا في شرائع الدين أي لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله قال الرازي والأصح انه ارشاد عام يشتمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالأمر واقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة ﴿واتقوا الله ان الله سميع﴾ لقولكم ﴿عليم﴾ بفعلكم فمن تقدم على الله ورسوله بقول أو فعل فلا ثواب له ولا يظن أن ذلك يخفى على الله فلا يعاقبه به وهى أمنع آية عن كل بدعة بالدين

٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ اذا نطقتم ﴿فوق صوت النبي﴾ اذا نطق ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ اذا ناجيتموه ﴿كجهر بعضهم لبعض﴾ بل دون ذلك اجلالا له ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ أي خشية ذلك بالرفع والجهر لأن فيهما استخفافا به ﷺ وقد يؤدي ذلك الى الكفر المحبط للعمل اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة .

اللهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ
الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ
الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ
فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

٣ ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله﴾ اختبر الله ﴿قلوبهم للتقوى﴾ لتظهر منهم كأبي بكر وعمر وغيرهما ممن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ الجنة .

٤ ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ حجرات نسائه ﷺ جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه كأن كل واحد منهم نادى خلف حجرة . وكانت الأعراب اذا جاءوا والنبي ﷺ في منزله نادوه خلف الحجرات لأنهم لم يعلموا في أي حجرة هو مناداة الأعراب بغلظة وجفاء لذلك وصفهم الله بقوله : ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ فيما فعلوه بمحلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم .

٥ ﴿ولو أنهم صبروا﴾ أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل لفعل مقدر أي ثبت ﴿حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم﴾ لمن تاب منهم .

٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ﴾ خبر فيه افساد بين الناس ﴿فتبينوا﴾ صدقه من كذبه وفي قراءة « فتثبتوا » من الثبات ﴿أن تصيبوا قوما﴾ مفعول به أي خشية ذلك ﴿بجهالة﴾ حال من الفاعل أي جاهلين ﴿فتصبحوا﴾ تصيروا ﴿على ما فعلتم﴾ من الخطأ بالقوم ﴿نادمين﴾ فالتثبت في أخبار الفساد واجب وكثير من الأمة من يريد الافساد ما بينها فعقلاؤها يدركون الأمور بالاصلاح فيبقى التوازن فهذا حكم عام في جميع الأزمان والأماكن وفيما بين شخص وأهله وأب وأولاده .

٧ ﴿واعلموا﴾ أيها المؤمنون ﴿أن فيكم رسول الله﴾ حال حياته فأرجعوا اليه الأمور يحكم فيها بحكم الله فالله يطلعه على خفايا الأمور منكم وبعد مماته أيضا وهو فيكم بالقرآن والسنة لحل ما نابكم من المشاكل فلا تخوضوا فيما لا يرضى به الله ﴿لو يطيعكم﴾ رسول الله ﴿في كثير من الأمر﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لعنتم﴾ لأثمتم دونه اثم التسبب المرتب على اخباركم ﴿ولكن الله حبب اليكم الايمان﴾ الكامل وهو عبارة عن التصديق با لجنان والاقرار باللسان والعمل بالأركان ﴿وزينه﴾ حسنه ﴿في قلوبكم وكره اليكم الكفر﴾ الذي هو التكذيب وهذا في مقابلة التصديق بالجنان ﴿والفسوق﴾ الذي هو الكسب كما قاله ابن عباس وهذا في مقابلة الاقرار باللسان الصادق ﴿والعصيان﴾ الذي هو المعاصي وهذا في مقابلة العمل بالأركان الصالحة وقوله لكن الله .. استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حبب اليه الايمان الكامل غايرت صفته من تقدم ذكره ﴿أولئك هم﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الراشدون﴾ الثابتون على دينهم .

٨ ﴿فضلا من الله﴾ اسم مصدر منصوب بعمله المقدر أي أفضل ﴿ونعمة﴾ منه اسم مصدر من أنعم ﴿والله عليم﴾ بالمؤمنين الكامل ايمانهم ﴿حكيم﴾ فيما دبره لهم من جزاءه لهم وانعامه عليهم .

لما ذكر فيما تقدم ما يقوي الألفة بين الأمة المسلمة ذكر فيما يأتي كيفية الاصلاح بين فريقين مختلفين بين الأمم المتحدة تحت اسم الاسلام فقال :

ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن
فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ
وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ
ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا
مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب
بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا

٦٨٦

٩ ﴿وان طائفتان من المؤمنين﴾ أي جماعتان من الامة ﴿اقتتلوا﴾ جمع نظراً الى المعنى لان كل طائفة جماعة وقرىء «اقتتلتا» ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالنصيحة . ثني نظرا الى اللفظ ﴿فان بغت﴾ تعدت ﴿احداهما على الأخرى﴾ فلم تتأثر بالنصيحة وأبت حكم كتاب الله ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء﴾ ترجع ﴿الى أمر الله﴾ الحق ﴿فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بالانصاف ﴿واقسطوا﴾ اعدلوا ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ .

١٠ ﴿انما المؤمنون اخوة﴾ في الدين ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ اذا تنازعا وقرىء اخوتكم بالفوقانية ﴿واتقوا الله﴾ أي اعملوا على مقتضى أوامره ونواهيه ﴿لعلكم ترحمون﴾ فيه أطماع من الكريم الرحيم اذ الأطماع فعل ما يطمع فيه لا محالة .

١١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم﴾ رجال منكم والسخرية الازدراء والاحتقار ﴿من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ عند الله وسمى الرجال قوما لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها ولهذا عبر عن الاناث بما هو مشتق من النسوة بفتح النون وهي ترك العمل ﴿ولا نساء﴾ منكن ﴿من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم﴾ لا تعيبوا فتعابوا أي لا يعب بعضكم بعضا ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه ومنه يا فاسق يا كافر ﴿بئس الاسم﴾ أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿الفسوق بعد الايمان﴾ بدل من الاسم لافادة أنه فسق لتكرره عادة ﴿ومن لم يتب﴾ من ذلك ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ .

١٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم﴾ أي مؤثم وهو كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهو كثير بخلافه بالفساق منهم فلا اثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿ولا تجسسوا﴾ حذف منه احدى التاءين لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه وان كان فيه ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد أي يحس به ﴿فكرهتموه﴾ اي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول ﴿واتقوا الله﴾ أي عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه ﴿ان الله تواب﴾ قابل توبة التائبين ﴿رحيم﴾ بهم .

ولما كان التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء يشترك فيها المؤمنون وغيرهم وهو داء بني آدم العضال وانما مدار دوائه التقوى لأن الجميع من آدم وحواء وانما الفصل بالتقوى قال تعالى :

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا
وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ
وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ
اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ
قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

١٣ ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ آدم وحواء ﴿وجعلناكم شعوبا﴾ جمع شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب ﴿وقبائل﴾ هي دون الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها مثاله خزيمة شعب، كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر العين، قصي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة ﴿لتعارفوا﴾ حذف منه احدى التاءين ليعرف بعضكم بعضا لا لتفاخروا بعلو النسب وانما الفخر بالتقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم﴾ بكم ﴿خبير﴾ ببواطنكم.

١٤ ﴿قالت الأعراب﴾ جمع أعرابي وهو ساكن البادية عندما دخلوا الاسلام ﴿آمنا﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قل﴾ لهم ﴿لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ أي انقدنا ظاهرا والاسلام أعم من الايمان الذي هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه ﴿ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾ الى الآن لكنه يتوقع منكم ﴿وان تطيعوا الله ورسوله﴾ بالايمان وغيره ﴿لا يلتكم﴾ بدون همز وقرىء به وبابداله ألفا أي لا ينقصكم ﴿من أعمالكم﴾ أي من ثوابها ﴿شيئا ان الله غفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم.

١٥ ﴿انما المؤمنون﴾ أي الصادقون في ايمانهم كما صرح به بعد ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ لم يشكوا في الايمان ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ فجهادهم يظهر صدق ايمانهم والمقصود العبادة المالية والبدنية وليس الجهاد في سبيل الله بخصوص الغزو بل هو ما يضم الطاعات كلها ﴿أولئك هم الصادقون﴾ في ايمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد عندهم غير الاسلام باللسان.

١٦ ﴿قل﴾ لهم ﴿أتعلمون الله بدينكم﴾ مضعف علم بمعنى شعر أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا ﴿والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم﴾.

١٧ ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم ﴿قل لا تمنوا علي اسلامكم﴾ منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن في الموضعين ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين﴾ في قولكم آمنا.

١٨ ﴿ان الله يعلم غيب السموات والأرض﴾ أي ما غاب فيهما ﴿والله بصير بما تعملون﴾ بالتاء وقرىء بالياء أي لا يخفى عليه شيء . ختم به السورة وفيه تهديد لمن يخالف الله في أوامره ونواهيه .

﴿ سورة ق مكية ﴾

هي ست وأربعون آية تشابه كلام الخطابة في الموضوع والفواصل ومن ثم جاء في صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة ابن النعمان قالت كان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب بالناس تدعو بالنظر الى المخلوقات السفلية والعلوية للاستدلال بها الى خالقها والى البعث والحساب وصدق الرسالة .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿ق﴾ الله أعلم بمراده به .

٢ ﴿والقرآن المجيد﴾ الكريم على الله الكثير الخير وكل من طلب مقصودا وجده فيه .

٣ وما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ . ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث ﴿فقال الكافرون هذا﴾ الانذار ﴿شيء عجيب﴾ .

٤ ﴿أءذا﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين ﴿متنا وكنا ترابا﴾ نرجع ﴿ذلك رجع بعيد﴾ في غاية البعد .

٥ ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض﴾ تأكل ﴿منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ هو الكتاب المعلق على عنوقهم أو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة .

٦ ﴿بل كذبوا بالحق﴾ القرآن ﴿لما جاءهم فهم﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿في أمر مريج﴾ مضطرب قالوا مرة ساحر وسحر ومرة شاعر وشعر ومرة كاهن وكهانة .

غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(٥٠) سُورَةُ قٓ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ

وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ
عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا
بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا
طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ
وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ
بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾
مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ

٧ ﴿أفلم ينظروا﴾ بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿الى السماء﴾ كائنة ﴿فوقهم كيف بنيناها﴾ بلا عمد ﴿وزيناها﴾ بالكواكب ﴿وما لها من فروج﴾ شقوق تعيبها .

٨ ﴿والأرض﴾ معطوف على موضع «الى السماء» كيف ﴿مددناها﴾ مهدناها وجعلناهاصاحة للحياة ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالا تثبتها ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج﴾ صنف ﴿بهيج﴾ يبهج به لحسنه .

٩ ﴿تبصرة﴾ مفعول به أي فعلنا ذلك تبصرة منا ﴿وذكرى﴾ تذكيرا ﴿لكل عبد منيب﴾ رجاع الى طاعتنا .

١٠ ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا﴾ كثير البركة ﴿فأنبتنا به جنات﴾ بساتين ﴿وحب﴾ الزرع ﴿الحصيد﴾ المحصود .

١١ ﴿والنخل باسقات﴾ طوالا حال مقدرة ﴿لها طلع نضيد﴾ متراكب بعضه فوق بعض .

١٢ ﴿رزقا للعباد﴾ مفعول له ﴿وأحيينا به بلدة ميتا﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا الاحياء ﴿الخروج﴾ من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير. والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

١٣ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تأنيث الفعل لمعنى القوم ﴿وأصحاب الرس﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل شعيب أو نبي أرسل بعد صالح لبقية من ثمود ﴿وثمود﴾ قوم صالح .

١٤ ﴿وعاد﴾ قوم هود ﴿وفرعون واخوان لوط﴾ .

١٥ ﴿وأصحاب الأيكة﴾ أي الغيضة قوم شعيب ﴿وقوم تبع﴾ هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه ﴿كل﴾ من المذكورين ﴿كذب الرسل﴾ كقريش ﴿فحق وعيد﴾ وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضق صدرك من كفر قريش بك .

١٦ ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ أي لم نعي به فلا نعيا باعادته ﴿بل هم في لبس﴾ شك ﴿من خلق جديد﴾ وهو البعث .

١٧ ﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم﴾ حال بتقدير نحن ﴿ما﴾ مصدرية ﴿توسوس﴾ تحدث ﴿به﴾ الباء زائدة أو للتعدية والضمير للانسان ﴿نفسه﴾ أي ونحن نعلم وسوسة نفسه اياه أو وسوسة نفسه له ويمكن أن تكون ما موصوله أي ونعلم الأمر الذي تحدثه نفسه به ﴿ونحن أقرب اليه﴾ بالعلم ﴿من حبل الوريد﴾ الاضافة للبيان والوريد هو أحد عرقين بصفحتي العنق يردان من الرأس الى القلب اذا قطع مات صاحبه .

١٨ ﴿اذ يتلقى﴾ يأخذ ويثبت ﴿المتلقيان﴾ الملكان الموكلان بالانسان ما يعمله ﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ منه ﴿قعيد﴾ أي قاعدان وهو مبتدأ خبره قبله .

سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي
جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾
۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ
بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم
بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ
مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾

١٩ ﴿ما يلفظ من قول الا لديه رقيب﴾ حافظ ﴿عتيد﴾ حاضر وكل منهما بمعنى المثنى.

٢٠ ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ غمرته وشدته ﴿بالحق﴾ من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة ﴿ذلك﴾ الموت ﴿ما كنت منه تحيد﴾ تهرب وتفزع.

٢١ ﴿ونفخ في الصور﴾ للبعث ﴿ذلك﴾ أي يوم النفخ ﴿يوم الوعيد﴾ للكفار بالعذاب.

٢٢ ﴿وجاءت كل نفس﴾ الى المحشر ﴿معها سائق﴾ ملك يسوقها اليه ﴿وشهيد﴾ يشهد عليها بعملها وهو الأيدي والأرجل وغيرها ويقال للكافر.

٢٣ ﴿لقد كنت في غفلة﴾ في الدنيا ﴿من هذا﴾ النازل بك اليوم ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ حاد تدرك به ما أنكرته في الدنيا

٢٤ ﴿وقال قرينه﴾ الملك الموكل به. ﴿هذا ما﴾ أي الذي ﴿لدي عتيد﴾ حاضر فيقال للملك.

٢٥ ﴿ألقيا في جهنم﴾ أي ألق أو ألقين وبه قرأ الحسن فأبدلت النون ألفا ﴿كل كفار عنيد﴾ للحق معاند.

٢٦ ﴿مناع للخير﴾ كالزكاة أو الدخول في الاسلام ﴿معتد﴾ ظالم ﴿مريب﴾ شاك في دينه.

٢٧ ﴿الذي جعل مع الله الها آخر﴾ مبتدأ تضمن معنى الشرط خبره ﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ تفسيره مثل ما تقدم.

٢٨ ﴿قال قرينه﴾ الشيطان ﴿ربنا ما أطغيته﴾ أضللته ﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ فدعوته فاستجاب لي

٢٩ ﴿قال﴾ تعالى ﴿لا تختصموا لدي﴾ أي ما ينفع الخصام هنا ﴿وقد قدمت اليكم﴾ في الدنيا ﴿بالوعيد﴾ بالعذاب في الآخرة إن لم تؤمنوا ولا بد منه.

٣٠ ﴿ما يبدل﴾ يغير ﴿القول لدي﴾ في ذلك ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ فأعذبهم بغير جرم. وظلام بمعنى ذي ظلم لقوله «لا ظلم اليوم».

٣١ ﴿يوم﴾ ناصبه «ظلام» ﴿نقول﴾ بالنون وقرىء بالياء ﴿لجهنم هل امتلأت﴾ استفهام تحقيق لوعده بملئها ﴿وتقول﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال ﴿هل من مزيد﴾ أي لا أسع غير ما امتلأت به أي قد امتلأت.

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ
الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم
بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ
يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ

٣٢ ﴿وأزلفت الجنة﴾ قربت ﴿للمتقين﴾ مكانا ﴿غير بعيد﴾ منهم فيرونها ويقال لهم :

٣٣ ﴿هذا﴾ المرئي ﴿ما توعدون﴾ بالتاء وقرىء بالياء التحتانية في الآخرة ﴿لكل أواب﴾ رجاع الى طاعة الله في الدنيا ﴿حفيظ﴾ حافظ لحدوده .

٣٤ ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ خافه ولم يره ﴿وجاء بقلب منيب﴾ مقبل على طاعته ويقال للمتقين أيضا .

٣٥ ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي سالمين من كل مخوف او مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿ذلك﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يوم الخلود﴾ الدوام في الجنة .

٣٦ ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا .

٣٧ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار ﴿هم أشد منهم بطشا﴾ قوة ﴿فنقبوا﴾ فتشوا ﴿في البلاد هل من محيص﴾ لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا .

٣٨ ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لذكرى﴾ لعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ عقل ﴿أو ألقى السمع﴾ أي استمع الوعظ ﴿وهو شهيد﴾ حاضر بالقلب .

٣٩ ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وما مسنا من لغوب﴾ تعب وانما ايجادها بقولنا كوني فكانت والتأخير لتعليمكم التأني في الأمور .

٤٠ ﴿فاصبر﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿على ما يقولون﴾ أي الكفار من التكذيب ﴿وسبح بحمد ربك﴾ صل حامدا ﴿قبل طلوع الشمس﴾ أي صلاة الصبح ﴿وقبل الغروب﴾ أي صلاة الظهر والعصر .

٤١ ﴿ومن الليل فسبحه﴾ أي صل العشاءين ﴿وأدبار السجود﴾ بفتح الهمزة جمع دبر وقرىء بكسرها مصدر أدبر أي صل النوافل المسنونة عقب الفرائض وقيل المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابسا للحمد .

٤٢ ﴿واستمع﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يوم ينادى المناد﴾ هو اسرافيل ﴿من مكان قريب﴾ من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض الى السماء يقول أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا
ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ
أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

(٥١) سُورَةُ ٱلذَّٰرِيَٰتِ مَكِّيَّة
وَءَايَٰتُهَا سِتُّونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ
يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ
ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ
مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ

٦٩٢

٤٣ ﴿يوم﴾ بدل من يوم قبله ﴿يسمعون﴾ أي الخلق كلهم ﴿الصيحة بالحق﴾ بالبعث وهي النفخة الثانية من اسرافيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ﴿ذلك﴾ أي يوم النداء من السماء ﴿يوم الخروج﴾ من القبور وناصب «يوم» ينادي مقدراً أي يعلمون عاقبة تكذيبهم .

٤٤ ﴿انا نحن نحيي ونميت والينا المصير﴾ .

٤٥ ﴿يوم﴾ بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض ﴿تشقق﴾ بتخفيف الشين وقرىء بتشديدها بادغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿الأرض عنهم سراعا﴾ جمع سريع حال مقدر أي فيخرجون مسرعين ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر وذلك اشارة الى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الاحياء بعد الفناء والجمع للعرض .

٤٦ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي كفار قريش من قولهم «أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب» وما ينسبونه اليك من السحر والشعر والكهانة والجنون وسنجازيهم على ذلك فيه تسلية له ﷺ . ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ تجبرهم على الايمان والله يرشد من يشاء منهم ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وهم المؤمنون فانهم المنتفعون به واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجبه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من أنواع العقاب وفنون العذاب . أما قوله «وعيد» يرسم بدون الياء وتحذف في القراءة وصلا ووقفا وقرأها ورش بالاثبات وصلا ووقفا . والله أعلم .

﴿ سورة الذاريات مكية ﴾

هي ستون آية وموضوعها الرئيسي تحقيق وقوع وعد الله في أمور الدنيا والآخرة وفي الخير وغيره .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿والذاريات﴾ الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذروا﴾ مصدر ويقال تذريه ذريا تهب به .

٢ ﴿فالحاملات﴾ السحب تحمل الماء ﴿وقرا﴾ ثقلا مفعول الحاملات .

٣ ﴿فالجاريات﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يسرا﴾ بسهولة مصدر في موضع الحال أي ميسرة .

٤ ﴿فالمقسمات أمرا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد .

٥ ﴿انما توعدون﴾ ما مصدرية أي ان وعدهم بالبعث وغيره ﴿لصادق﴾ لوعد صادق .

٦ ﴿وان الدين﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لواقع﴾ لا محالة .

٧ ﴿والسماء ذات الحبك﴾ جمع حبيكة كطريقة وطرق أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل منها طرق المواصلات الاخبارية والاذاعية الصوتية والمرئية وغير ذلك والله أعلم

٨ ﴿إنكم﴾ يا أيها الكفار في شأن النبي ﷺ وفي القرآن ﴿لفي قول مختلف﴾ قيل شاعر ساحر كاهن شعر سحر كهانة .

٩ ﴿يؤفك﴾ يصرف ﴿عنه﴾ عن النبي ﷺ والقرآن أي عن الايمان به ﴿من أفك﴾ صرف عن الهداية في علم الله تعالى .

١٠ ﴿قتل الخراصون﴾ لعن الكذابون أصحاب القول المختلف .

ساهون ﴿١١﴾ يسئلون أيان يوم الدين ﴿١٢﴾ يوم هم على
النار يفتنون ﴿١٣﴾ ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم
به تستعجلون ﴿١٤﴾ إن المتقين في جنات وعيون ﴿١٥﴾
آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك
محسنين ﴿١٦﴾ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴿١٧﴾
وبالأسحار هم يستغفرون ﴿١٨﴾ وفي أموالهم حق للسائل
والمحروم ﴿١٩﴾ وفي الأرض آيات للموقنين ﴿٢٠﴾
وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴿٢١﴾ وفي السماء رزقكم
وما توعدون ﴿٢٢﴾ فورب السماء والأرض إنه لحق
مثل ما أنكم تنطقون ﴿٢٣﴾ هل أتاك حديث ضيف
إبراهيم المكرمين ﴿٢٤﴾ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
سلام قوم منكرون ﴿٢٥﴾ فراغ إلى أهله فجاء بعجل

١١ ﴿الذين هم في غمرة﴾ جهل يغمرهم ﴿ساهون﴾ غافلون عن أمر الآخرة .

١٢ ﴿يسألون﴾ النبي ﷺ استفهام استهزاء ﴿أيان يوم الدين﴾ أي متى مجيئه ؟ وجوابهم : يجيء .

١٣ ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ أي يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب .

١٤ ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ تعذيبكم ﴿هذا﴾ التعذيب ﴿الذي كنتم به تستعجلون﴾ في الدنيا استهزاء .

١٥ ﴿ان المتقين في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ تجري فيها .

١٦ ﴿آخذين﴾ حال من الضمير في خبر ان ﴿ما آتاهم﴾ أعطاهم ﴿ربهم﴾ من الثواب ﴿انهم كانوا قبل ذلك﴾ أي أي دخولهم الجنة ﴿محسنين﴾ في الدنيا .

١٧ ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ ينامون وما زائدة لتأكيد القلة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون اكثره وهو تفسير للاحسان قلت ومن أقام خمس صلوات في المسجد مع الجماعة كل يوم فهو المحسن وقليلا من الليل ما يهجع .

١٨ ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ يقولون اللهم اغفر لنا .

١٩ ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ المتعفف الذي لا يسأل لتعففه .

٢٠ ﴿وفي الأرض﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيات﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿للموقنين﴾ .

٢١ ﴿وفي أنفسكم﴾ آيات أيضا من بدء خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب اللمس في اليد والبصر والدمع في العين والنفس والشم والمخاط في الأنف والكلام والذوق والطعم والريق والأكل والشرب في الفم والسمع والنوم في الأذن والشعر في مواضعه والغائط والريح من الدبر والبول والمني والمذي والودي والحيض من القبل والفرق بين الذكر والأنثى في الثدي والفرج مع أن كل ذلك من ماء الذكر والأنثى ومن أب واحد وأم واحدة وفي اختلاف الألوان والأشكال والمقادير وفي الأرواح وفي الباطن كذلك صفات مثل الصفات الظاهرة ﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك فتستدلوا به على صانعه وقدرته .

٢٢ ﴿وفي السماء رزقكم﴾ أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق ﴿وما توعدون﴾ من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء .

٢٣ ﴿فورب السماء والأرض انه﴾ أي ما توعدون به ﴿لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ بفتح اللام مثل مركبة مع ما المعنى مثل نطقكم في حقيقته أي معلومة عندكم وضرورة صدوره عنكم وقرىء بالرفع صفة وما مزيدة أي كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في حقيقته قال زيد بن مرثد ان رجلا جاع بمكان وليس فيه شيء فقال اللهم رزقك الذي وعدتني به فشبع وروي من غير طعام ولا شراب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لو ان أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت » أسنده الثعلبي .

ثم ذكر تعالى بعض القصص لتكون عبرة لأولى الألباب فقال :

٢٤ ﴿هل أتاك﴾ خطاب للنبي ﷺ وهل بمعنى قد ﴿حديث ضيف ابراهيم المكرمين﴾ وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل عليه السلام .

٢٥ ﴿اذ﴾ ظرف لحديث ضيف ﴿دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾

سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ
مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾
فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا
غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ
يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ

أي هذه اللفظة بالنصب ﴿قال سلام﴾ أي عليكم بالرفع فسلامه أحسن من سلامهم اذ المقول منهم اللفظ المفرد ومنه جملة في محل نصب ﴿قوم منكرون﴾ لا نعرفهم قال هذا في نفسه وهو خبر مبتدأ مقدر أي هؤلاء أو أنتم على تقدير الكلام متصلا والانكار هنا لمعرفة ذاتهم وفي قوله «فلما رأى أيديهم لا تصل اليه» أي العجل «نكرهم» : فيما جاؤا لأجله .

٢٦ ﴿فراغ الى أهله﴾ سرا ﴿فجاء بعجل سمين﴾ وفي سورة هود «بعجل حنيذ» .

٢٧ ﴿فقربه اليهم قال ألا تأكلون﴾ عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا .

٢٨ ﴿فأوجس﴾ أضمر في نفسه ﴿منهم خيفة قالوا لا تخف﴾ انا رسل ربك ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ ذي علم كثير هو اسحاق كما ذكر في هود فهو وعد من الله لابراهيم بعد ثبوت اليأس عادة .

٢٩ ﴿فأقبلت امرأته﴾ سارة ﴿في صرة﴾ صيحة حال أي جاءت صايحة ﴿فصكت وجهها﴾ لطمته ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر ابراهيم مائة سنة أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة. قلت يمكن أن تكون قالت هذا الكلام مع لطم الوجه تعجبا لخرق العادة في ذلك أو لغيرة أن يكون زوجها سيتزوج امرأة غيرها صغيرة فتأتيه بالولد المبشر به مثل ما حصل في اسماعيل قبل ذلك. فلتطمينها عن ذلك .

٣٠ ﴿قالوا﴾ أي الرسل ﴿كذلك﴾ أي مثل قولنا في البشارة ﴿قال ربك﴾ فيه تطمين لها باضافة الرب اليها لما فيه من لطافة الكلام واشعار بالرحمة ﴿انه هو الحكيم﴾ في صنعه ومن حكمته فتق رحم العجوز واصلاحه للعلوق وأما ولادة الشيخ فليست بعجيبة ﴿العليم﴾ بخلقه .

٣١ ﴿قال﴾ ابراهيم ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ .

٣٢ ﴿قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ كافرين هم قوم لوط .

٣٣ ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ مطبوخ بالنار .

٣٤ ﴿مسومة﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عند ربك﴾ ظرف لها ﴿للمسرفين﴾ باتيانهم الذكور مع كفرهم .

٣٥ ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين﴾ باهلاك الكافرين ووعدنا بانجاء المؤمنين .

٣٦ ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ وهم لوط وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام أي هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات .

٣٧ ﴿وتركنا فيها﴾ بعد اهلاك الكافرين ﴿آية﴾ علامة على اهلاكهم ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم اذ يخافون وقوع الوعيد عليهم .

وذكر بعد ذلك قصة موسى وفرعون لبيان وقوع الوعد والوعيد فقال :

٣٨ ﴿وفي موسى﴾ معطوف على «فيها» المعنى وجعلنا في قصة موسى آية ﴿اذ أرسلناه الى فرعون﴾ متلبسا ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة واضحة .

٣٩ ﴿فتولى﴾ أعرض عن الايمان ﴿بركنه﴾ مع جنوده لأنهم له كالركن ﴿وقال﴾ لموسى هو ﴿ساحر أو مجنون﴾ أي تارة قال هو ساحر مثل قوله «ان هذا لساحر عليم» وتارة قال مجنون مثل قوله «ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون» .

مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾
مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ
مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا
بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾
كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾

٤٠ ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم ﴿في اليم﴾ البحر فغرقوا ﴿وهو﴾ أي فرعون ﴿مليم﴾ آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية .

ثم ذكر تعالى ما وقع على عاد فقال :

٤١ ﴿وفي﴾ اهلاك ﴿عاد﴾ آية ﴿اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور .

٤٢ ﴿ما تذر من شيء﴾ نفس أو مال ﴿أتت عليه الا جعلته كالرميم﴾ كالبالي المتفتت الهشيم .

ثم ذكر تعالى ما وقع على ثمود بتكذيبهم رسولهم صالح فقال :

٤٣ ﴿وفي﴾ اهلاك ﴿ثمود﴾ آية ﴿اذ قيل لهم﴾ بعد عقر الناقة ﴿تمتعوا حتى حين﴾ أي الى انقضاء آجالكم كما في آية «تمتعوا في داركم ثلاثة أيام» .

٤٤ ﴿فعتوا﴾ تكبروا ﴿عن أمر ربهم﴾ أي عن امتثال أمره ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ بعد مضي الثلاثة أيام أي الصيحة المهلكة ﴿وهم ينظرون﴾ في النهار .

٤٥ ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وما كانوا منتصرين﴾ على من أهلكهم .

ثم ذكر تعالى لمحة قصيرة عن قصة نوح فقال :

٤٦ ﴿وقوم نوح﴾ بالنصب أي وأهلكنا قوم نوح وجعلنا في اهلاكهم آية وقرىء بالجر عطف على ثمود أي في اهلاكهم بماء السماء والأرض آية ﴿من قبل﴾ أي قبل اهلاك هؤلاء المذكورين ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ وهو سبب اهلاكهم .

ولما تقدم من الأمثلة والقصص عقبها باظهار آياته لانجاز الوعد والوعيد أتبعه تعالى بذكر الأدلة على كمال قدرته في الانجاز ولتكون عبرة لأولي النهى وتسلية للنبي ﷺ فقال :

٤٧ ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ قوة فالأيد مصدر لكن يكتب في المصحف بياءين بعد الهمزة وقبل الدال كما نبه عليه الخطيب ورسم المصحف سنة متبعة وان لم يبد له وجه ﴿وانا لموسعون﴾ قادرون يقال آد الرجل يئد قوي وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة .

٤٨ ﴿والأرض فرشناها﴾ مهدناها ﴿فنعم الماهدون﴾ نحن .

٤٩ ﴿ومن كل شيء﴾ متعلق بقوله ﴿خلقنا زوجين﴾ صنفين كالذكر والأنثى والنور والظلمة ، وفي النباتات كذلك الا أن الذكر والأنثى ، في شجرة واحدة منها الا في النخيل فذكر النخل منفرد عن النخل الأنثى وفي التيارات الكهربائية وغيرها من سائر المخلوقات ﴿لعلكم تذكرون﴾ بحذف احدى التائين من الأصل فتعلموا أن خالق الأزواج فرد فتعبدوه .

٥٠ قل لهم يا محمد ﴿ففروا الى الله﴾ أي الى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿اني لكم منه نذير مبين﴾ بين الانذار .

٥١ ﴿ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين﴾

٥٢ ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا﴾ هو ﴿ساحر أو مجنون﴾ أي مثل تكذيبهم لك بقولهم انك ساحر أو مجنون . تكذيب الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك .

٥٣ ﴿أتواصوا﴾ كلهم ﴿به﴾ استفهام للتعجب أي أحملتهم على هذا القول المذكور وجمعتهم عليه وصية بعضهم لبعض به لتباعد وتطاول الأزمان بينهم . ثم أضرب عن هذا بالنفي والتوبيخ وبين ما هو الحامل لهم عليه بالحقيقة بقوله : ﴿بل هم قوم طاغون﴾ جمع على هذا القول طغيانهم .

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ
تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن
يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

(٥٢) سورة الطور مكية وآياتها تسع وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾

٥٤ ﴿فتول﴾ أعرض ﴿عنهم فما أنت بملوم﴾ لأنك بلغتهم الرسالة .

٥٥ ﴿وذكر﴾ عظ بالقرآن ﴿فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ من علم الله تعالى أنه يؤمن .

٥٦ ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لأكتب به فانك قد لا تكتب به .

٥٧ ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ لأنفسهم أو لغيرهم ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ لا أنفسهم ولا غيرهم أي أن شأنه تعالى مع عباده ليس مثل شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم في كسب لوجودها أو في عمل وخدمة لاصلاحها .

٥٨ ﴿ان الله هو الرزاق﴾ لهم ﴿ذو القوة المتين﴾ الشديد .

٥٩ ﴿فان للذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿ذنوبا﴾ نصيبا من العذاب ﴿مثل ذنوب﴾ نصيب ﴿أصحابهم﴾ الهالكين قبلهم ﴿فلا يستعجلون﴾ بالعذاب ان أخرتهم الى يوم القيامة .

٦٠ ﴿فويل﴾ شدة عذاب ﴿للذين كفروا من﴾ في ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ أي يوم القيامة فان وعيد الله ثابت الوقوع على من يخالفه كما ظهر من البيان في موضوع السورة .

﴿ سورة الطور مكية ﴾

هي تسع وأربعون آية وموضوعها الرئيسي الدعوة الى الايمان على وجه السؤال والالزام في أسلوب لطيف المأخذ مدرك للعقول .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿والطور﴾ أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى أقسم الله به تشريفا وتكريما وتذكيرا بما فيه من الآيات ، وهو أحد جبال الجنة والمراد به طور سيناء وقيل هو كل جبل ينبت الشجر المثمر وما لا ينبت فليس بطور .

٢ ﴿وكتاب مسطور﴾ متقن الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات وهو التوراة أو القرآن .

٣ ﴿في رق منشور﴾ الرق كل ما يكتب فيه جلدا كان أو غيره وهو بالنسبة للتوراة الألواح التي أنزلت على موسى وبالنسبة للقرآن المصحف وتقرأه الملائكة من اللوح المحفوظ وقيل هو صحائف الأعمال فمن أخذ كتابه بيمينه ، ومن أخذ كتابه بشماله ، نظيره قوله «ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا» وقوله واذا الصحف نشرت وقيل المراد ما كتبه الله للملائكة في السماء يقرأون فيه ما كان وما يكون وقيل هو ما كتبه الله في قلوب الأولياء من المؤمنين بيانه «أولئك كتب في قلوبهم الايمان» .

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن
دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ
سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي
خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾
هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا
أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا
سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ
رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ
وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

٦٩٧

٤ ﴿والبيت المعمور﴾ هو السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة ثم لا يعودون اليه أبدا .

٥ ﴿والسقف المرفوع﴾ أي السماء وقال ابن عباس هو العرش .

٦ ﴿والبحر المسجور﴾ أي المملوء بالماء وهو البحر المحيط وقيل البحر المسجور يعني الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور أي أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من آثار عظيم قدرته .

٧ ﴿ان عذاب ربك لواقع﴾ لنازل بمستحقه .

٨ ﴿ما له من دافع﴾ عنه .

٩ ﴿يوم﴾ مفعول لواقع ﴿تمور السماء مورا﴾ تتحرك وتدور .

١٠ ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ تصير هباء منثورا وذلك يوم القيامة .

١١ ﴿فويل﴾ شدة عذاب ﴿يومئذ للمكذبين﴾ برسلهم .

١٢ ﴿الذين هم في خوض﴾ باطل ﴿يلعبون﴾ أي يتشاغلون بكفرهم .

١٣ ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾ يدفعون بعنف بدل «يوم تمور» ويقال لهم تبكيتا :

١٤ ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ .

١٥ ﴿أفسحر هذا﴾ العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي هذا سحر ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ كما قلتم في الدنيا «انما سكرت أبصارنا» أي هل أمرنا سحر بل في بصركم خلل وكذلك لوجد خلل في بصيرتكم فلذلك لا تستطيعون أن تستعملوها فيما ينفعكم

١٦ ﴿أصلوها فاصبروا﴾ عليها ﴿أو لا تصبروا﴾ صبركم وجزعكم ﴿سواء عليكم﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي جزاءه لتعليل الاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع بحسب الوعد لامتناع الكذب على الله تعالى كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع .

ثم ذكر تعالى جزاء المؤمنين الصالحين فقال :

١٧ ﴿ان المتقين في جنات ونعيم﴾ .

١٨ ﴿فاكهين﴾ متلذذين ﴿بما﴾ مصدرية ﴿آتاهم ربهم﴾ أعطاهم ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطفا على آتاهم أي بايتائهم ووقايتهم ويقال لهم :

١٩ ﴿كلوا واشربوا هنيئا﴾ حال أي مهنئين ﴿بما﴾ الباء سببيه ﴿كنتم تعملون﴾ .

٢٠ ﴿متكئين﴾ حال من الضمير المستكن في قوله تعالى «في جنات» ﴿على سرر مصفوفة﴾ بعضها الى جنب بعض ﴿وزوجناهم﴾ عطف على جنات أي قرناهم ﴿بحور عين﴾ عظام الأعين حسانها .

٢١ ﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ معطوف ﴿واتبعتهم﴾ معطوف على آمنوا ﴿ذريتهم﴾ بالافراد في الموضعين أي الصغار والكبار وسواء أكانوا من النسب أو من الروح أي تلاميذ العالم بمنزلة أولاده بل هم أقرب اليه هنا ممن هو من النسب فقط قال في الجمل ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة ﴿بايمان﴾ من الكبار ومن الآباء في الصغار وخبر المبتدأ ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ المذكورين في الجنة فيكونون في درجتهم وان لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد اليهم والآباء مثل الأولاد يلحقون بالأبناء في الجنة تكرمة للأبناء الصالحين روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان كان الآباء أرفع درجة رفع الله الأبناء فالآباء داخلون في اسم الذرية كقوله تعالى : «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون» . ﴿وما ألتناهم﴾ بفتح اللام وكسرها نقصناهم ﴿من عملهم من شيء﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كل امرىء بما كسب﴾ عمل من خير أو شر ﴿رهين﴾ مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير أي ان رفع درجة الأبناء بالآباء والعكس في الجنة لا يكون الا بالايمان الاستقلالي من كل فرد ، فلا يدخل أحد الجنة بايمان غيره . ورفع الدرجات واكمالها بالغير انما هو في الأعمال فقط وفي الخازن كل امرىء أي كافر بما كسب من عمل الشرك رهين أي مرتهن بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله «كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين» .

٢٢ ﴿وأمددناهم﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ وان لم يصرحوا بطلبه .

٢٣ ﴿يتنازعون﴾ يتعاطون بينهم ﴿فيها﴾ أي الجنة ﴿كأسا﴾ خمرا ﴿لا لغو فيها﴾ أي بسبب شربها يقع بينهم ﴿ولا تأثيم﴾ به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا .

٢٤ ﴿ويطوف عليهم﴾ للخدمة ﴿غلمان﴾ أرقاء ﴿لهم كأنهم﴾ حسنا ولطافة ﴿لؤلؤ مكنون﴾ مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منه في غيرها .

٢٥ ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة .

٢٦ ﴿قالوا﴾ ايماء الى علة الوصول ﴿انا كنا قبل في أهلنا﴾ في الدنيا ﴿مشفقين﴾ خائفين من عذاب الله .

٢٧ ﴿فمن الله علينا﴾ بالمغفرة ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ أي النار لدخولها في المسام ، وقالوا ايماء أيضا .

٢٨ ﴿انا كنا من قبل﴾ أي في الدنيا ﴿ندعوه﴾ أي نعبده موحدين ﴿انه﴾ بالكسر استئنافا وان كان تعليلا معنى وقرىء

ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ
عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)
وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَٰزَعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٥) قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٧)
إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ (٢٨) فَذَكِّرْ
فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ
يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ (٣٠) قُلْ
تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ

٦٩٨

بالفتح تعليلا لفظا ﴿هو البر﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿الرحيم﴾ العظيم الرحمة .

بعد ذكر جزاء المنكرين لوقوع العذاب في يوم القيامة وذكر جزاء المتقين أمر تعالى نبيه أن يتقدم في التذكير والوعظ فقال :

٢٩ ﴿فذكر﴾ أي دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك كاهن أو مجنون ﴿فما أنت بنعمت ربك﴾ أي بانعامه عليك ﴿بكاهن﴾ خبر ما ﴿ولا مجنون﴾ معطوف عليه .

٣٠ ﴿أم﴾ بل ﴿يقولون﴾ هو ﴿شاعر نتربص به ريب المنون﴾ حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء .

٣١ ﴿قل تربصوا﴾ هلاكي ﴿فاني معكم من المتربصين﴾ هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر والتربص هو الانتظار .

٣٢ ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ جمع حلم بالكسر الأناة والعقل أي عقلاؤهم ﴿بهذا﴾ أي قولهم ساحر وكاهن وشاعر ومجنون أي لا تأمرهم بذلك ﴿أم﴾ بل ﴿هم قوم طاغون﴾ بعنادهم .

تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن
كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل
لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ
ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾
أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ
فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ

٣٣ ﴿أم يقولون تقوله﴾ اختلق القرآن . ﴿بل لا يؤمنون﴾ استكبارا فان قالوا اختلقه .

٣٤ ﴿فليأتوا بحديث﴾ يختلق ﴿مثله ان كانوا صادقين﴾ في قولهم :

٣٥ ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي خالق ﴿أم هم الخالقون﴾ أنفسهم ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معلوم بخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه .

٣٦ ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾ ولا يقدر على خلقهما الا الله الخالق فلم لا يعبدونه ﴿بل لا يوقنون﴾ به والا لآمنوا بنبيه .

٣٧ ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاءوا بما شاؤا ﴿أم هم المصيطرون﴾ ويقرأ بالسين المتسلطون الجبارون وفعله سيطر ومثله بيطر وبيقر أي أفسد .

٣٨ ﴿أم لهم سلم﴾ مرقى الى السماء ﴿يستمعون فيه﴾ أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم . ان ادعوا ذلك ﴿فليأت مستمعهم﴾ أي مدعي الاستماع عليه ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى :

٣٩ ﴿أم له البنات﴾ بزعمكم ﴿ولكم البنون﴾ تعالى الله عما زعمتم .

٤٠ ﴿أم تسألهم أجرا﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿فهم من مغرم﴾ غرم ذلك ﴿مثقلون﴾ فلا يسلمون خوف أن يلزمهم غرم ذلك .

٤١ ﴿أم عندهم الغيب﴾ أي علمه ﴿فهم يكتبون﴾ ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم :

٤٢ ﴿أم يريدون كيدا﴾ بك ليهلكوك في دار الندوة وهذا من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر.

٤٣ ﴿أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون﴾ به من الآلهة والاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ .

٤٤ ﴿وان يروا كسفا﴾ بعضا ﴿من السماء ساقطا﴾ عليهم كما قالوا «أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا» أي تعذيبا لهم ﴿يقولوا﴾ هذا ﴿سحاب مركوم﴾ متراكب نرتوي به .

٤٥ ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ يموتون .

كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

(٥٣) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَسِتُّونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾
وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾
عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ
بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ

٤٦ ﴿يوم لا يغني﴾ بدل من يومهم ﴿عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة .

٤٧ ﴿وان للذين ظلموا﴾ بكفرهم ﴿عذابا دون ذلك﴾ أي في الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن العذاب ينزل بهم .

٤٨ ﴿واصبر لحكم ربك﴾ بامهالهم ولا يضق صدرك ﴿فانك بأعيننا﴾ بمرأى منا نراك ونحفظك ﴿وسبح﴾ متلبسا ﴿بحمد ربك﴾ أي نزهه واحمده أي قل سبحان الله وبحمده ﴿حين تقوم﴾ من منامك أو مجلسك روي عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ اذا استيقظ من نومه فقالت سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني . وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة . أخرجه أبو داود والنسائي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك كان كفارة لما بينهما وفي رواية كان كفارة له .

٤٩ ﴿ومن الليل فسبحه﴾ حقيقة أيضا ﴿وادبار النجوم﴾ مصدر أي عقب غروبها سبحه أيضا أو صل في الأول العشاءين وفي الثاني الفجر .

﴿ سورة النجم مكية ﴾

هي اثنتان وستون آية وموضوعها الرئيسي تنزيه الرسول ﷺ عما لا يليق به واثبات صدقه في الدعوة الى التوحيد . وأن غير الاسلام خرافات مخترعة من أهلها .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿والنجم اذا هوى﴾ أقسم الله بالنجم وقت هويه لأنه اذا كان في وسط السماء يكون بعيدا من الأرض لا يهتدي به الساري لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا نزل عن وسط السماء تبين بنزوله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال .

٢ ﴿ما ضل صاحبكم﴾ محمد عليه الصلاة والسلام عن الهداية ﴿وما غوى﴾ ما لابس الغي وهو جهل من اعتقاد فاسد .

٣ ﴿وما ينطق﴾ بما يأتيكم به ﴿عن الهوى﴾ هوى نفسه .

٤ ﴿ان﴾ ما ﴿هو الا وحي يوحى﴾ اليه .

٥ ﴿علمه﴾ اياه ملك ﴿شديد القوى﴾ .

٦ ﴿ذو مرة﴾ قوة وشدة أو منظر حسن أي جبريل عليه السلام والمعنى أن الملك الذي يأتي النبي بالوحي وهو جبريل شديد القوة لا يستطيع شيطان أن يقابله حتى يبدل ما أرسله الله به الى النبي ﷺ ﴿فاستوى﴾ أي استقر واطمأن عند تبليغ الوحي للنبي .

٧ ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أفق الشمس أي عند مطلعها على صورته التي خلق عليها فرآه النبي ﷺ وكان بحراء قد سد الأفق الى المغرب فخرج مغشيا عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي عليها فواعده فنزل جبريل له في صورة الآدميين .

٨ ﴿ثم دنا﴾ قرب منه ﴿فتدلى﴾ زاد القرب .

٩ ﴿فكان﴾ منه ﴿قاب﴾ قدر ﴿قوسين﴾ ذراعين والقوس الذراع يقاس به كل شيء وهي لغة بعض الحجازيين وهو قول سعيد بن جبير وعطاء وغيرهما ﴿أو أدنى﴾ من ذلك حتى أفاق

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾
عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾
مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ
ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ
إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن
رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ
وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى

٧٠١

وسكن روعه وعرفه حق المعرفة حتى لا يشتبه به غيره عنده بالوحي .

١٠ ﴿فأوحى﴾ تعالى ﴿الى عبده﴾ جبريل ﴿ما أوحى﴾ جبريل الى النبي ﷺ ولم يذكر الموحي تفخيما لشأنه وهو جميع أحكام الشريعة اذا المقصود هنا بيان أن كل ما أخبر به النبي ﷺ صدق وحق لأن النبي قد عرف جبريل معرفة تامة في صورته الحقيقية الأصلية وفي الصور التي كان يأتيه فيها وأن جبريل قوي وذو مرة وكرامة عند الله لا يغلبه شيء ولا يشتبه به شيطان على ابلاغ الوحي بين الله تعالى وبين النبي ﷺ كما هو بدون تبديل أو تغيير ، ليكون المرسل اليهم على ثقة أن الذي جاءهم به الرسول من الأحكام هو الدين الحق الذي أمرهم ربهم أن يؤمنوا به . وهذا أيضاً يدل على أن جبريل عليه السلام لا يعرف الموحي به قبل نزوله ويقف أمام النبي ﷺ زيادة للتوثق به ثم بعد وصول الوحي للنبي ﷺ يجعل الله من بين يديه ومن خلفه رصداً حتى يبلغه للناس سليماً .

ثم بين تعالى أن النبي منتبه في جميع حالاته لا يتخيل عليه شيء حسا أو معنى في غير حقيقته ، ولا يتوهم في فهمه فقال :

١١ ﴿ما كذب﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد أنكر ﴿الفؤاد﴾ فؤاد النبي ﴿ما رأى﴾ ببصره من صورة جبريل أي لم يخالف فؤاده عينه في البصر والعرفان :

١٢ ﴿أفتمارونه﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿على ما يرى﴾ بعينه وأنتم لا ترونه في أمر جبريل وشؤون الوحي .

١٣ ﴿ولقد رآه﴾ على صورته ﴿نزلة﴾ مرة ﴿أخرى﴾ وكانت هذه المرة بعد منصرفه من مكان المكالمة الذي فرض عليه فيه الصلوات الخميس فلما توجه نازلا رأى جبريل . وذلك ليلة المعراج .

١٤ ﴿عند سدرة المنتهى﴾ لما أسرى به في السموات وهي شجرة النبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم .

١٥ ﴿عندها جنة المأوى﴾ تأوي اليها الملائكة وأرواح الشهداء أو المتقين .

١٦ ﴿اذ﴾ حين ﴿يغشى السدرة ما يغشى﴾ من طير وغيره واذ معمولة لرآه .

١٧ ﴿ما زاغ البصر﴾ من النبي ﷺ ﴿وما طغى﴾ أي ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة .

١٨ ﴿لقد رأى﴾ فيها ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ أي العظام أي بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح .

ثم بعد أن بين تعالى كيفية نزول الوحي وكيف يحميه من تغير وتبديل حتى يصل الى الناس التفت الخطاب اليهم وقال :

١٩ ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ .

٢٠ ﴿ومناة الثالثة﴾ للتين قبلها ﴿الأخرى﴾ صفة ذم للثالثة وهي أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله . ومفعول أرأيتم الأول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما لتعبدوها وتتبعوا الأساطير الموضوعة فيها وتتركوا القرآن الذي أنزله الله على الصفة المتقدمة وتطلبوا شفاعتها دون الله القادر على ما تقدم ذكره .

وكانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات يعبدون الملائكة لتشفع لهم عند الله كما يعبدون الأصنام نيابة عنها قال تعالى ردا على ذلك :

٢١ ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ .

٢٢ ﴿تلك اذا قسمة ضيزى﴾ جائرة من ضازه يضيزه اذا ظلمه وجار عليه .

٢٣ ﴿ان هي﴾ أي المذكورات ﴿الا أسماء سميتموها﴾ أي سميتم بها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ أصناما تعبدونها ، ودعوى الشفاعة من الملائكة وأنهم بنات الله ﴿ما انزل الله بها﴾ أي بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿ان﴾ ما ﴿يتبعون﴾ في عبادتها ﴿الا الظن وما تهوى الأنفس﴾ ما زين لهم الشيطان أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه بل تركوا الهدى واشتغلوا بالتمني .

٢٤ ﴿أم للانسان﴾ أي لكل أنسان ﴿ما تمنى﴾ من أن الأصنام والملائكة تشفع لهم ، أي ليس الأمر كذلك .

٢٥ ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أي الدنيا والآخرة فلا يقع فيهما الا ما يريده ولا يطلب شيء فيهما من أحد الا منه تعالى .

٢٦ ﴿وكم من ملك﴾ أي وكثير من الملائكة ﴿في السموات﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله﴾ لهم فيها ﴿لمن يشاء﴾ من عباده ﴿ويرضى﴾ عنه لقوله «ولا يشفعون الا لمن ارتضى» ومعلوم أنها لا توجد منهم الا بعد الاذن منه فيها «من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه» واذنه تعالى يتوقف على اتباع نبيه وما جاء به .

٢٧ ﴿ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ حيث قالوا هم بنات الله .

٢٨ ﴿وما لهم به﴾ بهذا المقول ﴿من علم ان﴾ ما ﴿يتبعون﴾ فيه ﴿الا الظن﴾ الذي تخيلوه ﴿وان الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم .

٢٩ ﴿فأعرض﴾ يا محمد ﴿عن من تولى عن ذكرنا﴾ القرآن ﴿ولم يرد الا الحيوة الدنيا﴾ لأن الدعوة لا تزيده إلا عنادا .

٣٠ ﴿ذلك﴾ أي طلب الحيوة الدنيا ﴿مبلغهم من العلم﴾ أي نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ وهو الاسلام ﴿وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أي عالم بهما فيجازيهما .

٣١ ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي هو مالك لذلك ومنه الضال والمهتدي ، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا﴾ من الشرك وغيره ﴿ويجزي الذين أحسنوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بالحسنى﴾ أي الجنة ، ويبين المحسنين بقوله :

شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ
وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ
شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ
إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ
إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ

٣٢ ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش﴾ من عطف الخاص على العام ، كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب ، وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصة ، وقيل ما أوجب الحد ، والفواحش هي ما فحش من الكبائر خصوصا ﴿الا اللمم﴾ هو صغائر الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع ، والمعنى لكن اللمم يغفرها باجتناب الكبائر ﴿ان ربك واسع المغفرة﴾ بذلك ، وبقبول التوبة . ثم لا يقل أحدكم صلاتنا وصيامنا وحجنا ﴿هو أعلم﴾ أي عالم ﴿بكم اذ أنشأكم من الأرض﴾ أي خلق آباكم آدم من التراب ﴿واذ أنتم أجنة﴾ جمع جنين ﴿في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم﴾ لا تمدحوها ،

فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ
ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ
ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾
وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾
مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾
وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾

أي على سبيل الاعجاب ، وأما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أي عالم ، وقيل أفعل على بابه لأن المتقين معلومون بعملهم الظاهر والله يزيد بعلمه بباطنهم والتقوى امتثال المأمورات واجتناب النواهي ، أي بالاخلاص فانه تعالى يعلم التقي منكم وغيره ، ومن لم يخلص في تقواه وطاعته فلا ينتفع بها ولا يثاب عليها بل يعاقب ، لأن الرياء يحبط العمل وهو من الكبائر .

ثم حذر تعالى من يرتد عن الدين بعد اعتناقه ، ومن لا يفي بحقوق الله التي أوجبها الله عليه وعبد غيره طلبا لشفاعة فقال :

٣٣ ﴿أفرأيت﴾ أي اعجب أيها المخاطب برؤية ﴿الذي تولى﴾ عن الايمان أي ارتد .

٣٤ ﴿وأعطى قليلا﴾ مما وجب عليه من المال مع قدرته على الوفاء بالواجب ﴿وأكدى﴾ منع الباقي مأخوذ من الكدية وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر .

٣٥ ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة ، والجواب لا ، وجملة «أعنده» المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني .

٣٦ ﴿أم﴾ بل ﴿لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ أسفار التوراة أو صحف قبلها .

٣٧ ﴿و﴾ صحف ﴿ابراهيم الذي وفى﴾ تمم ما أمر به نحو «واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن» ، وبيان ما .

٣٨ ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وأن مخففة من الثقيلة . أي أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها لأنها ذات وزر ومشغولة بنفسها .

٣٩ ﴿وأن﴾ أي أنه ﴿ليس للانسان الا ما سعى﴾ من خير فليس له من سعي غيره شيء .

٤٠ ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أي يبصر في الآخرة .

٤١ ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ الأكمل يقال جزيته سعيه وبسعيه .

٤٢ ﴿وأن﴾ بالفتح عطفا وقرىء بالكسر استئنافا وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني ﴿الى ربك المنتهى﴾ المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم .

٤٣ ﴿وأنه هو أضحك﴾ من شاء أي أفرحه ﴿وأبكى﴾ من شاء أي أحزنه .

٤٤ ﴿وأنه هو أمات﴾ في الدنيا ﴿وأحيا﴾ للبعث .

٤٥ ﴿وأنه خلق الزوجين﴾ الصنفين ﴿الذكر والأنثى﴾ .

٤٦ ﴿من نطفة﴾ مني ﴿اذا تمنى﴾ تصب في الرحم .

٤٧ ﴿وأن عليه النشأة﴾ بالمد والقصر ﴿الأخرى﴾ الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى .

٤٨ ﴿وأنه هو أغنى﴾ الناس بالكفاية بالأموال ﴿وأقنى﴾ أعطى المال المتخذ قنية .

٤٩ ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية .

٥٠ ﴿وأنه أهلك عادا الأولى﴾ وفي قراءة بادغام التنوين في اللام وضمها بلا همز ، هي قوم هود ، والأخرى قوم صالح .

٥١ ﴿وثمودا﴾ بلا صرف علم للقبيلة وقرىء بالصرف اسم للأب وهو معطوف على عاد ﴿فما أبقى﴾ منهم أحدا .

٥٢ ﴿وقوم نوح من قبل﴾ أي قبل عاد وثمود أهلكناهم ﴿انهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ من عاد وثمود لطول لبث نوح فليث نوح فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وهم مع عدم ايمانهم به يؤذونه ويضربونه .

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾
أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾
أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ
وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

٥٣ ﴿والمؤتفكة﴾ وهي قرى قوم لوط ﴿أهوى﴾ أسقطها بعد رفعها الى السماء مقلوبة الى الأرض بأمره جبريل بذلك .

٥٤ ﴿فغشاها﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿ما غشى﴾ أبهم تهويلا . وفي هود « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل » .

٥٥ ﴿فبأي آلاء ربك﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تتمارى﴾ تتشكك أيها الانسان أو تكذب . ثم عقب على مضمون السورة فقال :

٥٦ ﴿هذا﴾ محمد ﴿نذير من النذر الأولى﴾ أي من جنسهم أي رسول كالرسل قبله أرسل اليكم كما أرسلوا الى أقوامهم .

٥٧ ﴿أزفت الآزفة﴾ قربت القيامة .

٥٨ ﴿ليس لها من دون الله﴾ نفس ﴿كاشفة﴾ اي لا يكشفها ويظهرها الا هو كقوله « لا يجليها لوقتها إلا هو » .

٥٩ ﴿أفمن هذا الحديث﴾ أي القرآن الذي بين حقيقته وكيفية انزاله في أول السورة من الله الى محمد عبده بواسطة جبريل القوي الأمين ﴿تعجبون﴾ تكذيبا .

٦٠ ﴿وتضحكون﴾ استهزاء ﴿ولا تبكون﴾ لسماع وعده ووعيده .

٦١ ﴿وانتم سامدون﴾ لاهون غافلون عما يطلب منكم فيه .

٦٢ ﴿فاسجدوا لله﴾ الذي خلقكم ﴿واعبدوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها ، وهي خلق الله مثلكم . هنا موضع سجود وهي من غير العزائم .

﴿ سورة القمر مكية ﴾

هي خمس وخمسون آية وموضوعها الرئيسي ذكر آيات الرسل ومعجزاتهم الكبرى .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿اقتربت الساعة﴾ قربت القيامة ﴿وانشق القمر﴾ انفلق فلقتين على أبي قبيس وقعيقعان آية له ﷺ ولا يلتفت الى ما نقله الآحاد من العدول فان القمر انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل ولا يلزم أن يستوي الناس فيه لأنه آية ليلية وانها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي وقد سئلوا فقال اشهدوا رواه الشيخان .

٢ ﴿وان يروا﴾ الكفار ﴿آية﴾ معجزة له ﷺ ﴿يعرضوا ويقولوا﴾ هذا ﴿سحر مستمر﴾ قوي من المرة القوة أو دائم .

٣ ﴿وكذبوا﴾ النبي ﷺ ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في الباطل

وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا
أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾
۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ
وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ
أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ
عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ
ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ

﴿وكل أمر﴾ من الخير والشر ﴿مستقر﴾ بأهله في الجنة أو النار.

٤ ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ أخبار اهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿ما فيه مزدجر﴾ لهم اسم مصدر أو اسم مكان والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة .

٥ ﴿حكمة﴾ خبر مبتدأ محذوف أو بدل من «ما» أو من «مزدجر» ﴿بالغة﴾ تامة بلغت غايتها لا خلل فيها ﴿فما تغني﴾ تنفع فيهم ﴿النذر﴾ جمع نذير بمعنى منذر أي الأمور المنذرة وما للنفي أو الاستفهام الانكاري وهي على الثاني مفعول مقدم فأي اغناء تغني النذر.

٦ ﴿فتول عنهم﴾ هو فائدة ما قبله وتم به الكلام ﴿يوم يدع الداع﴾ هو اسرافيل وناصب يوم يخرجون بعد ﴿الى شيء نكر﴾ بضم الكاف وسكونها أي منكر تنكره النفوس لشدته هو الحساب والدعاء وهو: أيتها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، واللحوم المتفرقة ، والشعور المتمزقة ، ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

٧ ﴿خشعا﴾ بضم الخاء وفتح الشين المشددة . وفي قراءة «خاشعا» أي ذليلا حال ليخرجوا ﴿أبصارهم﴾ فاعل الحال ﴿يخرجون﴾ أي الناس ﴿من الأجداث﴾ القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة ، والجملة حال ثانية من فاعل يخرجون . وكذا قوله :

٨ ﴿مهطعين﴾ أي مسرعين مادين اعناقهم ﴿الى الداع يقول الكافرون﴾ منهم ﴿هذا يوم عسر﴾ أي صعب على الكافرين كما في المدثر «يوم عسير على الكافرين غير يسير» .

بعد الكلام في آية انشقاق القمر احدى العلامات الكبرى على قرب قيام الساعة وتكذيب الناس بها أتبع تعالى أمثالا من آيات الرسل السالفين وجزاء من أممهم فقال :

٩ ﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قريش ﴿قوم نوح﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿فكذبوا عبدنا﴾ نوحا ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ أي انتهروه بالسب وغيره .

١٠ ﴿فدعا ربه أني﴾ بالفتح أي بأني ﴿مغلوب فانتصر﴾ .

١١ ﴿ففتحنا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿أبواب السماء بماء منهمر﴾ منصب انصبابا شديدا .

١٢ ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾ تنبع ﴿فالتقى الماء﴾ ماء السماء والأرض ﴿على أمر﴾ حال ﴿قد قدر﴾ قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقا .

١٣ ﴿وحملناه﴾ أي نوحا ﴿على﴾ سفينة ﴿ذات الوح ودسر﴾ وهو ما يدسر به الألواح من المسامير وغيرها واحدها دسار ككتاب .

١٤ ﴿تجري بأعيننا﴾ بمرأى منا أي محفوظة ﴿جزاء﴾ منصوب بفعل مقدر. أي أغرقوا انتصارا ﴿لمن كان كفر﴾ وهو نوح عليه السلام وقرىء كفر بالبناء للفاعل . أي اغرقوا عقابا لهم .

١٥ ﴿ولقد تركناها﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿آية﴾ لمن يعتبر بها أي شاع أمرها واستمر ﴿فهل من مدكر﴾ معتبر ومتعظ بها ، وأصله مذتكر ، أبدلت التاء دالا مهملة وكذا المعجمة وأدغمت فيها .

١٦ ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي انذاري ، استفهام تقرير وكيف خبر كان وهي للسؤال عن الحال ، والمعنى حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين بنوح موقعه ، وبيان ثبوت آيته من الطوفان وكيف حصلت الى آخرها ، وحمل نوح فيها في سفينة من ألواح ودسر مع ضعفها وعظم الأمر حولها ثم قال تعالى :

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ
نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي
ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ
كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾
إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾
فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ

١٧ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ سهلناه للحفظ، أي ان كانت سفينة نوح عجيبة فليست بأعجب من القرآن الذي يسرناه للحفظ مع تضمنه جميع المعلومات والتشابه والجزالة والروعة والكثرة. قال سعيد بن جبير ليس من كتاب الله كتاب يقرأ كله ظاهرا الا القرآن. وقال غيره لم يكن هذا لبني اسرائيل ولم يكونوا يقرءون التوراة الا نظرا غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير عليهم السلام، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزيز لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت، يسر الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه، ﴿فهل من مدكر﴾ أي من طالب خير وعلم فيعان عليه، وكرر في هذه السورة للتنبيه والافهام على أنها أعظم من أية قصة ذكرت بعدها لكونها واضحة سائرة المفعول والاستفهام في فهل من مدكر بمعنى الأمر أي احفظوه واتعظوا به،

ثم بعد قصة نوح وما عقب عليها، ذكر تعالى قصة عاد فقال:

١٨ ﴿كذبت عاد﴾ نبيهم هوداً بعد أن جاءهم بآية فعذبوا ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي وقع موقعه وقد بينه بقوله:

١٩ ﴿انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ أي شديدة الصوت ﴿في يوم نحس﴾ شؤم ﴿مستمر﴾ دائم الشؤم، أي قوية، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر.

٢٠ ﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد ﴿كأنهم﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أعجاز﴾ أصول ﴿نخل منقعر﴾ منقلع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، وذكر هنا وأنث في الحاقة «نخل خاوية» مرعاة للفواصل في الموضعين.

٢١ ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾.

٢٢ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ كرر «كيف كان عذابي ونذر» للتهويل وقيل الأول لما حاق بهم في الدنيا، والثاني لما يحيق بهم في الآخرة.

ثم ذكر قصة ثمود وتكذيبهم لآية رسولهم الكبرى فقال:

٢٣ ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ جمع نذير بمعنى منذر، أي الأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح ان لم يؤمنوا به ويتبعوه.

٢٤ ﴿فقالوا أبشرا﴾ منصوب على الاشتغال ﴿منا واحدا﴾ صفتان لبشر ﴿نتبعه﴾ مفسر للفعل الناصب له. والاستفهام بمعنى النفي المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك، أي لا نتبعه ﴿انا اذا﴾ أي ان اتبعناه ﴿لفي ضلال﴾ ذهاب عن الصواب ﴿وسعر﴾ جنون.

٢٥ ﴿أألقي﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية، وادخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿الذكر﴾ الوحي ﴿عليه من بيننا﴾ أي لم يوح اليه ﴿بل هو كذاب﴾ في قوله انه أوحي اليه ما ذكر ﴿أشر﴾ متكبر بطر قال تعالى:

٢٦ ﴿سيعلمون غدا﴾ في الآخرة ﴿من الكذاب الأشر﴾ هو أم هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم صالحا.

٢٧ ﴿انا مرسلو الناقة﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا آية له ﴿فتنة﴾ محنة ﴿لهم﴾ لنختبرهم ﴿فارتقبهم﴾ يا صالح، أي انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم ﴿واصطبر﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال أي اصبر على أذاهم.

٢٨ ﴿ونبئهم أن الماء قسمة﴾ مقسوم ﴿بينهم﴾ وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها ﴿كل شرب﴾ نصيب من الماء ﴿محتضر﴾ يحضره القوم يومهم والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة.

٢٩ ﴿فنادوا صاحبهم﴾ قدارا ليقتلها ﴿فتعاطى﴾ تناول السيف ﴿فعقر﴾ به الناقة، أي قتلها موافقة لهم.

الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن
مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً
مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم
بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ
فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم
بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ
فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ
عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم
بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾
سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ

٧٠٧

٣٠ ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي انداري لهم بالعذاب قبل نزوله ، أي وقع موقعه وبينه بقوله :

٣١ ﴿انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يا بس الشجر والشوك يحفضهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم .

٣٢ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ آية حفظ القرآن أعظم من آية الناقة وما جرى فيها من وعظ وتذكر ، فهل من مدكر في ذلك فيعان على التذكر والاتعاظ .

ثم ذكر تعالى قصة قوم لوط فقال :

٣٣ ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ أي بالأمور المنذرة لهم على لسانه .

٣٤ ﴿انا ارسلنا عليهم حاصبا﴾ ريحا ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة ، الواحد دون ملء الكف ، فهلكوا ﴿الا آل لوط﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نجيناهم بسحر﴾ من الأسحار أي وقت الصبح من يوم غير معين ، ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر ، لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل ، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا قولان وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل ، وعلى الثاني بأنه منقطع ، وان كان من الجنس تسامحاً .

٣٥ ﴿نعمة﴾ مصدر أي انعاما ﴿من عندنا كذلك﴾ أي مثل ذلك الجزاء ﴿نجزي من شكر﴾ أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسله وأطاعهم .

٣٦ ﴿ولقد أنذرهم﴾ خوفهم لوط ﴿بطشتنا﴾ أخذتنا اياهم بالعذاب ﴿فتماروا﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بالنذر﴾ بانذاره .

٣٧ ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ أي أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة ﴿فطمسنا أعينهم﴾ أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فذوقوا﴾ فقلنا لهم ذوقوا ﴿عذابي ونذر﴾ أي انذاري وتخويفي أي ثمرته ونتيجته .

٣٨ ﴿ولقد صبحهم بكرة﴾ وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عذاب مستقر﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة .

٣٩ ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ .

٤٠ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ فآيته أعظم من آية طمس العيون والعذاب المستقر .

ثم ذكر تعالى قصة آل فرعون فقال :

٤١ ﴿ولقد جاء آل فرعون﴾ قومه معه ﴿النذر﴾ الانذار على لسان موسى وهرون فلم يؤمنوا بل .

٤٢ ﴿كذبوا باياتنا كلها﴾ أي التسع التي أوتيها موسى ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿أخذ عزيز﴾ قوي ﴿مقتدر﴾ قادر لا يعجزه شيء .

ثم التفت تعالى بالخطاب الى هذه الأمة فقال :

٤٣ ﴿أكفاركم﴾ يا أمة محمد ﴿خير من أولئكم﴾ المذكورين من قوم نوح الى فرعون فلن يعذبوا ﴿أم لكم﴾ يا كفار ﴿براءة في الزبر﴾ الكتب السالفة من العذاب والاستفهام في موضعين بمعنى النفي أي ليس الأمر كذلك .

٤٤ ﴿أم يقولون﴾ أي الكفار ﴿نحن جميع﴾ أي جمع ﴿منتصر﴾ على محمد .

٤٥ ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ هذا من الاخبار بالغيب وقد هزموا ببدر وغيره حتى لم يبق مشرك في جزيرة العرب .

٤٦ ﴿بل الساعة موعدهم﴾ بالعذاب ﴿والساعة﴾ أي عذابها ﴿أدهى﴾ أعظم بلية ﴿وأمر﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا .

٤٧ ﴿ان المجرمين في ضلال﴾ هلاك بالقتل وعذاب في الدنيا ﴿وسعر﴾ نار مسعرة بالتخفيف ، وقرىء بالتشديد أي مهيجة في الآخرة .

٤٨ ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ أي في الآخرة ، ويقال لهم ﴿ذوقوا مس سقر﴾ اصابة جهنم لكم .

٤٩ ﴿انا كل شيء﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خلقناه بقدر﴾ بتقدير حال من « كل » أي مقدر أو قرىء « كل » بالرفع مبتدأ خبره « خلقناه » .

٥٠ ﴿وما أمرنا﴾ لشيء نريد وجوده ﴿الا﴾ أمرة ﴿واحدة كلمح بالبصر﴾ في السرعة ، وهي قول كن فيوجد « انما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

٥١ ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية ﴿فهل من مدكر﴾ استفهام بمعنى الأمر أي اذكروا واتعظوا .

٥٢ ﴿وكل شيء فعلوه﴾ أي العباد مكتوب ﴿في الزبر﴾ كتب الحفظة .

٥٣ ﴿وكل صغير وكبير﴾ من الذنب أو العمل ﴿مستطر﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ .

٥٤ ﴿ان المتقين في جنات﴾ بساتين ﴿ونهر﴾ أريد به الجنس وقرىء بضم النون والهاء جمعا كأسد واسد المعنى أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر .

٥٥ ﴿في مقعد صدق﴾ مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل ان تسلم من ذلك وأعرب هذا خبرا ثانيا وبدلا ، وهو صادق ببدل البعض وغيره . ﴿عند مليك﴾ مثال « بالغة أي عزيز الملك واسعه ﴿مقتدر﴾ قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى و « عند » اشارة الى الرتبة والقربة من فضله تعالى . والله أعلم .

﴿ سورة الرحمن مكية ﴾

وتسمى عروس القرآن ، وهي ست أو ثمان وسبعون آية ،

وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

(٥٥) سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾

وموضوعها الرئيسي ، تعداد آلاء الله للعباد دنيا أخرى .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿الرحمن﴾ مبتدأ وخبره محذوف أي ربنا أو خبره .

٢ ﴿علم﴾ من شاء ﴿القرآن﴾ أي علم جبريل أو محمدا أو الانسان . قدم تعالى تعلم القرآن للانسان على خلقه لأن تعليمه أكبر نعم الله على الانسان بدليل قول الكافرين « يا ليتني كنت ترابا » فأكبر رحمانيته تعالى في الهداية لمن هداه بالقرآن .

٣ ﴿خلق الانسان﴾ أي الجنس .

عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾
وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ
بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾
وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾
وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ
يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

٧٠٩

٤ ﴿علمه البيان﴾ النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان، وقيل أراد به الانسان الكامل وهو محمد ﷺ علمه البيان أي بيان ما كان وما يكون عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين وبيان الأحكام من الحلال والحرام والحدود والآداب المنزلية والاجتماعية.

٥ ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ويتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب.

٦ ﴿والنجم﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿والشجر﴾ ما له ساق ﴿يسجدان﴾ يخضعان بما يراد منهما.

٧ ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ أثبت العدل أي شرعه وأمر به.

٨ ﴿ألا تطغوا﴾ أي لأجل أن لا تجوروا ﴿في الميزان﴾ ما يوزن به.

٩ ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب وهو حكم داخل في جميع أبواب الحياة فاقامة الميزان بالقسط فيها عملها على مقتضى حكم الله تعالى فيها وسنة رسول الله ﷺ.

١٠ ﴿والأرض وضعها﴾ أثبتها ﴿للأنام﴾ للخلق الانس والجن وغيرهم.

١١ ﴿فيها فاكهة والنخل﴾ المعهود ﴿ذات الأكمام﴾ أوعية جمع كم بالكسر وكمامة وعاء الطلع وغطاء النور.

١٢ ﴿والحب﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذو العصف﴾ التبن ﴿والريحان﴾ الورق أو المشموم.

١٣ ﴿فبأي آلاء﴾ نعم ﴿ربكما﴾ أيها الانس والجن ﴿تكذبان﴾ ذكرت احدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال «ما لي أراكم سكوتا؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة «فبأي آلاء ربكما تكذبان» الا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد».

١٤ ﴿خلق الانسان﴾ آدم ﴿من صلصال﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت اذا نقر ﴿كالفخار﴾ وهو ما طبخ من الطين.

١٥ ﴿وخلق الجان﴾ أبا الجن وهو ابليس ﴿من مارج من نار﴾ هو لهبها الخالص من الدخان.

١٦ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

١٧ ﴿رب المشرقين﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿ورب المغربين﴾ كذلك.

١٨ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي نعم ربكما الذي دبر لكما هذا التدبير العظيم تكذبان أي أيما في ذلك من الفوائد العظيمة التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه أو بغير ذلك؟.

١٩ ﴿مرج﴾ أرسل ﴿البحرين﴾ العذب والملح ﴿يلتقيان﴾ في رأي العين.

٢٠ ﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرته تعالى ﴿لا يبغيان﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به.

٢١ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبحجر الماء الملح في البحار وغيرها لتحفظكم من الروائح الكريهة التي تنتج من الرطوبات والأقذار ولولا ذلك الملح في البحار وغيرها لفسد لكم هواء الدنيا الذي تتنفسون به.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ
فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ
وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى
شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ
لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾
يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ
أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا
بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ
عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ

٢٢ ﴿يخرج﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿منهما﴾ من مجموعهما ﴿اللؤلؤ والمرجان﴾ خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ ومن أحدهما المرجان .

٢٣ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي أبكثرة النعم من خلق المنافع في البحر وتسليطكم عليها واخراج الحلي العجيبة أم بغيرها .

٢٤ ﴿وله الجوار﴾ السفن ﴿المنشآت﴾ المحدثات ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال عظما وارتفاعا .

٢٥ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبتلك النعم من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر تكذبان أم بغيرها .

٢٦ ﴿كل من عليها﴾ أي الأرض من الحيوان وغيره ﴿فان﴾ هالك وعبر بمن تغليبا للعقلاء .

٢٧ ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أي ذاته تعالى فهو وحده الأزلي الأبدي وما سواه فهو مخلوق وفان ولا يبقى من أعمال العباد إلا ما عمل له تعالى ﴿ذو الجلال﴾ خبر المبتدأ محذوف تقديره هو ذو الجلال والعظمة ﴿والاكرام﴾ للمؤمنين بأنعمه عليهم

٢٨ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبتلك النعم من بقاء رضا الله وفناء الكل أم بغير ذلك . وفيه ترغيب شديد للقيام بطلب ما فيه رضى الرب .

٢٩ ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ أي ينطق أو حال ما يحتاجون اليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك ﴿كل يوم﴾ وقت ﴿هو في شأن﴾ أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من احياء واماتة واعزاز واذلال واغناء واعدام واجابة واعطاء سائل وغير ذلك .

٣٠ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبهذا التدبير العظيم أم بغيره من النعم .

٣١ ﴿سنفرغ لكم﴾ سنقصد لحسابكم ﴿أيه الثقلان﴾ الانس والجن .

٣٢ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبتلك النعم من اثابة أهل الطاعة وعقوبة أهل المعصية ، أم بغيرها .

٣٣ ﴿يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا﴾ تخرجوا ﴿من أقطار﴾ نواحي ﴿السموات والأرض فانفذوا﴾ أمر تعجيز ﴿لا تنفذون الا بسلطان﴾ بقوة من الله وبرهان منه .

٣٤ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبالتنبيه على عجزكم عن شيء الا بحول من الله أم بغير ذلك .

٣٥ ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ هو لهبها الخالص من الدخان أو معه عند محاولتكما النفوذ من أقطار السموات والأرض . في الدنيا . فيه تنبيه وتحذير على محاولات الجويين في الصعود الى القمر والزهراء وغيرها فيمكن أن يصعدوا بالقوة التي سخرها الله لهم وفي حال ذلك يموت كثير منهم بالشواظ الذي يصب عليهم ولا يستطيعون رده عن أنفسهم فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش العظيم .

٣٦ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبهذا الاخبار بالغيب أم بغيره .

٣٧ ﴿فاذا انشقت السماء﴾ انفرجت أبوابا لنزول الملائكة

وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ
فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾
فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ
بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ

٧١١

﴿فكانت وردة﴾ أي مثلها محمرة ﴿كالدهان﴾ الأديم الأحمر على خلاف العهد بها وجواب «اذا» فما أعظم الهول .

٣٨ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أباخباركم بأهوال يوم الحشر. لتستعدوا له أم بغيره من النعم .

٣٩ ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان﴾ عن ذنبه ويسألون في وقت آخر كقوله تعالى «فو ربك لنسألنهم أجمعين» والجان هنا وفيما سيأتي بمعنى الجني والانس فيهما بمعنى الانسي .

٤٠ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبالاخبار بما يزجركم عن الشر المؤدي اليه أم بغيره .

٤١ ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ أي سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فيؤخذ بالنواصي والاقدام﴾ إي تضم ناصية كل منهم الى قدميه من خلف أو قدام ويلقى في النار.

٤٢ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبهذا التحذير ليتزجر به من أراد الله له الفلاح أم بغيره . ويقال لأهل النار.

٤٣ ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ في الدنيا لارتكابهم ما يقتضي التكذيب بها من جانبهم .

٤٤ ﴿يطوفون﴾ يسعون ﴿بينها وبين حميم﴾ ماء حار ﴿آن﴾ شديد الحرارة يسقونه اذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاض .

٤٥ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبهذا التحذير أم بغيره .

٤٦ ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته ﴿جنتان﴾ أي لمجموع من خاف مقام ربه على سبيل التوزيع فاحدى الجنتين للخائف الانسي والأخرى للخائف الجني فكـل خائف ليس له الا جنة واحدة وقيل لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان .

٤٧ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبهذه النعمة أي الجنتين أم بغيرها من النعم التي لا تحصى .

٤٨ ﴿ذواتا﴾ تثنية ذوات على الأصل ولامها ياء ﴿أفنان﴾ أغصان جمع فنن كطلل .

٤٩ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبوصف الجنة التي جعل له من أمثاله ما تعتبرون به أم بغيره .

٥٠ ﴿فيهما عينان تجريان﴾ قيل احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل ، وقيل احداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين ، وقيل لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فتجريان في كل مكان شاء صاحبهما وان علا مكانه .

٥١ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبتلك النعم التي ذكرها وجعل لها في الدنيا أمثالا كثيرة أم بغيرها .

٥٢ ﴿فيهما من كل فاكهة﴾ في الدنيا أو كل ما يتفكه به ﴿زوجان﴾ نوعان رطب ويابس والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو.

٥٣ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبتلك النعم التي ادخرها لكم ، أم بغيرها .

٥٤ ﴿متكئين﴾ حال عامله محذوف أي يتنعمون ﴿على فرش بطائنها من إستبرق﴾ ما غلظ من الديباج وخشن والظهائر من السندس ﴿وجنى الجنتين﴾ ثمرهما ﴿دان﴾ قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع .

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ
إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾
كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ
وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ
خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾
حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾

٥٥ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبقدرته على عطف الأغصان وتقريب الثمار أم بغيرها .

٥٦ ﴿فيهن﴾ في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قاصرات الطرف﴾ العين على أزواجهن المتكئين من الانس والجن . ﴿لم يطمثهن﴾ يفتضهن وهن من الحور المنشآت ، أو من نساء الدنيا . ﴿انس قبلهم ولا جان﴾ وهذا دليل على أن الجن يطمثون أزواجهم فان مقام الامتنان يقتضي ذلك وهذا يرد على من زعم أن الجن المؤمنين لا ثواب لهم وانما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابا . ووجهه ان الخطاب في قوله تعالى :

٥٧ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ للجن والانس للامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف ، وأخرى بمقصورات في الخيام ، وبكونهن لم يطمثهن أنس ولا جان فالواجب أن يرد كل لما يناسبه . وزوجات الدنيا يكن أبكارا في الجنة وان كن في الدنيا ثيبات ، وهذا على مذهب الجمهور من أن الجن يدخلون الجنة ويتنعمون كالانس ، وقال أبو حنيفة أن جزاءهم على طاعتهم عدم دخول النار فبعد حضورهم الموقف في القيامة يصيرون ترابا كالبهائم .

٥٨ ﴿كأنهن الياقوت﴾ صفاء ﴿والمرجان﴾ اللؤلؤ بياضا .

٥٩ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبجمالهن أم بغيره

٦٠ ﴿هل﴾ ما ﴿جزاء الاحسان﴾ بالطاعة الا الاحسان بالنعيم .

٦١ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبشيء من هذه النعم الجزيلة أم بغيرها .

٦٢ ﴿ومن دونهما﴾ أي الجنتين المذكورتين ﴿جنتان﴾ أيضا لمن خاف مقام ربه قيل الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم ، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى .

٦٣ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبشيء مما تفضل به عليكما من الجنات ، أم بغيره .

٦٤ ﴿مدهامتان﴾ سوداوان من شدة خضرتهما .

٦٥ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبشيء من صفات الجنتين أم بغيرها .

٦٦ ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ فوارتان بالماء لا ينقطعان .

٦٧ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبشيء من تلك النعم من كثرة الماء أم بغيرها .

٦٨ ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ هما منها أي فاكهة وقيل ، من غيرها .

٦٩ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبتلك الفاكهة والنخل والرمان ، أم بغيرها .

٧٠ ﴿فيهن﴾ أي الجنتين وما فيهما ﴿خيرات﴾ أخلاقا ﴿حسان﴾ وجوها .

٧١ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبخيرات حسان أم بغيرهن .

٧٢ ﴿حور﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مقصورات﴾ مستورات ﴿في الخيام﴾ من در مجوف مضافة الى القصور شبيهة بالخدور .

٧٣ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبهذه الخيام أم بغيرها .

٧٤ ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم﴾ قبل أزواجهن ﴿ولا جان﴾ .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ
وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ
رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ
بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا
ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ

٧٥ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبعدم طمثهن أم بغيره .

٧٦ ﴿متكئين﴾ أي أزواجهن واعرابه كما تقدم ﴿على رفرف خضر﴾ جمع رفرفة أي بسط أو وسائد ﴿وعبقري حسان﴾ جمع عبقرية أي طنافس أصلها من عبقر موضع كثير الجن وقرية بناؤها في غاية الحسن والعبقري الكامل من كل شيء .

٧٧ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبشيء من هذه تكذبان أم بغيرها .

٧٨ ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام﴾ أي تنزه اسم ربك يا محمد ذي الجلال أي الكبرياء والاكرام أي الانعام للمؤمنين . ختمت السورة بما بدأت به واشتملت على ذكر أنواع النعم الدنيوية والأخروية لأولياء الله الكريم .

﴿ سورة الواقعة مكية ﴾

وهي ست أو سبع أو تسع وتسعون آية وموضوعها الرئيسي البعث ، وتقسيم الناس لمراتبهم يوم القيامة ، وقراءتها كل ليلة تنفي الفاقة لقول ابن مسعود فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا» .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿اذا وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة .

٢ ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ نفس تكذب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا .

٣ ﴿خافضة رافعة﴾ أي هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ولرفع آخرين بدخولهم الجنة .

٤ ﴿اذا رجت الأرض رجا﴾ حركت حركة شديدة .

٥ ﴿وبست الجبال بسا﴾ فتتت .

٦ ﴿فكانت هباء﴾ غبارا ﴿منبثا﴾ منتشرا واذا الثانية بدل من الأولى .

٧ ﴿وكنتم﴾ في القيامة ﴿أزواجا﴾ أصنافا ﴿ثلاثة﴾ .

٨ ﴿فأصحاب الميمنة﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم . مبتدأ خبره ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة .

٩ ﴿وأصحاب المشأمة﴾ أي الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿ما أصحاب المشأمة﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار .

السَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰٓئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ
النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ
وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾
وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾
وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ الْيَمِينِ
مَآ أَصْحَٰبُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ
مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾
وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ

١٠ ﴿والسابقون﴾ الى الخير وهم الأنبياء مبتدأ ﴿السابقون﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم والخبر . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم . أهم وقيل انهم هم الانبياء وقيل : السابقون الى الايمان من كل امة . والله اعلم .

١١ ﴿أولئك المقربون﴾ .

١٢ ﴿في جنات النعيم﴾ .

١٣ ﴿ثلة من الأولين﴾ مبتدأ أي جماعة من الأمم الماضية .

١٤ ﴿وقليل من الآخرين﴾ من أمة محمد ﷺ . وهم السابقون من الأمم الماضية ، وهذه الأمة والخبر .

١٥ ﴿على سرر موضونة﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر .

١٦ ﴿متكئين عليها متقابلين﴾ حالان من الضمير في الخبر .

١٧ ﴿يطوف عليهم﴾ للخدمة ﴿ولدان مخلدون﴾ على شكل الأولاد لا يهرمون .

١٨ ﴿بأكواب﴾ أقداح لا عرا لها ﴿وأباريق﴾ لها عرا وخراطيم ﴿وكأس﴾ اناء شرب الخمر ﴿من معين﴾ أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبدا .

١٩ ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ بكسر الزاي من نزف الشارب وأنزف أي لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا .

٢٠ ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ .

٢١ ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ .

٢٢ ﴿و﴾ لهم للاستمتاع ﴿حور﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عين﴾ ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء . ومفرده عيناء كحمراء وفي قراءة بجر حور عين .

٢٣ ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ المصون .

٢٤ ﴿جزاء﴾ مفعول له أو مصدر والعامل مقدر أي جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ .

٢٥ ﴿لا يسمعون فيها﴾ في الجنة ﴿لغوا﴾ فاحشا من الكلام ﴿ولا تأثيما﴾ ما يؤثم .

٢٦ ﴿الا﴾ لكن ﴿قيلا﴾ قولاً ﴿سلاما سلاما﴾ بدل من قيلا فانه يسمعونه .

٢٧ ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ .

٢٨ ﴿في سدر﴾ شجر النبق ﴿مخضود﴾ لا شوك فيه .

٢٩ ﴿وطلح﴾ شجر الموز ﴿منضود﴾ بالحمل من أسفله الى أعلاه .

٣٠ ﴿وظل ممدود﴾ دائم .

٣١ ﴿وماء مسكوب﴾ جار دائما .

٣٢ ﴿وفاكهة كثيرة﴾ .

٣٣ ﴿لا مقطوعة﴾ في زمن ﴿ولا ممنوعة﴾ بثمن .

مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ
مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ
الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾
وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ
الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾
لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا
الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ

٣٤ ﴿وفرش مرفوعة﴾ على السرر والمقصود بالفرش هنا ما يشمل النساء ، والعرب تسمي المرأة فراشا بدليل قوله :

٣٥ ﴿أنا أنشأناهن أنشاء﴾ أي الحور العين من غير ولادة .

٣٦ ﴿فجعلناهن أبكارا﴾ عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع .

٣٧ ﴿عربا﴾ بضم الراء وسكونها جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها عشقا له ﴿أترابا﴾ جمع ترب أي مستويات في السن .

٣٨ ﴿لأصحاب اليمين﴾ صلة أنشأناهن أو جعلناهن وهم :

٣٩ ﴿ثلة﴾ أي جماعة ﴿من الأولين﴾ .

٤٠ ﴿وثلة من الآخرين﴾ .

٤١ ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ .

٤٢ ﴿في سموم﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿وحميم﴾ ماء شديد الحرارة .

٤٣ ﴿وظل من يحموم﴾ دخان شديد لسواده .

٤٤ ﴿لا بارد﴾ كغيره من الظلال ﴿ولا كريم﴾ حسن المنظر .

٤٥ ﴿انهم كانوا قبل ذلك﴾ في الدنيا ﴿مترفين﴾ منعمين نعيما انساهم ربهم وخالقهم .

٤٦ ﴿وكانوا يصرون على الحنث﴾ الذنب ﴿العظيم﴾ أي الشرك .

٤٧ ﴿وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيق وقرىء بتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين .

٤٨ ﴿أوآباؤنا الأولون﴾ بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد وفي قراءة بسكون الواو وعطفا بأو والمعطوف عليه محل ان واسمها .

٤٩ ﴿قل ان الأولين والآخرين﴾ .

٥٠ ﴿لمجموعون الى ميقات﴾ لوقت ﴿يوم معلوم﴾ أي يوم القيامة .

٥١ ﴿ثم انكم أيها الضالون المكذبون﴾ .

٥٢ ﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾ بيان للشجر .

٥٣ ﴿فمالئون منها﴾ من الشجر ﴿البطون﴾ .

٥٤ ﴿فشاربون عليه﴾ أي الزقوم المأكول ﴿من الحميم﴾ .

٥٥ ﴿فشاربون شرب﴾ بضم الشين وفتحها مصدر ﴿الهيم﴾ الابل العطاش جمع هيمان للذكر وهيمى للانثى كعطشان وعطشى .

٥٦ ﴿هذا نزلهم﴾ ما أعد لهم ﴿يوم الدين﴾ يوم القيامة .

٥٧ ﴿نحن خلقناكم﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فلولا﴾ هلا ﴿تصدقون﴾ بالبعث اذ القادر على الانشاء قادر على الاعادة .

٥٨ ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ تريقون من المني في أرحام النساء .

٥٩ ﴿أأنتم﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه في المواضع الأربعة ﴿تخلقونه﴾ أي المني بشرا ﴿أم نحن الخالقون﴾ .

٦٠ ﴿نحن قدرنا﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ﴿بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾ بعاجزين .

٦١ ﴿على﴾ عن ﴿أن نبدل﴾ أي نجعل ﴿أمثالكم﴾ مكانكم ﴿وننشئكم﴾ نخلقكم ﴿في ما لا تعلمون﴾ من الصور كالقردة والخنزير .

٦٢ ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ بسكون الشين وقرىء بفتحها أي الترابية لأبيكم آدم واللحمية لأمكم حواء والنطفية لكم وكل منها تحويل من شيء الى غيره فالذي شاهدتم قدرته على ذلك قادر على تحويلكم بعد أن تصيروا ترابا الى ما كنتم اليه أولا من الصور. ﴿فلولا تذكرون﴾ فيه ادغام التاء الثانية في الأصل في الذال .

٦٣ ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ تثيرون الأرض وتلقون البذر فيها .

٦٤ ﴿ أأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ . روى ابو هريرة رضي الله عنه : لا يقل أحدكم زرعت وليقل حرثت . فان الزارع هو الله . والمستحب لكل من يلقي البذر في الارض ان يقرأ بعد الاستعاذة : افرأيتم ما تحرثون الأيتين ثم يقول : بل الله الزارع والمنبت والمبلغ . اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين . وبارك لنا فيه يا رب العالمين . اهـ ويقال إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات :: الدود والجراد وغير ذلك ، مجرب . من تفسير القرطبي .

٦٥ ﴿لو نشاء لجعلناه حطاما﴾ نباتا يابسا لا حب فيه ﴿فظلتم﴾ أصله ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفا أي أقمتم نهارا ﴿تفكهون﴾ حذفت منه احدى التاءين في الأصل تعجبون من ذلك وتقولون :

شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾
ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ
الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ
الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾
ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ
جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾

٦٦ ﴿انا لمغرمون﴾ نفقة زرعنا .

٦٧ ﴿بل نحن محرومون﴾ ممنوعون رزقنا .

٦٨ ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون﴾ .

٦٩ ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ السحاب جمع مزنة ﴿أم نحن المنزلون﴾ .

٧٠ ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ ملحا لا يمكن شربه ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿تشكرون﴾ .

٧١ ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ تخرجون من الشجر الأخضر.

٧٢ ﴿أأنتم انشأتم شجرتها﴾ كالمرخ والعفار ﴿أم نحن المنشئون﴾ .

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ
رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥)
وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)
فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ
مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)
فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤)
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥)
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ

٧٣ ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ لنار جهنم ﴿ومتاعا﴾ بلغة ﴿للمقوين﴾ المسافرين يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال الى غير ذلك من المنافع وذكر المقوين تغليب والمقيمون كذلك يتمتعون بها من أقوى القوى أي صاروا بالقوى بالقصر والمد أي القفر وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء .

٧٤ ﴿فسبح﴾ نزه ﴿باسم ربك العظيم﴾ أي الله .

٧٥ ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ أي لا حاجة أن أقسم بها لتروا قدرتنا في آثارها لوضوح الأمر فيها أو «لا» زائدة أي أقسم بمواقع النجوم التي تدل على عظمة الله تعالى وقدرته .

٧٦ ﴿وانه﴾ أي القسم بها ﴿لقسم لو تعلمون عظيم﴾ أي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم .

٧٧ ﴿انه﴾ أي المتلو عليكم ﴿لقرآن كريم﴾ .

٧٨ ﴿في كتاب﴾ مكتوب ﴿مكنون﴾ مصون وهو المصحف أو اللوح محفوظ .

٧٩ ﴿لا يمسه﴾ خبر بمعناه أو خبر بمعنى النهي ﴿الا المطهرون﴾ أي الملائكة أو الذين طهروا أنفسهم من الكفر أو من الخبث أو من الأحداث أقوال . وقيل لا يفهمه الا المتقون .

٨٠ ﴿تنزيل﴾ منزل ﴿من رب العالمين﴾ .

٨١ ﴿أفبهذا الحديث﴾ القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ متهاونون مكذبون .

٨٢ ﴿وتجعلون رزقكم﴾ حظكم ونصيبكم منه ﴿انكم تكذبون﴾ به ولا تجعلون نصيبكم منه أن تعملوا بما فيه فتفلحوا .

٨٣ ﴿فلولا﴾ هلا ﴿اذا بلغت﴾ النفس وقت النزع ﴿الحلقوم﴾ هو مجرى الريح والنفس بالفتح .

٨٤ ﴿وأنتم﴾ يا حاضري الميت ﴿حينئذ تنظرون﴾ اليه .

٨٥ ﴿ونحن أقرب اليه منكم﴾ بالعلم ﴿ولكن لا تبصرون﴾ من البصيرة أي لا تعلمون ذلك .

٨٦ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿ان كنتم غير مدينين﴾ مجزيين بأن تبعثوا أي غير مبعوثين بزعمكم .

٨٧ ﴿ترجعونها﴾ تردون النفس الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيما زعمتم . فلولا الثانية تأكيد للأولى ، و«اذا» ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان ، والمعنى هلا ترجعونها ان نفيتم البعث صادقين في نفيه أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث .

٨٨ ﴿فأما ان كان﴾ الميت ﴿من المقربين﴾ .

٨٩ ﴿فروح﴾ أي فله استراحة ﴿وريحان﴾ رزق حسن ﴿وجنت نعيم﴾ وهل الجواب «لأما» أو «لأن» أو لهما أقوال .

٩٠ ﴿واما ان كان من أصحاب اليمين﴾ .

٩١ ﴿فسلام لك﴾ أي له السلامة من العذاب أو يقال له سلام لك أنت ﴿من أصحاب اليمين﴾ أي من أجل أنك منهم .

كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾
وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾
فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

(٥٧) سُورَةُ الحَدِيدِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ
وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ
وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

٩٢ ﴿وأما ان كان من المكذبين الضالين﴾ انما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها واشعارا بما أوجب لهم هذا العذاب يعني أن مقتضى الظاهر أن يقال وأما ان كان من أصحاب الشمال لكن عدل عنه لما ذكر :

٩٣ ﴿فنزل من حميم﴾ يشرب به بعد أكل الزقوم أي له .

٩٤ ﴿وتصلية جحيم﴾ دخول النار وهذا تهكم بهم .

ثم عقب تعالى عن مضمون السورة فقال :

٩٥ ﴿ان هذا لهو حق اليقين﴾ من أضافة الموصوف الى صفته اي ان ما ذكر من انقسام الناس الى ثلاث فرق وجزاء كل فريق عند الله هو الحق اليقين .

٩٦ ﴿فسبح﴾ يا محمد ﴿باسم ربك العظيم﴾ أي سبح باسم ربك متلبسا بحمدك له لأنه جعلك في الفريق الأعلى السابقين المقربين وجعلك ايضا أفضلهم وجعل أمتك خير أمة وتساوي جميع الأمم في الكثرة والحمد لله رب العالمين .

﴿ سورة الحديد مكية أو مدنية ﴾

وهي تسع وعشرون آية وموضوعها الرئيسي بيان الايمان اعتقادا وقولا وعملا بالأموال والأبدان في سبيل الله .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿سبح لله ما في السموات والأرض﴾ أي نزهه كل شيء والتسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه. "من سبح في الأرض والماء ذهب وأبعد فيهما وجيء « بما » دون « من » تغليبا للأكثر ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه أي لا يغلبه شيء وكل شيء يفعله بحكمة على وفق مقتضاه .

٢ ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي فانه الموحد لهما والمتصرف فيهما ﴿يحيي﴾ بالانشاء ﴿ويميت﴾ بعده ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ .

٣ ﴿هو الأول﴾ قبل كل شيء بلا بداية ﴿والآخر﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿والظاهر﴾ بالأدلة عليه ﴿والباطن﴾ عن ادراك الحواس ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ .

٤ ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ من أيام

ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٥) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٦)
ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ
فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ
لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ
عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى

الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثم استوى على العرش﴾ أكبر خلق الله استواء يليق به ﴿يعلم ما يلج﴾ يدخل في ﴿الأرض﴾ كالمطر والأموات ﴿وما يخرج منها﴾ كالنبات والمعادن ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ كالأعمال الصالحة ﴿وهو معكم﴾ بعلمه ﴿أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ .

٥ ﴿له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور﴾ الموجودات جميعها .

٦ ﴿يولج الليل﴾ يدخله ﴿في النهار﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿ويولج النهار في الليل﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات .

وبعد أن أثبت الأدلة المعقولة على وجود الله وصفاته أمر الناس بالايمان به تعالى وبرسوله فقال :

٧ ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ دوموا على الايمان أو استعملوا تلك الأدلة المذكورة لانشاء الايمان وعقب بالكلام على الانفاق في سبيل الله بالمال والنفس فقدم المال للشح به غالبا فقال : ﴿وأنفقوا﴾ في سبيل الله ﴿مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ مثل عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿لهم أجر كبير﴾ .

٨ ﴿وما لكم لا تؤمنون﴾ خطاب للكفار أي لا مانع لكم من الايمان ﴿بالله و﴾ الحال أن ﴿الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ﴾ بفتح الهمزة والخاء ونصب ما بعده وقرىء بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع ما بعده ﴿ميثاقكم﴾ عليه أي الله في عالم الذرحين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو باقراركم بكلمة الشهادتين «لا اله الا الله محمد رسول الله» فهو أخذ بميثاق الطاعة له تعالى ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ أي مريدين الايمان به فبادروا اليه .

٩ ﴿هو الذي ينزل على عبده﴾ وهو محمد ﷺ ﴿آيات بينات﴾ آيات القرآن ﴿ليخرجكم من الظلمات﴾ الكفر ﴿الى النور﴾ الايمان ﴿وان الله بكم﴾ في اخراجكم من الكفر الى الايمان ﴿لرؤوف رحيم﴾ .

مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ
الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي
يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾
يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا
نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ
مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا
بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ

١٠ ﴿وما لكم﴾ بعد ايمانكم ﴿ألا﴾ فيه ادغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض﴾ بما فيهما فيصل اليه أموالكم من غير أجر الانفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون .

ثم ذكر أجر المنفقين فقال : ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح﴾ لمكة ﴿وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد﴾ بعد فتح مكة ﴿وقاتلوا﴾ لأن الفريق الأول ما فعلوا كان قبل عزة الاسلام وعزة أهله ، فكان ذلك في وقت الحاجة الى النصرة بالنفس والمال ، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. وأما الفريق الثاني فانهم فعلوا ما فعلوا من بعد الفتح فما فعلوه كان بعد ظهور الدين ، ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة الى الناس والقتال . ﴿وكلا﴾ من الفريقين وفي قراءة بالرفع بالرفع مبتدأ ﴿وعد الله الحسنى﴾ الجنة ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم به .

١١ ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ بانفاق ماله في سبيل الله ﴿قرضا حسنا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فيضاعفه﴾ وفي قراءة فيضعفه بالتشديد ﴿له﴾ من سبعمائة الى أكثر لأن الانفاق في سبيل الله يبتدىء التضعيف فيه بسبعمائة كما ذكره في البقرة وأما الانفاق في الخير الآخر فهو من عشر كما في الانعام ﴿وله﴾ مع المضاعفة ﴿أجر كريم﴾ مقترن به رضا واقبال .

١٢ اذكر ﴿يوم﴾ متعلق بما قبله أي له أجر كريم يوم ﴿ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم﴾ أمامهم ﴿و﴾ يكون ﴿ بأيمانهم ﴾ ويقال لهم ﴿بشراكم اليوم جنات﴾ أي دخولها ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ .

١٣ ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ أبصرونا وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء أمهلونا ﴿نقتبس﴾ نأخذ القبس والاضاءة ﴿من نوركم قيل﴾ لهم استهزاء بهم ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ فرجعوا ﴿فضرب بينهم﴾ وبين المؤمنين ﴿بسور﴾ حاجب بينهما وقيل هو سور الأعراف ﴿له باب باطنه فيه الرحمة﴾ من جهة المؤمنين ﴿وظاهره﴾ من جهة المنافقين ﴿من قبله العذاب﴾ .

الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾
فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ
النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ
وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ
وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ
هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

٧٣١

١٤ ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ في الدنيا على الطاعة ﴿قالوا بلى﴾ أي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ بالنفاق ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين اللوائر ﴿وارتبتم﴾ شككتم في دين الاسلام ﴿وغرتكم الأماني﴾ الأطماع ﴿حتى جاء أمر الله﴾ الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ الشيطان .

١٥ ﴿فاليوم لا يؤخذ﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم﴾ أولى بكم ﴿وبئس المصير﴾ هي .

ومن الايمان الانقياد الباطني وهو الاخلاص أي اخلاص العمل فكأنه بعد ذكر المنافقين وعاقبة أمرهم يوم القيامة قال :

١٦ ﴿ألم يأن﴾ يحن ﴿للذين آمنوا﴾ بالله ورسوله ﴿أن تخشع قلوبهم﴾ تلين وتسكن وتخضع وتطمئن ﴿لذكر الله﴾ فيبادروا الى عمل الطاعات بالقول ﴿وما نزل﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿من الحق﴾ القرآن فيعملوا بما فيه ﴿ولا يكونوا﴾ معطوف على تخشع ﴿كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فقست قلوبهم﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ عن الطاعات لقسوة قلوبهم .

١٧ ﴿اعلموا﴾ ايها المؤمنون ﴿أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم يردها الى الخشوع بالذكر والتلاوة والعمل بالقرآن ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لكي تكمل عقولكم .

ثم عقب على ما تقدم فقال :

١٨ ﴿ان المصدقين﴾ من التصدق ادغمت التاء في الصاد أي الذين تصدقوا ﴿والمصدقات﴾ اللاتي تصدقن وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي الايمان ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ راجع الى الذكور والاناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة « أل » لأنه فيها حل محل الفعل ، وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له . ﴿يضاعف﴾ وفي قراءة يضعف بالتشديد أي قرضهم ﴿لهم ولهم أجر كريم﴾ .

١٩ ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ المبالغون في التصديق ﴿والشهداء عند ربهم﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ كاملين ﴿والذين كفروا وكذبوا

الجحيم (١٩) اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولد كمثل غيث
أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا إلا متع الغرور (٢٠) سابقوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء
والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١)
ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا
في كتب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢)
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءاتىكم
والله لا يحب كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون

بآياتنا﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ النار لا يفارقونها أبدا.

لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر أمور الدنيا بأنها مما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بأن بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال فقال:

٢٠ ﴿اعلموا أنما الحيوة الدنيا﴾ وهي كل ما لم يقصد به وجهه تعالى من عمل أو ترك وأموال وبنين ﴿لعب﴾ يتعب الناس فيه أنفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ﴿ولهو﴾ يلهون به أنفسهم ﴿وزينة﴾ كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة ﴿وتفاخر بينكم﴾ بالأنساب ﴿وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ أي الاشتغال فيها ﴿كمثل﴾ أي فهي في اعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿غيث﴾ مطر ﴿أعجب الكفار﴾ الزراع ﴿نباته﴾ الناشيء عنه ﴿ثم يهيج﴾ ييبس ﴿فتراه مصفرا ثم يكون حطاما﴾ فتاتا يضمحل بالرياح. وأما الطاعات وما يعين عليها من مال وولد فمن أمور الآخرة ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ لمن آثرها على الدنيا ثم عقب تعالى وقال: ﴿وما الحيوة الدنيا﴾ في التمتع فيها ﴿الا متاع الغرور﴾ أي الدنيا نفسها غرور لا حقيقة لها والتمتع بها هو الاغترار كطعمة تؤخذ بها شاة الى مذبحها.

ثم خص تعالى أن تكون مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه من أمور الدنيا فقال:

٢١ ﴿سابقوا﴾ أي سارعوا مسارعة المتسابقين في المضمار ﴿الى مغفرة من ربكم﴾ أي ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب ﴿وجنة﴾ وما يوجب الجنة وهو فعل الطاعات وقيل سابقوا الى ما كلفتم به فتدخل فيه التوبة وغيرها ﴿عرضها﴾ الجنة ﴿كعرض السماء والأرض﴾ لو وصلت احداهما بالأخرى والعرض أي السعة ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك﴾ وجود الجنة ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ أي فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره.

ونبه تعالى على أنه لا يجوز للمسلم المؤمن أن يترك عمل الطاعات لخوف وقوع مصيبة متوقعة بقوله:

٢٢ ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ بالجدب ﴿ولا في أنفسكم﴾ كالمرض وفقد الولد أو المال ﴿الا في كتاب﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿من قبل أن نبرأها﴾ نخلقها ويقال في النعمة كذلك ﴿ان ذلك على الله يسير﴾.

٢٣ ﴿لكيلا﴾ كي ناصبة للفعل بمعنى أن الله أخبر بذلك لئلا ﴿تأسوا﴾ تحزنوا ﴿على ما فاتكم ولا تفرحوا﴾ فرح بطر بل فرح شكر على النعمة ﴿بما آتاكم﴾ بالمد أعطاكم وقرئ بالقصر جاءكم منه ﴿والله لا يحب كل مختال﴾ متكبر بما أوتي ﴿فخور﴾ به على الناس.

وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا
مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا
ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ
مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ
وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ
رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

٢٤ ﴿الذين يبخلون﴾ بما يجب عليهم ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ به لهم وعيد شديد ﴿ومن يتول﴾ عما يجب عليه ﴿فان الله هو﴾ ضمير فصل وفي قراءة بسقوطه ﴿الغني﴾ عن غير ﴿الحميد﴾ لأوليائه الحامد لهم بالاحسان على طاعتهم واقبالهم عليه .

ثم بين تعالى فيما يأتي ان طاعته انما هي بما أنزل على رسله الى الناس فقال :

٢٥ ﴿ولقد أرسلنا رسلنا﴾ من بني آدم الى أممهم ﴿بالبينات﴾ بالحجج القواطع ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ بمعنى الكتب ﴿والميزان﴾ العدل بانزال الكتب المتضمنة له والوحي الآمر به ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أي ليتعاملوا فيما بينهم بالعدل وهو العلة . لقوله أرسلنا وأنزلنا معهم الكتاب والميزان والعدل داخل في كل شيء ، فمن عمل بمقتضى الشرع في كل شيء فقد قام بالقسط ، ومن عدل عنه فقد جار بقدر انحرافه عنه ﴿وأنزلنا الحديد﴾ أنشأناه وأخرجناه من المعادن ليقام به العدل اذ لا يبقى عدل بلا جهاد وهو آلة الجهاد كما قال تعالى : ﴿فيه بأس شديد﴾ يقاتل به فمنه الجنة آلة الوقاية ومنه السلاح ،هو آلة الضرب ﴿ومنافع للناس﴾ ما من صنعة الا والحديد آلتها ﴿وليعلم الله﴾ علم مشاهدة معطوف على ليقوم الناس ﴿من ينصره﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره ﴿ورسله بالغيب﴾ حال من هاء ينصره أي غائبا عنهم في الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إن الله قوي عزيز﴾ لا حاجة له الى النصرة لكنها تنفع من يأتي بها تشريفا لهم فقال :

٢٦ ﴿ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ يعني الكتب الأربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان فانها في ذرية ابراهيم . وفائدة تخصيص نوح وابراهيم بالذكر بعد ذكر الرسل جملة أن نوحا هو الأب الثاني لجميع البشر وابراهيم أبو العرب والروم وبني اسرائيل فكل الناس ينتسبون اليهما ﴿فمنهم﴾ أي من الذرية ﴿مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن الطاعة .

٢٧ ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ أي أرسلنا رسولا بعد رسول والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم فان الرسل المقفى بهم من الذرية ﴿وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل﴾ الكتاب الذي أرسل به وهو كتاب مثل القرآن وغير العهد الجديد الذي كتبته الرهبان بعدما أهلك اليهود الأصل ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ أي الذين كانوا على دينه يعني الحواريين وأتباعهم . والرأفة والرحمة أي المودة فكان يواد بعضهم بعضا وقيل انهم أمروا في الانجيل بالصلح ، وترك ايذاء الناس ، فألان الله قلوبهم لذلك قبل أن يحرفوا الدين ، ثم قست قلوبهم بعد التحريف ﴿ورهبانية﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع والديور والكهوف ﴿ابتدعوها﴾ زادوها من قبل أنفسهم ﴿ما كتبناها عليهم﴾ ما أمرناهم بها ﴿الا﴾ لكن فعلوها ﴿ابتغاء رضوان الله﴾ مرضاته تعالى فيه إشارة الى أن البدعة اذا دخلت في الدين أفسدته ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ اذ تركها كثير منهم وما قاموا بها حق القيام إذ شرط ابتغاء الرضوان هو اتباع الشريعة بل ضموا الى الرهبانية التثليث ، والقول بالاتحاد وقصد السمعة ، وتحريف الانجيل ، فكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم ودانوا بشرائع الروم ، وبقي على دين عيسى قليل منهم فآمنوا بنبينا محمد ﷺ ﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ به ﴿منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن الطاعة فعذبناهم في الدنيا والآخرة بسبب البدعة والزيادة في الدين .

ولما ذكر تعالى أن النصارى كانوا على دين رأفة ورحمة ثم زادوا عليه الرهبانية ففسقوا بترك رعايتها كما ينبغي نبه تعالى المؤمنين من الأمة باتباع ما أمروا به وأن لا يزيدوا فيما أمروا به شيئا فقال :

ءامنوا اتقوا الله وءامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴿٢٨﴾ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿٢٩﴾

(٥٨) سورة المجادلة مدنية
وآياتها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴿١﴾ الذين يظهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم

٢٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالله ورسله من أمة محمد ﴿اتقوا الله﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ولا تبتدعوا شيئا في عبادته ﴿وآمنوا برسوله﴾ محمد ﷺ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيبين نصيب في الدنيا وهو العزة والغلبة على الأعداء ونصيب في الآخرة وهو الجنة ﴿من رحمته﴾ تعالى فان نصيب الدنيا ونصيب الآخرة من رحمته ، ولا تنال رحمته تعالى على الدوام الا بتقواه على ما أخبر به الرسول بدون ابتداع فيه . ﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾ على الصراط باخلاصكم العمل له وتقدم أن المنافقين يطفأ نورهم على الصراط فيؤمرون بالرجوع الى الوراء حيث تغلق عليهم النار بالسور ﴿ويغفر لكم والله غفور﴾ لأهل طاعته فيما اخطأوا فيه ﴿رحيم﴾ بهم فيضعف لهم أجرهم كما تقدم في السورة .

٢٩ أعلمكم بذلك ﴿لئلا يعلم﴾ أي ليعلم ولا مزيدة وفي قراءة ليعلم باسقاطها وقيل غير زائدة فمعناها أعلمكم الله ذلك لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون الخ . ﴿أهل الكتاب﴾ التوراة والانجيل الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والمعنى أنهم ﴿لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ أي لا ينالون شيئا مما ذكره من فضله ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به ، أو لا يقدرون على شيء من فضل الله عن أن يتصرفوا في أعظمه وهو النبوة فيخصوا بها من أرادوا أو يجعلوا أجرا بدون مراعاة شروط وجوده من الايمان وعمل الطاعات على مقتضى الشرع ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ وحده ﴿يؤتيه﴾ يعطيه ﴿من يشاء﴾ من عباده فآتى الذين آمنوا بمحمد ﷺ أجرهم كفلين ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ لسعة ما عنده من ملك السموات والأرض وغيرهما .

﴿سورة المجادلة مدنية﴾

هي اثنتان وعشرون آية وموضوعها الرئيسي بيان مجلس النبي ﷺ كيف كان والآداب المرعية فيه ، وتنوع من كانوا فيه ، وسلوك كل فريق منهم .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

١ ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك﴾ أي تراجعك أيها النبي ﴿في زوجها﴾ المظاهر منها وكان قال لها أنت علي كظهر أمي وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فأجابها « حرمت عليه » على ما هو المعهود من أن الظهار موجبه فرقة مؤبدة وهي خولة بنت ثعلبة وزوجها هو أوس بن الصامت ﴿وتشتكي الى الله﴾ وحدتها وفاقتها وصبية صغارا ان ضمتهم اليه ضاعوا أو اليها جاعوا ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ تراجعكما ﴿ان الله سميع بصير﴾ عالم بالأحوال .

وهذه القصة تدل على أن مجلسه ﷺ يناله الذكر والأنثى والشريف والوضيع وفيه حرية الكلام والمراجعة وسهولة الأمر في كل شيء والأمن الكامل في مقابلته بالسؤال ﷺ وهو يصارحهم بالجواب فيما قد أنزل اليه ويكف عن الجواب فيما لم ينزل اليه حتى يعلم حكم الله فيه .

وفيما يأتي جواب عن مسألة خولة زوجة أوس قال تعالى :

إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا
مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ
يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ
مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ
وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

٢ ﴿الذين يظاهرون﴾ على وزن يقاتلون وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة بعد تشديد الظاء وفي قراءة بتشديد الظاء والهاء أصله يتظهرون أدغمت التاء في الظاء والموضع الثاني كذلك ﴿منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي﴾ بهمزة وياء وقرىء بلا ياء ﴿ولدنهم وانهم﴾ بالظهار ﴿ليقولون منكرا من القول وزورا﴾ كذبا ﴿وان الله لعفو غفور﴾ للمظاهر بالكفارة .

٣ ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ أي فيه بأن يخالفوه بامساك المظاهر منها الذي هو مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم ﴿فتحرير رقبة﴾ أي اعتاقها عليه ﴿من قبل أن يتماسا﴾ بالاستمتاع وبالوطء ﴿ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾ عالم وان وطىء المظاهر قبل الكفارة استغفر الله وأمسك عنها حتى يكفر كفارة واحدة وتقيد الرقبة بالمؤمنة كما في كفارة القتل في سورة النساء بحمل المطلق على المقيد .

٤ ﴿فمن لم يجد﴾ رقبة ﴿فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾ فان وطىء قبل تمام الشهرين فليبتدىء الكفارة وان صام بالهلال فشهرين وان ناقصين والا أتم ستين يوما ﴿فمن لم يستطع﴾ أي الصيام ﴿فاطعام ستين مسكينا﴾ عليه أي من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد . لكل مسكين مدين من غالب قوت البلد ﴿ذلك﴾ أي التخفيف في الكفارة ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي لتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم ﴿وتلك﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿حدود الله﴾ حددها لكم ﴿وللكافرين﴾ بها ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم ثم عقب على ترك الحكم بحدود الله فقال :

٥ ﴿ان الذين يحادون﴾ يخالفون ﴿الله ورسوله كبتوا﴾ أي أذلوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ في مخالفتهم رسلهم ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ دالة على صدق الرسول ومن تلك الآيات هذه حيث سألته المرأة ولم يجبها عنها الا بعد نزول الوحي فلو كان يفتري ﷺ الأحكام بنفسه لما انتظر في مثل هذه القضية حتى يعرف حكم الله فيها . ﴿وللكافرين﴾ بالآيات ﴿عذاب مهين﴾ ذو اهانة .

٦ ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا﴾ من الكفر بآيات الله ﴿أحصاه الله﴾ حفظه وكتبه بعمل الملائكة الحفظة الكرام ﴿و﴾ الحال هم ﴿نسوه﴾ لكثرته أو تهاونهم به واعتقادهم أنه لا يقع عليه حساب ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ حاضر ولا يفوته شيء وهذا تذييل مقرر لاحصائه تعالى ثم استشهد على شمول شهادته في قوله «والله على كل شيء شهيد» بقوله تعالى :

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ
ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا
جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ
لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا
فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ
فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾
إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

٧ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم﴾ بعلمه ﴿ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم﴾ بعلمه ﴿أينما كانوا﴾ أي من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فان علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت بقرب الأمكنة وبعدها ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم﴾ فكأنه تعالى يأمر أن يكون كل مجلس يجتمع فيه ثلاثة أشخاص أو أكثر أن يكون عقده للخير لأنه تعالى عالم بما يقولونه أو يفعلونه فيه.

ولما ذكر تعالى حضور علمه مع الذين يتناجون في أي مكان من البقاع استطرد في ذكر منع التناجي في مجلس الرسول الذي هو موضوع السورة فقال :

٨ ﴿ألم تر﴾ تنظر أيها المخاطب ﴿الى الذين نهوا عن النجوى﴾ في مجلس النبي ومجالس الخير التي يجتمع فيها الناس للافادة والاستفادة يمنعون بذلك انتباه عقول الناس الى ما ينفعهم من التعاليم القيمة التي يلقيها الرسول عليهم. ﴿ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾ هم اليهود نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم سرا ناظرين الى المؤمنين في المجلس ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿واذا جاؤك حيوك﴾ أيها النبي ﴿بما لم يحيك به الله﴾ وهو قولهم السام عليك أي الموت وهذا يدل على أنه لا يجوز أن يوصف النبي أو ينسب اليه شيء من الأسماء والصفات الا بما وصفه الله به في القرآن أو في حديثه ﷺ. وما نقل منه حال حياته ﴿ويقولون في أنفسهم لولا﴾ هلا ﴿يعذبنا الله بما نقول﴾ من التحية وأنه ليس بنبي ان كان نبيا هلا يعذبنا الله بما نقول. والمعنى أنهم يخافون من عذاب الله على فرض كونه نبيا لكن لا يعتقدون ذلك ولا يسلمونه. ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ هي لهم ولأمثالهم.

بعد أن ذكر تعالى حال اليهود في مجلس النبي نهى المؤمنين عن الاقتداء بهم قال :

٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾ كما تفعل أعداء الله اليهود ﴿وتناجوا بالبر والتقوى﴾ والتناجي بالبر أي الاحسان والتقوى ما رضيه الشرع وفيه اصلاح للأمة ﴿واتقوا الله الذي اليه تحشرون﴾

١٠ ﴿انما النجوى﴾ بالاثم ونحوه ﴿من الشيطان﴾ بغروره ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ ليوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم

وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟
فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ
ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ

٧٢٧

﴿وليس﴾ هو ﴿بضارهم شيئا الا باذن الله﴾ أي ارادته ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي ليثقوا به في جميع أمورهم فانه تعالى كافيهم شر من يخالفهم .

ثم تقدم في بيان آداب المجلس فقال تعالى :

١١ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا﴾ توسعوا ﴿في المجالس﴾ جمع للنبي ﷺ أو للذكر حتى يجلس من جاءكم وفي قراءة « المجلس » بالافراد ﴿فافسحوا يفسح الله لكم﴾ في الدنيا والآخرة ﴿واذا قيل انشزوا﴾ ليجلس من هو أولى منكم بالمحل لعلمه أو لعمل يعمله فيه لفائدة عامة ﴿فانشزوا﴾ أي قوموا طيبين أنفسكم بذلك لما في ذلك من المصالح ولا تضمروا حقدا ، وفي قراءة بضم الشين فيهما . ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ بالطاعة في ذلك ويرفع ﴿الذين أوتوا العلم درجات﴾ في الدنيا وفي الجنة اذا فعلتم ذلك فان الله يرفعكم بالايمان في اتباع الأمر وفي وجود العلم والعمل به « يرفع » بجزوم جواب الأمر في فانشزوا ﴿والله بما تعملون خبير﴾ عليم المطيع والعاصي ويجزي كل واحد بما صنع .

ومن آداب المجلس تعظيم النبي ﷺ بما يعود نفعه للفقراء عند ارادة مناجاته . وينهى عن الافراط في السؤال ، ويميز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا ومحب الآخرة . كما قال تعالى :

١٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول﴾ أردتم مناجاته ﴿فقدموا بين يدي نجواكم﴾ قبلها ﴿صدقة ذلك خير لكم وأطهر﴾ لذنوبكم والأمر للندب وقيل كان للوجوب فنسخ الوجوب بقوله « أأشفقتم أن تقدموا » الخ ﴿فان لم تجدوا﴾ ما تتصدقون به ﴿فان الله غفور﴾ لمناجاتكم ﴿رحيم﴾ بكم يعني فلا اثم عليكم في المناجاة من غير صدقة ثم نسخ لزوم ذلك بقوله :

١٣ ﴿أأشفقتم﴾ بتحقيق الهمزتين . وقرىء بابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي أخفتم من ﴿أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ التضييق على فقرائكم فلا يستطيعون أن يناجوا النبي مع صدق الحاجة الى ذلك ﴿فاذ لم تفعلوا﴾ الصدقة ﴿وتاب الله عليكم﴾ رجع بكم عنها ﴿فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي دوموا على ذلك ﴿والله خبير بما تعملون﴾ عالم به يجازيكم عليه .

ثم هدد تعالى من يحضر مجلس النبي لا لاستفادة لدينهم بل للتجسس فقال :

١٤ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿الى الذين تولوا﴾ هم المنافقون ﴿قوما﴾ هم اليهود ﴿غضب الله عليهم ما هم﴾ أي المنافقون ﴿منكم﴾ من المؤمنين ﴿ولا منهم﴾ من اليهود بل هم مذبذبون ﴿ويحلفون على الكذب﴾ أي قولهم انهم مؤمنون ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون فيه.

١٥ ﴿أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من المعاصي.

١٦ ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ سترا على أنفسهم وأموالهم ﴿فصدوا﴾ بها المؤمنين ﴿عن سبيل الله﴾ أي الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فلهم عذاب مهين﴾ ذو اهانة.

١٧ ﴿لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ من عذابه ﴿شيئا﴾ من الاغناء ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ اذكر:

١٨ ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له﴾ أنهم مؤمنون ﴿كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿ألا﴾ للتنبيه ﴿انهم هم الكاذبون﴾ في دعواهم أنهم مؤمنون.

١٩ ﴿استحوذ﴾ استولى ﴿عليهم الشيطان﴾ بطاعتهم له ﴿فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان﴾ أتباعه ﴿ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ لأنهم قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار المؤبدة عليهم ثم ذكر حكما عاما لجميع الكفار فقال:

٢٠ ﴿ان الذين يحادون﴾ يخالفون ﴿الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾ المغلوبين أي هم أذل الخلق وهم الكفار أجمعون سبب ذلك.

٢١ ﴿كتب الله﴾ في اللوح المحفوظ أو قضى وأقسم ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾ بالحجة أو السيف ﴿ان الله قوي عزيز﴾ لا يعارضه شيء الا خسر وفشل.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا
عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ
أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

ثم أخبر تعالى عن المؤمنين الصادقين في ايمانهم ممن اشتملت عليهم مجالس النبي ﷺ فقال:

٢٢ ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون﴾ يصادقون ويظهرون المودة مع ﴿من حاد الله ورسوله ولو كانوا﴾

كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(٥٩) سورة الحشر مدنية
وآياتها أربع وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟

المحادون ﴿آباءهم﴾ أي المؤمنين ﴿أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم﴾ بل يحاربونهم على الايمان كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ﴿أولئك﴾ الذين لا يوادون الكفار ولو كان بينهم قرابة دم قربى ﴿كتب﴾ أثبت الله ﴿في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح﴾ بنور وبرهان أو بنصر ﴿منه﴾ تعالى ﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم﴾ بطاعته ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابه ﴿أولئك حزب الله﴾ جنده تعالى في الأرض يتبعون أمره ويجتنبون نهية ﴿ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ الفائزون بخيري الدارين .

بدأت السورة بسماع الله تعالى شكوى من زدت أمرها اليه وأشكاها وبينت آداب مجلس الخيرات وارشدت الى ما يسبب فيها الخصال المفسدة وختمت برضوان الله عن المؤمنين المخلصين في ايمانهم ورضاهم عنه تعالى وبالنجاح العظيم لهم في الدنيا والآخرة.

﴿ سورة الحشر مدنية ﴾

وهي أربع وعشرون آية وموضوعها الرئيسي بيان أن نصر الله للمؤمنين وتمكينهم على الأرض ثابت .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي نزهه وقدسه عما لا يليق به تعالى وفي الاتيان بما تغليب للاكثر ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ في ملكه وصنعه . حال .

٢ ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ هم بنو النضير من اليهود لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله عند مقدمه المدينة على أن لا يكونوا عليه ولا معه فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا : هو النبي الذي نعته في التوراة لا يرد له راية ، فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ونقضوا العهد ، فركب سيدهم كعب بن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة وكان ذلك المجلس في المسجد ، وأخذوا الميثاق بين أستار الكعبة . ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فأخبر الله تعالى نبيه بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان فأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد ابن مسلمة ثم أمر رسول الله الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة ، فآذنوا بالحرب والقتال ، ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهم أن لا يخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ بأن يخرج في ثلاثة من أصحابه ويخرج إليهم ثلاثة من غلمان بني النضير وعزموا أن يخرجوا ومعهم الخناجر ليفتكوا برسول الله ومن خرج معه فكشفت امرأة مسلمة منهم أمرهم بارسال أخيها رجل من الأنصار مسلم بأنهم يريدون الغدر برسول الله ﷺ فادرك الرجل النبي ﷺ وساره بخبرهم قبل أن يصل اليهم فرجع النبي ﷺ فلما كان من الغد غزا عليهم بالكتائب ، فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب ، وأيسوا من نصر المنافقين لهم فقالوا لرسول الله ﷺ الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء ، وعلى أن لهم ما أقلت الابل من أموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر الأموال ، كل أهل بيت لهم حمل بعير ما شاءوا من متاعهم وللنبي ما بقي ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام والى اذرعات وأريحا الا أهل بيتين من أبي الحقيق وآل حي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله تعالى «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب» ﴿من ديارهم﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لأول الحشر﴾ هو حشرهم الى

الشام وآخره أن أجلاهم عمر في خلافته الى خيبر ﴿ما ظننتم﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يخرجوا﴾ لما كان بكم من ضعف وهم من القوة لكثرتهم وشدة بأسهم وقرب بني قريظة منهم وأهل خيبر أيضا غير بعيدين عنهم وكلهم أهل ملة واحدة والمنافقون من أنصارهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم﴾ خبر أن ﴿حصونهم﴾ فاعل به تم الخبر ﴿من الله﴾ من عذابه ﴿فأتاهم الله﴾ أمره وعذابه ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ﴿وقذف﴾ ألقى ﴿في قلوبهم الرعب﴾ بسكون العين وقرىء بضمها بقتل سيدهم كعب بن الأشرف بنقضه العهد وشدة غيظه على المؤمنين وكان شاعرا يهجو رسول الله والمسلمين بشعره ، فخافوا رسول الله خوفا شديدا فشرعوا ﴿يخربون﴾ بالتخفيف من أخرب وقرىء بالتشديد من خرب ﴿بيوتهم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بأيديهم﴾ بخلا بها على المسلمين ﴿وأيدي المؤمنين﴾ من خارجها للنكاية عليهم وتوسيع مجال القتال ليدخلوها ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ أي فاتعظوا بحالهم ولا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله ، والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء الى آخر ، ولهذا سميت العبرة عبرة لأنها تنتقل من العين الى الخد ، وسمي علم التعبير لأن صاحبه يتنقل من المتخيل الى المعقول ، والألفاظ عبارات لأنها تنقل المعاني من لسان القائل الى عقل المستمع ، ويقال السعيد من اعتبر بغيره لأنه يتنقل بواسطة عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره .

٣ ﴿ولولا أن كتب الله﴾ قضى ﴿عليهم الجلاء﴾ الخروج من الوطن ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بقتل وسبي كما فعل بقريظة من اليهود بعد غزوة الأحزاب بينهما سنتان ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ ما أسلم من بني النضير الا رجلان سفيان بن عمير وسعيد ابن وهب أسلما على أموالهما .

٤ ﴿ذلك بأنهم شاقوا﴾ خالفوا ﴿الله ورسوله﴾ فأصابهم ما أصابهم بذلك . ﴿ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب﴾ له فليكن كائنا من كان فله لذلك عذاب شديد . فهو وعيد مستمر .

ومن جملة ما خرب المؤمنون بأيديهم من بيوت أعداء الله اليهود قطع نخيلهم وأشجارهم ، وهو يبدو لمن لا بصيرة له بالعواقب أن ذلك ليس بصلاح وان كان فيه نكاية لهم وهو فساد لما سيصير للمؤمنين . فقال الله تعالى في ذلك :

٥ ﴿ما قطعتم﴾ يا مسلمون ﴿من لينة﴾ نخلة ﴿أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله﴾ أي خيركم في ذلك ﴿وليخزي﴾ بالاذن في القطع ﴿الفاسقين﴾ الخارجين عن طاعة الله فهو حكم عام في جواز قطع أشجار الكفار وعقر دوابهم وحرقها للنكاية .

ثم ذكر حكم الفيء بعد أن تم الجلاء فقال :

وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم
بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾
وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾
مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾
مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ

٦ ﴿وما أفاء﴾ رد ﴿الله على رسوله منهم فما أوجفتم﴾ أي لم تسرعوا يا مسلمون ﴿عليه من خيل ولا ركاب﴾ أبل أي لم تقاسوا فيه مشقة ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ فلا حق لكم ، ويختص به النبي ﷺ ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه أن لكل منهم خمس الخمس ، وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء ، فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقرهم .

٧ ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ من كل فيء رده الله الى رسوله من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق والاعادة بغير العبارة الأولى لزيادة التقرير ، ولعموم الحكم لكل فيء على هذا الشكل ، ﴿فلله﴾ يأمر فيه ما يشاء يصرف في عمارة الكعبة ، والى العساكر والثغور ، والى مصالح المسلمين ﴿وللرسول ولذي القربى﴾ يصرف لذوي القربى وهم بنو هاشم ، وبنو المطلب . لأنهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء ﴿واليتامى﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿والمساكين﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره من المسلمين

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا
مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ

٧٣١

أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس أو فقراء الحاجة وله الباقي على قدر الحاجة ﴿كي لا﴾ كي بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها ﴿يكون﴾ الفيء علة لقسمته كذلك ﴿دولة﴾ بضم الدال متداولاً فينقل الى أيد مختلفة وقرىء بفتحها أن يدور من الغني ﴿بين الأغنياء منكم وما آتاكم﴾ أعطاكم ﴿الرسول﴾ من الفيء وغيره ﴿فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ من الأخذ والقول فانتهوا عنه واجتنبوه وقال الماوردي انه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لا يأمر الا باصلاح ولا ينهى الا عن فساد. وقال المهدي وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا يوجب أن كل ما أمر النبي ﷺ هو أمر من الله تعالى وأن كانت الآية نزلت في الغنائم فمعناها عام، فجميع أوامره ﷺ ونواهيه داخلة فيها. ﴿واتقوا الله﴾ أي امتثلوا أوامره في نبيه ورسوله وانهوا عن نواهيه. ثم قال: ﴿ان الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه في أوامره أو نهيه فلينتبه العاقل لنفسه. ثم أمر تعالى المؤمنين بعد الاسلام بتقواه في كل شيء وفي أمر الغنائم في هذه الآية فقال:

٨ ﴿للفقراء﴾ متعلق بمحذوف أي اعجبوا ﴿المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ في ايمانهم حيث اختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة وذكر أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفرة في الشتاء ما له دثار غيرها وقد تركوا ديارهم وأموالهم وعشائرهم وخرجوا حبا لله ولرسوله.

٩ ﴿والذين تبوءوا الدار﴾ المدينة ﴿والايمان﴾ أي ألفوه وهم الأنصار ﴿من قبلهم﴾ المهاجرين فالتبوه وألف الايمان من قبل هجرة المهاجرين وقلوبهم عليهم ﴿يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ حسدا ﴿مما أوتوا﴾ أي آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ حاجة الى ما يؤثرون به. وروي عن ابن عمر انه قال أهدي لرجل من أصحاب رسول الله رأس شاة فقال ان أخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ثم عادت الى الأول. قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ حرصها على المال ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بما أرادوا. ويقال الشح هو أن تأكل مال أخيك ظلما فذاك البخل وبئس الشيء البخل. وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، انما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له. وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله باعطائه وقاه الله شح نفسه.

وبعد أن ذكر تعالى الصنف الأول ممن لهم الرتبة العليا في الاسلام من المهاجرين والأنصار كل بوظيفته التي قام بها أتبع من يأتي بعدهم لبيان ما لهم وما عليهم قبل الأولين الذين كانوا سلفهم. فقال:

١٠ ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ أي من بعد المهاجرين والأنصار الى يوم القيامة ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا﴾ حقدا ﴿للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم﴾ كل واحد من القائلين لهذا القول يقصد بمن سبقه من انتقل قبله من غير فاصل وينتهي الى عصر النبي ﷺ فيدخل في اخوانه الذين سبقوه بالايمان جميع من تقدم من المسلمين ولا يقصد بالذين سبقوه خصوص المهاجرين والأنصار لقصوره. وان كان هو أصل سبب النزول اذ الحكم عام أي الدعاء لكل المسلمين لجميع من تقدمه ولمن كان معه في الزمان

ثم شرع تعالى يحكي ما جرى بين الكفار اليهود من بني

لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ
لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ
لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً
فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾
لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ

النضير والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة ، وتعجيب المخاطب منها بعد حكاية أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم فقال :

١١ ﴿ألم تر﴾ تنظر أيها المخاطب ﴿الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وهم بنو النضير واخوانهم في الكفر ﴿لئن﴾ لام قسم في الأربعة ﴿أخرجتم﴾ من المدينة ﴿لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم﴾ في خذلانكم ﴿أحدا ابدا وان قوتلتم﴾ حذفت منه اللام الموطئة ﴿لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون﴾ .

١٢ ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم﴾ أي جاءوا لنصرهم ﴿ليولن الادبار﴾ واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة ﴿ثم لا ينصرون﴾ أي اليهود .

١٣ ﴿لأنتم أشد رهبة﴾ خوفا ﴿في صدورهم﴾ أي المنافقين ﴿من الله﴾ أي أن رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله أي لا يقدرون على مقابلتكم لأنكم أشد رهبة في صدورهم من كل شيء ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ لا يفهمون والا لما خافوا المخلوق أشد مما خافوا الخالق .

١٤ ﴿لا يقاتلونكم﴾ أي اليهود ﴿جميعا﴾ مجتمعين ﴿الا في قرى محصنة أو من وراء جدر﴾ جمع جدار وهو السور وفي قراءة جدار ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي فعجزهم عن قتالكم ليس لجبنهم بل هم في غاية القوة والشجاعة اذا حارب بعضهم بعضا وأما اذا حاربوكم فيضعفوا ويجبنوا للرهبة التي في قلوبهم منكم ﴿تحسبهم جميعا﴾ مجتمعين ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة خلاف الحسبان ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ مثلهم في ترك الايمان وما سيحصل عليهم من ذلك من القتل والأسر والهزيمة في الدنيا .

١٥ ﴿كمثل الذين من قبلهم قريبا﴾ بزمن قريب وهم أهل بدر من المشركين ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ عقوبته في الدنيا من قتل وغيره ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة . مثلهم أيضا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم .

١٦ ﴿كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال﴾ الشيطان له استهزاء وسخرية به ﴿اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين﴾ هكذا يصور الشيطان للانسان عملا سيئا ويريه أنه ناصره ان تحصل شيء يؤذيه وأن في ارتكابه راحة وتمتعاً لنفسه حتى اذا اغتر الانسان وارتكب الجريمة يتركه الشيطان بعد أن يستهزيء به . ويروى أن راهبا يسمى برصيصا العابد نزلت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان ووطئها فحملت ثم قتلها خوفا من أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضوعها فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له أن ينجيه منهم فسجد له فتبرأ منه .

عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟
ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٧) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ
أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ
ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠)
لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ
إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ

١٧ ﴿فكان عاقبتهما﴾ أي الغاوي والمغوي بالنصب خبر كان وقرىء بالرفع اسمها ﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ الكافرين أي جزاؤهم الخذلان .

ولما انقضى وصف المنافقين واليهود بالخذلان وعظ تعالى المؤمنين لأن الموعظة بعد المصيبة أوقع في النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب فقال :

١٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ ليوم القيامة ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون﴾ .

١٩ ﴿ولا تكونوا﴾ في ترك الطاعة ﴿كالذين نسوا الله﴾ عذابه فتركوا الطاعة التي يقتضيها ذكره ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ أن يقدموا لها خيرا فأضاعوا العمر في الباطل وماتوا فدخلوا النار ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن طاعة الله وأما من اتقى الله وما نسيه وقدم لنفسه فهو من أصحاب الجنة .

ثم قارن بين الفريقين فقال :

٢٠ ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ الناجحون حيث استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة وأولئك استعملوا نفوسهم في المهانة والشهوات فاستحقوا النار. ومن ثم رق ولطف استدلال أصحابنا المالكية بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر الا في الغيلة والحرابة .

ولما انهى تعالى الكلام على ما تضمنت السورة من الحكم الالهية كيف هيأ قلوب المهاجرين والأنصار لقبول الحق في وقت الشدة ، وصبروا حتى فتح لهم وأغناهم بأموال الكفار على غير حول منهم ولا قوة ورفع من بعدهم بالاقتداء بهم وأذل من خالفهم بالهوان والعذاب بين أنه يجب على من له أدنى عقل أن يعظم كلامه بالطاعة

٢١ ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ الذي هو كلامنا المشتمل على الحق ﴿على جبل﴾ وجعل فيه تمييز كالانسان ﴿لرأيته خاشعا متصدعا﴾ متشققا وترك الصلبة والقساوة ﴿من خشية الله وتلك الأمثال﴾ المذكورة في هذه السورة من اثبات الحق وازهاق الباطل ﴿نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ فيؤمنون .

ولما وصف تعالى القرآن بالعظم ومعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمته تعالى فقال الذي القرآن كلامه :

٢٢ ﴿هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة﴾ السر والعلانية ﴿هو الرحمن الرحيم﴾ .

٢٣ ﴿هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿السلام﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿المؤمن﴾ المصدق رسله بخلق المعجزة لهم ﴿المهيمن﴾ من هيمن يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء أي الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿العزيز﴾ القوي ﴿الجبار﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿المتكبر﴾ عما لا يليق به ﴿سبحان الله﴾ نزه نفسه ﴿عما يشركون﴾ به .

ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ
لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(٦٠) سُورَةُ ٱلْمُمْتَحِنَةِ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ
يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ
خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟

٢٤ ﴿هو الله الخالق البارىء﴾ المنشيء من البرىء وهو التراب ﴿المصور له الأسماء الحسنى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث التي لا يدعوه بها أحد الا أحسن له بها والحسنى مؤنث الأحسن أي يستجاب بها له ﴿يسبح له ما في السموات والأرض﴾ طوعا وكرها ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ تقدم أولها فختمت بما بدأت به واشتملت على دلائل العزة والحكمة لله تعالى ونصره المؤمنين وخذله الكافرين .

﴿ سورة الممتحنة مدنية ﴾

وهذه ثلاث عشرة آية وموضوعها الرئيسي العدالة في الاسلام في معاملة الكفار الحربين وأهل الذمة منهم .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

١ ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم﴾ أي الكفار ﴿أولياء تلقون﴾ توصلون ﴿اليهم بالمودة﴾ بينكم وبينهم بعد أن أظهروا لكم العداوة لايمانكم بي أي لا يليق بكم . ذلك مثل ما روي أن النبي ﷺ قصد غزو أهل مكة فأمره الى أصحابه ووارى بحنين فكتب حاطب بن أبي بلتعة اليهم كتابا بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين وهو حليف لقريش من أهل يمن فأراد أن يحفظ بذلك أهله في قريش مع ايمانه أنهم كفار لا يغلبون الله ورسوله . فاسترد النبي ﷺ الكتاب ممن أرسله معه باعلام الله تعالى له بذلك وقبل عذر حاطب فمنع الله المؤمنين عن عمل مثل هذه المواصلة بالمودة بين الفريقين وبين سبب المنع بقوله تعالى ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ أي دين الاسلام والقرآن ﴿يخرجون الرسول واياكم﴾ من دياركم بتضييقهم عليكم ﴿أن تؤمنوا﴾ أي لأجل أن آمنتم . وجعله مضارعا لبيان أنه صفة للكفار مستمرة بالنسبة الى المسلمين حيث وجدوا لذلك سبيلا ﴿بالله﴾ متعلق بأن تؤمنوا أي لايمانكم بالله لا لشيء آخر ﴿ربكم﴾ نعت لله أي الذي يستحق أن تؤمنوا به لكونه ربكم وخالقكم . ﴿ان كنتم خرجتم جهادا﴾ للجهاد ﴿في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ وجواب الشرط دل عليه ما قبله أي فلا تتخذوهم أولياء ﴿تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم﴾ أي الاسرار بالمودة بكشف أخبار المسلمين اليهم أو بأي عمل يساعدهم ضد المسلمين ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط .

لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ
وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ
أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ
مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ
وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ
لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ

٢ ﴿ان يثقفوكم﴾ يظفروا بكم ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ يظهروا العداوة لكم ﴿ويبسطوا اليكم أيديهم﴾ بالقتل والضرب ﴿وألسنتهم بالسوء﴾ بالسب والشتم ﴿وودوا﴾ تمنوا ﴿لو تكفرون﴾

٣ ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ قراباتكم ﴿ولا أولادكم﴾ المشركون الذين لأجلهم أسررتم المودة بينكم وبينهم طمعا أن يحفظوكم فيهم فلا ينفعونكم من العذاب لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿يوم القيامة يفصل﴾ الله بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿بينكم﴾ وبينهم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار ﴿والله بما تعملون بصير﴾ .

٤ ﴿قد كانت لكم أسوة﴾ بضم الهمزة وقرىء بكسرها في الموضعين قدوة ﴿حسنة في ابراهيم﴾ أي به قولا وفعلا ﴿والذين معه﴾ من المؤمنين ﴿اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا﴾ جمع بريء كظريف ﴿منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ أنكرناكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية واوا ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ مستثنى من أسوة أي ليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار وقوله ﴿وما أملك لك من الله﴾ أي من عذابه وثوابه ﴿من شيء﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه وان كان من حيث الظاهر مما يأتسي فيه: قل فمن يملك من الله شيئا . واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر له في براءة ﴿ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير﴾ من مقول الخليل ومن معه أي قالوا :

٥ ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ أي تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا أي تذهب عقولهم بنا ﴿واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم﴾ في ملكك وصنعك .

٦ ﴿لقد كان لكم﴾ يا أمة محمد جواب قسم مقدر ﴿فيهم أسوة حسنة لمن كان﴾ بدل اشتمال منكم باعادة الجار ﴿يرجو الله واليوم الآخر﴾ أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب ﴿ومن يتول﴾ عن التأسي بابراهيم وأمته بأن يوالي الكفار ﴿فان الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ لأهل طاعته . ثم بشر الله المؤمنين بأن العداوة بينهم وبين الكفار مؤقتة فقال :

٧ ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ من كفار مكة طاعة لله تعالى ﴿مودة﴾ بأن يهديهم للايمان فيصيروا لكم أولياء ﴿والله قدير﴾ على ذلك وقد فعله بعد فتح مكة ﴿والله غفور﴾ لهم ما سلف ﴿رحيم﴾ بهم .

٨ ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم﴾ من الكفار ﴿في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾ بدل اشتمال من «الذين» ﴿وتقسطوا﴾ تقضوا ﴿اليهم﴾ بالقسط أي العدل وقيل تصلوا اليهم باعطائهم قسطاً أي جزءاً من أموالكم على جهة صلة الرحم وأما العدل فانه واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ العادلين .

٩ ﴿انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا﴾ عاونوا ﴿على اخراجكم أن تولوهم﴾ بدل اشتمال من «الذين» أي أن تتخذوهم أولياء ﴿ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون﴾ فيه مراعاة معنى «من» بعد مراعاة لفظها . أي ظلموا لأنهم جعلوا الاحسان في غير موضعه حيث تولوا الكفار الذين قاتلوهم أو عاونوا غيرهم على اخراجهم من بيوتهم .

ومن عدل المعاملة في الاسلام أن لا تقبل امرأة بخروجها من زوجها أو أهلها الا بحق ثابت وهو قوله :

١٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات﴾ بألسنتهن ﴿مهاجرات﴾ من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم الى المؤمنين يرد ﴿فامتحنوهن﴾ بالحلف أنهن ما خرجن الا رغبة في الاسلام لا بغضا لأزواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان ﷺ يحلفهن وكانت نساء الكفار اذا أرادت واحدة اضرار زوجها قالت له : سأهاجر الى رسول

فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟
إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ
ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ
وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ
ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ
فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ
لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

الله فكفهن بالامتحان عن ذلك . والامتحان يبين الظاهر ﴿الله أعلم بايمانهن﴾ حقيقة اذ الباطن لا يعرفه الا هو رب العباد ﴿فان علمتموهن﴾ ظننتموهن بالحلف ﴿مؤمنات فلا ترجعوهن﴾ تردوهن ﴿الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ لأنه لا تناكح بين المسلمين والكفار الا ما استثنى من زواج الكتابيات الأحرار منهن ﴿وآتوهم﴾ أي اعطوا الكفار ﴿ما أنفقوا﴾ عليهن من المهور ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ بشرطه ﴿اذا آتيتموهن

وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟
مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ
فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا
جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا
وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ
فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ
أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

أجورهن﴾ مهورهن ﴿ولا تمسكوا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿بعصم الكوافر﴾ زوجاتكم لقطع اسلامكم لها بشرطه أو اللاحقات بالمشركين مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿واسئلوا﴾ اطلبوا ﴿ما أنفقتم﴾ عليهن من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجهن من الكفار ﴿وليسألوا ما أنفقوا﴾ على المهاجرات كما تقدم انهم يؤتونه ﴿ذلكم﴾ الحكم المذكور في هذه الآيات ﴿حكم الله يحكم بينكم﴾ به ﴿والله علم حكيم﴾ يعمل أعماله بعلم لحكمة تقتضي ذلك فتجب المبادرة الى قبول أوامره تعالى

١١ ﴿وان فاتكم شيء من أزواجكم﴾ أي واحدة فأكثر منهن أو شيء من مهورهن بالذهاب ﴿الى الكفار﴾ مرتدات ﴿فعاقبتم﴾ فغزوتم ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم﴾ من الغنيمة ﴿مثل ما أنفقوا﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الايتاء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم. ثم استطرد السياق الى ذكر مبايعة النساء للنبي ﷺ لأن مضمون المبايعة يتطلب منهن العدل والقسط والعدل لأزواجهن وأهلهن والمجتمع الاسلامي فقال :

١٢ ﴿يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن﴾ كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات أي يدفنهن أحياء خوف العار والفقر ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ أي بولد ملقوط ينسبنه الى الزوج ووصفه بصفة الولد الحقيقي فان الأم اذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ أي فعل معروف شرعا وعرف حسنه من قبل الشرع وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والاحسان الى الناس وكل ما أمر به الشرع أو نهى عنه كالنياحة وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه ﴿فبايعهن﴾ فعل ذلك ﷺ بالقول ولم يصافح واحدة منهن ﴿واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم﴾ أي هو متصف بالغفران والرحمة يغفر لهن ما سلف أو أخطأن فيه ويرحمهن ويثيبهن .

ثم عقب عن جميع ما تقدم في السورة بقوله تعالى :

١٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾ هم اليهود سموا المغضوب عليهم لأنهم عرفوا الحق وأنكروه وكذلك من اتخذ طريقهم في ذلك ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ أي من ثوابها مع يقينهم بها لعنادهم وكذبوا النبي مع علمهم بصدقه ﴿كما يئس الكفار﴾ الكائنون ﴿من أصحاب القبور﴾ أي المقبورين من خير الآخرة اذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون اليه من النار وقيل معنى كما يئس الكفار أي الأحياء من الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا اليهم قاله الحسن وقتادة وقال مجاهد المعنى كما يئس الكفار الذين في القبور أن يرجعوا الى الدنيا والله أعلم .

افتتحت السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء وختمت بمثل ذلك تأكيدا لعدم موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عنها وهو على منوال رد العجز على الصدر من حيث المعنى . والله أعلم وأحكم .

﴿ سورة الصف مدنية ﴾

وهي أربع عشرة آية وموضوعها الرئيسي بيان الجهاد وصدق الوعد فيه وفوائده للأمة الاسلامية .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

١ ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي نزهه فجيء «بما» دون «من» تغليبا للأكثر ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون﴾ في طلب الجهاد ﴿ما لا تفعلون﴾ اذ انهزمتم بأحد .

٣ ﴿كبر﴾ عظم ﴿مقتا﴾ تمييز ﴿عند الله أن تقولوا﴾ فاعل كبر ﴿ما لا تفعلون﴾ . أي إن الله يبغض القول بلا فعل .

٤ ﴿ان الله يحب﴾ ينصر ويكرم ﴿الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ حال أي صافين ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ ملزق بعضه على بعض ثابت وهذا تعليم للمسلمين كيفية الاستعداد لمقابلة العدو بأن يكونوا صفا وحثهم على ذلك بأن الله يساعد من يفعله وينصره . ولم تكن هذه الكيفية قبل الاسلام معروفة عند القتال .

من شروط النجاح في الحرب تعظيم الرئيس القائد الأعلى وحفظه سرا وعلنا عما يؤذيه قال الله تعالى :

٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني﴾ طعنوا في جسمه وقالوا انه آدر أي منتفخ الخصية وليس كذلك واذا اتصلت الاذاية الى الطعن في جسمه فهي في غيره أشد ، وكذبوه ﴿وقد تعلمون أني رسول الله اليكم﴾ الجملة حال والرسول يحترم ﴿فلما زاغوا﴾ عدلوا عن الحق بايذائه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أمالها عن الهدى وعن اكتساب المكارم بالجهاد وغيره من أعمال الخير اذ هدموا أساس البناء بترك تعظيم القائد الأعلى ، فلم ينجحوا في حياتهم الدنيا والأخرى ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الذين يخرجون عن طريق الحق أي الكافرين بأمره ونهيه لا يهديهم الى ما يرفع شأنهم من الجهاد وغيره .

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعَ عَشْرَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا
تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ④ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي

إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ
مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ
فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى
ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ
لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ
عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ

٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل﴾ لم يقل يا قوم لأنه لا أب له فيهم وان كانت أمه منهم وهي من أشرفهم نسبا أو انما ناداهم باسم جدهم اسرائيل تلطفا وطلبا أن يصغوا لمداع بدعوهم بدعوته الى الله ﴿اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي﴾ قبلي ﴿من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ يحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبني للفاعل أي أكثر حامدية لله تعالى من غيره أي كونه حامدا لله ويحتمل أن يكون من المفعول أي أكثر محمودية من غيره أي كون الخلق يحمدونه أكثر من كونهم يحملون غيره وقد ذكر عيسى هذا الاسم على حمد لان كونه حامداً لله سابق على حمد الخلق له لأنهم لم يحمدوه الا بعد وجوده في الخارج وحمده لله قبل حمد الناس له ، ولأن أحمد هو المذكور في الانجيل واسمه ﷺ عند أهل السماء أحمد اشهر من محمد . قال تعالى ﴿فلما جاءهم﴾ جاء أحمد المبشر به لبني اسرائيل ليؤمنوا به ان جاءهم ليقتدي بهم غيرهم في ذلك فيشرقوا ﴿بالبينات﴾ الآيات والعلامات ﴿قالوا هذا﴾ أي المجيء به ﴿سحر﴾ وفي قراءة ساحر أي الجائي به ﴿مبين﴾ بين .

٧ ﴿ومن أظلم﴾ أي لا أحد أشد ظلما ﴿ممن افترى على الله الكذب﴾ بنسبة آياته الى افتراء أحد من الخلق أو بإذاية رسله وتكذيبهم لابطال ما جاءوا به من الحق ﴿وهو يدعى الى الاسلام﴾ الاستسلام لله ولما يأمر به من أمر الجهاد وغيره لفائدة ترجع نفعها اليه أي المدعو المفتري ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الكافرين .

٨ ﴿يريدون ليطفئوا﴾ منصوب بأن مقدرة ﴿نور الله﴾ شرعه وبراهينه ﴿بأفواههم﴾ بأقوالهم أنه سحر وشعر وكهانة ﴿والله متم﴾ مظهر ﴿نوره﴾ بالكسر بالاضافة وفي قراءة بتنوين متم ونصب نوره ﴿ولو كره الكافرون﴾ ذلك وكراهة اتمام النور كفران نعمة الله .

٩ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره﴾ يعليه ﴿على الدين كله﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك فان كراهة دين الحق الذي تضمنته كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله، شرك ولذلك ولو كره المشركون وعلو الاسلام على جميع الأديان معلوم بالضرورة فغير المسلم يعرف بالضرورة أن الاسلام أرفع من دينه ولا يمنعه الرجوع اليه الا صد الشيطان له عنه .

ولما أخبر الله أنه يتم نوره ولو كره الكافرون وكذلك يعلي دينه أي الاسلام على جميع الأديان ولو كره المشركون فلا حاجة من جهة الله في الجهاد لذلك ولكن جعل الجهاد على جهة التكليف الذي يسعد به من قام به ويشقى بتركه من لم يطع أمر الله فيه قال تعالى :

١٠ ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿من عذاب أليم﴾ مؤلم فكأنهم قالوا نعم فقال :

١١ ﴿تؤمنون﴾ أي تدومون على الايمان ﴿بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ قدم الأموال على النفس لعزتها أو لانها قوام النفس أو لأنها التي يبدأ بها في الانفاق . هذا بمنزلة الثمن الذي يدفعه المشتري في التجارة ﴿ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم فافعلوه .

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ
أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت
طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

(٦٢) سُورَةُ الجُمُعَةِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ

٧٤٠

١٢ ﴿يغفر﴾ جواب شرط مقدر أي ان تفعلوه يغفر الخ وهو بمنزلة المبيع الذي يأخذه المشتري من البائع في مقابلة الثمن المدفوع له ﴿لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ اقامة ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ الربح الكبير في التجارة .

١٣ ﴿و﴾ يؤتكم نعمة ﴿أخرى تحبونها﴾ تفضلا منه وهي ﴿نصر من الله﴾ لكم على أعدائكم ﴿وفتح قريب﴾ على البلاد وتغلبوا أهلها الكفار فمن ذلك فتح مكة وفارس والروم وغيرها في مدة قليلة ويقال انهم فتحوا الأرض المعمورة في أقل من نصف قرن ﴿وبشر المؤمنين﴾ بالنصر والفتح وان ذلك مستمر ما داموا على الحق كما أمروا به .

تقدم أن الله هو الذي يتم نوره ويعلي دينه على سائر الأديان وانما الجهاد تكليف من تكاليف الشريعة التي يكون لحفظها نصر الله فلذلك قال :

١٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ بالاضافة وفي قراءة بنصب انصارا ورد الالف الى ما قبلها وجر اسم الجلالة باللام بحفظ شرائعه من ضمنها الجهاد الذي هو سنام قوامها كما في حديث ذكره النبي ﷺ ، أقول لكم هذا ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾ أصحابه ﴿من أنصاري الى الله﴾ أي من الأنصار الذين يكونون معي متوجها الى نصرة الله وفي اتمام نوره واعلاء دينه ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ والحواريون أصفياء عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿فآمنت طائفة من بني اسرائيل﴾ بعيسى فسموا نصارى ﴿وكفرت طائفة﴾ منهم فبقوا على يهوديتهم كفارا فاقتتلت الطائفتان المؤمنة والكافرة ﴿فأيدنا الذين آمنوا﴾ من الطائفتين ﴿على عدوهم﴾ الطائفة الكافرة ﴿فأصبحوا﴾ أي المؤمنون ﴿ظاهرين﴾ غالبين لتمسكهم بأمر الله بالجهاد وغيره . وهكذا أنتم أمة محمد اذا جاهد المؤمنون منكم الكافرين يظهرون عليهم بالوعد من الله الثابت . ولا تجد لسنته تبديلا .

﴿ سورة الجمعة مدنية ﴾

وهي احدى عشرة آية وموضوعها الرئيسي بيان أن العمل بما أنزل الله يعلي درجة الناس وترك العمل به يذلهم ويكلفهم مشقة فوق العادة بلا فائدة .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم﴾

١ ﴿يسبح لله﴾ ينزهه ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾

ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ
فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾
مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟
إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ
ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

في ذكر «ما» تغليب للأكثر ﴿الملك﴾ الذي له التصرف كما شاء ﴿القدوس﴾ المنزه عما لا يليق به ﴿العزيز الحكيم﴾ في ملكه وصنعه .

٢ ﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ العرب والأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ كتابا أي ولا يعرفون شيئا من الهدى ﴿رسولا منهم﴾ أي من جملتهم ومن نسبهم وأميا مثلهم وذلك أقرب الى صدقه فيما جاء به وهو محمد ﷺ ﴿يتلو عليهم آياته﴾ القرآن ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من الشرك ويحملها على ما يصيرون به أذكياء من حيث العقائد ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وان﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وانهم ﴿كانوا من قبل﴾ قبل مجيه ﴿لفي ضلال مبين﴾ بين .

٣ ﴿وآخرين﴾ عطف على الأميين أي الموجودين ﴿منهم﴾ والآتين منهم ﴿لما﴾ لم ﴿يلحقوا بهم﴾ في السابقة والفضل في الاسلام وهذا النفي مستمر دائما لأن الصحابة رضي الله عنهم لا يلحقهم ولا يساويهم في شأنهم أحد من التابعين ولا ممن بعدهم فالمنفي هنا غير متوقع الحصول واستعمال لما يدل على استغراق النفي في الأزمان المستقبلة ﴿وهو﴾ أي الله ﴿العزيز الحكيم﴾ في ملكه وصنعه يرفع من يشاء بما شاء والاقتصار على الصحابة ومن بعدهم وهم التابعون كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم ممن بعث اليهم وآمنوا به من جميع الانس والجن الى يوم القيامة لأن كل قرن خير ممن يليه .

٤ ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ النبي ومن ذكر معه ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ فمن فضله ارشاد من يشاء من الناس فيوفقه لاتباع الهدى ثم يثيبه بالدرجات العلى في الدنيا والآخرة .

من شرط نيل العلى بالعلم والعمل به ومن وجد علما ولم يعمل بمقتضاه زاده العلم مشقة في الحياة ويصير الجاهل أفضل منه فاليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ضرب الله بهم مثلا ليعظ هذه الأمة عن الاقتداء بهم فقال :

٥ ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ كلفوا العمل بها ﴿ثم لم يحملوها﴾ لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يؤمنوا به ولا بالأحكام المكتوبة بها من الأوامر والنواهي ولم يعملوا بها ﴿كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾ كتبا في عدم انتفاعه بها وفي حمل المشقة والتعب وطمس البصيرة لأن الحمار أبلد الحيوان فخص بالذكر لأنه في غاية الغباوة ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ المصدقة للنبي محمد ﷺ أو بترك العمل بها لأن ترك العمل بالحكم تكذيب له والمخصوص بالذم محذوف تقديره ، هذا المثل ، ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الكافرين .

فمن عرف الحق وترك العمل به فهو ظالم .

ولما كانت اليهود عندهم كتاب التوراة دون الناس يرون أنفسهم أولياء لله وان لم يعملوا بما أنزل اليهم . فرد الله ذلك وبين أن شرف الولاية بالعمل لا بالتمني فقال :

٦ ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ هدنا الى الله أي تبنا الى الله ، فهو استهزاء بهم بقولهم هذا اذ لم يعملوا بمقتضاه ﴿ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين﴾ تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد في الثاني أي ان صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله والولي يؤثر الآخرة ومبتدؤها الموت فتمنوه .

٧ ﴿ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ من كفرهم بالنبي وعدم عملهم بما في التوراة المستلزم لكذبهم فظلموا بذلك ﴿والله عليم بالظالمين﴾ الكافرين . بافتراء الكذب على الله وبدل أن يتمنوا الموت يكرهونه ويهربون من أسبابه فقال تعالى مخاطبا للنبي ﷺ .

وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ
ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾
فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ
ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟
تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

(٦٣) سورة المنافقون مدنية
وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ

٨ ﴿قل ان الموت الذي تفرون منه فانه﴾ فالفاء داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط ﴿ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة﴾ السر والعلانية ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم به

لما بين الله أن ذل اليهود هو بترك العمل بما أنزل اليهم من الكتاب وحملوه ولم يحملوه نبه المسلمين بالنداء وأمرهم بالعمل . ومن ذلك أهمية الصلاة يوم الجمعة فقال :

٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من﴾ بمعنى في ﴿يوم الجمعة﴾ بالضمة في الميم وقرىء بالسكون على الاصل انما سمي يوم الجمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة . وقيل «من» على بابه لبيان التبعيض «اذا نودي» أي حين نودي من يوم الجمعة وهو عيد المسلمين الاسبوعي . وأفضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار قلت فضل اليوم لا يفضل العمل المطلوب فيه الا بنص من الشارع فحضور صلاة الجمعة فرض عين لمن وجبت عليه الجمعة بقوله تعالى ﴿فاسعوا﴾ فامضوا ﴿الى ذكر الله﴾ أي الصلاة ﴿وذروا البيع﴾ أي اتركوا عقده الشامل لكل عمل غير عمل الصلاة ﴿ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ انه خير فافعلوه .

١٠ ﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ أمر اباحة ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿من فضل الله﴾ للتجارة والتصرف في حوائجكم . هذا هو الفرق بين الاسلام وغيره فالاسلام جمع الدنيا والآخرة فصار حكمهما في الشرع واحد فكل عمل في الاسلام على مقتضى الشريعة عبادة فلا عطلة في الاسلام الا بقدر الرغبة والحاجة بخلاف باقي الاديان فالسبت عند اليهود محرم فيه العمل الا للعبادة وكذلك الأحد عند النصارى . فالمسلم كل عمله اذا عمله بمقتضى الشريعة فهو عبادة ولذلك قال الله تعالى ﴿واذكروا الله﴾ ذكرا ﴿كثيراً لعلكم تفلحون﴾ تفوزون في جميع أعمالكم .

ثم بين الله تعالى وقت حرمة العمل لغير الصلاة في الجمعة هو من النداء أي الثاني الذي كان في أيام النبي ﷺ الى انتهاء الصلاة والخطبة قبل ان تجعل الخطبة قبل الصلاة ثم الى انتهاء الصلاة بعد أن جعلت الخطبة بعد الصلاة فقال :

١١ ﴿واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها﴾ أي الى التجارة لما منهم أن حرمة البيع الى انتهاء الصلاة فقط دون الخطبة فذهبوا الى التجارة ﴿وتركوك﴾ في الخطبة ﴿قائما﴾ خبر بمعنى النهي أي اذا رأوا تجارة او لهوا لا ينفضوا ولا يتركوك قائما تخطب لان حضورهم للخطبة شرط في صحة الصلاة ويروى أنه كان ﷺ يخطب يوم الجمعة بعد الصلاة قدمت عير وضرب لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلا واذا كان ترك الجمعة للتجارة التي فيها الفائدة الشرعية ممنوعا فتركها للهو أشد منعا وان كانت الصحابة رضي الله عنهم لا يتركونها للهو كما يدل عليه عدم رجوع الضمير للهو ورجوعه للتجارة فقط ليعم الحكم . ثم قلبت خطبة الجمعة على الصلاة بالسنة تنبيها لأهميتها على باقي خطب الصلوات مثل العيد فهي في الجمعة شرط كحضور الجماعة التي تنعقد بها الجمعة لها وأما حضور غيرها من الخطب فمستحب. ﴿قل ما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير﴾ للذين آمنوا ﴿من اللهو ومن﴾ فائدة ﴿التجارة﴾ فنفع اللهو غير محقق ونفع التجارة ليس بمخلد ومن هذا يعلم وجه تقديم اللهو فان الاعدام تقدم على الملكات ﴿والله خير الرازقين﴾ يقال كل انسان يرزق عائلة أي من رزق الله تعالى .

فلما كانت السورة تدعو الى العمل بالعلم وتمنع ترك الطاعة والاتكال بشرف الآباء بدأت بالتسبيح بصيغة المضارع على الوجه

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾
۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ
رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ

المستمر وختمت بكفالة الله برزق عباده حتى لا يشغلهم طلبه عن الطاعة .

﴿ سورة المنافقون مدنية ﴾

هي احدى عشرة آية وموضوعها الرئيسي بيان أحوال المنافقين وكشف ضغائن صدورهم ضد الرسول ﷺ والمسلمين ليعرفوا بها في كل وقت وزمان .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿اذا جاءك المنافقون﴾ يا محمد ﴿قالوا﴾ بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ نحلف أنك يا محمد لرسول الله ﴿والله يعلم انك لرسوله والله يشهد﴾ يعلم ﴿ان المنافقين لكاذبون﴾ فيما أضمروه مخالفا لما قالوه .

٢ ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ سترة على أموالهم ودمائهم ﴿فصدوا﴾ بها ﴿عن سبيل الله﴾ أي عن الجهاد فيهم ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ بئس العمل عملهم هذا .

٣ ﴿ذلك﴾ أي سوء عملهم ﴿بأنهم آمنوا﴾ باللسان ﴿ثم كفروا﴾ بالقلب أي استمروا على كفرهم به ﴿فطبع﴾ ختم ﴿على قلوبهم﴾ بالكفر ﴿فهم لا يفقهون﴾ الايمان .

٤ ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ لجمالها ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ لفصاحته وهم رؤساء المدينة ويحضرون مجلس النبي ﷺ وكان النبي ومن حضر يعجبون بهياكلهم ﴿كأنهم﴾ من عظم أجسامهم في عدم النفع منهم ﴿خشب﴾ بضم الشين وقرىء بسكونها ﴿مسندة﴾ ممالة الى الجدار ﴿يحسبون كل صيحة﴾ تصاح كنداء في العسكر وانشاد ضالة ﴿عليهم﴾ لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ فانهم يفشون سرك للكفار الحربيين ﴿قاتلهم الله﴾ أهلكهم ﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن الايمان بعد قيام البرهان .

٥ ﴿واذا قيل لهم تعالوا﴾ معتذرين ﴿يستغفر لكم رسول الله لووا﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف عطفوا ﴿رؤسهم﴾ اعراضا واباء ﴿ورأيتهم يصدون﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وهم مستكبرون﴾ . حال من الواو في يصدون .

٦ ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾ استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن طاعته .

عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ
لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ
وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ
وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ
أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾

٧ ﴿هم الذين يقولون﴾ لأصحابهم من الأنصار المخلصين لايمانهم ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ من المهاجرين ﴿حتى ينفضوا﴾ يتفرقوا عنه بأن يذهب كل واحد منهم الى أهله وشغله الذي كان له قبل ذلك ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ .

٨ ﴿يقولون لئن رجعنا﴾ أي من غزوة بني المصطلق قوم الحرث ابن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي ﷺ تشاجر بعض المهاجرين والانصار فبلغ ذلك عبد الله بن أبي فقال ما صحبنا محمداً الا لنلطم وجوهنا والله ما مثلهم الا كما قال القائل ، سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم قد أنزلتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم في أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لتحولوا من عندكم ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد . فسمع ذلك زيد بن أرقم رضي الله عنه فبلغه لرسول الله ﷺ . فقال : رسول الله ﷺ لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك . فحلف أنه ما قال شيئا وأنكر . فأفضحه الله ﴿الى المدينة ليخرجن الأعز﴾ عنوا به أنفسهم ﴿منها الاذل﴾ عنوا به المؤمنين ﴿ولله العزة﴾ الغلبة ﴿ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ ذلك .

وبعد كشف أحوال المنافقين حذر تعالى المؤمنين بما يأتي ونهاهم عن التشبه بالمنافقين في الاغترار بالأموال والأولاد فقال :

٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ تشغلكم ﴿أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ قال الحسن هو جميع الفرائض ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ .

١٠ ﴿وأنفقوا﴾ في الزكاة وغيرها ﴿مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا﴾ بمعنى هلا ﴿أخرتني الى أجل قريب فأصدق﴾ بادغام التاء في الأصل في الصاد أتصدق بالزكاة ﴿وأكن من الصالحين﴾ بأن احج قال ابن عباس رضي الله عنهما ما قصر أحد في الزكاة والحج الا سأل الرجعة عند الموت .

١١ ﴿ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ بالتاء وقرىء بالياء . يعلمه ويجازي عنه بما هو أهله .

واستنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي ﷺ لأن السورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبت بالتغابن اشارة لظهور التغابن بوفاته ﷺ .

(٦٤) سورة التغابن مدنية وآياتها ثماني عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ
وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ ٱلَّذِي
خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا
مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥)

﴿ سورة التغابن مكية ﴾

وهي ثماني عشرة آية وموضوعها الرئيسي التحذير عن جفاء الأهل والولد فلا تحمل الشفقة والرقة عليهم عن عمل الخير بالنفس أو بالمال .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ ينزهه وأتى بما دون «من» تغليبا للأكثر ﴿له الملك﴾ الاستيلاء والتمكن من التصرف في كل شيء على حسب ما أراد في الأزل ﴿وله الحمد﴾ الثناء الحسن قدم الخبر في الجملتين للدلالة على اختصاص الامرين به تعالى من حيث الحقيقة دون غيره ولأن أصول النعم وفروعها منه تعالى فالحمد له بالحقيقة وحمد غيره انما يقع من حيث ظاهر الحال وجريان النعم على يديه ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ .

٢ ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ في أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك ﴿والله بما تعملون بصير﴾ .

٣ ﴿خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم﴾ اذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿واليه المصير﴾.

٤ ﴿يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات .

وكل واحدة من هذه الجمل أخص مما قبلها والاتيان بها على هذا الشكل يشعر باحاطة علمه تعالى بالكليات والجزئيات ولا يعزب عنه شيء من الأشياء .

ولما ذكر احاطة علمه بالكليات والجزئيات وبخ تعالى الكفار لجهلهم بعاقبة الكفر فقال :

٥ ﴿ألم يأتكم﴾ يا كفار ﴿نبؤا الذين كفروا من قبل﴾ أي من قبلكم ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ عقوبة كفرهم في الدنيا وأصل الوبال الثقيل فهي كالشيء الثقيل المحسوس فمنه الوبيل للطعام الثقيل على المعدة والوابل للمطر الثقيل ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم .

٦ ﴿ذلك﴾ أي عذاب الدنيا ﴿بأنه﴾ ضمير الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ الحجج الظاهرات على الايمان ﴿فقالوا أبشر﴾ أريد به الجنس ﴿يهدوننا﴾ يرشدوننا جمعهم في الضمير كأنهم في وقت واحد لاتحاد أحوال الرسل واتحاد أحوال أممهم بالتكذيب بحجة أن الرسول لا يكون بشراً وبالغباوة سلموا واعتقدوا أن الاله يكون حجرا ﴿فكفروا وتولوا﴾ عن الايمان ﴿واستغنى الله﴾ عن ايمانهم ﴿والله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ محمود في أفعاله .

٧ ﴿زعم الذين كفروا أن﴾ مخففة أي أنهم ﴿لن يبعثوا قل بلى﴾ تبعثون ﴿وربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ .

٨ ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور﴾ القرآن ﴿الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ .

٩ أذكر ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يوم القيامة ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله﴾ وفي قراءة بالنون في الفعلين ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ .

١٠ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ هي .

١١ ﴿ما أصاب من مصيبة الا باذن الله﴾ بقضائه فالقعود عن الخير والتخلف عن عمل البر غباوة وجهل بقضاء الله ﴿ومن يؤمن بالله﴾ في قوله ان المصيبة بقضائه ﴿يهد قلبه﴾ للصبر عليها أو للتقدم الى أعمال الخير والبر مثل الجهاد في سبيل الله ولا يخاف وقوع مصيبة لم يكتبها الله عليه واذا كتبها فلا يمنعها التخلف عن البر والقعود في البيت عنه فوقوعها عليه في حال الطاعة خير

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟
أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ
حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ
بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ
ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا
يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾
اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن
تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

٧٤٧

له من أن تقع عليه في حال المعصية ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فما أمرك به فافعله ولا تخف عاقبته وما نهاك فانته عنه ولا تخش خسارته .

١٢ ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم﴾ عن الطاعة فلا ضير ولا بأس على رسولنا في توليكم ﴿فانما على رسولنا البلاغ المبين﴾ البين .

ثم حث المؤمنين على التوكل على الله فقال .

١٣ ﴿الله لا اله الا هو﴾ لا موجد ولا معدم ولا يأتي بشيء في الوجود الا هو وهو الآمر الناهي ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ في امتثال أمره أو انتهاء عن نهيه ولا يخافوا عاقبة شيء من ذلك ولو كان هناك سوء عاقبة لما أمرهم الله بشيء ولما نهاهم عنه .

١٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ أن تطيعوهم في التخلف عن الخير والهجرة لشفقتكم عليهم فيسببوا لكم الخسارة الكبرى في الآخرة فتدخلوا في جملة الخاسرين . يروى أن بعض رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يهاجروا الى النبي ﷺ فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا لهم صبرنا على أسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة حتى سمعوا هذه السورة . وربما يسبب هذا لأناس أن يكرهوا أهلهم وأولادهم فنصحهم الله تعالى وقال ﴿وان تعفوا﴾ عنهم في تثبيطهم اياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم﴾ .

١٥ ﴿انما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة وأنتم لا تستطيعون أن تتخلوا عنهم لتعلق حقوقهم عليكم فهو ابتلاء لكم من الله فان صبرتم وعاملتموهم بخير ولم يشغلوكم عن طاعة الله فالله يجزيكم ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ وهو الجنة .

١٦ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ مع مراعات حقوق أنفسكم وأهليكم وأولادكم وأموالكم فان سياسة حقوقهم على حسب الشريعة طاعة لله فلا تهملوها فهذه الآية مقيدة لقوله «اتقوا الله حق تقاته» ﴿واسمعوا﴾ ما أمرتم به سماع قبول ﴿وأطيعوا وأنفقوا﴾ في الطاعة ﴿خيرا لأنفسكم﴾ خبر يكن مقدرة جواب الأمر ﴿ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون﴾ الفائزون .

١٧ ﴿ان تقرضوا الله قرضا حسنا﴾ بأن تتصدقوا عن طيب نفس ﴿يضاعفه لكم﴾ وفي قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشرا الى سبعمائة وأكثر ﴿ويغفر لكم﴾ ما يشاء ﴿والله شكور﴾ مجاز على الطاعة ﴿حليم﴾ في العقاب على المعصية .

١٨ ﴿عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾ العلانية ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

(٦٥) سورة الطلاق مدنية وآياتها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ
وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ
حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ
لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ
يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ

﴿ سورة الطلاق مدنية ﴾

وهي ثلاث عشرة آية وموضوعها بيان الطلاق والعدة وما يتعلق بهما من الرجعة والنفقة والرضاع .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا أيها النبي﴾ المراد أمته بقرينة ما بعده أي قل لهم ﴿اذا طلقتم النساء﴾ أي أردتم الطلاق ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ لأولها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان ﴿وأحصوا العدة﴾ احفظوها قبل فراغها ﴿واتقوا الله ربكم﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ منها حتى تنقضي عدتهن ﴿إلا أن يأتين بفاحشة﴾ زنا وقيل الا أن تعدو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها ﴿مبينة﴾ بكسر الياء وقرىء بالفتح أي بينت أو بينة فيخرجن لاقامة الحد عليهن ﴿وتلك﴾ المذكورات ﴿حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك﴾ الطلاق ﴿أمرا﴾ مراجعة فيما اذا كان واحدة أو اثنتين .

٢ ﴿فاذا بلغن أجلهن﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ من غير ضرر ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ أتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ على المراجعة أو الفراق ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ للمشهود عليه أو له ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله﴾ فيما أمر به من أمر الطلاق وغيره ﴿يجعل له مخرجا﴾ من كرب الدنيا والآخرة .

قلت ويفهم من هذا أن طلاق الثلاث فى كلمة واحدة واقــع ، وحكم به عمر رضى الله عنه وعليه مذهب مالك رحمة الله ، ثم إن المعانى الكثيرة تقع على ما ضرب بها مرة واحدة بخلاف الأجرام، والله اعلم

ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ
قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا (٣) وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ
ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ
وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا (٤)
ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا (٥) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ
وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم
بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ

٣ ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ يخطر بباله ﴿ومن يتوكل على الله﴾ في أموره ﴿فهو حسبه﴾ كافيه ﴿ان الله بالغ أمره﴾ بالاضافة أي مراده وقرىء بتنوين «بالغ» ونصب «أمره» ﴿قد جعل الله لكل شيء﴾ كرخاء وشدة ﴿قدرا﴾ ميقاتا . لا يأتي به أحد قبل وقته وروى الحسن عن عمران بن الحصين قال رسول الله ﷺ «من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها» . وقال الزجاج أي اذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيق ورزقه من حيث لا يحتسب اهـ والتوكل على الله لا ينافي تعاطي الاسباب فترك تعاطيها فيه ابطال الحكمة التي جعلها الله في الدنيا من ترتيب المسببات على الاسباب . وهو تواكل ذمه الاسلام وحذر منه .

ولما أنهى تعالى الكلام على الطلاق شرع في بيان العدة واختلافها باختلاف أحوال النساء فقال تعالى :

٤ ﴿واللائي﴾ بهمزة وياء وقرىء بلا ياء في الموضوعين ﴿يئسن من المحيض﴾ بمعنى الحيض ﴿من نسائكم ان ارتبتم﴾ شككتم في عدتهن وقيد به لموافقة الواقع فلا مفهوم له ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر والمسألتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن أما هن فعدتهن ما في آية «يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» كذلك المطلقة التي لا يتعلق أمرها بالشك وهي ذات الاقراء فعدتها ثلاثة قروء وغير المدخول بها لا عدة عليها في الطلاق ﴿وأولات الاحمال أجلهن﴾ انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن ﴿أن يضعن حملهن ومن يتق الله﴾ في أمره ونهيه ﴿يجعل له من أمره يسرا﴾ في الدنيا والآخرة .

٥ ﴿ذلك﴾ المذكور في العدة ﴿أمر الله﴾ حكمه ﴿أنزله اليكم﴾ مثل باقي الأحكام في جميع ميادين الحياة ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾ في الآخرة .

ثم شرع في بيان نفقة المطلقة فقال :

٦ ﴿أسكنوهن﴾ أي المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن ﴿من حيث سكنتم﴾ أي بعض مساكنكم ﴿من وجدكم﴾ أي سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله باعادة الجار وتقدير مضاف أي أمكنة سعتكم لا ما دونها . ﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ المساكن فيحتجن الى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم ﴿وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن﴾ في فراق الطلاق وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا نفقة لهن . ومنتهى عدتهن ﴿حتى يضعن حملهن﴾ فتنتهي النفقة بانتهاء عدتهن والمطلقة الطلاق الرجعي لها النفقة والسكنى والمطلقات البائن غير الحوامل فلا نفقة لهن في العدة عند مذهب مالك والشافعي واما عند الحنفية فلكل مطلقة حق النفقة والسكنى ودليله أن عمر قال سمعت النبي ﷺ يقول «لها النفقة والسكنى» وانه جزاء الاحتباس ولو كان جزاء للحمل لوجب في ماله اذا كان له مال ولم يقولوا به .

ثم شرع في بيان الرضاعة في المطلقة فقال ﴿فان أرضعن لكم﴾ أولادكم منهن ﴿فآتوهن أجورهن﴾ على الارضاع ﴿وأتمروا بينكم﴾ وبينهن ﴿بمعروف﴾ بجميل في حق الاولاد بالتوافق على أجر معلوم على الارضاع ﴿وان تعاسرتم﴾ تضايقتم في الارضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله ﴿فسترضع له﴾ للأب ﴿أخرى﴾ ولا تكره الأم على ارضاعه .

ثم ذكر قدر النفقات فقال :

ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ
ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ
ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ
رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا
نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا
خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾
رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن
يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ
رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ

٧ ﴿لينفق﴾ على المطلقات والمرضعات ﴿ذو سعة من سعته ومن قدر﴾ ضيق ﴿عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ أي على قدر وسعه ﴿لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ أي جعل الاعتبار بالزوج في العسر واليسر ولأن الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة لأن الزوج يدعي أنها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم أنها قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة ووعد الله باليسر بعد العسر لكل مؤمن في معاملاته .

ولما ذكر أن وعد الله باليسر بعد العسر لكل من اتبع أوامره بالطاعة بين كذلك أن العقوبة ثابتة لكل من يخالف أمره تعالى فقال :

٨ ﴿وكأين﴾ هي كاف الجر دخلت على «أي» بمعنى «كم» ﴿من قرية﴾ أي كثير من القرى ﴿عتت﴾ عصت وتخلفت بمعنى أهلها ﴿عن أمر ربها ورسله فحاسبناها﴾ في الدنيا ﴿حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا﴾ بسكون الكاف وقرىء بضمها فظيعا بالقتل والاسر أو بالخسف أو بالصيحة والهلاك .

٩ ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ ثقله وعقوبته ﴿وكان عاقبة أمرها خسرا﴾ في الآخرة بدخول النار وهو قوله :

١٠ ﴿أعد الله لهم عذابا شديدا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فاتقوا الله يا أولي الالباب﴾ أصحاب العقول اي اطيعوه كما أمركم ﴿الذين آمنوا﴾ نعت للمنادي أو بيان له ﴿قد أنزل الله اليكم ذكرا﴾ هو القرآن .

١١ ﴿رسولا﴾ أي محمدا ﷺ منصوب بفعل مقدر أي وارسل رسولا ﴿يتلوا عليكم آيات الله مبينات﴾ بكسر الياء وقرىء بفتحها كما تقدم ﴿ليخرج الذين آمنوا﴾ به ﴿وعملوا الصالحات﴾ على وفق ما جاء به ﴿من الظلمات﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿الى النور﴾ الاسلام والشريعة والنظام والاحكام ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله﴾ بالياء وفي قراءة بالنون ﴿جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا﴾ في الدنيا . بكونه اتقى الله فجعل له مخرجا ورزقه من حيث لم يحتسب .

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

(٦٦) سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ
تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾
وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

١٢ ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض﴾ خلق ﴿مثلهن﴾ في الصفة اي مثل السموات السبع لدلالة سعة ما عنده تعالى فيعطي من وعد باعطائه كثيرا من كثير لا ينفد ، ثم ان هذه الاملاك من السموات السبع ومن الارض مثلهن محفوظة معلومة عنده ﴿يتنزل الأمر﴾ الوحي ﴿بينهن﴾ السموات والارض ﴿لتعلموا﴾ متعلق بمحذوف أي اعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ .

وسعة ملكه لا يمنعه أن يرتب لكم الأحكام مثل ما بين لكم في هذه السورة من أحكام الطلاق والعدد وما يتعلق بهما من النفقات والرضاع وغيرها .

﴿ سورة التحريم مدنية ﴾

وهي اثنتا عشرة آية وموضوعها الرئيسي بيان كيفية تحمل مشاكل الأهل ووجوب تعليمهن وما يتصل بذلك .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ من أمتك مارية القبطية لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة في بيت أبويها فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها حيث قلت هي حرام علي ﴿تبتغي﴾ بتحريمها ﴿مرضات أزواجك﴾ أي رضاهن أي لا ينبغي لك أن تشتغل بما يرضي الخلق بل اللائق أن ازواجك وسائر الخلق تسعى في رضاك ﴿والله غفور رحيم﴾ غفر لك هذا التحريم .

٢ ﴿قد فرض الله﴾ شرع ﴿لكم تحلة أيمانكم﴾ تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ومن الايمان تحريم الامة عند الشافعي وأما عند مالك فلا كفارة الا في اليمين بالله في البر أو الحنث وهل كفر ﷺ قال مقاتل : أعتق في تحريم مارية وهو الأصح عندي لأن النبي ﷺ وان كان مغفورا له ما تقدم وما تأخر فهو مكلف ليقتدى به ﴿والله مولاكم﴾ ناصركم ﴿وهو العليم الحكيم﴾ .

ولذلك شرع لكم ما تخرجون به من تحرج الأيمان اذا صدرت منكم لعلمه في عجزكم عن ترك المحلوف عليه أو فعله وحكمته في تسهيل الأمور لكم . ففيه حل لمشكلة التضييق لمن وقع في مثله .

ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا
وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ
إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ
مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ
وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً
نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ

٧٥٢

٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿اذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثاً﴾ قيل هو تحريم مارية وان عمر وأبا بكر يكونان خليفتين بعده وقال لا تفشيه ﴿فلما نبأت به﴾ عائشة ظنا منها أن لا حرج في ذلك ﴿وأظهره الله﴾ أطلعه ﴿عليه﴾ على المنبأ به ﴿عرف بعضه﴾ لحفصه ﴿وأعرض عن بعض﴾ تكرما منه ﴿فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا﴾ أي اني أفشيت السر وقد كانت هي تظن أن عائشة هي التي أخبرته ﴿قال نبأني العليم الخبير﴾ أي الله .

٤ ﴿ان تتوبا﴾ أي حفصة وعائشة ﴿الى الله فقد صغت قلوبكما﴾ مالت الى تحريم مارية أي كان ذلك مع كراهة النبي ﷺ له وذلك ذنب منكما وجواب الشرط محذوف أي تقبلا وأطلق القلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وان تظاهرا﴾ بتاء واحدة وفي قراءة بتاءين الثانية مدغمة في الظاء ﴿عليه﴾ أي النبي فيما يكرهه ﴿فان الله هو﴾ ضمير فصل ﴿مولاه﴾ ناصره ﴿وجبريل وصالح المؤمنين﴾ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معطوف على محل اسم أن فيكونون ناصريه ﴿والملائكة بعد ذلك﴾ نصر الله والمذكورين ﴿ظهير﴾ ظهراء أعوان له في نصره عليكما .

٥ ﴿عسى ربه ان طلقكن﴾ أي طلق النبي أزواجه ﴿أن يبدله﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿أزواجا خيرا منكن﴾ خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط ﴿مسلمات﴾ مقرات بالاسلام ﴿مؤمنات﴾ مخلصات ﴿قانتات﴾ مطيعات ﴿تائبات عابدات سائحات﴾ صائمات أو مهاجرات ﴿ثيبات وأبكاراً﴾ .

أي بعضهن كذا وبعضهن كذا وانما وسطت الواو بين ثيبات وأبكارا لتنافي الوصفين فيه دون سائر الصفات الثيب تمدح من جهة أنها اكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا غالبا والبكر تمدح من جهة انها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة وملاعبة غالباً وفي الآية دلالة على أن خير زوجة هي من تتصف بتقوى الله .

ثم أرشد الله الناس المؤمنين في نسائهم فيما يأتي فقال :

٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿نارا وقودها الناس﴾ الكفار ﴿والحجارة﴾ كأصنامهم يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿عليها ملائكة﴾ خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر ﴿غلاظ﴾ من غلظ القلب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام وشرب الشراب ﴿شداد﴾ في البطش ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ بدل من الجلالة أي لا يعصون أمر الله ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ تأكيد أي يقبلون أوامره ويلتزمونها ويؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه .

٧ ﴿يا أيها الذين كفروا﴾ بترك أنفسهم وأهليهم هملا عن الطاعة وقد أمروا بوقايتهما عن النار ولم يفعلوا ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار أي لانه لا ينفعكم ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي جزاءه ومن لم يق نفسه النار ولا أهله فقد أهلكها وأهلكهم فعليه وزر نفسه ووزر أهله معه .

٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا﴾ بفتح النون وقرىء بضمها بأن لا يعاد الى ذنب ويراد العود اليه فتنصح بها النفس والأهل وسائر المؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله كما قال السدي وسعيد بن المسيب وهذا القول عندي أحسن لأن الكلام في وقاية النفس والأهل عن النار ﴿عسى ربكم﴾ ترجية تقع ﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات﴾ بساتين ﴿تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله﴾ بادخال النار ﴿النبي

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ جَٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ
وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ
كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا
عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ
رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ
وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَٰنَ
الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

٧٥٣

والذين آمنوا معه﴾ أي أصحابه لأنهم اتبعوا أمر الله في وقاية أنفسهم وأهليهم نارا أوكل من صاحبوه في وصف الايمان وقاية نفسه وأهله النار الى يوم القيامة ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ أمامهم ﴿و﴾ يكون ﴿بأيمانهم يقولون﴾ مستأنف ﴿ربنا اتمم لنا نورنا﴾ الى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم أو الذين ما وقوا أهليهم النار تطفىء نورهم لأن الكلام فيهم ﴿واغفر لنا﴾ ربنا ﴿انك على كل شيء قدير﴾ من ذلك اتمام نورنا للدخول في الجنة .

ثم ان الله تبارك وتعالى أمر نبيه بقوله :

٩ ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ باللسان والحجة فانهم من ضمن قومك لعل الله يرشد بعضهم فتقيهم بذلك النار التي وقودها الناس والحجارة ﴿واغلظ عليهم﴾ بالانتهار والمقت لأن الكافر غليظ القلب والطبع فلا يصلح معه اللين واللطف ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ المرجع هي .

١٠ ثم بين تعالى بسبب جهاد الكفار والمنافقين بضرب مثالين الاول في الكافر المتصل بالمؤمنين بالقرابة أو غيرها فقال ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ في الدين اذ كفرتا وكانت امرأة نوح واسمها واهلة تقول لقومه انه مجنون وامرأة لوط واسمها واعلة تدل قومه على أضيافه اذا نزلوا به ليلا بايقاد النار ونهارا بالتدخين ﴿فلم يغنيا﴾ أي نوح ولوط ﴿عنهما من الله﴾ من عذابه ﴿شيئا وقيل﴾ لهما ﴿أدخلا النار مع الداخلين﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط .

١١ والثاني للمؤمنين المتصلين بالكفار بالقرابة أو غيرها فقال ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ آمنت بموسى واسمها آسية بنت مزاحم وكانت ذات فراسة صادقة في موسى حين قالت قرة عين لي ولك . فعذبها فرعون حين أسلمت بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحى عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت اذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة ﴿اذ قالت﴾ في حال التعذيب ﴿رب ابن لي عندك بيتا في الجنة﴾ فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب ﴿ونجني من فرعون وعمله﴾ وتعذيبه ﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ أهل دينه فقبض الله روحها . فاختارت القتل على الملك وعذاب الدنيا على نعيمها الذي كانت فيه .

١٢ ﴿ومريم﴾ عطف على امرأة فرعون ﴿ابنت عمران التي أحصنت فرجها﴾ فاحصان الفرج من وظيفة النساء المؤمنات لوقاية النفس عن النار فلذلك ذكر هنا . ولا بد من الايمان اذ عليه بني كل شيء ديني وهو لا يحصل الا بالتعلم وذلك قوله تعالى ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل الى فرجها فحملت بعيسى ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ شرائعه ﴿وكتبه﴾ المنزلة أي التوراة والانجيل ﴿وكانت من القانتين﴾ من القوم المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لأنهم أهل بيت صالحون لأنها من اعقاب هرون أخي موسى وكانوا يقون أنفسهم وأهليهم النار بالعلم والتقوى .

(٦٧) سُورَةُ المُلْكِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا
مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ
تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ
إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا
لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ

٧٥٤

﴿ سورة الملك مكية ﴾

وتسمى أيضا الواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة لأنها تقي وتنجي من عذاب القبر. وعن عبد الله ابن مسعود قال هي المانعة من عذاب الله ، وهي في التوراة . سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب . وعن ابن عباس قال :. قال رسول الله ﷺ وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن . وهي ثلاثون آية وموضوعها الرئيسي التوحيد له تعالى وانفراده بالملك بالخلق والأنعام والحث بالنظر في علم المخلوقات .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿تبارك﴾ تنزه عن صفات المحدثين ﴿الذي بيده﴾ في تصرفه ﴿الملك﴾ السلطان والقدرة والأمر والنهي ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ .

٢ ﴿الذي خلق الموت﴾ في الدنيا ﴿والحياة﴾ في الآخرة أو هما في الدنيا ، فالنطفة تعرض لها الحياة وهي ما به الاحساس ، والموت ضدها أو عدمها قولان . والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أيكم أحسن عملا﴾ أحسن طاعة مما كان خالصا صوابا والخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة ﴿وهو العزيز﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الغفور﴾ لمن تاب اليه .

٣ ﴿الذي خلق سبع سموات طباقا﴾ قال البقاعي : بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الأخرى ، ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك . قال : وهي لا تكون كذلك الا أن تكون الأرض كروية ، والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب ، والثانية محيطة بالدنيا . وهكذا الى أن يكون العرش محيطا بالكل والكرسي الذي هو أقربها بالنسبة اليه كحلقة ملقاة في فلاة . فما ظنك بما فوقه ، وكل سماء في التي فوقها بهذه النسبة ﴿ما ترى في خلق الرحمن﴾ لهن أو لغيرهن ﴿من تفاوت﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فارجع البصر﴾ أعده في السماء ﴿هل ترى﴾ فيها ﴿من فطور﴾ صدوع وشقوق .

٤ ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ كرة بعد كرة ﴿ينقلب﴾ يرجع ﴿اليك البصر خاسئا﴾ ذليلا لعدم ادراك خلل ﴿وهو حسير﴾ منقطع عن رؤية خلل .

٥ ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ القربى الى الارض ﴿بمصابيح﴾ بنجوم ﴿وجعلناها رجوما﴾ مراجم ﴿للشياطين﴾ اذا استرقوا السمع فانه ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله ، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ النار الموقدة .

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا
شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ
فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى
قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ
فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ
اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ
وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ

٦ ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير﴾ هي .

٧ ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا﴾ صوتا منكرا كصوت الحمار ﴿وهي تفور﴾ تغلي .

٨ ﴿تكاد تميز﴾ بتاء واحدة وقرىء تتميز على الأصل تتقطع ﴿من الغيظ﴾ غضبا على الكفار ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ جماعة منهم ﴿سألهم خزنتها﴾ سؤال توبيخ ﴿ألم يأتكم نذير﴾ رسول ينذركم عذاب الله تعالى .

٩ ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان﴾ ما ﴿أنتم الا في ضلال كبير﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب وأن يكون من كلام الكفار للنذر .

١٠ ﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ أي سماع تفهم ﴿أو نعقل﴾ أي عقل تفكر ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾ .

١١ ﴿فاعترفوا﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بذنبهم﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فسحقا﴾ بسكون الحاء، وقرىء بضمها ﴿لأصحاب السعير﴾ فبعدا لهم عن رحمة الله .

١٢ ﴿إن الذين يخشون ربهم﴾ يخافونه ﴿بالغيب﴾ في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ أي الجنة .

١٣ ﴿وأسروا﴾ أيها الناس ﴿قولكم أو اجهروا به انه﴾ تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به، وكان المشركون قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم اله محمد .

١٤ ﴿ألا يعلم من خلق﴾ ما تسرون أي أينتفي علمه بذلك ﴿وهو اللطيف﴾ في علمه ﴿الخبير﴾ فيه . والجواب لا .

١٥ ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا﴾ مذللة مسخرة منقادة لما تريدون منها من مشي عليها، وزرع حبوب، وغرس أشجار وغير ذلك، ﴿فامشوا في مناكبها﴾ جوانبها وفجاجها ﴿وكلوا من رزقه﴾ المخلوق لاجلكم ﴿واليه النشور﴾ من القبور للجزاء .

١٦ ﴿أأمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بتسهيل الثانية ،

وادخال الألف بينهما وبين الاخرى وتركه وابدالها الفا ﴿من في السماء﴾ هذه الآية كغيرها من الآيات المتشابهات مثل «الرحمن على العرش استوى» فاننا نؤمن بها كما وردت مع اعتقادنا بأن الله تعالى منزه عن كل ما يشكل عما يعني تجسيماً أو تشبيهاً ﴿ أن يخسف بكم الأرض﴾ ولا يضره شيء بذلك ﴿فاذا هي تمور﴾ تتحرك بكم وترتفع فوقكم وتموج بكم موجا .

١٧ ﴿أم امنتم من في السماء أن يرسل﴾ بدل من «من» ﴿عليكم حاصبا﴾ ريحا ترميكم بالحصباء ﴿فستعلمون﴾ عند معاينة العذاب ﴿كيف نذير﴾ إنذاري بالعذاب أي انه حق .

١٨ ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم ﴿فكيف كان نكير﴾ انكاري عليهم بالتكذيب عند اهلاكهم أي أنه حق .

ثم لفت النظر الى كمال قدرته فقال :

١٩ ﴿أو لم يروا﴾ ينظروا ﴿الى الطير فوقهم﴾ في الهواء ﴿صافات﴾ باسطات أجنحتهن ﴿ويقبضن﴾ أجنحتهن بعد البسط أي وقابضات ﴿ما يمسكهن﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿الا الرحمن﴾ بقدرته ﴿انه بكل شيء بصير﴾ المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من الخسف ، وارسال الحاصب فيخافوا ويرجعوا عن ما يقتضي العذاب الى طلب ما يقتضي الرحمة .

٢٠ ﴿أمن﴾ مبتدأ ﴿هذا﴾ خبره ﴿الذي﴾ بدل من هذا ﴿هو جند﴾ أعوان ﴿لكم﴾ صلة الذي ﴿ينصركم﴾ صفة جند ﴿من دون الرحمن﴾ أي غيره يدفع عنكم عذابه أي لا ناصر لكم غيره ﴿ان﴾ ما ﴿الكافرون الا في غرور﴾ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم .

٢١ ﴿أمن هذا الذي يرزقكم أن أمسك﴾ الرحمن ﴿رزقه﴾ أي المطر عنكم جواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فمن يرزقكم أي لا رازق لكم غيره ﴿بل لجوا﴾ تمادوا مع كثرة الصوارف ﴿في عتو﴾ تكبر ﴿ونفور﴾ تباعد عن الحق .

٢٢ ﴿أفمن يمشي مكبا﴾ واقعا ﴿على وجهه أهدى أمن يمشي سويا﴾ معتدلا ﴿على صراط مستقيم﴾ وخبر «من» الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى . أي أهدى والمثل في المؤمن

الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ
جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا
فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ
بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ
أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ
الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

والكافر أي أيهما على هدى .

٢٣ ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ القلوب تتفكرون بها ﴿قليلا ما تشكرون﴾ «ما» لتأكيد القلة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكركم جدا على هذه النعم .

٢٤ ﴿ قل هو الذي ذرأكم﴾ خلقكم ﴿في الأرض واليه تحشرون﴾ للحساب .

٢٥ ﴿ويقولون﴾ للمؤمنين ﴿متى هذا الوعد﴾ وعد الحشر ﴿ان كنتم صادقين﴾ به

صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ
عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

٧٥٧

٢٦ ﴿قل انما العلم﴾ بمجيه ﴿عند الله وانما أنا نذير مبين﴾ بين الانذار.

٢٧ ﴿فلما رأوه﴾ أي العذاب بعد الحشر ﴿زلفة﴾ قريبا ﴿سيئت﴾ اسودت ﴿وجوه الذين كفروا وقيل﴾ أي قال الخزنة لهم توبيخا وتقريعا ﴿هذا﴾ العذاب ﴿الذي كنتم به﴾ بانذاره ﴿تدعون﴾ أنكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتي عبر عنها بطريق المضي لتحقق وقوعها.

٢٨ ﴿قل أرأيتم أن أهلكني الله ومن معي﴾ من المؤمنين بعذابه كما تقصدون ﴿أو رحمنا﴾ فلم يهلكنا ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أي لا مجير لهم منه.

٢٩ ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ لا على الأموال والأولاد ﴿فستعلمون﴾ بالتاء والياء عند معاينة العذاب ﴿من هو في ضلال مبين﴾ بين أنحن أم أنتم على قراءة التاء أم هم على الياء.

٣٠ ﴿قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غورا﴾ غائرا في الأرض ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ جار تناله الأيدي والدلاء كمائكم أي لا يأتي به الا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم. وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته.

ابتدأت السورة بتبارك الذي بيده الملك وختمت بقل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين.

فدلت على أن ابتداء البركات منه تعالى وختمت بتخصيص انشائها له تعالى واشتملت على دلائل قدرته وتوحيده مع الرحمانية.

﴿ سورة ن مكية ﴾

وتسمى سورة القلم وآياتها اثنتان وخمسون وموضوعها الرئيسي التبشير للنبي ﷺ بأن قومه سيؤمنون به ويندمون على ما فعلوا به من الكفر والاذاية ويتوب الله عليهم ويرحمهم.

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ن﴾ أحد حروف الهجاء يقرأ بفك الادغام من واو القسم وبادغامها فيه والله أعلم بمراده به ﴿والقلم﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ أو جنس القلم الشامل للاقلام التي يكتب بها في الأرض ﴿وما يسطرون﴾ أي الملائكة أو كل كاتب وما يكتبون من خير وصلاح. أقسم الله لمحمد بالقلم وما يكتب بالقلم لتشريف النبي ﷺ ولتعظيم أمر القلم وشأن الكتابة فالمقسوم به شيئان.

٢ ﴿ما أنت﴾ يا محمد. وهو جواب القسم مبتدأ ﴿بنعمة ربك﴾ الباء سببية متعلقة بمعنى النفي المدلول عليه بما ﴿بمجنون﴾ خبر المبتدأ أي انتفى الجنون عنك بسبب انعام ربك عليك بالنبوة وغيرها. وهذا رد لقولهم انه مجنون.

٣ ﴿وان لك لأجرا غير ممنون﴾ مقطوع .

٤ ﴿وانك لعلى خلق﴾ دين ﴿عظيم﴾ شأنه عظيم . أقسم الله للنبي ﷺ بالشيئين المذكورين فدل على ثلاثة أشياء نفي الجنون عنه وثبوت الأجر له وكونه على دين الاسلام الحق ثم سلاه . فقال :

٥ ﴿فستبصرويبصرون﴾ أي ستريهم بعد ما رأوا أن ما جئتهم به حق وسيبصرون غيرهم كما تقدم فى سورة الصافات

٦ ﴿بأيكم المفتون﴾ مصدر كالمعقول ، أي الفتون بمعنى الجنون أي أبك أم بهم ؟ والجار والمجرور متعلق بستبصر

٧ ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ له وهو الذي وضعك على هذا الدين القيم .

٨ ﴿فلا تطع المكذبين﴾ لك ويقولون انك مجنون وشاعر أو غير ذلك .

٩ ﴿ودوا﴾ تمنوا ﴿لو﴾ مصدرية ﴿تدهن﴾ تلين لهم ﴿فيدهنون﴾ يلينون لك وهو معطوف على تدهن وان جعل جواب التمني المفهوم من ودوا ، قدر قبله بعد الفاء . هم .

١٠ ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مهين﴾ حقير

١١ ﴿هماز﴾ عياب أي مغتاب ﴿مشاء بنميم﴾ ساع بالكلام بين الناس على وجه الافساد بينهم .

١٢ ﴿مناع الخير﴾ بخيل بالمال عن الحقوق الواجبة ﴿معتد﴾ ظالم ﴿أثيم﴾ آثم .

١٣ ﴿عتل﴾ غليظ جاف ﴿بعد ذلك زنيم﴾ أي بعد المذكور من الصفات السابقة الثمانية وهو زنيم . قال: عكرمة هو اللئيم يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها وهي شيء يكون للمعز في أذنها كالقرط . قيل المقصود بالآية هو الوليد بن المغيرة قاله ابن عباس . وقال عطاء هو الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما . وقال مجاهد : هو الاسود ابن عبد يغوث وقال ابن عباس : أيضا هو أبو جهل بن هشام . قلت وليس معناه ابن زنا والاسلام لا يطعن انسانا بما يؤدي الى تنقيص أولاده المؤمنين ولا تزر وازره وزر اخرى فأنا أرى انها لا تعني شخصاً بعينه وانما نهى الله نبيه أن يجامل صاحب هذه الصفات أيا كان ليحمله على عدم تبليغ جميع ما أنزل الله اليه وكذلك المؤمنون لا يجوز لهم مجاملة من له من تلك الصفات شيء الا ما حصل منهم تقية منه والله أعلم .

١٤ ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ أي لان وهو متعلق بما دل عليه . وفي قراءة أأن بهمزتين مفتوحتين .

بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ
لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ
الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ
مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا
بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا

٧٥٨

١٥ ﴿اذا تتلى عليه آياتنا﴾ القرآن ﴿قال﴾ هي ﴿اساطير الأولين﴾ أي كذب بها ، لانعامنا عليه بما ذكر

١٦ ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أي سنشوه صاحب هذه الصفات الباطنة الذميمة بالصفات الظاهرة التي تشوه منظره في الناس كيلا يخدع بالجمال الظاهر من يراه ويظن به خيرا أو يغتر به . والخرطوم أنف السباع وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير ففي وصف انسان بذلك من الاستهجان ما فيه وهو مثل تشبيه أجسام المنافقين الجميلة ظاهرا بخشب مسندة واناطة حبل من مسد بالجيد عند قوله «في جيدها حبل من مسد» .

وبعد أن نزه تعالى نبيه عن كل عيب نسبه الكفار اليه ورم عليهم بأبشع الصفات التي تبقى على المستهزئين منهم ، شبه أهل مكة بأهل الجنة تبشيرا للنبي ﷺ بايمان أهله فقال :

١٧ ﴿انا بلوناهم﴾ أي امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ البستان فكانت قصة اصحابها بعد

مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن
لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ
قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا
إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ

عيسى بن مريم بزمن يسير وكانت بقرية يقال لها ضروان بالصاد المهملة بينها وبين صنعاء فرسخان وكان صاحبها ينادي الفقراء وقت المنجل ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع أو ألقته الريح فلما مات ورثه بنوه وكانوا ثلاثة وشحوا بذلك ﴿اذ أقسموا ليصرمنها﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مصبحين﴾ وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطوتهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

١٨ ﴿ولا يستثنون﴾ في يمينهم بمشيئة الله تعالى. والجملة مستأنفة أي وشأنهم ذلك

١٩ ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ نار أحرقتها ليلا ﴿وهم نائمون﴾.

٢٠ ﴿فأصبحت كالصريم﴾ كالليل الشديد أي سوداء.

٢١ ﴿فتنادوا مصبحين﴾.

٢٢ ﴿ان اغدوا على حرثكم﴾ غلتكم تفسير لتنادوا أو أن مصدرية أي بأن ﴿ان كنتم صارمين﴾ مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

٢٣ ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ يتشاورون سرا.

٢٤ ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ تفسير لما قبله أو أن مصدرية أي بأن

٢٥ ﴿وغدوا على حرد﴾ منع للفقراء وقيل الحرد بمعنى القصد ﴿قادرين﴾ عليه في ظنهم

٢٦ ﴿فلما رأوها﴾ سوداء محترقة ﴿قالوا انا لضالون﴾ عنها أي ليست هذه ثم قالوا لما علموها.

٢٧ ﴿بل نحن محرومون﴾ ثمرتها بمنعنا الفقراء منها.

٢٨ ﴿قال أوسطهم﴾ خيرهم ﴿ألم أقل لكم لولا﴾ هلا ﴿تسبحون﴾ الله تائبين.

٢٩ ﴿قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين﴾ بمنع الفقراء حقهم.

٣٠ ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ يلوم بعضهم بعضاً.

٣١ ﴿قالوا يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا ﴿انا كنا طاغين﴾.

٣٢ ﴿عسى ربنا أن يبدلنا﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿خيرا منها انا الى ربنا راغبون﴾ ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا روي أنهم أبدلوا خيرا منها.

٣٣ ﴿كذلك﴾ أي مثل العذاب لهؤلاء ﴿العذاب﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة في الدنيا يعذب الله كلا بقدر جرمه. ومن تاب منهم يتوب عليه، ويرد اليه ما سلبه من النعم بسبب كفرهم بمحمد ﷺ، ومن استمر على الكفر فقتل فله عذاب في الآخرة ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا.

٣٤ ﴿ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾.

٣٥ ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ أي تابعين لهم في العطاء والهمزة للانكار، أي أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين وقيل التشبيه مقلوب والأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين؟ لأنهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل. فالاستفهام على هذا وفيما يأتي للتوبيخ والتقريع.

٣٦ ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد.

تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ
عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾
سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَـٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن
سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَـٰشِعَةً
أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ
وَهُمْ سَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ
مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ
نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن

٧٦٠

٣٧ ﴿أم﴾ أي بل ﴿لكم كتاب﴾ منزل ﴿فيه تدرسون﴾ أي تقرؤون .

٣٨ ﴿ان لكم فيه لما تخيرون﴾ تختارون .

٣٩ ﴿أم لكم أيمان﴾ عهود ﴿علينا بالغة﴾ واثقة ﴿الى يوم القيامة﴾ متعلق معنى بعلينا وفي هذا الكلام معنى القسم أي أو أقسمنا لكم وجوابه ﴿ان لكم لما تحكمون﴾ به لأنفسكم .

٤٠ ﴿سلهم أيهم بذلك﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زعيم﴾ كفيل لهم .

٤١ ﴿أم لهم﴾ أي عندهم ﴿شركاء﴾ موافقون لهم في هذا المقول يكفلون لهم به فان كان كذلك ﴿فليأتوا بشركائهم﴾ الكافلين لهم به ﴿ان كانوا صادقين﴾ .

٤٢ أذكر ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء يقال كشفت الحرب عن ساق اذا اشتد الامر فيها ﴿ويدعون الى السجود﴾ امتحانا لايمانهم لأنه لا تكليف هناك ﴿فلا يستطيعون﴾ تصير ظهورهم طبقا واحداً . وفي الحديث يكشف ربنا ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءاً وسمعة يذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً . رواه البخاري .

٤٣ ﴿خاشعة﴾ حال من ضمير يدعون أي ذليلة ﴿أبصارهم﴾ لا يرفعونها ﴿ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذلة وقد كانوا يدعون﴾ في الدنيا ﴿الى السجود وهم سالمون﴾ فلا يأتون

٤٤ ﴿فذرني﴾ دعني ﴿ومن يكذب بهذا الحديث﴾ القرآن ﴿سنستدرجهم﴾ نأخذهم قليلا قليلا ﴿من حيث لا يعلمون﴾ .

٤٥ ﴿وأملي لهم﴾ أمهلهم ﴿ان كيدي متين﴾ شديد لا يطاق .

٤٦ ﴿أم﴾ بل ﴿تسئلهم﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أجرا فهم من مغرم﴾ مما يعطونك ﴿مثقلون﴾ فلا يؤمنون لذلك .

٤٧ ﴿أم عندهم الغيب﴾ أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب ﴿فهم يكتبون﴾ منه ما يقولون ويحكمون به ويستغنون عن علمك .

وبعد أن ألقى عليهم هذه الاسئلة السبعة للارشاد لهم وللتوبيخ والتقريع على حكمهم بغير استناد لعلم . أمر تعالى نبيه بالتحمل والصبر حتى يأتي وقت يرشدهم الله فيه فقال :

٤٨ ﴿فاصبر﴾ يا محمد على تحمل أذى قومك ﴿لحكم ربك﴾ فيهم بالايمان ، لأنهم قد سبق أن تشبهوا بأصحاب الجنة التي احترقت بعصيانهم فندموا على ما فرط منهم ثم رجعوا الى الله وسبحوه وكذلك أهلك سيرجعون ويسبحون الله ﴿ولا تكن أنت ﴿كصاحب الحوت﴾ في الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام أي لا تكن حالك كحاله أو قصتك كقصته ﴿اذ نادى﴾

رَبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ
لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

(٦٩) سُورَةُ الحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟
بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ

دعا ربه ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غما في بطن الحوت

٤٩ ﴿لولا أن تداركه﴾ أدركه ﴿نعمة﴾ رحمة ﴿من ربه لنبذ﴾ من بطن الحوت ﴿بالعراء﴾ بالأرض الفضاء ﴿وهو مذموم﴾ لكنه رحم فنبذ غير مذموم .

٥٠ ﴿فاجتباه ربه﴾ بالنبوة ﴿فجعله من الصالحين﴾ الأنبياء الكاملين في الصلاح .

وبعد أن منع الله نبيه أن يكون مع قومه كصاحب الحوت مع قومه في عدم الصبر سلاه تعالى واعلمه أنه انما يحجدون الآيات التي جاء بها حسدا فقال :

٥١ ﴿وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك﴾ بضم الياء وقرىء بفتحها ﴿بأبصارهم﴾ أي ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك عن مكانك ﴿لما سمعوا الذكر﴾ القرآن ﴿ويقولون﴾ حسدا ﴿انه لمجنون﴾ بسبب القرآن الذي جاء به

﴿وما هو﴾ أي القرآن ﴿الا ذكر﴾ موعظة ﴿للعالمين﴾ الجن والانس لا يحدث بسببه جنون ، انه ذكر لعامة خلقه تعالى ، ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وأمتنهم رأيا .

ابتدأت السورة بنفي الجنون عن النبي واثبات النعمة له ، وبشرته باسلام قومه ، وختمت بنفي الجنون عنه ، وأثبتت له الرسالة العالمية أكبر نعم الله التي أعطاه إياها ﷺ .

﴿ سورة الحاقة مكية ﴾

وهي احدى أو اثنتان وخمسون آية ، وموضوعها الرئيسي اثبات الدعوة الحاقة الثابتة ، وهي الدعوة الى الله ، وتوحيده في الالوهية والربوبية ، ونفي أي نوع من المشاركة له تعالى فيهما

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الحاقة﴾ دعوة الحق الثابتة وهي كلمة لا اله الا الله التي دعى بها الأنبياء الناس الى الله

٢ ﴿ما الحاقة﴾ تعظيم لشأنها وهو مبتدأ وخبر الحاقة .

٣ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما الحاقة﴾ زيادة تعظيم لشأنها . فما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى .

٤ ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ بالدعوة الحاقة لأنها تقرع قلوب المشركين اذا دعوا الى كلمة لا اله الا الله وترك ما سواها من دياناتهم الباطلة . او النفخة الثانية الداعية الى البعث .

٥ ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة .

٦ ﴿واما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ شديدة الصوت ﴿عاتية﴾ قوية شديدة على عاد مع شدتهم وقوتهم .

٧ ﴿سخرها﴾ أرسلها بالقوة والقهر ﴿عليهم سبع ليال وثمانية أيام﴾ أولها من صبح يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء ﴿حسوما﴾ متتابعات ﴿فترى القوم فيها

فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم
مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ
بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً
رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ
فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾
وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ
أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى
ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾

صرعى﴾ مطروحين هالكين ﴿كأنهم أعجاز﴾ أصول ﴿نخل خاوية﴾ ساقطة فارغة.

٨ ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ صفة نفس مقدرة التاء للمبالغة أي باق ، والجواب لا .

٩ ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ أي من تقدمه من الأمم الكافرة ، وقرىء بكسر القاف وفتح الباء أي أتباعه . ﴿والمؤتفكات﴾ أي أهلها وهي قرى قوم لوط ﴿بالخاطئة﴾ بالفعلات ذات الخطأ .

١٠ ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ أي لوطا وغيره في تكذيب الدعوة الحاقة ﴿فأخذهم أخذة رابية﴾ زائدة في الشدة على غيرها .

١١ ﴿انا لما طغى الماء﴾ علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حملناكم﴾ يعني آباءكم اذ أنتم في أصلابهم ﴿في الجارية﴾ السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها ، وغرق الباقون .

١٢ ﴿لنجعلها﴾ أي هذه الفعلة وهي انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين المكذبين بالدعوة الحاقة ﴿لكم تذكرة﴾ عظة ﴿وتعيها﴾ ولتحفظها ﴿اذن واعية﴾ حافظة لما تسمع من الأقوال والافعال الالهية والأسرار الربانية ، والوعي الحفظ في النفس والايعاء الحفظ في الوعاء .

ثم ذكر فيما يأتي أهوال يوم القيامة وكيف ينقسم الناس بالنسبة لانقيادهم للدعوة الحاقة في الدنيا وعدم انقيادهم لها فقال تعالى :

١٣ ﴿فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ للفصل بين الخلائق وهي الثانية .

١٤ ﴿وحملت﴾ رفعت ﴿الأرض والجبال فدكتا﴾ دقتا ﴿دكة واحدة﴾ .

١٥ ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة .

١٦ ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ ضعيفة .

١٧ ﴿والملك﴾ يعني الملائكة ﴿على ارجائها﴾ جوانب السماء ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ أي الملائكة المذكورين ﴿يومئذ ثمانية﴾ من الملائكة أو من صفوفهم .

١٨ ﴿يومئذ تعرضون﴾ للحساب ﴿لا تخفى﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿منكم خافية﴾ على الله من سرائركم التي تخفونها في الدنيا وتظنون أنه لا يطلع عليها أو لا تخفى على أحد خافية من الأسرار التي من حقها أن تخفى في دار الدنيا . هذا من الأهوال وأما من جهة الحساب وانقسام الناس الى فرقتين فقال تعالى :

١٩ ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول﴾ خطابا لجماعته لما سر به ﴿هاؤم﴾ خذوا ﴿اقرؤا كتابيه﴾ تنازع فيه هاؤم واقرأوا .

٢٠ ﴿اني ظننت﴾ تيقنت ﴿أني ملاق حسابيه﴾ .

٢١ ﴿فهو في عيشة راضية﴾ مرضية يرضى بها صاحبها .

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾
وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾
مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

٧٦٣

٢٢ ﴿في جنة عالية﴾ أي مرتفعة المكان لأنها في السماء السابعة ، ومرتفعة أيضا في الدرجات والأبنية والاشجار.

٢٣ ﴿قطوفها﴾ ثمارها ﴿دانية﴾ قريبة. يتناولها القائم والقاعد والمضطجع .

٢٤ فيقال لهم ﴿كلوا واشربوا هنيئا﴾ حال . أي متهنئين ﴿بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ الماضية في الدنيا .

٢٥ ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني لم أوت كتابيه﴾ .

٢٦ ﴿ولم أدر ما حسابيه﴾ .

٢٧ ﴿يا ليتها﴾ أي يا ليت هذه الحالة ﴿كانت﴾ الموتة في الدنيا ﴿القاضية﴾ القاطعة لحياتي بأن لا أبعث .

٢٨ ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ .

٢٩ ﴿هلك عني سلطانية﴾ قوتي وحجتي وهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفا ووصلا اتباعا للمصحف الامام والنقل ومنهم من حذفها وصلا .

٣٠ ﴿خذوه﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فغلوه﴾ اجمعوا يديه الى عنقه في الغل .

٣١ ﴿ثم الجحيم﴾ النار المحرقة ﴿صلوه﴾ أدخلوه .

٣٢ ﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا﴾ بذراع الملك ﴿فا سلكوه﴾ أي أدخلوه فيها بعد ادخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم .

ثم ذكر تعالى أسباب الكفر بما تضمنته الدعوة الحاقة فقال :

٣٣ ﴿انه﴾ الكافر الذي يعطى كتابه بشماله ﴿كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ .

٣٤ ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ لا يحمل نفسه ولا يحرض غيره على بذل طعامه وأضيف للمسكين لأنه حق له يستحقه من الأغنياء وذلك من ضمن محتويات الكلمة الحاقة فمن تركه كفر بها .

٣٥ ﴿فليس له﴾ الكافر ﴿اليوم ههنا حميم﴾ قريب ينتفع به .

٣٦ ﴿ولا طعام الا من غسلين﴾ صديد اهل النار أو شجر فيها .

٣٧ ﴿لا يأكله الا الخاطئون﴾ الكافرون اسم الفاعل خطيء وهو خاطيء من باب علم اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطيء من أخطأ اذا فعله غير متعمد .

ثم أثبت فيما يأتي أن القرآن هو نفس الدعوة الحاقة الثابتة من عند الله تعالى فقال :

٣٨ ﴿فلا أقسم﴾ أي أقسم قسما مؤكدا ﴿بما تبصرون﴾ من المخلوقات .

٣٩ ﴿وما لا تبصرون﴾ منها .

٤٠ ﴿انه﴾ أي القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ أي قاله رسالة عن الله تعالى ، ووصف الرسول بكريم أي على الله فهو غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوىء الأخلاق وهو محمد ﷺ ، وكونه كريما على الله يمنعه أن ينسب الكذب الى الله تعالى .

٤١ ﴿وما هو﴾ القرآن ﴿بقول شاعر قليلا ما تؤمنون﴾ لعنادكم لظهور الفرق بين القرآن والشعر.

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾
فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ
لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(٧٠) سُورَةُ المعَارِج مَكيَّة
وَآيَاتُهَا أَربَع وَأَربَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ

٧٦٤

٤٢ ﴿ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾ أن أحواله ﷺ منافية لطريقة الكاهن وأن معاني القرآن تنافي معاني الكهانة . القراءة بالتاء في الفعلين وفي قراءة بالياء فيهما . وما يؤكده للقلة ، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا .

٤٣ بل هو ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ كما هو بلفظه ومعانيه ليس لأحد الا الله فيه شيء . .

٤٤ ﴿ولو تقول﴾ أي النبي ﴿علينا بعض الأقاويل﴾ بأن قال عنا ما لم نقله .

٤٥ ﴿لأخذنا﴾ لنلنا ﴿منه﴾ عقابا ﴿باليمين﴾ بالقوة والقدرة .

٤٦ ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه .

٤٧ ﴿فما منكم من أحد﴾ هو اسم «ما» و«من» زائدة لتأكيد النفي و«منكم» حال من أحد ﴿عنه حاجزين﴾ مانعين خبر «ما» وجمع لأن أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي ﷺ أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب .

٤٨ ﴿وانه﴾ أي القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ .

٤٩ ﴿وانا لنعلم أن منكم﴾ أيها الناس ﴿مكذبين﴾ بالقرآن ومصدقين .

٥٠ ﴿وانه﴾ أي القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ اذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به .

٥١ ﴿وانه﴾ أي القرآن ﴿لحق اليقين﴾ من اضافة الصفة للموصوف أي لليقين الحق وحق اليقين فوق علم اليقين وقال ابن عباس هو كقولك اليقين ومحض اليقين .

٥٢ ﴿فسبح﴾ نزه يا محمد ﴿باسم ربك العظيم﴾ فهو أعظم نعمة من الله تعالى عليك .

﴿ سورة المعارج مكية ﴾

هي أربع وأربعون آية ، وموضوعها الرئيسي بيان ثبوت وقوع العذاب على الكفار لا محالة ، وداء النفس ودوائها

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿سأل سائل﴾ دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾ .

٢ ﴿للكافرين ليس له دافع﴾ نفت لعذاب وكان بعض الكفار يدعو بوقوع العذاب استهزاء به وتكذيبا بوقوعه «وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَٰٓئِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ
قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ
بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا
لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾
وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾
إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾

٣ ﴿من الله﴾ متصل بواقع . ﴿ذي المعارج﴾ مصاعد الملائكة في السموات.

٤ ﴿تعرج﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿الملائكة والروح﴾ جبريل ﴿اليه﴾ الى مهبط أمره من السماء ﴿في يوم﴾ متعلق بمحذوف أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كان مقداره خمسين الف سنة﴾ بالنسبة الى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث.

٥ ﴿فاصبر﴾ على تحمل اذاهم حتى يأتي أمر الله ﴿صبرا جميلا﴾ أي لا جزع فيه .

٦ ﴿انهم يرونه﴾ يظنونه أي العذاب ﴿بعيدا﴾ غير واقع .

٧ ﴿ونراه﴾ نعرفه ونعلمه ﴿قريبا﴾ واقعا لا محالة .

٨ ﴿يوم تكون السماء﴾ متعلق بمحذوف أي يقع العذاب يوم تكون السماء ﴿كالمهل﴾ كذائب الفضة .

٩ ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف في الخفة والطيران بالريح .

١٠ ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ قريب قريبه لاشتغال كل بحاله .

١١ ﴿يبصرونهم﴾ أي يبصر الاحماء بعضهم بعضا ويتعارفون ولا يتكلمون والفعل مبنى للمجهول والواو نائب الفاعل وهو مفعول به ثانى والجملة مستأنفة . ﴿يود المجرم﴾ يتمنى الكافر ﴿لو﴾ بمعنى أن ﴿يفتدي من عذاب يومئذ﴾ بكسر الميم وقرى بفتحها ﴿ببنيه﴾ .

١٢ ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿واخيه﴾ .

١٣ ﴿وفصيلته﴾ عشيرته لفصله منها ﴿التي تؤويه﴾ تضمه .

١٤ ﴿ومن في الارض جميعا ثم ينجيه﴾ ذلك الافتداء عطف على يفتدى .

١٥ ﴿كلا﴾ رد لما يوده ﴿انها﴾ القصة المرجع اليها الامر ﴿لظى﴾ اسم جهنم فمنع من الصرف لأنها تتلظى أي تلتهب على الكفار .

١٦ ﴿نزاعة للشوي﴾ جمع شواة وهي جلدة الرأس .

١٧ ﴿تدعو من أدبر﴾ عن الايمان بأن تقول له إلي إلي ﴿وتولى﴾ عما يطلب منه استقباله من أعمال الخير.

١٨ ﴿وجمع﴾ المال بالحرام ﴿فأوعى﴾ أمسكه في وعائه ولم يؤد حق الله عنه من النفقات الواجبة والنافلة .

١٩ ﴿ان الانسان﴾ جنسه ﴿خلق هلوعا﴾ حال مقدرة أي خلق معلولا بطبع الهلوع وتفسيره.

٢٠ ﴿اذا مسه الشر جزوعا﴾ وقت مس الشر له .

٢١ ﴿واذا مسه الخير منوعا﴾ وقت مس الخير له أي المال ومنوع لحق الله منه

ثم ذكر دواء هذه العلة من الانسان بقوله مستثنيا من الانسان

٢٢ ﴿الا المصلين﴾ المؤمنين لأن الصلاة الشرعية يستلزم أداؤها الايمان فان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

٢٣ ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ مواظبون ولا يتركونها أداء وقضاء .

٢٤ ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ هو الزكاة .

٢٥ ﴿للسائل والمحروم﴾ المتعفف عن السؤال فيحرم .

٢٦ ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ الجزاء .

٢٧ ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون .

٢٨ ﴿ان عذاب ربهم غير مأمون﴾ نزوله ووقوعه .

٢٩ ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ .

١٠ ﴿الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ من الاماء ﴿فانهم غير ملومين﴾ .

٣١ ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ المتجاوزون الحلال الى الحرام .

٣٢ ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ وفي قراءة بالافراد أي ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وعهدهم﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿راعون﴾ حافظون .

٣٣ ﴿والذين هم بشهاداتهم﴾ بالجمع وفي قراءة بالافراد ﴿قائمون﴾ يقيمونها ولا يكتمونها .

٣٤ ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ بأدائها في أوقاتها على أكمل أحوالها من الاتيان بجميع واجباتها وسننها ومنها الاجتهاد في تفريغ القلب من الوسوسة والرياء والسمعة وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : فمن حفظها وحافظ عليها فقد حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . فالصفات المذكورة الثمانية لا بد من الاتصاف بجميعها حتى يخرج الانسان بها مما طبع عليه من الهلع ويدل عليه قوله تعالى :

٣٥ ﴿أولئك﴾ المتصفون بتلك الصفات الثمانية ﴿في جنات مكرمون﴾ معظمون بأنواع الكرامات ثم وصف الناس الذين يتصفون بصفات الهلع بأحوالهم حال الوعظ وجعل الكلام على صيغة السؤال ليجلب النظر الى صورهم كأنها محسوسة فقال :

٣٦ ﴿فمال الذين كفروا قبلك﴾ نحوك حال الوعظ ﴿مهطعين﴾ حال أي مديمي النظر .

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى
وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ
قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾
أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا
إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ

٣٧ ﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ منك ﴿عزين﴾ حال أيضا أي جماعات حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم . قال تعالى :

٣٨ ﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ .

٣٩ ﴿كلا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿انا خلقناهم﴾ كغيرهم ﴿مما يعلمون﴾ من نطف فلا يطمع بذلك في الجنة انما يطمع فيها بالتقوى .

وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا
نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ
سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ
تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(٧١) سورة نوح مكية
وآياتها ثمان وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ

٤٠ ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ والمقصود بها مواضع شروق الشمس ومواضع غروبها أو أوقاتها ﴿انا لقادرون﴾ .

٤١ ﴿على أن نبدل﴾ نأتي بدلهم ﴿خيرا منهم وما نحن بمسبوقين﴾ عاجزين عن ذلك .

٤٢ ﴿فذرهم﴾ اتركهم ﴿يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا﴾ يلقوا ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ فيه العذاب .

٤٣ ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ القبور ﴿سراعا﴾ الى المحشر ﴿كأنهم الى نصب﴾ بضم الحرفين وفي قراءة بالفتح والاسكان أي شيء منصوب كعلم أو راية يسرعون اليه اسراعا من ضل عن الطريق الى أعلامها ﴿يوفضون﴾ يسرعون .

٤٤ ﴿خاشعة﴾ ذليلة ﴿أبصارهم ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ ذلك مبتدأ و ما بعده الخبر ومعناه يوم القيامة أي يوعدون في الدنيا بوقوع العذاب فيه على من لم يؤمن بالله ورسوله محمد ﷺ وهو العذاب الذي سأله سائل منهم أول السورة فقد رجع آخرها على أولها والحمد لله رب العالمين .

﴿ سورة نوح مكية ﴾

هي ثمان أو تسع وعشرون آية ، وموضوعها الرئيسي هو الارشاد والدعوة الى التوحيد ، اللذان قام بهما نوح عليه السلام في قومه ، وما لاقى منهم من الأذى ، ولم يؤمنوا حتى دعا عليهم فأهلكوا بالطوفان ، وهو أول رسول الى جميع أهل الأرض ، وأول من شرعت له الشرائع ، وأول رسول أنذر من الشرك وأهلكت أمته .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر﴾ أي بانذار ﴿قومك من قبل أن يأتيهم﴾ ان لم يؤمنوا ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة .

٢ ﴿قال يا قوم اني لكم نذير مبين﴾ بين الانذار .

٣ ﴿أن﴾ أي بأن أقول لكم ﴿اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ
ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى
دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ
فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟
ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ
لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل
لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ
سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

٤ ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ من زائدة فان الاسلام يجب ما قبله أو تبعيضيه لاخراج حقوق العباد فانها لا تغفر بالاسلام ان كان ذميا ﴿ويؤخركم﴾ بلا عذاب ﴿الى أجل مسمى﴾ أجل الموت ﴿ان أجل الله﴾ بعذابكم ان لم تؤمنوا ﴿اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ ذلك لآمنتم .

٥ ﴿قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا﴾ أي دائما متصلا .

٦ ﴿فلم يزدهم دعائي الا فرارا﴾ عن الايمان .

٧ ﴿واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ غطوا رؤوسهم بها لئلا يروني ﴿وأصروا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ تكبروا عن الايمان ﴿استكبارا﴾ تكبرا حقيقيا قد أفادت هذه الآية بالصريح بأنهم عصوا نوحا وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار .

٨ ﴿ثم اني دعوتهم جهارا﴾ أي باعلاء صوتي .

٩ ﴿ثم اني أعلنت لهم﴾ صوتي ﴿وأسررت لهم﴾ الكلام ﴿اسرارا﴾ .

١٠ ﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ من الشرك ﴿انه كان غفارا﴾ .

قال القشيري من رفعت له حاجة الى الله لم يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار قال خطيب وليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله بل الرجوع عن الذنوب وتطهير الالسنة والقلوب .

١١ ﴿يرسل السماء﴾ المطر وكانوا قد منعوه لما كذبوه فحبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم ﴿عليكم مدرارا﴾ كثير الدرور .

١٢ ﴿ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات﴾ بساتين ﴿ويجعل لكم أنهارا﴾ جارية .

١٣ ﴿مالكم لا ترجون لله وقارا﴾ أي لا تأملون وقارا لله اياكم بأن تؤمنوا .

١٤ ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ جميع طور وهو الحال فطورا نطفه وطورا علقة الى تمام خلق الانسان والنظر في خلقه يوجب الايمان بخالقه .

١٥ ﴿ألم تروا﴾ تنظروا ﴿كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ بعضها فوق بعض .

١٦ ﴿وجعل القمر فيهن﴾ أي في مجموعهن الصادق بالسماء

ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن
لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا
وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ
أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ
ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ

الدنيا ﴿نورا وجعل الشمس سراجا﴾ مصباحا مضيئا وهو أقوى من نور القمر.

١٧ ﴿والله أنبتكم﴾ خلقكم ﴿من الأرض﴾ اذ خلق أباكم آدم منها ﴿نباتا﴾.

١٨ ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ مقبورين ﴿ويخرجكم﴾ للبعث ﴿اخراجا﴾.

١٩ ﴿والله جعل لكم الأرض بساطا﴾ مبسوطة.

٢٠ ﴿لتسلكوا منها سبلا﴾ طرقا ﴿فجاجا﴾ واسعة.

٢١ ﴿قال نوح رب﴾ بعد يأسه منهم ﴿انهم عصوني واتبعوا﴾ أي السفلة والفقراء ﴿من لم يزده ماله وولده﴾ وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك. وولده بفتح الواو واللام وقرىء بضم الواو وسكون اللام وهو جمع ولد بفتحها كخشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل ﴿الا خسارا﴾ طغيانا وكفراً.

٢٢ ﴿ومكروا﴾ أي الرؤساء ﴿مكرا كبارا﴾ عظيما جدا بأن كذبوا نوحا وآذوه ومن اتبعه.

٢٣ ﴿وقالوا﴾ للسفلة ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا﴾ بفتح الواو وقرىء بضمها ﴿ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ هي اسماء أصنامهم وأصلها أسماء رجال صالحين. بين آدم ونوح عليهما السلام وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس أن يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا جاء الخرون فقالوا ليت شعري ما هذه الصور التي كان يعبدها آباؤنا فجاء الشيطان فقال كان اباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدئت عبادة الأوثان من ذلك الوقت.

٢٤ ﴿وقد أضلوا﴾ بها ﴿كثيرا﴾ من الناس بأن أمروهم بعبادتها ﴿ولا تزد الظالمين الا ضلالا﴾ عطف على قد أضلوا. دعا عليهم لما أوحي اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن.

٢٥ ﴿مما﴾ ما صلة ﴿خطيئاتهم﴾ بالهمز وفي قراءة خطاياهم ﴿أغرقوا﴾ بالطوفان ﴿فأدخلوا نارا﴾ عوقبوا بها عقب الاغراق تحت الماء ﴿فلم يجدوا لهم من دون﴾ أي غير ﴿الله أنصارا﴾ يمنعون عنهم العذاب. ثم ذكر الدعاء عليهم بعد ذكر سببه من خطيئاتهم المستمرة فقال:

٢٦ ﴿وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا﴾ أي نازل دار والمعنى أحدا.

٢٧ ﴿انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا﴾ من يفجر ويكفر قال ذلك لما تقدم من الايحاء اليه.

وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

(٧٢) سُورَةُ الجِنِّ مَكِّيَّة
وآياتها ثمان وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ

٢٨ ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ وكانا مؤمنين واسم أبيه لمك بفتحتين او بفتح فسكون ابن متوشلح بضم الميم وفتح التاء وسكون الشين وكسر اللام ابن أخنوخ وهو ادريس عليه السلام وأمه شمخى بوزن سكرى بنت أنوش ﴿ولمن دخل بيتي﴾ منزلي أو مسجدي ﴿مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾ الى يوم القيامة ﴿ولا تزد الظالمين الا تبارا﴾ هلاكا فأهلكوا معهم صبيانهم لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم .

بدأت السورة بالانذار وختمت بالهلاك لمن لم يؤمن بالله ويتبع رسوله واشتملت على الملاحظات في الدعوة والارشاد مع عناد المدعو وتكبره ضد الداعي المنصف .

﴿ سورة الجن مكية ﴾

هي ثمان وعشرون آية وموضوعها الرئيسي بيان حال الداعي الى الله والمدعوين وما يجب أن يحافظ عليه الداعي من الاداب بينه وبين ربه العلي وبينه وبين المدعوين .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل﴾ يا محمد للناس ليعلموا أنك مبعوث الى الجن كالانس وان الجن مع اختلاف جنسهم لما سمعوا القرآن وعرفوا اعجازه آمنوا به ﴿اوحي الي﴾ أي أخبرت بالوحي من الله تعالى ﴿أنه﴾ الضمير للشأن ﴿استمع﴾ لقراءتي ﴿نفر من الجن﴾ جن نصيبين قرية باليمن وذلك في صلاته الصبح ببطن نخل بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا في قوله تعالى «واذ صرفنا اليك نفرا من الجن» الآية ﴿فقالوا﴾ لقومهم لما رجعوا اليهم ﴿انا سمعنا قرآنا عجبا﴾ يتعجب من فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك .

٢ ﴿يهدي الى الرشد﴾ الايمان والصواب ﴿فآمنا به ولن نشرك﴾ بعد اليوم ﴿بربنا أحدا﴾ .

٣ ﴿وانه﴾ الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده ﴿تعالى جد ربنا﴾ تنزه جلاله وعظمته عما نسب اليه ﴿ما اتخذ صاحبة﴾ زوجة ﴿ولا ولدا﴾ .

٤ ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ جاهلنا ﴿على الله شططا﴾ غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد .

٥ ﴿وأنا ظننا أن﴾ مخففة أي أنه ﴿لن تقول الانس والجن على الله كذبا﴾ بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك قال تعالى :

٦ ﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون﴾ يستعيذون ﴿برجال من الجن﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل

فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي
أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾
وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ
قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن
نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن
يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾

٧٧١

رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فزادوهم﴾ بعوذهم بهم ﴿رهقا﴾ طغيانا فقالوا سدنا الجن والانس .

٧ ﴿وانهم﴾ أي الجن ﴿ظنوا كما ظننتم﴾ يا أنس ﴿أن﴾ مخففة أي أنه ﴿لن يبعث الله أحدا﴾ أي لا يرسل أحداً .

٨ قال الجن ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ رمنا استراق السمع منها ﴿فوجدناها ملئت حرسا﴾ من الملائكة ﴿شديدا وشهبا﴾ نجوما محرقة وذلك لما بعث النبي ﷺ .

٩ ﴿وأنا كنا﴾ أي قبل مبعثه ﴿نقعد منها مقاعد للسمع﴾ أي نستمع ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ أي ارصد له ليرمى به .

١٠ ﴿وأنا لا ندري أشر أريد﴾ بعدم استراق السمع ﴿بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ خيرا .

١١ ﴿وأنا منا الصالحون﴾ بعد استماع القرآن ﴿ومنا دون ذلك﴾ أي قوم غير صالحين ﴿كنا طرائق قددا﴾ فرقا مختلفين مسلمين وكافرين .

١٢ ﴿وأنا ظننا أن﴾ مخففة أي أنه ﴿لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا﴾ أي لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها الى السماء .

١٣ ﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ القرآن ﴿آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف﴾ بتقدير هو بعد الفاء . ﴿بخسا﴾ نقصا من حسناته ﴿ولا رهقا﴾ ظلما بالزيادة في سيئاته .

١٤ ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ الجائرون بكفرهم ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾ قصدوا هداية .

١٥ ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ وقودا وانا وأنهم في اثني عشر موضعا هي «وأنه تعالى وانا منا المسلمون» وما بينهما بفتح الهمزة بما يوجه به من تأويله بمصدره في محله وقرىء بكسرها استئنافا . وهذا آخر كلام الجن لاهلهم ففيه ارشاد للناس على أن الله يعوض لرسوله من يتبعه من غيرهم اذا تولوا عنه فالاولى لهم أن يسارعوا اليه بايمان فلا يستكبروا عنه فيذلوا
ثم بين تعالى فيما يأتي للمستكبرين عن اتباع الرسول .

١٦ ﴿وأن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف وأنهم وهو معطوف على أنه استمع ﴿لو استقاموا على الطريقة﴾ أي طريقة الاسلام وتركوا التكبر عنه ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ كثيرا من السماء أي لوسعنا في الدنيا وبسطنا لهم الرزق واقتصر على ذكر الماء لان الخير والرزق كله في المطر . وهو حكم مستمر في كل حين اذا استقام المسلمون على الاسلام رفعهم الله على غيرهم وهذا مثل قوله تعالى لبني اسرائيل في سورة المائدة «ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» واستعمل الطريقة بدل السبيل لأنهم كانوا يرون أن مايدعون إليه كأنه طريق غير مستقيم

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾
وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾
قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن
يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾
إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟
مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾
قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ
أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

١٧ ﴿لنفتنهم﴾ لنختبرهم ﴿فيه﴾ فنعلم كيف شكرهم علم ظهور ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ القرآن وما اشتمل عليه ﴿يسلكه﴾ بالياء وقرىء بالنون أي يدخله ﴿عذابا صعدا﴾ يعلوا أي عذابا يغمره ويعلو دائما ويزداد عليه .

١٨ ﴿وأن المساجد لله﴾ معطوف على أنه استمع أي أوحى الي أن المساجد أي مواضع الصلاة جمع مسجد بالفتح مرادا به الاعضاء الواردة في الحديث الجبهة والأنف والركبتان واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب وابن حبيب . والمعنى أن هذه الاعضاء أنعم الله بها فهي له ﴿فلا تدعو﴾ فيها أو بها ﴿مع الله أحدا﴾ بأن تشركوا في العبادة لله أو تسجدوا لغير الله . وأما الانحناء في التحية مثل تحية العجم فيحرم اذا صدق والا فيكره .

ولما نهى تعالى عن عبادة غيره بالمساجد أو فيها معه بين حال الدعوة فقال :

١٩ ﴿وانه﴾ بالفتح عطف على انه استمع وقرىء بالكسر استئنافا والضمير للشأن ﴿لما قام عبد الله﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يدعوه﴾ يعبده ببطن نخل ﴿كادوا﴾ أي الجن المستمعون لقراءته ﴿يكونون عليه لبدا﴾ بكسر اللام وقرىء بضمها جمع لبدة كاللبدة في ركوب بعضهم بعضا ازدحاما وحرصا على سماع القرآن وتعظيمها للداعي الذى سمعوا منه القرآن .

٢٠ ﴿قل﴾ يا محمد للذين اجتمعوا عليك لبد او في قراءة قال اي الداعي للمدعوين الذين يعظمونه كيلا يجاوزوا به حد - الشريعة ﴿إنما ادعوا ربي﴾ الها ﴿ ولا اشرك به احدا ﴾ اي ادعوكم الى عبادة ربي وربكم .

٢١ ﴿قل اني لا أملك لكم ضرا﴾ غيا ﴿ولا رشدا﴾ خيرا .

٢٢ ﴿قل اني لن يجيرني من الله﴾ من عذابه ان عصيته ﴿أحد ولن أجد من دونه﴾ أي غيره ﴿ملتحدا﴾ ملجأ .

٢٣ ﴿الا بلاغا﴾ استثناء من مفعول أملك أي لا أملك لكم الا البلاغ اليكم ﴿من الله﴾ أي عنه ﴿ورسالاته﴾ عطف على بلاغا وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض نفي الاستطاعة لدفع ضر أو جلب خير غير ما ذكر ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ في التوحيد فلم يؤمن ﴿فإن له نار جهنم خالدين﴾ حال من الضمير. في «له» رعاية لمعناها وهي حال مقدرة والمعنى يدخلونها مقدرا خلودهم ﴿فيها ابدا﴾ .

٢٤ ﴿حتى اذا رأوا﴾ ابتدائية فيها معنى الغاية المقدر قبلها أي لا يزالون على كفرهم الى أن يروا ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿فسيعلمون﴾ عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة ﴿من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أعوانا أهم أم المؤمنون على الاول أو أنا أم هم على الثاني فيمكن أن يقول بعضهم استهزاءمتى هذا الوعد .

٢٥ ﴿قل ان﴾ أي ما ﴿أدرى أقريب ما توعدون﴾ من عذاب ﴿أم يجعل له ربي أمدا﴾ غاية وأجلا لا يعلمه الا هو.

٢٦ ﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن العباد ﴿فلا يظهر﴾ يطلع ﴿على غيبه أحدا﴾ من الناس .

٢٧ ﴿الا من ارتضى من رسول فانه﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يسلك﴾ يجعل ويسير ﴿من بين يديه﴾

خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

(٧٣) سورة المزمل مكية وآياتها عشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ
أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ
تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ
ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ
سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ
تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

٧٧٣

أي الرسول ﴿ومن خلفه رصدا﴾ ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي أي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته حتى يبلغه للمرسل اليهم .

٢٨ ﴿ليعلم﴾ الله علم ظهور ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿قد أبلغوا﴾ الرسل ﴿رسالات ربهم﴾ روعي بجمع الضمير معنى من ﴿وأحاط بما لديهم﴾ عطف على مقدر أي ليعلم ذلك ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾ تمييز وهو محول عن المفعول والأصل أحصى عدد كل شيء .

فالسورة بدأت بالوحي من الله وختمت بوصفه تعالى بكمال العلم ليستدل على الحكمة فيما تضمنته من الاحكام وآداب الدعوة اليه .

﴿ سورة المزمل مكية ﴾

هي تسع عشرة آية أو عشرون وموضوعها الرئيسي بيان ية الرياضة والتربية الاسلامية في أول النبوة لاعداد النبي ﷺ واصحابه لحمل تكاليف الرسالة وليبقى أسوة للمسلمين . .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا ايها المزمل﴾ النبي وأصله المتزمل ادغمت التاء في الزاي أي المتلفف بثيابه حين مجيء الوحي له خوفا منه لهيبته .

٢ ﴿قم الليل﴾ صل وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما أنزل عليك ﴿الا قليلا﴾ .

٣ ﴿نصفه﴾ بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل ﴿أو انقص منه﴾ من النصف ﴿قليلا﴾ الى الثلث .

٤ ﴿أو زد عليه﴾ الى الثلثين وأو للتخيير ﴿ورتل القرآن﴾ تثبت في تلاوته ﴿ترتيلا﴾ .

٥ ﴿انا سنلقي عليك قولا﴾ قرآنا ﴿ثقيلا﴾ مهيبا أو شديدا لما فيه من التكاليف :

٦ ﴿ان ناشئة الليل﴾ القيام بعد النوم ﴿هي أشد وطأ﴾ بوزن ضربا أي أشد ثباتا للقدم ورسوخا في العبادة وفي قراءة وطاء بوزن قتالا أي موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿واقوم قيلا﴾ أبين قولا .

٧ ﴿ان لك في النهار سبحا طويلا﴾ تصرفا في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن .

٨ ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي دم عليه ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وقيل قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك سواء قرأت في الصلاة أو خارجها وعن مالك روايتان في قراءة صلاة الفريضة ولا خلاف عنده في النفل أنه جائز أو مستحب . ﴿وتبتل﴾ انقطع ﴿اليه﴾ في العبادة ﴿تبتيلا﴾ مصدر بتل جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتيل .

فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ
قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا
غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ
رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾
فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾
السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ
تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ
يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ
وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

٩ هو ﴿رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا﴾ موكولا له أمورك .

١٠ ﴿واصبر على ما يقولون﴾ ما يقوله الناس من الاذى ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ لا جزع فيه ولا نكافئهم وتداريهم وكل أمرهم الى الله فالله يكفيكهم .

١١ ﴿وذرني﴾ أتركني ﴿والمكذبين﴾ عطف على المفعول أو على المفعول معه والمعنى أنا كافيكهم وهم صناديد قريش ﴿أولي النعمة﴾ التنعم ﴿ومهلهم قليلا﴾ من الزمن فقتلوا بعد يسير منه ببدر.

١٢ ﴿ان لدينا أنكالا﴾ قيودا ثقالا جمع نكل بكسر النون ﴿وجحيما﴾ نارا محرقة .

١٣ ﴿وطعاما ذا غصة﴾ يغص به من الحلق وهو الزقوم أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وعذابا أليما﴾ مؤلما زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ .

١٤ ﴿يوم ترجف﴾ استقر لهم ما ذكر يوم تزلزل ﴿الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا﴾ رملا مجتمعا ﴿مهيلا﴾ سائلا بعد اجتماعه وهو من هال يهيل وأصله مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الهاء وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء ...

ثم التفت الى قريش فقال :

١٥ ﴿انا أرسلنا اليكم﴾ يا أهل مكة وباقي الناس تبع لكم ﴿رسولا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شاهدا عليكم﴾ يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان ﴿كما أرسلنا الى فرعون رسولا﴾ هو موسى عليه السلام .

١٦ ﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا﴾ شديدا منه المطر الوابل والوبيل الوخيم وزنا ومعنى .

١٧ ﴿فكيف تتقون ان كفرتم﴾ أي كيف توجدون الوقاية التي تقي أنفسكم اذا كفرتم في الدنيا والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى ﴿يوما﴾ مفعول تتقون أي عذابه أي بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والأصل في شين شيبا الضم وكسرت لمجانسة الياء . ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال وهو مجاز مرسل وصار حقيقة بالعرف .

١٨ ﴿السماء منفطر﴾ ذات انفطار أي انشقاق ﴿به﴾ بذلك اليوم لشدته .﴿كان وعده﴾ تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿مفعولا﴾ أي هو كائن لا محالة .

١٩ ﴿ان هذه﴾ الآيات المخوفة ﴿تذكرة﴾ عظة للخلق ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا﴾ طريقا بالايمان والطاعة .

٢٠ ﴿ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى﴾ أقل ﴿من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾ بالنصف عطف على أدنى وقرىء بالجر عطف على ثلثي وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة ﴿وطائفة من الذين معك﴾ عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به منهم من كان لا يدري

عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ
الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ
يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا
تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا
وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

(٧٤) سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾

كم صلى من الليل وكم بقي منه وكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو اكثر فخفف عنهم قال تعالى ﴿والله يقدر﴾ يحصي ﴿الليل والنهار علم أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿لن تحصوه﴾ أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه الا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم ﴿فتاب عليكم﴾ رجع بكم الى التخفيف ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر أي فنسخ التقدير بالاجزاء الثلاثة الى جزء من الليل. وسيأتي أن هذا الجزء نسخ أيضا بوجوب الصلوات الخمس. فالمراد بالقراءة الصلاة نفسها من اطلاق الجزء على الكل. وهذه التربية في حق النبي ﷺ وأصحابه الاولين وبه قال العلماء وهو ظاهر كلام الشافعي في الرسالة.

﴿علم﴾ الله ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض﴾ يسافرون ﴿يبتغون من فضل الله﴾ يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ولو بركعتين.

ففي الآية بين الله تعالى درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله بالاحسان، فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد لأن الله جمعه مع الجهاد في في سبيل الله قال ﷺ «ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله ﷺ «وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله» وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا من مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ وآخرون يضربون في الأرض الآيه.

ثم بعد ذلك نسخ وجوب قيام ما تيسر بالصلوات الخمس واستمر حكم الندب بقوله تعالى ﴿فاقرأوا ما تيسر منه﴾ كما تقدم ﴿وأقيموا الصلوة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكوة وأقرضوا الله﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قرضا حسنا﴾ عن طيب قلب ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا﴾ مما خلفتم وهو ضمير فصل وما بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف. ﴿وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ للمؤمنين لأن الانسان لا يخلو عن تفريط فطلب من لطفه تعالى ان تستغفروا في جميع أحوالكم ليغفر لكم

﴿ سورة المدثر مكية ﴾

هي خمس او ست وخمسون آية وموضوعها الرئيسي تعليم الاخلاق للداعي المنذر قبل أن يشرع في الدعوة الى الله تعالى وكيفية الدعوة.

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا ايها المدثر﴾ النبي ﷺ وأصله المتدثر أدغمت التاء في الدال أي المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه.

٢ ﴿قم﴾ من مضجعك وأترك التدثر بالثياب ﴿فانذر﴾ أي اشتغل بالمنصب الذي نصبك الله له وهو الانذار، أي تخويف الناس بالنار ان لم يؤمنوا.

٣ ﴿وربك فكبر﴾ عظم عن اشراك المشركين.

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن
تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾
فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾
ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾
سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا
سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ
سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾
لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا

٤ ﴿وثيابك فطهر﴾ عن النجاسة أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء، فر بما أصابتها النجاسة .

٥ ﴿والرجز﴾ فسره النبي ﷺ بالاوثان ﴿فاهجر﴾ أي دم على هجره .

٦ ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ بالرفع حال أي لا تعط شيئا لتطلب أكثر منه ، وهذا النهي الذي هو التحريم خاص به ﷺ ، اذ حرم عليه أن يعطي شيئا وينتظر عوضه لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب .

٧ ﴿ولربك فاصبر﴾ على الأوامر والنواهي .

٨ ﴿فاذا نقر في الناقور﴾ نفخ في الصور وهو القرن النفخة الثانية .

٩ ﴿فذلك﴾ أي وقت النقر ﴿يومئذ﴾ بدل مما قبله المبتدأ ، وبني لاضافته الى غير متمكن ، وخبر المبتدأ ﴿يوم عسير﴾ والعامل في اذا ما دلت عليه الجملة أي اشتد الأمر .

١٠ ﴿على الكافرين غير يسير﴾ فيه دلالة انه يسير على المؤمنين في عسره .

١١ ﴿ذرني﴾ أتركني ﴿ومن خلقت﴾ عطف على المفعول أو مفعول معه ﴿وحيدا﴾ حال من «من» أو من ضميره المحذوف من خلقت أي منفردا بلا أهل ولا مال هو كل كافر يغنيه الله بالاولاد والمال والجاه فتبطره النعمة ويتكبر عن الايمان مثل الوليد بن المغيرة المخزومي .

١٢ ﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ واسعا متصلا من الزرع والضروع والتجارة .

١٣ ﴿وبنين﴾ عشرة أو اكثر ﴿شهودا﴾ يشهدون المحافل وتسمع شهاداتهم ، أو يشهدون مجامع الناس لوجاهتهم .

١٤ ﴿ومهدت له﴾ وسعت له في العيش والعمر والولد ﴿تمهيدا﴾ .

١٥ ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ فأبى ان يخضع للايمان بي طلبا لزيادة العلو والرفعة في قومه .

١٦ ﴿كلا﴾ لا أزيده على ذلك لأنه أظهر كفره وعدم شكري ﴿انه كان لآياتنا﴾ أي القرآن ﴿عنيدا﴾ معاندا .

١٧ ﴿سأرهقه﴾ أكلفه ﴿صعودا﴾ مشقة من العذاب تزداد في كل يوم صعوبة أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوي أبدا .

١٨ ﴿انه فكر﴾ فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ أو غيره ﴿وقدر﴾ في نفسه ذلك .

١٩ ﴿فقتل﴾ لعن وعذب ﴿كيف قدر﴾ على أي حال كان تقديره .

٢٠ ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ .

٢١ ﴿ثم نظر﴾ في وجوه قومه أو أتباعه أو تفكر فيما يقدح به في الحق أو القرآن .

٢٢ ﴿ثم عبس﴾ قبض وجهه وكلحه ضيقا بما يقول ﴿وبسر﴾ زاد في القبض والكلوح .

٢٣ ﴿ثم أدبر﴾ عن الايمان ﴿واستكبر﴾ تكبر عن اتباع الحق أو النبي ﷺ .

٢٤ ﴿فقال﴾ فيما جاء به ﴿ان﴾ ما ﴿هذا الا سحر يؤثر﴾ ينقل عن السحر .

٢٥ ﴿ان﴾ ما ﴿هذا الا قول البشر﴾ كما قالوا انما يعلمه بشر أو يقولون مناسبا للحال .

٢٦ ﴿سأصليه﴾ أدخله ﴿سقر﴾ جهنم .

أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة
للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد
الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي
إلا ذكرى للبشر ﴿٣١﴾ كلا والقمر ﴿٣٢﴾ والليل إذ أدبر ﴿٣٣﴾
والصبح إذا أسفر ﴿٣٤﴾ إنها لإحدى الكبر ﴿٣٥﴾ نذيرا
للبشر ﴿٣٦﴾ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴿٣٧﴾ كل
نفس بما كسبت رهينة ﴿٣٨﴾ إلا أصحاب اليمين ﴿٣٩﴾
في جنات يتساءلون ﴿٤٠﴾ عن المجرمين ﴿٤١﴾ ما سلككم
في سقر ﴿٤٢﴾ قالوا لم نك من المصلين ﴿٤٣﴾ ولم نك نطعم

٢٧ ﴿وما أدراك ما سقر﴾ تعظيم لشأنها .

٢٨ ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ شيئا من لحم ولا عصب الا اهلكته ثم يعود كما كان .

٢٩ ﴿لواحة للبشر﴾ محرقة لظاهر الجلد .

٣٠ ﴿عليها تسعة عشر﴾ ملكا هم خزنتها .

ثم بين تعالى صفة من جعل خزنة النار أي التسعة عشر وذكرهم في الكتب السالفة السماوية فقال :

٣١ ﴿وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة﴾ أي فليسوا من البشر وملك واحد منهم أقوى من أهل الدنيا كلها ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ ذلك ﴿الا فتنة﴾ ضلالا ﴿للذين كفروا﴾ بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر ﴿ليستيقن﴾ ليستبين ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ أي اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إيمانا﴾ تصديقا لموافقة ما أتى به النبي ﷺ لما في كتاب الامم السالفة . ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ من غيرهم في عدد الملائكة أو في رسالة محمد ﷺ ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق بعلم اظهار الاسلام باللسان ﴿والكافرون﴾ الذين مردوا على الكفر ولم يدعوا الاسلام لأنفسهم ﴿ماذا أراد الله بهذا﴾ العدد ماذا مفعول مقدم ﴿مثلا﴾ سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا والجملة مقول القول ﴿كذلك﴾ أي مثل اضلال منكر هذا العدد وهدي مصدقه ﴿يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك﴾ أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم ﴿الا هو وما هي﴾ أي سقر ﴿الا ذكرى للبشر﴾ تذكير لهم . ثم إن العدد التسعة عشر حفظ لجميع معدود في القرآن مثل حروف البسملة وعدد السور وحروف فواتح السور وغيرها تقسم على التسعة عشر فيفنيها كما بينه الاكتشاف الأخير .

ثم وصف النار التي ينذر بها الناس أي أمر النبي المدثر بأن يقوم لينذر بها الناس فقال :

٣٢ ﴿كلا﴾ استفتاح بمعنى ألا ﴿والقمر﴾ .

٣٣ ﴿والليل اذ﴾ بسكون الذال ﴿أدبر﴾ تولى ومضى والفعل رباعي واستقبل النهار وفي قراءة اذا بفتح الذال والألف والفعل دبر ثلاثي من دبر الليل النهار اذا خلفه .

٣٤ ﴿والصبح اذا أسفر﴾ ظهر .

٣٥ ﴿انها﴾ أي سقر ﴿لاحدى الكبر﴾ البلايا العظيمة

٣٦ ﴿نذيرا﴾ حال من احدى وذكر لأنها بمعنى العذاب ﴿للبشر﴾ .

٣٧ ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من البشر ﴿أن يتقدم﴾ الى الخير أو الجنة بالايمان ﴿أو يتأخر﴾ الى الشر أو النار بالكفر .

٣٨ ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار .

٣٩ ﴿الا أصحاب اليمين﴾ وهم المؤمنين فناجون منها كائنون .

٤٠ ﴿في جنات يتساءلون﴾ بينهم .

٤١ ﴿عن المجرمين﴾ وحالهم ويقولون لهم

٤٢ ﴿ما سلككم﴾ أدخلكم ﴿في سقر﴾ .

٤٣ ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ .

ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ
ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ
مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ
مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾
كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

(٧٥) سُورَةُ القِيَامَةِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾

٤٤ ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾

٤٥ ﴿وكنا نخوض﴾ في الباطل ﴿مع الخائضين﴾ .

٤٦ ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ البعث والجزاء .

٤٧ ﴿حتى اتانا اليقين﴾ الموت .

هذا يدل على أن ما ينذر به الناس في أول الامر أن يؤمروا بالايمان بالله و بالرسالة ثم من الاعمال البدنية ما هو أوجب وأكثر فائدة وهو الصلاة ثم ما يتعلق بالمال من اطعام المساكين اذ فيه توازن الأمة ثم منع الخوض في باطل اذ فيه قوام الأمة ثم الاخبار بالمعاد والجزاء ليكون في العبادة روح باعث لما يرجو العابد بعمله من الثواب ثم الانذار بالنار لمنع الكسل في العبادة فينتج بذلك ايمان يتصل باليقين للموت . ويستفاد أيضا ان الكفر اذا لم يتصل بالموت لا يجعل صاحبه في النار المؤبد ةوهو قوله تعالى :

٤٨ ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ من الملائكة والانبياء والصالحين والمعنى لاشفاعة لهم اذا ماتوا على الكفر .

ثم صور حال الكفرة عند الوعظ وتنفرهم عن قبول الحق في صورة حية فقال :

٤٩ ﴿فما﴾ مبتدأ ﴿لهم﴾ خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره اليه ﴿عن التذكرة معرضين﴾ حال من الضمير والمعنى أي شيء حصل لهم في اعراضهم عن الاتعاظ .

٥٠ ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ وحشية .

٥١ ﴿فرت من قسورة﴾ أسد أي هربت منه أشد الهرب .

٥٢ ﴿بل يريد كل أمرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ أي من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه .

٥٣ ﴿كلا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ أي عذابها .

٥٤ ﴿كلا﴾ استفتاح ﴿انه﴾ أي القرآن ﴿تذكرة﴾ عظة .

٥٥ ﴿فمن شاء ذكره﴾ قرأه فاتعظ به

٥٦ ﴿وما يذكرون﴾ بالياء وقرىء بالتاء ﴿الا أن يشاء الله هو أهل التقوى﴾ أي أن يتقيه عباده ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدرتهم اليه ﴿وأهل المغفرة﴾ بأن يغفر لمن اتقاه .

بدأت السورة بالامر بالقيام للانذار وختمت بالمغفرة لمن اتقى ربه ، واشتملت على ارشادات الوعظ والانذار .

﴿ سورة القيامة مكية ﴾

هي أربعون آية وموضوعها الرئيسي البعث وإحياء الموتى والحث على عمل البر قبل فوات أوانه .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ قيل لا زائدة أي أقسم بها وقيل غير زائدة أي لا أقسم بها في اثبات أنها حق لكون الدلائل الدالة عليها واضحة .

٢ ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ التي تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دل عليه .

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ
عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ
أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾
كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾
يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ
الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾
لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾
وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

٣ ﴿أيحسب الانسان﴾ أي الكافر ﴿ألن نجمع عظامه﴾ للبعث والاحياء.

٤ ﴿بلى﴾ نجمعها ﴿قادرين﴾ مع جمعها ﴿على أن نسوي بنانه﴾ وهو الأصابع أي نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة.

٥ ﴿بل يريد الانسان ليفجر﴾ اللام زائدة ونصبه بأن مقدرة أي أن يكذب ﴿أمامه﴾ أي يوم القيامة دل عليه.

٦ ﴿يسأل أيان﴾ متى ﴿يوم القيامة﴾ سؤال استهزاء وتكذيب.

٧ ﴿فاذا برق البصر﴾ بكسر الراء وقرىء بفتحها دهش وتحير لما رأى مما كان يكذب به.

٨ ﴿وخسف القمر﴾ أظلم وذهب ضوءه.

٩ ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ طلعا من المغرب أو ذهب ضوءهما وذلك يوم القيامة.

١٠ ﴿يقول الانسان يومئذ أين المفر﴾ الفرار.

١١ ﴿كلا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ يتحصن به.

١٢ ﴿الى ربك يومئذ المستقر﴾ مستقر الخلائق فيحاسبون ويجازون.

١٣ ﴿ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ بأول عمله وآخره.

١٤ ﴿بل الانسان على نفسه بصيرة﴾ شاهد تنطق جوارحه بعمله والهاء للمبالغة فلا بد من جزائه.

١٥ ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ جمع معذرة على غير قياس أي لو جاء بكل معذرة ما قبلت قال تعالى لنبيه:

١٦ ﴿لا تحرك به﴾ القرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لسانك لتعجل به﴾ خوف أن يتفلت منه

١٧ ﴿ان علينا جمعه﴾ في صدرك ﴿وقرآنه﴾ قراءتك اياه أي جريانه على لسانك.

١٨ ﴿فاذا قرأناه﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فاتبع قرآنه﴾ استمع قراءته فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه.

١٩ ﴿ثم ان علينا بيانه﴾ بالتفهيم لك والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الاعراض عن آيات الله يتبغي التحذر منها وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها يتبغي الاقتداء بها.

٢٠ ﴿كلا﴾ استفتاح بمعنى الا ﴿بل تحبون العاجلة﴾ الدنيا بالتاء وقرىء بالياء في الفعلين.

٢١ ﴿وتذرون الآخرة﴾ فلا تعملون لها.

٢٢ ﴿وجوه يومئذ﴾ أي في يوم القيامة ﴿ناضرة﴾ حسنة مضيئة.

٢٣ ﴿الى ربها ناظرة﴾ أي يرون الله سبحانه وتعالى فى الآخرة .

٢٤ ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ كالحة شديدة العبوس .

٢٥ ﴿تظن﴾ توقن ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾ داهية عظيمة تكسر فقار الظهر .

ثم نبه تعالى على عجز الناس في حفظ الحياة الموجودة في جسم المحتضر ليستدلوا بذلك على كمال قدرة منشيء تلك الحياة في ذلك الجسم ومخرجها منه أمامهم . وقدرته أيضا على اعادتها فيه عند البعث فقال :

٢٦ ﴿كلا﴾ بمعنى ألا ﴿اذا بلغت﴾ النفس ﴿التراقي﴾ عظام الحلق

٢٧ ﴿وقيل﴾ قال من حوله ﴿من راق﴾ يرقيه ليشفى .

٢٨ ﴿وظن﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿أنه الفراق﴾ للدنيا .

٢٩ ﴿والتفت الساق بالساق﴾ أي احدى ساقيه بالاخرى عند الموت أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة .

٣٠ ﴿الى ربك يومئذ المساق﴾ أي السوق وهذا يدل على العامل في اذا ، المعنى اذا بلغت النفس الحلقوم تساق الى حكم ربها .

٣١ ﴿فلا صدق﴾ الانسان أنا نجمع عظامه ﴿ولا صلى﴾ الصلاة التي أنذر بأن تركها يورثه الشقاء والعذاب .

٣٢ ﴿ولكن كذب﴾ المنذر ﴿وتولى﴾ عن الايمان .

٣٣ ﴿ثم ذهب الى أهله يتمطى﴾ يتبختر في مشيته اعجابا بنفسه .

٣٤ ﴿أولى لك﴾ فيه التفات عن الغيبة وفائدته تحذير كل سامع فيشعر بأنه هو المقصود بالوعظ ، وكلمة «أولى» اسم فعل واللام للتبيين أي وليك ما تكره ﴿فأولى﴾ أي فهو أولى وأخص بك من غيرك .

٣٥ ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ تأكيد ثم بين تعالى فيما يأتي ان له ارادة مع القدرة في خلق الانسان ولم يخلق خلقه عبثا بل لحكمة فقال :

٣٦ ﴿أيحسب﴾ يظن ﴿الانسان أن يترك سدى﴾ هملا لا يكلف بالشرائع أي لا يحسب ذلك .

٣٧ ﴿ألم يك﴾ أي ﴿نطفة من مني يمنى﴾ بالياء وقرىء بالتاء يصب في الرحم .

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن
يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾
فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾
ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ
سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن
يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

٣٨ ﴿ثم كان علقة فخلق﴾ الله منها الانسان ﴿فسوى﴾ عدل أعضاءه .

٣٩ ﴿فجعل منه﴾ من المني الذي صار علقة أي قطعة دم ثم مضغة أي قطعة لحم ﴿الزوجين﴾ النوعين ﴿الذكر والانثى﴾ يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر في الرحم وهذا يدل على أن الله يخلق خلقه بالارادة والقصد اذ خروج الذكر والأنثى من مني واحد ورحم واحد يدل على الارادة التي تخصص كل شيء بما يراد به .

ثم ختم السورة بتعقيب يشتمل على جميع معاني الدروس في السورة فقال :

٤٠ ﴿أليس ذلك﴾ الفاعل لهذه الاشياء ﴿بقادر على أن يحي الموتى﴾ روي أنه ﷺ كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى رواه أبو داود والحاكم .

(٧٦) سورة الإنسان مدنية
وآياتها إحدى وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا
مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا
وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ
مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا

﴿ سورة الانسان مدنية ﴾

هي احدى وثلاثون آية وموضوعها الرئيسي بيان نعم الله على الانسان ابتداء وجزاء الشاكرين وجزاء من خالف أمره تعالى بعكس ذلك .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿هل﴾ حرف استفهام على بابه وهو للتقدير ويجاب عنه بنعم وقيل معناه هنا قد ﴿أتى على الانسان﴾ آدم ﴿حين من الدهر﴾ أربعون سنة ﴿لم يكن﴾ فيها ﴿شيئا مذكورا﴾ كان فيه مصورا من طين لا يذكر أو المراد بالانسان الجنس وبالحين مدة الحمل .

٢ ﴿انا خلقنا الانسان﴾ الجنس ﴿من نطفة امشاج﴾ أخلاط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين ﴿نبتليه﴾ نختبره بالتكليف والجملة مستأنفة أو حال مقدرة أي مريدين ابتلاءه عند تأهله ﴿فجعلناه﴾ بسبب ذلك ﴿سميعا بصيرا﴾ .

٣ ﴿انا هديناه السبيل﴾ بينا له طريق الهدى ببعث الرسل ﴿اما شاكرا﴾ أي مؤمنا ﴿واما كفورا﴾ حالان من المفعول أي بينا له في حال شكره أو كفره واما لتفصيل الاحوال . من أول السورة الى هنا ذكر النعم ابتداء التي انعم الله بها على الانسان من خلقه واعطائه الحواس وارسال الرسل اليه ثم رتب عليه ما يأتي بعد في الآخرة .

بدأ بذكر الكفار فقال :

٤ ﴿انا اعتدنا﴾ هيأنا ﴿للكافرين سلاسلا﴾ يسحبون بها في النار ﴿وأغلالا﴾ في أعناقهم تشد فيها السلاسل ﴿وسعيرا﴾ نارا مسعرة أي مهيجة يعذبون بها ثم اتبع بالمطيعين وما أعدلهم فقال :

٥ ﴿ان الابرار﴾ جمع بر أو بار وهم المطيعون ﴿يشربون من كأس﴾ هو اناء شرب الخمر وهي فيه والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعيض ﴿كان مزاجها﴾ ما تمزج به ﴿كافورا﴾ .

٦ ﴿عينا﴾ بدل من كافور فيها رائحة ﴿يشرب بها﴾ أي يشربون الكأس الممزوجة بالعين ﴿عباد الله﴾ أولياؤه ﴿يفجرونها تفجيرا﴾ يقودونها حيث شاءوا من منازلهم .

ثم ذكر سبب هذه النعم فقال :

٧ ﴿يوفون بالنذر﴾ في طاعة الله والنذر هنا كلمة شهادة أن لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ . وما اشتملت عليه من الطاعات ويوفون النذر بالقيام بالواجبات والمندوبات بقدر الطاقة اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ﴿ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾ أي ويضمون مع الطاعة خوف المقام أمام الله يوم القيامة أي يؤمنون بالبعث .

٨ ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ أي الطعام وشهوتهم له وعلى بمعنى مع ﴿مسكينا﴾ فقيرا ﴿ويتيما﴾ لا أب له ﴿وأسيرا﴾ يعني المحبوس بحق .

٩ ﴿انما نطعمكم لوجه الله﴾ لطلب رضاه وثوابه ﴿لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ شكرا أي وينفقون أموالهم التي لهم رغبة فيها لاهل الحاجات . كان الانفاق غير مقيد ثم قيد بالزكوة وما زاد عليها فهو خير ، ويقولون:

١٠ ﴿انا نخاف من ربنا يوما عبوسا﴾ تكلح الوجوه فيه أي كريه المنظر لشدته ﴿قمطريرا﴾ شديداً في ذلك أي ولهم مع الرغبة في الثواب الخوف من عذاب الله يوم القيامة اليوم الشديد لما فيه من الاهوال .

١١ ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم﴾ أعطاهم ﴿نضرة﴾ حسنا واضاءه في وجوههم ﴿وسرورا﴾ .

١٢ ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿جنة﴾ أدخلوها﴿وحريرا﴾ ألبسوه .

١٣ ﴿متكئين﴾ حال من مرفوع أدخلوها المقدر ﴿فيها على الأرائك﴾ السرر في الحجال ﴿لا يرون﴾ لا يجدون حال ثانية ﴿فيها شمسا ولا زمهريرا﴾ أي لا حر ولا برد أو المختار الزمهرير شدة البرد أي لا شمس فيها ولا قمر ولا فيح ولا زمهرير أي أن الجنة تستضيء بنور العرش وهي معتدلة الهواء .

١٤ ﴿ودانية﴾ قريبة عطف على محل لا يرون أي غير رائين ﴿عليهم﴾ منهم ﴿ظلالها﴾ شجرها ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع .

١٥ ﴿ويطاف عليهم﴾ فيها ﴿بآنية من فضة وأكواب﴾ أقداح بلا عرا ﴿كانت قواريرا﴾ .

١٦ ﴿قواريرا من فضة﴾ أي أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿قدروها﴾ أي الطائفون ﴿تقديرا﴾ على قدر ري الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك ألذ الشراب .

١٧ ﴿ويسقون فيها كأسا﴾ أي خمرا ﴿كان مزاجها﴾ ما تمزج به ﴿زنجبيلا﴾ .

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا
يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ
وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا
جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ
فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا
وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن
فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾
۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا

٧٨٢

١٨ ﴿عينا﴾ بدل من زنجبيلا ﴿فيها تسمى سلسبيلا﴾ يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب سهل المساغ في الحلق .

١٩ ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ بصفة الولدان لا يشيبون ﴿اذا رأيتهم حسبتهم﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لؤلؤا منثورا﴾ من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه في غير ذلك .

كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ
وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾
إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ
رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ
يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا
شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ
أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن
يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

٧٨٣

٢٠ ﴿واذا رأيت ثم﴾ أي وجدت الرؤية منك في الجنة ﴿رأيت﴾ جواب اذ ﴿نعيما﴾ لا يوصف ﴿وملكا كبيرا﴾ واسعا لا غاية له .

٢١ ﴿عاليهم﴾ فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر المبتدأ بعده وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المتصل به للمعطوف عليهم . ﴿ثياب سندس﴾ حرير ﴿خضر﴾ بالرفع ﴿واستبرق﴾ بالرفع ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر وفي قراءة بجر خضر وفي أخرى بجرهما ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ وفي موضع آخر من ذهب للايذان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ مبالغة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا ويقال لهم :

٢٢ ﴿ان هذا﴾ النعيم ﴿كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾ أي مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب من عند الله الكريم . وبعد ذكر أنواع النعم التي أنعم بها الله على الانسان ابتداء بلا مقابل بجزاء عمله عدلا أو فضلا في الدار الآخرة عموما خصص تكريمه بقوله تعالى :

٢٣ ﴿انا نحن﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ خبر ان فصلناه ولم ننزله جملة واحدة .

٢٤ ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿ولا تطع منهم﴾ أي الكفار ﴿آثما أو كفورا﴾ أي مرتكبا للاثم أو كافر فيما يوجب اثما أو كفرا وهو الامر وان كان أصله خاصا للنبي ﷺ ولكن حكمه عام لجميع أفراد الامة اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٢٥ ﴿واذكر اسم ربك﴾ في الصلاة ﴿بكرة وأصيلا﴾ .

٢٦ ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وسبحه ليلا طويلا﴾ صل التطوع فيه . والتهجد في حقه ﷺ واجب كما تقدم في الاسراء «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» . وأما التهجد في غيره فمندوب .

٢٧ ﴿ان هؤلاء﴾ الكفار المعاندين لك ﴿يحبون العاجلة﴾ الدنيا ﴿ويذرون وراءهم يوما ثقيلا﴾ شديدا أي يوم القيامة لا يعملون له .

٢٨ ﴿نحن خلقناهم وشددنا﴾ قوينا ﴿أسرهم﴾ أعضاءهم ومفاصيلهم ﴿واذا شئنا بدلنا﴾ جعلنا ﴿أمثالهم﴾ في الخلقة بدلا منهم بأن نهلكهم ﴿تبديلا﴾ تأكيد ووقعت «اذا» موقع «ان» نحو «ان يشأ يذهبكم» لأنه تعالى لم يشأ ذلك ولذا لما يقع .

٢٩ ﴿ان هذه﴾ السورة ﴿تذكرة﴾ تذكير للناس على ما أنعم الله عليهم من النعم ابتداء في الدنيا ثم أرشدهم لما فيه صلاح حالهم في الآخرة حيث اعد لهم نعما لا تحصى أو عذابا لا يطاق ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا﴾ طريقا بالطاعة .

٣٠ ﴿وما تشاءون﴾ بالتاء وقرىء بالياء اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿الا ان يشاء الله﴾ ذلك ﴿ان الله كان عليما﴾ بخلقه ﴿حكيما﴾ في فعله .

٣١ ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ جنته وهم المؤمنون ﴿والظالمين﴾ ناصبه فعل مقدر أي أوعد يفسره ﴿أعد لهم عذابا اليما﴾ مؤلما وهم الكافرون .

﴿ سورة المرسلات مكية ﴾

وهي خمسون آية وموضوعها الرئيسي اثبات وقوع الجزاء يوم القيامة بدلالة آيات قدرته تعالى في الدنيا .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والمرسلات عرفا﴾ أي حلف الله بالرياح المتتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا وهي رياح الرحمة ونصبه على الحال .

٢ ﴿فالعاصفات عصفا﴾ الرياح الشديدة وهي رياح العذاب تهب بشدة بالعذاب على الكفار .

٣ ﴿والناشرات نشرا﴾ الرياح تنشر المطر والخير .

٤ ﴿فالفارقات فرقا﴾ أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام .

٥ ﴿فالملقيات ذكرا﴾ أي الملائكة تنزل بالوحي الى الأنبياء والرسل يلقون الوحي الى الامم .

٦ ﴿عذرا﴾ لأجل ازالة اعذار الخلائق على حد قوله «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» ﴿أو نذرا﴾ أي لأجل التخويف للمبطلين وقرىء بضم ذال عذرا .

٧ ﴿انما توعدون﴾ أي الكفار من البعث والجزاء بالعذاب أو الثواب ﴿لواقع﴾ كائن لا محالة .

٨ ﴿فاذا النجوم طمست﴾ محي نورها .

٩ ﴿واذا السماء فرجت﴾ شقت .

١٠ ﴿واذا الجبال نسفت﴾ فتت وسيرت .

١١ ﴿واذا الرسل أقتت﴾ بالهمزة بدلا من واو الاصل وقرىء بالواو أي جمعت لوقت الشهادة على أممهم .

١٢ ﴿لأي يوم﴾ ليوم عظيم ﴿أجلت﴾ الرسل للشهادة على أممهم بالتبليغ .

١٣ ﴿ليوم الفصل﴾ بين الخلق ويؤخذ منه جواب اذا أي وقع الفصل بين الخلائق .

(٧٧) سُورَةُ المُرسَلاتِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾
وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ
ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾
فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ
يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ
ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ

١٤ ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ تهويل لشأنه .

١٥ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ هذا وعيد لهم .

١٦ ﴿ألم نهلك الاولين﴾ بتكذيبهم أي أهلكناهم .

١٧ ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم .

بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم
مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً
وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم
مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ
مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي
بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ
الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ

٧٨٥

١٨ ﴿كذلك﴾ مثل فعلنا بالمكذبين ﴿نفعل بالمجرمين﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم .

١٩ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ تأكيد .

٢٠ ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ ضعيف وهو المني .

٢١ ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ حريز وهو الرحم .

٢٢ ﴿الى قدر معلوم﴾ وهو وقت الولادة .

٢٣ ﴿فقدرنا﴾ على ذلك ﴿فنعم القادرون﴾ نحن .

٢٤ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ .

٢٥ ﴿ألم نجعل الارض كفاتا﴾ مصدر كفت بمعنى ضم أي ضامة .

٢٦ ﴿أحياء﴾ على ظهرها ﴿وأمواتا﴾ في بطنها .

٢٧ ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ جبالا مرتفعات ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ عذبا .

٢٨ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ ويقال للمكذبين يوم القيامة .

٢٩ ﴿انطلقوا الى ما كنتم به﴾ من العذاب ﴿تكذبون﴾ .

٣٠ ﴿انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب﴾ وهو دخان جهنم اذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته .

٣١ ﴿لا ظليل﴾ يظلهم من حر ذلك اليوم ﴿ولا يغني﴾ يرد عنهم شيئا ﴿من اللهب﴾ النار .

٣٢ ﴿انها﴾ أي النار ﴿ترمي بشرر﴾ هو ما تطاير منها ﴿كالقصر﴾ من البناء في عظمه وارتفاعه .

٣٣ ﴿كأنه جمالة﴾ جمع جمل وفي قراءة جمالات جمع جمالة ﴿صفر﴾ في هيئتها ولونها وفي الحديث شرار النار أسود كالقير . والعرب تسمي سود الابل صفرا لشوب سوادها بصفرة ، فقيل صفر في الآية بمعنى سود لما ذكر ، وقيل لا والشرر جمع شرارة والقير القار .

٣٤ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ .

٣٥ ﴿هذا﴾ أي يوم القيامة ﴿يوم لا ينطقون﴾ فيه بشيء في بعض المواقف فان يوم القيامة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القرآن الكريم ففي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون .

٣٦ ﴿ولا يؤذن لهم﴾ في العذر ﴿فيعتذرون﴾ عطف على «يؤذن لهم» من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا اذن فلا اعتذار .

٣٧ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ .

٣٨ ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم﴾ أيها المكذبون من هذه الامة ﴿والاولين﴾ من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا

فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا
وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا
قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَإِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي

٣٩ ﴿فان كان لكم كيد﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فكيدون﴾ فافعلوها

٤٠ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ .

٤١ ﴿ان المتقين في ظلال﴾ أي تكاثف أشجار اذ لا شمس يظل من حرها ﴿وعيون﴾ نابعة من الماء .

٤٢ ﴿وفواكه مما يشتهون﴾ فيه اعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب ويقال لهم :

٤٣ ﴿كلوا واشربوا هنيئا﴾ حال أي متهنئين ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الطاعات .

٤٤ ﴿انا كذلك﴾ كما جزينا المتقين ﴿نجزي المحسنين﴾ .

٤٥ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ .

٤٦ ﴿كلوا وتمتعوا﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قليلا﴾ من الزمان وغايته الى الموت وفي هذا تهديد لهم ﴿انكم مجرمون﴾ .

٤٧ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ .

٤٨ ﴿واذا قيل لهم اركعوا﴾ صلوا ﴿لا يركعون﴾ لا يصلون .

٤٩ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي بما أمروا به ونهوا عنه .

٥٠ ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي القرآن ﴿يؤمنون﴾ أي لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره منها واشتماله على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة ولانه مصدق للكتب القديمة موافق لها في أصول الدين فيلزم من التكذيب به تكذيب غيره من الكتب لان ما في غيره موجود فيه فلا يمكن الايمان بغيره مع التكذيب به .

﴿ سورة النبأ مكية ﴾

وهي اربعون آية وموضوعها الرئيسي بيان اثبات أن الرسالة والقرآن حق وأن الله بعث محمدا ﷺ ليبلغه للناس والاستدلال بالمحسوس على المعقول .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿عم﴾ عن أي شيء وقرئ بزيادة هاء السكت ﴿يتساءلون﴾ يسأل بعض قريش بعضا .

٢ ﴿عن النبأ العظيم﴾ بيان لذلك الشيء والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن المشتمل على الاسلام وما احتوى عليه .

هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ
أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ
مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾
لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ
يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾
لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ
فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً

٧٨٧

٣ ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ المؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه .

٤ ﴿كلا﴾ ردع ﴿سيعلمون﴾ ما يحل بهم على انكارهم .

٥ ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ تأكيد وجيء فيه بثم للايذان بأن الوعيد الثاني أشد من الاول ثم أومأ تعالى الى القدرة على البعث فقال :

٦ ﴿ألم نجعل الأرض مهادا﴾ فراشا كالمهد .

٧ ﴿والجبال أوتادا﴾ تثبت بها الأرض كما ثبت الخيام بالاوتاد والاستفهام للتقرير .

٨ ﴿وخلقناكم أزواجا﴾ ذكورا واناثا .

٩ ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ راحة لابدانكم .

١٠ ﴿وجعلنا الليل لباسا﴾ ساترا بسواده .

١١ ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ وقتا للمعاش .

١٢ ﴿وبنينا فوقكم سبعا﴾ سبع سموات ﴿شدادا﴾ جمع شديدة أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان .

١٣ ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ منيرا وقادا يعني الشمس .

١٤ ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض ﴿ماء ثجاجا﴾ صبابا .

١٥ ﴿لنخرج به حباً﴾ كالحنطة ﴿ونباتا﴾ كالتبن .

١٦ ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿ألفافا﴾ ملتفة جمع لفيف كشريف واشراف .

١٧ ﴿ان يوم الفصل﴾ بين الخلائق ﴿كان ميقاتا﴾ وقتا للثواب والعقاب .

١٨ ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ اسرافيل ﴿فتأتون﴾ من قبوركم الى الموقف ﴿أفواجا﴾ جماعات مختلفة .

١٩ ﴿وفتحت﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد ﴿السماء﴾ شققت لنزول الملائكة ﴿فكانت أبوابا﴾ ذات أبواب .

٢٠ ﴿وسيرت الجبال﴾ ذهب بها عن أماكنها ﴿فكانت سرابا﴾ هباء أي مثله في خفة سيرها .

٢١ ﴿ان جهنم كانت مرصادا﴾ راصدة أو مرصدة .

٢٢ ﴿للطاغين﴾ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مآبا﴾ مرجعا لهم فيدخلونها .

٢٣ ﴿لابثين﴾ حال مقدرة أي مقدرا لهم لبثهم ﴿فيها أحقابا﴾ دهورا لا نهاية لها جمع حقب بضم أوله .

٢٤ ﴿لا يذوقون فيها بردا﴾ نوما فانهم لا يذقونه وبرد الشراب و برد الريح وكل برد له راحة لا يذوقونه في تلك الاحقاب في النار وأما الزمهرير فهو برد يتأذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله أعلم به ﴿ولا شرابا﴾ ما يشرب تلذذا .

٢٥ ﴿الا﴾ لكن ﴿حميما﴾ ماء حارا غاية الحرارة ﴿وغساقا﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف ما يسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه جزوا بذلك .

وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾
فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾
وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾
جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾
يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا
قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

٢٦ ﴿جزاء وفاقا﴾ موافقا لعملهم فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار .

٢٧ ﴿انهم كانوا لا يرجون﴾ لا يخافون ﴿حسابا﴾ لانكارهم البعث .

٢٨ ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿كذابا﴾ تكذيبا .

٢٩ ﴿وكل شيء﴾ من الاعمال ﴿أحصيناه﴾ ضبطناه ﴿كتابا﴾ كتب في اللوح المحفوظ لنجازي عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن .

٣٠ ﴿فذوقوا﴾ أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم ﴿فلن نزيدكم الا عذابا﴾ فوق عذابكم .

٣١ ﴿ان للمتقين مفازا﴾ مكان فوز في الجنة .

٣٢ ﴿حدائق وأعنابا﴾ عطف على مفازا .

٣٣ ﴿وكواعب﴾ جواري تكعبت ثديهن جمع كاعب ﴿أترابا﴾ على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء .

٣٤ ﴿وكأسا دهاقا﴾ خمرا مالئة محالها وفي القتال «وانهار من خمر» .

٣٥ ﴿لا يسمعون فيها﴾ أي الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال ﴿لغوا﴾ باطلا من القول ﴿ولا كذابا﴾ بالتشديد أي تكذيب من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر وفي قراءة بالتخفيف كذبا .

٣٦ ﴿جزاء من ربك﴾ أي جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عطاء﴾ بدل من جزاء ﴿حسابا﴾ أي كثيرا من قولهم أعطاني فأحسبني أي أكثر علي حتى قلت حسبي .

٣٧ ﴿رب السموات والارض﴾ بالجر وقرىء بالرفع في رب ﴿وما بينهما الرحمن﴾ كذلك وقرىء برفعه مع جر رب ﴿لا يملكون﴾ الخلق ﴿منه﴾ تعالى ﴿خطابا﴾ أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه .

٣٨ ﴿يوم﴾ ظرف للا يملكون ﴿يقوم الروح﴾ جبريل أو جند الله ﴿والملائكة صفا﴾ حال أي مصطفين ﴿لا يتكلمون﴾ أي الخلق ﴿الا من أذن له الرحمن﴾ الكلام ﴿وقال﴾ قولا ﴿صوابا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى .

٣٩ ﴿ذلك اليوم الحق﴾ الثابت وقوعه وهو يوم القيامة ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا﴾ مرجعا أي رجع الى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه .

٤٠ ﴿انا انذرناكم عذابا قريبا﴾ أي عذاب يوم القيامة الآتي وكل آت قريب ﴿يوم﴾ ظرف لعذابا بصفته ﴿ينظر المرء﴾ كل أمرىء ﴿ما قدمت يداه﴾ من خير وشر ﴿ويقول الكافر يا﴾ حرف تنبيه ﴿ليتني كنت ترابا﴾ يعني فلا أعذب يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض كوني ترابا . وأما الجن قال عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مؤمنو الجن حول الجنة وليسوا فيها وقال أبو الزناد يعودون ترابا . والذي عليه الاكثرون أنهم مكلفون مثابون ومعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار كبني آدم . والله أعلم

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)
وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ
أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)
قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ
أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا
نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)

٧٨٩

﴿ سورة النازعات مكية ﴾

وهي ست وأربعون آية وموضوعها الرئيسي الزجر عن الاقدام بالجراءة على تكذيب آيات الله واستدراج الله بمن يفعل ذلك فيأخذه بالقوة التي لا يطاق التخلص عنها .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والنازعات﴾ أقسم الله بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار من أقصى أجسامهم ﴿غرقا﴾ أي تغرق كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد وقال ابن مسعود ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء .

٢ ﴿والناشطات نشطا﴾ والملائكة تنشط نفس المؤمن أي تحلها حلا رفيقا فتقبضها كما تنشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق .

٣ ﴿والسابحات سبحا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي تنزل .

٤ ﴿فالسابقات سبقا﴾ يعني نفوس المؤمنين تسابق الى الخيرات والطاعات .

٥ ﴿فالمدبرات أمرا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره فالعطف بالواو في الاولين يدل على الاشتراك في الجنس أي الملائكة بالفاء في الثالثة والرابعة على التغير أي نفوس المؤمنين والملائكة . وجواب هذه الأقسام محذوف أي لتبعثن وتحاسبن أيها الكافر وهو عامل في .

٦ ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ النفخة الاولى بها يرجف كل شيء أي يتزلزل فوصفت بما يحدث منها .

٧ ﴿تتبعها الرادفة﴾ النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة فاليوم واسع للنفختين وغيرهما . فصح ظرفية البعث عقب الثانية .

٨ ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ خائفة قلقة .

٩ ﴿أبصارها خاشعة﴾ ذليلة لهول ما ترى .

١٠ ﴿يقولون﴾ أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وانكارا للبعث ﴿أإنا﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء تسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لمردودون في الحافرة﴾ أي أنرد بعد الموت الى الحياة والحافرة اسم لأول الامر ومنه رجع فلان في حافرته اذا رجع من حيث جاء .

١١ ﴿أإذا كنا عظاما نخرة﴾ وفي قراءة ناخرة بالية متفتتة أي نحيا .

١٢ ﴿قالوا تلك﴾ أي رجعتنا الى الحياة ﴿اذا﴾ ان صحت ﴿كرة﴾ رجعة ﴿خاسرة﴾ ذات خسران قال تعالى :

١٣ ﴿فانما هي﴾ أي الرادفة التي أعقبها البعث ﴿زجرة﴾ نفخة ﴿واحدة﴾ فاذا نفخت .

١٤ ﴿فاذا هم﴾ أي كل الخلائق ﴿بالساهرة﴾ بوجه الارض أحياء بعدما كانوا ببطنها أمواتا ثم مثل تعالى كيفية استدراجه بمن يجترىء في الاقدام على تكذيب آياته بعدما تبين له الحق فقال :

١٥ ﴿هل أتاك﴾ يا محمد ﴿حديث موسى﴾ عامل في .

١٦ ﴿اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ اسم الواد بالتنوين وقرىء بتركه فقال له .

اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ
أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾
فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ
الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ
السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ
لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾
مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ
الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾
وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾

١٧ ﴿اذهب الى فرعون انه طغى﴾ تجاوز الحد في الكفر.

١٨ ﴿فقل هل لك﴾ أدعوك ﴿الى أن تزكى﴾ وفي قراءة بتشديد الزاي بادغام التاء الثانية في الاصل فيها تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا اله الا الله موسى رسول الله .

١٩ ﴿وأهديك الى ربك﴾ أدلك على معرفته بالبرهان ﴿فتخشى﴾ فتخافه .

٢٠ ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ من آياته التسع وهي اليد أو العصا .

٢١ ﴿فكذب﴾ فرعون موسى ﴿وعصى﴾ الله تعالى .

٢٢ ﴿ثم أدبر﴾ عن الايمان ﴿يسعى﴾ في الارض بالفساد .

٢٣ ﴿فحشر﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فنادى﴾ في محفله بنفسه أو بمناديه .

٢٤ ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ لا رب فوقي .

٢٥ ﴿فأخذه الله﴾ أهلكه بالغرق ﴿نكال﴾ عقوبة ﴿الآخرة﴾ أي هذه الكلمة ﴿والاولى﴾ أي قوله قبلها «ما علمت لكم من اله غيري» وكان بينهما أربعون سنة .

٢٦ ﴿ان في ذلك﴾ المذكور ﴿لعبرة لمن يخشى﴾ الله تعالى ولا يتقدم الى الاجتراء بتكذيب آيات الله بعدما تبين له الحق .

ثم ذكر تعالى مسألة خلق السماء والارض دليلا على كمال قدرته في أخذ المتكبرين بالعقوبة واثابة المتواضعين بالحسنى فقال :

٢٧ ﴿أأنتم﴾ بتحقيق الهمزتين وقرىء بابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه أي المتحرون على تكذيب آيات الله ﴿اشد خلقا أم السماء﴾ أشد خلقا أي بخثكم بعد الموت أشد خلقا أم خلق السماء عندكم وفي تقديركم مع عظمها وعظم أحوالها ﴿بناها﴾ بيان لكيفية خلقها .

٢٨ ﴿رفع سمكها﴾ تفسير لكيفية البناء أي جعل سمتها في جهة العلو رفيعا ﴿فسواها﴾ جعلها مستوية بلا عيب .

٢٩ ﴿وأغطش ليلها﴾ أظلمه ﴿وأخرج ضحاها﴾ أبرز نور شمسها واضيف اليها الليل لانه ظلها والشمس لانها سراجها ومراده بنور الشمس النهار لوقوعه في مقابلة الليل فكنى بالنور عن النهار وعبر عن النهار بالضحى لان الضحى أكمل أجزاء النهار بالنور والضوء .

٣٠ ﴿والارض بعد ذلك دحاها﴾ أي جعلها على صورة لدحو وهو البيض وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو .

٣١ ﴿أخرج﴾ حال باضمار قد أي مخرجا ﴿منها ماءها﴾ بتفجير عيونها ﴿ومرعاها﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والشعب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار. واطلاق المرعى عليه استعارة .

٣٢ ﴿والجبال أرساها﴾ أثبتها على وجه الارض لتسكن .

٣٣ ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم .

٣٤ ﴿فاذا جاءت الطامة الكبرى﴾ النفخة الثانية أي الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو عليها .

٣٥ ﴿يومئذ يتذكر الانسان﴾ بدل من اذا ﴿ما سعى﴾ في الدنيا من خير وشر.

٣٦ ﴿وبرزت﴾ أظهرت ﴿الجحيم﴾ النار المحرقة ﴿لمن يرى﴾ لكل راء ، وجواب اذا فيه تفصيل .

٣٧ ﴿فأما من طغى﴾ تجبر وكفر .

وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ
مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ
يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ

٣٨ ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ باتباع الشهوات .

٣٩ ﴿فان الجحيم هي المأوى﴾ مأواه .

٤٠ ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ قيامه بين يديه ﴿ونهى النفس﴾ الأمارة ﴿عن الهوى﴾ المردي باتباع الشهوات .

٤١ ﴿فان الجنة هي المأوى﴾ وحاصل الجواب فالطاغي في النار والمطيع الخائف في الجنة .

ثم بين تعالى بعض أحوال المتجرئين على التكذيب من سؤال تعنت واستهزاء يلقونه على النبي ﷺ وبين له كيف يجيبهم بما يسكتهم ولا يشفيهم فقال :

٤٢ ﴿يسألونك﴾ أي اعناتا الكفار المكذبون ﴿عن الساعة أيان مرساها﴾ متى وقوعها وقيامها .

٤٣ ﴿فيم﴾ في أي شيء ﴿أنت من ذكراها﴾ أي ليس عندك علمها حتى تذكرها وهو مما استأثر به علام الغيوب أو كنت من علاماتها الكبرى ارسالك وأنت خاتم الانبياء المبعوث في نسيم الساعة وذلك دليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم .

٤٤ ﴿الى ربك منتهاها﴾ منتهى علمها لا يعلمها غيره

٤٥ ﴿انما أنت منذر﴾ انما ينفع انذارك ﴿من يخشاها﴾ يخافها .

٤٦ ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا﴾ في قبورهم ﴿الا عشية أو ضحاها﴾ أي عشية يوم أو بكرته وصح اضافة الضحى الى العشية لما بينهما من الملابسة اذ هما طرفا النهار . وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة .

﴿ سورة عبس مدنية ﴾

هي اثنتان وأربعون آية وموضوعها الرئيسي تعليم الناس أنهم أمام الدين الاسلامي سواء لا فضل لغني على فقير ولا لرئيس على مرؤس الا بحسن التمسك به فمن أخذ به فهو له ومن تركه فاته الخير وخسر الدنيا والآخرة .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿عبس﴾ النبي كلح وجهه ﴿وتولى﴾ أعرض لأجل .

٢ ﴿أن جاءه الاعمى﴾ عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو اسلامه من أشراف قريش الذي هو حريص على اسلامهم ولم يدر الاعمى أنه مشغول بذلك فناداه علمني مما علمك الله فانصرف النبي ﷺ في بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة فكان بعدذلك يقول له اذا جاء « مرحبا أهلا بمن عاتبني فيه ربي » ويبسط له رداءه ويقول له هل لك من حاجة » واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان من المهاجرين الاولين وقتل شهيدا بالقادسية . قال أنس بن مالك فرأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء .

٣ ﴿وما يدريك﴾ يعلمك فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وفائدته صرف اللوم عن مواجهة النبي به وفيه من التعظيم ما فيه من الله تعالى له . ﴿لعله يزكى﴾ فيه ادغام التاء في الاصل في الزاي أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك .

٤ ﴿أو يذكر﴾ فيه ادغام التاء في الاصل في الذال أي يتعظ ﴿فتنفعه الذكرى﴾ العظة المسموعة منك بنصب تنفعه جواب الترجي وقرىء بالرفع عطف .

٥ ﴿أما من استغنى﴾ بالمال .

٦ ﴿فأنت له تصدى﴾ وفي قراءة بتشديد الصاد بادغام التاء الثانية في الاصل فيها تقبل وتتعرض .

٧ ﴿وما عليك الا يزكى﴾ يؤمن أي ليس عليك بأس في في عدم تزكيته بالاسلام ، وقيل ما استفهامية أي شيء عليك في كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر والاستفهام للانكار .

٨ ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ حال من فاعل جاء .

٩ ﴿وهو يخشى﴾ الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى .

١٠ ﴿فأنت عنه تلهى﴾ فيه حذف التاء الاخرى في الاصل أي تتشاغل بدعاء من يعرض عما جئت به ولا يخشى الله .

١١ ﴿كلا﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿انها﴾ الآيات أو الدعوة الاسلامية ﴿تذكرة﴾ عظة للخلق على السواء .

١٢ ﴿فمن شاء ذكره﴾ حفظ ذلك واتعظ به .

١٣ ﴿في صحف﴾ خبر ثان لانها قبلها اعتراض ﴿مكرمة﴾ عند الله .

١٤ ﴿مرفوعة﴾ في الدرجة لا يقابل بها من يكرهها ويترك من يحبها ﴿مطهرة﴾ عن مس الشياطين والكفرة .

١٥ ﴿بأيدي سفرة﴾ كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ .

١٦ ﴿كرام بررة﴾ مطيعين لله تعالى وهم الملائكة الصادقون في أعمالهم .

ثم بين تعالى عدم تفكر الكافر وعدم تأمله اذ لو تامل أوله وكيف أوجده ربه لانقاد الى ما يطلب منه ربه الغني فقال :

١٧ ﴿قتل الانسان﴾ لعن الكافر ﴿ما أكفره﴾ ما تعجب أي شيء عظيم دعاه الى الكفر وهذا كقولهم قاتله الله ما أخبثه وأخزاه الله ما أظلمه .

١٨ ﴿من أي شيء خلقه﴾ استفهام تقرير ثم بينه فقال :

١٩ ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ علقة ثم مضغة الى آخر خلقه .

٢٠ ﴿ثم السبيل﴾ أي طريق خروجه من بطن أمه ﴿يسره﴾ .

٢١ ﴿ثم أماته فأقبره﴾ جعله في قبر يستره .

٢٢ ﴿ثم اذا شاء أنشره﴾ للبعث فلو تأمل الانسان هذه الاطوار التي يقطعها في حياته الدنيوية لم يكفر

ثم بين تعالى مثالا آخر في تكوين طعام الانسان الذي يدل على كمال قدرة خالقه الذي يستحق ان يصدق رسوله فيما جاء به عنه تعالى فقال :

أَسْتَغْنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخْشَىٰ ⑨
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ⑩ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑪ فَمَن شَآءَ
ذَكَرَهُۥ ⑫ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ⑬ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ⑭
بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ⑮ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ⑯ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَآ أَكْفَرَهُۥ ⑰ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ⑱ مِن نُّطْفَةٍ
خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ⑲ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ⑳ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ
فَأَقْبَرَهُۥ ㉑ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ㉒ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ
مَآ أَمَرَهُۥ ㉓ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ㉔ أَنَّا
صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ㉕ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ㉖
فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ㉗ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ㉘ وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ㉙ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ㉚ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ㉛

٢٣ ﴿كلا﴾ حقا ﴿لما يقض﴾ لم يفعل ﴿ما أمره﴾ به ربه .

٢٤ ﴿فلينظر الانسان﴾ نظر اعتبار ﴿الى طعامه﴾ كيف قدر ودبر له .

٢٥ ﴿أنا صببنا الماء﴾ من السحاب ﴿صبا﴾ .

٢٦ ﴿ثم شققنا الارض﴾ بالنبات ﴿شقا﴾ .

٢٧ ﴿فانبتنا فيها حبا﴾ كالحنطة والشعير .

٢٨ ﴿وعنبا وقضبا﴾ هو القت الرطب .

٢٩ ﴿وزيتونا ونخلا﴾ .

٣٠ ﴿وحدائق غلبا﴾ بساتين كثيرة الاشجار .

٣١ ﴿وفاكهة وأبا﴾ ما ترعاه البهائم وقيل التبن .

مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ
يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

٧٩٣

٣٢ ﴿متاعا﴾ متعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها ﴿لكم ولأنعامكم﴾ تقدم فيها أيضا .

٣٣ ﴿فاذا جاءت الصاخة﴾ النفخة الثانية أي الداهية التي تصخ لها الخلائق أي يصيخون لها من صخ لحديثه اذا أصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصخون لها وقيل الصاخة الصيحة الثانية لأن الناس يصخون لها وقيل الصاخة الصيحة التي تصخ الآذان أي تصمها لشدة وقعتها .

٣٤ ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ .

٣٥ ﴿وأمه وأبيه﴾ .

٣٦ ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وبنيه﴾ «يوم» بدل من «اذا» وجوابها دل عليه .

٣٧ ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ حال يشغله عن شأن غيره أي يشتغل كل واحد بنفسه .

٣٨ ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ مضيئة .

٣٩ ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ فرحة وهم المؤمنون .

٤٠ ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ غبار .

٤١ ﴿ترهقها﴾ تغشاها ﴿قترة﴾ ظلمة وسواد .

٤٢ ﴿أولئك﴾ أهل هذه الحال ﴿هم الكفرة الفجرة﴾ أي الجامعون بين الكفر والفجور في الدنيا .

﴿ سورة التكوير مكية ﴾

هي تسع وعشرون آية وقد قدم النبي ﷺ موضوعها الرئيسي للقارىء بما روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من سره أن ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت» . هذا وتمتاز هذه السورة باثبات أن القرآن يأتي الى الرسول بواسطة الملك وقد رآه النبي في صورته فلا يشتبه به شيطان ليدس ما ليس بحق .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿اذا الشمس كورت﴾ لففت وذهب بنورها والشمس نائب فاعل بفعل محذوف تقديره اذا كورت الشمس والجملة بعدها تأكيد .

٢ ﴿واذا النجوم انكدرت﴾ انقضت وتساقطت بعضها على بعض .

٣ ﴿واذا الجبال سيرت﴾ ذهبت بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا .

٤ ﴿واذا العشار﴾ النوق الحوامل التي مضى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهي أنفس ما يكون عند أهلها ﴿عطلت﴾ تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الامر ولم يكن مال اعجب اليهم منها .

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾
وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾
فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ
بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن

٧٩٤

٥ ﴿واذا الوحوش حشرت﴾ جمعت بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه .

٦ ﴿واذا البحار سجرت﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف أي أوقدت فصارت نارا . ثم جميع ما في هذه الآيات الست يجوز أن يكون قبل يوم القيامة وما بعد هذه الآيات يكون في يوم القيامة .

٧ ﴿واذا النفوس زوجت﴾ قرنت بأجسادها وقيل يقرن كل امرىء بشيعته فاليهود تقرن باليهود والنصارى تقرن بالنصارى وقيل غير ذلك .

٨ ﴿واذا الموءودة﴾ الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة ﴿سئلت﴾ تبكيتا لقاتلها أي لمن دفنها في القبر وهي حية .

٩ ﴿بأي ذنب قتلت﴾ وقرىء بكسر التاء حكاية لما تخاطب به وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب .

١٠ ﴿واذا الصحف﴾ صحف الأعمال ﴿نشرت﴾ بالتخفيف والتشديد فتحت وبسطت وهي تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب .

١١ ﴿واذا السماء كشطت﴾ نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة وغيرها وفي قراءة عبد الله قشطت القشط والكشط بمعنى ويقال كشط البعير ولا يقال سلخ الا للشاة .

١٢ ﴿واذا الجحيم﴾ النار ﴿سعرت﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف أي أججت للكفار وزيد في احمائها .

١٣ ﴿واذا الجنة أزلفت﴾ قربت لأهلها ليدخلوها وجواب واذا أول السورة وما عطف عليها هو.

١٤ ﴿علمت نفس﴾ أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ﴿ما أحضرت﴾ من خير وشر.

١٥ ﴿فلا أقسم﴾ لا حاجة للاقسام ﴿بالخنس﴾ .

١٦ ﴿الجوار الكنس﴾ هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون أي ترجع في مجراها وراءها بينما ترى النجوم في آخر البرج اذا كر راجعا الى أوله وتكنس بكسر النون تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها من كناس الظبي أي بيته أي لا أقسم بها في اثبات كمال قدرتي فيها على الاتيان بما ذكر.

١٧ ﴿والليل اذا عسعس﴾ أقبل بظلامه أو أدبر.

١٨ ﴿والصبح اذا تنفس﴾ امتد حتى يصير نهارا بينا .

١٩ ﴿انه﴾ القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ على الله تعالى وهو جبريل أضيف اليه لنزوله به والكريم صفة تقتضي نفي المذام كلها واثبات صفات المدح اللائقة به .

٢٠ ﴿ذي قوة﴾ أي شديد القوى فلا يستطيع شيطان أن يبدل له كلامه ﴿عند ذي العرش﴾ أي الله تعالى مالك كل شيء لأن من تسلط على العرش أعظم خلق الله المحيط بكل شيء فعلى غيره أولى ﴿مكين﴾ ذي مكانة متعلق به عند أي جبريل ذو مكانة اكرام وتشريف عند الله لا مكانة جهة .

٢١ ﴿مطاع ثم﴾ أي تطيعه الملائكة هناك في السموات ﴿أمين﴾ على الوحي ومؤتمن على ما يرسل به من الوحي وهذه الصفات كلها تدل على شرف جبريل عليه السلام وكرمه على الله تعالى وهي أيضا في النبي محمد ﷺ أكمل منها في جبريل اذ جعله الله رسولا الى محمد ﷺ المنفذ لتلك الرسالة فالمنفذ لأمر أقوى فيه من المرسل به لما في التنفيذ من زيادة السلطة وسعة نطاق العمل . وقوله تعالى :

شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الانفِطَارِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ
ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ
فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾

٧٩٥

٢٢ ﴿وما صاحبكم﴾ محمد ﷺ عطف على أنه الى آخر المقسم عليه ﴿بمجنون﴾ كما زعمتم بل هو منفذ لأمر الله الذي وصل اليه بواسطة جبريل الأمين .

٢٣ ﴿ولقد رآه﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بالافق المبين﴾ البين فعرفه حقيقة فلا يشتبه به شيطان ولا يلقي اليه شيئا من غير الله فيشتبه بما جاء من عند الله سبحانه وتعالى .

٢٤ ﴿وما هو﴾ أي محمد ﷺ ﴿على الغيب﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بضنين﴾ بالضاد أي بخيل فيقبض شيئا منه ليستأثر به هو فيما أخبره من الله .

٢٥ ﴿وما هو﴾ القرآن ﴿بقول شيطان﴾ مسترق السمع ﴿رجيم﴾ مرجوم ومطرود عن رحمة الله .

ثم عقب تعالى عن معلومات السورة ليجلب اليها العقول مرة ثانية فقال في صيغة سؤال تنبيه .

٢٦ ﴿فأين تذهبون﴾ أيها المخاطبون بعقولكم أي فأي طريق تسلكون في انكاركم القرآن واعراضكم عنه ؟ بعد قيام الأدلة الواضحة كأنكم ما فهمتوها .

٢٧ ﴿إن﴾ ما ﴿هو الا ذكر﴾ عظة ﴿للعالمين﴾ الانس والجن .

٢٨ ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من العالمين باعادة الجار ﴿أن يستقيم﴾ باتباع الحق .

٢٩ ﴿وما تشاءون﴾ الاستقامة على الحق ﴿الا ان يشاء الله رب العالمين﴾ الخلائق استقامتكم عليه .

﴿ سورة الانفطار مكية ﴾

وهي تسع عشرة آية وموضوعها الرئيسي اثبات القيامة وعلاماتها مثل السورة التي قبلها وتتميز هذه باثبات الدين والجزاء .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿اذا السماء انفطرت﴾ انشقت لنزول الملائكة «ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا» .

٢ ﴿واذا الكواكب انتثرت﴾ انقضت وتساقطت هاتان الآيتان يتعلقان بالعلويات لبيان تخريب العالم ، وفناء الدنيا ، وانقطاع التكاليف ، ومن أراد تخريب دار فانه يبدأ أولا بتخريب السقف .

٣ ﴿واذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب بالملح وارتفع البرزخ بينهما قبغيا .

٤ ﴿واذا القبور بعثرت﴾ قلب ترابها وبعث موتاها . وهاتان الآيتان تتعلقان بالسفليات ، فبدأ بتخريب البحار في تخريب ما على وجه الارض ثم ما فيه الموتى فيأتي البعث وقد تغيرت الانظم الكونية كلها . وجواب «اذا» وما عطف عليها هو .

٥ ﴿علمت نفس﴾ أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ﴿ما قدمت﴾ من الاعمال ﴿و﴾ ما ﴿أخرت﴾ منها فلم تعمله أي حصل من الحساب والجزاء ونشر الكتب والصحف فيعرف كل انسان عمله من خير أو شر ومرجعه كذلك .

ثم نبه تعالى الانسان فيما ينبغي أن يهتم به ولا يشتغل بغرور النفس فقال :

٦ ﴿يا أيها الانسان﴾ أي الكافر ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ حتى عصيته .

٧ ﴿الذي خلقك﴾ بعد أن لم تكن ﴿فسواك﴾ جعلك مستوي الخلقة سالم الاعضاء ﴿فعدلك﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الاخرى .

كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

(٨٣) سورة المطففين مكية
وآياتها ست وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

٨ ﴿في أي صورة ما﴾ زائدة لتنكير الصورة ﴿شاء ركبك﴾ أي في أي صورة من الصور العجيبة الحسنة التي شاءها واقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وأنوثة .

٩ ﴿كلا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى ﴿بل تكذبون﴾ اضراب انتقالي الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترار الكفار المخاطبين ﴿بالدين﴾ الجزاء على الاعمال .

١٠ ﴿وان عليكم لحافظين﴾ من الملائكة لأعمالكم فينبغي أن تهتموا باصلاحها وتتركوا الاغترار بهواكم ثم وصف المحافظين ليعرف مقامهم عند الله تعالى .

١١ ﴿ كراما﴾ عند الله والكريم لا يخالف أمر سيده من حفظ أعمال العباد ﴿كاتبين﴾ لها فلا يسقط منها شيء .

١٢ ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ على أنهم لا يعرفون الطوايا ويختص بها الله الكريم .

ثم شرع تعالى في بيان ما يكتبون لأجله فقال :

١٣ ﴿ان الابرار﴾ المؤمنين الصادقين في ايمانهم ﴿لفي نعيم﴾ جنة .

١٤ ﴿وان الفجار﴾ الكفار ﴿لفي جحيم﴾ نار محرقة .

١٥ ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ويقاسون حرها ﴿يوم الدين﴾ الجزاء .

١٦ ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ بمخرجين .

١٧ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما يوم الدين﴾ .

١٨ ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ تعظيم لشأنه هو.

١٩ ﴿يوم﴾ بالفتح لبنائه للاضافة للفعل بعده ﴿لا تملك نفس لنفس شيئا﴾ من النفعة وملك الشفاعة لبعض الناس اذ ذاك انما هو باذن الله لا بطريق السلطة والاستقلال قال تعالى «من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه» ﴿والامر يومئذ لله﴾ لا أمر لغيره فيه أي لا يمكن أحد من التوسط فيه بخلاف الدنيا .

﴿ سورة المطففين مكية أو مدنية ﴾

هي ست وثلاثون آية وموضوعها الرئيسي هو بيان انما الجزاء منوع العمل وأنه لا فرق بين العبادات والمعاملات وكلها تجرى بحكم الله فيها وفي الحديث «عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك»

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ويل﴾ كلمة عذاب أو واد في جهنم . المقصود بها الدعاء على من يذكر بعد ﴿للمطففين﴾ .

٢ ﴿الذين اذا اكتالوا﴾ أي وزنوا منهم ﴿على﴾ أي من ﴿الناس يستوفون﴾ الكيل والميزان .

٣ ﴿واذا كالوهم﴾ أي كالوا لهم ﴿أو وزنوهم﴾ أي وزنوا لهم ﴿يخسرون﴾ ينقصون الكيل أو الميزان .

أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ
الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ

٤ ﴿ألا﴾ استفهام توبيخ ﴿يظن﴾ يتيقن ﴿أولئك أنهم مبعوثون﴾ .

٥ ﴿ليوم عظيم﴾ أي فيه وهو يوم القيامة .

٦ ﴿يوم﴾ بدل من محل «ليوم» فناصبه مبعوثون ﴿يقوم الناس﴾ من قبورهم ﴿لرب العالمين﴾ الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه .

٧ ﴿كلا﴾ حقا ﴿ان كتاب الفجار﴾ المطففين المذكورين لانهم أهل فجور وخروج عن الطاعة ﴿لفي سجين﴾ قيل هو كتاب جامع لاعمال الشياطين والكفرة وقيل مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل ابليس وجنوده .

٨ ﴿وما أدراك ما سجين﴾ ما كتاب سجين .

٩ ﴿كتاب مرقوم﴾ مختوم .

١٠ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ .

١١ ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ الجزاء بيان للمكذبين لأن من كان عمله يخالف أمر الله في الكيل والوزن وغيرهما لا يؤمن بالجزاء المعد لذلك، وأدى ذلك الى تكذيب وقوع يومه بالتلازم .

١٢ ﴿وما يكذب به الا كل معتد﴾ متجاوز حقه الى حقوق الناس وما حدده الله له أي كل ظالم ﴿أثيم﴾ صيغة مبالغة أي كثير ارتكاب للاثم والباطل .

١٣ ﴿اذا تتلى عليه آياتنا﴾ القرآن الناهي عن التطفيف ﴿قال أساطير الاولين﴾ الحكايات التي سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو اسطارة بالكسر .

١٤ ﴿كلا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بل﴾ اضراب للانتقال أي لا ينفع الردع والزجر لان عملهم هذا ﴿ران﴾ غلب ﴿على قلوبهم﴾ فغشيها لا يدغم لام «بل» في راء «ران» فبينهما سكت خفيف وقرىء بالادغام ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي فهو كالصدأ روى أبو هريرة ان رسول الله ﷺ قال «ان المؤمن اذا أذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه المبين» وقال أبو معاذ الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والإقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى «أم على قلوب أقفالها» .

١٥ ﴿كلا﴾ حقا ﴿انهم عن ربهم يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿لمحجوبون﴾ فلا يرونه .

١٦ ﴿ثم انهم لصالو الجحيم﴾ لداخلون النار المحرقة .

١٧ ﴿ثم يقال﴾ لهم ﴿هذا﴾ أي العذاب ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ فهذا جزاء تكذيبكم اياه .

ولما ذكر تعالى جزاء الفجار ذكر فيما يأتي جزاء الابرار فقال :

١٨ ﴿كلا﴾ حقا ﴿ان كتاب الابرار﴾ أي كتب أعمال المؤمنين الصادقين في ايمانهم الذين لا يظلمون الناس في المعاملات ولا يبخسون الناس أموالهم ﴿لفي عليين﴾ قيل هو كتاب جامع لاعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين وقيل هو مكان في السماء السابعة تحت العرش .

١٩ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما عليون﴾ .

٢٠ هو ﴿كتاب مرقوم﴾ مختوم .

٢١ ﴿يشهده المقربون﴾ من الملائكة ويحفظونه لتعظيمه

يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾
يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي
ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا
مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ
انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾
فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

٧٩٨

ثم شرع في بيان محاسن أحوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار فقال :

٢٢ ﴿ان الابرار لفي نعيم﴾ جنة .

٢٣ ﴿على الأرائك﴾ السرر في الحجال ﴿ينظرون﴾ ما أعطوا من النعيم .

٢٤ ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ بهجة التنعم وحسنه .

٢٥ ﴿يسقون من رحيق﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مختوم﴾ على انائها لا يفك ختمه الا هم .

٢٦ ﴿ختامه مسك﴾ أي اخر شربه يفوح منه رائحة المسك ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ فليرغبوا بالمبادرة الى طاعة الله وترك ما نهى عنه .

٢٧ ﴿ومزاجه﴾ أي ما يمزج به ﴿من تسنيم﴾ فسر بقوله .

٢٨ ﴿عينا﴾ فنصبه بأمدح مقدرا ﴿يشرب بها المقربون﴾ أي منها أو ضمن «يشرب» معنى يلتذ ليتعدى بالباء وتسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها تأتيهم من فوق على ما روي أنها تجري في الهواء فتصب في أواني أهل الجنة على مقدار الحاجة فاذا امتلأت أمسكت فالمقربون يشربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة .

ولما ذكر الله تعالى أوصاف الفجار الذين عصوا أمره وأحوالهم يوم القيامة من جزاء عصيانهم ووصف كرامة الأبرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار مع المؤمنين في الدنيا وهو موضوع السورة من أولها فبين تعالى أن ذلك سينقلب على الكفار في الآخرة تسلية للمؤمنين وتقوية لقلوبهم فحكى الله عن الكفار أربعة أشياء من المعاملات قبيحة فقال :

٢٩ ﴿ان الذين أجرموا﴾ تعدوا الحدود كأبي جهل وأمثاله في كل زمان ومكان ﴿كانوا من الذين آمنوا﴾ كعمار وبلال ونحوهما كذلك ﴿يضحكون﴾ استهزاء بهم .

٣٠ ﴿واذا مروا﴾ أي المؤمنون ﴿بهم يتغامزون﴾ أي يشير المجرمون الى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء .

٣١ ﴿واذا انقلبوا﴾ رجعوا ﴿الى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ وفي قراءة فاكهين أي معجبين بذكرهم المؤمنين متلذذين بما كان من مكانتهم ورفعتهم التي أوصلتهم الى الاستسخار بغيرهم .

٣٢ ﴿واذا رأوهم﴾ رأوا المؤمنين ﴿قالوا ان هؤلاء لضالون﴾ لايمانهم بمحمد ﷺ قال تعالى :

٣٣ ﴿وما أرسلوا﴾ أي الكفار ﴿عليهم﴾ على المؤمنين ﴿حافظين﴾ لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم الى مصالحهم .

٣٤ ﴿فاليوم﴾ أي يوم القيامة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ .

٣٥ ﴿على الأرائك﴾ في الجنة ﴿ينظرون﴾ من منازلهم الى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا جزاء سيئة بمثلها .

ثم عقب تعالى عن السورة وما اشتملت عليه من الاحكام فقال :

٣٦ ﴿هل ثوب﴾ جوزي ﴿الكفار ما كانوا يفعلون﴾ أي جزاء أعمالهم نعم جوزوا جزاءين أحدهما في مقابلة العصيان عن أوامر الله وارتكاب نواهيه فجزاء ذلك النار والثاني التطفيف ظلمهم الناس والاستهزاء بهم فجوزوا بضم نصيبهم من الجنة الى نصيب المؤمنين واستهزائهم بهم من فوق الكراسي والارائك وهم معذبون في النار .

(٨٤) سُورَةُ الانشِقَاقِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾
وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ
سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن

٧٩٩

﴿ سورة الانشقاق مكية ﴾

هي ثلاث أو خمس وعشرون آية ، وموضوعها الرئيسي بيان ان الكون العلوي والسفلي كله مطيع لله تبارك وتعالى فمن السفه ألا يطيعه الكفار فيتعبوا دنيا وأخرى .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿اذا السماء انشقت﴾ أي اذا انشقت السماء انشقت ففيه تأكيد الجملة لفظا ومعنى لان اذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية ويؤول ما جاء على خلاف ذلك محافظة على القاعدة أي انشقت بأمر الله .

٢ ﴿وأذنت﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لربها وحقت﴾ أي حق لها أن تسمع وتطيع .

٣ ﴿واذا الارض مدت﴾ زيد في سعتها كالأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل .

٤ ﴿وألقت ما فيها﴾ من الموتى الى ظهرها ﴿وتخلت﴾ عنه .

٥ ﴿وأذنت﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لربها وحقت﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة وجواب اذا وما عطف عليها محذوف دل عليه مضمون الشرط تقديره يعرف الانسان أنه لا يعجز ربه الذي يجيبه الكون كله .

ولما بين تعالى أن الكون كله في طاعته حذر الانسان أن لا يضيع أوقاته ولا عمره فيما يتعبه ولا ينفعه فقال :

٦ ﴿يا أيها الانسان انك كادح﴾ جاهد في عملك وكسبك ﴿الى﴾ لقاء ﴿ربك﴾ وهو الموت وهو غاية كدحك ﴿كدحا فملاقيه﴾ أي ملاق عملك المذكور من خير اذا اطعت ربك أو شر اذا عصيته . روى سعيد عن قتادة . يا ابن آدم ان كدحك لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل . ولا قوة الا بالله وهو معين .

ثم فصل تعالى بين من كدح في طاعته ومن كدح في هوى نفسه فقال :

٧ ﴿فأما من أوتي كتابه﴾ كتاب عمله ﴿بيمينه﴾ هو المؤمن الذي كدح في طاعة الله .

٨ ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ هو عمله فيعرف خطأه ويتجاوز عنه بلا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح كما قال عليه الصلاة والسلام « من نوقش الحساب فقد هلك » .

٩ ﴿وينقلب الى أهله﴾ في الجنة ﴿مسرورا﴾ بذلك .

١٠ ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ هو الكافر الذي كدح في غير طاعة الله تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه .

١١ ﴿فسوف يدعو﴾ عند رؤية ما فيه ﴿ثبورا﴾ ينادي هلاكه بقوله يا ثبوراه .

١٢ ﴿ويصلى سعيرا﴾ يدخل النار الشديدة وفي قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة .

١٣ ﴿انه كان في أهله﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مسرورا﴾ بطرا باتباعه لهواه .

لَن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ ۩ بَلِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

(٨٥) سُورَةُ البُرُوجِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

٨٠٠

١٤ ﴿انه ظن أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أي انه ﴿لن يحور﴾ يرجع الى ربه .

١٥ ﴿بلى﴾ يرجع اليه ﴿ان ربه كان بصيرا﴾ عالما برجوعه اليه .

١٦ ﴿فلا أقسم﴾ في اثبات كمال سلطاني واستيلائي على الكون كله وما اشتمل عليه . فيه التفات من الغيبة الى التكلم ﴿بالشفق﴾ هو الحمرة في الافق بعد غروب الشمس .

١٧ ﴿والليل وما وسق﴾ جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها .

١٨ ﴿والقمر اذا اتسق﴾ اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض .

١٩ ﴿لتركبن﴾ أيها الناس أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الامثال والواو لالتقاء الساكنين ﴿طبقا عن طبق﴾ حالا بعد حال وهو موت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة .

٢٠ ﴿فمالهم﴾ أي الكفار ﴿لا يؤمنون﴾ أي أي مانع لهم من الايمان أو أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه .

٢١ ﴿و﴾ مالهم ﴿اذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون﴾ لا يخضعون بأن يؤمنوا به لاشتماله على الحق الواضح واعجازه . وهنا موضع سجود التلاوة وليست من العزائم .

٢٢ ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ بالقرآن بدل الايمان به .

٢٣ ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب والكدح في غير طاعة الله .

٢٤ ﴿فبشرهم﴾ يا محمد أي أخبرهم وفيه لفظ البشارة بالعذاب تهكم بهم ﴿بعذاب أليم﴾ مؤلم .

٢٥ ﴿الا﴾ لكن ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي كدحوا في طاعة الله فوافقوا سائر الكون الطائع لربه كما في أول السورة ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع ولا منقوص ولا يمن به عليهم أرشدنا الله لما فيه رضاه بمنه وكرمه .

﴿ سورة البروج مكية ﴾

هي اثنتان وعشرون آية وردت هذه السورة لتثبت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبرهم على أذية الكفار وتذكرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وتصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك الملعونين المعذبين مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والسماء ذات البروج﴾ للكواكب اثنا عشر برجا تقدمت في الفرقان .

٢ ﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة أي الموعود به وعد أهل السماء والارض أن يجتمعوا فيه .

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾
النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ
عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا
فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا
يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ

٨٠١

٣ ﴿وشاهد﴾ يوم الجمعة يشهد على عامله بما عمل فيه ﴿ومشهود﴾ يوم عرفة كذا فسرت الثلاثة في الحديث فالاول موعود به والثاني شاهد بالعمل فيه والثالث تشهده الناس والملائكة وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد .

٤ ﴿قتل﴾ لعن ﴿أصحاب الاخدود﴾ الشق في الارض مفرد وجمعه أخاديد والخد بفتح الخاء بمعنى الاخدود وجمعه خدود .

٥ ﴿النار﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذات الوقود﴾ ما توقد به .

٦ ﴿اذ هم عليها﴾ أي حولها بجانب الأخدود على الكراسي ﴿قعود﴾ .

٧ ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين﴾ بالله أي تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم ﴿شهود﴾ حضور وذلك أن رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل أجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه على دينه هو سبعة وثمانون انسانا ما بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى الى السماء وقبل مبعث النبي ﷺ بسبعين سنة بنجران فسمع بذلك رجل اسمه يوسف بن ذي نواس فخد لهم في الارض وأوقد لهم فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه . وروي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى الكافرين فاحرقتهم .

ثم بين تعالى لماذا فعل أصحاب الاخدود ما فعلوا بالمؤمنين .

٨ ﴿وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحميد﴾ المحمود .

٩ ﴿الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ أي ما أنكر الكفار على المؤمنين الا ايمانهم بالله الموصوف بالصفات التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمه ويرجى ثوابه وهو عالم بكل شيء .

ثم قال تعالى :

١٠ ﴿ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أي كل من فعل ذلك في الماضي والحال والمستقبل بالاحراق وغيره ﴿ثم لم يتوبوا﴾ الى أن ماتوا على ذلك الكفر والفتنة لهم ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ بكفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ أي عذاب احراقهم المؤمنين في الدنيا لان الله ينتقم منهم في الدنيا وينكل بهم ليحذر بهم غيرهم ممن يفعل ذلك وقد جرت أمثلة من ذلك .

ثم ذكر تعالى فيما يأتي من صبر على الايمان ولم تزعزعه فتنة الكفار حتى مات على ايمانه فقال :

١١ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي استمروا على الايمان ومقتضاه الى الموت ﴿لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير﴾ لمن وجده وليس له سبب الا الايمان والعمل الصالح بتوفيق من الله الكريم .

ثم حذر تعالى كل من يفتن المؤمنين على ايمانهم فقال :

١٢ ﴿ان بطش ربك﴾ بالكفار ومفتني المؤمنين يا محمد ﴿لشديد﴾ بحسب ارادته .

١٣ ﴿انه هو يبدىء﴾ الخلق ﴿ويعيد﴾ فلا يعجزه ما يريد من التنكيل بالكفار .

١٤ ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب عن ذنبه فيه ترغيب في التوبة لمن يخالف أمر الله في فتنة المؤمنين والكفر وغيرها ﴿الودود﴾

المتودد الى أوليائه بالكرامة .

١٥ ﴿ذو العرش﴾ خالقه ومالكه ﴿المجيد﴾ بالرفع المستحق لصفات الكمال وقرىء بالجر على أنه نعت للعرش لعلوه وعظمه واحاطته بالمخلوقات .

١٦ ﴿فعال لما يريد﴾ لا يعجزه شيء أتى بصيغة فعال للكثرة وختم به الصفات لانه كالنتيجة للاوصاف السابقة ونكره لضرب من التعظيم تتلاشى عنده الاوهام والعقول .

ثم جاء تعالى بمثال لشدة بطشه بالظلمة والعصاة والكفرة والعتاة الفاتنين للمؤمنين والمؤمنات وكونه فعالا لما يريد فقال :

١٧ ﴿هل أتاك﴾ يا محمد ﴿حديث الجنود﴾ .

١٨ ﴿فرعون وثمود﴾ بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وفتنهم للمؤمنين والمؤمنات وهو تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ويفتن المسلمين على ايمانهم ليتعظ .

١٩ ﴿بل الذين كفروا﴾ من قومك وهذا الاضراب الانتقالي للاشد كأنه قيل ليس هؤلاء بأعجب من حال قومك مع علمهم بما حل بهم ولم يزدجروا . والاستفهام في هل أتاك للتعجيب ﴿في تكذيب﴾ بما ذكر .

٢٠ ﴿والله من ورائهم محيط﴾ فيه تعريض توبيخي للكفار بأنهم نبذوا الله وراء ظهورهم مع أنه محيط بهم علما واقتدارا واستيلاء .

٢١ ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ اضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه الى وصف القرآن بالمجد والعظمة التي لا يؤثر فيها التكذيب معها في الشدة بسبب كونه .

٢٢ ﴿في لوح﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿محفوظ﴾ بالجر من الشياطين ومن تغيير شيء منه طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿ سورة الطارق مكية ﴾

هي سبع عشر آية وموضوعها الرئيسي بيان تدبير الله وحفظه لكل شيء وأنه يتدرج حتى تتكمل رعايته تعالى برعاية الاسباب .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والسماء والطارق﴾ أصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا .

٢ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك يا محمد ﴿ما الطارق﴾ مبتدأ خبر في محل المفعول الثاني لأدرى وما بعد ما الاولى خبرها وفيه

وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ
مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١)
فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّة
وآياتها سبع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢)
النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)
فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦)
يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا

تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو .

٣ ﴿النجم الثاقب﴾ المضيء لثقبه الظلام بضوئه وهو النجم الذي يقال له كوكب الصبح أقسم الله به لما يحصل في الدنيا وقت طلوعه من ادبار الليل واقبال النهار ومن سكون الى تحرك وغير ذلك . فهو مثل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وجواب القسم .

٤ ﴿ان كل نفس لما عليها حافظ﴾ بتخفيف ما فهي مزيدة وان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه واللام فارقة وقرىء بتشديدها فان نافية ولما بمعنى الا والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر .

٥ ﴿فلينظر الانسان﴾ نظر اعتبار ﴿مم خلق﴾ من أي شيء جوابه .

٦ ﴿خلق من ماء دافق﴾ ذي اندفاق ولم يقل من مائين فانه من ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما لامتزاجهما في الرحم فصارا كالماء الواحد واتحادهما حين ابتدىء في خلقه .

نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ
الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

(٨٧) سورة الأعلى مكية
وآياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ

٨٠٣

٧ ﴿يخرج من بين الصلب﴾ أي للرجل وهو عظام الظهر ﴿والترائب﴾ للمرأة وهي عظام الصدر.

٨ ﴿إنه﴾ تعالى ﴿على رجعه﴾ بعث الانسان بعد موته ﴿لقادر﴾ فاذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه.

٩ ﴿يوم تبلى﴾ تختبر وتكشف ﴿السرائر﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات وقال عطاء بن رباح السرائر فرائض الأعمال الصلاة والصوم والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ومن لم يؤدها ويظهر ذلك في الوجوه زينا أو شينا.

١٠ ﴿فما له﴾ الانسان المنكر لذلك ﴿من قوة﴾ يمتنع بها من العذاب ﴿ولا ناصر﴾ يدفعه عنه.

١١ ﴿والسماء ذات الرجع﴾ المطر لعوده كل حين: الواو للقسم

١٢ ﴿والارض ذات الصدع﴾ الشق عن النبات: الواو للحال فوجود المطر سببه الاشجار ونبات الارض. والجفاف بعدمها فالسحاب مثل الضرع يدر لبنه للرضيع وييبس بعدمه ويخرج المنى عند الجماع دون البول.

١٣ ﴿إنه﴾ أي القرآن ﴿لقول فصل﴾ يفصل بين الحق والباطل.

١٤ ﴿وما هو بالهزل﴾ باللعب والباطل.

١٥ ﴿إنهم﴾ أي الكفار ﴿يكيدون﴾ المكائد للنبي ﷺ ﴿كيداً﴾.

١٦ ﴿وأكيد كيدا﴾ استدرجهم من حيث لا يعلمون.

١٧ ﴿فمهل﴾ يا محمد ﴿الكافرين أمهلهم﴾ تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أي أنظرهم ﴿رويدا﴾ قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رود أو ارواد على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر وكذلك يأخذ أمثالهم.

﴿ سورة الأعلى مكية ﴾

هي تسع عشرة آية موضوعها الرئيسي بيان أن الله ينفرد بصفتي الإحياء والاماتة وهي من كنوز الكتب القديمة ورأس المسبحات.

قال النووي: وكان النبي ﷺ يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وكان ﷺ يقرأها في أولى الشفع ويقرأ «الكافرون» في الثانية ويقرأ في الوتر بقل هو الله أحد والمعوذتين.

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿سبح اسم ربك﴾ أي نزه ربك عما لا يليق به ﴿الاعلى﴾ صفة لربك وقل سبحان ربي الاعلى وهذا قول جماعة من الصحابة والتابعين. ولا تذكره سبحانه الا بالاسماء التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه وأن تعلم أنه سبحانه ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية وأن أسماءه ليست محدثة بل هي قديمة وكذلك صفاته قديمة لم يزل تعالى مسمى بأسمائه ومتصفا بصفاته العلى ولا تذكره الا على وجه التعظيم.

٢ ﴿الذي خلق فسوى﴾ مخلوقه فجعله متناسب الأجزاء غير متفاوت وهو إحياء.

٣ ﴿والذي قدر﴾ ما شاء ﴿فهدى﴾ الى ما قدره من خير وشر وأجناس الاشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وغير ذلك من أحوالها فجعل البطش لليد والمشي للرجل مع السمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك كله إحياء.

٤ ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أنبت العشب وهو إحياء

٥ ﴿فجعله﴾ بعد الخضرة ﴿غثاء﴾ جافا هشيما ﴿أحوى﴾ أسود يابسا وهو إماتة

وما تقدم في التوحيد وتنزيهه تعالى ثم أشار الى الرسالة واثباتها ومناسبتها لصفتي الاحياء والاماتة فقال:

٦ ﴿سنقرئك﴾ القرآن ﴿فلا تنسى﴾ ما تقرأه وهذا بشارة

من الله لنبيه ﷺ باعطائه آية بينة على ثبوت رسالته وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب فيحفظه ولا ينساه . وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول أنه كان رجلا أميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزة فهذا اخبار عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا بالغيب فيكون معجزا ثم ذكر هذا ليكون خاصا بالنبي ﷺ بعد ذكر الهداية العامة في قوله والذي قدر فهدى وفي ذلك إحياء بالعلم والذكر وإماتة بالانساء تلاوته وحكمه لحكمة

٧ ﴿الا ما شاء الله﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه لحكمة اقتضت ذلك بسبب تربية الناس فينزل حكم يقصد به التربية والترقي ثم ينسخ حكمه وتلاوته بعد أن أدى المقصود ، والنسخ ثابت بالشرع في الاحكام في جميع الملل السالفة وهو إماتة الا فيما يمس العقيدة من الصفات الالهية والاسماء الحسنى وصفات الرسل عليهم الصلاة والسلام الواجبة فلا يدخلها النسخ لأنه من الصفات الواجبة ﴿انه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر﴾ من القول والفعل ﴿وما يخفى﴾ منهما فكل نسخ حصل في الحكم فانما هو لحكمة اقتضت ذلك وفيه الاحياء والاماتة

٨ ﴿ونيسرك لليسرى﴾ للشريعة السهلة وهي الاسلام وفيه الاحياء

٩ ﴿فذكر﴾ أي أدع الناس الى الله بالقرآن ﴿ان نفعت الذكرى﴾ أي عظ الناس عند رجاء الخير منهم هذا في غير الدعوة الاولى فانها تبليغ لمن تنفع ومن لا تنفع فتكون حجة له أو عليه ثم تكون مخصوصة بشرط النفع ففي الحديث قال عليه الصلاة والسلام « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » وفيه الاحياء لمن نفعت والاماتة لمن لم تنفعه

١٠ ﴿سيذكر﴾ أي يتعظ بها ﴿من يخشى﴾ يخاف الله تعالى كآية « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » وفي ذلك إحياء

١١ ﴿ويتجنبها﴾ أي الذكرى أي يتركها جانباً لا يلتفت اليها ﴿الأشقى﴾ بمعنى الشقي أي الكافر الذي أميت إيمانه

١٢ ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ هي نار الآخرة والصغرى نار الدنيا .

١٣ ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة هنيئة وفي ذلك مرتبة ثالثة بين الاحياء والاماتة

١٤ ﴿قد أفلح﴾ فاز ﴿من تزكى﴾ تطهر بالايمان ومن الحدث والخبث فصار حيا بحياة أبدية

١٥ ﴿وذكر اسم ربه﴾ مكبرا تكبيرة الاحرام ﴿فصلى﴾ الصلوات الخمس ويدخل في هذا جميع شعائر الدين الواجبة على المكلف بقدر طاقته لا يكلف الله نفسا الا وسعها حفظها إحياء وتركها إماتة

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

(٨٨) سُورَةُ الغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾

٨٠٤

١٦ ﴿بل تؤثرون﴾ بالفوقانية وقرىء بالتحتانية أي تفضلون ﴿الحياة الدنيا﴾ على الآخرة فتتبعون أهواءكم

١٧ ﴿والآخرة﴾ أي جزاؤها وهو الجنة لمن تزكى واتبع أوامر الله وانتهى عما نهاه عنه ﴿خير وأبقى﴾ اذ جزاؤها أبدي لا ينقضي .

١٨ ﴿ان هذا﴾ أي فلاح من تزكى وكون الآخرة خيرا ، أو ما اشتملت عليه السورة من إثبات انفراد الله تعالى بصفتي الاحياء والاماتة أو السورة نفسها ﴿لفي الصحف الاولى﴾ أي المنزلة قبل القرآن .

١٩ ﴿صحف ابراهيم﴾ وهي عشرة صحف انزلت له ، ﴿وموسى﴾ وهي التوراة أنزلت له والله أعلم وله الحمد والتوفيق والهداية . ولم يذكر صحف عيسى عليه السلام لعدم اتفاق أهل الملل السالفة عليه فاليهود ما اثبتوا رسالته بخلاف رسالة ابراهيم وموسى .

﴿ سورة الغاشية مكية ﴾

هي ست وعشرون آية وموضوعها الرئيسي بيان يوم القيامة

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ
وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨)
لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا
لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣)
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ
مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ
إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا
مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤)
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦)

وأحوال الكفار والمؤمنين ومآل كل نوع منهما على وجه التنبيه والتذكير بالمحسوسات على المعقولات :

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ . ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ القيامة لانها تغشى الخلائق بأهوالها والاستفهام للتعجيب والتشويق الى استماع حديثها .

٢ ﴿وجوه يومئذ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خاشعة﴾ ذليلة .

٣ ﴿عاملة ناصبة﴾ ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال .

٤ ﴿تصلى﴾ بفتح التاء وقرىء بضمها ﴿نارا حامية﴾ .

٥ ﴿تسقى من عين آنية﴾ شديدة الحرارة .

٦ ﴿ليس لهم طعام الا من ضريع﴾ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه .

٧ ﴿لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾ أي لا فائدة فيه لان المأكل لدفع ألم الجوع وتسمين البدن فاذا خلا عن ذلك علم أنه شيء مكروه منفور منه .

٨ ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ حسنة .

٩ ﴿لسعيها﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿راضية﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه .

١٠ ﴿في جنة عالية﴾ حسا ومعنى .

١١ ﴿لا تسمع﴾ بالتاء وقرىء بالياء ﴿فيها لاغية﴾ أي نفسا ذات لغو أي هذيان من الكلام .

١٢ ﴿فيها عين جارية﴾ بالماء بمعنى عيون .

١٣ ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ ذاتا وقدرا ومحلا .

١٤ ﴿وأكواب﴾ أقداح لا عرى لها ﴿موضوعة﴾ على حافات العيون معدة لشربهم

١٥ ﴿ونمارق﴾ وسائد ﴿مصفوفة﴾ بعضها بجنب بعض يستند اليها .

١٦ ﴿وزرابي﴾ بسط طنافس لها خمل ﴿مبثوثة﴾ مبسوطة .

بعد أن ذكر جزاء أهل الشقاء وجزاء أهل السعادة في القيامة استدل بما يأتي على امكان ذلك فقال :

١٧ ﴿أفلا ينظرون﴾ أي الكفار نظر اعتبار ﴿الى الابل كيف خلقت﴾ .

١٨ ﴿والى السماء كيف رفعت﴾ .

١٩ ﴿والى الجبال كيف نصبت﴾ .

٢٠ ﴿والى الارض كيف سطحت﴾ أي بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى على اعطاء ما ذكر من الجزاء للكفار وما ذكر للمؤمنين من الجزاء كل بقدر حاله وعمله . وصدرت بالابل لانهم أشد ملابسة لها من غيرها ولا يمنع قوله سطحت أن تكون الارض مدحوة على شكل الكرة كما قاله أهل الهيئة وليس فيه تعارض مع السنة والشريعة بل هو ظاهر النص .

ثم أمر تعالى نبيه بالتذكير فقال :

٢١ ﴿فذكر﴾ هم نعم الله ودلائل توحيده ﴿انما أنت مذكر﴾ تعليل للامر بالتذكير .

٢٢ ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ وفي قراءة بالصاد بدل السين أي بمسلط هذا قبل الامر بالجهاد .

٢٣ ﴿الا﴾ لكن ﴿من تولى﴾ أعرض عن الايمان ﴿وكفر﴾ بالقرآن .

٢٤ ﴿فيعذبه الله العذاب الاكبر﴾ عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والاسر ونحوه .

٢٥ ﴿ان الينا ايابهم﴾ رجوعهم بعد الموت .

٢٦ ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ جزاؤهم لا نتركه أبدا .

﴿ سورة الفجر مكية أو مدنية ﴾

هي ثلاثون آية وموضوعها الرئيسي بيان أن اكرام الله لعبده انما بتوفيقه لطاعته واهانته بخذلانه لا بالمال وكثرة الاولاد .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والفجر﴾ أي فجر كل يوم .

٢ ﴿وليال عشر﴾ أي عشر ذي الحجة وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها لانها أفضل ليالي السنة ولو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ونكرت من بين ما أقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها فيها تحركات الحجيج .

٣ ﴿والشفع﴾ الزوج أو الخلق ﴿والوتر﴾ بفتح الواو وقرىء بالكسر لغتان الفرد أو الله الخالق .

٤ ﴿والليل اذا يسر﴾ مقبلا ومدبرا .

٥ ﴿هل في ذلك﴾ القسم ﴿قسم لذي حجر﴾ عقل وجواب القسم محذوف وتقديره ليغلبن هذا الدين ولا يغالبه أحد الا غلبه .

ثم ذكر تعالى أمثلة لمن حارب دين الحق ورسل الله بقوتهم المادية فغلبوا فقال :

٦ ﴿ألم تر﴾ تعلم يا محمد ﴿كيف فعل ربك بعاد﴾ قوم هود .

٧ ﴿ارم﴾ هي عاد الاولى فارم عطف بيان ومنع الصرف للعلمية والتأنيث هو في الاصل اسم جد عاد وهو عاد بن عوض ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام فصار اسم القبيلة وقيل عاد ارم غير قوم هود وهم عاد الاولى اهلكوا بالريح وعاد الاخرى هم قوم هود اهلكوا بالصيحة . ﴿ذات العماد﴾ أي الطول وحسن قوام البنية الجسدية .

٨ ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ في بطشهم وقوتهم .

٩ ﴿وثمود الذين جابوا﴾ قطعوا ﴿الصخر﴾ جمع صخرة واتخذوها بيوتا ﴿بالواد﴾ وادي القرى .

١٠ ﴿وفرعون ذي الاوتاد﴾ كان يتد أربعة أوتاد يشد اليها وقيل المراد بالاوتاد الجنود والعساكر والجيوش التي تشد ملكه . قاله ابن عباس .

١١ ﴿الذين طغوا﴾ تجبروا ﴿في البلاد﴾ أي طغى كل طائفة

(٨٩) سُورَةُ الفَجْرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾
وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾
ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟
ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ
طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ
لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ

منهم في بلادهم .

١٢ ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ القتل وغيره .

١٣ ﴿فصب عليهم ربك سوط﴾ نوع ﴿عذاب﴾ فأهلك عاد بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق .

١٤ ﴿ان ربك لبالمرصاد﴾ يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء ليجازيكم عليها .

ثم ذكر تعالى حال الأنسان الطبيعي فقال :

فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا
مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ
طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ
دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ
لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ
أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ
رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾
وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

١٥ ﴿فأما الانسان اذا ما ابتلاه﴾ اختبره ﴿ربه فأكرمه﴾ بالمال وغيره ﴿ونعمه فيقول ربي أكرمن﴾ أي فضلني وأكرمني وأهانني بحذف يائها وصلا ووقفا . وقرىء باثباتها وقفا فقط ووصلا ووقفا .

١٦ ﴿وأما اذا ما ابتلاه﴾ ربه ﴿فقدر﴾ ضيق ﴿عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ .

١٧ ﴿كلا﴾ ردع أي ليس الاكرام بالغنى والاهانة بالفقر وانما هو بالطاعة والمعصية والكفار لا يتنبهون لذلك . ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ بل فعلكم اسوأ من قولكم لا تكرمون اليتيم ولا تحسنون اليه مع غناكم أولا تعطونه حقه من الميراث

١٨ ﴿ولا تحاضون﴾ يحض بعضكم بعضا وقرىء بدون ألف بين الحاء والضاد بالياء المفتوحة أي أنفسكم ولا غيركم . ﴿على طعام﴾ أي اطعام ﴿المسكين﴾ .

١٩ ﴿وتأكلون التراث أكلا لما﴾ أي شديدا للمكم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبكم منه أو مع مالكم .

٢٠ ﴿وتحبون المال حبا جما﴾ أي كثيرا فلا تنفقونه . وفي قراءة بالتحتانية في الافعال الاربعة وأصل تحاضون تتحاضون فحذفت احدى التاءين .

٢١ ﴿كلا﴾ ردع عن ذلك فمن فعل ذلك يندم حيث لا ينفعه الندم ﴿اذا دكت الارض دكا دكا﴾ أي زلزلت الارض حتى ينهدم كل بناء عليهم وينعدم .

٢٢ ﴿وجاء ربك﴾ هو مجيء يليق به تعالى ﴿والملك﴾ أي الملائكة ﴿صفا صفا﴾ حال أي مصطفين أو ذوي صفوف كثيرة .

٢٣ ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تقاد بسبعين الف زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ ﴿يومئذ﴾ بدل اذا وجوابها ﴿يتذكر الانسان﴾ أي الكافر ما فرط فيه ﴿وأنى له الذكرى﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا ينفعه تذكره ذلك .

٢٤ ﴿يقول﴾ مع تذكره ، ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني قدمت﴾ الخير والايمان ﴿لحياتي﴾ الطيبة في الاخرة أو وقت حياتي في الدنيا .

٢٥ ﴿فيومئذ لا يعذب﴾ بكسر الذال . ﴿عذابه﴾ أي الله ﴿أحد﴾ أي لا يكله الى غيره من المعذبين ولكن يأذن به لملائكة العذاب لانهم يباشرونه باذنه تعالى وأمره لهم .

٢٦ ﴿و﴾ كذا ﴿لا يوثق﴾ بكسر الثاء ﴿وثاقه أحد﴾ وفي قراءة بفتح الذال والثاء فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب — مبني للمفعول — أحد مثل تعذيبه ، ولا يوثق مثل ايثاقه . هذا حال من كانت همته الدنيا في ذلك اليوم ، واما من اطمئنت نفسه الى الله تعالى فسلم لأمره واتكل عليه فانه يقال له عند الموت ؟

٢٧ ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ الآمنة وهي المؤمنة .

٢٨ ﴿ارجعي الى ربك﴾ أي ارجعي الى أمره وارادته أي الى روح وريحان وربك عليك راض ﴿راضية﴾ بالثواب ﴿مرضية﴾ عند الله بعملك أي جامعة بين الوصفين وهما حالان ويقول الله تعالى لها في القيامة :

٢٩ ﴿فادخلي في﴾ جملة ﴿عبادي﴾ الصالحين .

٣٠ ﴿وادخلي جنتي﴾ معهم .

﴿ سورة البلد مكية ﴾

وهي عشرون آية وموضوعها الرئيسي بيان أن الله هيأ الاسباب وفتح للانسان بابي الخير والشر ثم أقدره على التخيير على وفق ارادته تعالى وحكمه السابق .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ مكة .

٢ ﴿وانت﴾ يا محمد ﴿حل﴾ حلال ﴿بهذا البلد﴾ بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه . وقيل انها حالية ولا نافية أي لا أقسم بهذا البلد وأنت حال مقيم به لعظم قدرك .

٣ ﴿ووالد﴾ آدم ﴿وما ولد﴾ أي ذريته و«ما» بمعنى «من» .

٤ ﴿لقد خلقنا الانسان﴾ أي الجنس ﴿في كبد﴾ نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة .

٥ ﴿أيحسب﴾ أيظن الانسان الذي توفرت له الاسباب وتمكن بها على أزمة الأمور ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿لن يقدر عليه أحد﴾ والله قادر عليه .

٦ ﴿يقول أهلكت﴾ على المحاربة لحفظ العادات والمفاخر ﴿مالا لبدا﴾ كثيرا لكثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونه مكارم الأخلاق ويدعونه مفاخر فيفتخرون بذلك ويرى أنه على حق بغباوته .

٧ ﴿أيحسب أن﴾ أي أنه ﴿لم يره أحد﴾ فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيء .

ثم ذكر تعالى أسباب الهداية التي وفرها للانسان لو كان يستعملها فقال :

٨ ﴿ألم نجعل﴾ استفهام تقرير أي جعلنا ﴿له عينين﴾ أي يبصر بهما المرئيات .

٩ ﴿ولسانا﴾ يترجم به عما في ضميره ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغيره .

١٠ ﴿وهديناه النجدين﴾ بينا له طريق الخير والشر بما أرسلنا من الرسل وروى قتادة قال ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول « يا أيها الناس انما هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فلم يجعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير » وهذا معنى قوله تعالى :

١١ ﴿فلا﴾ فهلا ﴿اقتحم العقبة﴾ أي الذي أنفق ماله في محاربة الحق للمحافظة على التقاليد الجاهلية هلا أنفقه لاقتحام

(٩٠) سُورَةُ ٱلْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٢)
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ (٤)
أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا
لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ
عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ (١٠)
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢)
فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ (١٤)
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ

العقبة فيأمن . فالعقبة في الأصل الطريق الصعب في الجبل واقتحامها مجاوزتها والمراد بذلك مجاهدة النفس في فعل الطاعات بالمال والبدن .

١٢ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما العقبة﴾ التي يقتحمها تعظيم لشأنها والجملة اعتراض وبين سبب جوازها بقوله :

١٣ هي ﴿فك رقبة﴾ من الرق بأن اعتقها .

١٤ ﴿أو اطعام في يوم ذي مسغبة﴾ مجاعة .

١٥ ﴿يتيما ذا مقربة﴾ قرابة .

١٦ ﴿أو مسكينا ذا متربة﴾ أي لصوق بالتراب لفقره أي ينفق ماله فيما أمر الله من العتق واطعام الطعام للمحتاجين وصلة الرحم .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا
هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسَ عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ
إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ
وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ
مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ

١٧ ﴿ثم كان﴾ عطف على فك وثم للترتيب الذكري لأن عمل الطاعات لا ينفع الا مع الايمان ولذلك وسطه بين الطاعة بالمال وبين الطاعة بالبدن ومن قوله تعالى ﴿من الذين آمنوا وتواصوا﴾ أوصى بعضهم بعضا ﴿بالصبر﴾ على الطاعة وعن المعصية دخل فيه جميع الطاعات البدنية من الصلوات والصوم والحج والجهاد في سبيل الله وحفظ العلوم الدينية والمعاملات الضرورية ودخل في لفظ التواصي الارشادات والوعظ والدعوة الى الله بكل وسائلها من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالرحمة على الخلق من كل ما اشتمل على مكارم الاخلاق فيما بين الامة نفسها وفيما بينها وبين غيرها في حال العافية والحرب والامن والسلم والغضب والرضاء .

وبعد أن ذكر تعالى الاسباب التي هيأها لسعادة الانسان في نفسه وتنبيهه على ما يديم له تلك السعادة عقب تعالى عن ذلك بقوله :

١٨ ﴿أولئك﴾ أي الموصوفون باقتحام العقبة ﴿أصحاب الميمنة﴾ أي البركة في الدنيا والآخرة أو اليمين بمعنى أنهم بعد الحساب سيأخذون صحائف أعمالهم بأيمانهم ويدخلون الجنة .

١٩ ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ ولم يقتحموا العقبة وضيعوا أموالهم وأعمارهم في غير طاعة الله ﴿هم أصحاب المشئمة﴾ الشؤم والبؤس في الدنيا سواء وجدوا بعض ما أرادوا في عداوة الحق أم لم ينالوا شيئا أو الشمال بأخذ صحائفهم بها .

٢٠ ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ بالهمز وقرىء بالواو بدله أي يدخلون النار في الآخرة وتكون النار عليهم في كل جهة مؤصدة أبوابها لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم يقال أصدت الباب وأوصدته اذا أغلقته وأطبقته وقيل المهموز المطبقة ومعنى غير المهموز المغلقة . والله أعلم .

﴿ سورة الشمس مكية ﴾

هي خمس عشرة آية قال الرازي المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي وقد أقسم الله تعالى بأنواع مخلوقاته المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل المكلف فيها ويشكر عليها لأن ما أقسم الله به يحصل منه وقع في القلب .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والشمس وضحاها﴾ ضوئها .

٢ ﴿والقمر اذا تلاها﴾ تبعها طالعا عند غروبها .

٣ ﴿والنهار اذا جلاها﴾ بارتفاعه .

٤ ﴿والليل اذا يغشاها﴾ يغطيها بظلمته واذا في الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم .

٥ ﴿والسماء وما بناها﴾ وبنائها أو القوة التي بنتها وهي قدرة الله .

٦ ﴿والارض وما طحاها﴾ بسطها .

٧ ﴿ونفس﴾ بمعنى نفوس ﴿وما سواها﴾ في الخلقة وما في الثلاثة مصدرية أو بمعنى من أي الله ، أو «ما» بمعنى صفات الله المتعلقة بتلك الاعمال الجليلة .

٨ ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ أي بين لها طريق الخير والشر وأخر التقوى رعاية لرؤس الآي وجواب القسم .

٩ ﴿قد أفلح﴾ حذفت منه اللام لطول الكلام .

١٠ ﴿من زكاها﴾ طهرها من الذنوب .

بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا
فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ
عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

(٩٢) سورة الليل مكية
وآياتها إحدى وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ
ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ

١١ ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من دساها﴾ أخفاها بالمعصية وأصلها دسسها أبدلت السين الثانية الفا تخفيفاً.

وذكر تعالى فيما يأتي على طريق المثال بمن دس نفسه وخسر ولم يزكها فيفلح فقال:

١٢ ﴿كذبت ثمود﴾ رسولها صالحا ﴿بطغواها﴾ بسبب طغيانها.

١٣ ﴿اذا انبعث﴾ أرسل وأسرع ﴿أشقاها﴾ واسمه قدار الى عقر الناقة برضاها.

١٤ ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صالح ﴿ناقة الله﴾ أي ذروها ﴿وسقياها﴾ شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم.

١٥ ﴿فكذبوه﴾ في قوله ذلك عن المرتب عليه نزول العذاب بهم ان خالفوه ﴿فعقروها﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها ﴿فدمدم﴾ أطبق ﴿عليهم ربهم﴾ العذاب ﴿بذنبهم فسواها﴾ أي الدمدمة عليهم أي عمها بهم لم يفلت منهم أحدا.

١٦ ﴿ولا﴾ بالواو وقرىء بالفاء ﴿يخاف﴾ تعالى ﴿عقباها﴾ تبعتها كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله لانه تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهذا تحذير لمن يعصي الله بالكفر وغيره فان الله يهلكه به ولا ينجيه منه شيء.

﴿ سورة الليل مكية ﴾

هي احدى وعشرون آية وموضوعها الرئيسي الحث على التصديق والانفاق والتحذير عن التكذيب والبخل.

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والليل إذا يغشى﴾ بظلمته كل ما بين السماء والأرض.

٢ ﴿والنهار اذا تجلى﴾ تكشف وظهر واذا في الموضعين لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم.

٣ ﴿وما﴾ بمعنى من أو مصدرية أو هي على بابها يقصد بها صفة الله المتعلقة بالفعل ﴿خلق الذكر والانثى﴾ آدم وحواء أو كل ذكر وكل أنثى وجواب القسم.

٤ ﴿ان سعيكم﴾ عملكم ﴿لشتى﴾ مختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية

٥ ﴿فأما من أعطى﴾ حق الله ﴿واتقى﴾ الله.

٦ ﴿وصدق بالحسنى﴾ أي كلمة الشهادة قالها وعمل على مقتضاها.

٧ ﴿فسنيسره لليسرى﴾ نسهل له الطريق الى الجنة.

٨ ﴿وأما من بخل﴾ بحق الله ﴿واستغنى﴾ بنفسه عن ثوابه.

بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ
مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ
لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾
وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾
وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَىٰ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَىٰ عَشْرَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

٩ ﴿وكذب بالحسنى﴾ .

١٠ ﴿فسنيسره﴾ نهيئه ﴿للعسرى﴾ للنار .

١١ ﴿وما﴾ نافية ﴿يغني عنه ماله اذا تردى﴾ في النار .

١٢ ﴿ان علينا للهدى﴾ لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الاول ونهينا من ارتكاب الثاني .

١٣ ﴿وان لنا للآخرة والأولى﴾ أي الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ .

١٤ ﴿فأنذرتكم﴾ خوفتكم أيها المكلفون ﴿نارا تلظى﴾ بحذف احدى التائين من الاصل وقرىء بثبوتها أي تتوقد .

١٥ ﴿لا يصلاها﴾ يدخلها ﴿الا الأشقى﴾ بمعنى الشقي .

١٦ ﴿الذي كذب﴾ النبي ﴿وتولى﴾ عن الايمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» فيكون المراد الصلي المؤبد .

١٧ ﴿وسيجنبها﴾ يبعد عنها ﴿الأتقى﴾ بمعنى التقي .

١٨ ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ متزكيا به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى لا رياء ولا سمعة فيكون زاكيا عند الله .

١٩ ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ أي لم يؤت ماله لرد نعمة لأحد أنعم عليه قبل ذلك .

٢٠ ﴿الا﴾ لكن فعل ذلك ﴿ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ لطلب رضا الله الذي أمره بالانفاق .

٢١ ﴿ولسوف يرضى﴾ بما يعطاه من الثواب في الجنة روى أن أبا بكر اشترى بلالا المعذب على ايمانه واعتقه فقال الكفار انما فعل ذلك ليد كانت عنده ولا يعرفون الأريحية التي تتمتع بها نفس المؤمن الكريمة التي تزري بالمال وتجعل ثقتها بالله فيغنيها الله بما يحسبها فان عمل الصديق رضي الله عنه أبعده عن النار وأثابه الله بما رضي عن الله من الثواب وهكذا كل مؤمن يقتدي بتلك الأريحية الطيبة الكريمة جعلنا الله من أهلها بمنه وكرمه .

﴿ سورة الضحى مكية ﴾

هي أحدى عشر آية وموضوعها عد الامتنان التي أنعم الله بها على النبي ﷺ بذكر بعض صفاته الذاتية العليا وبناء أحكام عليها من اكرام الضعفاء وأهل الحاجات والتحدث بنعمة الله . ولما نزلت كبر صلى الله آخرها فسن التكبير اخرها وروي الأمر به في خاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر أو لا اله الا الله والله أكبر .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والضحى﴾ أي أول النهار أقسم الله بها لما يبدو في أول النهار من الحركات والسرور والنور والحياة .

٢ ﴿والليل اذا سجى﴾ غطى بظلامه أو سكن .

٣ ﴿ما ودعك﴾ ما تركك يا محمد ﴿ربك وما قلى﴾ بغضك بعد اصطفاء الله لك فهو ثابت لا يتبدل فأنت رسوله وامينه وخليفته على الأرض .

٤ ﴿وللآخرة خير لك﴾ لما فيها من الكرامات لك وما خصك به من الفضيلة والوسيلة والمقام المحمود والشفاعة الكبري ﴿من الأولى﴾ الدنيا لان فيها استعداد للأخرى التي هي المقصود الأعظم .

٥ ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا ﴿فترضى﴾ به فقال ﷺ «اذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار» وهي أرجى آية في كتاب الله لأمته ﷺ . الى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين .

ثم برهن تعالى على ما تقدم بما أنعم عليه ﷺ من العناية الكاملة قبل النبوة فقال :

٦ ﴿ألم يجدك﴾ استفهام تقرير أي وجدك ﴿يتيما﴾ بفقد أبيك قبـل ولادتك بسبعة أشهر ، وتوفيت أمك وأنت ابن ست سنين ، ومات جدك وأنت ابن ثمان سنين ﴿فآوى﴾ بأن ضمك الى عمك أبي طالب بالكفالة وأما تربيتك ورعايتك وتأديبك فلم يجعلها في يد أحد من الناس وفي الحديث قال رسول الله ﷺ «أدبني ربي فأحسن تأديبي» .

٧ ﴿ووجدك ضالا﴾ عما أنت عليه الآن من الشريعة ﴿فهدى﴾ أي هداك اليها فصرت قدوة لجميع العالم .

٨ ﴿ووجدك عائلا﴾ فقيرا ﴿فأغنى﴾ أغناك بما أقنعك به من الرزق . وفي الحديث «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» الى أن صرت الى ما صرت اليه من الغنى الذي لا غنى فوقه .

واذا كان الأمر بيد الله كما رأيت .

٩ ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ بأخذ ماله أو غير ذلك فهو خطاب للنبي ﷺ والمقصود به أمته .

١٠ ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ لا تزجره لفقره فاما أن تعطيه واما أن ترده ردا جميلا لينا برفق ، وقيل السائل هو طالب العلم وهو أحسن لمقابلته بوجدك ضالا فهدى . فيجب اكرام الطالب وانصافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهر ولا يتلقى بمكروه .

١١ ﴿وأما بنعمة ربك﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿فحدث﴾ أخبر بها فان التحدث بها من شكرها وقم بواجبها عليك وقال ﷺ «ان الله يحب أن يرى أثر النعمة على عبده» وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل .

وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

٨١٢

﴿ سورة ألم نشرح مكية ﴾

هي ثمان آيات وموضوعها الرئيسي عد امتنانه تعالى للنبي ﷺ في صفاته المعنوية وبناء احكام عليها في تواجيه كل أمر لله ورده اليه والرغبة فيه تعالى ورجاء الخير منه على كل حال .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ألم نشرح مكية﴾ استفهام تقرير أي شرحنا ﴿لك﴾ يا محمد ﴿صدرك﴾ بالنبوة وغيرها وهو كقوله تعالى «ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام» .

٢ ﴿ووضعنا﴾ حططنا ﴿عنك وزرك﴾ .

٣ ﴿الذي أنقض﴾ أثقل . ﴿ظهرك﴾ أي أزلنا عنك ومنعنا أن يصيبك الوزر الذي يصيب أفراد الناس فينقض ظهورهم بالطبع فخلقناك معصوما عن ذلك وعبر عنه بالحط عنه لما يأتي من الرفع للمقابلة وهو قوله .

٤ ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ في جميع العالم عامة وفي العالم

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

(٩٥) سورة التين مكية وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ
الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

الاسلامي خاصة وتذكر مع ذكري في الأذان والاقامة والتشهد والخطبة وغيرها في الدنيا والمزايا العديدة الظاهرة العالية في الآخرة .

واذا كان كل هذه المنن ثابتة لك فضلا من ربك فلا يزعزعك عسر ان جاءك فانما هو زيادة تمحيص وليقتدي بك أتباعك في التحمل والصبر .

٥ ﴿فان مع العسر﴾ الشدة ﴿يسرا﴾ سهولة .

٦ ﴿ان مع العسر يسرا﴾ الألف واللام في العسر الاول لتعريف الجنس وفي الثاني للعهد فالمعرفة اذا تكررت فشيء واحد ، والنكرة اذا تكررت فشيئان ، ولذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما «لن يغلب عسر يسرين» . والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة ، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم .

٧ ﴿فاذا فرغت﴾ من الصلاة ﴿فانصب﴾ اتعب في الدعاء فالمراد أن تواصل العبادة ولا تخلي وقتا من أوقاتك منها فاذا فرغت من عبادة اتبعها بأخرى . قال عمر بن الخطاب : اني أكره أن أرى أحدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة .

٨ ﴿والى ربك فارغب﴾ تضرع واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه راغبا في الجنة وراهبا من النار ، فيقتدي بك أتباعك ويسعدون .

﴿ سورة التين مكية أو مدنية ﴾

هي ثمان آيات وموضوعها الرئيسي أخبار فضل الله للمؤمنين حيث تعجز أجسامهم عن عمل الخير الذي يعتادونه ويستمر ثوابهم به وإن فضل الدين مستمر لا ينقطع بمرور الزمان .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ . ﴿والتين والزيتون﴾ أقسم الله فيهما جبلان بالشام : يقال لهما طورتينا وطور زيتا بالسريانية . وعن ابن عباس التين مسجد نوح على الجودى والزيتون مسجد المقدس .

٢ ﴿وطور سينين﴾ الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى معنى سينين المبارك أو الحسن بالاشجار المثمرة .

٣ ﴿وهذا البلد الأمين﴾ مكة لأمن الناس فيه جاهلية واسلاما وجواب القسم .

٤ ﴿لقد خلقنا الانسان﴾ الجنس ﴿في أحسن تقويم﴾ تعديل لصورته .

٥ ﴿ثم رددناه﴾ في بعض أفراده ﴿أسفل سافلين﴾ كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمن عنه في زمن الشباب ، ويكون له أجره لقوله تعالى :

٦ ﴿الا﴾ أي لكن ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ مقطوع وفي الحديث : اذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب الله له ما كان يعمل .

٧ ﴿فما يكذبك﴾ أيها الكافر ﴿بعد﴾ أي بعد ما ذكر من خلق الانسان في أحسن صورة ثم رده الى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث ﴿بالدين﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب أي ما يجعلك مكذبا بذلك حتى تخسر هذا الجزاء الذي لا ينقطع نيله بالهرم أي جاعل له وانما هو سوء حظك .

٨ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي هو أقضى القاضين وحكمه بالجزاء المستمر للمؤمنين بعد عجزهم عن العمل من ذلك .

وفي الحديث من قرأ والتين الى آخرها فليقل «بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين» . أي سواء كان في الصلاة أو خارجها قلبا سرا والله أعلم .

(٩٦) سُورَةُ العَلَقِ مَكِّيَّة وآياتها تسع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ
مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ
بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ
رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾
أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا

٨١٤

﴿ سورة اقرأ مكية ﴾

هي تسع عشرة آية صدرها الى «ما لم يعلم» أول ما أنزل من القرآن وذلك بغار حراء رواه البخاري لذلك موضوعها الرئيسي الأمر بالقراءة وتعلم الدين اذ لا يمكن العمل الا بتقدم العلم به .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿اقرأ﴾ أوجد القراءة للعلوم مقرونة . ﴿باسم ربك الذي خلق﴾ الخلائق .

٢ ﴿خلق الانسان﴾ الجنس ﴿من علق﴾ جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ .

٣ ﴿اقرأ﴾ تأكيد للاول لزيادة حث على ايجاد القراءة بمعمول غير الجار والمجرور لافادة العموم في جميع المقروء ما دام مقرونا باسم الله ولذلك زود في الاتيان بصفاته تعالى لتدل على عظم كرمه وفضله بارسال محمد ﷺ فقال : ﴿وربك الأكرام﴾ الذي لا يوازيه كريم والجملة حال من ضمير اقرأ .

٤ ﴿الذي علم﴾ الخط ﴿بالقلم﴾ وأول من خط به ادريس عليه السلام .

٥ ﴿علم الانسان﴾ الجنس ﴿ما لم يعلم﴾ قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها .

وبعد الأمر بالقراءة استفتح كلاما لمنع الطغاة عن التعرض لأهل الدين فقال :

٦ ﴿كلا﴾ استفتاحية ﴿ان الانسان ليطغى﴾ يتكبر ويجاوز حده ولا يتبع الأمر .

٧ ﴿أن رآه﴾ أي نفسه ﴿استغنى﴾ بالمال مفعول ثان وأن رآه مفعول له .

٨ ﴿ان الى ربك﴾ يا انسان ﴿الرجعى﴾ أي الرجوع تخويف فيجازي الطاغي بما يستحقه .

٩ ﴿أرأيت﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الذي ينهى﴾ يصدق بأبي جهل وكل طاغ يحاول أن يحارب .

١٠ ﴿عبدا﴾ عابدا النبي وغيره ﴿اذا صلى﴾ العبد .

١١ ﴿أرأيت ان كان﴾ أي المنهي ﴿على الهدى﴾ .

١٢ ﴿أو﴾ للتقسيم ﴿أمر بالتقوى﴾ .

١٣ ﴿أرأيت ان كذب﴾ الناهي النبي أو العابد ﴿وتولى﴾ هو عن الايمان والانقياد لما أمر به لطغيانه .

١٤ ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ما صدر منه أي يعلم فيجازيه عليه أي أعجب منه يا مخاطب من نهيه عن الصلاة ومن حيث أن المنهي عن الهدى آمر بالتقوى ومن حيث ان الناهي مكذب متول عن الايمان

بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ
نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ
وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾

(٩٧) سُورَةُ القَدْرِ مَكِّيَّة وآياتها خمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ
الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ
الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾
سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

٨١٥

١٥ ﴿كلا﴾ ردع له أي لا يفعل ذلك ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿لم ينته﴾ عما هو عليه من الطغاوة ﴿لنسفعا بالناصية﴾ لنجرن بناصيته الى النار ونذله .

١٦ ﴿ناصية﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كاذبة خاطئة﴾ وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها .

١٧ ﴿فليدع ناديه﴾ أي أهل ناديه وهو المجلس ينتدى ويتحدث فيه القوم أي فليدع أهل ملته ليحارب أهل الملة الاسلامية ويروى أن أبا جهل قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة لقد علمت ما بها رجل أكثر ناديا مني ، لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا أو رجالا مردا ، فهو لا يدري أن من يحارب أهل الله ، انما يحارب الله . فقال الله :

١٨ ﴿سندع الزبانية﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لاهلاكه وفي الحديث قال النبي ﷺ «لو أن أبا جهل دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً» .

١٩ ﴿كلا﴾ ردع للعبد المنهي أن يخاف الناهي ﴿لا تطعه﴾ أيها العبد الممتثل لأمر ربه فلا تطع أمر الطاغي في منع الصلاة وغيرها من عبادة ربك ﴿واسجد﴾ أي صل لربك الاكرم الذي أنعم عليك بالهداية ﴿واقترب﴾ منه بطاعته فانه يكفيك شر الطاغي فلا يستطيع أن يمسك بسوء .

هنا موضع سجود تلاوة من غير العزائم . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال سجدت مع رسول الله ﷺ في اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك سجدتين . وقوله تعالى : واقترب .. يدل على استحباب الدعاء في السجود . قال ﷺ : أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فيه في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم .

بدأت السورة بالأمر بالقراءة ، وختمت بالأمر بالصلاة ، والدعاء في السجود لطلب القرب الى الله ، واشتملت على رعاية الله وكرمه لأوليائه ، ووعيد شديد على أعدائه .

﴿ سورة القدر ﴾

هي خمس أو ست آيات وهي تخبر عن ليلة القدر وفضلها على باقي الليالي تكرما منه تعالى وفضلا لهذه الأمة .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿انا أنزلناه﴾ أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا وحفظ في بيت العزة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وأملاه جبريل على السفرة ، ثم كان ينزله على رسول الله ﷺ نجوما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة اليه ﴿في ليلة القدر﴾ أي الشرف والعظم في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن .

٢ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك يا محمد أو المخاطب ﴿ما ليلة القدر﴾ تعظيم لشأنها ثم بين فضلها من ثلاثة أوجه فالاول من جهة مضاعفة ثواب العمل فقال :

٣ ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ ليس فيها ليلة القدر . فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها . والثاني قال :

٤ ﴿تنزل الملائكة﴾ بحذف احدى التاءين من الأصل ﴿والروح﴾ أي جبريل ﴿فيها﴾ في الليلة ﴿باذن ربهم﴾ بأمره ﴿من كل أمر﴾ قضاه الله فيها لتلك السنة الى قابل ومن سببيه بمعنى الباء . والثالث قوله تعالى :

٥ ﴿سلام هي﴾ خبر مقدم ومبتدأ ﴿حتى مطلع الفجر﴾ بفتح اللام وقرىء بكسرها ، أي الى وقت طلوعه ، جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة ، لا تمر بمؤمنة ولا مؤمن الا سلمت الملائكة عليهما .

(٩٨) سورة البينة مدنية وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

﴿ سورة لم يكن مكية أو مدنية ﴾

هي ثمان آيات تخبر عن أهل الكتاب والمشركين قبل بعثه ﷺ من اتفاقهم على الايمان به اذا جاء ، وكفرهم بعد ظهوره عنادا وحسدا .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿لم يكن الذين كفروا من﴾ للبيان ﴿أهل الكتاب والمشركين﴾ أي عبدة الأصنام عطف على أهل ﴿منفكين﴾ خبر يكن أي زائلين عما هم عليه ﴿حتى تأتيهم﴾ أي أتتهم ﴿البينة﴾ أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ . أي أنهم لم يتركوا دينهم الا بعد مجيئه ، وكانوا متفقين على بعثه ﷺ وذلك جماع دينهم الذي كانوا عليه قبل مبعثه وهو.

٢ ﴿رسول من الله﴾ بدل من البينة وهو النبي محمد ﷺ ﴿يتلوا صحفا مطهرة﴾ من الباطل .

٣ ﴿فيها كتب﴾ أحكام مكتوبة ﴿قيمة﴾ ذوات قيمة مثل الجواهر النفسية أي القرآن لانه اشتمل على أحكام نفيسة ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من كفر به .

٤ ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ في الايمان به ﷺ ﴿الا من بعدما جاءتهم البينة﴾ أي هو ﷺ أو القرآن الجائي به معجزة له وقبل مجيئه ﷺ ، كانوا مجتمعين على الايمان به اذا جاءه فحسده من كفر به منهم .

٥ ﴿وما أمروا﴾ في القرآن عند مجيء الرسول ﷺ ﴿الا ليعبدوا الله﴾ أي أن يعبدوه ، فحذفت أن وزيدت اللام ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿حنفاء﴾ مستقيمين على دين الحق المائل عن الأديان الباطلة ﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك﴾ أي ما أمروا به في القرآن ﴿دين﴾ الملة ﴿القيمة﴾ المستقيمة التي أمروا بها في التوراة والانجيل وفي صحف ابراهيم عليه السلام ، ولم يؤمروا بشيء جديد مما يوجب التنفر عنه فيتفرقوا مثل تفرقهم ، فيؤمن بعضهم ويكفر بعض مع أن كتبهم فيها أمر باتباع محمد ودينه اذا جاء ، فكيف كفروا به وتفرقوا فرقا مختلفة الأهواء .

ثم ذكر تعالى جزاء كل فرقة المؤمنة بمحمد ﷺ والكافرة به مبتدئاً بالكافرة فقال .

٦ ﴿ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها﴾ حال مقدرة أي مقداراً خلودهم فيها من الله

أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ
أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ
تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ

تعالى ﴿أولئك هم شر البرية﴾ خليقة . بكفرهم بالحق بعدما تبين لهم فلا عذر الا العناد والتكبر والحسد . ثم ذكر تعالى الفرقة الثانية المؤمنة فقال :

٧ ﴿ان الذين آمنوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي بما جاء به ﴿أولئك هم خير البرية﴾ الخليقة ، لانشراح صدورهم للحق واتباعه .

٨ ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن﴾ اقامة ﴿تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم﴾ بطاعته ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابه ﴿ذلك﴾ الجزاء الحسن ثابت ﴿لمن خشي ربه﴾ خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى واتبع ما أمره باتباعه ، ولم يتكبر عن اتباع الحق عند ظهوره .

ومن الحكمة ما روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب «ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا» فقال أبي وسماني لك ؟ قال النبي ﷺ «نعم» فبكى أبي فقرأها ﷺ عليه . قال القرطبي وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم . وقال بعضهم انما قرأ النبي ﷺ على أبي ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة . قلت يؤيد هذا درس السورة فان أهل الكتاب أمروا بأخذ القرآن من النبي ﷺ وهو دونهم في الزمن فأبوا عنه وهلكوا ،

﴿ سورة الزلزلة مكية أو مدنية ﴾

وهي ثمان آيات تخبر عن كيفية خروج الناس من قبورهم للبعث ، للحث على عمل الخير مهما قل ، والتحذير عن كل شر كذلك .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿اذا زلزلت الأرض﴾ حركت لقيام الساعة ﴿زلزالها﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمها .

٢ ﴿وأخرجت الارض أثقالها﴾ كنوزها قيل تخرج الارض كنوزها زمن عيسى وما بعده . فالزلزال على هذا في الدنيا ، وقيل موتاها تخرجهم في النفخة الثانية .

٣ ﴿وقال الانسان﴾ الكافر بالبعث ﴿ما لها﴾ انكارا لتلك الحالة .

٤ ﴿يومئذ﴾ بدل من «اذا» وجوابها ﴿تحدث أخبارها﴾ تخبر بما عمل عليها من خير وشر .

٥ ﴿بأن ربك﴾ بسبب ان ربك ﴿أوحي لها﴾ أي أمرها بذلك في الحديث «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها» .

يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

(١٠٠) سُورَةُ العَادِيَاتِ مَكِّيَّة
وآياتها احدى عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ

٦ ﴿يومئذ يصدر الناس﴾ ينصرفون من موقف الحساب ﴿أشتاتا﴾ متفرقين ، فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار ﴿ليروا أعمالهم﴾ أي جزاءها من الجنة أو النار.

٧ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ زنة نملة صغيرة ﴿خيرا يره﴾ ير ثوابه.

٨ ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ ير جزاءه ولهذا قال النبي ﷺ : « إتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » فهذه أخوف آية في القرآن.

عن النبي ﷺ قال : من قرأ اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله . رواه الثعلبي بسند ضعيف لكن يشهد له ما رواه ابن أبي شيبة مرفوعا . اذا زلزلت تعدل ربع القرآن اهـ . خطيب .

﴿ سورة والعاديات مكية أومدنية ﴾

هي احدى عشرة آية وموضوعها الرئيسي محاربة الكفار بالاغارة والقوة و باللسان والتخويف لازالة سوء أعمالهم .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والعاديات﴾ أقسم بالخيل تعدو في الغزو وتضبح ﴿ضبحا﴾ هو صوت أجوافها اذا عدت قال ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب .

٢ ﴿فالموريات﴾ الخيل توري النار ﴿قدحا﴾ بحوافرها اذا سارت في الارض ذات الحجارة بالليل .

٣ ﴿فالمغيرات صبحا﴾ الخيل تغير على العدو وقت الصبح باغارة أصحابها أي يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ، ويهجمون عليهم ليروا ما يأتون وما يذرون ، والموصوف في الثلاثة اعني العاديات وما بعدها هو الخيل العاديات ، فالموصوف ذات واحدة وهي الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار في شرق الارض وغربها ، وانما أقسم الله عز وجل بها تنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والأجر والغنيمة .

٤ ﴿فأثرن﴾ هيجن ﴿به﴾ بمكان العدو أو بذلك الوقت ﴿نقعا﴾ غبارا بشدة حركتهن .

٥ ﴿فوسطن به﴾ بالنقع ﴿جمعا﴾ من العدو ، أي صرن وسطه وعطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل ، أي واللاتي عدون فأورين فأغرن وجواب القسم هو :

٦ ﴿ان الانسان﴾ الكافر ﴿لربه لكنود﴾ لكفور يجحد نعمته تعالى .

٧ ﴿وانه على ذلك﴾ أي الكنود ﴿لشهيد﴾ يشهد على نفسه بسبب أعماله ، أي ان أعماله تدل على حاله فدلالتها هي المرادة من شهادته على كنوده .

٨ ﴿وانه لحب الخير﴾ المال ﴿لشديد﴾ أي لشديد الحب له فيبخل به . المقسم به أمور ثلاثة والمقسم عليه أمور ثلاثة ، أي فالثلاثة الاولى تعين على محاربة الثلاثة الاخيرة

وكما يحارب الانسان أي الكافر الانسان المطلق بالقوة والخيل والاغارات في أوقاتها لرده عن كنوده وسوء عمله وحبه المال حبا شديدا وكذلك يحارب عليها بالتخويف والتحذير ، فأشار تعالى الى ذلك فقال :

٩ ﴿أفلا يعلم﴾ الانسان ﴿اذا بعثر﴾ أثير وأخرج ﴿ما في القبور﴾ من الموتى أي بعثوا

مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

(١٠١) سُورَةُ القَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾
نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

٨١٩

١٠ ﴿وحصل﴾ بين وأفرد ﴿ما في الصدور﴾ القلوب من الكفر والايمان .

١١ ﴿ان ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ لعالم فيجازيهم على كفرهم ، أعيد الضمير جمعا نظرا لمعنى الانسان وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم» أي انا نجازيه وقت ما ذكر . وتعلق «خبير» بيومئذ وهو تعالى خبير دائما لانه يوم المجازاة وهو المقصود بالتخويف .

﴿ سورة القارعة مكية ﴾

وهي احدى عشرة آية ، فهي للوعظ والتخويف بأهوال القيامة ، والحض للقيام بعمل الطاعات لتثقيل الميزان يوم الحساب .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿القارعة﴾ أي القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها أو النفخة الثانية التى القيامة بعدها

٢ ﴿ما القارعة﴾ تهويل لشأنها وهو مبتدأ وخبر وجملتهما خبر القارعة .

٣ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما القارعة﴾ زيادة تعظيم لها وما الاولى مبتدأ وما بعده خبره . وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى .

٤ ﴿يوم﴾ ناصبه دل عليه القارعة أي تقرع ﴿يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة الى أن يدعوا للحساب .

٥ ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الارض .

٦ ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته .

٧ ﴿فهو في عيشة راضية﴾ في الجنة أي ذات رضا بأن يرضاها أي مرضية له .

٨ ﴿وأما من خفت موازينه﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته .

٩ ﴿فأمه﴾ فمسكنه ﴿هاوية﴾ .

١٠ ﴿وما أدراك ما هية﴾ أي ما هاوية .

١١ هي ﴿نار حامية﴾ شديدة الحرارة ، هاء هيه للسكت وصلا وقفا وفي قراءة تحذف وصلا .

(١٠٢) سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ

﴿ سورة التكاثر مكية ﴾

هي ثمان آيات موضوعها الرئيسي النهي عن التباهي بكثرة الاموال والنفر ومناسبتها لما قبلها ذم اللاهين والمشتغلين عن القيامة. ففي الحديث: قال النبي ﷺ «الا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم» قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال «أما يستطيع أن يقرأ الهاكم التكاثر»؟

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ألهاكم﴾ شغلكم عن طاعة الله أو عن القيامة ﴿التكاثر﴾ التفاخر بالأموال والاولاد والرجال.

٢ ﴿حتى زرتم المقابر﴾ بأن متم فدفنتم فيها

٣ ﴿كلا﴾ ردع عن التشاغل عن الطاعة ﴿سوف تعلمون﴾.

٤ ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم في القبر.

٥ ﴿كلا﴾ حقا ﴿لو تعلمون علم اليقين﴾ أي علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

٦ ﴿لترون الجحيم﴾ النار جواب قسم محذوف، وحذف منه لام الفعل وعينه وألقي حركتها على الراء.

٧ ﴿ثم لترونها﴾ تأكيد ﴿عين اليقين﴾ مصدر، لأن رأى وعاين بمعنى واحد

٨ ﴿ثم لتسألن﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو ضمير الجميع لالتقاء الساكنين ﴿يومئذ﴾ يوم رؤيتها ﴿عن النعيم﴾ ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والشراب وغير ذلك، وانما هو الزائد على ما لا بد منه. والسؤال انما هو في موقف الحساب. وثم للترتيب الاخباري لا المعنوي، لأن السؤال قبل رؤية الجحيم.

﴿ سورة العصر مكية أو مدنية ﴾

هي ثلاث آيات وموضوعها الرئيسي النهي عن تضييع العمر في غير طاعة الله

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿والعصر﴾ أقسم الله بالدهر أو ما بعد الزوال الى الغروب، فالدهر فيه الأعاجيب من حيث تصرف الأحوال من السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر. والزمان من جملة أصول النعم وهو أشرف من المكان. فاقسم الله به لأنه لكونه نعمة خالصة لا عيب فيه، انما الخاسر والمعيب الانسان. وقيل العصر صلاة العصر لأنها صلاة وسطى وبها تختم فرائض النهار. وجواب القسم.

٢ ﴿ان الانسان﴾ الجنس ﴿لفي خسر﴾ وخسره هو تضييع عمره، وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية، فان كانت في معصية فهو الخسران البين الظاهر، وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الاتيان به، فكان فعل غير الأفضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك أنه لا ينفك أحد من خسران.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ
بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

(١٠٤) سُورَةُ الهُمَزَةِ مَكِّيَّة
وآيَاتُهَا تِسْعٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾
ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾
فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

٣ ﴿ألا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من امتثال الأوامر واجتناب النواهي ﴿وتواصوا بالحق﴾ أي الامر الثابت وهو كل ما حكم الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ﴿وتواصوا بالصبر﴾ على الطاعة وعن المعصية وعلى البلايا . أي ان الناس في الخسران الا من كان منهم آتيا بهذه الأشياء الاربعة وهي الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر فهذه الامور اشتملت على ما يخص نفسه وهو الايمان والعمل الصالح وما يخص غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر .

﴿ سورة الهمزة مكية أو مدنية ﴾

وهي تسع آيات تبين حال الخاسر صاحب الأخلاق الذميمة ومآله وذلك مناسبتها لما قبلها وهو موضوعها الرئيسي .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ويل﴾ كلمة عذاب أو دعاء بالهلكة ، أو واد في جهنم مبتدأ سوغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم بالهلكة ﴿لكل همزة لمزة﴾ أي كثير الهمز واللمز أي الغيبة أي من يغتاب النبي والمؤمنين في كل عصر ومكان .

٢ ﴿الذي جمع﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد للتكثير ﴿مالاً وعدده﴾ أحصاه وجعله عدة لحوادث الدهر .

٣ ﴿يحسب﴾ لجهله ﴿ان ما له أخلده﴾ جعله خالدا لا يموت .

٤ ﴿كلا﴾ ردع له عن حسبانه ذلك ﴿لينبذن﴾ جواب قسم محذوف . أي ليطرحن ﴿في الحطمة﴾ التي القي فيها .

٥ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما الحطمة﴾ .

٦ ﴿نار الله الموقدة﴾ المسعرة .

٧ ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ أي تشرف على القلوب فتحرقها وألمها أشد من ألم غيرها للطفها .

٨ ﴿انها عليهم﴾ جمع الضمير رعاية لمعنى كل ﴿مؤصدة﴾ بالهمز وقرىء بالواو بدله أي مطبقة .

٩ ﴿في عمد﴾ بفتح الحرفين وقرىء بضمهما ﴿ممددة﴾ صفة لما قبلها فتكون النار داخل العمد .

﴿ سورة الفيل مكية ﴾

هي خمس آيات تبين اعتناءه تعالى بحفظ الحرم الشريف ، واهلاكه من أراده بسوء فقتلهم شر قتل .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ألم تر﴾ استفهام تعجيب أي أعجب ﴿كيف فعل ربك باصحاب الفيل﴾ عدد الفيلة ثلاثة عشر أكبرها يسمى محموداً ووحدها لرؤس الآي وأصحابها هم أبرهة ملك اليمن وجيشه بنى في صنعاء كنيسة ليصرف اليها الحجاج عن مكة ، فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بعذرة احتقارا بها فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة ، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله :

٢ ﴿ألم يجعل﴾ أي جعل ﴿كيدهم﴾ في هدم الكعبة ﴿في تضليل﴾ خسار وهلاك .

٣ ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ جماعات قيل لا واحد له كأساطير وقيل واحدة أبول أو ابيل كعجول ومفتاح وسكين .

٤ ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ طين مطبوخ .

٥ ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته ، أي أهلكهم الله تعالى ، كل واحد بحجره مكتوب عليه اسمه ، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة ، يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل الى الأرض . وكان هذا عام مولد النبي ﷺ قبله بخمسين يوما .

قلت فما تضمنت سورة الفيل وما وقع بعدها يدل على انه لا يرتفع المجتمع الانساني الا بالدين وما احتواه الايمان الصحيح . فالعرب ما استطاعوا أن يمنعوا اصحاب الفيل حتى دخلوا الحرم بقصد تخريب الكعبة المشرفة التي هي فخرهم وجرم جدهم ابراهيم عليه السلام . ثم بعد الاربعين سنة بولادة النبي صلى الله عليه وسلم بدأ يدعوهم الى الله ويعلمهم في ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة المنورة فجمع كلمة العرب على الاسلام في خلال عشر سنين فالتحق بالرفيق الاعلى ثم غلبت العرب او الامة الاسلامية العالم كله في خلال نحو نصف قرن . فندعوه تبارك وتعالى ان يردنا الى ما كان عليه اسلافنا رضي الله عنهم .

﴿ سورة قريش مكية أو مدنية ﴾

هي أربع آيات فيها فضل لقريش . وعن عمر أنه قرأها في الركعة الثانية من المغرب وقرأ في الأولى بسورة والتين .

(١٠٥) سُورَةُ الفِيلِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ① إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ

١ - ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿لا يلاف قريش﴾ قيل متعلق بما في السورة قبلها من قوله فجعلهم كعصف مأكول قال الزمخشرى وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا تصح الا به إشارة إلى أن فضل قريش مرتبط بالبيت الحرام .

وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي
أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

(١٠٧) سورة الماعون مكية وآياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ
الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

٢ ﴿ايلافهم﴾ تأكيد وهو مصدر آلف بالمد ﴿رحلة الشتاء﴾ الى اليمن ﴿و﴾ رحلة ﴿الصيف﴾ الى الشام في كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم وهم ولد النضر بن كنانة .

٣ ﴿فليعبدوا﴾ لما تقدم من عناية الله بالحرم وبقريش ، أمرهم أن يعبدوه تعالى ﴿رب هذا البيت﴾ .

٤ ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي من أجله ﴿وآمنهم من خوف﴾ أي من أجله ، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل ، وأمرهم تعالى بالعبادة له على ما أنعم به عليهم من ذلك ، ويكون الناس تبعا لهم في العبادة نعمة أخرى له .

﴿ سورة الماعون مكية أو مدنية ﴾

وهي سبع آيات تبين علامات النفاق ويتميز بها المنافق تميزا ظاهرا عن المؤمن المخلص في ايمانه .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ بالجزاء والحساب أي هل عرفته . وان لم تعرفه .

٢ ﴿فذلك﴾ بتقدير هو بعد الفاء ﴿الذي يدع اليتيم﴾ اي يدفعه بعنف عن حقه .

٣ ﴿ولا يحض﴾ نفسه ولا غيره ﴿على طعام المسكين﴾ أي اطعامه .

٤ ﴿فويل﴾ عذاب شديد أو دعاء به على المنافقين الذين من علامتهم التهاون بالصلاة ﴿للمصلين﴾ .

٥ ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ غافلون يؤخرونها عن وقتها .

٦ ﴿الذين هم يراؤن﴾ في الصلاة وغيرها أي لا يطيعون الله الا لرياء أو سمعة .

٧ ﴿ويمنعون الماعون﴾ كالابرة والفأس والقصعة والدلو والمقدحة والمغرفة والملح وغير ذلك ، أي لا يجاملون الجار ولو بشيء خفيف من الشح ، اذ لا يزيل الشح عن قلب الا الايمان الصحيح وهم ليسوا من أهله .

﴿ سورة الكوثر مكية أو مدنية ﴾

هي ثلاث آيات وتسمى سورة النحر وهي مع قلة حروفها تنبىء عن رفعة فضل النبي ﷺ وإذلال كل من ناواه في الدارين .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿انا اعطيناك﴾ يا محمد ﴿الكوثر﴾ هو نهر في الجنة هو حوضه ترد عليه امته ويذاد عنه من بدل دينه وغير ، أو الكوثر الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها .

٢ ﴿فصل لربك﴾ صلاة عيد النحر ﴿وانحر﴾ نسكك لشكر مولاك الكريم الذي أعطاك الكوثر ، ففي الصلاة شكره بالاعضاء الظاهرة والباطنة ، والاعتقاد والتوحيد في الصفات والعبادة قولا وفعلا وفي النحر النسك ، والعبادات المالية لله والاحسان للعباد . فهذا تفسير لما في الضحى من قوله تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» ثم سلى الله نبيه بعدما تقدم من الحفاوة والاكرام بتحقير عدوه بكل وجه من العداوة فقال :

٣ ﴿ان شانئك﴾ أي مبغضك ﴿هو الابتر﴾ المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب سواء كان في عصره ﷺ مثل العاص بن وائل وغيره من كفار زمانه أو بعده الى يوم القيامة وكل من نقصه ﷺ فلامة ظفر ، ذلك التنقيص يظهر على فاعله قبل موته في الدنيا ثم يعذبه الله العذاب الشديد ، وهي من كنوز القرآن .

﴿ سورة الكافرون مكية أو مدنية ﴾

هي ست آيات وتسمى أيضا سورة المعابدة والاخلاص لأنها في اخلاص العبادة والدين كما أن قل هو الله أحد في اخلاص التوحيد والصفات واجتماع النفاق معهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما وفي الحديث أنها تعدل ثلث القرآن أو ربعه وتقرأ عند النوم للتبرئة من الشرك موضوعها الرئيسي عدم التسامح فى الدين

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ .

٢ ﴿لا أعبد﴾ في الحال ﴿ما تعبدون﴾ من غير الله .

٣ ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في الحال ﴿ما أعبد﴾ وهو الله تعالى وحده ، لأنكم في ضلال عن الحق .

٤ ﴿ولا أنا عابد﴾ في الاستقبال ﴿ما عبدتم﴾ .

(١٠٨) سُورَةُ الكَوْثَرِ مَكِّيَّة وآياتها ثلاث

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

(١٠٩) سُورَةُ الكَافِرُونَ مَكِّيَّة وآياتها سِتّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

٨٢٤

٥ ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في الاستقبال ﴿ما أعبد﴾ لعلم الله منكم أنكم لا تؤمنون ، وإطلاق «ما» على الله على وجه المقابلة ، وفي استعمالها على الله تعظيم لجانب الجلالة وعلى غيره من المعبودات تحقير لها .

٦ ﴿لكم دينكم﴾ الشرك ﴿ولي دين﴾ الاسلام في الاستعمال فليس هذا بمنع الدعوة الى الله في كل وقت ، وانما هو منع التساهل في أمور الدين طلبا لرضا مخلوق اذا لم يكن هناك تقية ، فلا تجوز المسامحة في شيء من الامور على وجه لا يؤدي الى التشديد والتنفير ففي الحديث «يسروا ولا تعسروا» .

(١١٠) سورة النصر مدنية
وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

(١١١) سورة المسد مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

﴿ سورة النصر مدنية ﴾

هي ثلاث آيات وتسمى سورة التوديع وهي آخر سورة نزلت قاله ابن عباس سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿اذا جاء نصر الله﴾ لنبيه ﷺ على أعدائه ﴿والفتح﴾ فتح مكة .

٢ ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله﴾ الاسلام ﴿أفواجا﴾ جماعات بعدما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من أقطار الارض طائعين .

٣ ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي اشتغل بالتسبيح متلبسا بحمد ربك ، قد انقضت وظيفة الرسالة واشتغل بهذا لتكون قدوة أخرى للشيوخ عند العجز عن قوة العمل فيشتغلون بالتسبيح والتحميد وما يعطف عليهما ﴿واستغفره انه كان توابا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قوله سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وعلم ﷺ بها أنه قد اقترب أجله . وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي ﷺ في ربيع الاول سنة عشر .

قلت ولم نكن هذه السورة آخر سور القرآن في ترتيب القراءة دلالة على أن نظم القرآن توقيفي وان انقطاع حياته ﷺ في الدنيا لا يوقف العمل الذي جاء به ، فلذلك رتب بعدها سورة اللهب ، للدلالة على ان أعداءه مستمرون على عدواته ، ثم سورة الاخلاص دلالة على أن التوحيد غالب ومستمر ولا يغلب أبدا ، ثم المعوذتين لاستمرار طلب التعوذ من كيد الشيطان والقوادح في الدين دائما ، فهي أيضا مستمرة في محاربتها لاهل الحق والحمد لله رب العالمين وهو أحكم الحاكمين .

﴿ سورة تبت مكية ﴾

وهي خمس آيات موضوعها الرئيسي بيان مصير الكافر ولوكان من قرابة النبي ﷺ وأن الدين لا يخلو من عدو وأكثره من أقرباء الداعية إليه

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لما دعا النبي قومه الى الاسلام قال له عمه أبو لهب تباً لك يا محمد ألهذا دعوتنا نزل ﴿تبت﴾ خسرت ﴿يدا ابي لهب وتب﴾ أي خسر أبو لهب خسرانا كبيراً بكفره .

٢ ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ كسبه أي جمعه من ولد كان له ولدان عتبة وعتيبة بالتصغير وأما عتبة فقد أسلم . وأغنى بمعنى يغني .

٣ ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ أي تلهب وتوقد ، فهي مآل تكنيته لتلهب وجهه اشراقا وحمرة .

٤ ﴿وامرأته﴾ عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته . وهي أم جميل ﴿حمالة﴾ بالنصب على الشتم وقرىء بالرفع نعت لامرأته ﴿الحطب﴾ يقال هو حمال الحطب اذا كان نميما ، فهي كانت دائما تسعى في ابطال شأن النبي ﷺ وتقابله بأنواع الاذى مادية ومعنوية .

٥ ﴿في جيدها﴾ عنقها ﴿حبل من مسد﴾ أي ليف وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذي هو صفة لامرأته أو خبر مبتدأ مقدر . ففي الجملة تشويه لها فانها كانت جميلة الصورة لها جيد مثل جيد الريم ، ولكن أخلاقها أفسدها أي ليس الامر بحسن الظاهر ، والمقصود حسن الطوية والله أعلم .

﴿ سورة الاخلاص مكية أومدنية ﴾

هي أربع آيات وموضوعها الرئيسي الاخلاص والتوحيد وأن الله وحده يحفظ دينه من أعدائه ولها أسماء كثيرة وكلها ترجع الى التوحيد ، وهو رجوع العبد الى مولاه وحده . وردت في فضلها وفي ترغيب قراءتها أحاديث كثيرة ، وهي اشهر من أن نذكرها لثواب الدنيا والآخرة . منها ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال شكا رجل الى رسول الله ﷺ الفقر وضيق المعيشة فقال رسول الله ﷺ اذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد فان لم يكن فيه أحد فسلم واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة . ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه . وهي ثلث القرآن . وتعبر عن صفات الله تعالى .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل﴾ يا محمد ربي ﴿هو الله أحد﴾ فالله خبر «هو» و«أحد» بدل منه أو خبر ثان . «الله» علم للذات العلية فهو أعظم أسمائه تعالى ، وأحد أي فرد في ذاته وصفاته وأفعاله وهـذا يوجب له تعالى الوجود والصفات السمعية وهي السمع والبصر والكلام وغيرها . والاتصاف بها في الازل .

٢ ﴿الله الصمد﴾ مبتدأ وخبر . أي المقصود في الحوائج على الدوام ، وذلك يوجب له الوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة . والاتصاف بها في الازل .

٣ ﴿لم يلد﴾ لانتفاء مجانسته وهو يوجب له القيام بالنفس ﴿ولم يولد﴾ لانتفاء الحدوث عنه فيوجب له القدم والبقاء .

كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

(١١٢) سُورَةُ الإِخْلَاصِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا أَرْبَع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

(١١٣) سُورَةُ الفَلَقِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا خَمْس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ

٨٢٦

٤ ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ أي مكافئا ومماثلا يوجب له المخالفة للحوادث ، فله متعلق بكفوا وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي وأخر . «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها رعاية للفاصلة

﴿ سورةُ الفلق مكية أو مدنية ﴾

هي خمس آيات وهي شرح لما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ، ومن أحوال مخلوقاته في فضلها أحاديث كثيرة شهيرة ، وكان النبي ﷺ يقرأ المعوذتين ثلاث مرات صباحا ومساء .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الصبح .

٢ ﴿من شر ما خلق﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف ، وجماد كالسم وغير ذلك .

عاسق إذا وقب (٣) ومن شر النفاثات في العقد (٤)
ومن شر حاسد إذا حسد (٥)

(١١٤) سورة الناس مكية وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس (١) ملك الناس (٢)
إله الناس (٣) من شر الوسواس الخناس (٤)
الذي يوسوس في صدور الناس (٥) من الجنة
والناس (٦)

٣ ﴿ومن شر غاسق اذا وقب﴾ أي الليل اذا اظلم ، أو القمر اذا غاب ففي الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من أماكنها ويقوى أهل الشر على العتو والفساد . وكان أهل الريب والشرور يتحينون وجبة القمر ، وقيل الغاسق كل هاجم بضر كائنا ما كان ، من قولهم غسقت القرحة اذا سال صديدها .

٤ ﴿ومن شر النفاثات﴾ السواحر تنفث ﴿في العقد﴾ التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق روى النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق بشيء وكل اليه» ولا يكره النفث عند الرقية قال محمد بن الاشعث ذهب بي أبي الى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء فرقتني ونفثت .

٥ ﴿ومن شر حاسد اذا حسد﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه . وذكر الثلاثة الشامل لها ما خلق بعده لشدة شرها .

﴿ سورة الناس مكية أو مدنية ﴾

هي ست آيات وهي مثل السورة التي قبلها ، والفرق بينهما أن الاولى استعاذة من الشرور المضرة في الابدان وهذه من الشرور المضرة في الارواح ، ولذلك كانت الاستعاذة فيها بأسماء الله المتعددة المضافة الى الناس من شر الشيطان .

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ الرب هو من له ملك الرق وجلب الخيرات ، فرب الناس هو خالقهم ومالكهم ، خصوا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم .

٣ ﴿ملك الناس﴾

٤ ﴿اله الناس﴾ صفتان أو عطفا بيان وأظهر المضاف اليه فيهما زيادة للبيان لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . وقد يقال له أيضا ملك الناس ، وأما اله الناس فخاص له لا شركة فيه ، فجعل غاية للبيان وفي ذلك الترقي من الادنى الى الاعلى ، ونبه بالصفات الثلاث على مراتب معرفته فانه يستدل بالنعم على ربه ثم يترقى الى أن يتحقق احتياج الكل اليه ، فيعلم انه الملك ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة .

٤ ﴿من شر الوسواس﴾ أي الشيطان سمي بالحدث لكثرة ملابسته له ﴿الخناس﴾ لانه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله ، فذكر الله دواء الوسواس . لم ينزل تعالى داء الا أنزل له دواء غير السام وهو الموت .

٥ ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ قلوبهم اذا غفلوا عن ذكر الله .

٦ ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وانسي ، فكل من عرف الحق وأبى أن يعمل به فانه شيطان كقوله تعالى «شياطين الانس والجن» أو «من الجنة» بيان له ، و«الناس» عطف على «الوسواس» واعتراض الاول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس ، انما يوسوس في صدورهم الجن واجيب بأن الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم في الظاهر تصل وسوستهم الى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي الى ذلك والله تعالى أعلم وأحكم .

خاتمة

قال أبو بكر محمود جومي القاضي وفقه الله تعالى وجعل الجنة مأواه : هذا ما قدر الله لي جمعه من تفسير القرآن الكريم الذي سميته «رد الأذهان الى معاني القرآن» مما لخصته من كلام الأئمة الاعلام . لم أقصد به الا تبيين مواضيع السور، والتنبيه على حمل القصص لتراجم الفصول ، وازالة ما يمكن أن يسبب الاشكال فيما أورده بعض المفسرين في بعض المواضع الذي لا يوافق مقام النبوة المعصوم أو هو يخالف أسس الشريعة المطهرة . ولم أخالف ألفاظ الامامين الجليلين جلال الدين المحلي وعبد الرحمن السيوطي الا بما أشار اليه الامام سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل في حاشيته عليهما في كتابه الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية . في أكثر الالفاظ والمعاني التي ملت اليها في هذا الكتاب ، ولذلك لم أحتج الى اسناد أقوال الى قائليها الاصليين مما نقلت منه خوف التطويل ولسهولة مراجعة مواقعها في الكتاب المذكور. واتبعت السيد قطب في كتابه «في ظلال القرآن» في الاشارة الى المواضيع الرئيسية لدروس السور، واختصرت كلامه بقدر الحاجة ومقتضى المقام ، وكثيرا ما انتفعت بنفس ألفاظه في التفسير بدون التنبيه على ذلك لما مر في الجمل . ونقلت بعض الاحاديث أو الآثار المروية من تفسير الامام اسماعيل ابن كثر ولم أقم بالتنبيه عليه لقلة ذلك عندي ففي آيات الصفات والاسماء اتبعت العقيدة السلفية وانتفعت في ذلك بكتب شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وارشادات الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز .جزى الله الجميع عني وعن الاسلام خيرا ، وجعل الجنة مأوانا في دار السلام مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكل من سعى في شيء لتحصيل هذا الكتاب ، واصلاح ما وقع فيه من الخطأ أو الغفلة واستغفر لمؤلفه الضعيف فعسى الله أن يتقبل دعاء المسلمين بعضهم لبعض . اللهم انفعني وانفع المسلمين بهذا الكتاب ، وأحسن اللهم عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الاخرة ، ولك الحمد يا رب العالمين على ما أنعمت علينا وأتممته لنا أولا وآخرا ، لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وافق الختام يوم الاحد لاربعة أيام بقين من شهر الله المبارك جمادى الآخرة . سنة الف وثلاثمئة واثنتين وتسعين الهجرية الموافقة لستة ايام خلون من شهر اغسطس سنة الف وتسعمائة واثنين وسبعين الميلادية .

هذا دعاء ختم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

اَللّٰهُمَّ اَرْحَمْنِي بِاَلْقُرْآنِ * وَاَجْعَلْهُ
لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً *
اَللّٰهُمَّ ذَكِّرْنِيْ مِنْهُ مَا نَسِيتُ *
وَعَلِّمْنِيْ مِنْهُ مَا جَهِلْتُ * وَاَرْزُقْنِيْ
تِلَاوَتَهُ اٰنَاءَ اَللَّيْلِ وَاَطْرَافَ اَلنَّهَارِ *
وَاَجْعَلْهُ حُجَّةً لِي يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ *
اَللّٰهُمَّ اَنْفَعْنِي وَارْفَعْنِي بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ *
وَاَهْدِنِي بِالْآيَاتِ وَاَلذِّكْرِ الْحَكِيْمِ *
وَتَقَبَّلْ مِنِّي اِنَّكَ أَنْتَ اَلسَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ
وَاَغْفِرْ لِي اِنَّكَ اَنْتَ الْغَفُورُ الكَرِيْمُ *
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِيْنَ * وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ
رَبِّ الْعَالَمِيْنَ *

فهرس السور

رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة
١	سورة الفاتحة	٢	٣٠	سورة الرُوم	٥٣٠
٢	سورة البقرة	٣	٣١	سورة لُقمان	٥٣٩
٣	سورة آل عمران	٦٢	٣٢	سورة السَّجْدة	٥٤٤
٤	سورة النساء	٩٧	٣٣	سورة الأحْزَاب	٥٤٨
٥	سورة المائدة	١٣٤	٣٤	سورة سبأ	٥٦٢
٦	سورة الأنعام	١٦٢	٣٥	سورة فاطِر	٥٧١
٧	سورة الأعراف	١٩٢	٣٦	سورة يس	٥٧٩
٨	سورة الأنفال	٢٢٦	٣٧	سورة الصَّافَات	٥٨٧
٩	سورة التوبة	٢٣٩	٣٨	سورة ص	٥٩٧
١٠	سورة يونس	٢٦٥	٣٩	سورة الزُمر	٦٠٥
١١	سورة هود	٢٨٣	٤٠	سورة غافر	٦١٧
١٢	سورة يوسف	٣٠٢	٤١	سورة فصلت	٦٢٩
١٣	سورة الرعد	٣٢٠	٤٢	سورة الشُورى	٦٣٨
١٤	سورة إبراهيم	٣٢٩	٤٣	سورة الزُخْرف	٦٤٧
١٥	سورة الحجر	٣٣٧	٤٤	سورة الدُخَان	٦٥٦
١٦	سورة النحل	٣٤٥	٤٥	سورة الجاثية	٦٦٠
١٧	سورة الإسراء	٣٦٤	٤٦	سورة الأحْقَاف	٦٦٥
١٨	سورة الكهف	٣٨٠	٤٧	سورة مُحَمَّد	٦٧٢
١٩	سورة مَرْيم	٣٩٦	٤٨	سورة الفَتح	٦٧٨
٢٠	سورة طه	٤٠٦	٤٩	سورة الحُجرات	٦٨٤
٢١	سورة الأنبياء	٤٢٠	٥٠	سورة ق	٦٨٨
٢٢	سورة الحجُ	٤٣٢	٥١	سورة الذَّاريات	٦٩٢
٢٣	سورة المؤمنون	٤٤٥	٥٢	سورة الطُور	٦٩٦
٢٤	سورة النُور	٤٥٦	٥٣	سورة النَّجْم	٧٠٠
٢٥	سورة الفُرْقان	٤٧٠	٥٤	سورة القَمَر	٧٠٤
٢٦	سورة الشُعَراء	٤٧٩	٥٥	سورة الرحمن	٧٠٨
٢٧	سورة النمْل	٤٩٤	٥٦	سورة الوَاقِعة	٧١٣
٢٨	سورة القصص	٥٠٦	٥٧	سورة الحَدِيد	٧١٨
٢٩	سورة العنْكبوت	٥٢٠	٥٨	سورة المُجَادلة	٧٢٤

رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة
٥٩	سورة الحشر	٧٢٩
٦٠	سورة الممتحنة	٧٣٤
٦١	سورة الصف	٧٣٨
٦٢	سورة الجمعة	٧٤٠
٦٣	سورة المنافقون	٧٤٢
٦٤	سورة التغابن	٧٤٥
٦٥	سورة الطلاق	٧٤٨
٦٦	سورة التحريم	٧٥١
٦٧	سورة الملك	٧٥٤
٦٨	سورة القلم	٧٥٧
٦٩	سورة الحاقة	٧٦١
٧٠	سورة المعارج	٧٦٤
٧١	سورة نوح	٧٦٧
٧٢	سورة الجن	٧٧٠
٧٣	سورة المزمل	٧٧٣
٧٤	سورة المدثر	٧٧٥
٧٥	سورة القيامة	٧٧٨
٧٦	سورة الإنسان	٧٨١
٧٧	سورة المرسلات	٧٨٤
٧٨	سورة النبأ	٧٨٦
٧٩	سورة النازعات	٧٨٩
٨٠	سورة عبس	٧٩١
٨١	سورة التكوير	٧٩٣
٨٢	سورة الانفطار	٧٩٥
٨٣	سورة المطففين	٧٩٦
٨٤	سورة الانشقاق	٧٩٩
٨٥	سورة البروج	٨٠٠
٨٦	سورة الطارق	٨٠٢

رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة
٧٨	سورة الأعلى	٨٠٣
٨٨	سورة الغاشيه	٨٠٤
٨٩	سورة الفجر	٨٠٦
٩٠	سورة البلد	٨٠٨
٩١	سورة الشمس	٨٠٩
٩٢	سورة الليل	٨١٠
٩٣	سورة الضحى	٨١١
٩٤	سورة الشرح	٨١٢
٩٥	سورة التين	٨١٣
٩٦	سورة العلق	٨١٤
٩٧	سورة القدر	٨١٥
٩٨	سورة البينة	٨١٦
٩٩	سورة الزلزلة	٨١٧
١٠٠	سورة العاديات	٨١٨
١٠١	سورة القارعة	٨١٩
١٠٢	سورة التكاثر	٨٢٠
١٠٣	سورة العصر	٨٢٠
١٠٤	سورة الهمزة	٨٢١
١٠٥	سورة الفيل	٨٢٢
١٠٦	سورة قريش	٨٢٢
١٠٧	سورة الماعون	٨٢٣
١٠٨	سورة الكوثر	٨٢٤
١٠٩	سورة الكافرون	٨٢٤
١١٠	سورة النصر	٨٢٥
١١١	سورة المسد	٨٢٥
١١٢	سورة الإخلاص	٨٢٦
١١٣	سورة الفلق	٨٢٦
١١٤	سورة الناس	٨٢٧

ردّ الأذهان إلى معاني القرآن

تفسير

أبي بكر محمود جومي

رئيس قضاة نيجيريا

طبع على
نفقة السيد
الحاج آدم دان جوما محمد
رئيس شركة أمنشي
بلاجوس